التفسير المسيحيّ القديم للكتاب المقدّس

العهدُ الجديد

١ - أ

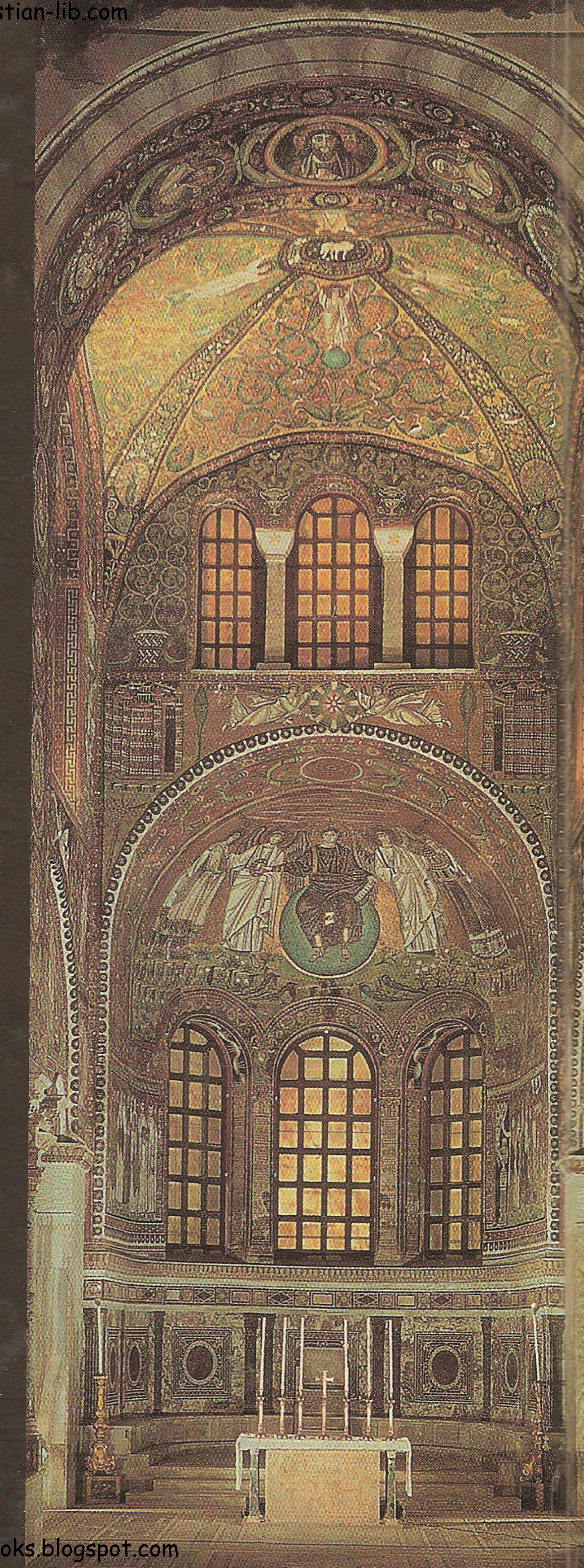
الإنجيل كما دوّنه متّى

١ - ١٣

نقله من اللغات الأصليّة
الأبُ الدكتور ميشال نجم

بالاشتراكِ مع فريقٍ
من الناقلين والمحرّرين

منشورات جامعة البلمند



التفسيرُ المسيحيّ القديم للكتابِ المُقدَّس

العَهْدُ الجديد

١ - أ

الإنجيل كما دوَّنهُ

متّى

١ - ١٣

نقله من اللّغات الأصليَّةِ
الأبُ الدكتور ميشال نجم

بالاشتراكِ مع فريقٍ من النّاقلين والمُحرِّرين

منشورات جامعة البلمند

Originally published by InterVarsity Press as *Ancient Christian Commentary on Scripture – New Testament Ia – Matthew 1 - 13*, edited by *Thomas C. Oden & Manlio Simonetti* © 1988. ISBN 0-8308-1486-8. Translated and published by permission of InterVarsity Press, P.O.Box 1400, Downers Grove, IL 60515, USA.

نقل هذا المجلّد من اللغات الأصليّة الأب الدكتور ميشال نجم، راجعه الأب حنّا اسطفان، نقل النصوص السريانيّة المطران يوجين قبلان والأب الدكتور جوزيف طرزي، دقّق النصّ العربي الأستاذ إيلي الحاج عبيد والأستاذ غسّان الحاج عبيد.

ISBN 9953-452-01-6

أنجزت مَطبعة لِـيزار ش.م.م طباعة هذا الكتاب في شهر تشرين الثاني ٢٠٠٤

المحتويات

أقوالُ العُلماءِ في مآتي
التفسيرِ المسيحيِّ القديمِ للكتابِ المُقدَّسِ

«كانت هناك حاجةٌ مُلحَّةٌ منذ وقتٍ طويلٍ لإصدارِ خُلاصةٍ آبائيّةٍ للتفسيرِ المسيحيِّ القديمِ للكتابِ المقدّس. ولذا يَترتّبُ على العالمِ المسيحيِّ بأسره أنْ تجْتمعَ كلمتُه ليُجزِيَ الشُّكرَ خالصًا إلى الّذين يَسْعَون إلى ملءِ هذه الثّغرة. فهذا التفسيرُ القديمُ للكتابِ ثبَتَ أنّه مَصْدرٌ لا غنى عنه للحوارِ المسكونيِّ القائم، ولكشفِ قيمِ الفكْرِ المسيحيِّ المبكّر، وللجَدلِ التفسيريِّ القائمِ أيضًا».

J.I. Packer

أُستاذُ اللاّهوتِ في الهيئةِ الإداريّةِ العليا لجامعة ريجنت **Regent College**

«في صحراءِ الدّراساتِ الإنجيليّةِ الساعيةِ إلى بحثِ النُّصوصِ لغويًّا، أو النّفاذِ إلى ما وراءها، يتدفّقُ ماءُ الإيمانِ المسيحيِّ العذْبُ من تفسيرِ الآباءِ للمصادرِ الكتابيّةِ. فالوعّاظُ والمعلّمون وطلاّبُ الإنجيلِ من كلِّ نوعٍ راغبون في أنْ يَعبُّوا عبًّا من هذا التفسيرِ المسيحيِّ القديمِ للكتابِ المقدّس».

Neuhaus John Richard

رئيسُ «الدينُ والحياةُ العامّةُ» **Religion and Public Life**

المحرِّرُ الرئيسُ لـ «أوّلُ الأمورِ» **First Things**

«لقد استطاعَ آباءُ الكنيسةِ القديمةِ، بنعمةِ الله، أنْ يُفسّروا الكتُبَ المقدّسة بطريقةٍ تَجْمعُ الروحانيّةَ والمعرفةَ الواسعةَ، اللّيتورجيا والعقيدةَ، وكلَّ أوجُهِ الإيمانِ الّتي تُعانِقُ حياتَنا كلَّها. أنْ نُتيحَ للآباءِ التحدُّثَ إلينا مرّةً ثانيةً في عالمِنا المعاصرِ، عبر هذه السلسلةِ الآبائيّةِ، هو إصلاحُ إيمانٍ ضَعُفَ من جرّاءِ التخصُّصِ المفْرِطِ في دراسةِ الكتابِ المقدّسِ وعلمِ اللاّهوتِ المقدّس».

Fr. George Dragas

كليّةُ اللاّهوتِ للصّليبِ المقدّس **Holy Cross Seminary**

«هذا التّفسيرُ المسيحيُّ الجديدُ، بل القديمُ، للكتابِ المقدّسِ يُخْرِجُنا من عالمٍ ضيّقٍ صغيرٍ وَضعَنا فيه البَحثُ الكتابيُّ الحديثُ، ويُعيدُنا إلى عصرٍ سابقٍ تميَّزَ باجتهادٍ مسيحيٍّ وبحثٍ رصينٍ وإيمانٍ مُخْلِصٍ لله. هذا التفسيرُ هو نسمةٌ عَطِرةٌ تَهُبُّ في عالمِنا الحديثِ الفارغ».

David F. Wellis

أُستاذٌ مميّزٌ في اللاّهوتِ المنهجيِّ والتاريخيِّ في كرسيِّ **Andrew Mutch** كليّةُ اللاّهوتِ **Gordon -Conwell**

«إنَّ هذه المُنْتَخَبات الموضوعة وَفْقَ مُنتخباتِ التفسيرِ الكتابيِّ في القرونِ الوسْطى، والمُرتَّبة فصلاً فصلاً وآيةً آيةً، منْهلٌ ثمينٌ للصّلاةِ والدرسِ وإعلانِ البشارةِ. ولأنَّ هذه السلسلة تُوقِفُنا على تُراثٍ مسيحيٍّ غنيٍّ سَبق الانشقاق بين الشَّرقِ والغربِ، وبين البروتستانتيِّين والكاثوليكيِّين، فهي تُقدِّمُ خدمةً كُبرى للقضيَّةِ المسكونيَّة».

Avery Cardinal Dulles, S. J.

أُستاذُ الدِّين والمجتمعِ في كرسيِّ **Laurence J. McGinley**

جامعة فوردام **Fordham University**

«علتْ صيحةُ الإصلاحِ البروتستانتيِّ الأوَّل، فحثَّتِ الناس على العَوْدةِ إلى الأُصول adfonts -أي على الرُّجوعِ إلى الينابيع! إنَّ التفسير المسيحيَّ القديمَ للكتابِ المقدَّس أداةٌ مدهشةٌ لاستعادةِ الحكمةِ الإنجيليّةِ في كنيسةِ اليوم. فهو ليس مشروعَ بحثٍ آخر، بل مَنْهلٌ رئيسٌ لتجديدِ الوعظِ وعلمِ اللاهوت والتّقوى المسيحيّة».

Timothy George

عميدُ كلّيَّةِ بيسون **Beeson** للاّهوت، في جامعةِ سامفورد **Samford**

«قلَّما يُدركُ أعضاءُ كنيسةِ اليوم أنَّهم شركاءُ في جماعةٍ تعودُ بقدّيسيها إلى الماضي، وتَمْتدُّ إلى المستقبلِ، إلى أنْ يأتيَ الملكوتُ. ينْبغي لهذا التّفْسير أنْ يُساعِدَهُم على أنْ يروا أنْفُسَهم شركاء في تلك الجماعة المخلّصة».

Elizabeth Achtemeier

أُستاذةٌ فخريّةٌ في الكتابِ والوعظِ، كلّيَّة اللاّهوت الاتّحاديَّة في فرجينيا **Virginia**

«لا يَقِفُ كهنةُ هذا العصرِ وحدهم، فنحن لسنا الجيل الأوّل من الوُعّاظِ لِنُصارع وحدنا تحدّياتِ نقلِ الإنجيلِ. فالتفسيرُ المسيحيُ القديمُ للكتابِ المقدَّس يفتحُ لنا الحِوار مع زملاءِ الماضي، أي مع تلك السَّحابةِ من الشُّهودِ الّتي سبقتنا في هذه الدعوة. فهذا التفسيرُ يُمكِّننا مِنْ أنْ نكتسبَ رؤيتَهم الروحيّة العميقة، ونَحْظى بتشجيعِهم وإرشادِهم للتّفسيرِ المعاصرِ وللتّبشيرِ بالكلمة. ما أروع إضافةَ هذا التفسيرِ إلى مكتبةِ راعي الكنيسةِ»!

William H. Willimon

عميدُ كنيسةِ جامعةِ دوك **Duke** وأُستاذُ الخدمةِ المسيحيَّةِ

«هذه سلسلةٌ فذّةٌ تستعيدُ الإنجيلَ كتابًا للكنيسةِ، فتَضَعُ في مُتناوَلِ القرّاءِ المعاصرين الجادّين، مدرسةَ إقليمس الإسكندريِّ وديديموس الأعمى، وقاعة محاضراتِ أوريجنّس، وكرسيَّ الذهبيِّ الفم وأوغسطين، وصومعةَ جيروم للنَّسْخِ الكتابيِّ في ديرِ بيتَ لحم».

George Lawless

مؤسَّسةُ أوغسطين الآبائيَّة والجامعة الغريغوريَّة، رومية

«سرَّتنا مشاهدةُ التفسيرِ المسيحيِّ القديمِ للكتابِ المقدّسِ مَنْشورًا. فمن المفيدِ جدًّا أَنْ نتعلّمَ كيف فسَّرَ المسيحيّون القدماءُ الكتابَ المقدّسَ، لاسيّما قدّيسو الكنيسةِ الّذين قدّموا حياتَهم بإخلاصٍ إلى اللهِ وكلمتِه. فَلْنُصْغِ إلى شهادةِ الّذين سبقونا في الإيمان».

المتروبوليت ثيودوسيوس **Theodosius**

رئيسُ الكنيسةِ الأرثوذكسيّةِ في أميركا **OCA**

«برزَ بين المسيحيّين كلِّهم اهتمامٌ واسعٌ بالمسيحيّةِ الأُولى، على المستويَين العلميِّ والشعبيِّ... من هذه السلسلةِ أفاد المسيحيّون في كلِّ تقاليدِهم عِلمًا، لاسيّما الكهنةُ ودارسو الكتابِ المقدّسِ. وفضلاً عن ذلك، فهي تُتيحُ لنا أَنْ نرى كيف كانت تقاليدُنا مُتأصِّلةً في تفاسيرِ آباءِ الكنيسةِ، وكيف طوَّرْنا رؤيتَنا الجديدةَ».

Alberto Ferreiro

أُستاذُ التاريخِ في جامعةِ سياتيل للمحيطِ الهادئ **Seattle Pacific University**

«يسُدُّ التفسيرُ المسيحيُّ القديمُ للكتابِ المقدّسِ حاجةً مُلِحَّةً عند العُلَماءِ وطلاّبِ آباءِ الكنيسةِ... مَعلوماتٌ كهذه لا حدَّ لقيمتِها عند الّذين غرِقوا في خِضَمِّ المُفسِّرين المعاصرين والنظريّاتِ الحديثةِ للنُّصُوصِ الكتابيّةِ. نحن نُرَحِّبُ برؤيةٍ جديدةٍ لمؤلّفين قدماءَ برزوا في عصورِ الكنيسةِ الأُولى».

H. Wayne House

أُستاذُ علمِ اللاّهوتِ والشَّرعِ في جامعةِ الثالوثِ للشَّرعِ **Trinity University of Law**

«بهذه السلسلةِ الجديدةِ الرائعةِ تَنْكَشِفُ تفاهةُ الإعجابِ بتفوُّقِنا على السَّلفِ، وذلك بافتراضِنا أنّه غيرُ قادرٍ على أَنْ يُعلِّمَنا شيئًا لعدمِ تيسُّرِ الحاسوبِ عنده. فقد أُتْخِمْنا العِلْمُ، غيرَ أنّنا جائعون إلى الحكمةِ. ولذا نحن مستعدُّون للجلوسِ إلى مائدةِ السَّلفِ، وللاستماعِ إلى حديثِه المقدّسِ عن الكتابِ. فأنا أَعْرِفُ أنّي إليه جائعٌ».

Eugene Peterson

أُستاذٌ فخريٌّ في كلّيّةِ اللاّهوتِ الروحيِّ في جامعةِ ريجنت **Regent College**

«ما من مشروعٍ آخر للنَّشرِ شجَّعني كالتفسيرِ المسيحيِّ القديمِ للكتابِ المقدّسِ بإشرافِ الدكتور توماس أُودِنْ منشئِه العامِّ... لماذا لم نتآلف نحن الّذين كرَّسْنا أنفسَنا لخدمةِ الربِّ، وتلقَّينا التعليمَ اللاهوتيَّ مع طلاّبٍ للكتابِ رائعين من أمثالِ يوحنّا الذهبيِّ الفم والقدّيس أثناسيوس الكبير ويوحنّا الدمشقيِّ؟ فبشوقٍ أتطلّعُ إلى نشرِه».

FR. Peter Gillquist

رئيسُ دائرةِ الكرازةِ والتبشيرِ في أبرشيّةِ أميركا الشماليّةِ الأنطاكيّةِ الأرثوذكسيّةِ

«قرئ الكتابُ المقدّس بمحبّةٍ وانتباهٍ لألفَي سنة، ولذا فالاستماعُ إلى صوتِ مؤمني القرون السّابقةِ يفتحُ بصائرنا ويُعمِّقُ إيماننا. فالّذين درسوا الكتابَ في زمنٍ قريبٍ إلى كتابتِه، أثناءَ الاضطهادِ وبعده، يتكلّمون بسلطانٍ مُميّز. التفسيرُ المسيحيُّ القديمُ للكتابِ يُجدِّدُ حقيقةَ أنّنا مُحاطون، بحالٍ غيرِ منظورٍ، «بسحابةٍ عظيمةٍ من الشهودِ».

Frederica Mathewes-Green

معلِّقةٌ في الإذاعةِ الحكوميّةِ الوطنيّة

«هذا التّفسيرُ مفاجأةٌ كبرى للّذين يَظنُّون أنَّ تاريخَ الكنيسةِ بدأَ حوالى ١٩٤١ حين وُلِدَ كاهنُهم. فالمسيحيّون طالعوا عبر العصورِ النَّصَّ الكتابيَّ فتغذّت به أرواحُهم، ثمّ طبّقوه في حياتِهم. تعكسُ هذه التفاسيرُ شهادة الرّوحِ القُدُسِ الحاضرِ في كنيستِه على مَرِّ الزمن. نتيجةً لذلك، نستطيعُ أنْ نَجني فائدةً كُبرى عندما نُتيحُ للمسيحيّين القدماءِ أنْ يتحدّثوا إلينا اليوم».

Haddon Robinson

أستاذٌ مميّزٌ في كرسيّ **Harold John Ockenga** للوعظِ

كلّيّة **Gordon-Conwell** اللاهوتيّة

«كلُّ الّذين يهتمُّون بتفسيرِ الكتابِ المقدّس يُرحِّبون بهذه السلسلةِ الضّخمةِ للتفسيرِ المسيحيِّ القديمِ للكتابِ المقدّس. فهنا جُمِعَت رؤى آباءِ الكنيسةِ الأوائلِ وتفاسيرُهم حول مقاطعَ مهمّةٍ من الكتابِ المقدّس. يَصعُبُ على المرءِ التّفكيرُ في مشروعٍ له أهميّةٌ مسكونيّةٌ أكثر من هذا المشروعِ الّذي تولّاه النّاشرُ».

Bruce M. Metzger

أستاذٌ فخريٌّ للعهدِ الجديدِ، كلّيّة **Princeton** اللاهوتيّة

مقدِّمةٌ عامّةٌ

يضمُّ التَّفْسيرُ المسيحيُّ القديمُ للكتابِ المقدَّسِ ثمانيةَ وعشرين مُجلَّدًا من التَّفْسيرِ الآبائيِّ للكتابِ المقدَّس. تمتدُّ مدَّةُ هذه التفاسيرِ سبعةَ قرونٍ، ابتداءً من إقليمُس أُسْقُفِ روما (برزَ حوالى العام ٩٥) إلى يوحنّا الدِّمَشقيِّ (٦٤٥– ٧٤٩)، أي من نهايةِ زمنِ العهدِ الجديدِ إلى مُنْتَصَفِ القرنِ الثامنِ لتَشْمَلَ المغبوطَ بيد Bede.

ولأنَّ منهجَ البحْثِ تَمَّ بمساعدةِ التِّقْنيَّةِ الحاسوبيّةِ، يُشكِّلُ هذا التفسيرُ نموذجًا للبَحْثِ اللاّهوتيِّ الواعدِ والمتطوِّرِ والعمليِّ في تاريخِ التَّفْسيرِ الكتابيِّ. فهدفُ هذه المُقدِّمَةِ العامّةِ لهذه السِّلسلةِ هو التعريفُ بأُسُسِها المنهجيَّةِ.

هذه مُهمَّةٌ طالَ انتظارُها في البحثِ الكتابيِّ واللاّهوتيِّ، وهدفُها هو: تقْديمُ نُصوصٍ رئيسَةٍ للتَّفسيرِ القديمِ على الكتابِ المقدَّسِ بأكملِه. لهذه الغايةِ، ولأوَّلِ مرَّةٍ منذ أمَدٍ بعيدٍ، تآزرَ المؤرِّخونَ والنَّاقلون وتقنيّو العِلْمِ الحاسوبيِّ وعلماءُ الكتابِ المقدَّسِ والآباء، لتقْديمِ هذه النُّصوصِ من التّاريخِ القديمِ للتَّفسيرِ المسيحيِّ. ولذلك وُضِعَ هنا شرْحُ الألفاظِ الكتابيّةِ، والتأمّلُ العميقُ في النَّصِّ، والجدَلُ، والتفكُّرُ، والبَحْثُ الآبائيُّ آيةً آيةً من التّكوينِ إلى الرّؤيا. فأُدْرِجتِ التفاسيرُ الآبائيّةُ حول تَثْنيةِ الاشتراعِ والأسفارِ القانونيَّةِ الثانيةِ التي عدَّها آباءُ الكنيسةِ أسفارًا أصليّةً. هذا تفسيرٌ مُتكامِلٌ للكتابِ يتألَّفُ من مُنْتَخَباتٍ لكتّابٍ مسيحيِّين قدَماء تُرجِمت حديثًا.

لهذا التَّفسيرِ المسيحيِّ القديمِ للكتابِ المُقدَّسِ ثلاثةُ أهدافٍ هي: تجديدُ الوَعْظِ المسيحيِّ المبنيِّ على التَّفسيرِ المسيحيِّ التّراثيِّ، ودراسةٌ كتابيّةٌ مُكثَّفةٌ أُعِدَّت لعامّةِ الناسِ الراغبين في التَّفكيرِ مع الكنيسةِ الأُولى في النُّصوصِ القانونيَّةِ، وحَثُّ أهلِ البحثِ المسيحيِّ التاريخيِّ والكتابيِّ واللاهوتيِّ والرعويِّ على التَّعمُّقِ في التَّفاسيرِ الكتابيّةِ للكُتّابِ المسيحيّين القُدَماء.

تظْهَرُ في كلِّ صفْحةٍ من صفَحاتِ الكتابِ تَعْليقاتٌ قيِّمَةٌ لمفسِّرين رئيسيِّين في القُرونِ المسيحيَّةِ الأُولى. يُشْبِهُ هذا الترتيبُ الرسميُّ نَهْجَ ترتيبِ نُصوصِ التَّلْمُودِ ونهجَ التفسيرِ الإسلاميِّ للقرآن، وكذلك نهجَ مُنْتَخَباتِ النُّصوصِ الآبائيّةِ glossa ordinaria الّتي سبقَتِ الطِّباعة.[1]

[1] يلاحظ تلاميذُ التلمودِ نموذجَ التّصميم. فالتلمودُ مجموعةٌ للحججِ والمناقشاتِ والتفاسيرِ الربّانية حول المشنا، التشريعِ اليهوديِّ الأول بعد الكتاب، وكذلك الجمارا الذي هو تطويرٌ للمشنا. دراسةُ التلمودِ هي نهايةٌ في حدِّ ذاتِها ومكافأةٌ أيضًا. فيه يكون كلُّ موضوعٍ ينتمي إلى التوراة جديرًا بالاعتبارِ والتحليل. فكما أنَّ التلمود هو مستودعُ الحكمةِ اليهوديّةِ المنبثقة من

استرجاعُ النُّصوصِ المسيحيّةِ المُهْمَلة

هناك إحساسٌ شديدٌ عند الجماعاتِ المسيحيَّةِ المُتعدِّدةِ، بضرورةِ الرُّجُوعِ إلى هذه النُّصوصِ ودراستِها بدقَّةٍ. فالبَحْثُ الكِتابيُّ الحديثُ ركَّزَ اهتمامَه على المَناهجِ التاريخيَّةِ والأدبيَّةِ الّتي تلتِ التَّنويرَ الفلسفيَّ post-enlightment وأهْمَلَ التَّوقَ الآبائيَّ إهمالاً كبيرًا.

بعد سنواتٍ عديدةٍ من إعْمالِ الرُّويَةِ في إمكانِ إصدارِ تفسيرٍ آبائيٍّ، انعَقَدَ في واشنطن، وبدعوةٍ من جامعةِ درو Drew، لقاءٌ استطلاعيٌّ في تشرين الثاني من العام ١٩٩٣. ونتيجةً لهذا اللّقاءِ ولِمَا توصَّلَت إليه المُناقَشاتُ، بَرَزَت فكرةُ هذه السِّلسِلَةِ. تلَت ذاك اللّقاءَ لقاءاتٌ موسَّعةٌ أُخرى العام ١٩٩٤ في روما، وتيبنغن Tübingen وأوكسفورد وكمبريدج وأثينا والإسكندريّة واستنبول. استرْشَدْنا في هذه اللّقاءاتِ بآراءِ أكثرِ العُلَماءِ العالميّين كفاءةً في تاريخِ التَّفسيرِ. إنّهم علماءُ تفْسيرٍ ووعْظٍ وتاريخٍ تفسيريٍّ، ولاهوتيّون عقديّون ورَعَويّون، وموضعُ ثِقَةٍ ومُشيرو صِدقٍ، منهم السيّد Henry Chadwick أوكسفورد، والأساقفة Kallistos Ware أوكسفورد، وRowan Williams، وMonmouth وSykes Stephen، إلاي Ely (كُلُّهم كانوا أساتذةَ آباءٍ سابقين في أوكسفورد أو كمبريدج)؛ والأستاذان Angelo Di Berardino وStuder Basil معهد الدِّراساتِ الآبائيّةِ في روما؛ والأستاذان Karlfried Froehlich وMetzger Bruce M. برنستون Princeton. فكانوا ظهيرًا لَنا وعضدًا في وَضْعِ لائحةِ محرِّري هذه المُجلَّدات. نحن مَدينون، بشكلٍ خاصٍّ، لبطريركِ القُسطنطينيّةِ برثلماوس، والكاردينال Cassidy من المجلسِ الحَبْريِّ لإنْماءِ الوحْدةِ المسيحيَّةِ في الفاتيكان، لبركتِهما ودعْمِهما ونُصْحِهما في إطلاقِ مشروعِ جامعة درو Drew للتَّفْسيرِ الآبائيّ.

تَوصَّلَ المشاركون في هذه الاستشاراتِ الاستطلاعيّةِ إلى اتِّفاقٍ عامٍّ على ضرورةِ القيامِ بهذا المشروعِ. فحدانا التَّوقُ إلى البَدءِ به، وألَحَّت علينا رَغْبَةٌ قويّةٌ لبَذْلِ الطّاقةِ والوقتِ الثَّمينِ لإنجازِ ثلاثةِ مُجلَّداتٍ أو أربعةٍ في السَّنةِ، بحيث يَتِمُّ إنجازُ المشروعِ كلِّه في العَقْدِ الأوّلِ من الألفيّةِ الثّالثةِ.

هذه السِّلسلةُ هي حقًّا دليلٌ عمليٌّ للوعظِ والتأمُّلِ في النُّصوصِ المسيحيّةِ الآبائيّةِ حول الكتابِ المُقدَّس. هدفُها أنْ تكونَ خُلاصةً لتأمُّلِ المُفسِّرين المسيحيّين الأوائل في نُصوصِ التَّرجمةِ السبعينيّةِ واللاتينيّةِ ونصوصِ العهدِ الجديدِ. وفي المقاييسِ الحديثةِ لا تُعَدُّ هذه الخُلاصةُ تفْسيرًا، إنّما هي تفسيرٌ وَفْقَ مقاييسِ الآباءِ الّذين سبَقوا واضعي التَّفسيرِ المُعاصِر.

الكتاب المُلْهَم. هكذا فإنّ الآباءَ هم مستودعُ الحكمةِ المسيحيّةِ المنبثقةِ من الكتابِ المُلْهَم. ظهرَ التلمود في معظمِه في زمنِ الآباءِ نفسه، مستخدمًا طرائقَ مشابهةً في التفسيرِ. في التلمودِ تصحبُ نصوصُ المشنا اقتباساتٍ من مفسّرين مهمّين في التقليدِ اليهوديّ المتأخّر. أمّا أسلوبُ الطبعاتِ الأولى من التلمود فإنّه يتبع طريقة المخطوطات الأولى للمقتطفات الآبائيّة لتفسيرِ نصوص الكتاب. لذلك تعترفُ هذه السلسلة بفضلِ تقاليدِ هذه المقتطفاتِ والتفاسيرِ الربّانيّةِ الّتي رافقت الدراسات المسيحيّة الكتابيّة الأولى.

هناك جهودٌ عديدةٌ ومفيدةٌ يقومُ بها جهابذةٌ مُعاصرون يُساهمون مُساهمةً فعّالةً في استعادةِ النُّصوصِ المسيحيَّةِ التراثيَّةِ. الجديرةُ بالذكر منها هي سلسلةُ آباءِ الكنيسةِ (Catholic University of America Press)، سلسلةُ الكُتّابِ المسيحيّين القُدماء (Paulist)، سلسلةُ الدِّراساتِ البندكتيّة (Cistercian Publications)، إنجيلُ الكنيسة (Eerdmans)، رسالةُ آباء الكنيسةِ (Glazier)، نصوصٌ ودراساتٌ (Cambridge). وفي لُغاتٍ أُخرى هناك جهودٌ مماثلةٌ برزت في المصادرِ المسيحيَّة Sources Chrétiennes، والمجموعةِ المسيحيّةِ Corpus Christianorum (في السِّلسلتين اليونانيّةِ واللاّتينيّةِ Graeca وLatina)، والمجموعةِ المسيحيّةِ الكتابيّةِ الشرقيّةِ Corpus Scriptorum Christianorum Orientalium، والمجموعةِ الكتابيّةِ الكنسيّةِ اللاّتينيّةِ Corpus Scriptorum Ecclesiasticorum Latinorum، ونصوصٍ وأبحاثٍ في تاريخِ الأدبِ القديمِ Texte und Untersuchungen zur Geschichte der altchristlichen Literatur griechischen، والكتّابِ اليونانيّين المسيحيّين Die griechischen christlichen Schriftsteller، ومجموعةِ الآباءِ الشرقيّةِ Patrologia Orientalis، ومجموعةِ الآباءِ السريانيّةِ Patrologia Syriaca، والمكتبةِ الآبائيّةِ patristica Biblioteca، والآباءِ في الإيمانِ Collana di Testi Patristici Les Pères dans la foi, antica, crisitiana، Letture cristiane del primo millennio Letture cristiane delle origini, cultura، والمترادفِ والمتواردِ في اللّغةِ اللاّتينيّةِ Thesaurus Linguae Latinae، والمترادفِ والمتواردِ في اللّغةِ اليونانيّةِ Thesaurus Linguae Graecae، وسلسلةِ مركزِ النُّصوصِ والوثائقِ Centre de Textes et Documents (Cetedoc) الّتي تقدّمُ مجموعةَ النُّصوصِ المسيحيّةِ بشكلٍ رقميٍّ. وهكذا يَعْتَمِدُ التّفسيرُ المسيحيُّ القديمُ للكتابِ المقدّسِ على العملِ الرّائعِ الّذي أنجزَته هذه الدّراساتُ كلُّها، لكنَّه يستند أوّلاً وبتواضعٍ إلى الاعتمادِ على حكمةِ الآباءِ الإنجيليّةِ في الوعظِ المعاصرِ وبناءِ عامّةِ النّاسِ روحيًّا.

أدواتُ البَحْثِ الرّقميّ ونتائجُه

ساعدَ المُنْشئين فريقٌ من الباحثين الرقميّين في جامعةِ درو Drew الّذين عيّنوا مكانَ وجودِ هذه التّفاسيرِ التُّراثيّةِ من خلالِ القيامِ ببحوثٍ شاملةٍ للمجموعاتِ الآبائيّةِ اللاّتينيّةِ واليونانيّةِ. لقد بحثَ هذا الفريقُ عن هذه النُّصوصِ في بنكِ المعلوماتِ الرقميّةِ اليونانيّةِ للمُترادفِ والمتواردِ (TLG) وفي سلسلةِ النُّصوصِ اللاّتينيّةِ Cetedoc الصّادرةِ عن مركزِ المعالجةِ الإلكترونيّةِ للنُّصوص (الجامعةِ الكاثوليكيّةِ في لوفان Université catholique de Louvain)، وفي بنكِ معلوماتِ المجموعةِ الآبائيّةِ اللاّتينيّةِ (Migne) وفي بنكِ معلوماتِ المؤسّسةِ اللاّتينيّةِ للعلوم الإنسانيّةِ (Chadwyck-Healey Patrologia Latina) Packard. ولقد استخدمْنا الأقراصَ الحاسوبيّةَ لبحثِ نصوصِ آباءِ الكنيسةِ الأوائل، الّتي رَعَتْها جامعةُ درو Drew مع جمعيّةِ الكتابِ المقدّسِ الإلكترونيّةِ.

لقد أوْصلَنا هذا البحثُ إلى إعدادِ الكثيرِ من النُّصوصِ اللاّتينيّةِ واليونانيّةِ الخام الّتي اختارَ منها

المُحرِّرون أَفضلَها.[٢] بذلك قدَّمَ مكتبُ مشروعِ البُحوثِ لكلِّ محرِّرٍ من مُحرِّري المجلَّدات[٣] سَرْدًا للألفاظِ اليونانيَّةِ واللاّتينيَّةِ وتفاسيرَ، وملاحظاتٍ وتعليقاتٍ على كلِّ آيةٍ أَو على كُلِّ مقطعٍ كتابيٍّ.[٤] هناك نسبةٌ مئويَّةٌ ضئيلةٌ من الموادِّ تُوافِقُ معاييرَ اختيارِنا للنُّصوص. هذا عملٌ جادٌّ عند جامعِ المُقْتَطفاتِ أَو الخُلاصاتِ المُعدَّةِ للاستعمالِ العامِّ. كان هدفُ هذه الممارسةِ التَّوصُّلَ إلى الإيجازِ في التَّعبيرِ، والابتعادِ عن الحَشْوِ الكلاميِّ، وعدمِ الدُّخولِ في التَّفاصيلِ النَّقديَّة.

عبر استعمالِ الكلماتِ الدَّليلَةِ key words وعباراتِ البَحْثِ في بَنْكِ معلوماتِ Boolcan الحاسوبيَّة، عيَّنَ فريقُ البحثِ النُّصوصَ اللاّتينيَّةَ واليونانيَّةَ الآبائيَّةَ الأُولى المتَّصلةَ بمقاطعَ إنجيليَّةٍ معيَّنةٍ. وحيث وُجِدَ خلافٌ بين النُّصوصِ اللاّتينيَّةِ القديمةِ أو بين النُّصوصِ اليونانيَّةِ المتنازعِ على صحَّتِها، قامَ الفريقُ باستخدامِ الكلماتِ الدَّليلةِ للبحثِ، مُراعيًا بدائلَها المتوقَّعةَ أو المُحْتَملة، بما في ذلك التَّلميح والتَّشابه. في ذلك الوقتِ، كان فريقُ بحثِ التَّفسيرِ المسيحيِّ القديمِ للكتابِ المُقَدَّسِ في جامعةِ درو Drew قد أتمَّ أكثرَ البُحوثِ الحاسوبيَّة تعقيدًا وإعجازًا، تلك الّتي كان العقلُ البشريُّ لا يتَصوَّرُها قبل استنباطِ التكنولوجيا الحاسوبيَّة.

أَوصَلَنا توظيفُ هذه المصادرِ الرَّقميَّةِ إلى منافعَ غيرِ متوقَّعةٍ، وهي: بناءُ بنكٍ حاسوبيٍّ ضخمٍ استطاعَ الفريقُ عبره تعيينَ نُصوصٍ أَو تفاسيرَ لم تُعْتَبَرْ مِنْ قَبْلُ أَنَّها كانت مُعَدَّةً لتشكِّلَ جزءًا من المُقْتَطفاتِ الآبائيَّةِ، وإيجادُ طريقةٍ فعَّالةٍ واقتصاديَّةٍ في نشرِ الموارِدِ الإنسانيَّةِ، وتأمينُ موادَّ مستقبَليَّةٍ للبَحْثِ في تاريخِ التَّفسيرِ. أَنْجَزَ معظمَ هذا العملِ فريقٌ من الطُّلاّبِ المتخرِّجين الموهوبين تحت إشرافِ Joel Scandrett، Michael Glerup، وJoel Elowsky. وفي تَصوُّرِنا أَنَّه، بدون تكنولوجيا البحثِ الرَّقميِّ وتقنيّاتِ خَزْنِ المعلوماتِ، سَيكونُ إصدارُ هذه السلسلةِ عَسيرًا، لأَنَّ إعدادَها يَتطلَّبُ جيشًا من الباحثين يعْمَلون على التَّنقيبِ عن النُّصوصِ في أَوراقِ المكتباتِ المُنْتَشِرةِ في العالَم.

قُرّاءُ المستقبلِ سيكْثِرون من استخدامِ أَشكالٍ نَاشئةٍ عن التكنولوجيا الحاسوبيَّةِ وعن الصِّيَغِ النَّصِّيَّةِ التَّفاعُليَّةِ الّتي تُخوِّلُهم أَنْ يَبْحثوا بسرعةٍ وبِأفكارٍ تفصيليَّةٍ عن النُّصوصِ والمواضيعِ والعباراتِ الموجودةِ عند الكتّابِ المسيحيِّين القُدَماء. تُقَدِّمُ هذه السِّلسلةُ نموذجًا بدائيًّا لكيفيَّةِ تحقيقِ ذلك. ولهذا تأْتي جامعةُ

---

[٢] بعد أنْ بحثنا بنوكَ المعلوماتِ اليونانيَّةِ واللاّتينيَّةِ طلبنا من المحرِّرين المختصِّين بالقبطيَّة والسريانيَّة والأرمنيَّة مختاراتٍ من تلك الآداب، ساعين إلى إيجادِ توازنٍ بين كلِّ التقاليدِ التفسيريَّة في المسيحيَّةِ القديمة. وأضفنا إليها كلَّ ما وجدناه في الترجماتِ الإنكليزيَّة.

[٣] باستثناءِ المحرِّرين الّذين أرادوا أن يقوموا هم أنفسُهم ببحثهم.

[٤] فضَّلنا TLG و Cetedoc على مجموعةِ مين Migne وعلى النُّصوص اليونانيَّة واللاّتينيَّة المطبوعة للأسباب التالية: ١- لأنَّ النُّصوصَ متوفرةٌ في مكانٍ واحدٍ. ٢- لأنَّها ذاتُ مصداقيَّةٍ أكبر في الطبعاتِ النقديَّة. ٣- ولأنَّ المُبتدئين والمُتخصِّصين على السواءِ يحصلون بيُسرٍ على هذه النُّصوصِ الرقميَّةِ لكثرةِ انتشارِها. ٤- ولأنَّ المختاراتِ القصيرة يسهُلُ اقتباسُها من الحاسوب. ٥- ولأنَّ القارئَ الجادَّ قادرٌ على التدقيقِ في قرينةِ كلِّ نصٍ.

درو Drew بهذا التّفسيرِ ليكونَ نموذجًا للبحثِ ونتيجةً له. نرجو أنْ تَتْبَعَ هذه السِّلْسِلةَ المطبوعةَ إصداراتٌ رقميّةٌ حاسوبيّةٌ ذاتُ نصوصٍ مخزونةٍ. سنُواصِلُ العملَ عبر مؤسَّساتٍ حاسوبيّةٍ وبحثيّةٍ لخدمةِ الحاجاتِ المستقبليّةِ في التّقميشِ التاريخيِّ والدراسةِ اللاّهوتيّةِ.

معلوماتٌ غنيّةٌ تَخرُجُ إلى النورِ

نعلَمُ أنَّ الكُتّابَ المسيحيّين القُدَماءَ لم يَتركوا جُزءًا من أجزاءِ الكتابِ المقدّسِ إلاّ وتحدّثوا عنه، حتّى لو كان قليلَ الفائدةِ أو عديمَها. فدَرَسَ العديدُ منهم الكتابَ درسًا شاملاً بحُسْنِ تمييزٍ وتأمُّلٍ عميقٍ، مُقارِنين أجزاءه نصًّا بنصٍّ، وحافظين مُعْظَمه عن ظَهْرِ قلبٍ. وبذلك حَظيت أسفارُه كلُّها بتفاسيرَ ثابتةٍ أو عابرةٍ أو بتأمُّلٍ وعظيٍّ. هذه السّلسلةُ تَتَضمَّنُ أيضًا تفاسيرَ آبائيّةً لأسفارٍ غيرِ موجودةٍ في القانونِ اليهوديِّ (سُمِّيت غالبًا بالأسفارِ القانونيّةِ الثّانية deuterocanonical)، ولكنَّها كانت جزءًا من التَّرجمةِ السبعينيّةِ اليونانيّةِ للكتابِ المقدّسِ. هذه الأسفارُ، رغم أنَّها ليست كلُّها متماثلةً في كلِّ التَّقاليدِ، تَبْقَى جزءًا لا يَتَجزَّأُ من القوانينِ المُعْتَرَفِ بها في التَّقليدَين الأُرثوذكسيِّ والكاثوليكيِّ.

رغم أنَّ بعضَ أسفارِ الكتابِ المقدَّسِ غنيّةٌ بتفاسيرَ آبائيّةٍ لكلِّ آيةٍ من آياتِها (على الأخصِّ التّكوين، المزامير، نشيد سليمان، إشعياء، متّى، يوحنّا، ورومية) فهناك كثيرٌ من الأسفارِ الأُخرى تَنْقُصُه تفاسيرُ مكثَّفةٌ تعودُ إلى هذه الفترةِ المبكّرةِ. لذلك لم نَتَقيَّدْ في أبحاثِنا بهذه التفاسيرِ الرسميّةِ، لكنَّنا سَعينا إلى إيجادِ التّشابُهِ والإلماعِ والتَّرابُطِ وذكرِ النُّصوصِ الكتابيّةِ في كلِّ أنواعِ المصادرِ الأدبيّةِ الآبائيّةِ. فهناك آراءٌ كثيرةٌ نيِّرةٌ وَصَلَتْنا من المواعظِ والرسائلِ والقصائدِ والتراتيلِ والمقالاتِ والأبحاثِ الّتي لا نجيزُ لأنْفُسِنا أنْ نُخرجَها من حكْمِ هذه السّلسلةِ اعتباطًا. لقد بَحَثْنا عن مقاطعَ بارعةِ الإيجازِ والفِطْنَةِ والسَّلاسةِ، إمَّا في تفاسيرَ كاملةٍ آيةً بآيةٍ (من مؤلّفين أمثالِ أوريجنّس وكيرلُّس الإسكندريِّ وثيودوريتوس أُسقف قورش، ويوحنّا الذهبيِّ الفم وجيروم وأوغسطين وبيد) أو في أنواعٍ أدبيّةٍ أُخرى. ولكثرةِ الموادِّ الخامِ النّاتجةِ من هذه الأبحاثِ دُعي مؤلّفو المجلّداتِ إلى اختيارِ أفضلِ التَّأمُّلاتِ وأحكمِها وأبرعِها الّتي يُعلِّقُ بها الكُتّابُ المسيحيّون القُدَماء على نَصٍّ كتابيٍّ معيَّنٍ.

لِمَن وُضِعَت هذه الخلاصةُ التفسيريّةُ؟

لقد اختَرْنا هذه المختاراتِ ورتَّبناها للقُرَّاءِ غيرِ الاختصاصيّين الّذين يُطالعون الكتابَ بانتظامٍ، ويَتوقون بجِدٍّ إلى الحصولِ بسرعةٍ على تفاسيرَ مسيحيّةٍ تُراثيّةٍ للنَّصِّ المتوفّرِ لهم. وضمنَ البيئاتِ الثقافيّةِ المختلفةِ جدًّا يَتَساءَلُ القُرّاءُ العاديّون عن كيفيّةِ فهمِ معنى النُّصوصِ المقدّسةِ في ضوءِ تعاليمِ العُقولِ النيِّرةِ للكنيسةِ القديمةِ.

وفيما كنَّا نُرهِفُ انتباهَنا إلى ذلك، أصْرَرْنا على أنْ لا نُهْمِلَ المتطلَّباتِ الدقيقة وحاجاتِ القُرّاءِ الأكاديميّين الّذين كانت مصادرُهم ونصوصُهم في تاريخِ التّفسيرِ محدودةً جدًّا إلى يومِنا هذا. هذه السّلسلةُ الّتي تُتَرْجَمُ الآن إلى لغاتِ نصفِ سكّانِ العالم، تَهْدِفُ إلى خدمةِ المكتباتِ العامّةِ والجامعاتِ، وإلى دراسةِ التّمازُجِ الثقافيِّ والاهتماماتِ التاريخيّةِ العالميّةِ. إنّها تُعلِنُ وتؤكّدُ بكلِّ ثقةٍ مكانتها اللائقة والشرعيّة كمصدرٍ رئيسٍ لتاريخِ الأدبِ المسيحيّ.

إنَّ دائرة قُرّائنا المتنوِّعين (من عامّةِ الناسِ ورجالِ الدِّين وأهلِ العِلْم) هي أكثرُ اتّساعًا من دائرةِ الباحثين المتخصِّصين والتِّقْنيّين في حقلِ الدّراساتِ الآبائيّةِ. فهي لا تقْتصِرُ على أساتذةِ الجامعاتِ الّذين يُكثِّفون جهودهم في دراسةِ تاريخِ انتقالِ النُّصوصِ أو في عِلْمِ تشكيلِها، أو في مسائلِ التأمُّلاتِ النَّقْديَّةِ التاريخيّةِ المتعلِّقةِ بها. ومع أنّها من الاهتماماتِ الأساسيَّةِ عند أهْلِ الخبرةِ، فهي ليست من الاهتماماتِ الأوَّليّةِ عند كتَبَةِ التّفسيرِ المسيحيِّ القديم للكتابِ المقدّس. هدفُ عملِنا يتوجَّه بالدرجةِ الأُولى إلى الرُّعاةِ والقُرّاءِ العاديّين الّذين يودّون الوقوفَ على مُعطياتِ الكنيسةِ الأُولى، والتّأمُّلَ معها في شأْنِ المعْنَى الواضحِ للنّصِّ وفي حكمتِه اللاّهوتيةِ والخُلُقيّةِ والرّوحيّةِ.

هناك رؤًى كثيرةٌ شرعيّةٌ تتنافسُ حول كيفيَّةِ تطويرِ التّفسيرِ الآبائيّ، كلٌّ منها يتأمَّلُ بعنايةٍ في دراستِنا الاستطلاعيّةِ ونتائجِها. باحترامِنا الكبيرِ للمفاهيمِ الأُخْرَى، هناك أسبابٌ موجبةٌ تُثْبِتُ أنَّ مشروعَ جامعةِ درو Drew عمَليٌّ، لأنّه يتوجَّه قبل كلِّ شيءٍ إلى القُرّاءِ العاديّين المُطّلعين، وإلى الكهنةِ المُنتمين إلى التقاليدِ الأرثوذكسيّةِ والكاثوليكيّةِ والبروتستانتيّةِ على نحوٍ أوْسع. إنّنا لا نَتَغافَلُ عن جماعةِ المُختصّين بالآباءِ، بل نُعيرُهم انتباهَنا، ونُرحِّبُ بتقويمِهم لنَهْجِنا. فإنْ نَجَحْنا في خدمةِ القُرّاءِ من الرُّعاةِ والعامِّيّين فإنّنا نطْمئنُّ إلى أنَّ الجامعاتِ والمُقرَّراتِ التعليميّةَ المتعلّقةَ بالكتابِ المقدّسِ وبعلمِ التّفسيرِ والتاريخِ الكنسيِّ واللاّهوتِ التاريخيِّ وعلمِ الوعظِ، ستَسْتَنِدُ إلى ما وَصَلْنا إليه في تفسيرِ النُّصوصِ، وهو تفسيرٌ ليس بالسَّهْلِ الحصولُ عليه في سلاسلَ أُخرى.

تَسْعَى هذه السّلسلةُ إلى أنْ تُقدِّمَ لعامّةِ المسيحيّين ما قدَّمه التّلمودُ والمدراشُ للقُرّاءِ اليهودِ، وما قدَّمَته التّفاسيرُ القرآنيّةُ للمُسلمين عبرَ التاريخِ. هذه المصادرُ الأساسيَّةُ ستجِدُ طريقَها إلى المكتَباتِ العامّةِ وإلى مكتباتِ الكهنةِ والعلمانيّين. هدفُنا وهدفُ النّاشرِ والتزامُه أنْ تبْقَى هذه المجموعةُ متيسِّرةً في الأسواقِ لسنواتٍ وسنواتٍ، وأنْ يكونَ الاكتتابُ بها رخيصًا.

هناك وعيٌ أخذَ ينْمو بين عامّةِ الكاثوليكيّين والإنجيليّين والأرثوذكسيّين، وهو وعْيٌ أنّ التّبشيرَ الكتابيَّ الحيَّ والتكوينَ الروحيَّ يحتاجان إلى أُسُسٍ تتجاوزُ نطاقَ التوجُّهاتِ التاريخيّةِ –النّقديّةِ الّتي سادت الدراساتِ الكتابيّةَ في أيّامِنا.

إنَّ الجماعاتِ الدينيّةَ المُصلّيةَ والخادمةَ (المهتمّةَ بمعالجةِ الأزماتِ، وخدمةِ حَرَمِ الجامعاتِ، والإرشادِ،

والمؤتمراتِ والأديارِ، والتخفيفِ من الأحزانِ، والتَّعاطُفِ مع الآخرين الخ...) تتّجهُ اتِّجاهًا قويًّا وثابتًا نحو المصادرِ الكتابيّةِ والآبائيّةِ للتأمُّلِ وللتكوينِ الروحيّ. فهذه الجماعاتُ تبْحَثُ عن نُصوصٍ للمَصادرِ الروحيَّةِ السَّهلةِ المنالِ والقائمةِ على دراسةٍ مُعْتَمَدَةٍ ومخصَّصَةٍ للاستعمالِ العمَليّ.

التشكيكُ السابقُ لأوانه في تقليدِ جَمْعِ المُقتطفاتِ الآبائيّة

هذه نعمةٌ لا تُوْفَى حقَّها، بها نَعْتَرِفُ بارتباطِنا روحًا وشكلاً بالتقاليدِ المُبكِّرةِ للمُقتَطفاتِ الآبائيّةِ الّتي سَعَت بكلِّ جدارةٍ إلى جمعِ التَّفاسيرِ التُّراثيّةِ البارزةِ لكلِّ نصٍّ كتابيٍّ قديمٍ. أَفادَ عملُنا التحريريُّ مِن استخدامِ هذه التقاليدِ لتهيئتِها لقُرّاءِ اليوم.

من المؤسفِ أنَّ هذا الطريقَ التُّراثيَّ المميّزَ أُهْمِلَ وهُجِرَ قرونًا عديدةً. لقد مَضى وقتٌ طويلٌ على القيامِ بمحاولةٍ لإعادةِ إصْدارِ هذا النَّوعِ من التَّفسيرِ. تحْتَ وابلِ نيرانِ النُّقّادِ المُعاصرين، تَلاشَتْ مُقارَبَةُ المُنتَخَباتِ الآبائيّةِ تلاشيًا تامًّا في القرنِ التاسعَ عشَر، ولمّا يَقُمْ أحَدٌ ببعثِها. ومِنَ السُّخريةِ بمكانٍ أَنْ تبْقى هذه النُّصُوصُ دفينةً ومستورةً في هذا العصرِ المُسمّى عصرَ التَّقدُّمِ والتَّحرُّرِ، أكثر ممّا كانت في أيِّ قرنٍ سابقٍ من قرونِ العِلْمِ المسيحيّ. فرغمَ قدراتِنا التاريخيّةِ والطباعيّةِ حُجِبَت هذه النُّصوصُ، وللأسفِ، عَن أسماعِ المُصغين إلى الوعظِ المسيحيِّ في أيّامنا، وبذلك يَظْهَرُ للعيانِ تحيُّزُ الحداثةِ العقَديَّة (الشوفينيَّة «ومغالاتُها في التعصُّبِ»، الإيمانُ بالمذهبِ الطبيعيّ والفرديّةُ المستقلّةُ).

لقد أَظْهَرَ تفسيرُ القرْنين التاسعَ عشَرَ والعشرين تحيُّزًا فلسفيًّا واضحًا، فأَخْضَعَ كُلَّ شيءٍ للمذهَبِ الطبيعيّ. فمُعْظَمُ مُعِدّي هذه السّلسلةِ مرُّوا بتكرارٍ مُملٍّ للنَّقْدِ التاريخيِّ والأدبيِّ، وهم يَبْحثون بِجدٍّ عَن شرحِ النُّصوصِ وتفسيرِها عبر مقولاتٍ مادّيَّةٍ ضيِّقةِ الأُفُقِ. وهكذا غاصَ مُدرِّسو الكتابِ المقدّسِ والكهنةُ زمنًا طويلاً في وحْلِ نزعاتِ النَّقْدِ الكتابيِّ وأنواعِه المتعدِّدَة. فحَاولَ الوعّاظُ أَنْ يستوعبوا هذه الطرائقَ ويستخدموها، لكنَّ نتائجَها كثيرًا ما خيَّبت آمالَهم. لقد أَدْرَكَ الكثيرون أَنَّ النَّقْدَ الّذي سادَ عصْرَ التَّنويرِ الفلسفيِّ تجاوزَ حَدَّ إعمالِ العَقْلِ وقلَّلَ من الروحانيَّةِ والوعظِ.

وفي غضونِ ذلك بَقِيت دوافعُ المفسِّرين القُدماءِ ومناهجُهم وطرائقهم غريبةً على نحوٍ مروِّعٍ، لا عند الكهنةِ فحسب، بل أيضًا عند عُلَماءِ الكِتابِ المُقدَّس المُلمِّين بأُصولِ النَّقدِ العلميِّ. قلَّما استعانَ العلماءُ في القرنَين الأخيرين برأْيِ المفسِّرين المسيحيِّين القُدَماء، وكانوا إذا أَشاروا إلى رأْيٍ تلَبَّسَتْ إشارتُهم بالازدراء. عندنا برهانٌ واضحٌ، لا يَقْبلُ الجدَلَ، على الازدراءِ العصريِّ بالتفاسيرِ التُّراثيَّةِ المطوَّلةِ والمُعْتَمَدةِ قديمًا، والّتي ما زالت غيرَ منقولةٍ إلى اللّغاتِ الحديثةِ. يا للغَرابةِ! فهذا الأمرُ لم يَحْدُثْ للتفاسيرِ البوذيّةِ والكونفوشيّةِ في الصِّين والشّرقِ الأقْصَى.

هذا الإهمالُ المنهجيُّ الحديثُ لا يَراه البروتستانتيّون فحسب، بل يَراه أيضًا الكاثوليكيّون

والأُرثوذكسيّون الّذين يُعظّمونَ الآباءَ ويُبجِّلونهم، غير أنَّ الناسَ لا يُطالعون كتاباتِهم ولا يُدقِّقون فيها.

هناك قوّتان مُعاصرتان متكاملتان تجذُبان الناسَ إلى هذه النُّصوصِ وتُحرِّرانِهم من الفَرَضيّاتِ المحدودةِ السابقةِ: أوّلاً، هذه السّلسلةُ الّتي جاءت استجابةً للتّوقِ العَميقِ إلى التّفسيرِ المسيحيِّ التُّراثيِّ وإلى تاريخِ التّفسيرِ اللّذين طال إهمالُهُما؛ ثانيًا، هناك ضعفٌ معنويٌّ مُتنامٍ في ما يخصُّ نتائجَ التّفسيرِ المفيدة عمليًّا في نقدٍ جاءَ بعد عصرِ التّنويرِ الفلسفيِّ ليَنْخفِضَ بكلِّ شيءٍ إلى المستوى التاريخيِّ والطبيعيِّ. هاتان القوّتان المُفْعمتان بالحيويَّةِ موجودتان عند القُرّاءِ الكاثوليكيّين والأُرثوذكسيّين والبروتستانتيّين.

عبر استعمالِ اللوائحِ الزمنيّةِ وتراجمِ الكُتّابِ في آخرِ كُلِّ مجلّدٍ، يستطيعُ القرّاءُ أنْ يُحدّدوا مكانيًّا وزمنيًّا أصواتَ مُفسّري مَقْطَعٍ كتابيٍّ معيَّنٍ. فمقتطفاتُ تفسيرِ مَقْطَعٍ معيَّنٍ تُعطي لمحةً عن تاريخِ تفسيرِه. لهذا النّموذجِ سوابقُ في التفسيرِ الآبائيِّ في التقليدَين الشرقيِّ والغربيِّ، وكذلك في ما أعْرَبَ عنه تقليدُ الإصلاحِ البروتستانتيّ.

المدى المسكونيّ ومعناه

الحاجةُ إلى حكمةِ الآباءِ أدّتْ إلى تعاونِ العلماءِ بين الجماعاتِ المسيحيّةِ المتعدِّدةِ لإنجازِ المهمّةِ إنجازًا مُلائمًا ومُتّزِنًا. من هنا أضحَى المشروعُ مسكونيًّا في العُمْقِ.

تحت هذه المظلّةِ النّصّيّةِ التّراثيّةِ تجْمَعُ هذه السّلسلةُ بروحٍ واحدٍ المسيحيّين الّذين تباعدوا منذ زمنٍ طويلٍ، وتذكِّرهم بما تجافوا عنه في تُراثِهم الكنسيِّ أو تنافسوا فيه. وهكذا يلْتقي البروتستانتيّون المحافِظون مع الأُرثوذكسيّين الشرقيّين، والمعمدانيّين، والكاثوليكيّين، والأنكليكانيّين، والخمسينيّين، والمشدِّدين على الطُّقوسِ وغيرِ المشدِّدين، والتقليديّين من كلِّ مراحلِ العصورِ الحديثةِ.

كيفَ تمكّنَ أمْثالُ هؤلاءِ المسيحيّين المتعدِّدي الانتماءِ مِنْ أنْ يجدوا إلهامًا وإيمانًا مُشْتركين في هذه النُّصوصِ؟ ولماذا تكونُ هذه النُّصوصُ والدراساتُ مسكونيّةً في جوهرِها، وجامعةً في مَداها الثقافيِّ؟ لأنَّ لكلِّ التّقاليدِ حقَّ الرجوعِ إلى تاريخِ التّفسيرِ المسيحيِّ المُبكِّرِ. وهكذا تستطيعُ كلُّ هذه التّقاليدِ أنْ تتلاقى، من دونِ التّضحيةِ بأفْكارِها، وأنْ تدْرُسَ النُّصوصَ المشتركةَ بينها. فهي الّتي وجّهَتْ تاريخَ التّفسيرِ اللاّحقِ توجيهًا حاسمًا. يحقُّ للبروتستانتيّين أنْ يَرجعوا إلى الآباءِ. فالأقباطُ لا يحتكِرون أثناسيوس، وسكانُ شمالِ إفريقيا لا يحتكرون أُوغسطين. فهذه العقولُ هي مِلْكُ الجميعِ. الأُرثوذكسيّون لا يحتكرون باسيليوس، والكاثوليكيّون لا يحتكرون غريغوريوس الكبير. إنَّ للمسيحيّين في كلِّ مكانٍ حقَّ الرجوعِ إلى هذا الإرثِ واكتشافِه وتلمُّسِ وحدتِهم في جسدِ المسيحِ.

مِنْ هذه التّقاليدِ المسيحيّةِ المتنوِّعةِ جنّدَ هذا المشروعُ فريقًا من العُلماءِ الدوليّين المُختصّين بالكتاباتِ المسيحيّةِ القديمةِ وتاريخِ التفسيرِ لوضعِ هذه المجلّدات. من بين المساهمين الأرثوذكسيّين الشرقيّين:

Andrew Louth Durham University (England), George Dragas (Greek Orthodox School of Theology, Brookline).

ومن بين العلماءِ الكاثوليكيّين:

Mark Sheridan (San Anselmo University of Rome), Joseph Leinhard (Fordham University in New York), Francis Martin (Catholic University of America), Alberto Ferreiro (Seattle Pacific University), Sever Voicu (Eastern European (Romanian) Uniate Catholic tradition.

استهلّتْ سلسلةُ العهدِ الجديدِ بمجلّدٍ عن متّى يُقدّمه الثّقةُ الكاثوليكيُّ الشهيرُ في تاريخِ التّفْسيرِ:

Manolio Simonetti (University of Rome).

من بين المساهمين الأنغليكانيّين:

Mark Edwards (Oxford), Kenneth Stevenson (Fareham, Hamspshire, England), J. Robert Wright (New York), Andres Berquist (St. Albans), Peter Gorday (Atlanta), Gerald Bray (Cambridge, England, Brimingham, Alabama).

ومن بين المساهمين اللوثريّين:

Quentin Wesselschmidt (St. Louis), Philip Krey, Eric Heen (Philadelphia), Arthur Just, William Weinrich, Dean O. Wenthle (Ft. Wayne, Indiana).

ومن بين العلماء البروتستانتيّين المُميّزين المُصْلحين المعمدانيّين والإنجيليّين الآخرين:

John Sailhamer, Steven McKinion (Wake Forest, North Carolina), Graig Blaising, Carmen Hardin (Louisville, Kentucky), Christopher Hall (St. Davids, Pennsylvania), J. Ligon Duncan III (Jackson, Mississippi), Thomas McCullough (Danville, Kentucky), John R. Frnake (Hatfield, Pennsylvania), Mark Elliot (Hope University Liverpool).

اختير فريقٌ من الكُتّابِ الدوليّين ليَعْكُسَ هذا المدَى المسكونيَّ. فلَمْ يكُنِ اختيارُهم على أساسِ أهليّتِهم لنَقْلِ التقليدِ الجامعِ للتّفسيرِ المسيحيِّ المبكّرِ فحسب، بل أيضًا على عدمِ إهمالِهم الأَصواتَ الهامّةَ فيه. فقد فتّشوا على قدْرِ الطّاقةِ عن الملاحظاتِ الّتي قبلَتها الكنيسةُ جَمْعاء جيلاً بعد جيلٍ في الشّرقِ والغربِ.

هذا لا يعْني أنَّ الكُتّابَ الآبائيّين كلُّهم متّفقون. فالمرءُ يرَى، عند مطالعتِه هذه المُخْتاراتِ، أنَّ هناك رؤًى عديدةً حول نصٍّ أو فكرةٍ معيّنةٍ تتأثّرُ بالظّروفِ والأوضاعِ الاجتماعيّةِ.

كان مشروعُ جامعةِ درو Drew شديدَ الاهتمامِ بإسنادِ العملِ إلى مُنْشئي المُجلّداتِ المختلِفةِ. فبحَثنا

عن علماءَ ذوي مستوًى عالميّ، مُتفوّقين في العِلْمِ الكتابيّ والآبائيّ، وحكماءَ في تاريخِ التّفسير. فلم يَخِبْ أَمَلُنا. لقد جَنّدنا فريقًا متنوّعًا من الكُتّابِ، مُلائمًا لجمهورٍ عالميّ يَمُدُّ جُسورًا بين الجماعاتِ المسيحيّةِ الرئيسَة.

سَعَى واضعو المشروعِ إلى بلوغِ مستوًى عَالٍ من الاتّساقِ والرِّفْعةِ الأدبيّةِ عبر كلّ هذه السّلسلةِ. وكما يَحْدُثُ لمُعظمِ المشاريعِ من هذا النّوعِ، فإنّ تأليفَ هذه السلسلة يُصْقَلُ ويُهَذّبُ بشكلٍ تدريجيّ.

تكريمُ التفكيرِ اللاّهوتيّ

وبما أنّ هذه السلسلةَ تَخْدُمُ الجماعاتِ المصلّيةَ فقد اعتَنَقَتْ بشجاعةٍ المبادئَ المسكونيّةَ كأساسٍ لطريقتِها في انتقاءِ مختاراتِها، ألا وهي: الإعلانُ في التاريخ، الوحدةُ الثالوثيّةُ، العنايةُ الإلهيّةُ بالتاريخ، الكرازةُ المسيحيّةُ Kerygma، قانونُ الإيمانِ والحبّ regula fidei et caritatis، وعملُ الرُّوحِ القُدُسِ الهادي. هذه المبادئُ المُشْتركةُ للجماعاتِ المصلّيةِ الحيّةِ يُؤدي لها هذا التفسيرُ خدمةً نَصُوحًا وذاتَ فائدةٍ كُبْرَى.

تُؤمِنُ جماعةُ الإيمانِ الممتدّةُ عبرَ الأجيالِ بأنّ المعلّمين العالميّين الأوائلَ كانوا مُلْهَمين من الرُّوحِ في جهودِهم التفسيريّةِ وفي نَقْلِ الحقّ المسيحيّ وسطَ مخاطرِ التاريخ. تَفْتَرِضُ هذه النّصوصُ وجودَ مستوًى للوحدةِ واستمراريّةً في الإجماعِ المسكونيّ في عقلِ الكنيسةِ المؤمِنَةِ. وهذا الإجماعُ يُفْهَمُ بوضوحٍ أكبر في الفترةِ الذهبيّةِ الآبائيّةِ. لذلك لَنْ نكون أُمناءَ للنَّصّ إذا جارينا المعتقداتِ العصريّةَ في تَخَطّيها هذه المبادئ.

مثلُ هذا المشروعِ يَتَطلّبُ هدفًا واضحَ المعالمِ يكوّن المبدأَ المُنَظِّمَ والمحدّدَ للمُقَاربةِ الّتي لها الأولويّةُ في التّوازُنِ. هذا الهدفُ يَسيرُ بنا في الطّريقِ الّذي تُعالَجُ فيه التوتّراتُ المتأصّلةُ في تعقيداتِ هذا المشروع. لقد لخّصْنَاه في ثلاثةِ أهدافٍ ذكرناها في مطلعِ هذه المقدّمةِ. فإنْ غيّرنا أيًّا من أَهْدَافِها فإنّنا نُغيِّرُ صفةَ هذه المهمّةِ كلِّها. إنّ عَمَلَنا ليس ممارسةً أكاديميّةً نُراجِعُ فيها الماضي ونَسْتَعْرِضُه، بل هو دعوةٌ تبنَّيْنَاها وتعَهّدْنا التمسُّكَ بها أمامَ الله coram Deo لا أمامَ البشرِ فحسب coram hominibus. قد أصابَنا الدهَشُ لمّا وَجَدْنا أَنْفُسَنا أنّنا قد تجاوَزْنا مقصدَنا الأَصليّ حينما قرّرنا ترجمتَه إلى لغاتٍ عالميّةٍ واسعةِ الانتشارِ.

هذا الجهْدُ يرْعَى الحُرمةَ العميقةَ لمطالعةٍ لاهوتيّةٍ مميّزةٍ للكتابِ المقدّسِ لا يُمْكِنُ تخفيضُها إلى رؤيةٍ أو إلى طريقةٍ اجتماعيّةٍ، علميّةٍ، فلسفيّةٍ أو تاريخيّةٍ. فيأْخذ بجِدٍّ تقليدَ التّفكيرِ العالميّ المهيبِ المُتعلّقِ بمبادئِ الإعلانِ الإلهيّ، والخلافةِ الرسوليّةِ، والقانونِ الكنسيّ، واتّفاقِ الرأي. وهنا تُعْطَى أولويّةٌ كُبْرى، بخلافِ المزاعمِ العصريّةِ، للتّفكيرِ اللاّهوتيّ والمسيحانيّ والثّالوثيّ، لكونه المبدأَ المميّزَ للفكرِ المسيحيّ التراثيّ. هذه الطريقةُ لا تُثيرُ الخلافَ بين اللاّهوتِ والنظريّةِ النقديّةِ، بل تُعيدُ المناهجَ النّقديّةَ إلى صحّةِ التّفسيرِ المُتَناسقِ بأهدافِه الوعظيّةِ–واللاّهوتيّةِ– والرعويّةِ. مَسْعًى كهذا لا يَدخُلُ في أيّ إطارٍ للدِّفاعِ الإيديولوجيّ العصريّ.

لماذا يَسْلُبُ التفسيرُ الآبائيُّ عقولَ الإنجيليِّين؟

من المُدْهِشِ أَنْ يكونَ تزايدُ جمهورِ المستمعين الجُدُدِ قائمًا عند قُرّاءٍ إنجيليّين تَتَفتّحُ براعِمُ تفكيرِهم من تاريخٍ مُتجدِّدٍ طالما تجاهلوه في الماضي. هذا تقليدٌ وُصِفَ في الماضي كاريكاتوريًّا بأنّه مُتخلِّفٌ نقديًّا وقابلٌ للشكِّ فيه تفسيريًّا. والآن يكْتَشِفُ المعمدانيّون والخمسينيّون تاريخَ الرُّوحِ القُدُس. وهذا نفسُه هو عَمَلُ الرُّوحِ القُدُس. فأَهْلُ هذه التقاليدِ بَدأَ نضجُهم مُدْرِكين حاجتَهم إلى مصادرَ تتجاوزُ كثيرًا ما تيسَّر عندهم من تقاليدَ نقديّةٍ وتاريخيّةٍ وتقويّةٍ.

كانت التّقَيّةُ Pictism وحركةُ التّنويرِ Enlightenment متّفقتَين اتّفاقًا كبيرًا على الازدراءِ بأشكالِ التّفسيرِ الآبائيِّ والتّراثيّ. فالوعظُ والتفسيرُ الحيويّان يجب أَنْ يَتَخطّيا عوائقَ العَمَلِ النّقديِّ التاريخيِّ الّذي جاءَ بَعْدَ قرنٍ من Schweitzer، وأَنْ يَتَجاوزا أيضًا تقويّةَ سردِ السِّيرةِ الذاتيّة.

في الوقتِ الّذي خَدَمْتُ فيه رئيسًا ومديرًا ومُنْشِئًا لِـ «المسيحيّةِ اليوم *Christianity today*»، تمتّعتُ بامتيازِ الإبحارِ في الأمواجِ الهائجةِ المتقلّبةِ. فكان لي ذلك (كلاهوتيٍّ في جماعةٍ متحرِّرةٍ) مُنْتَدًى لتعلُّمِ التّشديدِ على حاجةِ الجمهورِ الإنجيليِّ المتغايرةِ عناصرُه وعلى جوعِه وتوتّره.

لكنْ، لماذا الحاجةُ الآن إلى حكمةِ الآباءِ الّتي شعَرَ بها على الأخصِّ القادةُ والشعبُ الإنجيليّون؟ لماذا يَسلُبُ التّفسيرُ الآبائيُّ عقولَ الإنجيليّين؟ ماذا يُبرِّرُ هذا الانعكاسَ الأساسيَّ والسريعَ في مزاجِ ورثةِ تقاليدِ الصحوةِ البروتستانتيّة؟ هذا يعُودُ جزئيًّا إلى أنَّ التقليدَ الإنجيليَّ كان مَحْرُومًا لزمنٍ طويلٍ من أيِّ اتصالٍ حيويٍّ بهذه المصادرِ الآبائيّةِ منذ أيّام Luther وCalvin وWesley الّذين عرفوها حقَّ المعرفةِ.

يُخصِّصُ هذا التّفسيرُ للمُفسِّرين المسيحيِّين القُدماءِ ليُعبِّروا عن آرائهم، وبذلك لا يكونُ قائمًا على النّقدِ المُعاصِرِ. إنّه يُزوِّدُ القارئَ العاديَّ والأُستاذَ والراعي بمصادرَ نصِّيّةٍ جديدةٍ لم تكُنْ متيسِّرةً لهم في القرنَين الأخيرَين. ومن دونِ تجنُّبِ المسائلِ النّقديّةِ – التاريخيّةِ الّتي أُشْبِعَت فحْصًا واستقصاءً في أيّامِنا، فهذه السّلسلةُ تجْعَلُ مصادرَ التّقليدِ المسيحيِّ المسكونيِّ القديم متيسّرةً للجمهورِ المعاصرِ المتعدِّدِ الثّقافة و اللغةِ المتعدِّد. إنّه جمهورٌ واعٍ، نامٍ، جائعٌ ونشيطٌ.

مَسْعًى كهذا مثيرٌ للمَشاعرِ ومناسبٌ للعصر، لأنَّ أعدادًا متزايدةً من البروتستانتيِّين الإنجيليِّين تكتشفُ أبعادًا غنيّةً في الحوارِ وفي مجالاتٍ واسعةٍ من الاتّفاقِ في الرأي مع الأُرثوذكسيِّين والكاثوليكيِّين في مسائلِ الخلافِ الّتي كان النّاسُ يظنُّون أنَّها غيرُ قابلةٍ للإصلاح. ففي دراسةِ الآباءِ للكتابِ المقدّسِ يلتقي البروتستانتيّون والكاثوليكيّون في تفاعلٍ أكبر على مسائلَ أحكمتِ الشّقاقَ بينهم قرونًا عديدةً وهي: التّبرير، والسلطةُ، والمسيحانيّةُ، والتّقديسُ والانفصائيّةُ. لماذا؟ لأنّهم قادرون على أَنْ يجِدوا في نُصُوصِ ما قبلَ الإصلاحِ إيمانًا مشتركًا يَلجأُ إليه المسيحيّون.وهذا ميدانٌ يَشعرُ فيه البروتستانتيّون بأنّهم في بيتِهم، بيتِ السلطةِ الإنجيليّةِ والتّفسير. هناك حنينٌ عميقٌ في قلوبِ الإنجيليّين إلى استردادِ تاريخِ التّفسيرِ كأساسٍ لتجديدِ الوعظِ. هذه السّلسلةُ تُقدّمُ مصادرَ هذا التّجديدِ.

خطواتٌ نحو انتقاءِ المُختارات

في الانتقالِ من المعلوماتِ الخامِ إلى انتقاءِ المختاراتِ وترتيبِها، شُجِّع واضعو المجلَّداتِ على أنْ يَخطوا بحكمةٍ ثلاث خُطواتٍ:

الخطوةُ الأولى: مراجعةُ التَّفاسير اللاّتينيّةِ واليونانيّةِ الموجودة. كان واضعو المجلَّداتِ المختلفةِ مسؤولين عن تفحُّصِ كُلِّ آيةٍ من التَّفاسيرِ والمواعظِ على النُّصوصِ المُدْرَجةِ في مجلَّداتٍ حرَّروها. كثيرٌ من هذه الموادِّ كان غيرَ مُترجَمٍ إلى الإنكليزيّةِ، وبعضٌ منه غير مترجمٍ إلى أيّةِ لغةٍ عصريّةٍ.

الخطوةُ الثّانيةُ: مراجعةُ البحثِ الرّقميِّ الحاسوبيِّ. لقد كان واضعو المُجلَّداتِ مسؤولين عن تفحُّصِ نتائجِ البُحوثِ الرقميّةِ في بنوكِ المعلوماتِ اللاّتينيّةِ واليونانيّةِ. ولإدراكِ فحوى سياقِ النَّصِّ، تمَّت طباعتُه مع عَشرةِ أسطرٍ قبلَه وعشرة أسْطُرٍ بعده. وعند الحاجةِ راجعْنا Biblia Patristica ، لا سيّما إذا كانت نتائجُ البُحوثِ الرّقميّةِ ضئيلةً. ومن ثَمَّ قرَّر مؤلِّفو المجلَّداتِ المختلفةِ إدراجَها في هذه السّلسلةِ عبر نتائجِ الأبحاثِ الرّقميّةِ و النُّصوصِ المنْشورةِ .

الخطوةُ الثالثةُ: انتقاءُ المختاراتِ. بَعْدَ أنْ جمَعَ واضعو المجلَّداتِ المُختلفةِ تفاسيرَ كلِّ آيةٍ كتابيّةٍ من بنوكِ المعلوماتِ الرقميّةِ اللاّتينيّةِ واليونانيّةِ، ومن تفاسيرَ موجودةٍ، ومن مصادرَ إنكليزيّةٍ مُترْجَمةٍ، سواء على أقراصٍ حاسوبيّةٍ أو على مطبوعاتٍ ورقيّةٍ، اختاروا أفْضلَ التَّفاسيرِ وأروعَ تأمُّلاتِ الكتّابِ المسيحيِّين القُدماء في نصٍّ مُعيَّنٍ، متَّبعين المعاييرَ التّاليةَ المتَّفق عليها. فالنِّيَّةُ هي استخلاصُ هذه المقاطعِ والجُملِ الّتي تَعكُسُ فِكر الكنيسةِ المؤمنةِ على مَقْطعٍ كتابيٍّ مُعيَّنٍ.

طريقةُ الاختيار

مِنَ المُفيدِ أنْ نُقدِّمَ تقْريرًا واضِحًا عن كيفيّةِ انتقاءِ المُختَاراتِ الآبائيّةِ. وندعو الآخَرين إلى أنْ يقوموا باتِّباعِ طريقةٍ مُماثِلةٍ ليُقارنوا النتائجَ على نُصوصٍ معيَّنةٍ.[5] كما نُرحِّب بأيِّ اقتراحٍ يُقدِّمُه لنا كُلُّ مَنْ دقَّق في مختاراتِنا بالنسبةِ إلى الأُسلوبِ الّذي اعتمدناه. لقد سعينا إلى تجنُّبِ تحيُّزٍ غيرِ واعٍ لأُسلوبِ الاختيارِ، كما التمَسْنا نصائحَ العُلَماءِ لإتمامِ هذه المُهمَّةِ.

لكي يَبْقَى المشروعُ كلُّه مُتَماسِكًا اتّفقَ المحرِّرون والناشرون والنّاقلون وأعضاءُ فريقِ البحثِ على إعدادِ قواعدِ انتقاءِ المختاراتِ، وصاغوها صياغةً واضحةً. هذه هي لائحة التّدقيق لانتقاءِ هذه المقتطفاتِ.

[5] تُكتَبُ الآن أطروحاتُ دكتوراه متعدِّدة عن تاريخِ تفسيرِ مقطعٍ كتابيٍّ معيَّنٍ. وهذا قد يتطوّر إلى منهجِ بحثٍ أكاديميٍّ واعدٍ بتغييرِ منهجيّةِ الدراساتِ الكتابيّةِ والآبائيةِ، لصالحِ التحليلِ النّصيِّ الدقيقِ وتعيينِ أهمّيّةِ وحدةِ الرأي وتاريخِ التفسير، بدلاً من تخفيضِ كلِّ شيءٍ إلى المستوى التاريخيِّ والطبيعيِّ.

تمَّ الاتّفاقُ المتبادلُ على مبادئ الاختيارِ التاليةِ لإرشادِ المؤلّفين في انتقاءِ المختاراتِ من الخلاصاتِ الآبائيّةِ انتقاءً حكيمًا ودقيقًا ومعبّرًا.

١. إخترْنا من البنكِ الضّخمِ للتّفاسيرِ المُرتّبةِ ترتيبًا دقيقًا المقاطعَ ذاتَ الصّلةِ الوثيقةِ بالنّصِّ، وذاتَ الأهميّةِ العميقةِ، وذاتَ الملاءمةِ العمليّةِ المتعدّدةِ الثقافة.

٢. سعى واضعو المجلّدات المختلفةِ إلى تعيينِ المختاراتِ الآبائيّةِ الّتي تُبْرزُ قوّةً بلاغيّةً عظيمةً وقدرةً مُقْنِعةً واضحةً، فلا تكونُ بحاجةٍ إلى إيضاحٍ ثانويٍّ موسّع. لقد كان التّحدي الّذي واجه المحرّرين هو تعيينَ التفاسيرِ الأكثرِ حيويّةً ونقلَها نقلاً دقيقًا. نرجو أنْ تكونَ المختاراتُ في مُعْظَمِها شديدةَ التّأْثيرِ وجديرةً بأَنْ يَذْكُرَها ويقْتَبِسَها ويتداولَها النّاسُ، وبأَنْ تكونَ مُقْتضَبةً (غالبًا تتألّفُ من بضعِ جُمَلٍ أو من فَقْرَةٍ واحدةٍ)، بدلاً منْ أَنْ تكونَ مواعظَ مُطوَّلةً أو مباحثَ مُفصّلة، وأَنْ يكونَ سردُها مُشوّقًا وبرّاقًا جدًّا. وبذلك يتلاقى هذا النّهْجُ ونَهْجَ تفاسيرِ العهدِ القديمِ وتفاسيرِ القُرآن. وفي بعضِ الحالاتِ اعتُبرتِ التفاسيرُ المفصّلةُ والمطوّلةُ جديرةً بوضعِها في هذه السّلسلة.

٣. سعينا إلى انتقاءِ أكثرِ الملاحظاتِ نموذجيّةً لكي تَعْكسَ بشكلٍ جيّدٍ فكرَ الكنيسةِ المؤمنةِ (في كلِّ وقتٍ وثقافة). فتركّزتِ المختاراتُ على الوصولِ إلى أَوْجِ التّفسيرِ المُجْمَعِ عليه أكثرَ من النُّصوصِ المتألّقةِ فكريًّا أو المتميّزةِ بابتكارِها. فيُمْكِنُ للفكرِ أو للتّفسيرِ أَنْ يَبْرُزا من ابتكارٍ فرديٍّ، لكنْ يجِبُ ألاّ يُعارِضا ما يَقولُ به التّقليدُ الرّسوليُّ وما تُؤمن به الكنيسةُ. فَأَقَلُّ ما يرتاحُ إليه التّقليدُ المُجْمَعُ عليه هو الابتكارُ الفرديُّ الّذي يَجْهَلُ ما تَعْرِفُه الجماعةُ المصلّيةُ. ولذلك كنّا أَقلَّ اهتمامًا بالتفاسيرِ الخاصّةِ لنصٍّ مُعيَّن، وأكثرَ اهتمامًا بتلك النُّصوصِ الّتي تُمثّل المَجْرَى الرئيسَ للتّفسيرِ المسكونيِّ المُجْمَعِ عليه. ما هو مركزيٌّ يُتْرَكُ لحُكْمٍ مُتَّزنٍ يُطْلِقُه المؤلِّفون الأُرثوذكسيّون، والبروتستانتيّون والكاثوليكيّون المشهورون. أدْرَجْنا، على سبيلِ المثال، العديدَ من أفْضلِ تفاسيرِ أوريجنس وترتليان، وأهْمَلْنا التفاسيرَ الغريبةَ الّتي ارتابَ فيها التّقليدُ المسكونيُّ القديمُ.

٤. سعيْنا إلى إدراجِ نُصوصِ مؤلّفين تَجاهَلَهُم النّاسُ بعضَ الشّيءِ، بسببٍ من موْقِعِهم الاجتماعيِّ أو اختلافِ لُغتِهم أو جنسيّتِهم، ذلك أنّ عملَهم يَتَجانَسُ مع الخطِّ العامِّ للتّفسيرِ القديمِ المُتّفَقِ عليه. لقد استعنّا بمُستشارين مُتخصِّصين في اللّغاتِ السريانيّةِ والقبطيّةِ والأرمنيّةِ بغيةَ التأكُّدِ من صحّةِ ما نستشهدُ به من تفاسيرِهِم.

٥. سعينا إلى أَنْ نُنقّيَ هذه التفاسيرَ من الشّوائبِ الخشنةِ والسّمجةِ والضعيفةِ بسببِ الإفراطِ في استعمالِ المجاز.[٦] لكن لمّا كان لمختاراتِنا بعضُ تلك الجوانبِ الخشنةِ فقد زوّدنا القارئَ بحواشٍ ليفْهَمَ سياقَ النّصِ والغايةَ منه.

[٦] لا تُستبعد دراسةُ النّصوص، لكنْ تقوّمُ تقويمًا حكيمًا بالنسبة إلى قيمتِها التفسيريّةِ والنموذجيّة. هناك قالبٌ ساد ذلك التّفسير المسيحيّ القديم، فكان مشبعًا جدًّا بالمجاز بحيث يصبح غير مفيد. بعد انتقاء مختاراتنا بناءً على استحقاق النّص وفق

٦. سعَينا باستمرارٍ إلى إيجادِ توازنٍ بين التقاليدِ الشّرقيّةِ والغَربيّةِ والإفريقيّةِ. فسَعَينا إلى إدراجِ تقاليدِ التّفاسيرِ الإسكندرانيّةِ والأنطاكيّةِ والرّومانيّةِ والسّريانيّةِ والقبطيّةِ والأرمنيّةِ. وهكذا قدَّمْنا تفسيرًا سليمًا مُعْتمَدًا يُثيرُ نفْعًا، وعرْضًا لأَبعادِ الكُتّاب المسيحيِّين التُّراثيِّين يستنيرُ به كلُّ إنسانٍ.

٧. جَهَدنا جَهْدَ أيمانِنا في أنْ نَجْعَلَ أَصواتَ النّساءِ مسموعةً[٧] كمكرينا[٨] وإفذوكيا وإيجيريا وفالتوينا وبتيتيا وبروبا، وأنْ نُبرزَ أقوالَ أُمّهاتِ الصحراءِ وغيرِهنّ اللَّواتي أَخْبَرنَ عن تفاسيرِ النِّساءِ الكتابيّةِ في التقليدِ المسيحيِّ القديمِ.

٨. ولكي نُثبتَ التّفسيرَ على أُسُسِ المصادرِ الأَوّليّةِ، مُفسِحين في المجَالِ أمامَ الكُتّابِ المسيحيِّين القُدماءِ ليتوجَّهوا إلينا بلُغتِهم الخاصّةِ، ركَّزْنا على نُصوصِ الكتّابِ المسيحيِّين القُدماءِ أَنفسِهم، لا على وجهاتِ نظَرِ المُفسِّرين المُعاصرين. فبَحثْنا عن تفاسيرَ تُعِينُ القارئَ المُعاصِرَ على المواجهةِ العميقةِ للنّصِّ لاستيعابِ مَعْناه الّذي بلَغه أَفْضَلُ المفسِّرين الّذين عَاشوا في أكثرِ الأَوضاعِ الاجتماعيّةِ المسيحيّةِ الأُولى تَعدُّدًا. ليست غايتُنا الغوصَ في تَأَمُّلٍ نقديٍّ حول تنوُّعِ المخطوطاتِ أو جذورِها، أو البحثَ الموسَّعَ في سياقِها الثّقافيِّ أو موقِعِها الاجتماعيِّ، مهما كانت هذه الممارساتُ مُفيدةً. غايتُنا أنْ نُقدِّمَ أكثرَ التفاسيرِ تميُّزًا عند الكتّابِ المسيحيِّين القُدَماءِ بأقلِّ ما يُمْكِنُ من الاهتمامِ بالأَعْراضِ.

٩. اجتهَدْنا في جَمْعِ التّفاسيرِ الّتي تُساعِدُ القارئَ على الوَعْظِ الفعّالِ، وعلى الفَهْمِ الثابتِ للمَعْنَى البَسيطِ للنّصِّ، ولقصدِ المؤلِّفِ، ومعناه الروحيِّ للجماعةِ المُصَلِّيةِ. نُريدُ مساعدةَ قرّاءِ الكتابِ المقدَّسِ والمعلِّمين في الحصولِ على وسيلةٍ جاهزةٍ للوصولِ إلى تأَمُّلِ جماعةِ الإيمانِ الأُولى في أيِّ نصٍّ كتابيٍّ.

فلَو كانت نيّتُنا أَنْ نَجْمَعَ ما قالَه الكتّابُ المسيحيّون القدماءُ في نصٍّ معيّنٍ، لازدادَ عددُ الكلماتِ ازديادًا كبيرًا، وارتفعت تالياً تكاليفُ المشروعِ. اخترنا عمْدًا عيْنَ ماءٍ من هذا السّيلِ من المعلوماتِ الهائلةِ الّتي تُعَبِّرُ عن أَقْوَى التأمُّلاتِ الآبائيّةِ على النّصِّ، ونقَلْناها نقلاً دقيقًا.

لأَجلِ تطويرِ هذه الخطوطِ العريضةِ وتهذيبِها، سَعَينا إلى أن نختارَ مؤلِّفي المُجلَّداتِ المختلفةِ من أَوساطِ

معاييرنا، كنّا معجبين بالمدى المحدودِ للمقاطعِ المجازيّةِ الطويلةِ المختارة. بعد إحصائنا المقاطعَ المجازيّةِ، اكتشفنا أنّ أقلَّ من واحد من عشرين منها هي ذاتُ تركيزٍ مجازيٍّ حاسمٍ. فيما قَبِلَ المجازَ كنموذجٍ تفسيريٍّ مقبولٍ عند الكتّاب المسيحيّين القدماء، لاسيّما أولئك المنتمون إلى المدرسة الإسكندرانيّة في ما يتعلّق بنصوصِ العهدِ القديمِ، فإنّه لم يكُنْ كما ظنَنّا سابقًا منهجًا سائدًا.

[٧] عبر الرسائل وكتبِ التاريخِ واللاّهوتِ وترجمات حياة القدّيسين كما دوّنها ترتليان وغريغوريوس النّيصصيّ وغريغوريوس النزينزيّ وجيروم والذهبيّ الفم وبلاذيوس وأغوسطين ولفرام ويرونتيوس وبولينس أسقف نولا وكتّاب غفِلَ اسمهم(وكما وردت في حياة مريم المصريّة وثايس وبيلاجيا).

[٨] سُمع صوتها عبر أخيها الأصغر غريغوريوس النّيصصيّ.

علماءِ الآباءِ المُدركين طبيعةَ الوعظِ وتاريخِ التَّفسيرِ، أو علماءِ الكتابِ المقدَّسِ المُتضلِّعين مِنَ المصادرِ اللاّتينيّةِ واليونانيّةِ القديمةِ. لقد فضّلنا مؤلّفين يتَعاطفون مع حاجاتِ العامّةِ من الناسِ والكهنةِ على حدٍّ سواء، ويَعرفون الموادَّ الآبائيّةَ في مَداها الكامل، ويُدركون حَدْسيًّا مُعْضِلةَ الوعظِ اليوم. إنَّ الصفةَ المسكونيّةَ والكنسيّةَ العالميّةَ لهذا الفريقِ من المؤلّفين تَتَوافقُ مع المدى العالميِّ لهذه المهمّةِ ولجمهورِ القُرَّاءِ، فتُبْنَى بذلك الجسورُ بين كلِّ الجماعاتِ المسيحيّةِ المهمّةِ.

هل تُعَدُّ هذه السّلسلةُ تفسيرًا؟

لقد اخترنا أنْ نُسمّيَ عملَنا «تفسيرًا» وذلكَ لسببٍ وجيهٍ. التفسيرُ، في التَّحديدِ، «سلسلةٌ من الملاحظاتِ التوضيحيّةِ على أيِّ عَمَلٍ أدبيٍّ هامٍّ، كالكتابِ المقدّس».[٩] فاللَّفظةُ الإنكليزيَّةُ commentary تُشْتَقُّ مِنَ اللّفظةِ اللاّتينيّةِ commentarius («حاشية» أو «مُذكّرة» على موضوعٍ أو نصٍّ أو سلسلةٍ مِنَ الوقائع). والتفسيرُ، في معناه اللاّهوتيّ، عملٌ يَشرَحُ جزءاً من الكتابِ المقدّسِ و يحلّله و يعرضه. في القديمِ كان المفسِّرون يَشرحون أعمالاً سابقةً مثل تفسير Julius Hyginus لـ Virgil في القرن الأوّل. وهكذا يَذكُرُ جيروم العديدَ ممَّن سَبَقوه مِنَ المفسِّرين لنُصوصٍ علمانيّةٍ.

عادةً تَسبِقُ التفسيرَ مقدّمةٌ تُطْرَحُ فيها أَسئلةٌ مثل: مَنْ كَتَبَ الكِتابَ؟ ولماذا؟ ومتى؟ وإلى مَنْ؟ تَبْحثُ الملاحظاتُ مشاكل قاموسيّةً أو قواعديّةً في النّصِّ. ويتمُّ تقديمُ فكرِ المؤلّفِ أو دوافعِه بالتَّعاملِ مع التأْثيراتِ الاجتماعيّةِ–الثقافيّةِ الفاعلةِ في النَّصِّ، أو بالتعاملِ مع الفارقِ اللُّغويِّ الدقيقِ. يَأْخُذُ التفسيرُ مَقْطعًا من نصٍّ كلاسيكيٍّ فيُبرزُ معناه لقُرّاءِ اليوم، ويُوضِّحُه في أُسلوبٍ يَجْلو مُبْتَغى المؤلِّف منه وقصدَه.

إتّخذَ الأُسلوبُ الأَدبيُّ الغربيُّ للتّفسيرِ شَكْلَه من تاريخِ التَّفاسيرِ المسيحيّةِ الأُولى للكتابِ المقدّسِ انطلاقًا من أوريجنّس وهيلاريون مُرورًا بيوحنّا الذهبيِّ الفم وكيرلّس الإسكندريّ وصولاً إلى توما الأكوينيّ ونيقولاوس أُسقف ليرا. ولذلك تبْقَى هناك أُمورٌ كثيرةٌ غير مَقولةٍ إذا ما افترَضنا أنَّ التَّفْسيرَ الكتابيَّ المسيحيَّ قد نَهجَ نَهْجَ التَّفاسيرِ غيرِ المسيحيّةِ فكيَّفَها مع المسيحيّةِ، فانسجَمَ مع نُصوصِها. بالأَحرى، إنّه لدقيقٌ جدًّا القولُ إنَّ الأُسلوبَ الأَدبيَّ الغربيَّ للتَّفسيرِ (ولا سيّما التَّفسيرُ الكتابيّ) اتَّخذَ التَّفاسيرَ الآبائيّةَ نموذجًا أَوّليًّا لَه؛ وهذه التفاسيرُ قد أثّرَتْ بقوّةٍ في المفهومِ الغربيِّ الكاملِ لطريقةِ التَّفسير. لكنْ، في القرنين الأَخيرَين فقط، أي منذ تَطوُّرِ الأَساليبِ العصريّةِ للنَّقدِ التاريخيِّ، سَعَى بَعضُ العُلَماءِ إلى تحديدِ التَّفسيرِ تحديدًا صارمًا ليَشْملَ فقط الاهتماماتِ التاريخيّةَ والقواعديّةَ واللُّغويّةَ، والبحثَ عن هويّةِ المؤلِّفِ وعن تاريخِ الكتابةِ وبيئةِ النَّصِّ، أو عن الظُّروفِ الاقتصاديّةِ والاجتماعيّةِ السياسيّةِ، والتحليلَ الأَدبيَّ لنَهْجِ

[٩] Funk & Wagnalls New "Standard" Dictionary of the English Language (New York: Funk & Wagnalls, 1947)

الكاتبِ ولبنيةِ النَّصِّ ووظيفتهِ، أو التساؤلَ عن النَّقْدِ النَّصِّيِّ وعن جدارةِ الاعتمادِ على النَّصِّ. ولذلك لا يَشعُرُ مُحرِّرو هذه السّلسلةِ بالحاجةِ إلى تبْرير تسميةِ هذا العملِ تفسيرًا بالمعنى التُّراثيِّ للكلمةِ.

يَعي الكثيرون من قُرّاءِ التَّفاسيرِ العصريّةِ النُّبَهاءِ عاداتِ تفكيرهم، وهي: تحكُّمُ المُفسِّرِ بالنَّصِّ القديمِ ومعالجته على هواه (أي وَفْقَ قِيَمِه ومزاعمِه وميولِه ونزعاته). وهذا انحرافٌ متأتٍّ من الركونِ إلى المصادرِ النَّقديّةِ وتجاهلِ المصادرِ المُبكِّرةِ. وهذا يحدثُ كلَّما نظرنا النَّصَّ الكتابيَّ بالمِنْظارِ النَّقديِّ–التاريخيِّ الملائمِ للحَداثةِ.

رغم احترام مؤلِّفي المُجلَّداتِ المختلفةِ لهذه الآراء، فإنَّهم كانوا مُطَّلعين أَشدَّ الاطِّلاعِ على النَّقْدِ الكتابيِّ المعاصرِ، لكنَّهم أقرُّوا بأَنَّ القانونَ المسيحيَّ يجب أنْ يُحْترَمَ كنَصٍّ مُقدَّسٍ للكنيسةِ. فالإقرارُ بأهمّيةِ النَّصِّ ذاته يجب أَنْ يكونَ أسمى ممَّا يُقرُّ به العلماءُ المعاصرون. فمُطالعةُ الكتابِ والتبشيرُ به هما أمْران حيويّان لحياةِ الكنيسةِ. رجاءُ هذه السّلسلةِ هو المساهمةُ ولو بطريقةٍ بسيطةٍ في إنعاشِ هذه الحياةِ باكتشافٍ متجدِّدٍ للقراءاتِ الأُولى لكتابِ الكنيسةِ.

تحذيرٌ لطيفٌ لمَن يتوقَّع من الكتَّابِ القدماءِ أنْ يُوافقوا الافتراضاتِ المُعاصِرة

استخدامُ التَّعبيرِ الحديثِ وإعطاءُ الأولويّةِ للمناهجِ النَّقديّةِ الحديثةِ يُعرِّضان المفسِّرين المسيحيّين التُّراثيِّين لمآخذَ جائرةٍ، منها أنَّهم متخلِّفون ومُخالِفون وبدائيّون، وأنّهم، استطرادًا، ضالُّون في الإفهامِ، وأنَّ استنتاجاتِهم لا يمدُّها اطِّلاعٌ أو يُمحِّصُها نقدٌ. وكثيرًا ما يُرْمَون بالزَّندقةِ ويكونون أُضحوكةً من الأضاحيكِ. إنصافًا للتَّفسيرِ الصحيحِ نُوصي القارئَ المعاصرَ بألاَّ يفْرِضَ الإنجازاتِ الحديثةِ للقراءةِ الصَّحيحةِ للكتابِ على المفسِّرين المسيحيِّين القُدماء. فالكتّابُ المسيحيّون القُدَماء يتحدّون باستمرارِ الافتراضاتِ الحديثةِ الخفيّةَ والمستورةَ والمموَّهةَ كثيرًا.

لا تَسْعَى هذه السّلسلةُ إلى أَنْ تَحُلَّ الجدلَ القائمَ بين مَحاسنِ التّفسيرِ العصريِّ والتّفسيرِ القديمِ في كلِّ نصٍّ يُدرَس. إنَّها تسْعى بالأحرى إلى تقديمِ التَّفاسيرِ المنتخَبَةِ للمفسِّرين القُدماءِ بدونِ تغافُلٍ وتَلَهٍّ. إنّنا نَتْرُكُ الأمرَ للآخرين لدرسِ مَحاسنِ أساليبِ التَّفاسيرِ القديمةِ مُقابِلَ التّفاسيرِ العصريَّةِ. لكنَّ هذا الأمرَ لا يُمكِنُ إنجازُه مِن دون امتحانٍ شاملٍ وتامٍّ لنُصوصِ التَّفسيرِ القديمِ. وحتى الآن فإنَّه لا يَتيسَّرُ لعلماءِ الكتابِ الحصولُ على العديدِ من هذه النُّصوصِ. هذا ما ترمي إليه هذه السّلسلةُ.

كانت غايةُ التَّفسيرِ في الزَّمنِ الآبائيِّ الوصولَ بتواضعٍ إلى الحقِّ المُعْلَنِ الّذي يُقدِّمه الكتابُ. فهو لَمْ يُقدَّم إلى الّذين كانوا غيرَ مُستعدِّين لوضعِه موضعَ التّنفيذِ. في هذا المجالِ كان التّفسيرُ الحديثُ مختلفًا اختلافًا كلِّيًا: فهو لا يُسلِّمُ بصحّةِ حقِّ الكتابِ وكأنَّه إعلانٌ، ولا يُذْعِنُ إذعانًا شخصيًّا لِلمَطْلبِ الخُلُقيِّ للنَّصِّ المُوحَى به، فلا يُؤخَذُ الكتابُ بِجِدٍّ كخطابٍ إلهيٍّ. لكنَّنا نتعاملُ هنا مع الكُتَّابِ الآبائيِّين الّذين افترضوا أنَّ

القُرّاء لن يقتربوا من تَمييزِ المعنى الأساس للنَّصِّ إنْ لمْ يكونوا مُستعدِّين للعيشِ وفقَ إعلانِه، أي لممارستِه حتّى يسمعوه كما أوصى بذلك التَّقليدُ الشريفُ.

غالبًا لا تُطابِقُ نماذجُ التَّفسيرِ الآبائيِّ افتراضاتِ التَّفسيرِ الحديثِ الّتي تتّجه إلى تجاهُلِ مصادرِنا الكتابيّةِ واستبعادِها. وكثيرًا ما يُطْعَنُ فيها بحجّةِ أنّها لا تَثبُتُ على النَّقْدِ. لكن بين الكتّابِ المسيحيّين القُدماء كانت هذه المصادرُ الكتابيّةُ هامّةً للتّفكيرِ في النَّصِّ وَفقًا لشهادةِ الكتابِ المقدّسِ الكاملةِ عبرَ مقياسِ الإيمانِ، فيُقارَن النَّصُّ بالنَّصِّ، على أساسِ قاعدةِ التَّفسيرِ القائلة: «الكتابُ يُفَسَّرُ بالكتابِ scripturam ex scriptura explicandam esse».

نلتمسُ من القُرّاءِ أنْ لا يفرضوا فرضيّاتِ القرنِ العشرين الأُصوليّة fundamentalism[١٠] على الكتّابِ المسيحيّين القُدَماء الّذين ما عرفوا شيئًا عمّا نُسمّيه اليومَ الأُصوليّةَ. فالاستنتاجُ أنّ الآباءَ كانوا أُصوليّين بالمعنى الحديثِ للكلمةِ يُنافي النَّقْدَ النَّزيهَ. فهم لم يكونوا أُصوليّين، إذ إنّهم لم يتصدَّوا للمَبْدأ المعاصرِ المنادي بتخفيضِ كلِّ شيءٍ إلى المستوى الطبيعيّ reductionism. إنّهم على العكسِ كانوا يحتجّون باستمرارٍ على التَّمسُّكِ الحرفيِّ بالنَّصِّ، فدائمًا كانوا يَنْظُرون إلى المعاني الروحيّةِ والخُلُقيّةِ والرّمزيّةِ Typological.[١١] الأُصوليّةُ المعاصرةُ هي ردٌّ دفاعيٌّ على التّاريخانيّةِ المعاصرةِ. فالأُصوليّةُ الكتابيّةُ تبدو مشابهةً للتاريخانيّةِ المعاصرةِ أكثر بكثيرٍ من التّفكيرِ الرّمزيِّ typological القديم. ومِنَ السُّخريةِ بمكانٍ أنْ يجْعَلَ هذا الأمرُ التّفسيرَين الأُصوليَّ والمتحرِّرَ مُتشابهَين من جهةٍ ومخالفَين من جهةٍ ثانيةٍ للتّفسيرِ المسيحيِّ القديم، فهما يحْتكِمانِ إلى الافتراضاتِ العقْلانيّةِ والتاريخانيّةِ الّتي أبرزَتْها حركةُ التّنويرِ الفلسفيّةِ.

ولأنَّ مَبْدأَ التّفسيرِ المسيحيِّ القديمِ القائلِ إنَّ كُلَّ نصٍّ يَستنيرُ بنصوصٍ أُخرى وبتاريخِ الإعلانِ كان عامًّا، فإنّنا نعثُرُ في التّفاسيرِ الآبائيّةِ على نَصٍّ مُعيّنٍ محوكًا مع نصوصٍ أُخرى لتُلقي ضوءًا عليه. عندما يَحوكُ التّفسيرُ القديمُ العديدَ من نصوصِ الكتابِ معًا، فإنّه لا يَتقيّدُ تركيزُه على نصٍّ واحدٍ كما يفضِّلُ ذلك مُعظمُ النُّقّادِ المعاصرين، لكنّه يَربُطُه بنُصوصٍ أُخرى تشابهُها، فيَستَخْدِمُ بشكلٍ كثيفٍ الاستدلالَ الرَّمزيَّ للنّصِّ، كما فعَلَ ذلك التّقليدُ الربّانيُّ.

تبدو اليومَ قراءةُ العهْدِ الجديدِ بشكلٍ غيرِ لاهوتيٍّ وغيرِ خُلُقيٍّ وغيرِ مرتبطٍ بالمبادئِ الكنسيّةِ والأسراريّةِ والعقديّةِ الّتي سادت جماعةَ الإيمانِ الّتي كتبتهُ، مغامرةً واهيةً. فعندما نُحاولُ أنْ نفهمَ معنى العهدِ الجديدِ رافضين الإيمانَ بالتّجسُّدِ والقيامة، نضيعُ في المتاهاتِ ويُعْمينا التّشويه. فمن قرأ بانحيازٍ صفحةً واحدةً

[١٠] الأصوليّة هي حركة بروتستانتيّة ظهرت في القرن العشرين، وهي تشدّد على التفسير الحرفيّ للكتاب بكونه أصل الحياة المسيحيّة والتعليم المسيحيّ.
[١١] الإيمان بأنّ شخصيّات العهد القديم وأحداثه هي رموز لما حدث في العهد الجديد.

من التَّفسيرِ الآبائيِّ، ولفظَها بعيدًا، لأنَّها في رأْيِه لا تُطابِقُ قوانينَ التَّفسيرِ المعاصر والتَّفسيرِ التَّاريخانيِّ، يُضلُّ الطريقَ السويَّ ويَفْقِدُ عملُه عناصرَ النَّقدِ ومُقَوِّماتِه.

ملاحظاتٌ حولَ تفسيرِ بيلاجيوس

معاييرُ اختيارِنا للنُّصوصِ لا تَصرِفُنا عن استخدامِ مقاطعَ من تفاسيرِ بيلاجيوس في النّقاطِ الّتي تُزوِّدُنا بتفسيرٍ جيّدٍ. وهذا يَتطلَّبُ إيضاحًا خاصًّا. إذا تمسَّكنا بمقاييسِ الاتِّفاقِ الجماعيِّ في الرأْي.

تَبْقَى مجموعةُ بيلاجيوس موضِعَ خلافٍ. فَبيلاجيوس كان رئيسَ نِحْلَةٍ ظَهَرت في القرنِ الخامس، غير أنَّ بعضًا من الكتّابِ الأرثوذكسيّين راجعوها وصحَّحوها ومَهَروها أحيانًا بغيرِ اسمِه، فأَمْسَت مقروءةً ومحفوظةً على نحوٍ واسعٍ لأجيالٍ وأجيال. لذلك يُشكِّلُ بيلاجيوس مُعضِلةً نَصِّيَّةً.

فحتّى العام ١٩٣٤ كانَ لدينا نصٌّ مشوَّهٌ لتفسيرِ بيلاجيوس لرسائلِ القدّيسِ بولس، وأَجْزاءٌ أَوْرَدَها أوغسطين. وبما أنَّ أَعْمالَه دُرِسَت ونُوقِشَت كثيرًا، فنحن نَعْرِفُ الآن أنَّ مجموعةَ بيلاجيوس الأدبيّة قد تغيَّرت عبْرَ تاريخٍ مِن تَنْقيحٍ لاحقٍ حثَّنا على عدمِ الاقتباسِ منها. عندها لَنْ يَبْقَى هناك مَصْدَرٌ هامٌّ لتفسيرِ بولس من القرنِ الخامس. ولذلك فإنَّنا لا نَقْدِرُ على أنْ نتجاهلَه. اقتراحي هو أنْ نَنْصَحَ القارئَ بعدمِ مساواةِ نصِّ بيلاجيوس القرنِ الخامسِ بمقولاتِ بدعتِه.

يَجِبُ أنْ نتذكَّرَ أنَّ نَصَّ بيلاجيوس في تفسيرِ بولس كما نَملِكُه قد حُفِظَ في مجموعةِ جيروم التفسيريّةِ. يُحتَمَلُ أنَّها نُقِّحَت في القرنِ السادسِ على يدِ بريماسيوس Primasius أو كاسيودوروس Cassiodorus أو على يديهما معًا. لقد أُعيدَ تنقيحُ هذه التَّفاسيرِ وصياغتُها مرارًا. فما وَصَلَنا منها يَتناغَمُ مع الفكرِ والتَّفسيرِ الآبائيّين، وما يَتَنافَى يُعْتَبَرُ جزءًا من البيلاجيوسيّة المُبْسَلة.

لقد خالفت بدعةُ بيلاجيوس الإيمانَ مخالفةً واضحةً، ولكنْ ما نَمْلِكُه الآن منها عاديٌّ إلى حدٍّ كبيرٍ، حتّى لو وَجَدْنَا أَحيانًا نقاطَ اختلافٍ مع الفكرِ الآبائيِّ. ربَّما خَفَّ حِلمُنا في إيرادِنا هذه المادَّةَ تحت اسمِ بيلاجيوس، فالأَفْضَلُ أنْ نُطْلِقَ عليها اسمَ «بيلاجيوس المَنْحُول» أو أَنْ نقولَ عنها إنَّها مجهولةُ المصدرِ، لكنَّنا نتَّبِعُ هنا ما هو مألُوفٌ عند العُلَماءِ المعاصرين.

ماذا نَتوقَّعُ من المقدّمةِ والنظرةِ العامّةِ وخطّةِ التّفسير؟

أثناءَ كتابةِ مُقدِّمةِ كلِّ مجلَّدٍ، تَدارَسَ المحرّرون رأْيَ الآباءِ في موضوعِ تَأْليفِ النَّصِّ وأَهمّيّةِ السِّفْرِ عند الآباءِ وتيسُّرِ تفسيرِهم أو نُدرتِه، ونقاطَ النِّقاشِ المهمَّةِ عند الآباءِ، والتحدِّياتِ المُرْتبِطةَ بوضعِ ذلك المجلَّدِ. تُزوِّدُنا المقدَّمةُ بفُرصَةِ تَشكيلِ التَّفسيرِ الكاملِ على نحوٍ يُساعِدُ القارئَ العامَّ على فهمِ طبيعةِ التَّفسيرِ

الآبائيّ للنُّصوصِ الكتابيّةِ ومعناها، وإعانةِ القُرّاءِ على اكتشافِ معْناها واستعمالِ التّفسيرِ بطريقةٍ مدروسةٍ.

هدَفُ النّظرةِ العامّةِ هو أنْ نُعْطِيَ القُرّاءَ لمحةً عن الحجّةِ الدامغةِ للمقطعِ، وعن تعيينِ أسْماءِ المفسِّرين الرئيسيّين. وهذه مُهمّةٌ تلخيصيّةٌ. هنا نُؤدّي للقُرّاءِ خدمةً بتقديمِنا لمحةً عن الحجّةِ الآبائيّةِ الخاصّةِ بمجموعةِ الآياتِ. مثاليًّا يجب أنْ تُظهِرَ النّظرةُ العامّةُ خيوطَ التّماسكِ المنطقيِّ بين هذه التفاسيرِ الآبائيّةِ، على الرُّغم من أنّها مستقاةٌ من مصادرَ مختلفةٍ ومن أجيالٍ متعدّدة. تختلفُ صيغةُ هذا الملخَّصِ من مجلّدٍ إلى آخر استنادًا إلى مُتطلّباتِ كلِّ سفرٍ من أسفارِ الكتابِ المقدّس.

أمّا غايةُ عناوينِ المختاراتِ فهي أنْ تُدْخِلَ القُرّاءَ بسرعةٍ إلى موضوعِها. بهذه الطريقةِ يَستطيعُ القُرّاءُ أنْ يُدْركوا بسرعةٍ ما سيأْتي عبر إلقاءِ نظرةٍ سريعةٍ على العنوانِ والنّظرةِ العامّةِ. يَتّضِحُ عادةً في أثناءِ الدِّراسةِ أنْ جملةً من جُمَلِ المقطعِ تُحدِّدُ بشكلٍ طبيعيٍّ موضوعَ العنوانِ. وقد تَرْبطُ آياتٌ متعدّدةٌ بعضَها بالبعض لتفسيرِها.

وبما أنَّ تراجمَ الكُتّابِ المسيحيّين القُدَماءِ متوفِّرةٌ في مراجعَ عامّةٍ متعدّدةٍ، ومعاجمَ وموسوعاتٍ مختلفةٍ، لَمْ تَجِد هذه السّلسلةُ سببًا لتكرارِ هذه الجهودِ. لكنَّنا زوّدْنا القارئَ في كلِّ مجلّدٍ بلائحة زمنيّةٍ لكلِّ الّذين اقتُبِسَت نصوصُهم في ذلك المجلّدِ، وبلائحةٍ أبجديّةٍ تحتوي معلوماتٍ كنسيّةً ومكانيّةً موجَزة.

يُقدّمُ كلُّ مقطعٍ كتابيٍّ مشكلتَه الخاصّةَ في ما يتعلّقُ باختيارِ النُّصوصِ وترجمتِها. إنَّ كمِّيّةَ النُّصوصِ الّتي بَحَثْنا عنها وراجعْناها وقوّمناها تَخْتلِفُ من مُجلّدٍ إلى آخر. هناك أيضًا رؤيةٌ آبائيّةٌ متنوّعةٌ للنُّصوصِ، وتعدّدٌ في طبيعةِ الإشاراتِ المَصُوغةِ ثقافيًّا، وتفاوتٌ في صلةِ الموادِّ بعصرِنا. لقد كان جَمْعُ التّفاسيرِ ووضْعُها في سياقٍ منطقيٍّ تحدّيًا لكلِّ محرِّرٍ من محرّري المجلّداتِ المختلفةِ.

لقد وُضِعَتِ الحواشي لتُساعدَ القُرّاءَ على توضيحِ ما كان غامضًا أو خافيًا. وفي التّعليقاتِ تَحقّقنا من هويّةِ الإشاراتِ الكتابيّةِ والمراجعِ التاريخيّةِ الموجودةِ في النُّصوصِ.

غَرَضُ تحريرِنا هذه السّلسلةَ هو مساعدةُ القُرّاءِ على التّحرُّكِ بسهولةٍ من نصٍّ إلى آخر عبرَ عمليّةِ ربطٍ تُرى في النّظرةِ العامّةِ وفي العناوينِ والتعليقاتِ. لقد حدَّدنا عددَ الهوامشِ بأقلّ من نسبةِ عِشْرِ النُّصُوصِ الآبائيّةِ ذاتِها. في الحواشي هناك اختصاراتٌ تُسْتَخْدَمُ وهناك أيضًا لائحة اختصاراتٍ وُضِعَت في كلِّ مُجلّدٍ. لقد وَجَدْنا أنَّ مُهمّةَ ربطِ النُّصوصِ يجب أنْ لا تكونَ موحَّدَةَ النّماذجِ في كلِّ أَسْفَارِ الكتابِ المقدّسِ، بَلْ أنْ تكونَ خاصّةً بذلك السِّفرِ وحدَه.

تكامُلُ طرائق البَحثِ المطبَّقةِ في هذه السّلسلة

هذه السّلسلةُ هي، جوهريًّا، محاولةٌ لبَحْثٍ مُتكامِلٍ ومُتَماسِكٍ. فهي تَسْتَخْدِمُ طرائق مترابطةً ومتنوّعةً لبحْثٍ متميّزٍ ومُعْتَمدٍ. أهمُّ هذه الطرائق هي:

نَقْدُ النُّصوص. ما مِنْ أَدَبٍ نُقِلَ عبر مخطوطاتٍ دوِّنت يدويًّا من دون خطرِ حصولِ تغييراتٍ في النَّصِّ. وبما أنّنا نَتَعاطى نُصوصًا قديمةً أُعيد استنساخُها مرارًا فإنّنا مُلْزَمون بتوظيفِ كُلِّ طرائق البَحْثِ المُلائمةِ لدراسةِ النُّصوصِ القديمةِ. لهذه الغايةِ اعتمدْنا بأمانةٍ على أكْثرِ النُّصوصِ النَّقديةِ المستَخْدَمةِ في الدِّراساتِ الكتابيّةِ والآبائيّةِ وثوقًا. فَعملُ نُقَّادِ النُّصوصِ في هذه الحقولِ كان مُهمًّا في تزويدِنا بأكْثرِ الإصداراتِ اعتمادًا ووثوقًا للنُّصوصِ القديمةِ المتوفّرةِ لدينا الآن. فاستخدَمْنا على أفْضَلِ وجهٍ التحليلاتِ النَّقْديّةَ الكثيرةَ المُسْتَخْدَمةَ في بنكِ معلوماتِ موسوعةِ المترادفِ والمتواردِ للّغةِ اليونانيّةِ Thesaurus Linguae Graecae (TLG) والنّصوصِ والوثائقِ اللاّتينيّةِ Centre de Textes et Documents (Cetedoc, Clclt).

في ما يَتعلَّقُ بالنُّصوصِ الكتابيّةِ جُوبِه الباحثون في بَنْكِ معلوماتِنا، ومحرّرو المجلَّداتِ المختلفةِ، بتحدّي اختيارِ القراءةِ الكتابيّةِ في نصٍّ مُعَيَّنٍ. فَلَم تكُنْ معرفةُ أيِّ نقلٍ أو أيِّ نَصٍّ استَخْدَمَه المفسِّرون القُدماء بَدَهيّةً. لذلك قدَّمنا حواشيَ توضيحيّةً في حالاتٍ تُثيرُ فيها التحدّياتُ النصّيّةُ المتعدّدةُ اهتمامًا عند القُرّاءِ.

القَرينةُ الاجتماعيّةُ- التّاريخيّةُ Social-historical contextualization. سَعَى واضعو المجلَّداتِ المختلفةِ إلى فَهْمِ القرائنِ الاجتماعيّةِ والتّاريخيّةِ والسّياسيّةِ والاقتصاديّةِ للمُقتطفاتِ المُختارةِ من النُّصوصِ القديمةِ. وغالبًا ما يكونُ هذا الفَهْمُ حيويًّا لعمليّةِ تمييزِ معاني تفسيرٍ معيَّنٍ أو قصدِه، ولمعرفةِ ما هو التَّفسيرُ الأنسبُ للمقطعِ الكتابيِّ المفسَّر. ومع ذلك، فإنَّ مهمّتَنا لا تتَّجِهُ إلى بحثِ هذه القرائنِ بحثًا شاملاً أو إلى عرضِها في مراجِعِها. لذا لم نَهتمَّ بالدَّرجةِ الأُولى بموقعِ النَّصِّ الاجتماعيِّ أو بالتاريخِ اللّغويِّ لكلماتٍ مُعيَّنةٍ، أو بمكانةِ النَّصِّ الاجتماعيّةِ، مهما كانت مهمّةً ومُثيرةً للذّكرياتِ. لكنَّ بعضَ هذه الأسئلةِ إذا طُرِحَ تمكَّنُ معالجتُهُ باختصارٍ في الحواشي عندما يَجِدُ واضعو المجلَّداتِ ضرورةً لذلك.

ومع أنَّ وضعَ النُّصوصِ الآبائيّةِ في قرائنها مُفيدٌ ومطلوبٌ أحيانًا، إلاّ أنَّ هدفَنا لم يَرْمِ إلى تقديمِ عَرْضٍ مفصَّلٍ للوضعِ التّاريخيِّ والاجتماعيِّ لكُلِّ نصٍّ آبائيّ. فهذا يَتطلَّبُ مجلّداتٍ يُوازي حجمُها عشرةَ أضعافِ هذه المُجلَّدات. نَعْرِفُ أنَّ بعضَ النُّصوصِ يَحتاجُ إلى شَرْحٍ بسيطٍ لوضعِها في قرائنها، وبعضُ النُّصوصِ الأُخرى يحتاجُ إلى شَرْحٍ مُطَوَّلٍ. وفي الوقتِ عينه هناك نصوصٌ بارزةٌ بروزًا واضحًا ومتألّقًا تكونُ في بعضِ الحالاتِ أقوالاً مأثورةً بدون حاجةٍ إلى وضعِها المفصَّلِ في قرائنها. هذه هي النُّصوص الّتي سَعينا إلى اختيارِها وإدراجِها. فكنّا أقلَّ اهتمامًا بنُصوصٍ تَسْتَلْزِمُ الكثيرَ من التّوضيحِ لجمهورِ القُرّاءِ المعاصرين.

أهْمَلْنا أيضًا بعضَ النُّصوصِ المُتطرِّفةِ الغامضةِ المنفرةِ للقرّاءِ المعاصرين.

التفسيرُ Exegesis. إذا كان وَضْعُ النُّصوصِ الآبائيّةِ في قرائنِها التاريخيّةِ والاجتماعيّةِ ثانويًّا في هذه السّلسلة، فإنّ التشديد على التّفسيرِ الآبائيِّ البَصيرِ كان أولويًّا. فنيّةُ مؤلّفي المجلّداتِ المختلفةِ كانت البحثَ عن مختاراتٍ تُناقشُ وتَشْرَحُ المعاني الّتي اكتشفَها الآباءُ في النَّصِّ الكتابيِّ. ليست غايتُنا تقديمَ تفسيرٍ معاصرٍ مجرَّدٍ من عُنصرِه الأُسطوريِّ للمفسِّرين القُدَماء لكلِّ نصٍّ كتابيٍّ، بل السماحُ لتفاسيرِهم، أنْ تَتَكلّمَ من تلقاءِ ذاتِها بنظرتِها الشاملة.

في هذه السّلسلةِ استُعمِلَت لفظةُ «التّفسير» بمعناها التُّراثيِّ أكثرَ من مَعْنَاها العصْريِّ. في المعنى التُّراثيِّ يَتَضمَّنُ التَّفسيرُ جهودًا لتفسيرِ النَّصِّ وشرحِه والتَّعليقِ على مَعناه ومصادرِه وعلاقتِه بالنُّصوصِ الأُخرى. فهو يُشيرُ إلى مطالعةٍ دقيقةٍ للنَّصِّ عبر استخدامِ أيِّ مصْدرٍ لاهوتيٍّ، أدبيٍّ، تاريخيٍّ أو لُغَويٍّ مُتوفِّرٍ لشرحِه. إنَّه مُغايرٌ للاستنباطِ Exegesis الّذي يَفْرِضُ فيه المترجمُ آراءَه الشخصيّةَ أو اجتهاداتِه على النَّصِّ.

لقد مارَسَ الآباءُ التّفسيرَ النَّحْويَّ للنَّصِّ intratextual، فَسعوا إلى تحديدِ صياغتِه وقواعدِه اللُّغَويةِ وعلاقتِه بالأجزاءِ الأُخْرى. مارَسوا أيضًا تفسيرَ بيئةِ النَّصِ extratextual، فسَعوا إلى إدراكِ السِّياقِ الثَّقافيِّ والتاريخيِّ أو الجغرافيِّ الّذي كُتِبَ فيه النَّصُّ. والأهمُّ من ذلك أنَّهم دَربوا جدًّا على التَّفسيرِ التَّرابطيِّ للنَّصِّ intertextual، فَسعوا إلى استجلاءِ معنى النَّصِّ بمقارنتِه بنُصوصٍ أُخرى.

الشَّرْحُ Hermeneutics. نحن نعي طرائقَ وَصْفِ الكُتّابِ المسيحيّين القُدَماء لعَمَليَّةِ تفسيرِهم. فهذا التَّحليلُ الذاتيُّ التّفسيريُّ غنيٌّ، لاسيّما في فكرِ أوريجنّس وترتليان وجيروم وأوغسطين وفينسنت أسقفِ لورنس.[١٢] رغم أنَّ أكثر محرِّري المجلّداتِ مُتَضلّعون من الأبحاثِ النَّقديّةِ المعاصرةِ والأساليبِ الأدبيّةِ، فإنَّ هذه السّلسلةَ لم تَبْتَغِ الاهتمامَ بهذه الأبحاثِ. وعوضًا عن ذلك، فإنّنا مهتمُّون بعَرْضٍ وبكشفِ المبادئِ التّفسيريّةِ المتعدِّدَةِ الّتي تُطلِعُنا على القراءةِ الآبائيَّةِ للكتابِ المقدّس، وبخاصّة على تَرْكِ الكُتّابِ تتكلّمون بلغتِهم.

الوَعْظُ Homiletics. إنَّ أَحدَ الأهدافِ العمليّةِ لهذه السّلسلة هو تجديدُ الوعظِ المعاصرِ تحت ضوءِ حكمةِ الوَعْظِ المسيحيِّ القديم. فإذا ما وَضَعْنا هذا الهدفَ نُصبَ أعيُنِنا، فإنّنا نَجِدُ أنَّ التفاسيرَ الأكثرَ تألُّقًا ولمعانًا لم تَكُنْ مختارةً من تفاسيرَ منهجيّةٍ، بل من مواعظِ الكُتّابِ المسيحيّين القُدَماء. ينبغي ألاّ نتعجَّبَ من أنَّ أكثرَ الوعّاظِ القُدَماءِ شهرةً هم الّذين التزموا الوعظَ التزامًا فعّالاً. فالآباءُ الأفذاذُ في وَصْفِ مبادئِهم وطرائقِهم الوعظيّةِ هم غريغوريوسُ الكبير، وليونُ الكبير، وأوغسطينُ وكيرلّسُ الأورشليميّ ويوحنّا الذهبيُّ الفم

[١٢] اهتمامُنا بهذا الوَجْه من المشروعِ أدّى إلى إصدارِ مجلّدٍ يصحبُ هذه السّلسلة، أعدّه:

Associate Editor, Prof. Christopher Hall of Eastern College, Reading Scripture with the Church Fathers (Downers Grove, III.: Inter Varsity Press, 1998)

وبطرسُ خريستولوغوس وسيزاريوسُ أُسقفُ أرليس.

العناية الرعويّة Pastoral care. أمَّا الغايةُ الأُخرى من هذه السّلسلةِ فهي توعيةُ قرَّائنا على تقليدِ العنايَةِ الرَّعويّةِ وخدمةِ الناس. بين الآباءِ الرئيسيّين الّذين تألَّقوا في حكمتِهم الرَّعويّةِ وفي العملِ بتعاليمِ الكتابِ في سبيلِ عَمَلِ الخدمة، غريغوريوسُ النزينزيّ ويوحنّا الذهبيُّ الفم وأوغسطينُ وغريغوريوسُ الكبير. لقد قدَّمَ محرِّرونا هذه الحكمةَ الرَّعويّةَ البارزةَ بأُسلوبٍ سليمٍ بعيدٍ عن فرضيّاتِ العلاجِ النَّفسيِّ المعاصر، وعن علمِ الاجتماعِ وعن محاولةِ تخفيضِ كلِّ شيءٍ إلى مستوى الطبيعة.

نظريّةُ الترجمة Translation theory. يَتَأَلَّفُ كلُّ مجلَّدٍ من اقتباساتٍ آبائيّةٍ مباشَرةٍ منقولةٍ عن النُّصوصِ الأَصليّةِ المحقَّقة. لكنّ كفاءةَ كلِّ ترجمةٍ هي موضِعُ تحدٍّ. كما أنَّ مهمَّةَ النَّقلِ قابلةٌ للمناقشةِ جوهريًّا. لذلك سَعينا إلى الحفاظِ على أمانةِ النَّصّ، ووضعناه بلغةٍ معاصرة.

ماذا أنجزنا؟

لقد تمَّ تصميمُ التَّفسيرِ المسيحيِّ المُبكِّرِ للكتابِ في الخمسِمئةِ السّنةِ الأخيرة. ولذلك ستحذو أيّةُ محاولةٍ مستقبليّةٍ لجمعِ التّفسيرِ الآبائيّ حَذْونا أو ستكونُ استجابةً لِمَا حقَّقْناه.

وبنجاحٍ كبيرٍ استطعنا أنْ نَجْمَعَ معًا جماعةً من العُلماءِ والمُنشئين والنّاقلين الدَّوليّين المميَّزين البروتستانتيّين والكاثوليكيّين والأرثوذكسيّين ذوي الكفاءةِ العاليةِ والشُّهرةِ لإتمامِ هذا التَّصميم.

هذه الشَّبكةُ اللاّمعةُ من العُلَماءِ والمُحرّرين والنّاشرين والتّقنيين والناقلين، الّتي تمثّلُ حقًّا جِدَّةً رائعةً ومسكونيّةً حديثةً متميّزةً في ذاتِها novum، قد صاغَتِ النَّموذجَ الأَساس للمشروعِ واتّجاهه، فَعُدِّلَ وصُحِّحَ تدريجيًّا وَفْقَ الحاجة. لقد قدَّمنا بحثًا تجريبيًّا متكاملاً في إدراجِ تقنيّاتِ البحثِ الرقميّةِ مع دراسةِ تاريخِ التَّفسير.

والآنَ قد بَلَغْنا منتصفَ الطريقِ تقريبًا في إخراجِ هذه السّلسلة، وكذلك منتصفَ الوقتِ المخصَّصِ لنشرِها، فطوّرْنا نموذجَها بحيث إنّنا بَلَغْنا نقطةَ عدمِ إدخالِ تغييراتٍ مهمّة عليها. فتَعاقَدْنا مع كُلِّ واضعيٍّ مجلّداتِ هذه السّلسلة، وحدَّدنا وقتَ إنهاءِ كلِّ مجلَّدٍ منها. فنحن على طريقِ إنهاءِ النُّسْخَةِ الإنكليزيّةِ لهذا المشروع. إنّنا وسَّعنا شبكتَنا الدَّوليّةَ إلى نقطةِ المباشرةِ بإصدارِ هذه السّلسلةِ بلُغَاتٍ عالميّةٍ أُخرَى. فدشَّنّا العملَ بطبعاتٍ إسبانيّةٍ وصينيّةٍ وعربيّةٍ وروسيّةٍ وإيطاليّةٍ وألمانيّة، وخطَّطنا لإصدارِها بلُغَاتٍ أُخرى.

لقد تلقَّينا العَوْنَ الكاملَ من جامعةِ درو Drew كونَها الرّاعيةَ الأكاديميّةَ للمشروع، وهي جامعةٌ مميَّزةٌ، لها سجلٌّ حافلٌ في دعمِ مشاريعِ نشرٍ دوليّةٍ لا تزالُ متوفِّرةً في الأسواق، ودامت في الكثيرِ من الحالاتِ مدّةً تَتَجاوزُ المائةَ سنة. إنَّ الفهرسَ الكتابيَّ الأكثرَ استعمالاً في العالم، ومنهجَ المصطلحاتِ الكتابيّةِ في العالم،

وضعَهُما الأُستاذ James Strong من جامعة درو Drew. فالغرفةُ الّتي كان يَشغلُها James Strong حيث أُعدّ الفهرسُ الكتابيُّ العام ١٨٨٠، كانت مكتبي لعددٍ من السنوات، والمكانَ الذي وُلِدت فيه هذه السّلسلةُ. ففهرسُه الشاملُ موضوعُ اليومَ على رفوفِ أكثرِ مكتباتِ الرُّعاةِ في العالمِ الناطقِ بالإنكليزيّةِ بعد مائةِ عامٍ من نشرِه. وبشكلٍ مشابهٍ قد أبقى دارُ نشر Arno's New York Time موسوعةَ الأُستاذين John M Clintock وJames Strong المتعدِّدةَ الأجزاء والمعروفةَ بـ «الموسوعةِ اللاهوتيّةِ والتفسيريّةِ Theological and Exegetical Encyclopedia» متوفّرةً في الأسواق. إنّ الطّبعةَ الرئيسةَ للمؤلّفاتِ المسيحيّةِ التّراثيّةِ باللّغةِ الصينيّةِ تمّت في جامعةِ درو Drew قبل خمسين عامًا وما زالت متوفّرةً في الأسواق. فهذه الجامعةُ أمّنت القيادةَ والمساحةَ والمكتبةَ والمساعدةَ في العملِ العلميِّ، والخِدْماتِ الّتي مكّنت هذه المشاريعَ العالميّةَ المعمَّرةَ مِنْ أنْ تتحقّق.

لقد فضّلَ المُحسِنون الأسخياءُ أنْ يبقَوا مجهولي الاسم. فكانوا على اطّلاعٍ تامٍّ ومُساهمين فعّالين في صياغةِ مفاهيمِ هذه السّلسلةِ وفي تطويرِها، ومؤيّدين أقوياءَ ومستشارين في دعمِ هذا الجهْدِ المُضْني والطّويلِ الأمد. فهذه السّلسلةُ بُورِكت بمساعدةٍ كريمةٍ مستمرّةٍ، فكانت مصحوبةً بمواهبِ العنايةِ الإلهيّةِ الّتي لا تُحْصَى.

Thomas C. Oden

Henry Anson Buttz Porfessor of Theology, Drew University

General Editor, ACCS

دليلٌ لاستعمالِ هذا التّفسير

أُدْخِلت ميزاتٌ متعدّدةٌ في تصميمِ هذا التَّفسير. ولذلك جاءتِ الملاحظاتُ التاليةُ لتُساعِدَ القارئَ على الإفادةِ من هذا المُجلَّدِ إفادةً كاملةً.

فقراتُ الكتاب

قُسِّمَ النَّصُّ الكتابيُّ إلى فقَراتٍ ومقاطعَ متعدّدةِ الآيات. وأُعطِيَتْ هذه الفِقراتُ عناوينَ تَظْهَرُ في بَدْءِ كُلِّ فِقْرةٍ، مثلاً، الفِقرة الأُولى في تفسيرِ متّى ١- ١٣ هي ١: ١- ١٧ «سِجلُّ نَسَبِ يسوعَ المسيح». تلي العنوانَ فِقْرةٌ كتابيّةٌ تمتدُّ عَرْضًا من جَانبِ الصفحةِ إلى جانبِها الآخر. ولقد وُضِعَ النَّصُّ الكتابيُّ بكاملِه تسهيلاً للقارئ، والغايةُ منه أيضًا استرجاعُ المُنْتَخَباتِ العصر-أوسطيّة الّتي رُتِّبَتْ على أَساسِها الاقتباساتُ الآبائيّة للنّصِّ الكتابيِّ.

ملخَّصٌ عامٌّ عن الموضوع

يأتي بعدَ كُلِّ نصٍّ من نصوصِ متّى مُلَخَّصٌ عامٌّ عن الموضوعِ الأَساس كما نَجِدُه عند المُفَسِّرين المسيحيِّين القُدماء. تختلفُ صيغةُ هذا المُلَخَّصِ من مجلَّدٍ إلى آخر استنادًا إلى مُتطلَّباتِ كُلِّ سِفْرٍ من أَسفارِ الكتابِ المقدَّس.

وهذا المُلَخَّصُ يُقدِّم موجزًا لكُلِّ التَّفاسيرِ الّتي تليه، فيُظهِرُ خيوطَ التّماسكِ المنطقيِّ بين هذه التَّفاسيرِ الآبائيّة، رغم أَنَّها مستقاةٌ من مصادر مختلفةٍ ومن أَجيالٍ متعدِّدَةٍ. إذًا، هذه الملخَّصاتُ لا تَتَتابَعُ زمنيًّا ولا تتَتَالى بحسب الآياتِ، بل تَسْعَى إلى أَنْ تَنْهَجَ نهجَ التَّفسيرِ الآبائيِّ لهذه الفِقْرةِ.

إنَّنا لا نَفْتَرِضُ أَنَّ المفسِّرين أَنفسهم عبَّروا عن نظرةٍ مَنْهَجيّةٍ تسلَّموها رسميًّا، ولكنَّ نظراتِهم المختلفةَ أحيانًا تَتَدَفَّقُ تدفُّقًا جديرًا بالثِّقَةِ والتَّقْدير. فالقُرَّاءُ المعاصرون يُمكنُهم أَنْ يلمسوا الاستمراريّةَ في تدفُّقِ التقاليدِ التَّفسيريّةِ المختلفةِ الّتي تُمثِّلُ أجيالاً مختلفةً ومواقعَ جغرافيّةً متعدِّدةً.

عناوينُ الموضوعات

هناك فَيْضٌ من التّفاسيرِ الآبائيَّة المتعدِّدةِ لكلِّ مقطعٍ من مَقاطعِ هذا الأدبِ الكتابيِّ. من هنا جزَّأْنا الفقَراتِ وَفقًا للموضوعاتِ بحيث إنّنا قسَمنا الآياتِ أحيانًا إلى اثنين. فهناك الآيةُ مع عناوين الموضوعات. ومِنْ ثَمَّ تركّزَ التّفسيرُ على أوجهِ كُلِّ آيةٍ مع عناوين تُلخّصُ جوهرَ التّفسيرِ الآبائيِّ اللاحقِ بذكرِ جملةٍ رئيسةٍ أو استعارةٍ أو فكرة. هذه الميزةُ تمدُّ جسرًا يَعْبُرُ عليه القارئُ المعاصرُ إلى قلبِ التّفسيرِ الآبائيّ.

تَعيينُ النُّصوص الآبائيّة

بَعْدَ ذِكر عنوانِ موضوعِ كلِّ مقطعٍ تفسيريٍّ أوردْنا اسم المفسِّر الآبائيِّ للمَقْطَع. ومِنْ ثَمَّ وضعْنا التَّرجمة للنَّصِّ الآبائيِّ. يلي ذلك عنوانُ العَمَلِ الآبائيِّ ومَرجِعُ النَّصِّ–الكتاب، الفِقْرة، الجزْء أو مَرجِع الآية.

الحواشي

إنَّ القرّاء السَّاعين إلى دراسةٍ أَعمقَ لأدبِ الآباءِ الواردِ في هذا التّفسيرِ سيَجدون الحواشي قيِّمة جداً. فرقمُ النَّصِّ يدُلُّ على الحاشيةِ في أَسْفَلِ الصَّفحة، حيث يجدُ القَارئُ مرجع اللّغةِ الأَصليّةِ للنّصِّ بالإضافةِ إلى توضيحٍ له وذكرٍ للآيةِ الكتابيّة. دائمًا يذْكرُ المرجعُ (عادة عنوان الكتابِ والمجلّد ورقم الصَّفحة) إلاّ إذا كان هناك تفسيرٌ مذكورٌ لكُلِّ آية، وفي هذه الحالةِ فإنَّ المرجعَ الكتابيَّ يَشيرُ إشارةً مباشرةً إلى ما انتخبناه من النُّصوص. وهناك أَيضًا لائحةٌ بالمُختَصرات المُعْتَمدَة. أمّا في حالِ وجودِ غُموضٍ شديدٍ أو مُشكلةٍ نصِّيَّةٍ في المختاراتِ الآبائيّة، فقد دقّقنا فيها وَفْقًا لأفضلِ تقليدٍ نصِّيٍّ مُتيسِّرٍ لنا.

ولتسهيلِ مُستخدِمي بنوكِ المعلوماتِ الحاسوبيّةِ والرقميّةِ فإنَّ المراجع إلى موسوعةِ المترادِفِ والمتوارِدِ للُّغةِ اليونانيّةِ (Thesaurus Linguae Graecae (TLG أو إلى مركزِ النُّصوصِ والوثائقِ اللاتينيّة (Centre de Textes et Documents (Cetedoc, Clclt قد وَرَدَت في المُلْحَقِ. وهناك أَيضًا لائحةٌ بالمراجعِ المُسْتَعْمَلةِ في كلِّ مُجلَّدٍ.

المُخْتَصَراتُ المُعْتَمَدة

ACW Ancient Christian Writers: The Works of the Fathers in Translation. Mahwah, N.J.: Paulist, 1946-.

ANF A. Roberts and J. Donaldson, eds. Ante-Nicene Fathers. 10 vols. Buffalo, N.Y.: Christian Literature, 1885-1896. Reprint, Grand Rapids, Mich.: Eerdmans, 1951-1956; Reprint, Peabody, Mass.: Hendrickson, 1994.

CCL Corpus Christianorum. Series Latina. Turnhout, Belgium: Brepols, 1953-.

CS Cistercian Studies. Kalamazoo, Mich.: Cistercian Publications, 1973-.

FC Fathers of the Church: A New Translation. Washington, D.C.: Catholic University of America Press, 1947-.

GCS Die griechischen christlichen Schriftsteller. Berlin: Akademie-Verlag, 1897-.

MA *Miscellanea Agostiniana*. 2 vols. Edited by Antonio Casamassa. Rome: Tipografia Poliglotta Vaticana, 1930-1931.

MKGK *Matthus-Kommentare aus der griechischen Kirche*. Edited by Joseph Reuss. Berlin: Akademie-Verlag, 1957.

NPNF P. Schaff et al., eds. A Select Library of the Nicene and Post-Nicene Fathers of the Christian Church. 2nd series (14 vols. each). Buffalo, N.Y.: Christian Literature, 1887-1894; Reprint, Grand Rapids, Mich.: Eerdmans, 1952-1956; Reprint, Peabody, Mass.: Hendrickson, 1994.

PG J.-P. Migne, ed. Patrologiae cursus completus. Series Graeca. 166 vols. Paris: Migne, 1857-1886.

PL J.-P. Migne, ed. Patrologiae cursus completus. Series Latina. 221 vols. Paris: Migne, 1844-1864.

PL Supp A. Hamman, ed. Patrologia Latinae Supplementum. Paris: Garnier Frères, 1958.

PO Patrologia Orientalis. Paris, 1903.

RB *Revue bénédictine*. Belgium: Abbaye de Maredsous, 1884-.

SC H. de Lubac, J. Daniélou et al., eds. Sources Chrétiennes. Paris: Editions du Cerf, 1941-.

SSL Spicilegium Sacrum Lovaniense: Etudes et Documents. Université Catholique. Louvain, 1922-.

WSA J. E. Rotelle, ed. *Works of St. Augustine: A Translation for the Twenty-First Century*. Hyde Park, N.Y.: New City Press, 1995.

مُقدِّمَةٌ للإنجيلِ كما دوَّنه متّى

بين الأناجيلِ الأربعة لقانونِ العهدِ الجديدِ كان إنجيلا متّى ويوحنّا أكثر الأناجيل تلاوةً، ولذلك فُسِّرا على نحوٍ واسعٍ في العصْرِ الآبائيّ. فقبْلَ إنجيلِ يوحنّا بدأَ المؤمنون باستعمالِ إنجيلِ متّى. نتيجةً لذلك، لا يكونُ من عواهنِ الكلام أنّ المؤمنين الّذين عاشوا بين نهايةِ القرنِ الأوّلِ ونهايةِ القرنِ الثاني قد عرفوا كلامَ المسيحِ وأعمالَه على أساس هذا النّصّ.

في نهايةِ القرنِ الأوّلِ أظهرَ «تعليمُ الرُّسل الاثني عشر Didache» معرفةً مباشَرةً بهذا الإنجيل. وبعدَ بضعِ سنواتٍ فقط أشارت إليه رسالةُ برنابا أنّه كتابٌ مُقدَّسٌ مُلْهَمٌ: «فليس من عواهنِ الكلامِ أنْ يكونَ الكثيرون منّا، كما كُتِبَ، مدعوِّين، والقليلون مُخْتارين» (برنابا ٤: ١٤ [متّى ٢٢: ١٤). تعودُ الإشارةُ الواضحةُ الأُولى إلى هذا الإنجيلِ إلى العقْدِ الثالثِ من القرنِ الثاني، ذكرَها بابياس أُسقفُ هيرابوليس (فريجيا) فقالَ: «كتَبَ متّى الأقوالَ الإلهيّةَ باللُّغةِ العبريّةِ، وفسَّرها كلٌّ واحدٍ على قدْرِ استطاعته» (إفسافيوس، التاريخُ الكنسيُّ ٣. ٣٩. ١٦). وبمرورِ الوقتِ أصْبحَ استعمالُه مألوفًا أكثر، فأبْرزَ الاهتمامَ المتزايدَ بكلامِ يسوعَ وأعمالِه، لاسيّما بالموعظةِ على الجبل. وبالإضافةِ إلى أصْداءٍ بسيطةٍ لنصِّ متّى، تظهرُ اقتباساتٌ واضحةٌ منه عند القدّيس يوستينوس في مُنْتَصفِ القرنِ الثاني. إنّنا مدينون للقدّيس يوستينوس في وصفِه للاحتفالِ بسرِّ الشُّكرِ أثناءَ إقامتِه المؤقّتةِ في روما (المُنافحَةُ الأُولى ٦٧)، ومُتيَقّنون من أنّه أشارَ، وهو يذكرُ الرُّسلَ، إلى أنّ إنجيل متّى كان يُتلى في أثناءِ إقامةِ سرِّ الشُّكر. وبعْد عقودٍ، أي حوالى السنة ١٩٠ م، وُضِعَ القانونُ الجامعُ للعهدِ الجديدِ، فصُنِّفَ إنجيلُ متّى عند المؤمنين، وأيضًا عند أهْلِ النِّحلةِ العرفانيِّين، في الدرجةِ الأُولى وتَبعَتْهُ الأناجيلُ الأُخرى.

كان إيريناوسُ أوّلَ مؤلِّفٍ شهدَ لوضْعِ قانونِ العهدِ الجديدِ.كان يَرجعُ باستمرارٍ إلى إنجيلِ متّى، وإلى الأسفارِ الأُخرى، اعتبارًا أنّها كُتبٌ مُلْهَمَةٌ على شاكلةِ أسْفارِ العهْدِ القديم. وقد اقتَفى أثرَه مؤلِّفون لاحقون أمْثال هيبوليتوس وترتليان وكِبْريان ونوفتيان وغيرهم. والحقُّ أنّ هؤلاءِ الكتّابَ استعْملوا بانتظامٍ كلا العهْدين القديمِ والجديدِ في دفاعِهم عن الإيمانِ ضدَّ أهْلِ النِّحْلَةِ وفي تعليمِهم لجماعةِ الإيمانِ وفي نُصْحِهم النُّسكيّ والخُلقيّ والتعبُّديّ لهم. استعمالٌ كهذا يحْملُ تفْسيرًا للمقاطعِ الكتابيّةِ بما يُناسِبُ فِكْرَ المؤلِّف. أمّا الكثْرةُ الكاثرةُ منَ المؤلِّفين المذكورين فكان تفْسيرُهم ضمنيًّا، أي لا يُقدَّمُ كهدفٍ بحدِّ ذاتِه ولا تدفعُه أهدافٌ تفسيريّةٌ حصْريّةٌ مستقلّةٌ، بل يُقدَّمُ بعلاقتِه بالموضوعِ الّذي يَتناولونَه، بحيث إنّ ما من أحدٍ يقدرُ على أنْ يعتبر هذا النّوعَ من العملِ مجرّدَ أدبٍ تفسيريّ. ومع ذلك، في العامِ ١٦٠، وَضعَ هيرقليون الفلنتيانيّ

العِرْفانيُّ تفْسيرًا منهجيًا لإنجيل يوحنّا، وفي نهايةِ ذلك القرنِ عرّفَ هيبوليتوس بهذه البِدعة في الغَرْبِ، مُوْرِدًا نصوصًا مُعيَّنةً تخدِمُ تفسير النَّصِّ الكتابيِّ بالرُّجوعِ إلى نُصوصِ العَهْدِ القديمِ.

لأَجلِ الوصولِ إلى التَّفسيرِ المنهجيِّ الأوَّلِ لمتّى يجب أنْ نَنْتَظِرَ ظهورَ أوريجنِّس العام ٢٤٠. وباعتبارِ أنَّ الأدبَ التَّفسيريَّ نَمَا في الغربِ بشكلٍ كبيرٍ مِثْلما نَمَا في ما بعد في الشرقِ، فعلَينا أنْ نَنْتَظِرَ أكثر من قرنٍ لظهورِ التَّفسيرِ الأوَّلِ لمتّى في اللُّغةِ اللاتينيَّةِ، على يدِ هيلاريون أُسقف بواتيه. بعد ظهورِ هذه الأعمالِ الرائدةِ، كثُرَ تفسيرُ إنجيل متّى، مع أنَّ الكثيرَ من هذا الأدبِ التفسيريِّ، لاسيّما ما كُتِبَ في اليونانيَّةِ، وصَلتنا أَجزاءً متفرِّقة. سنُقدِّمُ في الجزءِ الثاني من المُقدَّمةِ تفاصيلَ عن النُّصوصِ المُستعمَلَةِ في هذه المجموعةِ. أمَّا الآن فإنَّنا سنُقوِّمُ خاصِّيّاتِ هذا الأدبِ التفسيريِّ المميَّزِ لمتّى، مُراعين الشَّكْلَ الخارجيَّ للكتاباتِ المتعدِّدةِ وطرائقَ التَّفسيرِ التي ركَنَ إليها المؤلِّفون المتعدِّدون.

النُّصوصُ الّتي تُفسِّرُ إنجيلَ متّى وتَشْرَحُهُ وَصَلَتْنا في شكلِ تفاسيرَ ومواعظ. بعبارةِ «الشَّرحِ التَّفسيريِّ» نَعْني التَّفسيرَ المنهجيَّ المُستَمِرَّ لكلِّ سِفْرٍ كتابيٍّ أو جُزءٍ منه. عبر هذا التَّعبيرِ العامِّ نَعْرِفُ أنَّ للتَّفاسيرِ أُصولاً مختلفةً. فتصوَّرَ بعضُهم أنَّ الغايةَ الوحيدةَ لكتابةِ التَّفاسيرِ ونشرِها هي مطالعتُها. لذلك قدَّمَ الآخرون سَلاسِلَ مُتجانسةً لمواعظَ أُعيدَتْ صياغتُها، وأُعِدَّت للنَّشْرِ في عَرضٍ مُستمرٍّ من أَجْلِ إبرازِ التَّلاحُمِ بين المقاطعِ المتفرِّقةِ من موعظةٍ إلى أُخرى. فتفرَّعتِ التَّفاسيرُ الأُخرى عبر إيضاحاتٍ كانت تُعلَّمُ في المدارسِ بعد أنْ أُعيدتْ صياغتُها بقَصْدِ نشرِها. تفسيرُ أوريجنِّس لمتّى يَنْتَمي إلى الصِّنْفِ الأَخيرِ. أمَّا شَرْحُ هيلاريون وجيروم فينتمي إلى الصِّنفِ الأوَّلِ، في حين كانتِ الأمثلةُ على النَّوعِ الثاني–أي على الشَّكلِ التَّفسيريِّ المُفضَّلِ عند أمبروسيوس– غائبةً. فالشَّكلُ الأدبيُّ للتَّفسيرِ المسيحيِّ الكتابيِّ كان مُشابِهًا للتَّفسيرِ الوَثنيِّ السكولاستيِّ، الّذي كان إمَّا لُغويًّا أو فلسفيًّا، اعتمادًا على ما إذا كانتِ النُّصوصُ المُفسَّرةُ أدبيّةً أو فلسفيّةً. وبالنسبةِ إلى مُسْتَخدِمي النَّموذجِ اللُّغويِّ فقد كان شرحهُم البليغُ وجيزًا، في حين كان هناك شرحٌ أوسع وحريّةٌ أكبر عند الّذين طوَّروا النَّموذجَ الفلسفيَّ.

كانت بنيةُ هذه الشُّروحِ التفسيريّةِ بسيطةً. فالنَّصُّ المُفسَّرُ كان مُقسَّمًا إلى مقاطعَ احتلَّتْ في طولِها مِنَ الإيجازِ أَسطُراً عدّة. وقد أُلْحِقَ كلُّ مقطعٍ بتفسيرٍ يُوضِحُ معناه وكلَّ تفاصيلِه الرئيسةِ. فأَعْطَتْ بَساطةُ البنيةِ الأَدبيّةِ حريّةَ التَّصرُّفِ بمداها، فَوَصَلَ عَدَدُها إلى خمسةٍ وعشرين كتابًا تفسيريًّا وَضَعَها أوريجنِّس بالإضافةِ إلى تَفْسيرِ هيلاريون في كتابٍ مُنْفَرِدٍ. كان هناك أُسلوبٌ مختلفٌ للتَّفْسيرِ سُمِّي بالمُقْتطفاتِ، وهذه أمْسَت واسعةَ الانتشارِ في العالمِ النَّاطقِ باليونانيّةِ، ابتداءً من القرنِ السادس. جُمِعَت هذه التَّفاسيرُ الكتابيَّةُ من مقاطعِ الأعمالِ التَّفسيريّةِ السابقةِ، ورُتِّبَت هكذا لتُؤلِّفَ تفاسيرَ متعدِّدةً لكلِّ نصٍّ، ووُضِعَ اسْمُ مؤلِّفها. وبما أنَّ مُعظمَ الأدبِ التَّفسيريِّ اليونانيِّ قد ضاعَ، فإنَّنا نَتعرَّفُ عبر هذه المُقْتَطَفاتِ إلى العديدِ من التَّفاسيرِ، منها تفاسيرُ الدَّرجَةِ الأُولى. وأَمَّا في ما يخصُّ إنجيلَ متّى، فهذا يَصِحُّ على أبولِناريوس أُسقفِ اللاذقية وثيودورَ أُسقفِ هيراقلية وثيودورَ المبسوستيِّ وكيرلُّسَ الإسكندريِّ.

وفي رجوعِنا إلى المواعظ، يجب أنْ نُميِّزَ أوّلاً بين المواعظِ المُتَسَلْسِلةِ serial والمواعظِ المُنْفَرِدةِ discrete. فالمتسلْسِلةُ منها تُمثِّلُ مجموعة مواعظَ أُلقيت في مدّةٍ وجيزةٍ لتُفَسِّرَ بطريقةٍ منهجيّةٍ سِفْرًا كتابيًا كاملاً أو جزءًا كبيرًا منه. مجموعاتٌ كهذه لا تَخْتَلِفُ في محتواها عن تفاسيرَ ناشئةٍ عن مواعظَ مُتَناسقةٍ مُتَسَلْسِلةٍ. فالاختلافُ هو في تحسينِ المواعظِ المُتسلسِلةِ تحسينًا قليلاً بالمقارنةِ مع ذاك النّوعِ للتّفسير، الّذي عبره تُحافِظُ المواعظُ على خصائصِها المميَّزةِ والمختلفةِ عن غيرِها–حتّى في تتابُعِها المترابطِ جدًّا– في استمراريّةِ النَّصِّ المُفسَّر. بالنسبةِ إلى متّى، إنَّ أفْضَلَ نموذجٍ مميّزٍ للموعظةِ المتسلْسِلةِ نجدُه في مواعظِ الذهبيِّ الفم التسعين، الّتي تتناولُ الإنجيلَ بكاملِه. في العالمِ اللاّتينيِّ، علينا أنْ نَتَذكَّرَ مجموعةَ مواعظَ (tractatus) وَضعَها كروماتيوس أكويليا Chromatius of Aquileia إلى جانبِ هذه المجموعاتِ المُتَسَلْسِلةِ الكاملةِ هناك مواعظُ منفردةٌ عديدةٌ: أوّلاً المواعظُ المُتفرِّعةُ مِنْ مواعظِ الآحادِ، الّتي ألْقاها وعّاظٌ عديدون من أُوغسطينَ إلى سويروسَ الأنطاكيِّ، ومن إفسافيوسَ الحمصيِّ إلى غريغوريوسَ الكبير. إنَّ لمثْلِ هذا التّفسيرِ هدفًا تعليميًّا، غير أنَّ الموعظةَ تُضيفُ بُعْدًا خُلُقيًا نُصحيًا وتهذيبيًا (كما يبدو من عظاتِ يوحنّا الذهبيِّ الفم). رغم هذه الصِّفةِ المركّبةِ، فالموعظةُ الآبائيةُ على نَصٍّ كتابيٍّ لا تَفقدُ بُعْدَها التّفسيريَّ الهادفَ إلى شرحِ النّصِّ.

بهذا المعنى كانَ أوريجنّس مُبْدِعًا. ولأنّه بدأَ يُلْقي مواعظَه في عُمْرٍ مُتقدّمٍ نسبيًا، فإنّه أدْخَلَ إلى الموعِظةِ الهدفَ التفسيريَّ، مُقسِّمًا النُّصوصَ الكتابيّةَ إلى مقاطعَ لشرْحِها لجمهورِ المُستمعين، فكان شَرْحُهُ مُتكاملاً. لذلك أطْرى جمهورُ المستمعين طريقتَه في شَرْحِ النَّصِّ الإنجيليِّ. وفي مَرْحلةٍ لاحقةٍ، ضمَّ الهدَفانِ النُّصحيُّ والتّعليميُّ فَسادا مواعظَه. ومن جرّاءِ ذلك انتشرت عادةُ تقسيمِ التّلاوةِ الإنجيليّةِ إلى مقاطعَ مُتعدِّدةٍ بإضافةِ شروحٍ ذاتِ صِلَةٍ بها، وبذلك حُفِظَت أهمِّيَّةُ الموعظةِ التّفسيريّةِ. وهذا حالَ دونَ أنْ تُصْبِحَ تلاوةُ النُّصوصِ الإنجيليّةِ في الخِدَمِ الطقسيّةِ ذريعةً لتفاسيرَ عامّةٍ تُخاطِبُ العواطفَ وحدَها.

تفسيرُ النَّصِ الكتابيِّ مَقْطَعًا مَقْطَعًا صُمِّمَ لإيضاحِ معناه للقرّاءِ والمستمعين. فتنوّعَتْ هذه الإيضاحاتُ تَنَوُّعًا واسعًا، استنادًا إلى قدرةِ المُفسِّرِ والبيئةِ الفكريّةِ المتأثِّرِ بها. وفيما نعترِفُ بالتّعقيدِ في تاريخِ التّفْسيرِ الإنجيليِّ الآبائيِّ، فإنّنا نُميِّزُ بشكلٍ عامٍّ التّفسيرَ المَجازيَّ من التّفسيرِ الحرفيِّ. فالتّفسيرُ الحرفيُّ يهدِفُ إلى الإيضاحِ المباشَرِ للنّصِّ، لكي نَسْتَنْبِطَ المعنى الّذي نُسمّيه اليوم المعنى «التاريخيّ». ومع ذلك، فهذا النّوعُ التّفسيريُّ، رغم مِن توضيحاته الضروريّةِ للطّبيعةِ التاريخيّةِ–الجغرافيّةِ والأثريّةِ، يُمْكِنُ توسيعُه على مستوياتٍ متفاوتةٍ من حيثُ التّدقيقُ والتّمعُّنُ، وفي طرائقَ مختلفةٍ ونتائجَ متعدِّدةٍ (يقدِرُ القارئُ المهتمُّ على أنْ يفْعلَ ذلك باستشارةِ النُّصوص). سأَقْتَصِرُ في حديثي على إلقاءِ نَظرةٍ سريعةٍ إلى بَعْضِ المشاكلِ العامّةِ المحدَّدةِ والنّزعاتِ التّفسيريّةِ بشأْنِ تفسيرِ إنجيلِ متّى.

تتألّفُ الطريقةُ التّقليديّةُ لتفسيرِ الكتابِ بالكتابِ، ونقلِ التّقْنيَّةِ اللُّغويّةِ الّتي فَسَّرت هوميروس بهوميروس إلى تفسيرِ الإنجيلِ بربْطِ مقطعٍ معيَّنٍ منه بمقاطعَ متوازيةٍ من الأناجيلِ الأُخرى. هذا يَتِمُّ

لغرضَين: أوّلاً، لسَعي المؤلِّف إلى شَرْحِ الاختلافاتِ بين الأناجيلِ في سَرْدِ الرِّوايةِ ذاتها، إذا ما فسَّره تفْسيرًا حَرْفيًّا (رواياتُ ما بعدَ الفصح). ثانيًا، لاستخدامِ تفاصيلَ موجودةٍ في إنجيلٍ واحدٍ لتوضيحِ معْنَى نصٍّ آخرَ غيرِ مُفصَّل. على سبيلِ المثال، يُلاحظُ كيرلّس (المقطع ٢٩٠) أنَّ يسوعَ، أثناءَ العشاءِ الأخير، قدَّس الخبزَ والخمرَ بعْدَ أنْ غادر يهوذا المكان. هذه التّفاصيلُ لا تظْهرُ في متّى، لكنَّ كيرلّس وجدَها في يوحنّا ونقلها ليُوضِحَ نصَّ متّى. أمّا إنجيلُ متّى فيَبْذُلُ جهْدًا عظيمًا ليُشيرَ بصورةٍ منْهَجيّةٍ إلى كيفيّةِ إتمامِ نُبوءاتِ العهدِ القديمِ في أعمالِ يسوع. هذه النّزعةُ أكّدها المفسِّرون بإسنادِ مصادرِها إلى نصوصٍ أُخرى من العهدِ القديم، لكي تُظْهرَ أنَّ التّدبيرَ الإلهيَّ الفاعلَ في زمنِ العهدِ القديم، والهادفَ إلى خلاصِ الإنسانيّةِ كلِّها، قد تمَّ في المسيح. فهَدَفُ كلِّ مُفسِّرٍ هو أنْ يُظْهِرَ أنَّ أعمالَ المسيحِ وأقوالَه قد جرَت وفْقَ المُخطَّطِ الإلهيِّ، ذلك عبر العَلاقةِ بين يسوعَ والنّاس، وعبر خصامِه مع السّلطاتِ اليهوديّةِ، وعبر تَسلْسُلٍ تَنامَى نحو الخاتمةِ الّتي كانت غايتَه منذ بدْءِ نشاطِه العامّ. يجب، مرّةً ثانيةً، التأكيدُ أنَّ الجدلَ الثالوثيَّ والمسيحانيَّ في القرنِ الرابعِ أثّر على بنودِ اعترافِهم بالإيمانِ بالله وبالمسيحِ وبالثالوث. بهذا المعنى كان يوحنّا الذهبيُّ الفمِ وهيلاريون وجيروم وكروماتيوس حُرَصاءَ على تأْكيدِ أُلوهيّةِ المسيحِ الكاملةِ ومساواتِه للآب، فيما يُلاحِظُ المرءُ اهتمامَ كيرلّس بتأكيدِ وجودِ الطبيعتين الإلهيّةِ والإنسانيّةِ في المسيحِ المتجسِّد.

نُلاحِظُ مباشرةً الاستعمالَ المُتكرِّرَ للتّفسيرِ المَجازيِّ allegorical interpretation بين مُفسِّري متّى، الأمرُ الّذي يَسْتَهْجِنُه القارئُ المُعاصِرُ لجَهْلِه به ولتأثُّره بالنَّهجِ التاريخيِّ المهيمنِ في عصرِنا. لذلك كانَ مُفيدًا أنْ نُصدِّرَ مناقشةَ ملاحظاتٍ عامّةٍ عدّة. أُشيرُ بالدّرجةِ الأُولى إلى ما شَعرَ به الجيلُ الأوّلُ من المسيحيّين وهو ضرورةُ إثباتِ الطبيعةِ المسيانيّةِ للمسيحِ ضدَّ اليهودِ على أساسِ تثبيتِ نبوءاتِ العهدِ القديم. في هذا المُناخِ من الخلافِ يَصوغُ بولسُ فكرتَه القائلةَ إنَّ المسيحَ يُمثِّلُ مفتاحَ التّفسيرِ الرُّوحيِّ للعَهْدِ القديم، الّذي فَهِمَه اليهودُ فهمًا حرفيًّا. تفسيرٌ من هذا النّوعِ يَتضمّنُ استعمالَ التّفسيرِ المجازيِّ، الّذي كان نصُّ غلاطية ٤: ٢٤ مثالاً له. فيَبْحثُ عن المسيحِ في العَهْدِ القديم، وعندما يكونُ التّفسيرُ الحرفيُّ ناقصًا يُستَخْدَمُ المَجاز. بهذه الطريقةِ يُشيرُ الحدثُ التاريخيُّ في معْناه الرّوحيِّ، دون المساسِ بأهمّيّة المعنى الحرفيِّ، إلى المسيحِ والكنيسةِ إشارةً رمزيّةً ونبويّةً: إسماعيل وإسحق، بالإضافةِ إلى حقيقتِهما التاريخيّةِ، يُمثّلان رمزيًّا اليهودَ والمسيحيّين. هذا التّفسيرُ يُسمِّيه العلماءُ المعاصرون التّفسيرَ الرمزيَّ typological (١ كور ١٠: ٦) الّذي به يُفْتَرَضُ أنَّ أحداثَ العهدِ القديمِ وأشخاصَه تُطابقُ أحداثًا وأشخاصًا في العهدِ الجديد.

انتَشرَ هذا النّوعُ من التّفسيرِ المسيحيِّ للعهدِ القديمِ انتشارًا تصاعديًّا، وبلَغَ قِمّتَه في الجدلِ ضدَّ العرفانيّين والمرقيونيّين (في القرن الثاني). فثنائيّتُهم الجذريّةُ أوصَلَتهم إلى التّفريقِ بين الإلهِ الأعلى المُعْلَن بيسوعَ، وبين الله الأدْنى، خالقِ العالم، فكان أنْ أنْكروا الإعلانَ الحقيقيَّ والموثوقَ به في العهدِ القديم. هذا الاتّجاهُ أمْلاه الشُّعورُ الناتجُ من عدمِ اهتمامٍ بأسْفارِ العهدِ القديمِ أو من كُرهٍ لها، بسببِ عبريّتِها الّتي تجْعلُ المسيحيّين المُهتدين بأعدادٍ كبيرةٍ من الوثنيّةِ غُرباءَ ودُخلاءَ. شدَّدتِ التّفسيراتُ على أنَّ العَهْدَ

القديم، برموزه ونبوءاته، بشَّر بمجيءِ المسيحِ على الأرض. هذا ما أدّى إلى الرُّكونِ إلى التَّفسيرِ المجازيِّ تفسيرًا عارمًا كمَا نلْمسُه لمَسَ اليدِ في مؤلَّفاتِ إيريناوس وهيبوليتس وترتليان.

لقد وَجدَ هذا النَّمطُ التَّفسيريُّ في الإسكندريَّةِ حقْلاً خَصبًا. ففي الإسكندريّةِ كانتِ الثقافةُ ذاتُ الأُصولِ اليهوديَّةِ–الهلينيّةِ تُعْنى بأنْ تجْعَلَ الفلسفةَ اليونانيَّةَ والعهدَ القديمَ مُتجانسين عبر تفسيرِ فيلون المجازيِّ الضَّخم. بين نهايةِ القرنِ الثاني ومنتصفِ القرنِ الثالث، نقَلَ إقليمس تقليد فيلون في التَّفسيرِ إلى الدائرةِ المسيحيَّةِ، واضعًا إيّاه بجانبِ التَّفسيرِ الرَّمزيِّ التقليديِّ. ومنْ ثمّ وَحَّدَ أوريجنّس هذه الطرائقَ المتعدِّدَةَ لتفسيرِ العهدِ القديم، وجعَلَها مُتماسكةً ومُنظَّمةً، على أساسِ خُطَّةٍ فلسفيَّةٍ ذاتِ أُصولٍ أفلاطونيّةٍ. استنادًا إلى هذه الخُطَّةِ، كان التمييزُ بين مستويَين من الحقيقةِ – المستوى الحسيِّ والمستوى العقليِّ – يتضمَّنان تفسيرًا أدْنى وتفسيرًا أعْلَى. التَّفسيرُ الأدنى يُوضِحُ المَعْنَى الحرفيَّ المُحدَّدَ لفائدةِ المؤمنين العاديِّين. التَّفسيرُ الأعْلَى مُعدٌّ لإلقاءِ ضوءٍ–باستعمالِ التِّقنيَّةِ المجازيَّةِ– على المَعْنَى الرّوحيِّ الخفيِّ تحت حجابِ الكلماتِ لفائدةِ المؤمنين الموهوبين النشاط. فالاعتقادُ المُتَوارثُ من فيلون، وهو أنَّ النَّصَّ المقدَّسَ يُنَفِّرُ القارئَ الفُضوليَّ، لأنَّ معناه العميقَ صعبُ المنالِ في رُموزِه وطرائقِ تعبيرِه الخفيَّةِ، أدَّى إلى استعمالِ التِّقنيَّةِ المجازيّةِ في تفسيرِ العهدِ الجديدِ. لقد انتشرَتْ هذه الطريقةُ في التَّفسيرِ كُلَّ الانتشارِ في الشَّرقِ ثُمَّ في الغربِ. غيرَ أنَّ البيئةَ الأنطاكيَّةَ عارَضَت في منتصفِ القرنِ الرابعِ هذه الطريقةَ (ديودور الطرسوسيّ وثيودور الموسوستي) وآثرَت قراءةَ النُّصوصِ المقدَّسةِ قراءةً حرفيَّةً على الإفراطِ الواضحِ في استعمالِ التَّفاسيرِ المجازيَّةِ. ولكنَّ المُستمعين فضَّلوا المجازيّةَ، لاسيّما في الوعظِ والواجباتِ الرَّعويَّةِ. وقد وافقهم أوغسطين على ذلك إذ إنّه لاحظَ أنَّ القُرّاءَ والمُستمعين يميلون إلى تفضيلِ الطريقةِ المجازيَّةِ المُغلَّفةِ المعاني على الأُسلوبِ المباشرِ.

بعد هذه الخلْفيّةِ التاريخيَّةِ، نلْجأُ إلى تفسيرِ إنجيلِ متّى المجازيِّ. لقد لاحظْنا حرِّيّةَ المُفسِّرِ العظيمة حيالَ النَّصِّ الّذي يشْرحُهُ. هذا حقيقيٌّ أكثر بالنسبةِ إلى تفسيرٍ ذي طبيعةٍ مجازيّةٍ، لاسيّما في ضوءِ القَناعةِ العامَّةِ عن الغِنى الوفيرِ في الكلمةِ الإلهيَّةِ sensus spiritalis multiplex est. فالمعاني الرّوحيَّةُ الغنيَّةُ يُمْكِنُ نسبتُها إلى مقطعٍ لا يسْتَثْني مقاطعَ أُخرى، بلْ يَبني عليها. نظرًا لهذه الحريّةِ والتنوّعِ، سأحْصُرُ ملاحظاتي بالميولِ العامّةِ.

البحثُ عن المعنى الخفيِّ تحت كلماتِ النَّصِّ الإنجيليِّ قد يتَّخِذُ اتِّجاهاتٍ متعدِّدةً. في الاتِّجاهِ العموديِّ، تأخُذُ أعْمالُ يسوع، وراءَ حقيقتِها الواقعيّةِ، معنىً روحيًّا: شفاؤه المرضى يدُلُّ على تحريرِهم من الخطيئةِ. في الاتِّجاهِ الأفقيِّ، سمحَ الارتباطُ بالماضي، أي بنصوصِ العهدِ القديم، للمؤلِّفين بأنْ يُبرِزوا جِدَّةَ الرسالةِ المسيحيَّةِ مقارَنةً بالتَّقليدِ العبريِّ، في حين أنَّ تطبيقَ كلامِ يسوع على زمانِهم نقَلَ تعاليمَهم إلى حياةِ الكنيسةِ اليوميّةِ. في التنوُّعِ الكبيرِ للمناهجِ التِّقنيّةِ الّتي يَستعْمِلُها المفسِّرون، سأُحدِّدُ مناقشتي في أربعةٍ منها شاعَ استعمالُها، وتاليًا وُجِدَت في نصوصِ مجموعتِنا.

أوّلاً، هناك رمزيّةٌ اشتقاقيّةٌ مبْنيّةٌ على اعتبارِ أنّ الاسمَ يُعبِّرُ أحيانًا عن طبيعةِ الموضوعِ المُعيَّنِ، إذ يتألَّفُ من استخلاصِ المَعْنى المجازيِّ من اشتقاقِ اسمٍ عبريٍّ، سواءٌ أكان شخصًا أمْ مكانًا.

ثانيًا، هناك رمزيّةٌ حسابيّةٌ مبْنيّةٌ على اعتقادٍ مُعْتَرَفٍ به في العالمِ القديمِ يشْمَلُ معانيَ الأرقامِ الغامضة، إلى جانبِ الأرقامِ الخاصّةِ المحدَّدةِ (خمس، سبع، عشر، أربعون، إلخ) ذاتِ المعاني الرمزيّة.

الثالث هناك خللٌ في المعنى الحرفيّ defectus litterae يتألَّفُ من ملاحظةِ وجودِ تعارُضٍ في النّصِّ أو عدم احتمالِ وقوعِ الحادثةِ، ومِنْ ثمَّ الانتقال إلى البحثِ، عبرَ المجازِ، عن معنى النَّصِ الحقيقيِّ الّذي يتِمُّ تفسيرُه.

الرابعُ هو تفسيرُ الكتابِ المقدّسِ بالكتابِ المقدّس. إنّه من المُهمِّ أنْ نُشيرَ إلى أنّ هذا النَّهْجَ، الّذي ذكرْناه بالعلاقةِ مع التّفسير الحرفيِّ، كان مُسْتَخْدَمًا أكثرَ لتقديمِ المعْنَى المجازيِّ عبر وَضْعِ النّصِّ المُمْتَحَنِ إلى جانبِ نُصوصٍ أُخْرَى ذاتِ علاقةٍ به لفظيّةٍ أو فِكْرِيّةٍ.

الكتاباتُ التّفسيريّةُ الرئيسةُ وَشَرْحُ متّى

بَعْدَ أنْ حدَّدنا الخطوطَ العريضةَ لخصائصِ تفسيرِ إنجيلِ متّى في العصرِ الآبائيّ، سندرسُ الآنَ دراسةً عامّةً، محافظين على الخطّةِ الثلاثيّةِ المعروضةِ، الأعمالَ الرئيسةَ الّتي تألّفت منها هذه المجموعة.

التّفاسير. لقد أشرتُ إلى أهمّيّةِ تفسيرِ أوريجنّس لمتّى في التّاريخِ التّفسيريِّ لهذا الإنجيل. فأحَدُ أعمالِه الأدبيّةِ الأخيرة (c. 245) لمْ يكُنْ (وَفقَ معرفتِنا) أوّلَ التّفاسيرِ المنْهَجيّةِ الموضوعةِ فحسب، بل كان أيضًا أطولَها بمقدارٍ كبيرٍ، إذْ وَصَلَ إلى خمسةٍ وعشرين مجلدًا، وصلتْنا منها مجلداتٌ عدّة من النّصِّ الأصليّ، المجلّد العاشر إلى السابع عشر. وهذه المجلّدات تبْدأُ بمتّى ١٣ :٣٦ وتَنتَهي بمتّى ٢٢ :٣٣. ابتداءً من المجلّدِ ١٢، الفصل ٩، يَصْحَبُ النّصَّ اليونانيَّ الأصليَّ نَصٌّ لاتينيٌّ قديمٌ يُعتقدُ أنّه يعودُ إلى بَدءِ القرنِ الخامسِ، وهو ترجمةٌ حَرفيّةٌ، مع حذفِ عددٍ من المقاطعِ وزيادةٍ عَرضيّةٍ لبعضِ المقاطعِ الأُخرى. ومن ٢٢ :٣٤ إلى نهايةِ ٢٧ وَصَلَنا عَرْضٌ لاتينيٌّ قديمٌ، يُسمّى بـ «مجموعةِ التّفْسير»، يزوِّدُنا بموجزٍ عن محتوى الكتبِ المفقودةِ، أي من ١٨ وما يليها. لقد استخدمَ جامعو المُقتطفاتِ الآبائيّةِ تفسيرَ أوريجنّس لمتّى استخدامًا واسعَ النِّطاق. فطبعةُ E. Klostermann تَشمَلُ أكثرَ من ٥٧١ مقطعًا مُخْتَلِفةَ الطُّول، مع أنّها قليلةُ الاستعمالِ أو غيرُ مستعملَةٍ، حيث نَمْتلِكُ النّصَّ الأصليَّ والخلاصةَ اللاتينيّةَ، لكنّها تَمُدُّنا ببعضِ المعرفةِ لتفسيرِ أوريجنّس لمتّى ١ :١–١٣ :٣٥ و٢٨ .

كما هي الحالُ في كُلِّ تفاسيرِ أوريجنّس الأُخرى، فإنّ تفسيرَ متّى مُسْتَمَدٌّ أيضًا من أماليَ دراسيّةٍ ألْقاها على الطلّابِ، ولذلك تَحْمِلُ سماتٍ هامّةً عن أُسلوبِ التّدريسِ المُستعْمَل. بالدرجةِ الأُولى هناك توسُّعٌ – حتّى لا نقولَ إسهابٌ – في الشّرْحِ، لا يَنْشأُ عن العنايةِ الّتي كان يُوضِحُ بها للطّلّابِ كُلَّ تفصيلٍ إنجيليٍّ، بل عن الأسلوبِ المُميّزِ الّذي تَطوّرَ فيه الشَّرْحُ. لقد كيَّفَ أوريجنّس شرحه وَفْقَ الأسلوبِ المستعْمَلِ في المدارسِ الوثنيّةِ الفلسفيّةِ، فاستَنَدَ إلى طريقةِ السُّؤالِ والجواب quaestiones وresponsiones. في هذه الطّريقةِ يُفَسَّرُ

النَّصُّ أوّلاً تفسيرًا حرفيًّا استنادًا إلى معناه الواضح والجليّ. ومن ثمّ يطرحُ أوريجنس السُّؤالَ المُستمدَّ أحيانًا من تفاصيل تقدّمُ عن النَّصِّ المُمتحن، لكنَّه مُستمدٌّ غالبًا من وضع هذا النَّصِّ إلى جانبِ نصٍّ آخر من الإنجيل، أو من سِفرٍ آخر يقترحُه النَّصُّ ذاته بشكلٍ من الأشكال. هذا قد يُمدُّ تدريجيًّا إلى مقاطعَ مرتبطةٍ به، تسمح للمُفسِّرِ بالدُّخول إلى أعماق النَّصِّ باستخدام سِلْسِلَةٍ من التَّفاسير المُقْتَرحَة، المضافةِ إلى بعضها البعض، لكي يكْتشفَ الطالبُ المعنى بنفسِه. يهْتمُّ أوريجنس اهتمامًا كبيرًا بالمُناقشةِ والاقتراح، أكْثر منْ تحديدِ الحقائقِ المقرَّرة. كثيرًا ما يتمُّ استكشافُ هذا النَّصِّ المفسّرِ عبْر تقنيَّةِ المجاز. وفي أيِّ حال، فهذا لا يصُحُّ دائمًا، حتّى عندما يكونُ التَّفْسيرُ الأوّلُ مجازيًّا (مثلاً في تفسير الأمثال)، فيُضافُ تفسيرٌ مجازيٌّ آخرُ أو أكثر، ذو طبيعةٍ دقيقة. إنَّ العنصر الرئيسَ في تفسير النَّصِّ المقدّس هو التمييزُ بين مستويَين من التَّفسير: تفسيرٍ أكثرَ سطحيّةً وآخرَ أكثرَ عُمْقًا يُمكنُ عبره التَّعبيرُ عنه في أكثر من تفسيرٍ واحدٍ مُقْترح.

إذا راعيْنا منطقَ التفسيرِ هذا ratio interpretandi نجِدُ أنَّ المواضيعَ المُعْتبرَةَ في تفسيرِ إنجيل متّى متنوّعةٌ إلى أبْعدِ حدّ. يكفي أنْ نُلاحظ النَّزعةَ إلى روْحنة spiritualize التَّفسيرِ، أي أنْ ننْسُب إلى أعمالِ يسوع معنًى يتجاوزُ الواقعَ المحض، وأنْ ننْقلَ المعنى التاريخيَّ لكلامِه إلى سياقِ تفسيرِ الكتابِ المقدّسِ (لم يفْهم الفرّيسيّون تعاليم يسوع وتعاليم الكتابِ المقدَّس كلِّه، لأنّهم كانوا عاجزين عن أنْ يتجاوزوا معْناه الحرفيّ). يجبُ على المرءِ أنْ يُلاحِظَ أيضًا اهتمامَ المُفسِّر بشروطِ الجماعةِ الكنسيّةِ المعاصرة. بتوظيفِ أوريجنس لكلام يسوع في سياقٍ جديدٍ، فإنّه أدانَ العيوبَ والانحرافاتِ عن روح الإنجيلِ، وعلى الأخصِّ التراتبَ الكنسيَّ.

التفسيرُ هيلاريون أُسقفِ بواتيه لمتّى قد وُضع تقريبًا بين العامين ٣٥٠ و٣٥٥، وذلكَ قبلَ أنْ يُنفى العام ٣٥٦ إلى فريجيا، لمعارضته سياسيةَ الإمبراطورِ كونستنس المؤيِّدةَ للآريوسيَّة. شرحُه يقدِّمُ أحد الأعمالِ التفسيريّةِ الأولى المكتوبةِ في بيئةٍ لاتينيّة. ليس هناك من علامةٍ في النَّصِّ الواصلِ إلينا لخصائصَ تُشيرُ إلى أنّه مُسْتقىً من وعظٍ شفويٍّ، وبصورةٍ أقلَّ من المؤلَّفاتِ السكولاستيَّةِ النموذجيَّة. رغم أنَّ ما من أحدٍ يستطيعُ أنْ يَسْتبْعِد إمكانيَّةَ أنْ يكون هذا العملُ إعادة تنقيحٍ لتفاسير شفويّةٍ سابقةٍ بقصد نشره، فالاحتمالُ أكبرُ في أنْ يكون هذا العملُ في شكلِه الأوّلِ مُعدًّا للقراءة.

الخاصِّيَّةُ الرائدةُ لتفسيرِ متّى في العالمِ اللاتينيِّ جليّةٌ من القراءةِ الأولى. فبنيةُ التَّفسير، في شكلِه المُبسَّط، موجودةٌ في أعمالٍ يونانيّةٍ مماثلة: لقد قُسِّم النَّصُّ الإنجيليُّ إلى مقاطعَ، تُضافُ إليها من وقتٍ إلى آخر إيضاحاتٌ. لكنَّ أبعادَ هذه التَّفاسيرِ متنوِّعةٌ جدًّا: يزوّدُنا هيلاريون بمقاطعَ تفسيريّةٍ مُفصّلةٍ وطويلةٍ لآياتٍ معيَّنةٍ، في حين أنَّه يُلْمِعُ إلى تفسيرِ لآياتٍ أُخرى يُهْمِلُ أحيانًا ذكرَه. على سبيلِ المثال، عندما يصلُ إلى الوصايا المتعلّقةِ بالصلاةِ (متّى ٦: ٥– ١٥)، فإنّه يُرجِعُ القارئَ إلى كتاباتِ كبريانوس وترتليان المتعلِّقةِ بالموضوع؛ مثلاً، يُهْمِلُ تفسيرَ مثلِ القمْحِ ومثلِ الزؤان (متّى ١٣: ١ – ٨، ٢٤– ٣٠) باعتبارِ أنَّ يسوعَ نفسَه– كما يُلاحِظُ هيلاريون– شرحَه لتلاميذِه.

لا يَقْتَرِحُ تفسيرُ هيلاريون لمتّى استعمالَ تفسيرِ أوريجنّس أبدًا، غير أنَّه يكشِفُ عن معلوماتٍ عميقةٍ عن المنطقِ التفسيريّ للتَّقليدِ الإسكندريِّ الَّذي يَتَمَسَّكُ أوريجنّس به. إلى جانبِ المَعْنَى الحرفيِّ البسيطِ للنَّصِّ يكتشِفُ هيلاريون معنًى أكْثَرَ عُمْقًا وأهميَّةً لا يُعْلَنُ إلاَّ بدراسةٍ تَكشِفُ عن كثرةِ استعمالِ المجاز. في تطبيقِ هذا المبدأ التَّفسيريِّ، كان هيلاريون واثقًا من أنَّه لا يَفْرِضُ المعنى على القصَّةِ الكتابيَّةِ الأَصليَّة، لأَنَّ القصَّةَ ذاتها هي الأَداةُ الَّتي تُرشِدُنا وتضطرُّنا إلى أَنْ نَتَجاوزَ المعنى الحرفيَّ للنَّصِّ. هذه الثِّقةُ قادت هيلاريون إلى تطبيقِ هذا النَّهجِ المسمَّى «الخلل في المعنى الحرفيّ defectus litterae» تطبيقًا واسعَ النِّطَاق. إنَّه لا يشُكُّ أبدًا في حقيقةِ وقائعِ القِصَّة، لكنَّها تحدثُ أَحيانًا بطريقةٍ تَبْدو له مخالِفةً للتَّسلسُلِ المنطقيِّ والطبيعيِّ، لأَنَّ حدوثَها الواقعيَّ كان يُنبئُ بمعنًى رمزيٍّ سيتمُّ حدوثُه في المستقبل. على سبيلِ المثال، لا يَبدو سلوكُ يسوع (عندما يَنْسَحِبُ من الجماهيرِ ويَأْمُرُ تلاميذَه بالعبورِ إلى الشاطئِ المقابلِ من بحرِ طبريَّة) في ٨: ١٨، مُنْسَجِمًا مع صلاحِه. لكنْ، إذا فُهِمَ أَنَّ القاربَ رمزٌ للكنيسةِ، وإذا جُعِلَ متوازيًا مع تفاصيلِ القصَّةِ الأُخرى، يُصبحُ تصرُّفُ يسوع مفهومًا (متّى ٨: ٧– ١٠). لذلك فإحدى الطرائق التَّفسيريَّةِ الأُخرى المُفَضَّلة عند هيلاريون هي استشفافُ المَعْنَى المجازيِّ في مقطعٍ مُعيَّنٍ بربطِه بالمقطعِ السابقِ، وحتّى في شرحِ حادثتَين إنجيليَّتين مترابطتَين ترابطًا زمنيًّا. على سبيلِ المثال، شفاءُ الأَعميَين في متّى ٩ :٢٧ وما يَليه، يُفَسَّرُ بانسجامِه مع الروايةِ السابقةِ لشفاءِ ابنةِ الرئيسِ اليهوديِّ. فالقصَّةُ الأخيرةُ تَرمزُ إلى الأقلِّيَّةِ اليهوديّةِ الّتي ستُؤمنُ بالمسيح، وهذا التَّفسيرُ عينه يَمْتَدُّ بشكلٍ خاصٍّ إلى قصَّةِ الأعميَين (متّى٩: ٩). بناءً على قوَّةِ هذه الطرائقِ التَّفسيريَّة، يَتْبَعُ هيلاريون التَّفسيرَ المجازيَّ بطريقةٍ موحَّدةٍ وعضويَّةٍ، فيَتَوسَّعُ في موضوعٍ مركزيٍّ للأَناجيل: العدوانُ اليهوديُّ على يسوع، ورفضُ الله لهم. يَنقلُ هيلاريون هذا الموضوعَ من المسيحِ إلى الكنيسةِ الناشئةِ، فيَرى العَداءَ اليهوديَّ للجماعةِ المسيحيَّةِ الأُولى عبر ما حَدَثَ ليسوع، كما يَرى عجْزَهم عن قبولِ الحقيقةِ الجديدةِ المُنْبَعِثةِ من موتِ المسيحِ وقيامتِه، ويَرى كذلك أَنَّ الرُّسومَ القديمةَ للشَّريعةِ انتهى أَمرُها وأَنَّ شريعةَ النِّعْمَةِ الجديدةِ احتلَّت مكانَها.

أَمَّا جيروم فقَدْ وضَعَ كتبَه الأَربعةَ عن تفسيرِ متّى العام ٣٩٨، بناءً على طلبِ صديقِه وتلميذِه إفسافيوس كريمونا، كما يُصرِّحُ هو في مقدّمةِ عمَلِه. ويَشرحُ أيضًا، بعد انزعاجِه من مغادرةِ صديقِه، أَنَّه كانَ يجب أَنْ يُكْمِلَ العَمَلَ في أُسبوعين قبلَ الفصح. ويُصرِّحُ بأَنَّه أوجزَ عَرْضَه مستعملاً عددًا من المصادر: أوريجنّس، هيبوليتوس، ثيوفيلوس الأنطاكيّ، ثيودور الهيراقليّ، أوبليناريوس اللاذقيّ، ديوديموس الأَعمى بين اليونانيّين، وفيكتورينوس بيتوفيوم، فورتوناتيم أكويليا، وهيلاريون بين اللاّتين. على أَساسِ معرفتِنا القائمةِ نُدْرِكُ أَنَّ ما هو مدينٌ به جيروم لأوريجنّس واضحٌ بيِّنٌ، في حين أَنَّه قلَّما يَستعملُ هيلاريون. ينوِّهُ بعضُ ما وَصَلنا من ثيودور وأَبوليناريوس بنقاطِ الاتِّصالِ بتفسيرِ جيروم.

إنَّ أكثرَ الميِّزاتِ وضوحًا في هذا التَّفسيرِ هو إيجازُها وتنوُّعُها ضمن حدودِ هذه الهيكليَّةِ العامَّة. فَأَحيانًا يكون تفسيرُ مقاطعَ من متّى مُوجَزًا جدًّا، بحيث لا يكونُ أَطولَ من النَّصِّ المفسَّر، في حين أَنَّه يكونُ

أطولَ في مكانٍ آخر. أسْرَعَ جيروم في تدوينِ شرحِه بوضوحٍ، لا بشكلٍ مُنَظَّمٍ ومستمرٍّ، فدَرَسَ تفاصيلَ محدَّدةً تبدو له مهمّةً في ذاتِها أو في ما قرَأه عنها في مصادرِه، في حين أنَّه مرَّ مرورًا سريعًا على العديدِ من المقاطعِ الأُخرى. نُحسُّ أحيانًا أنّنا نقرأُ مجموعةً من حواشٍ تفسيريَّةٍ، أكثر ممّا هو تفسيرٌ منهجيٌّ. وحتّى عندما يكونُ التَّفسيرُ طويلاً ومتعدِّدًا، فإنَّ بحثَه مُنَظَّمٌ ووجيزٌ دائمًا: يستطيعُ المرءُ أنْ يستنتجَ أنَّه خَلَفَ إفسافيوس في هذه المهمَّة: ut Matheum breviter exponens verbis stringerem sensibus dilatarem (إذا فسَّرتَ متّى فعليك أن تُوْجِزَ الكلامَ حيث تكونُ المعاني غزيرةً). والحقُّ أنَّ تفسيرَه يَضُمُّ في حيِّزٍ ضيِّقٍ كمِّيَّةً كبيرةً من الموادِ المتنوِّعةِ الأُصُولِ.

في المُقَدِّمةِ يُعْلِنُ جيروم أيضًا أنَّه قَامَ، بناءً على طلب إفسافيوس، بتفسيرٍ تاريخيٍّ (أي حرفيّ)، لكنَّه من حينٍ إلى آخر أدْرَجَ intellegentiae spiritalis flores التَّفسيرَ المجازيَّ. حقًّا، إنَّ هذا النَّوعَ من التفسيرِ قُدِّمَ بغزارةٍ. وفي سياقِ هذا النَّوعِ من العَرْضِ المُركَّبِ لا بُدَّ من تقديرِ الخواصِّ الشخصيَّةِ الغزيرةِ في تفسيرِ جيروم في الحواشي النَّقديَّةِ واللُّغويَّةِ والأثريَّةِ والتاريخيَّةِ المألُوفةِ البارزةِ في شرحِه. يَتَّضِحُ أنَّه يَعْتَمِدُ على مصادرِه، بخاصَّةٍ على أوريجنّس في تفسيرِه المجازيِّ، الّذي يُطبِّقُ أقوالَ يَسوع وأعمالَه على أحداثِ الكنيسةِ المستقبليَّةِ وعلى كلِّ نفسٍ فرديّةٍ. وبما أنَّ رؤيتَه التَّفسيريَّةَ متنوِّعةٌ جدًّا فإنَّه يَستحيلُ على المرءِ أنْ يُدْرِكَ اهتمامَه الأساس، كما هي الحالُ عند هيلاريون. تَتَجلّى ميزةُ تفسيرِ جيروم في قدرتِه على أنْ يُوازِنَ بين متطلَّباتِ التَّفسيرَين الرُّوحيِّ والحرفيِّ. ورغم من سرعةِ تأليفِه وطبيعةِ تفاسيرِه العديدةِ المفكَّكةِ والحماسيَّةِ، فإنَّه نَجَحَ في التَّعبيرِ عن رسالتِه التَّفسيريّةِ إجمالاً، رغم من أنَّه لم يكُنْ أفضلَه.

تفسيرٌ غيرُ كاملٍ لمتّى opus imperfectum in Matthaeum (OIM): تَنَاقَلَ النَّاسُ في القرونِ الوسطى تفْسيرًا غيرَ كاملٍ لإنجيلِ متّى تحت اسمِ يوحنّا الذهبيِّ الفَم. فهذا العَمَلُ تمتَّعَ بشعبيّةٍ عظيمةٍ، كما شَهِدت لذلك نحو مائتي مخطوطةٍ باقيةٍ إلى الآن، مُقسَّمةٍ إلى أربعٍ وخمسين موعظةً متعدِّدةَ الطُّولِ. تقسيمُ العَمَلِ ليس أَصيلاً، لأنّه لم يكُن وعظيًّا في طبيعتِه، بل كان تفسيرًا مُرتَّبًا ومُعَدًّا للقراءةِ. يَنْتَهي التَّفْسيرُ في متّى ٢٥ :٤٦، وفيه فجوتان كبيرتان: واحدةٌ بين الموعظتَين ٢٢ و٢٣، مع إهمالِ تفسيرِ ٨ :١١–١٠ :١٥، والثانيةُ ذاتُ حجمٍ أكبر، بين الموعظتَين ٣١ و٣٢، مع إهمالِ تفسيرِ ١٣ :١٤–١٨ :٣٥. إنَّ نسبةَ OIM إلى يوحنّا الذهبيِّ الفم قديمةٌ جدًّا، لكنْ لا أساسَ لها من الصِّحَّةِ (كما يَعْتَرِف بذلك Erasmus). هذه النِّسبةُ أدّت دورًا هامًّا في بقاءِ هذا العَمَلِ. والأرْجَحُ أنَّه مَا كان ليَصِلَ إلينا لو لم يُوضَعْ بذكاءٍ تحت حمايةِ ذلك الاسمِ العظيمِ. ربَّما كان المؤلِّفُ أُسقفًا أو كاهنًا آريوسيًّا نشَطَ في العُقُودِ الأُولى من القَرْنِ الخامسِ، في إحدى مُقاطعاتِ الدّنوب، حيث كان حضورُ أهلِ هذه النِّحْلة كبيرًا. يَختلِفُ النُّقادُ في ما إذا ما كُتِبَ أصلاً في اليونانيَّةِ أو في اللاتينيَّةِ. يَفْتَرِضُ J. van Banning الّذي يُعِدُّ طبعةً نقديّةً له أنَّ الأَصْلَ كان لاتينيًّا، كُتِبَ في منطقةٍ كان التَّأْثيرُ اللاّتينيُّ فيها مَلْحُوظًا (CCL 87 b:iii). يُثْبِتُ بقاءُ هذا العملِ أنَّ المؤلِّفَ المجهولَ، فيما يُحارِبُ الّذين يُسمِّيهم أَهْلَ النِّحلةِ (الّذين ليسوا سوى أبناءِ الكنيسةِ الجامعةِ، ومِنْ ثَمَّ يَمْتَدِحُ دعمَ

الإمبراطورِ ثيودوسيوس لَه) يَكشِفُ عن نفسِه أَنَّه آريوسيٌّ في بعضِ المقاطعِ العَقَديَّةِ المعقَّدةِ. وفي أماكِنَ أخرى يَظْهَرُ جدَلُه خُلقيًا في طبيعتِه وأُرثوذكسيًّا ومَألوفًا إلى حدٍّ كبيرٍ. استقينا هذه المختاراتِ في مُعْظَمِها مِنْ هذه المقاطعِ. في القرونِ الوسطى المتأخِّرةِ طرأَ تغييرٌ على المقاطعِ المُساوِمَةِ على العقيدةِ ذات الرائحةِ الآريوسيَّةِ. هذه النَّزعةُ استمرَّت بين الكتَّابِ الأوائلِ. لذلك كانت الطَّبعةُ المتوفِّرةُ الآنَ في مجموعةِ مين ٥٦ PG الَّتي وَضَعها B. Montfaucon غير مرضيَّةٍ من وجهةِ النَّظرِ هذه. هناك نواقصُ بسيطةٌ ليست بذي بالٍ، لكنَّها لا تُعرِّضُ للشُّبهةِ استعمالَ النَّصِّ اللاَّتينيِّ الَّذي يُقدِّمُ تفسيرًا هامًّا لمتَّى.

استَعْمَلَ مُؤلِّفُ OIM تفسيرَ أوريجنِّس مرّاتٍ عديدةً، وربَّما استعْمَلَ كذلك تفسيرَ جيروم. وهذا يكْشِفُ عن تآلفِه الكاملِ مع النَّظريَّةِ المجازيَّةِ وأكثر تقنياتِها الشائعةِ في التَّقليدِ الإسكندريِّ. إنَّه لا يُهْمِلُ التَّفسيرَ الحرفيَّ المُسْتَخْدَمَ للإرشادِ الخُلُقيِّ. ومع ذلك، يَقْبَلُ بإخلاصٍ قناعةَ فيلون وأوريجنِّس بأنَّ الكُتُبَ المقدَّسةَ تُخْفِي تحت حجابِ الكلماتِ المعاني الأكثرَ عُمقًا وحقيقةً. حَاوَلَ أَنْ يُلقي عليها أَضواءَه عبر المصادرِ الَّتي زوَّده بها التَّقليدُ المجازيُّ، مع تفضيلِه لرمزيَّةِ اشتقاقِ الكلامِ. فغايتُه هي إيضاحُ معنى إنجيلِ متَّى في أعْمقِ أعماقِه، لكي يُبْرِزَ عملَ يسوع المُخصَّص لخيرِ الإنسانِ الروحيِّ. لقد حقَّقَ ذلك في أُسلوبٍ جدليٍّ، سارِدًا ومُوضِحًا بدقَّةٍ تفسيرَ النَّصِّ تفسيرًا حرفيًّا وروحيًّا. والثابتُ أَنَّ تفسيرًا كهذا نُفِّذَ بمثلِ هذا الوضوحِ ودقَّةِ الحجَّةِ ليُرضِيَ العُلماءَ السكولاستيِّين. لذلك لَمْ يَكُنْ مفاجئًا تصريحُ توما الأكوينيِّ أَنْ يحصلَ على هذا النَّصِّ الكاملِ مِنْ أَنْ يكون سيِّدَ باريس.

لقد رأينا اهتمامَ المؤلِّفِ بمواضيعَ ذاتِ أَهمِّيةٍ خُلُقيَّةٍ: في هذا المجالِ وجَّه اهتمامَه بالدَّرجةِ الأُولى إلى وَضعِ الكنيسةِ، وبصورةٍ خاصَّةٍ إلى التَّراتبِ الكنسيِّ. فَيَنْتَقِدُ الَّذين يُسيئون إلى هذا التَّراتبِ كما فَعَلَ أوريجنِّس قبْلَه. فالالتزامُ الخُلُقيُّ يعني مسؤوليَّةً، وعلى هذا الوترِ يَضربُ مؤلِّفُنا. لقد أدرك إدراكًا واضحًا الجدلَ القائمَ بين أوغسطين وبيلاجيوس، فوافقَ أُوغسطين في مواقفِه، لكنَّه حافظَ دائمًا على حُقوقِ حرِّيَّةِ الإرادةِ. وكعضوٍ في أَقلِّيَّةٍ صغيرةٍ تتضاءَلُ كلَّ يومٍ، يُحِسُّ بتزعزعِ موقعِه وكذلك بتزعزعِ جماعتِه. نتيجةً لذلك يُوسِّعُ بشكلٍ مُنظَّمٍ ومُستَمِرٍّ موضوعَ جُحُودِ اليهودِ التقليديِّ وذلك لفائدةِ كنيسةِ الأُممِ، لدرجةِ أَنَّه يَشمُلُ في إدانتِه أَهلَ النِّحلةِ الوارثين لليهود بسببِ المكانةِ الَّتي يَحْتَلُّونها. ومن أَجْلِ أَنْ يُثبِّتَ عَزْمَ المؤمنين الباقين يَتناولُ موضوعَ الاضطهادِ، ويُشدِّدُ على أَنَّه الاختبارُ الساميُّ الَّذي يُقرِّرُ صمودَ الأقلِّيَّةِ المُختارةِ وقدرتَها على التَّضحيةِ.

لقد لاحظْنا أهمِّيَّةَ هذه المختاراتِ بسببِ معرفتِنا الجزئيَّةِ بالنُّصوصِ التَّفسيريَّةِ اليونانيَّةِ الَّتي لم تصِلْنا بشكلِها الأصليِّ. وَضَعَت طبعةُ J. Reuss تحت تصرُّفِنا أَربعَ مجموعاتٍ متعدِّدةِ الطُّولِ ومستقاةٍ من تفاسيرِ إنجيلِ متَّى وَضَعَها مُؤلِّفون لهم أَهمِّيَّتُهم في هذه المجموعةِ: ثيودور هيراقلية (ثراقية)، أبوليناريوس اللاَّذقيّ، ثيودور المبسوستيّ، وكيرلُّس الإسكندريّ. المؤلِّفان الأخيران يُمثِّلان مدرستَي التَّفسيرِ المتنافستَين، أنطاكية (ثيودور) والإسكندريَّة (كيرلُّس)، بين نهايةِ القرنِ الرَّابعِ وبدْءِ القرنِ الخامسِ،

وهما مَعروفان جدًّا بأعْمَالِهما التَّفسيريّةِ الأُخرى الّتي وصَلَتنا بأكْمَلِها. وهكذا فإنّ هذه الأجزاءَ التّفسيريّةَ لمتّى تُناسِبُ بشكلٍ كافٍ سياقَ التّفسيرِ الحرفيِّ لثيودور ونزعةَ كيرلُس في تعبيرِه المجازيّ. ليس من السّهلِ اليسيرِ أنْ نَضَعَ أبوليناريوس وثيودور هيراقلية في بيئتِهما التّاريخيَّةِ المناسبةِ، ذلك أنّ الأوّلَ نشطَ في النِّصْفِ الثّاني من القرنِ الرّابعِ، والثّاني في النِّصْفِ الأوّلِ منه. فهما، على الرّغمِ من شُهرتِهما كمفسّرَين، لم يخلِّفا لنا أيَّ عمَلٍ كاملٍ من أعْمَالِهما. القليلُ الّذي نعْرِفُه عن تفسيرِهما يُشيرُ إلى أنّهما نزَعا إلى التّفسيرِ التّاريخيِّ والحرفيِّ، لكنّ الأجزاءَ الّتي وَصَلَتنا تَحْمِلُ سِماتِ النّزعةِ المجازيّةِ. ليس من الحكمةِ أنْ نضعَ ملاحظاتٍ عامّةً على هذا الأمرِ، لأنّ التّجربةَ تُظْهِرُ أنّ معرفةَ أيِّ مُفسّرٍ عبر أجزاءِ أدبِه تبقى ناقصةً في الكشفِ عن الوجوهِ الأساسيَّةِ لِمنْطِقِ تفسيرِه ratio interpretandi رغم أنّها تُفيدُنا في استجلاءِ بعْضٍ من تفاسيرِه الخاصّةِ.

الخصائصُ الظّاهرةُ في هذه الأجزاءِ هي قدرةُ واضعِ هذا التّفسيرِ على استعمالِ الدّقائقِ الصّغيرةِ في النّصِّ الإنجيليِّ لتوضيحِ دوافعِ أعمالِ يسوع، ونزعتُه إلى ربطِ النّصِّ بمقاطعَ من الأناجيلِ الأُخرى، لكي يتِمَّ توسيعُ مَعْنَى هذه الأعمالِ في بنيةِ تدبيرِ الخلاصِ. وبرجوعِه الخاصِّ إلى ثيودور المبسوستيّ، يُوضِحُ تقنيّتَه في إعادةِ سبْكِ النّصِّ بطريقةٍ توضيحيّةٍ، مازجًا القصّةَ الإنجيليّةَ بتفسيرِها، وهذا ما يُميِّزُ أُسلوبه التّفسيريّ. أمّا بالنسبةِ إلى كيرلُس فتبنّى المواقفَ التّفسيريّةَ في التّقليدِ الإسكندرانيِّ فكان أكثرَ اعتدالاً من أوريجنّس وديدموس، ومع ذلك فالتّقليدُ الإسكندرانيّ جليٌّ بشكلٍ عامٍّ حتّى في الأجزاءِ الّتي هي وافرةٌ بشكلٍ أكبر من المفسّرين الثّلاثةِ الآخرين. لا أُشيرُ فقط إلى الكمِّيَّةِ المخصّصةِ للتّفسيرِ المجازيِّ للنّصِّ الإنجيليِّ مقارنةً بالمؤلّفين الآخرين، بل أيضًا إلى التّشديدِ على موضوعِ تاريخِ الخلاصِ والتّأكيدِ على العَداءِ اليهوديِّ وعلى الدّورِ التربويِّ الّذي أدّاه المسيحُ المتجسِّدُ، بالتساوقِ مع الدّورِ الّذي مثّلَه في تدبيرِ العهدِ القديمِ.

مواعظ مُسَلسَلةٌ. ألْقى يوحنّا الذهبيُّ الفَم مواعظه التّسعين على إنجيلِ متّى لمّا كان كاهنًا في أنطاكية على الأرجحِ العام ٣٩٠. وهي، في معظمِها، طويلةٌ، تتناولُ بطريقةٍ منهجيّةٍ ومستمرّةٍ كلَّ إنجيلِ متّى. وفيما تَبْقَى كلُّ موعظةٍ مستقلّةً وكاملةً بالنسبة إلى غيرِها، فإنّ المواعظَ كلّها مترابطةٌ بإحكام. وهذا بُرهانٌ على أنّ هذا العمَلَ الخطابيَّ الباهرَ أُلقي في زمنٍ وجيزٍ. كان الذهبيُّ الفم خطيبًا مَشْهُورًا في قدرتِه على تحريكِ العَواطفِ، وكانت مواعظُه حول متّى تكْشِفُ عن موهبتِه في حثِّ الجمهورِ، وعن اهتمامِه بالتّفسيرِ الخُلُقيِّ أكثر من اهتمامِه بالطبيعةِ التّفسيريّةِ المحضةِ للنّصِّ. إنّ مِثْلَ هذا النّهْجِ يُشارُ إليه بالإكبارِ، إذ إنّه ليس جانبًا من جوانبِ التّفسيرِ. كانَ الذهبيُّ الفم حريصًا في تفسيرِه الإنجيليِّ على تقسيمِ النّصِّ إلى مقاطعَ تقسيمًا منهجيًّا. حتّى لو كانت الدّروسُ الأخلاقيّةُ مُدْرجةً في كلِّ مكانٍ، وكان أُسلوبُه مُعبِّرًا عنها دائمًا، فالكمِّيَّةُ المكرّسةُ للتّفسيرِ والحثُّ هي ميزاتٌ علينا أنْ نُشيدَ بها.

رغم من أنّ يوحنّا الذهبيَّ الفم تَجنّبَ الأُسلوبَ الجدليَّ الهجوميَّ المُحبَّبَ عند ديودوروس وصديقِه ثيودوروس، مُبْتَعِدًا بحكمتِه عن اتّخاذِ مواقفَ أُحاديَّةِ الجانبِ وتاليًا خَطِرة، فإنّه يَنتمي إلى البيئةِ

الأَنطاكيَّةِ من المنظارَين العَقَديِّ والتَّفسيريِّ. فليسَ غريبًا أَنْ تأْتيَ مواعظُه التَّفسيريَّةُ حرفيَّةً بشكلٍ مُنَظَّمٍ. إنَّه من غيرِ المتوقَّعِ أَنْ نَجِدَ عنده التَّفسيرَ المجازيَّ. تفسيرُه للأَمْثالِ، الَّتي هي دعوةٌ طبيعيَّةٌ إلى التشديدِ المَجَازيِّ، يتمُّ ببساطةٍ عظيمةٍ. فهو مُهْتَمٌّ في الدرجةِ الأُولى بتحويلِ الأَمثالِ إلى فرصةٍ للتَّعْليمِ الخُلُقيِّ. لذلك كانت أعمالُ المسيحِ تَهمُّه بتفاصيلِها الدَّقيقةِ. فعَداءُ الكهنةِ والفرِّيسيِّين ليسوعَ لا يَهتمُّ به اهتمامَه بعلاقةِ اللهِ بالإنسانِ. إنَّ عداءَهم هم بيِّنةٌ على الجحودِ ونكرانِ الجميلِ، ويَحُولُ دون الحصولِ على خلاصِنا باتِّباعِ المسيحِ في الإيمانِ.

ولمَّا كان اهتمامُه هذا دليلاً لتفسيره، فإنَّه يَتْبَعُ مُخطَّطًا دقيقًا. يُحبُّ الذهبيُّ الفم أَنْ يَبْدأَ تفسيرَه للتِّلاوةِ الكتابيَّةِ بتذكُّرِ الوقتِ tote («في ذلك الزَّمَانِ»). وهذا التَّذَكُّرُ هو فاتحةٌ للتِّلاوةِ الكتابيَّةِ، ولذلك يسأَلُ نفسَه عن مَتَى pote. فإجابتُه عن ذلك تُسهِّلُ له أَنْ يضَعَ تفسيرَه لفحوى الرِّوايةِ الإنجيليَّةِ. يَشْرَحُ يوحنّا الذهبيُّ الفم النَّصَّ شرحًا واضحًا بأُسلوبٍ مُشْرقٍ، موضحًا، على أَفْضَلِ وجهٍ مُمْكنٍ، وفي أُسلوبٍ منهجيٍّ، محبَّةَ يسوعَ للبَشَرِ وتعليمَه عبر أعمالِه. قد تظْهَرُ هذه الأَعمالُ أَحيانًا مُتَناقِضةً (فهنا نَرى يَسوعَ يَتِمُّ الآيةَ الَّتي تُطلَبُ منه، ونراهُ هناك يرفضُها). فالمقصودُ منها أَنْ تُحقِّقَ ما هو مُفيدٌ تربويًّا في تلك الحِقْبَةِ من الزمنِ. وفي مقارنتِه مع هذا الخيرِ غيرِ المحدودِ، يَفضحُ شَرَّ أَعدائه فضحًا واضحًا. إنَّ ما لهذه المبادئِ من دُرُوسٍ خُلُقيَّةٍ نَجِدُه في التَّفسيرِ الحرفيِّ للنَّصِّ الكتابيِّ.

إنَّنا نُدركُ اليوم إدراكًا دقيقًا تفسيرَ كروماتيوس أُسقفِ أكويليا الموضوعَ بين نهايةِ القرنِ الرابعِ وأَوائلِ القرنِ الخامسِ، بفضْلِ عَمَلِ العديدِ من العُلَماءِ، على الأَخصِّ R. Taix وJ. Lemarié. فقد عيَّنا مواعظَه وجَمَعاها وحقَّقاها، بعد أَنْ كانت مُبَعْثَرةً بين مجموعاتٍ مُتَعدِّدةٍ من المواعظِ، ومُسَلَّمةً باسمٍ مجهولٍ، أَو مَنْسُوبةً إلى جيروم أَو أُوغسطين. وبالإضافةِ إلى المواعظِ المُتفرِّقةِ العديدةِ، فإنَّ مجموعةً من الكتاباتِ قد نُسِبَت إلى كروماتيوس: تسع وخمسون موعظة tractati حول إنجيلِ متّى، الّتي يُمْكِنُ تحديدُ تاريخِها في نهايةِ أُسقفيّتِه (بعد السنة ٤٠٠). تَسْبِقُ هذه المجموعةَ موعظةٌ هي لها كمُقدِّمةٍ، نَعْرِفُ منها نيَّةَ الواعظِ المُفسِّرِ، مع سلسلةِ مواعظ مستمرَّةٍ، وهي مجموعةُ الأَناجيلِ بكاملِها. والحقُّ أَنَّ المواعظَ tractati من ١ إلى ٤٨ تُظهرُ عملاً مُستمرًّا يُفسِّرُ بطريقةٍ منهجيّةٍ، مع فجواتٍ قليلةٍ جدًّا، إنجيلَ متّى من بدئه إلى ٩ :٣١. المواعظُ tractati المتتاليةُ تُوضِحُ عوضًا عن ذلك مقاطعَ مختارةً من الإنجيلِ مثل الموعظةِ الأَخيرةِ ٣٥-١٨: ١٩. منَ الواضحِ أَنَّ العديدَ من هذه المواعظِ قد فُقِدَ. نَرى مواعظَ كروماتيوس مُوجَزةً عند مقارنتِها بمواعظِ يوحنّا الذهبيِّ الفم، كما كانتِ الحالةُ في الغربِ. و رغم من أَنَّ حثَّ المؤمنين يَدخُلُ دائمًا في صُلْبِ بحثِ الموضوعِ، فالعُنصرُ التَّعليميُّ يظلُّ سائدًا. فالغايةُ الأُولى لهذا العرضِ هي تفسيرُ معنى التِّلاوةِ الإنجيليّةِ للمستَمِعين.

يَتمسَّكُ كروماتيوس، مثل هيلاريون الَّذي يَعتَمِدُ عليه، بالمبادئِ الهاديةِ وبمعاييرِ التَّفسيرِ الإسكندرانيِّ. لقد تعلَّمها مباشرةً من ترجماتِ جيروم لمواعظِ أوريجنّس، فأَدْرَكَ إمكانيةَ إخضاعِ النَّصِّ الإنجيليِّ ذاته إلى أَكْثَرَ من تفسيرٍ روحيٍّ واحدٍ. فقالَ القولَ المأْثورَ sensus spiritalis multiplex est وكرَّره مرارًا. هكذا يُعطي

لتفسيرِه المجالَ الواسعَ للشَّرحِ المجازيِّ، لكي يُطبِّقَ على نصِّ الإنجيلِ الوضعَ الحاليَّ للكنيسةِ. وإذا راعيْنا بيئتَه التَّاريخيَّة، فإنَّنا نراه مُهتمًّا اهتمامًا خاصًّا بكشفِ خطرِ أَهلِ النِّحلةِ النِشَاطِ في تلك الأيَّام، ومُوليًا هذا الأمرَ كلَّ عنايتِه، ومُشدِّدًا على الاحترامِ الَّذي يجِبُ على المؤمنين تقديمَه لأصحابِ الرُّتبِ الكنسيَّة. إنَّ أكثرَ ميزاتِه سُطوعًا في تفسيرِه هو نزعتُه المستمرَّةُ إلى رَبْطِ النُّصوصِ الكتابيَّةِ المفسَّرةِ بمقاطعَ من العهدِ القديمِ. إنَّه لا يقومُ بهذا العملِ من أجلِ الوصولِ إلى التَّفسيرِ المجازيِّ، بل ليؤكِّدَ وحدةَ الإعلانِ، مُثبِّتًا كم كان الأنبياءُ يُنبئون ويتوقَّعون ظهورَ رسالةِ الإنجيلِ كما أوضحت ذلك رسومٌ أُخرى من العهدِ القديمِ. من الواضحِ أنَّ اهتمامَه الأوَّلَ هو إطْلاعُ المُستمعين على نصِّ العهدِ القديمِ الَّذي كان، كما نَعرفُه من مصادرَ متعدّدةٍ، غيرَ معروفٍ آنذاك في الغربِ عند أغلبيَّةِ المؤمنين. لذلك كانت معرفةُ مواعظِه تعودُ بفائدةٍ فريدةٍ، لأنَّها تصلُنا بطريقةِ الوعظِ الَّتي لا تَبلُغُ، مع نوعيَّتِها الجيِّدةِ، قِمَمَ المفسِّرين العُظَماءِ الَّذين أَلْمحْنا إليهم مِنْ قَبْلُ. عوضًا عن ذلك نجدُ ما يُوازيها في مواعظِ عددٍ من المُعاصِرين الآخَرين من الدَّرجةِ المتوسِّطةِ (أمثال جناديوس برسكيا وزينوس فيرونا وغريغوريوس إلفيرا)، وتاليًا تكْشِفُ عن المستوى العاديِّ للنَّشاطِ الوعظيِّ الَّذي سادَ الكنيسةَ الغربيَّةَ في ذلك الوقتِ.

المواعظُ والأَساليبُ الأُخرى المساعدة. مواعظُ الآحادِ والأَعيادِ حول تلاواتٍ متكرِّرةٍ قد أُخذَت من إنجيلِ متّى وتُليت على جمهورِ المستمعين المسيحيِّين. ونتيجةً لذلك يُمكِنُ عبر أُسلوبه تعميقُ فهمِنا للتَّفسيرِ الآبائيِّ لهذا الإنجيلِ. ومن أجلِ أنْ أُقدِّمَ مجموعةً متنوِّعةً جدًّا وممثِّلةً للتَّقاليدِ المتعدِّدةِ، فإنَّني استقيتُ التَّفاسيرَ من كلِّ المستوياتِ، أي من المشهورين جدًّا، أمثالِ أوغسطين وغريغوريوس الكبير، إلى الأَقلِّ شهرةً مثلَ أَبيفانيوس اللاّتينيّ، وهو أُسقفٌ من زمنٍ غيرِ معروفٍ (بين القرنَين الخامسِ والسادس)، له عندنا ما لكروماتيوس من أهمِّيَّةٍ. علينا أنْ نتذكَّرَ الوُعَّاظَ اللاّتينيِّين الثلاثةَ في الغربِ الَّذين اشتَهَروا في النِّصفِ الأوَّلِ من القرنِ الخامس وهم: ليون الكبير ومكسيموس تورين وبطرس خريسولوغوس أُسقُف رفينا. في المشرقِ هناك إفسافيوس أُسقفُ حمص، في النِّصفِ الأوَّلِ من القرنِ الرابعِ، وساويروس أُسقفُ أَنطاكيةَ في النِّصْفِ الأوَّلِ من القرنِ السادسِ، كلاهما عُرِفا عبر النَّقْلِ: الأوَّل عن اللاّتينيَّةِ والثاني عن السُّريانيّةِ. كانت مواعظُ الآحادِ، بسببِ طبيعتِها، أقلَّ غنىً من العظةِ الدِّينيَّةِ المُسلسَلةِ في تطوُّرِ التَّفسيرِ المنهجيِّ لنصِّ التِّلاوةِ الإنجيليَّةِ. فعلاً، كان عليَّ أنْ أُهمِلَ العديدَ من المواعظِ، وفي طليعتِها مواعظُ مؤلِّفين شرقيِّين، لأنَّ تفسيرَهم كانَ مُتأثِّرًا بالوعظِ الحثِّيِّ وبغاياتٍ ليتورجيَّةٍ خاصَّةٍ مفيدةٍ، لا تُلبِّي الغايةَ من هذه المجموعةِ. عوضًا عن ذلك، كانت الممارسةُ المنْهجيَّةُ عند الخُطَباءِ المذكورين آنفًا ترمي (باستثناءِ إفسافيوس وليون) إلى تقسيمِ النَّصِّ إلى مقاطعَ سمَحَت بوضعِ التَّوكيدِ– ولكن ليس دائمًا في أُسلوبٍ فعَّالٍ جدًّا–على الغرضِ التَّفسيريِّ الخاصِّ للموعظةِ.

في هذا القاسمِ المشترك، تُقدِّمُ النُّصوصُ المُدْرَجةُ هنا تنوُّعًا واسعًا جدًّا في الأشكالِ التَّعبيريَّةِ والمضمونِ التَّفسيريِّ الواضحِ. فهي تتَراوَحُ ما بين الأُسلوبِ البلاغيِّ عند بطرس خريسولوغوس، والظاهرِ

عند إفسافيوس الحمصيّ، حتى في التّرجمة اللاّتينيّة، وبين نثر إفسافيوس المتواضع ذي النّوعيّة الجيّدة بشكل عامّ. كذلك يُعبّرُ غريغوريوس العظيمُ عن نفسه أحيانًا بشكل أقلّ ممّا يتوقّعه القارئ. وإذا استثنى المرءُ إفسافيوسَ الحمصيّ رائدَ مقاومةِ التّفسير المجازيّ في سوريا وفلسطين في منتصفِ القرن الرابع، فإنّ النّزْعَة العامّةَ اتّجهَت نحو تفسيرٍ ذي طبيعةٍ روحيّةٍ. فالتفسيرُ الرّوحيُّ أكثَرَ من استعمال المجاز، باعتبار أنّ هذا الأُسلوبَ التّصويريّ يَستجيبُ له القرّاءُ بقوّةٍ، وتاليًا كانت له نتيجةٌ أفضلُ في الإطار الرّعويّ. بالرّغم منْ أنّ سويروس ألقى مواعظَه في أنطاكيةَ قبل قرنٍ منْ أنْ يُصبحَ التّفسيرُ الحرفيُّ قويًّا، فقد كان مُنفتِحًا جدًّا على التّفسير المجازيّ. وهذا يَربُطه بسَلَفِه الذهبيّ الفم العظيم، على الرّغم من اختلافِهما في الأُسلوبِ التّفسيريّ وحصرِه في حدودِ أعمالِ يسوع. لقد فضّلَ أُوغسطين وغريغوريوس الكبير تجديدَ المعنى الروحيّ لهذه الأعمال وتعميمه لسدِّ حاجاتِ الكنيسةِ المعاصرةِ وحاجاتِ المؤمنين. إجمالاً نَجِدُ عند سويروس وأغسطين تفسيرًا جيّدَ النوعيّةِ يَصِلُ إلى الذّروةِ. وهذا يُظهِرُ أنّ تلك الممارسةَ القديمةَ الغنيّةَ بالتّأمُّل الرُّوحيّ في الكتابِ المقدّس كانت قد نَشرت، ولو في دوائرَ متواضعةٍ ثقافيًّا، المبادئَ الّتي ستُرشِدُ النّاسَ إلى تفسيرِ النّصّ المقدّس، لتزوّدَ المُفسِّرين اللاّتينيّين واليونانيّين بأساسٍ ملائم.

وختامًا سنَمتَحِنُ باختصارٍ نصوصًا متعدِّدةً، سواءٌ أكانت بلا طبيعةٍ تفسيريّةٍ، أم أنّها لا تُلائمُ الأنواعَ الثلاثةَ الّتي قسّمْنا بموجبها مادّتَنا التفسيريّةَ. أَقْصِدُ بذلك المواعظَ الثلاثَ حول الصّلاةِ الّتي أَلْقاها ترتليان (De Oratione) وكبريان (De Dominica oratione) وأوريجنّس (Peri euches). فيَشرحُ كلٌّ منهم الصّلاةَ الرّبّانيةَ كلمةً كلمة، لأنّها الصّلاةُ الوحيدةُ الّتي علّمَنا إيّاها يسوعُ، وهي تاليًا خُلاصةٌ لكلِّ تعاليمِه. إذا قارنّا تعْليقَه بتفسيرِ ترتليان، وهو أوّلُ مَنْ شَرَحَ هذه الصّلاةَ وتوجّهَ بها إلى المؤمنِ خارجَ الإطارِ اللّيتورجيّ، فإنّنا نجدُه يَرْتَبِطُ بالجماعةِ ارتباطًا واضحًا في هذين التّفسيرَين. إنّ أوريجنّس يَجري على أُسلوبِه المعتادِ ذي الفَهْمِ الرُّوحيّ لكلامِ يسوع. في كتابَي أُوغسطين، الموعظةِ على الجبلِ De sermone Domini in monte، اللّذَين وَضعَهُما حوالى السنة ٣٩٥، يَدخُلُ تفسيرُ الصّلاةِ الرّبّانيّةِ في سياقِ التّفسيرِ الأوسعِ للموعظةِ الكاملةِ على الجبل. في هذا العملِ كان اهتمامُ أُوغسطين الرّئيسُ أنْ يَشرحَ النّصَّ المقدّسَ بالإشارةِ إلى الوضعِ السائدِ في الكنيسة، وبالإشارةِ إلى أعضائها. لذا كان التفسيرُ، في معظمِه، خُلُقيًّا، عِلْمًا أنّ هناك ملاحظاتٍ عقَديةً مألوفةً. تَهتمُّ الكتبُ الأربعةُ في تناغمِ الأناجيلِ De consensu evangelistarum، الّتي وَضعَها أُوغسطين حوالى السنة ٤٠٠، بالتّناقضاتِ المُنْبثِقةِ من مقارنةِ الرّواياتِ المتماثلةِ في الأناجيلِ الأربعةِ. فالوثنيّون استعْمَلوا بصورةٍ خاصّةٍ هذه التّناقضاتِ المُفْتَرَضةَ لإبطالِ مصداقيّةِ تلك النّصوص. وهذا الموضوعُ شَغَلَ المُفسِّرين والمُنافحين لمدّةِ قرنين. نتيجةً لذلك، يُدخِلُ أوغسطين نمطًا ثابتًا حول الحرّيّةِ والأصالةِ اللّتين تَمْهَرانِ أُسلوبَه الكتابيّ بلونٍ خاصّ. من أجلِ تحقيقِ غاياتِ هذه المجموعةِ، تُعتَبَرُ المقاطعُ ذاتُ الأهمّيّةِ بَدءَ إنجيلِ متّى ونهايتَه.

معاييرُ اختيارِ النُّصوصِ وترتيبِها

يتّضِحُ من العَرْضِ السَّابقِ أنّ الكتاباتِ الآبائيَّة المتبقِّيةَ والخاصَّة بتفسيرِ إنجيل متّى، مُنَفِّرَةٌ إجمالاً، إذا ما قارنّاها بكمّيّةِ موادِّ العهدِ الجديدِ– ولاسيّما العهد القديم–التّي وصَلَتنا. بَدَهيٌّ أنْ تكونَ هذه الكتاباتُ غيرَ موزَّعةٍ بالتّساوي: بعضُ الأعمالِ الأساسيّةِ غيرِ الكاملةِ (أوريجنّس، كروماتيوس، OIM) أو التّي تحتوي تفاسيرَ مختصرة تَجْعَلُها غيرَ مُفيدةٍ لعَمَلِنا (هيلاريون، جيروم). هناك مقاطعُ إنجيليَّةٌ لها تفسيران مُفيدان، فيما لدينا عشرةُ تفاسير أو أكثر في مقاطعَ أُخْرَى، ولذلك اضطُررنا إلى الاختيارِ، حتى لو أنَّ ذلك الاختيارَ يَقضي علينا إهمالَ بعضِ التَّفاسيرِ. ما أبْقينا عليه يُقدِّمُ أوْسَعَ سلسلة مِنَ التَّفاسيرِ والشُّروحِ المُمْكِنَةِ .كمبدأٍ عامٍّ، حاولْتُ، كلَّما سَمحَت لي الموادُّ، أنْ أُقدِّمَ أربعةَ تفاسيرَ لكلِّ مقطعٍ، مع توسيعِه أحيانًا إلى ستّةٍ أو سبعةٍ، هذا إذا تَطلَّبته أهمّيَّةُ النَّصِّ المُفسَّرِ، أو أهمّيَّةُ التّفاسيرِ المقترَحَة وتنوُّعها. وهنا لي حرِّيَّةُ الاختيارِ.

في تقسيمِ المادّةِ اتَّبَعْتُ تقريبًا طريقةَ القُدَماءِ في وضعِهِم للمُقْتَطَفَاتِ، مُرتِّبًا إنجيلَ متّى في مقاطعَ، ومُقدِّمًا مجموعةً من التَّفاسيرِ لكلِّ مقطعٍ. ومن أجلِ تقسيمِ النَّصِّ فقد سعيتُ إلى عَزْلِ وحداتٍ كاملةٍ نسبيًّا، لكي يَتمَّ تجنُّبُ تفكُّكِ النّصِّ الإنجيليِّ. وتاليًا يكونُ طولُ المقاطعِ متغيِّرًا، كلٌّ منها يَشْتَمِلُ على آيةٍ واحدةٍ كحدٍّ أدْنَى، وعلى ثمانٍ كحدٍّ أقْصَى، بهدفِ أنْ تكونَ مؤلَّفةً من آيتين إلى أربعٍ. استثنيتُ من ذلك الأمثالَ التّي هي أحيانًا أطولُ من ثماني آياتٍ، فحاولتُ أنْ أُقدِّمَها بشكلٍ مُتَمَاسِكٍ. هذه أيضًا الحالةُ في نَسَبِ يسوع (متّى ١: ٢– ١٦). أمّا في ما يَتَعلَّقُ بسلاسلِ التّفاسيرِ التّي تَصْحَبُ كلَّ مقطعٍ وتُوضِحُه، فإنّها قد رُتِّبت بأفْضَلِ طريقةٍ منطقيّةٍ ممكنةٍ، من دونِ التَّقيُّدِ بتواريخِ المُفسِّرين المتعدِّدين. وقد حَرِصْنا على أنْ تَتَنَاوَلَ التّفاسيرُ كلَّ مَقْطَعٍ مِنَ البَدءِ إلى النهايةِ. في حالِ وجودِ تفاسيرَ مختلفةٍ للنَّصِّ الإنجيليِّ ذاته، فقد وُضِعَت بترتيبٍ متزايدٍ في التَّعقيدِ، بحيث إنَّها تبتدئُ بأكثرِ التَّفاسيرِ بساطةً والّتي غالبًا ما تكونُ حرفيّةً، وتنطلقُ إلى أكثرِ التَّفاسيرِ تعقيدًا، والّتي غالبًا ما تكونُ مَجازيّةً.

الحصّةُ الكُبرى من النُّصوصِ المُختارَةِ هي من التّفاسيرِ والمواعظِ المُسَلْسَلَةِ، لأنّ هذه النُّصوصَ تَسمَحُ بتقديمِ التَّفاسيرِ المتجانسةِ للمقاطعِ الإنجيليَّةِ الطويلةِ. هذه تُمثِّلُ الهيكليّةَ البنيَويّةَ لهذه المجموعةِ، ومن بينها تَمَّ اختيارُ التَّفاسيرِ، بحيث يكونُ كلُّ مقطعٍ إنجيليٍّ مُرْدَفًا على العمومِ بتفاسيرَ عدّةٍ كاملةٍ. إنّ استعمالَ هذه المواعظِ المَعْزُولَةِ سَمَحَ لنا بتَقْويةِ هذه الخُطّةِ المتجانسةِ وتغييرِها وذلكَ بإضافةِ بعضِ التفاسيرِ ذاتِ الأهمِّيَّةِ الخاصّة. فالنُّصوصُ التَّفسيريّةُ المختارةُ والمعروضةُ تَختلِفُ في الأُسلوبِ وفي كمّيّةِ التَّفسيرِ، وفي الطُّولِ أيضًا، إذ إنّها تَتَراوحُ بين مقاطعَ ذاتِ خطوطٍ قليلةٍ ونُصوصٍ تملأُ صفحةً كاملةً. المقياسُ الوحيدُ الّذي يَتَحكّمُ بالمقاطعِ الفرديّةِ هو أنّه، مهما كان طولُها، يجب أنْ تؤلِّفَ موضوعًا متماسكًا ومستقلاً. إنّ طبيعةَ المجموعةِ ذاتِها اضطَرَّتنا إلى تقسيمِ النُّصوصِ التَّفسيريّةِ الطويلةِ إلى مقاطعَ متعدِّدةٍ، وغالبًا إلى عَزْلِ مقطعٍ هامٍّ عن سياقِه الواسعِ. فيما تكونُ نصوصُ بعضِ المُفسِّرين مناسبةً لهذا النَّوعِ من

الاختيارِ (مثل جيروم ويوحنّا الذهبيّ الفم) فإنّ آخرين قد عانوا صعوبتها، بصورةٍ خاصّةٍ نصوصُ أوريجنّس باعتبارِ طبيعةِ تفسيره الاستطراديِّ الصَعْبِ، ونصوصُ أوغسطين وهيلاريون أيضًا. في حالةِ أوريجنّس فقد حُدِّدت مختاراته بالتّفاسيرِ المجازيّةِ إلى حدٍّ بعيدٍ. ولئلاّ يأْخُذَ القارئُ انطباعًا مشوَّهًا عن هذا المُفسِّرِ العظيمِ، يجب أَنْ يتذكَّرَ أنَّ أوريجنّس ينْطَلِقُ عادةً من تفسيرٍ حرفيٍّ. وهذا حقيقيٌّ ليس بالنسبةِ إلى أوريجنّس فحسب، بل بالنسبةِ إلى الآخَرين أيضًا. لكي لا أستثنيَ تفاسيرَ ذاتَ أهمّيّةٍ عظيمة، فإنّني وَضَعْتُ، في مناسباتٍ عديدةٍ، نُصوصًا طويلةً جديرةً بالاهتمامِ.

وبعْدَ أنْ فسَّرْتُ بتفصيلِ المعاييرَ الّتي أرشدَتْني إلى اختيارِ الاقتباساتِ وترتيبِها، أُوضحُ أنَّ هذه إشاراتٌ عامّةٌ فقط. هذه كلُّها تتْبَعُ المقياسَ الأساسَ بغيةَ تقديمِ مختاراتٍ، ضمن المجالِ المتوفّرِ لنا، غنيّةٍ ومتنوّعةٍ على أفضلِ وجهٍ مُمْكِنٍ. كان قرارُ الناشرِ، بسببِ وَفْرةِ المقتبساتِ، أَنْ يَتِمَّ تقسيمُ مادّةِ تفسيرِ متّى إلى مُجلَّدين: المجلّدُ الأوّلُ يتناولُ متّى من ١-١٣، والمجلَّدُ الثاني يتناولُ متّى من ١٤-٢٨. تَمَّ هذا التّقسيمُ للحفاظِ على الأهمِّيَّةِ الّتي أَوْلَتها الكنيسةُ الأُولى هذا الإنجيلَ. هذه المقدّمةُ تُوجِّهُ القارئَ وتُرشِدُه إلى المُجلَّدَين كِليهما.

الإنْجِيلُ كَما دَوَّنَه مَتَّى

١:١ – ١٧ نَسَبُ يسوعَ المسيح

١سِجِلُّ نَسَبِ يسوعَ المسيحِ ابنِ داودَ ابنِ إبراهيمَ: ٢إبراهيمُ ولَدَ إسحق. وإسحقُ ولَدَ يَعقوبَ. ويَعقوبُ ولَدَ يهوذا وإخوتَه. ٣ويهوذا ولَدَ فارَصَ وزارَحَ مِنْ ثامارَ. وفارصُ ولَدَ حَصْرونَ. وحَصْرونُ ولَدَ أرامَ. ٤وأرامُ ولَدَ عَمِّينادابَ. وعَمِّيناداب ُولَدَ نَحشونَ. ونَحْشونُ ولَدَ سَلمونَ. ٥وسَلمونُ ولَدَ بُوعَزَ مِنْ راحابَ. وبُوعَزُ ولَدَ عُوبيدَ مِنْ راعُوثَ. وعُوبيدُ ولَدَ يَسّى. ٦ويَسّى ولَدَ داودَ المَلِكَ.

وداودُ ولَدَ سُلَيْمانَ مِن امرأةِ أوريّا. ٧وسُلَيْمانُ ولَدَ رَحَبْعامَ. ورَحَبْعامُ ولَدَ أبيّا. وأبيّا ولَدَ آسا. ٨وآسا ولَدَ يوشافاطَ. ويوشافاطُ ولَدَ يُورامَ. ويُورامُ ولَدَ عُزِّيّا. ٩وعُزِّيّا ولَدَ يُوثامَ. ويُوثامُ ولَدَ آحازَ. وآحازُ ولَدَ حِزْقيّا. ١٠وحِزْقيّا ولَدَ مَنَسّى. ومَنَسّى ولَدَ آمونَ. وآمونُ ولَدَ يوشِيّا. ١١ويوشِيّا ولَدَ يَكُنْيا وإخوتَه زمَنَ السَّبْيِ إلى بابلَ.

١٢وبَعْدَ السَّبْيِ إلى بابلَ يَكُنْيا ولَدَ شأَلْتَيئيلَ. وشأَلْتَيئيلُ ولَدَ زَرُبابلَ. ١٣وزَرُبابلُ ولَدَ أبيهُودَ. وأبيهُودُ ولَدَ أَلْياقيمَ. وأَلْياقيمُ ولَدَ عازُورَ. ١٤وعازُورُ ولَدَ صادُوقَ. وصادُوقُ ولَدَ أخيمَ. وأخيمُ ولَدَ أليُودَ. ١٥وأليُودُ ولَدَ أليعازَرَ. وأليعازَرُ ولَدَ مَتّانَ. ومَتّانُ ولَدَ يعقوبَ. ١٦ويَعقوبُ ولَدَ يوسفَ رَجُلَ مَرْيَمَ التي ولَدَتْ يَسوعَ الذي يُدعى المَسيحَ.

١٧فمَجْموعُ الأجْيالِ مِنْ إبراهيمَ إلى داودَ أرْبَعَةَ عَشَرَ جيلاً. ومِنْ داودَ إلى سَبْيِ بابلَ أرْبَعَةَ عَشَرَ جيلاً. ومِنْ سَبْيِ بابلَ إلى المَسيحِ أرْبَعَةَ عَشَرَ جيلاً.

نَظْرَةٌ عامَّةٌ: إنَّ النَّسَبَ الإلهيَّ سِرٌّ عميقٌ (أوريجنّس). أمَّا نَاسُوتُ المَسِيحِ الحَقِيقيُّ فَيُعْلَنُ في نَسَبِهِ، كَما وَرَدَ في متّى (سويروس). إنَّ هَذا الإنجِيل، الَّذي كُتِبَ أوَّلاً في العِبريَّةِ، أوْرَدَ سُلالَةَ يَسُوعِ المُلُوكيَّةَ مِنْ داود، وكَذَلِك نَسَبَهُ الدَّمَويَّ مِنْ إبْرَاهِيم إيرادًا بَارِزًا (كروماتيوس، وهيلاريون، وكَاتِبٌ مَجْهُولٌ). إنَّ تَقَارِيرَ نَسَبِ المَسِيحِ المُتَنَوِّعَةَ لَيْسَت مُتَضارِبَةً بسَبَبِ التَّمييزِ بَينَ أَبِ الدَّمِ وَأَبِ التَّبَنِّي (أوغسطين). ولادَةُ إسحقَ رَمْزٌ لِولادَةِ يَسُوع، وأَبْنَاءُ يعقوب الاثْنَا عَشَر رُمُوزٌ للرُّسُلِ الاثْنَيْ عَشَر في الدَّهْرِ الآتي (كَاتِبٌ مَجْهُولٌ). لقدِ اتَّخَذَ المَسِيحُ لنَفْسِه دَمَ العَلاقَةِ بالطَّبيعَةِ الزَّانيَةِ، لِكَي يُطَهِّرَها (سويروس). ومِنْ غيرِ تَعْلِيلٍ وُضِعَت راحابُ الزَّانيَةُ في نَسَبِ الرَّبِّ، تمامًا كَمَا وُضِعَت زراحُ الَّتي تُمثِّلُ اليَهودَ تحتَ الشَّريعَةِ. وفَارَصُ يُمَثِّلُ الأُمَمَ والإنْجِيلَ؛ هُنَاكَ ذِكْرٌ خَاصٌّ لداودَ وبيتشابع (كَاتِبٌ مَجهُولٌ). كَانَ يوسفُ زَوْجَ مريم، لَكِنْ مِنْ غَيرِ عَلاقَةٍ جَسَدِيَّةٍ (أوغسطين).

١:١ سِجِلُّ نَسَبِ يسوعَ المسيحِ

أَمَّا نَسَبُ يَسوعَ فَمَن يَصفُه؟ كَاتِبٌ مَجْهُولٌ: إنَّ الكِتَابَ المُقَدَّسَ هو مُسْتَودَعُ النِّعْمَة. فَكَمَا أَنَّ المَرْءَ يَجِدُ ما يَشْتَهِيهِ في مُسْتَوْدَعِ الغَنيِّ، هَكَذا تَجِدُ النَّفْسُ كُلَّ ما هُوَ ضَروريٌّ في الكِتَابِ المُقَدَّس.

لمَاذا يَقولُ متّى: «سِجِلُّ نَسَبِ يسوعَ المسيحِ ابنِ داودَ ابنِ إبراهيمَ»، فيما يُعلِنُ النَّبيُّ إشَعْيَاءُ قَائلاً: «أَمَّا نَسَبُ يَسُوعَ فَمَن يَصِفُه؟»[1] يَعْرِضُ متّى نَسَبَه الجَسَديَّ، أمّا إشَعْيَاءُ فيُعْلِنُ أَنَّ نَسَبَهُ الإلهيَّ سِرٌّ لا يُوصَف. عَمَلٌ غيرُ كاملٍ حولَ متّى.[2]

نَاسُوتُ يَسوع يُعْلَنُ في نَسَبِه. سويروس: يَجِبُ أَنْ نَعْرِفَ بوضُوحٍ أَنَّ اجتِهَادَ الإنْجِيليِّين وَعَمَلَهُم، وَلاسِيَّما اجتِهَادُ الرُّوحِ النَّاطِقِ فيهم بِمَا كَانَ يُكتَبُ وعَمَلُه، كَانَ لِتَرْسِيخِ الإيمانِ بالمَسيحِ،

[1] إشعيا ٥٣: ٨.

[2] PG 56: 612

إنَّ تفسيرَ إنجيلِ متّى المجهولَ المؤلِّف يَعودُ إلى القرنِ الخامس ويَحْمِلُ العنوانَ التالي: «عَمَلٌ غيرُ كاملٍ حول متّى». وهو مُقتطفاتٌ لاتينيَّةٌ تحتوي مقاطعَ من جيروم وكروماتيوس أسقفِ أكويلا وليون الكبير. وتنتهي في الفصل الخامس والعشرين من متّى:

See *Clavis Patrum Latinorum* 707; J. Banning, "The Critical Edition of the Incomplete Work on Matthew: An Arian Source," in *Studia Patristica* 17 (Oxford: Oxford University Press, 1982), pp. 382-87; R. Etaix, "Fragments Indits de l'Opus Imperfectum in Matthaei," *Revue bénédictine* 84 (1974): 271-300

وَلإزالَةِ الشَّكِّ في كَونه إلهاً بطَبْعِه وإنْسانًا حَقًّا في تَدْبيره، وذلِكَ من دُونِ تَغْيير أو استِحَالَةٍ أو تَوهُّم. ولِهَذا قَالَ القَائِلُ وهُو على صَوَاب: «في البَدءِ كَانَ الكَلِمَةُ، والكَلِمَةُ كَان عِنْدَ الله، وَكَانَ الكَلِمَةُ الله... وَالكَلِمَةُ صَارَ جَسَدًا وعَاشَ بَيْنَنَا».[٣] لَقَد أصَابَ الغَرَضَ مَنْ قَالَ إنَّ المَسِيحَ هو ابنُ دَاود ابنُ إبْرَاهيم، مُثْبِتًا أَنَّه لا يَنْتَمِي إلى أَيِّ جِيلٍ، فَقَدْ كُتِبَ: «أَمَّا جِيلُه فمَن يَصِفُه؟»[٤] ولا سِيَّمَا أَنَّه كَائنٌ قَبْلَ كلِّ الدُّهورِ ومُسَاوٍ للآبِ في الأَزَليَّةِ، وَلِكَي يُبيِّنَ أيضًا أَنَّه مُحْصىً مع الأَجْيَال في الجَسَدِ، لأَنَّه وهُوَ الإلهُ صَارَ بَشَرًا في مِلءِ الزَّمَانِ بدُونِ استِحَالَةٍ.

إنَّ الوَثَائقَ التَّاريخيَّةَ للآبَاءِ الأَوَّلِينَ، والرِّوَايَاتِ، وتَاريخَ الأَزمِنَةِ وَغيرَها الخَاصَّة بالبَشَرِ، هي كلُّها مُدَوَّنةٌ لتُبيِّنَ أَنَّه (أَي المَسِيح) شَارَكنَا في كِيانِنَا وطَبيعَتِنا. فَإنْ قَالَ بَعْضُهم عَنه إنَّه ظَهَرَ لنا بالخَيالِ وَالوَهْمِ، وَقَالَ آخَرُونَ إنَّه صَارَ إنسَانًا حقًّا، فَمَاذَا كَانوا قَدْ فَعَلُوا لَوْ أَنَّ مِثْلَ هَذِه الأُمُورِ لَمْ تُكْتَبْ؟ مَواعظُ الكَاتدرائيَّةِ، موعظة ٩٤.[٥]

لِمَاذا ذَكَرَ دَاودَ قَبْلَ إبْرَاهيم؟ كَاتِبٌ مَجْهُولٌ: لَمْ يَقُلْ: «يَسوعُ المَسِيحُ، ابنُ الله» بَلْ قَالَ: «ابنُ داود، ابنُ إبراهيم». لَكِنْ لِمَاذَا أَشَارَ يوحنَّا فَورًا إلى طَبيعَتِه الإلَهيَّةِ في بَدءِ إنجِيلِه قَائلاً، «في البَدءِ كَانَ الكَلِمَةُ، وَكَانَ الكَلِمَةُ عِندَ الله؟»[٦] لأَنَّ إنجِيلَ يوحنّا وُضِعَ في المَنْفَى بَينَ الأُمَمِ. وَدُوِّن باليُونَانيَّةِ لفَائِدَةِ الأُمَمِ، الَّتي لَمْ تعْرِفْ مَا إذا كَانَ لله ابنٌ أَو بأَيِّ مَعْنى كَانَتْ لله ذُرِّيَّة. لذَلِكَ كَانَ مُهِمًّا بالدَّرَجَةِ الأُولَى أَنْ يُظهِرَ للأُمَمِ سِرَّ تَجَسُّدِه، لأَنَّهم لَمْ يَعرِفوا مَنْ كَانَ يَسوعُ في ذَلِكَ الوَقْتِ. فَكَانَ مِنَ الضَّرُوريِّ في مِثْلِ هَذِه الحَالِ أَنْ يُدْرِكُوا أَنَّ ابنَ اللهِ هُوَ الله، وَأَنَّه اتَّخَذَ جَسَدًا، كَمَا يُوضِحُ يُوحنَّا في الآيَةِ الَّتي تَلَتْ والَّتي تُعْلِنُ أَنَّ «الكَلِمَةَ صَارَ جَسدًا وَعَاشَ بَيْنَنا».[٧]

بَيْدَ أَنَّ مَتَّى كَتَبَ إنجِيلَه إلى اليَهُودِ بالعِبريَّةِ، كَمَا سَبَقَ وَقُلتُ، لكَي يُرَبِّيَهم على الإيمَانِ. فَاليَهُودُ عَرَفوا أَنَّ المَسِيحَ ابنُ الله، وَعَرَفُوا كَيفَ أَنَّه ابنُ الله.[٨] لذَلِكَ لَمْ يَكُنْ ضَرُوريًّا أَنْ يَشْرَحَ لَهُم طَبيعَةَ أُلوهِيَّتِه، الَّتي عَرَفُوها حَقَّ المَعْرِفَةِ.

---

[٣] يوحنّا ١: ١-٢، ١٤.

[٤] إشعيا ٥٣: ٨.

[٥] PO 25: 52-53

[٦] يوحنّا ١: ١.

[٧] يوحنّا ١: ١٤.

[٨] وفقًا للتّفسير المسيحيِّ للعَهْدِ القديمِ يزْعمُ المؤلِّفُ أَنَّ اليهودَ عَرَفوا وجودَ ابنِ الله عبر مَا أَعْلَنَه لهم الأَنبياء.

لَكِنْ لِمَاذا ذَكَرَ داودَ أَوّلاً مَعْ أَنَّ إبراهيمَ جَاءَ قَبْلَه زَمَنيًّا؟ السَّبَبُ الأَولُ هُوَ أَنَّ الإنجيليَّ عَزَمَ أَنْ يَذْكُرَ نَسَبَ الرَّبِّ مِنْ إبراهيم، فَلَو ذَكَرَ أَوَّلاً أَنَّه مِن نَسْلِ إبْراهيم، لَجَاءَ داودُ بَعْدَ ذَلِكَ. فَأَدْرَكَ أَنّه مِنْ واجِبِه أَنْ يَرجِعَ إِلى إبْراهِيم مَرّةً ثَانِيَةً، وَأَنْ يَذْكُرَه مَرَّتَين في المكَانِ ذاته.[٩] وَفَضْلاً عَنْ ذَلِكَ، هُنَاكَ سَبَبٌ آخر: فَرُتْبَةُ المَمْلَكَةِ هي أَعْظَمُ مِنْ رُتْبَةِ الولادَةِ. صَحِيحٌ أَنَّ إبْراهيمَ تَقَدَّمَ داودَ زَمَنِيًّا، غيرَ أَنَّ داودَ عَلاهُ مَنْزِلَةً. عَمَلٌ غيرُ كامِلٍ حول متّى، الموعظة ١.[١٠]

النَّسَبُ. كروماتيوس: بَدَأَ متّى إنْجِيلَه بمُقَدِّمَةٍ جَاءَ فِيهَا: «سِجِلُّ نَسَبِ يسوعَ المسيحِ ابنِ داودَ ابنِ إبْراهيمَ: إبراهيمُ وَلَدَ إسحقَ. وَإِسحقُ وَلَدَ يَعقوبَ»، ومَا يَلي ذَلكَ. إنَّ متّى، كَمَا قُلتُ، يَتَحَدَّثُ عَنْ ولادَةِ الرَّبِّ الثَّانِيَةِ في الجَسَدِ،[١١] وَلِهَذا السَّبَبِ بَدَأَ نَسَبَه مِنْ إبراهِيمَ، فَمَيَّزَ قَبيلَةَ يهوذا، إلى أَنْ وَصَلَ إلى يوسفَ وَمَريم. وبمَا أَنَّ الإنجيليَّ يَبْدَأُ مِن إبْراهيمَ ويَذْكُرُ بالتَّرتيبِ أَسْمَاءَ جَمِيعِ نَسْلِه، فَيَتَسَاءَلُ المرءُ لِمَاذا يُسَمّي رَبَّنَا يَسوعَ المسيحَ ابنَ داودَ وابنَ إبْراهيمَ قَائلاً: «سِجِلُّ نَسَبِ يسوعَ المَسيحِ ابنِ داودَ ابنِ إبْراهيم». في أَيِّ حَالٍ، نَعْرِفُ أَنَّ الإنجيليَّ لَمْ يَذْكُرْ هَذا التَّرتيبَ بدُونِ سَبَبٍ. لَقَدْ عَاشَ كُلٌّ مِنْ إبراهيم وداود، سَوَاءٌ بوَعْدِ الرَّبِّ أَو بتَرْتيبِ الولادَةِ، كَسَلَفٍ مُهِمٍّ في نَسَبِ المَسِيحِ يسوع بالجَسَدِ. فَالرَّبُّ وَعَدَ إبْراهيمَ، الَّذي كَانَ بمُوجِبِ الخِتَانِ البَطْريركَ المُؤَسِّسَ للشَّعْبِ اليَهوديّ، بأَنَّهُ بذُرِّيَّتِه تَتَبَارَكُ الأُمَمُ جَمِيعُهَا. وَهَذا تَمَّ في المَسِيحِ الَّذي اتَّخَذَ جَسَدَه مِنْ نَسْلِ إبْراهيم. يُفَسِّرُ الرَّسُولُ هَذا قَائلاً إلى أَهْلِ غَلاطِيَة: «عَلَى أَنَّ المَواعِدَ قد وُجِّهَت إلى إبْراهِيمَ وإلى نَسْلِه، وَلَمْ يَقُل: «إلى أَنسَالِه» بصِيغَةِ الجَمْعِ، بَلْ «إلى نَسْلِه» بصِيغَةِ المُفْرَدِ، أَي المَسِيحِ».[١٢] وَقَدْ كَانَ دَاودُ الأَوّلَ في سِبْطِ يهوذا مِنْ حَيْثُ التَّرتِيبُ المُلُوكِيُّ. وَلِذَا وَعَدَ الله هَذَا السِّبطَ بأَن يُولَدَ لَه المَلْكُ الأَبَدِيُّ، المَسِيحُ الرَّبُّ، مِنْ ثَمَرَةِ رَحمِه. فَدَاودُ كَانَ المَلِكَ الأَوّلَ مِنْ سِبْطِ يَهُوذا، الَّذي مِنْه اتَّخَذَ اللهُ جَسَدًا. لذا عَدَّ متّى المَسِيحَ الرَّبَّ أَنَّه من نَسْلِ داودَ وَإبْراهيم، لأَنَّ يوسفَ وَمَرْيمَ يَنْتَسِبَانِ إلى هَذِه الأُصُولِ المَلَكِيَّةِ، أَي إلى نَسْلِ دَاود، المُتَحَدِّرِ

---

[٩] إنَّ إبراهيم يُذْكَرُ بعد داود الذي خَلَفَهُ زمنيًّا، إذْ به بَدَأَ الإنجيليُّ لائحة نسبِ يسوع.

[١٠] PG 6: 612-13

[١١] يُولَدُ الابنُ أزليًّا من الآبِ ويُولَدُ في الجسدِ في تجسُّدِه. لذلك قيل إنَّ ولادته في الجسدِ هي ثانية بالنسبة إلى ولادتِه الأزليّة.

[١٢] غلاطية ٣: ١٦.

هُوَ نَفْسُه مِنْ نَسل إبْراهيم أَبِ الأُمَمِ بالإيمَانِ وَأَبِ الشَّعْبِ اليَهُودِيِّ في الجَسَدِ. مَوْعِظَةٌ حول متّى ١. ١.[١٣]

الذُّرِّيَّةُ المَلُوكِيَّةُ كَمَا قَدَّمَهَا متّى.

هيلاريون: مَا أَبْرَزَه متّى في تَرْتِيبِ الذُّرِّيَّةِ المَلُوكِيَّةِ أَوْرَدَه لوقا وَفْقَ الأَصْلِ الكَهْنُوتِيِّ.[١٤] وفيما يُرَاعي كُلٌّ مِنهُمَا تَرْتِيبَه، فَهُمَا يُشِيرَانِ إلى عَلاقَةِ الرَّبِّ بنَسَبِ أَجْدَادِه. يُعْرَضُ تَرْتِيبُ نَسَبِه بشَكْلٍ لائِقٍ، لأَنَّ مَجْمُوعَةَ الأَسْبَاطِ المَلُوكِيَّةِ والكَهْنُوتِيَّةِ الَّتي ابتَدَأَتْ بداودَ عَبْرَ الزَّواجِ تُثبِّتُ الآنَ بسُلالَةِ شأَلْتئيل إلى زَرُبابِلَ. وَهكَذا فِيما يُبْرِزُ متّى أَصْلَه الأَبويَّ الَّذي بَدَأَ في يهوذا، يُعلِّمُ لوقا أَنَّ أَسلافَه يَنْتَسِبون إلى سِبْطِ لاوي عَبْرَ ناثان. فَيَكْشِفُ كُلٌّ مِنهُمَا بطَرِيقَتِهِ الخَاصَّةِ مَجْدَ رَبِّنا يَسوعَ المسيحِ، الَّذي هُوَ المَلِكُ السَّرْمَديُّ والكَاهِنُ الأَزَليُّ، كَمَا يُرَى في أَصْلِ أَسْلافِهِ بحَسَبِ الجَسَدِ. لَيْسَ ضَرُورِيًّا أَنْ يُرْوَى أَصْلُ يوسُف بَدَلاً مِنْ أَصْلِ مَرْيَمَ، إذ إنَّ هُنَاكَ الدَّمَ الوَاحِدَ نَفْسَه، دمَ عَلاقَةِ السِّبْطِ كُلِّه. فَضْلاً عَنْ ذَلِكَ، يُقدِّمُ كُلٌّ مِنْ متّى ولوقا سَوابِقَ لذَلِكَ. فَلا يُسَمِّيَان الآباءَ بحَسَبِ سُلالَتِهم فَحَسْب، بَلْ بحَسَبِ سِبْطِهم أَيضًا، لأَنَّ السِّبْطَ يَبْدَأُ مِنْ فَرْدٍ وَاحِدٍ وَيَسْتَمِرُّ تحتَ سُلالَةٍ وَاحِدَةٍ وَأَصْلٍ عَائِلِيٍّ وَاحِدٍ. لا شَكَّ في أَنَّ المَسِيحَ هُوَ ابنُ داودَ وَإبْرَاهِيم، لِذَلِكَ بَدَأَ متّى إنجيلَه بهَذِه الطَّريقَةِ: «سِجِلُّ نَسَبِ يَسوعَ المَسِيح، ابنِ داود، ابنِ إبراهيم». لا يَهمُّنا التَّرتِيبُ المَوضُوع فيه، مَا دَامَتِ العَائِلَةُ كلُّها تتَفَرَّعُ مِنْ مَصْدَرٍ وَاحِدٍ. فيوسفُ ومَريمُ يَنْتَمِيانِ إلى السِّبْطِ نَفْسِه. يَظْهَرُ يوسفُ أَنَّه تَحَدَّرَ مِنْ سُلالَةِ إبراهيم. كَمَا يَظْهَرُ أَنَّ مَرْيَمَ تَحَدَّرَتْ مِنَ السُّلالَةِ نَفْسِها. ولِهَذَا النِّظَامِ قَانُونٌ يَنُصُّ عَلَى أَنَّه إذا مَاتَ الأَكبرُ في العَائِلَةِ بدونِ أَبناءٍ يَتَّخِذُ الأخُ الأَصْغرُ أَرملَتَهُ زَوجَةً لَه، فَيَعْتَبِرُ أَبْنَاءَه وكَأَنَّهم قُبِلُوا في عَائِلَةِ المتوفَّى؛ وَهكَذا تَسْتَمِرُّ سُلالَةُ البِكْرِ، لأَنَّ البِكْرَ يُعْتَبَر أَبًا، وَلأَنَّ الأَبْنَاءَ يَحمِلونَ مِنْ بَعْدِه اسمَه وَكِنْيَتَه. في متّى ١. ١.[١٥]

---

[١٣] CCL 9a: 193-94

[١٤] أَقلقَ التعارضُ بين متّى ولوقا في مسألةِ نسبِ يسوع المفسِّرين القدماء. وبالرجوعِ إلى لوقا يُفسِّرُ هيلاريون نسبَه إلى سبطِ لاوي الذي لم تكنْ له مملكةٌ معيَّنةٌ، بل كان مختلطًا مع الأسباطِ الأخرى. هكذا يُكْشَفُ عن أصلِ مسيًّا الملوكيِّ (من يهوذا) وعن أصلِه الكهنوتيِّ من لاوي.

[١٥] SC 254: 90-92

يُوضِحُ هيلاريون سببَ اختلافِ روايةِ متّى في شأنِ نسبِ يسوع عن روايةِ لوقا. إذا ما نظَرْنا إليهما معًا نجد أنَّهما يُتمِّمان بعضُهما البعض، فيُظهران نسبَه الكهنوتيَّ والملوكيَّ. فمريمُ ويوسف يَنحدرَان من إبراهيم وداود.

تَفْسِيرُ التَّقريرَين المُخْتَلِفَين في نَسَبِه.

أوغسطين: يَعْتَري بَعْضَهُم الشَّكُّ في نَسَبِ يَسوع، إذْ إنَّ متّى يُوردُ سِلْسِلَةً واحِدَةً مِنْ نَسَبِه، تَنْحَدِرُ من داودَ إلى يوسف،[١٦] فيمَا يُعيِّنُ لوقا نَسَبًا مُخْتَلفًا، راجِعًا بالأَسْلافِ إلى الوَراءِ انطِلاقًا مِنْ يوسفَ إلى داود.[١٧] كانَ مِنَ السُّهولَةِ بمكَانِ الإشَارَةُ إلى أنَّ ليوسُفَ أَبوين، أبًا بحسَبِ الدَّمِ وأبًا بالتّبَنِّي.[١٨] وقد كانَتْ هذِه عادَةَ التّبنّي حتّى بين أبناءِ شَعْبِ الله. بهذِه الطَّريقَةِ استطَاعُوا أنْ يُعطُوا البُنُوَّةَ للَّذينَ لا يَلِدُون. تذكَّرْ كيفَ اتَّخَذَتِ ابنَةُ فِرعونَ مُوسى ابنًا لَها[١٩] (وكانَتْ غريبةً). ويَعْقُوبُ نَفْسُه اتّخَذَ أَحفَادَه، أي أَوْلادَ يوسف، أبناءً: «والآنَ فَابنَاكَ، مَنَسّى وأَفرايم، اللّذان وُلِدَا لَكَ في أَرْضِ مِصْرَ، قَبْلَ مَجيئي إليكَ، يَكُونَانِ لي مِثْلَ رَأوبين وَشَمعون. ومَنْ يُولَدُ لك بَعْدَهُما مِنَ البَنين يكُونُ لَكَ».[٢٠] مِنْ هُنَا كَانَ أنَّ هُنَاكَ اثنَي عَشَرَ سِبْطًا لإسْرَائيلَ، بمن فِيهِم سِبطُ لاوي الَّذي أُسْنِدَت إليه مَهَمّةُ الاهتِمَامِ بالهَيكَلِ. وَفِي الوَاقِعِ كَانَ هُنَاكَ ثَلاثَةَ عَشَرَ سِبْطًا، بالرَّغْمِ مِنْ أنَّه كَانَ ليَعْقُوبَ اثنَا عَشَرَ ابنًا. شَمَلَ لوقا أَبَ يوسُفَ في إنْجِيلِه بمَن تبنَّاه، لا بِمَن أَنْجَبَه، فَعَدَّدَ أَسْلافَه صُعُودًا إلى أنْ وَصَلَ إلى داود. تَنَاغُمُ الأناجيل. ٢. ٣. ٥.[٢١]

٢:١ إبْراهيمُ وَإسحقُ ويَعْقُوب

كَيفَ كَانَتْ وِلادَةُ إسحق رَمْزًا لوِلادَةِ المَسيح؟ كَاتِبٌ مَجْهُولٌ: كَانَ إبراهِيمُ أَبَ المُؤمِنين،[٢٢] وَلَمَّا شَاءَ اللّهُ أَنْ يَجْعَلَه مِثَالاً للأبرار، قَالَ له: «إرْحَلْ مِنْ أَرضِكَ وَعَشِيرَتِكَ وَبَيتِ أَبيكَ إلى الأَرْضِ الَّتي أُريك».[٢٣] فَالرَّاغِبُونَ في أَنْ يَكُونُوا أَبنَاءَ إبراهيم عَليهِم أَنْ يَعْرِفُوا كَيفَ يَحْصَلُونَ عَلَى أَرضِ الوَعْدِ الحَيَّةِ، فقَد كُتِبَ: «أَنا مُؤمِنٌ بأَنْ أَرى جُودَ الرَّبِّ في أَرْضِ الأَحيَاءِ»[٢٤] . . .فالَّذينَ لا يَرغَبونَ في الاقتِدَاءِ بإبرَاهِيمَ في الإيمَانِ

[١٦] متّى ١:١– ١٦.

[١٧] لوقا ٣: ٢٣– ٣٨.

[١٨] بالنسبة إلى متّى ١: ١٦ كان يوسف ابنَ يعقوب؛ وبالنسبة إلى لوقا ٣: ٢٣ كان يوسف ابنَ عالي. تنحلّ المشكلة باقتراض أب جسديّ وأب بالتبنّي.

[١٩] خروج ٢: ١٠.

[٢٠] تكوين ٤٨: ٥ – ٦.

[٢١] PL 34: 1072-73; NPNF 1 6: 103-4

[٢٢] إلى جانبِ النُّصوص المُقْتَبَسة، يَشْرَحُ هذا النَّصّ كلّ شخص وردَ اسمُه في نسبِ المسيح. التفسيرُ مجازيٌّ، والمجاز– المشتقّ في الغالبِ من علم أصولِ الأسماء– يعتبرُ العهدَ القديمَ تحضيرًا نبويًّا ورمزيًّا للعهد الجديد، بحيث تُعْلَن استمراريةُ العهدين ويُعْلَن معها معنى العهد القديم. تفسيره طويلٌ جدًّا بحيث يصعبُ استخراجُه كلّيًّا، فهو مُنَظَّمٌ لتفسير شخصيّاتٍ لها أهمّيّة رمزيّة أو تاريخيّة خاصّة.

[٢٣] تكوين ١٢: ١.

[٢٤] مزمور ٢٧: ١٣ (في الترجمة السبعينيّة ٢٦: ١٣).

لا يُمْكِنُهم أَنْ يَكُونُوا مِنْ أَبنَائِهِ. «وَكَانَ إبراهِيمُ أَبَا إِسحَق»،[٢٥] الّذي فُسِّرَ كَدُعَابَةٍ، أي الدُّعَابَةِ المُقَدَّسَةِ. إنَّها لَمْ تَكُن ثَرْثَرَةَ الشِّفاهِ البُلْهِ، بَلْ كَانَتْ فَرحَةً رُوحِيَّةً مِنَ القلبِ، فكَانَتْ سِرَّ المَسِيحِ الكَامِنِ في كُلِّ شَيءٍ. بهذِهِ الطَّرِيقَةِ أُعطِيَ إسحَقُ إلى أَبوَين فَاقِدَيِ الأَمَلِ لِيكُونَ لَهُمَا فَرَحًا في شَيْخُوخَتِهِما الّتي تَجَاوَزَتْ سِنَّ الإِنجَابِ. لَمْ يَكُنْ إسحَقُ ابنَ الطَّبيعَةِ، بَل ابنَ النِّعْمَةِ. بهذِهِ الطَّريقَةِ وُلِدَ إسحَقُ لأمٍ يهُودِيَّةٍ في نِهَايَةِ حيَاتِها كَفَرحٍ يَنظُرُ إِلَيهِ الجَمِيعُ. لِهَذَا تحدَّثَ المَلاكُ إلى الرُّعَاةِ قَائِلاً: «هَا إِنِّي أُبشِّرُكم بِفَرَحٍ عَظِيمٍ يكُونُ فَرحَ الشَّعْبِ كُلِّه».[٢٦] وكَذَلِكَ قَالَ الرَّسُولُ: «فَلَمَّا بَلَغَ مِلءُ الزَّمَانِ، أَرْسَلَ اللهُ ابنَهُ مَولُودًا لامرَأَةٍ، مَولُودًا في حُكْمِ الشَّريعَةِ».[٢٧] بالرَّغمِ مِنْ أَنَّ ابنَ اللهِ قَدْ وُلِدَ لِعَذْرَاءَ، وَإسحَقَ وُلِدَ لامرَأَةٍ عَجُوزٍ، فَإنَّهما وُلِدا وَرَاءَ تَوَقُّعَاتِ الطَّبيعَةِ. فَإسحقُ تَأَخَّرَ إلى أَنْ استطَاعَتْ أُمُّه أَنْ تَلِدَ، ويَسُوعُ جَاءَ قَبْلَ أَنْ تَسْتَطِيعَ أُمُّه أَنْ تَلِدَه.[٢٨] الأَوَّلُ وُلِدَ لامرَأَةٍ عَجُوزٍ كَانَتْ عَلَى وَشْكِ الانهِيارِ، وَالثَّاني وُلِدَ لِعَذْرَاءَ طَاهِرَةٍ. الأَوَّلُ كَانَ تَحْتَ الشَّرِيعَةِ الَّتي كَانَتْ سَتَزُولُ، والثَّاني وُلِدَ تَحْتَ النِّعْمَةِ الَّتي ستَبْقَى. عَمَلٌ غيرُ كَامِلٍ على متّى، الموعظة ١.[٢٩]

كَيفَ كَانَ أَبنَاءُ يعقُوبَ الاثنا عَشَرَ رُموزًا للاثنَي عشَرَ في الدَّهرِ الآتي.

كَاتِبٌ مَجْهُولٌ: أَنْجَبَ إسحَقُ عيسو ويعقوبَ. وَهَذا يَرْمُزُ إلى دَهْرَين. فعيسو الَّذي غُطِّيَ بشَعرٍ مِنْ رأسِه إلى أَخْمَصِ قدمَيه يُمَثِّلُ الدَّهْرَ الأَوَّلَ المَلِيءَ بالخَطِيئَةِ، مِنْ بَدئِه إلى نِهَايتِه، كَالأَشعَثِ الشَّعرِ. أمَّا يعقُوبُ، الَّذي كَانَ وَسِيمًا وَمُهذَّبًا كُلَّ التَّهْذِيبِ، فَإنَّما يُشِيرُ إلى الدَّهْرِ الآتي. سيَتَأَلَّقُ هَذَا الدَّهرُ[٣٠] بِرَوعَةِ التَّقْوى، فَلَنْ يَتَلَوَّثَ بسَمَاجَةِ الخَطِيئَةِ أَو دَنَسِها. لَقَد أَمْسَكَ يعقوبُ بعَقِبِ عيسو لَمَّا تَرَكَ رَحِمَ أُمِّه، فَسُمِّي يعقوب، أَيْ «مَنْ يَلِي عقِبَ الآخَرِ (أَو مَنْ جَاءَ بعَقِبِه)».[٣١] فكَمَا ظَهَرَ رَأْسُ يَعْقُوبَ حَالَما خَرَجَت قَدمَا أَخِيه، هكَذَا أَيضًا سَتَظْهَرُ بَدَاءَةُ الدَّهرِ الآتي للحَالِ بَعْدَ نِهَايَةِ ذَلِكَ الدَّهرِ الأَوَّلِ. فَكمَا اضطَهَدَ عيسو يَعْقُوبَ، هكَذَا يَضطَهِدُ أَبنَاءُ

[٢٥] تكوين ٢٥: ١٩.

[٢٦] لوقا ٢: ١٠.

[٢٧] غلاطية ٤: ٤.

[٢٨] لاحظْ غرابةَ انعكاسِ الرَّمزين: إسحق تأخَّرَ في مجيئه إلى أن تجاوزتْ أمُّه مرحلةَ الإنجابِ الطَّبيعيِّ، في حين أنَّ يسوعَ كانَ موجودًا منذ الأزلِ بكونه كلمةَ الله، أي قبلَ أنْ تُدْعَى أمّه إلى الولادة.

[٢٩] PG 56: 613

[٣٠] التالي لتجسّد المسيح.

[٣١] Supplantator

ذَلِك الدَّهرِ أبناءَ هَذَا الدَّهرِ. وَكمَا تَغلَّبَ يعقُوبُ عَلَى الرِّجَالِ الأَشْرارِ بهَربه وبعَدَمِ صُمُودِه، هكَذَا أَيضًا يفْعَلُ أَبنَاؤه. وكمَا دَنَتْ أُمُّ يعْقُوب مِنْه قَائِلَةً: «وَالآنَ اسمَعْ لكَلامِي يَا ابنِي، فَقُمْ واهْرُبْ إلى بِلادِ مَا بَينَ النَّهْرينِ حتَّى يَهْدأَ غَضَبُ أَخِيكَ»،[٣٢] هكَذا أيضًا تُعَلِّمُ الكَنِيسَةُ أَبنَاءهَا كُلَّ يومٍ. فَلَمَّا عَانَوْا الاضطِهَادَ، أَجْرَتْ لَهُم النُّصْحَ: «وَإذَا طَارَدُوكُم في مدينةٍ فَاهرُبوا إلى غيرِهَا».[٣٣] «ولا تنْتَقِمُوا لأنفُسِكُم».[٣٤] «ويَعقوبُ وَلَدَ يَهوذا وإِخوتَه».[٣٥] ويعقُوبُنا أَنْجَبَ أَيضًا الاثني عَشَرَ رَسُولاً في الرُّوحِ والكَلِمَة، لا في الجَسَدِ والدَّمِ. فكَمَا نَزَلَ يَعْقُوبُ إلى أَرضِ مِصرَ معْ أَبنَائه الاثني عَشر ليَتكَاثَرَ نَسْلُه، هَكَذا نَزلَ أَيضًا المَسِيحُ إلى العَالَمِ مع رُسُلِه الاثني عَشَر، فتكَاثَر المُؤمِنُونَ بِه في أَنحَاءِ العَالَمِ، كَمَا شهِدَتْ لَه أَعمَالُه. عَمَلٌ غَيرُ كَاملٍ حول متّى، موعظة ١.[٣٦]

٣:١ يَهوذا وذُرِّيَّتُه

كَيفَ يُمْكِنُ وُجودُ الزُّنَاةِ في نَسَبِ يسوع؟ سويروس: أَمَّا بشَأْنِ سِلْسِلَةِ النَّسبِ فَقَد أَوردَ الإِنجيليُّ عَنْ بَعْضِ الأَشخَاصِ مُعَاشَراتٍ غَيرَ مَشْرُوعَةٍ لا تُوَافِقُ الشَّرِيعَةَ، إذ كَتبَ باجتِهَادٍ وَعَنْ قَصْدٍ أَنَّ يهوذا وَلَد فَارص وزارح مِنْ تَامَار، وأَنَّ داودَ المَلِكَ وَلَدَ سُليمَان مِنْ امرأَةِ أُورِيَّا. فَهَاتَانِ ارتَكَبَتَا الزِّنَى وَالدَّعَارَةَ. لَقَد فَعَلَ (الإِنجِيليُّ) هَذَا ليكْشِفَ بوُضُوحٍ عَنْ أَنَّ المَسِيحَ إِنَّما جَاءَ لِيَشْفِيَ طَبِيعتَنَا الَّتي زَلَّتْ وَسَقَطَتْ وانْغَمَسَتْ في شَهَواتٍ غَيرِ مَشْرُوعَةٍ، وَلِيَشُدَّهَا إلى الخَلْفِ حِينَ تَهُمُّ بالانفِلاتِ. وَحِينَ تَهرُبُ ثَائِرةً مُبْتَعِدةً فَإِنَّه يُمْسِكُهَا كَابِحًا جمَاحَهَا فيَمْنَعُها مِنَ الانزلاقِ إلى أَسْفَل. وَهَذَا مَا يُثْبِتُ مَا قِيلَ عَلَى لسَانِ الرَّسُولِ «لا يُمْسِكُ بِالمَلائِكَةِ، بلْ بِنَسْلِ إبراهِيم» وَمِنْ هُنَا يَجِبُ عَليْهِ أَنْ يَتَشَبَّه بإِخْوَته في كُلِّ شَيءٍ.[٣٧]

هَذا هُوَ الطَّبعُ الَّذي رَضِيَ المَسِيحُ بأَنْ يَنْتَسِبَ إِلَيه، الطَّبْعُ الَّذي تَوَرَّط بالزِّنَى ليُطَهِّرَه، ووَقَعَ في المَرضِ لِيَشفِيَه، وَسَقَطَ لِيُقِيمَه، وذَلِكَ اتِّضَاعًا مِنْه وَمحبَّةً للبَشَرِ، وَأَيضًا لِيَاقةً بِالأُلوهَةِ. لَقد اتَّحَدَ بِجَسَدٍ مُسَاوٍ لَنَا في الجَوهَرِ، ذِي نَفْسٍ عَاقِلَةٍ بلا

[٣٢] تكوين ٢٧: ٤٣- ٤٤.
[٣٣] متّى ١٠: ٢٣.
[٣٤] رومية ١٢: ١٩.
[٣٥] متّى ١: ٢.
[٣٦] PG 56: 614
[٣٧] عبرانيّين ٢: ١٦-١٧.

خَطِيئةٍ، وَتمَّ هَذا بواسِطَةِ البَتُولِيَّةِ (أَي بواسِطَةِ مَريَم) وباتِّخاذِه الجسَدَ مِنَ الأَحشاءِ وبالحبَلِ بِهِ مِنَ الرُّوحِ القُدْس، وَالوِلادَةِ الَّتي لَمْ تَعْرِفِ الزَّوَاجَ أَو المُعَاشَرَةَ الزَّوجِيَّةَ، وَبِنَحوٍ لا يوصَفُ بَقِيَ خَتْمُ طَهَارَةِ البَتُولِيَّةِ غَيرَ مَفْضُوض. مواعظ الكاتدرائيّة، الموعظة ٩٤.[٣٨]

فارِصُ وزارِحُ هما رمزان. كَاتِبٌ مَجْهُولٌ: أَصْبَحَ يَهوذا «أَبَا فارص وزارح مِنْ تامار»،[٣٩] في سِرٍّ تَحقَّقَتْ فيه توقُّعاتُ الشَّعْبِ اليَهُوديِّ والأُمَم. زارح (هُوَ رَمْزُ إسْرائيل) كَانَ أَوَّلَ مَنْ خَرَجَ مِنَ الرَّحِمِ، «فَرَبَطَتِ القَابِلَةُ يَدَه بخَيطٍ قرمزيّ» مُشِيرَةً بذَلِكَ إلى الشَّعْبِ اليَهُودِيِّ الَّذي وُسِمَ بدَمِ الخِتَان. إنسَحَبَ زارحُ، وخَرَجَ فارصُ (هُوَ رَمْزُ الأُمَم). فَاللَّحْمُ الَّذي غلَّفَ زارحَ قَدْ سُدَّ، لَكِنَّ اللَّحْمَ الَّذي غلَّفَ فارصَ قَدْ فُتِح. لذَلِكَ خَرَجَ فَارصُ أَوَّلاً.[٤٠] هَكَذا ظَهَرَ الشَّعْبُ اليَهُودِيُّ الأَوَّلُ في ضَوءِ الإيمَان، وكَأَنّه يَخرجُ مِنْ رَحِمِ العَالَمِ المُظْلِم. ولذَلِكَ وُسِمُوا بخَيطِ الخِتَانِ القِرمِزيِّ، فَاعتَقَدَ الجَمِيعُ أَنَّ شَعْبَ اللّه هذا سيكُونُ الأَوَّلَ. لَكِنْ مَاذا حَدَث؟ وُضِعَتْ أَمَامَهم الشَّرِيعَةُ كحَاجِزٍ يقِفُ أَمَامَ حُكمِ اللّه. فَالشَّرِيعَةُ، كمَا نَعْرِفُ، قَدْ تُعِيقُ الإيمَانَ ولا تُسَاعِدُه؛ فَإِنَّه مَكْتُوبٌ: «لأَنَّ الخَطِيئَةَ بلا شَرِيعَةٍ مَيْتَةٌ. كُنْتُ أَحيَا مِنْ قَبْلُ بلا شَرِيعَةٍ، فَلمَّا جَاءَتِ الوَصِيَّةُ عَاشَتِ الخَطِيئَةُ وَمُتُّ أَنَا».[٤١] هَكَذا، وبسَبَبِ الخَطِيئَةِ، أَعَاقَتِ الشَّرِيعَةُ طَرِيقَ الشَّعْبِ اليَهودِيِّ، لذَا لم يَأْتوا إلى نُورِ الحقِّ. لَكِنْ، لَمَّا جَاءَ المَسِيحُ في مِلءِ الزَّمَانِ هُدِمَ حَاجِزُ الشَّرِيعَةِ الَّذي كَانَ قَائمًا بينَ اليَهُودِ والأُمَمِ كَمَا يَقُولُ الرَّسُولُ: «[هو] هَدَمَ حَاجِزَ العَدَاوةِ الَّذي يَفْصِلُ بَيْنَهُما».[٤٢] فَحَصَلَ أَنَّ الشَّعْبَ اليَهُودِيَّ، الَّذي جَاءَ أَوَّلاً، صَارَ أَسيرًا، فِيمَا بقِيَتِ الأُمَمُ وكَأَنَّهَا في رَحِمِ العَالَمِ المُظْلِم. وَمَا إِنْ هُدِمَتِ الشَّرِيعَةُ بأَمْرِ المَسِيحِ حتّى أَقْبَلَتِ الأُممُ أَوَّلاً، بَعْدَ إِقْصَاءِ الشَّعْبِ اليَهُودِيِّ ، إلى الإيمَانِ [بالإنجيل]. وَمِنْ ثَمَّ سيَتْبَعُها الشَّعْبُ اليَهُودِيُّ. يَقُولُ الرَّسُولُ: «وَإنِّي أَكْشِفُ لَكُمْ سِرًّا (...) إنَّ العَمَى الَّذي أَصَابَ قِسمًا مِنْ إسرائيل سيَبْقَى إلى أَنْ تَدخُلَ الأُمَمُ جُمْلَةً، وهكَذا يَخْلُصُ جَمِيعُ بَني إسرائيل».[٤٣] عَمَلٌ غيرُ كَامِلٍ حول متّى، الموعظة ١.[٤٤]

---

(٣٨) PO 25: 53-54

(٣٩) متّى ١: ٣.

(٤٠) تكوين ٣٨: ٢٧- ٣٠.

(٤١) رومية ٧: ٨- ١٠.

(٤٢) أفسس ٢: ١٤.

(٤٣) ١ كور ١٥: ٥١؛ رومية ١١: ٢٥- ٢٦.

(٤٤) PG 56: 614-15

٤:١ وسَلمونُ ولَدَ بُوعَزَ من راحاب

راحاب الّتي أَحبَّتْ إسرائيلَ هِي رَمْزُ الكَنِيسَةِ. كَاتِبٌ مَجْهُولٌ: «نحشون وَلَدَ سلمون». سلمون[٤٥] يَعْنِي «تَقبّلَ الإِنَاء». اتَّخَذَ سلمونُ راحابَ زَوْجَةً له، عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّها كَانَتْ مُومِسًا مِنْ أَرِيحَا. فَهِي أَحَبَّتْ إِسْرائيلَ أَكْثَرَ مِنْ شَعْبِهَا وكَانَتْ تَسْتَضِيفُ مَبْعُوثِي إِسْرَائيل وَتُحْسِنُ مُعَامَلَتَهُم. وَحَدَثَ أَنَّ مَلِكَ أَرِيحا طَارَدَ الجَوَاسِيسَ لِيَسْتَأْصِلَ شَأْفَتَهُم، غيرَ أَنَّ راحابَ أَخْفَتهُم عَلَى سَطْحِ دَارِهَا، فَأَنْقَذَتْهُم مِنْ كُلِّ ضَرر. فكَانَ مِنَ المَعْقُولِ فِي هَذِه الحَالَةِ أَنْ يَتَزَوَّجَهَا سلمون، وَقَدْ كَانَ أَحَدَ نُبَلاءِ إِسرائيل، وَابنًا لأَحَدِ أُمَراءِ قَبيلَةِ يهوَذا، بَدَا له أَنَّها آمَنَتْ واهتَدَتْ إِلى الخَيْرِ وَنَالَتْ حُظْوَةً عِندَ اللهِ الَّذي أَمَرَ بِأَنْ يُؤتَى بِهَا مِنْ أَرِيحا، وَقَدْ عُدَّتْ مِنْ بَيْنِ بَنَاتِ إِسْرَائيل. إِنَّ امرَأَةً رَائِعَةً كَهَذِهِ استَحَقَّتْ عَنْ جَدَارَةٍ أَنْ تَكُونَ زَوْجَةً لسلمون. لِذَلِكَ أُؤمِنُ، بِمَنْطِقِ السِّرِّ الرُّوحِيِّ، أَنَّ رَاحَابَ المُومِسَ كَانَتْ رَمْزًا لِلكَنِيسَةِ. إِذ، عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّها كَانَتْ مُومِسًا مِنْ بَينِ الأُمَمِ وَمُلَوَّثةً بِعِبَادَةِ الأَوثَانِ، فَقَد استَقْبَلَتْ رُسُلَ يسوع المسيحِ فِي بَيْتِ قَلْبِهَا بِسَبَبِ كَلامِهِم. فَأَخْفَتْهُم في خِزَانَةِ ذَاكِرَتِها، حَتَّى لا يَجِدهُم رَئيسُ العَالَمِ، أَي إِبْلِيسُ، وَلا يَقْتُلَ أُولئكَ المَوسُومِينَ بِالحَبْلِ القِرمِزِيِّ، بَلْ يُدلُّون مِنْ النَّافِذَةِ. وَكَأَنَّ الكَنِيسَةَ أُنْقِذَتْ بِسِمَةِ آلامِ الرَّبِّ، فَاقْتِيدَتْ خَارِجَ العَالَمِ وَجُعِلَت طَاهِرَةً، وَأَصْبَحَتْ عَرُوسَ المَسِيحِ.

وَراحَابُ هَذِه، بَعْدَ أَنْ تَزَوَّجَت سلمون، سُمِّيَت رَاكَاب[٤٦] Rachab أَي «الصُّعُود». فَكَمَا أَنَّها صَعِدَتْ بِجَسَدِها، وَأَصْبَحَتْ إِحْدَى بَنَاتِ إِسْرَائيل وَكُرِّمَتْ بِاقْتِرَانِها بِذَلِكَ الرَّجُلِ، فَإِنَّهَا صَعِدَت كذلك رُوحِيًّا. وَهَكَذَا فَإِنَّ الكَنِيسَةَ، بِالرَّغْمِ مِنْ أَنَّها كَانَتْ مِنْ قَبلُ تَعْبُدُ الأَوثَانَ، قَد صَحِبَتِ المَلائِكَةَ، وَأَمْسَت عَرُوسَ المَسِيحِ وَابنَةَ اللهِ. عَمَلٌ غيرُ كَامِلٍ حول متّى، الموعظة ١.[٤٧]

٥:١ وبُوعَزُ ولَدَ عُوبيد

إِتِّحَادُ عُوبِيد بِراعوث أَنْجَبَ أُمَّةً مَلُوكِيَّةً. كَاتِبٌ مَجْهُولٌ: سَلَمون الَّذي تَفْسِيرُه «تَقَبَّلَ الإِنَاءَ»، أَيَّ ابنٍ أَنْجَبَ مِن رَاحَاب؟ بوعز يَعْنِي «بِقُوَّةٍ» أَو «القُوَّة فِيه» أَو «المُظْهِر القُوَّة». فَبِأَمرِ اللهِ اتَّخَذَ بوعزُ راعوثَ زَوْجَةً له، وَكَانَ ذَلِكَ بِتَدْبِيرٍ إِلَهِيٍّ.

---

[٤٥] حرفيًا يعني «المكسو».

[٤٦] في اللاتينيّة *Raab* to *Rachab*.

[٤٧] PG 56: 618

وبقُوَّةٍ أَنْجب أولادًا أقْويَاء النَّفْس مُميَّزين. لَكِنَّ الَّذين يتَّخِذُون زَوجَاتٍ بتَدبير مِنْ إبليس (أي مِنْ دون إدْرَاكٍ دِينيٍّ)، وليسُوا بمُؤمِنين، يُنْجِبُون أطْفَالاً في الضَّعْفِ. لذَلِكَ لا يكُونون أقْوياءَ إلاَّ في فِعْلِ الشَّرِّ. وكعُقُوبَةٍ لهم على عَاداتِهم الآثِمَةِ، فهُم لا يُنْجِبُون أوْلادًا في السَّعادةِ أوْ في المُواسَاةِ.

وهكَذا اتَّخَذَ بوعز زَوجَةً له مِنَ المُوابيّين اسمُهَا راعوث. أظُنُّ أنّه مِنَ النَّافِلَةِ التَحدُّثُ عَنْ كَيْفِيَّةِ اتّخاذِها زَوْجَةً له، لأنَّ الكِتَابَ المُقدَّسَ وَاضِحٌ كُلَّ الوُضُوحِ في هَذَا الأمْرِ. لكِنَّنا نَقُولُ شيئًا وَاحِدًا وهُو أنَّها تزَوَّجَت بوعز بدَافِعٍ مِنْ إيمَانِها. فأهْمَلتْ شَعْبَهَا وأرْضَها وقَومَها واختَارتْ إسْرائيلَ. ومَا كَانَتْ تَنْأى بنَفْسِها عَنْ حَماتِها الغَرِيبَةِ والحَزينَةِ، فكان حِرْصُها عَلى إسْرائيلَ أقْوى مِنْ حِرْصِها على أُمَّتِها. أدَارتْ ظَهْرَهَا إلى آلِهَةِ أسْلافِها واختَارَتِ اللهَ الحَيَّ، فقَالتْ هَذَا الكَلامَ لحمَاتِها: «لا تُلِحِّي عَلَيَّ أنْ أتْرُكَكِ وأُفَارِقَكِ، فَأنا أينَمَا ذهبْتِ أذْهَبُ، وأيْنَمَا أقَمْتِ أُقيمُ. شَعْبُكِ شَعْبي وإلَهُكِ إلَهي. حَيْثُ تَمُوتِينَ أمُوتُ وهُنَاكَ أُدْفَنُ. ولْيُعَاقِبْني الرَّبُّ أشَدَّ العِقَابِ إنْ فَرَّقَ بَيْني وبَيْنَكِ غَيرُ المَوت».[48] لذلِكَ اتَّخَذَها بوعز زَوْجَةً له لإيمَانِها، حتَّى تُولَدَ مِنْ جَرَّاءِ هَذَا الاتِّحَادِ المُقدَّسِ أُمَّةٌ مُلُوكِيَّةٌ. عَمَلٌ غيرُ كَامِلٍ حوْلَ مَتَّى، الموعظة ١.[49]

٦:١ ويَسّى ولَدَ داودَ المَلِك

كَيفَ رَسَمَ داود مُسْبَقًا المَسِيحَ والكَنِيسَةَ. كَاتِبٌ مَجهُولٌ: «يَسَّى وَلَدَ داود المَلِكَ» لأنَّ اللهَ مُبَارَكٌ في جِيلِ الأبرارِ والصِّدِّيقِين. فَمَاذا نَقُولُ عَنْ دَاودَ الَّذي كَانَ، بحَسبِ الكِتَابِ المُقدَّس، مَلِكًا؟ ولو تَغاضَينا عنْ ذلِكَ كُلِّه، لقُلْنا علَى الأقَلِّ إنَّ داودَ كَانَ رَسْمًا للمَسِيح. فلفْظَةُ داود تَعْني «قَويَّ القَبْضَةِ» أو «المَحْبُوب»، كمَا كَانَ المَسِيحُ. وكَانَ داودُ قَوِيًّا في القِتَال، مَحْبُوبًا في بَلَدِه، مُتفوِّقًا في أعْمَالِه، مَشْهُودًا له بالرَّحْمَةِ واللُّطْفِ، وكَانَ يَتوَقَّعُ مَجيءَ المَسِيحِ توقُّعًا نَبويًّا. لَكِنْ، كيفَ يَنْطَبِقُ هذا عَلَى مَفَاسِدِه الظَّالِمَةِ والمُخَالِفَةِ لأعْمَالِهِ القَويمةِ؟ لكِنْ، حتَّى في أسْوأ خَطَايَاه يَقَعُ سِرُّ المَسِيحِ والكَنِيسَةِ. فداودُ فُتِنَ وهُو يُشاهِدُ مِنْ شُرفَتِه العَالِيَةِ بيتشابَع الجَمِيلَةَ تَغْتَسِلُ، فرَاودَهَا وأومأَ إليْها، مَعَ أنَّها كَانَتْ مُقْتَرِنَةً برجُلٍ حِثِّيٍّ. فَالمَسِيحُ، فِيمَا هُو

---

[48] راعوث ١: ١٦- ١٧.

[49] PG 56: 620

كَـائِـنٌ في سَـمَـائـهِ الـعَـالِـيَـةِ وَمُـبْـتَـهِـجٌ في أُلوهِيَّتِه، رَأَى مُسْبَقًا كَنيسَةَ شَعْبِه الجَذَّابَةَ تُـغْـضِـبُـه بِسُلُوكٍ مَـمْـقُـوتٍ وَتَـضَـعُـفُ في الأعمَالِ الجَيِّدَةِ، لَمَّا كَانَتْ عَروسَ إبليس. فَـأَلـقَـى نَظرَه عليْـهَا، فَـأَحَـبَّـهَا وَجَذَبَـهَا إِلى نَفْسِه.[٥٠] عَمَلٌ غيرُ كَامِلٍ على متّى، موعظة ١.[٥١]

بِـنَـاءُ سُـلَـيْـمَان الـهَـيْـكَل يُـمَثِّلُ سَبْقِيًّا الْمَسِـيـحَ. كَـاتِـبٌ مَـجْـهُـولٌ: «وَلَـدَ داودُ سُـلَـيْـمَـانَ». يُـفَـسِّـرُ اسمُ سُـلَـيْـمَـان بِـأَنَّـه «المُسَـالِـم». فَـهُـو «يُـسَـمَّـى «المُسَـالِم» لأَنَّـه أَعْطَى الجَمِيعَ مَمْلَكَةً مُسَالِمَةً في مِنْطَقَةٍ كَانَ النَّاسُ يُحِبُّونَ فِيهَا السَّلامَ، وَيُؤَدُّونَ الضَّرَائِبَ لِبِنَاءِ هَيْكَلٍ لله، وَهكَذَا استَفَادَ مِنْ خِدَمِ النَّـاسِ. بِـهَذِهِ الطَّرِيقَةِ كَانَ سُلَيْمَانُ رَسْمًا لِلمَسِيحِ المُحِبِّ السَّلام، الَّذي أَسْرَعَتْ إِلَيهِ جَمِيعُ الأُمَمِ في إِيمَانٍ، وَأَدُّوا له ضَرَائِبَ الأَعْمَالِ الجَيِّدَةِ الرُّوحِيَّةِ، فَأَعْطَاهُم مَمْلَكَةً مُسَالِمَةً، مَبْنِيَّةً بِالأَحْجَارِ الحَيَّةِ–لا اليَهُودَ فَحَسْب، بَلِ الأُمَمَ أَيضًا– لِيَبْنِيَ هَيْكَلاً حَيًّا للهِ الحَيِّ. عَـمَـلٌ غيرُ كَـامِـلٍ حَـول مـتّـى، الموعظة ١.[٥٢]

لا يَسْتَحِي اللهُ بِالانحِنَاءِ لِيُخَلِّصَ الأَثَمَةَ. سَـويـروس: يَـزْدَري الإنجيلِـيُّ آلامَ جِنْسِنَـا وَيَـكْشِفُ عَنْـهَا، أَيْ عَنِ العُيُوبِ والأَسْقَامِ الَّـتـي انـحَـدَرَ كَلِمَـةُ الله إِلَيْـهَا وَمِنْ أَجْلِـهَا رَحْمَةً مِنْه، لِنُكْثِرَ مِنْ حَمْدِنَا لِمَحَبَّتِهِ لِلبَشَرِ وَسُمُوِّهِ. لا يُمْنَى الطَّبِيبُ بِخَسَارَةٍ إِنْ تَنَازَلَ لِلمَرْضَى. وَفِي الوَقْتِ الَّذي كَانَ عَلَيْهِ أَنْ يَقُولَ فيه: دَاود وَلَدَ سليمان مِنْ بيتشابع، المَرْأَةِ الَّتي سُمِّيَتْ بتشيبع، فَقَدْ أَعْلَنَ قَائِلاً: «مِنْ امـرأةِ أُوريَّـا» كَـمَـن يَـسْـخَـرُ بِـالـزِّنـى، مُظْهِرًا أَنَّ المَسِيحَ الَّذي انحَدَرَ مِنْ نَسْلٍ كَهَذَا «يَحْمِلُ ضَعْفَنَا وَيَتَحَمَّلُ أَسْقَامَنَا»،[٥٣] كَمَا قَـالَ أَحَـدُ الأَنـبِـيَـاءِ. مَـواعـظ الـكـاتـدرائـيّـة، الموعظة ٩٤.[٥٤]

١:٧-١٥ سُلَيمَانُ وَذُرِّيَّتُه

تَوَقُّعُ ثَوْرَةِ الجُمْهُورِ. كَاتِبٌ مَجْهولٌ: يَرمُزُ سُليمانُ إِلى الشَّعبِ المَسِيحِيِّ الَّذي كَانَ عَلَى وَشَكِ النُّمُوِّ. أَمَّا رَحْبَعامُ فَيُشِيرُ إِلى شَعْبٍ في طَرِيقِهِ نَحْوَ الانحِدَارِ. فَلَمَّا أَخْطَأَ سُليمانُ في كِبَرِه، أَطْلَقَ الرَّبُّ العِنَانَ لإِبلِيس، فَاقتُطِعَ

[٥٠] يَتَوسَّعُ كاتبُ «العمل غيرِ الكامل حول متّى» في تفسيرِه لِيَتجاوزَ المِصْداقيَّةَ، وذلك في سبيلِ إيجادِ تشابُـهٍ بين داود والمسيح، وكذلك بين بيتشابع والكنيسة.

[٥١] PG 56: 620

[٥٢] PG: 56: 621

[٥٣] إشعيا ٥٣: ٤؛ متّى ٨: ١٧.

[٥٤] PO: 25: 55

جُزْءٌ حاسِمٌ مِنْ مَمْلَكتِه. وَمَعْ ذلِك، رَفَضَ رَحْبَعامُ نَصِيحَةَ الشُّيوخِ في وَقْتٍ حاسِمٍ، إذْ إنَّـه عَمِلَ بِرَأْيِ رَجُلٍ يَافِعٍ مِنْ رِجَالِ حاشِيَتِه. كادَ أن يفقدَ مَمْلَكته الكامِلة، إذْ إنَّ عَشْرَ قَبائِلَ انفصَلتْ عَنْهُ وَأقامتْ كُلُّ قبيلةٍ مِنْهَا مَلِكًا عَلَيْهَا. ولَمْ يَبْقَ مَعْ حُكْمِ رَحْبَعام إلاَّ قَبيلَتانِ لا ثالِثَةَ لهُمَا.[٥٥] عَمَلٌ غيرُ كامِلٍ حول متّى، الموعظة ١.[٥٦]

١:١٦ يوسفُ وَمَريَمُ

العَلاقَةُ الزَّوجيَّةُ بينَ يُوسُفَ وَمَرْيَمَ. أوغسطين: يَسْتَقْصِي متّى نَسَبَ المَسِيحِ الإنسانيَّ بِهَذِه الطَّرِيقَةِ مُورِدًا أسْلافَهُ ابتِدَاءً مِنْ إبراهيم، وُصُولاً إلى يوسفَ زوجِ مَرْيَمَ الَّتي مِنْها وُلِدَ يسوع. فَلا يَحْسُنُ بِنا أنْ نَحْصُرَ تفْكِيرنَا في يوسفَ بِصَرْفِ النَّظَرِ عَنْ وَضْعِه الزَّوجيِّ مَعْ مَرْيَم الَّتي، وَهِي بَتُولٌ، حَمَلَتِ المَسِيحَ مِنْ غيرِ زَرْعٍ بَشَرِيٍّ... يَجِبُ عَلَى يُوسُفَ أنْ لا يُنْكِرَ أنَّه يُسمَّى أبا المَسِيحِ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أنَّه لَمْ يُنْجِبْه بالاتِّصالِ الجَسَدِيِّ. فَلَو تَبنَّى طِفْلَ رَجُلٍ آخَر، لَكَانَ مِنْ حَقِّه أنْ يكُونَ أبًا له.....

اعتبَرَ بَعْضُهُم المَسِيحَ أنَّه ابنُ يوسفَ، كَمَا لَوْ أنَّه وُلِدَ مِنْ زَرْعِهِ. وَهَذَا هُوَ مَا افترَضَهُ الَّذينَ أغْفَلُوا بَتُولِيَّةَ مَرْيَم. يَقُولُ لوقا: «وَكانَ يَسُوعُ عِنْدَ بَدءِ رِسَالَتِه في نحوِ الثَّلاثين مِنَ العُمْرِ، وَكانَ النَّاسُ يَحْسَبُونَه ابنَ يوسُف».[٥٧] وبدلاً مِنْ أنْ يكْتفِي لوقا بِذِكْرِ مَريمَ كَوالِدَةٍ، ذَكَرهَا وَذَكَر يُوسُفَ كَوالِدين، إذ قَال: «وَكَانَ الطِّفْلُ يَنمُو وَيَشْتَدُّ مُمْتَلِئًا حِكْمَةً، وَكانَتْ نِعْمَةُ الله عَلَيه. وَكَانَ أَبَواه يَذْهَبَانِ بِهِ كُلَّ سَنَةٍ إلى أورشَلِيمَ في عِيدِ الفِصْحِ».[٥٨] وَلِئلاَّ يَظُنَّ المَرْءُ أنَّ لَفْظَة وَالِديه تَعْنِي مَرْيَمَ وَحْدَها وَعَلاقَتَها الدَّمَويَّة، فَعَلَيْنا أنْ نتذكَّرَ كَلامَ لوقا: «وَكَانَ أبواه يُعْجَبَانِ مِمَّا يُقالُ فيه».[٥٩] تَنَاغُمُ الأناجيل ٢. ١. ٢-٣.[٦٠]

مِنْ غيرِ اتِّصالٍ جَسَدِيٍّ. أوغسطين: أَوْرَدَ متّى أنَّ المَسِيحَ وُلِدَ لمَريمَ وَهِيَ عَذْرَاء، لا نَتِيجَة زَرْعٍ بَشَرِيٍّ. فَمَا المُبَرِّرُ أنْ يسمِّي يوسفَ أبَاه؟ المُبَرِّرُ هو أنْ يُعَلِّمَنَا أنَّ يوسُفَ هُوَ زوجُ مَريم، لا بالاتِّصالِ اللَّحْمِيِّ، بَلْ

---

[٥٥] ١ ملوك ١١-١٢؛ أنظر ٢ أخبار ١٠.

[٥٦] PG 56: 621

[٥٧] لوقا ٣: ٢٣.

[٥٨] لوقا ٢: ٤٠- ٤١.

[٥٩] لوقا ٢: ٣٣.

[٦٠] PL 34: 1071-72. NPNF 1 6: 102-3

يَسْألُ أوغسطين: بِأيَّةِ طَرِيقَةٍ يَبْقَى يوسف زَوْجَ مريم البتول؟ على الرَّغم من أنَّ يوسف لم يَكُنْ أبا المسيحِ في الجَسَدِ فقد أدّى دورًا مُهِمًّا في مُؤازرَةِ مريم في تَنْشئةِ المسيح.

بالاتِّحادِ الزَّوجِيِّ الرُّوحِيِّ الحقيقيِّ. . كُلُّ هذا يدُلُّ على أنَّ عِبارَةَ لوقا صوَّبَتْ رأيَ أُولئكَ الَّذين يعْتَقِدُونَ أنَّ يسوعَ وُلِدَ ليُوسُفَ بالطَّريقَةِ ذاتها الَّتي يُولَدُ فيها الآخرون. تناغُمُ الأناجيل ٢. ١. ٣.[٦١]

١٧:١ فمَجْموعُ الأجْيالِ أرْبعَةَ عشَرَ جيلاً

أرْبعُون جِيلاً في ثلاثة عُصُورٍ.

أوغسطين: هَذا العددُ الخاصُّ مِنَ الأجْيالِ هُوَ علامةٌ فتْرَةٍ شاقَّةٍ نُواصِلُ فيهَا، تحْتَ تأديبِ المسيحِ الملِكِ، الحربَ على إبليس. الرَّقْمُ عينه أُنبِئَ به رمْزيًا في الشَّريعَةِ والأنْبياءِ، حِينَ كانَ النَّاسُ يصُومون فيه أربعين يومًا إذْلالاً للنَّفْس (طُبِّقَ هذا النَّموذجُ تطْبيقًا قويًّا في قِصَّتي موسى وإيليّا، اللّذين صاما أرْبعين يومًا).[٦٢] روايةُ الإنجيلِ نفْسُها تُنْبئُ رَمْزيًّا عبر هذا الرَّقْمِ بصَوْمِ الرَّبِّ نفسِه، حِينما صامَ أرْبعين يَوْمًا وجرَّبه إبْليسُ.[٦٣] إلم يُشِيرُ هذا السَّرْدُ القَصَصِيُّ سِوَى إلى التَّجربةِ الَّتي تأْتي علَيْنا مُدَّةَ هذا الدَّهرِ؟[٦٤] تحمَّلَ المسيحُ هذِه التَّجْربَةَ في الجَسَدِ، لمَّا تنازلَ ليتَّخِذَ لِنفْسِه مِنْ فنائيَّتِنا.

بعْدَ قِيامتِه لمْ يُمْضِ معْ تلاميذِه على الأرْضِ أكْثرَ من أرْبعين يوْمًا،[٦٥] في غُضُونِها واصلَ مزْجَ حياتِه القائِمةِ منْ بيْنِ الأمْواتِ بحياتِهم عبْرَ الاتِّصالِ الإنْسانيِّ. فأكلَهُم طعامًا يحْتاجُ إليهِ المائِتُون ليبْقوا على قيْدِ الحياةِ، ولوْ أنَّهُ هُو نفْسَهُ لنْ يمُوتَ ثانيةً. لقَدْ تمَّ كُلُّ ذلِكَ خِلالَ أرْبعين يوْمًا لِلدَّلالَةِ على أنَّ حُضُورَه، وإنْ بقِيَ بعْدَ ذلِكَ مخْفيًّا عَنْ أعْيُنِهم، يُتمِّمُ ما وعَدَ به لمَّا قال: «هَا أنا معَكُمْ، حتَّى انْقِضاءِ الدَّهْرِ».[٦٦]

في تفْسِيرِه أنَّ هذا العددَ الخاصَّ يجِبُ أنْ يدُلَّ على هذه الحياةِ الأرضِيَّةِ والوَقْتِيَّةِ دلالةً مُباشرةً في الوقْتِ ذاته، معْ أنَّ هُناكَ طرائقَ أُخرى أكْثرَ مهارَةً في تفْسِيرِه، تعْتبِرُ أنَّ فُصولَ السَّنةِ تدُورُ في تعاقُبٍ رُباعيٍّ، وتعْتبِرُ أنَّ للعالمِ ذاته أربعةَ حُدودٍ (يُشِيرُ إليْها الكتابُ المُقدَّسُ أحْيانًا بواسِطةِ أسماءِ الرِّياحِ: الشَّماليَّةِ، والغرْبيَّةِ، والشَّرْقيَّةِ، والجنوبيَّةِ).[٦٧] الرَّقْمُ أرْبعُون هو أرْبعَةُ أضْعافِ الرَّقمِ عشَرة

[٦١] PL 34: 1072

[٦٢] خروج ٣٤: ٢٨؛ ١ ممالك (ملوك) ١٩: ٨.

[٦٣] متّى ٤: ١-٢.

[٦٤] أيْ بين مجيءِ المسيحِ في الجسَدِ ومجيئه الثّاني المجيد.

[٦٥] أعْمال ١: ٣.

[٦٦] متّى ٢٨: ٢٠.

[٦٧] زخريّا ١٤: ٤.

المؤلَّفِ مِنْ جَمْعِ واحِدٍ، واثنَين، وثلاثةٍ وأربعةٍ معًا. تنَاغمُ الأنَاجيل ٢. ٩.٤.[٦٨]

التَّاريخُ السَّابقُ للخَلاص. كاتِبٌ مَجْهولٌ: «فمَجْمُوعُ الأَجْيال مِنْ إبراهيمَ إلى داودَ أَرْبعَةَ عَشَرَ جيلاً». الإنْجيليُّ شَرَحَ باخْتِصَارٍ عَددَ الأَجْيَال فقَال: «ومِنْ إبْرَاهيمَ إلى المَسِيحِ اثنَان وأَرْبَعون جيلاً». لمَاذَا قَسَّمَها إلى ثَلاثةٍ، وجعَلَ كُلاً مِنْهَا أَربعةَ عَشَرَ جيلاً؟ لأنَّ الوَضْعَ الإِنْسَانيَّ بينَ اليَهُودِ تغيَّرَ ثَلاثَ مَرَّاتٍ، فكَانَتْ دَوْرةُ كُلٍّ مِنْها أَرْبَعَةَ عَشَرَ جيلاً. الدَّوْرةُ الأُولى، مِنْ إبْرَاهِيمَ إلى دَاودَ، حِينَ كَانُوا تَحْتَ القُضَاةِ. والثَّانيةُ، مِنْ دَاودَ إلى السَّبي، حِينَ كَانوا تَحْتَ المُلُوكِ. والثَّالِثةُ، مِنَ السَّبي إلى المَسِيحِ، حِينَ كَانوا تَحْتَ رُؤَسَاءِ الكَهَنَةِ.

هَذَا يُثْبِتُ أَنَّه إذَا اكتَمَلَتِ الأَجْيَالُ الأَربَعَةَ عَشَرَ ثَلاثَ مَرَّاتٍ يَتَغَيَّرُ وَضعُ الإِنْسَانيَّةِ. فعِنْدَ اكتمالِ الأَربعةَ عَشَرَ جيلاً، مِنَ السَّبْيِ إلى المَسيحِ، يَتغيَّرُ وَضْعُ الإِنْسَانيَّةِ انْطلاقًا مِنَ المَسيحِ. هَذَا مَا حَدَثَ حقًّا. بَعْدَ المَسيحِ، لَمْ تَعُدِ الأَجْيَالُ تَحْتَ جَمَاعَةِ القُضَاةِ أَو المُلُوكِ أَو رُؤَسَاءِ الكَهَنَةِ، بَلِ اندرجَتْ كُلُّها تَحْتَ المَسِيحِ الواحِدِ الّذي كَانَ قَاضِيًا ومَلِكًا وَرئيسَ كَهَنَةٍ. فكَانَتْ لَهُ في هَذِه الحَالاتِ الثّلاثِ الكَرامَةُ وَالعِزَّةُ. لذلِكَ، بِمَا أَنَّ القُضَاةَ والمُلُوكَ ورُؤَسَاءَ الكَهَنَةِ كَانُوا رُمُوزًا لِمَنَاصِبِ المَسِيحِ الثَّلاثَةِ، فإِنَّ سُنَنَهُم ستكُونُ دَائمًا رُسُومًا تَتَوقَّعُ المَسِيحَ. كَانَ يَشُوعُ القَاضيَ الأَوَّلَ؛ وكانَ دَاودُ المَلِكَ الأَوَّلَ؛ وَكَانَ يشوعُ ابنُ يُوصَادَق رَئيسَ الكَهَنَةِ الأَوّلَ. لا شَكَّ في أَنَّ هَؤُلاءِ الرِّجَالَ كَانوا يُمثِّلون سَبْقيًّا المَسيحَ. . . . وَالسَّبَبُ الَّذي لأَجلِهِ أُعْطِيتِ الأَجْيَالُ الاثنَانِ والأَربعونَ لِنَسَبِ المسيحِ بحَسَبِ الجَسَدِ في العَالمِ هُوَ أَنَّهَا حَصِيلَةُ سِتَّةٍ مَضْرُوبةٍ بسَبْعَة. السِتَّةُ هُوَ الرَّقْمُ الَّذي يُشيرُ إلى العَمَلِ وَالكَدِّ، لأَنَّ العَالَمَ خُلِقَ في سِتَّةِ أَيَّامٍ. إنَّه عَالَمٌ خُلِقَ في عَمَلٍ وكَدٍّ. وَهكذا هُنَاك اثْنَانِ وَأَرْبَعُونَ جِيلاً قَبْلَ أَنْ يُولَدَ المَسيحُ في عَالَمِ التَّعَبِ وَالأَلَمِ، وبذَلِك تَشْمُلُ هَذِه الأَجْيَالُ سِرَّ العَمَلِ وَالتَّعَبِ. عَمَلٌ غيرُ كَامِلٍ حَوْلَ متّى، الموعظة، ١.[٦٩]

---

[٦٨] PL 34: 1075; NPNF 1 6: 105

لماذا هناك ثلاثُ دوائرٍ من أربعةَ عشر جيلا، أو أربعين جيلاً من داود إلى إبراهيم؟ ذُكِرَت هذه الدوائرُ لتدلَّ على الأهميَّةِ الرمزيَّةِ للعددِ أربعين الذي أنبأ به النَّاموسُ والأنبياءُ، وظهرَ مجدَّدًا في سرِّ حياةِ يسوع.

[٦٩] PG 56: 629-30

١:١٨-٢٥ ميلادُ يَسوعَ المَسيحِ

^١٨^أمّا ميلادُ يَسوعَ المَسيحِ فهكذا كانَ: لمّا كانت أُمُّهُ مَريَمُ مَخطوبةً ليوسفَ، وُجِدَتْ قَبلَ أنْ يَسكُنا معًا أنَّها حُبْلى من الرُّوحِ القُدُسِ. ^١٩^وكانَ يوسفُ رَجُلُها بارًّا فلم يُرِدْ أنْ يَشْهَرَ أمرَها، فعزَمَ على أنْ يترُكَها سِرًّا.

^٢٠^وبينَما هوَ يُفكِّرُ في هذا الأمرِ، ظهَرَ لَه مَلاكُ الرَّبِّ في الحُلُمِ وقالَ لَه: «يا يوسفُ ابنَ داوُدَ، لا تخَفْ أنْ تأخُذَ امرأتَكَ مَريَمَ. فإنَّ الذي حُبِلَ به فيها إنَّما هو مِنَ الرُّوحِ القُدُسِ، ^٢١^وستَلِدُ ابنًا تُسمِّيهِ يَسوعَ، لأنَّه هو الذي يُخلِّصُ شعبَهُ مِنْ خَطاياهُم».

^٢٢^حدَثَ هذا كُلُّه لِيَتمَّ ما قالَ الرَّبُّ بِلسانِ النَّبيِّ: ^٢٣^«ها إنَّ العَذْراءَ تَحبَلُ، فتَلِدُ ابنًا يُدْعى عِمّانوئيلَ»، أي اللهُ مَعَنا.

^٢٤^فلمّا قامَ يوسفُ مِنَ النَّومِ، عَمِلَ بما أمرَهُ مَلاكُ الرَّبِّ. فأخذَ امرأتَه، ^٢٥^ولكنَّهُ لم يَعرِفْها حتى ولَدَتِ ابنَها البِكرَ فَسمّاهُ يَسوعَ.

نظرةٌ عامَّةٌ: لا يستطيعُ أحدٌ أنْ يشرحَ سِرَّ ولادةِ المسيحِ، إذْ إنَّ شرْحَ هذا السِّرِّ مُستحيلٌ (الذَّهبيُّ الفم). لقدْ تمَّتْ ولادتُه الجسديَّةُ في الزَّمانِ المُحدَّدِ، أمَّا بُنُوَّتُه الإلهيَّةُ فتمَّتْ قبلَ الزَّمانِ. وكانتِ الولادةُ الجسديَّةُ مِنْ أُمٍّ بكرٍ، أمَّا الولادةُ الإلهيَّةُ فهي من اللهِ الآبِ. لقدِ اتَّخذَ جسدًا مرئيًّا ليكشِفَ عنْ ألوهيَّتِه الخفيَّةِ (كروماتيوس). فأعلنَ الملاكُ ليُوسفَ كلَّ ما يجُولُ في ذِهْنِ يوسُف، كُلَّ ما شعَرَ بهِ، كُلَّ ما أوْجسَ مِنْهُ شرًّا، وكُلَّ ما كانَ مُصمِّمًا على فعْلِه، لكَي يتمرَّسَ بضَبْطِ النَّفْسِ ويتعزَّى (الذَّهبيُّ الفم، وكروماتيوس، وكاتِبٌ مَجْهُولٌ). أغْدَقَ الملاكُ على يُوسفَ شرَفَ تسميةِ المُخلِّصِ ودَعاه إلى إظْهارِ عِنايتِه الأبويَّةِ بالطِّفْلِ (الذَّهبيُّ الفم). فالتَّشبيهُ الرَّمْزِيُّ بين ضِلْعِ آدمَ وخَوْفِ يُوسُفَ وبينَ حبَلِ أليصاباتَ وحبلِ مريمَ ظاهِرٌ (كاتِبٌ مَجْهُولٌ). الميلادُ يُفْهَمُ، على أفْضلِ وَجْهٍ، بالنِّسْبةِ إلى الخلاصِ القادِمِ وتوقُّعِه النَّبويِّ الذي وَعَدَ

بِه الرَّبُّ على لِسَانِ إشعْيا (الذَّهَبيُّ الفم). لَقَد وَسِعَتِ العَذْراءُ في رَحِمِها مَا يَعجزُ العَالمُ بِأَسْرِه عن أَنْ يَسعَه (كَاتِبٌ مَجْهُولٌ). فَولادَةُ يَسوع لا تُقلِّلُ مِنْ شَأْنِ عدمِ قَابليَّتِه لِلفسَادِ (أوريجنّس). فمُعْجِزَةُ نَسَبِه هي أَنَّ من تَبَنَّاه الآبَاءَ ومَا أَنْجبُوه وُلِدَ مِنْ أَبنائهم! لَقَدْ جُعِلُوا آباءَه مَعَ أَنَّهُ لَيس ابنَهُم: وتَالِيًا عَامَلهُم مُعَامَلَةً فُضْلى لِكَونِه ابنًا لَهُم (كَاتِبٌ مَجْهُولٌ). لَمْ تَدْخُلِ العَذْراءُ بَعْدَ ذَلِكَ بعَلاقَةٍ جَسَديَّةٍ بِيوسف (الذَّهَبيُّ الفم). وَهَلْ يُعْقَلُ أَنْ تَدْخُلَ مَنْ حَمَلَتِ اللهَ في رَحِمِها في عَلاقَةٍ جَسَديَّةٍ بِرجُلٍ (كُروماتيوس)؟! كَمَا وَكَلَ المَسيحُ أُمَّهُ إلى تِلْمِيذِه، هَكَذا وَكَلَهَا المَلاكُ الآنَ إلى يوسفَ (الذَّهَبيُّ الفَم)، وَأَعْطَاه شَرَفَ تَسْمِيَةِ الطِّفْلِ (الذَّهَبيُّ الفَم).

١٨:١ أَمَّا مِيلادُ يَسوعَ المَسيحِ فَهَكَذا كَانَ

كَيفَ أَنَّ مِيلادَهُ لا يُبْطِلُ عَدَمَ قَابليَّتِه لِلفَسَادِ. أوريجنّس: لِمَاذَا يَذْكُرُ هُنَا الإنْجيليُّ المِيلادَ gennisis، بَيْنَمَا ذَكَرَ في بَدْءِ إنْجيلِه «النَّسَبَ» genesis؟[1] فَهُنَا يَقولُ: «أَمَّا مِيلادُ يَسوعَ المَسيحِ فَهَكَذا كَانَ».[2] وَهُنَاكَ يَقُولُ: «سِجِلُّ نَسَبِ...»[3] فَمَا الفَرْقُ بَينَ «المِيلادِ» و «النَّسَبِ»؟ كَيفَ يُفْهَمُ أَنَّهُمَا يَنْطَبِقَانِ عَلى المَسيحِ؟

إنَّ الكَلِمَةَ هَذا المَنْطُوقَ بِه هُوَ، في طَبِيعَتِه، غَيرُ مَلْمُوسٍ وغيرُ مَرْئيٍّ. وَعِنْدَما يُدَوَّنُ في كِتَابٍ يُجَسَّدُ في أَلْفَاظٍ، فَيُرَى وَيُلْمَسُ. هَكَذا يَكُونُ الأَمْرُ بِالنِّسْبَةِ إلى كَلِمَةِ اللهِ الَّذي لا جَسَدَ لَهُ ولا لَحْمَ، فَهُوَ لا يُرَى ولا يُوصَفُ في أُلوهِيَّتِه، لَكِنَّه لَمَّا تَجَسَّدَ أَصْبَحَ مَرْئِيًّا ومَوْصُوفًا. ولِكَونِه مُتَجَسِّدًا استُحْدِثَ سِجِلٌّ لِنَسَبِه. إنَّ هَذِه النُّقْطَةَ التي نَدْرُسُها هُنَا لَمْ تَكُنْ سَبَبًا لِقَولِه «سِجِلّ» بَدَلاً مِنْ «رؤيَة» أَو «كَلِمَة»، بَلْ كَانت سَبَبًا لِتَمييزِ «المِيلادِ» عن «النَّسَبِ».

هُنَاكَ اختِلافٌ بَيْنَهُما. فَلَفْظَةُ genesis هي تَكْوينُ اللهِ الأَوَّلُ لِلأَشياءِ، في حِينِ أَنَّ gennisis هي خَلافَةُ الآخَرينَ بِسَبَبِ حُكْمِ المَوْتِ الَّذي حَلَّ نَتيجَةَ المَعْصِيَةِ. لَفْظَةُ genesis تَحْمِلُ مَعْنَى عَدَمِ الفَسَادِ وَعَدَمِ الخَطِيئَةِ، في حِينِ أَنَّ لَفْظَةَ gennisis تَتَضَمَّنُ مَا يَخْضَعُ لِلْهَوَى ولِلْخَطيئَةِ. فَالرَّبُّ في مِيلادِه كَانَ بِالطَّبيعَةِ مُنَزَّهًا عَنِ الخَطِيئَةِ، لَكِنَّه لَمْ يَتَّخِذْ عَدَمَ الفَسَادِ. لَقَدِ اتَّخَذَ مَا هُوَ عُرضَةٌ لِلأَهْواءِ، لَكِنْ لَمْ يَتَّخِذْ مَا

[1] اللفظتان اليونانيّتان متشابهتان لفظًا ومختلفتان معنى: في ١:١ يستعمل genesis وفي ١:١٨ يستعمل gennisis.

[2] متّى ١:١٨.

[3] متّى ١:١.

هُوَ خَاضِعٌ للخطيئَةِ. فحَمَلَ آدمَ الأَصْلِيَّ غير مُنْتَقِص. هكذا لَمْ يكُنْ ميلادُ المَسيحِ خُرُوجًا مِنَ اللاَّوجُودِ إلى الوُجُودِ، بل اتَّخذَ وهُوَ «في صُورةِ اللهِ» «صُورَةَ خَادِمٍ»، فكَانَتْ وِلادَتُهُ مُزْدوجَةً، مُتشَابِهةً بنا ومُتَسامِيةً علينا بِآنٍ. فولادَتُه «لإمْرَأةٍ»[٤] كَانتَ مِثلَ وِلادَتِنا، وَلَكِنْ «لا مِنْ مَشيئةِ رَجُلٍ» أو «مِنْ رَجُلٍ»،[٥] بَلْ مِنَ الرُّوحِ القُدُسِ، وبذلِكَ كَانتْ تَسْمُو عَلَى وِلادَتِنا. هُنَا إعْلانٌ سَابِقٌ لِولادةٍ مُسْتَقْبَلَةٍ يَمْنَحُنا إيّاها الرُّوحُ. المقطع ١١.[٦]

سِرُّ الحَبَلِ. الذَّهَبيُّ الفَم: لا تَتَقدَّمُوا، لا تَطْلُبوا المَزيدَ مِنَ القَوْلِ، ولا تتَساءَلُوا «كَيْفَ عَمِلَ الرُّوحُ القُدُسُ في العَذْراءِ؟» فَمَتَى كَانَتِ الطَّبيعَةُ فَاعِلَةً، كَانَ تَفْسِيرُ طَريقَةِ تَكْوينِ الشَّخْصِ مُحَالاً. فكَيْفَ، إذًا، نَكُونُ قَادِرِينَ عَلَى تَفْسِيرِ ذَلِكَ والرُّوحُ القُدُسُ هُوَ الَّذي يَصْنَعُ العَجَائبَ؟ وَلِئَلاّ تُرهِقُوا الإنجيليَّ وتُزْعِجُوه باسْتِمْرَارٍ، فقَد ذَكَرَ مَنْ صَنَعَ المُعْجِزَةَ، «أنَا لا أعْرِفُ شيئًا أكثرَ مِمَّا قُلْتُهُ، كُلُّ ما أعْرِفُه أنَّ مَا حَدَثَ كَانَ عَمَلَ الرُّوحِ القُدُسِ».

فَلْيَخْزَ الَّذين يَنْشَغِلونَ في الوِلادَةِ العُلْوِيَّةِ. فَهذِهِ الوِلادَةُ لا يُمْكِنُ المَرْءَ أنْ يُفسِّرَها، لَكِنْ لَهَا رِبَواتٌ مِنَ الشُّهودِ، فَقَدْ أُعْلِنَتْ مُنْذُ الأزْمِنَةِ القَديمةِ، ولُمِسَتْ باليَدِ. يا لَهُ مِنْ جُنُونٍ مُفْرِطٍ يُصَابُ بِه الَّذي يَنْشَغِلُونَ ويَنْهَمِكون بتِلْكَ الوِلادَةِ الفَائِقَةِ الوَصْفِ؟ فَلا جِبْرائيلُ ولا مَتَّى كَانَا قَادِرَين عَلَى قَوْلِ شَيءٍ أكْثَر مِنْ أنَّ الوِلادَةَ كَانتْ مِنَ الرُّوحِ القُدُسِ، وَلكِنْ كَيفَ كَانَتْ مِنَ الرُّوحِ؟ وبأيَّةِ طَريقَةٍ؟ إنَّهُما لَمْ يُفَسِّرا ذَلِكَ، بَلْ يَعْجَزانِ عَنْ تَفْسِيرِه.

لا تَظُنَّنَّ أَنَّكَ تَعَلَّمْتَ كُلَّ شيءٍ بِسَمَاعِكَ أَنَّ وِلادَة يسوعَ كَانَتْ مِنَ الرُّوحِ. تَغِيبُ عَنَّا أشياءُ كَثيرَةٌ وَنحْنُ نُحَاوِلُ سَبْرَ مَعَانيهَا: كَيفَ غَيرُ المَوسُوعِ يُوسَعُ في رَحِمٍ؟ كَيفَ تَحْمِلُ امرأَةُ الحَاوِيَ كُلَّ شَيءٍ؟ كَيفَ تَلِدُ العَذْراءُ وَتَبْقَى عَذراء؟ قُلْ لِي، كَيفَ جَبَلَ الرُّوحُ ذَلِكَ الهَيكَلَ؟ تَفسيرُ إنجيلِ متَّى، موعظة ٤. ٣.[٧]

سِرُّ أُلوهيَّتِه. كَاتِبٌ مَجْهُولٌ: وَأمَّا مِيلادُ المَسيحِ فَهكَذا كَانَ.[٨] فَقَد أَوْضَحَ أَنَّ يَعقوبَ وَلَدَ يُوسُفَ الَّذي كَانَتْ مَريَمُ مَخْطُوبَةً إليه لمَّا وَلَدَتْ يسوعَ. لَكِنْ مَنْ يَسْمَعُ هَذا عَلَيه أَنْ يُؤمِنَ بِأَنَّ وِلادَةَ المَسِيحِ لَمْ تَكُنْ كَالوِلادَاتِ

---

[٤] غلاطية ٤: ٤.

[٥] يوحنا ١: ١٣.

[٦] GCS 41.1: 19-20

[٧] PG 57: 42-43; NPNF 1 10: 22

[٨] متّى ١: ١٨.

الأُخر. وَيُتَابِعُ متّى قَائِلاً: وَأَمَّا ميلادُ المَسيحِ فَهكذا كانَ.[٩] فَولادَتُهُ لَمْ تَكُنْ، كَمَا سَنُثبتُ ذلك، مِثْلَ غَيْرِهَا مِنْ وِلادَاتٍ. فكيفَ يَنْتَسِبُ المَسِيحُ إلى هَذَا النَّسْلِ، مَعَ أَنَّ انْتِسَابَه مُخْتَلِفٌ؟ «لَمَّا كَانَتْ أُمُّهُ مَريَمُ مَخْطوبَةً ليُوسفَ وُجِدَتْ، قَبْلَ أَنْ يَسْكُنَا مَعًا، أنَّها حُبْلَى» أيْ أَنَّ الطِّفْلَ كَانَ مِنْ عَذْرَاءَ وَلَيْسَ مِنْ أَبٍ بَشَرِيٍّ. وَفِيمَا أَوردَ متّى نَسَبَ يَسُوع، أَظْهَرَ كَيْفَ أَنَّه سَلِيلُ دَاودَ وَفْقَ وُعُودِ الله. لَكِنَّهُ، في تَفْسِيرِه أَنَّ الولادَةَ حَدَثَتْ بطَرِيقَةٍ تَفُوقُ الطَّبيعَةَ البَشريَّةَ، يَكْشِفُ سِرَّ أُلوهيَّتِه. فَلا يَليقُ بابنِ الله الأَوْحَدِ أَنْ يُولَدَ بطَرِيقَةٍ بَشَرِيَّةٍ. فَهُوَ لمْ يُولَدْ لِنَفْسِه، إنَّما للبَشَرِيَّةِ. وُلِدَ حقًّا في جَسَدٍ مُعَرَّضٍ للفَسَادِ. لَكِنَّ المَسِيحَ وُلِدَ لِيَشْفِيَ الفَسَادَ نَفْسَه. فَالفَسَادُ البَشَريُّ لم يَأْتِ مِنْ عُذْرِيَّةٍ غَيرِ قَابِلَةٍ للْفَسَادِ. فَلا يَصِحُّ أَنْ يُولَدَ الابنُ الأَوْحَدُ، المَولُودُ لِيَشْفِيَ الفَسَادَ، مِنِ اتِّحَادٍ فَاسِدٍ. فَالإِنْسَانُ يُولَدُ لِضَرُورَةِ الوُجُودِ. لَكِنَّ المَسِيحَ لم يُولَدْ بِسَبَبِ ضَرُورَةِ الطَّبِيعَةِ في الوُجُودِ، بَلْ بِمَشِيئَتِهِ الرَّحِيمَةِ المُخَلِّصَةِ. وُلِدَ ولادَةً تُخَالِفُ الطَّبِيعَةَ الإِنْسَانِيَّةَ، لأَنَّه كَانَ فَوْقَ الطَّبِيعَةِ. هَذِه هِيَ وِلادَةُ المَسِيحِ الغَرِيبَةُ وَالعَجِيبَةُ. فَهُوَ سَلِيلُ نَسْلٍ يَضُمُّ الخَطَأَةَ والزُّنَاةَ وَالوَثَنِيِّين. لكنَّ ولادةَ كهذه لا تُلَوِّثُ كَرامَةَ المسيحِ. عَلَى العَكْسِ، إنَّها تَمْتَدِحُ رَحْمَتَه.

هَذِه هِيَ المُعْجِزَةُ: مَنْ تَبَنَّى وَولَدَ آباءَ، وُلِدَ مِنْ أَبنَائِهم؟! لَقَدْ صَارُوا آباءَه، مَعَ أَنَّه لَيْسَ ابنًا لَهُم؛ وَتاليًا فَإِنَّه عَامَلَهم مُعَامَلةً فُضْلَى لكَونِه ابنًا لَهُم. لم يُقَدِّمُوا لَهُ شَيئًا، وَهُمْ أَجْدَادُه. بَشَرِيًّا يَتَبَنَّى الآبَاءُ مَن يُريدونَهم أَبناءً لَهُم. هَذَا الابنُ تَبَنَّى الآبَاءَ الَّذِينَ اختَارَهُم لنَفْسِهِ. بَشَرِيًّا يَتَلَقَّى الأَبنَاءُ شَرَفَ الولادَةِ مِنْ آبَائِهم. لَكِنْ في حَالَةِ المَسِيحِ نَالَ الآبَاءُ شَرَفًا مِنَ الابنِ.

يَقُولُ الكِتَابُ: «لَمَّا كَانَت أُمُّهُ مَريَمُ مَخْطوبةً ليُوسُفَ، وُجِدَتْ قَبْلَ أَنْ يَسكُنَا مَعًا أَنَّها حُبْلَى مِنَ الرُّوحِ القُدُس». هكَذَا يُوْلَدُ القِدِّيسُونَ مِنَ الكَنيسَةِ العَذراءِ المَخْطُوبَةِ للمَسيحِ . . . فَغَالِبًا مَا يُقَلِّدُ الأَبْنَاءُ آبَاءَهُم. هَا إنَّ مَرْيَمَ كَانَتْ مَخْطُوبَةً إلى نَجَّارٍ. وَالمَسِيحُ، مَخْطُوبًا إلى الكَنِيسَةِ، كَانَ يُعِدُّ الخَلاصَ الكَامِلَ لِلبَشَرِيَّةِ، وَكَانَ عَمَلُهُ الكَامِلُ مِنْ خَشَبِ الصَّلِيبِ. عَمَلٌ غَيرُ كَامِلٍ حَولَ متّى، الموعظة ١.[١٠]

وِلادَتُه الجَسَدِيَّةُ وأُلوهِيَّتُه. كروماتيوس:

[٩] متّى ١: ١٨.
[١٠] PG 56: 630

إنَّ متّى المُبارك، بَعْدَ سَرْدِهِ نَسَبَ المَسِيح، أَضافَ قَائِلاً في شأنِ أَمَلِ خَلاصِنَا: «لمَّا كانت أُمُّهُ مريمُ مَخْطوبَةً ليوسفَ، وُجِدَت قَبْلَ أَنْ يَسكُنا معًا أنَّها حُبْلَى مِنَ الرُّوحِ القُدُس». هذا هُوَ السِّرُّ السَّماويُّ، السِّرُّ المَحْجُوبُ مُنْذُ الدُّهُورِ وَالمخْفِيُّ بالرُّوحِ القُدُس. يَصِفُ لوقا بتَفْصِيلٍ أكْبَرَ أُسْلُوبَ تَجسُّدِ الرَّبِّ، لأنَّه يُورِدُ كَيْفَ جَاءَ المَلاكُ إلى مَرْيَم وَحيَّاهَا قَائِلاً: «إفْرَحِي أيَّتُها المُمْتَلِئَةُ نِعْمَةً.»[١١] وَمَا يَلِي ذلِكَ. ولمَّا سَأَلَتْه مَرْيمُ كَيْفَ يَتِمُّ مَا أَعْلَنَه لها -لأنَّها لمْ تَعْرِفْ رَجُلاً- قالَ لها «الرُّوحُ القُدُسُ يَحُلُّ عليكِ، وَقُدْرَةُ العَلِيِّ تُظلِّلُكِ، لذَلِكَ فَالقُدُّوسُ المَولُودُ مِنْكِ يُدْعَى ابنَ الله»[١٢]. إنَّه لَوَاجِبٌ وَحَقٌّ أَنْ تُخْبِرَ تِلْكَ الَّتِي ستَحْبَلُ بِرَبِّ المَجْدِ في رَحِمِها بالرُّوحِ القُدُسِ وسُمُوِّ العَلِيِّ لمَّا تَقَبَّلَتْ في رَحِمِها المقدَّسِ وَخَالِقَ العَالَم. وَالحقُّ أنَّ متَّى وَلُوقَا انطَلَقَا مِنْ هَذِه النُّقْطَةِ بِسَرْدِهِمَا وِلادَةَ الرَّبِّ بالجَسَد. أَمَّا يُوحنَّا فَيَتَنَاوَلُ مَوْضُوعَ وِلادَةِ يَسوع الإلهيَّةِ في فَاتِحَةِ إنْجِيلِه قائِلاً: «في البَدْءِ كَانَ الكَلِمَةُ، وَكَانَ الكَلِمَةُ عِنْدَ اللهِ، وَكَانَ الكَلِمَةُ اللهَ. هُوَ في البَدءِ كَانَ عِنْدَ الله. بِهِ كَانَ كُلُّ شيءٍ وَبِغَيْرِه لَمْ يَكُنْ شيٌ مِمَّا كَان».[١٣] يُساعِدُنا الإنجيليّونَ عَلَى الاعْتِرَافِ بِوِلادَةِ الرَّبِّ الإلهيَّةِ وبالوِلادَةِ الجَسَديَّةِ، اللَّتَين وَصَفُوهُمَا أَنَّهُمَا سِرٌّ ثُنائيٌّ ونوْعٌ مِنْ طَرِيقَتَيْن مُزْدَوجَتَين. حَقًّا، إنَّ وِلادَتَي الرَّبِّ الإلَهِيَّةَ والجَسَدِيَّةَ تَفُوقَانِ الوَصْفَ، إلاَّ أنَّ الوِلادَةَ مِنَ الآبِ تَسْمُو عَلَى كُلِّ وَصْفٍ وعَجَبٍ. كَانَتْ وِلادَةُ المَسِيحِ الجَسديَّةُ في الزَّمانِ المُحَدَّدِ؛ أَمَّا وِلادَتُه الإلهيَّةُ فكَانَتْ قَبْلَ الزَّمَان. وَاحِدةٌ في هَذا الدَّهْرِ، وَأُخْرَى قَبْلَ الدُّهور. وَاحِدةٌ مِنْ أُمٍّ عَذْراءَ، وأُخْرَى مِنَ اللهِ الآبِ. فَأَمَامَ وِلادَةِ الرَّبِّ الجسديَّةِ وَقَفَ البَشَرُ وَالملائِكَةُ شُهُودًا لَها، لَكِنْ في وِلادَتِه الإلهيَّةِ لم يَكُنْ هُنَاكَ مِنْ شُهُودٍ سِوَى الآبِ والابْنِ، لأنْ مَا مِنْ شَيءٍ وُجِدَ قَبْلَ الآبِ والابنِ. وَلكِنْ، بِمَا أَنَّ الكَلِمَةَ لا يُرَى كإلَهٍ في مَجْدِ أُلوهِيَّتِه، فَقَدْ اتَّخَذَ جَسَدًا مَنْظُورًا لِيُعْلِنَ عَنْ أُلوهيَّتِه غَيرِ المَنْظُورَةِ. أَخَذَ مِنَّا مَا هُوَ لَنَا، لِكَي يُعْطِيَنا بِسَخَاءٍ مِمَّا لَه. موعظةٌ حَوْلَ متّى ١.٢.[١٤]

١: ١٩ حَيْرَةُ يُوسُف

ضَبْطُ النَّفسِ عِنْدَ يُوسف. الذَّهبيُّ الفَم:

[١١] لوقا ١: ٢٨.
[١٢] لوقا ١: ٣٥.
[١٣] يوحنّا ١: ١- ٣.
[١٤] CCL 9a: 201-2

أوتنْظُرُ إنْسانًا مُحِبًّا للحِكْمَةِ مُعْتقًا مِنْ أَشَدِّ الأَهْوَاءِ طُغْيانًا. إنَّكُم تَعْرِفُونَ ما أَعْظَمَ الغَيْرَة، وقد قَالَ عنْها بوضُوح: «لأَنَّ الغَيْرَة هِيَ حَمِيَّةُ الرَّجُلِ، فَلا يَتَوانَى يَوْمَ الحِسَاب».[١٥] «الغَيْرَةُ قَاسِيَةٌ كالجَحِيمِ».[١٦] ونَحْنُ نعْرِفُ أَنَّ الكَثِيرينَ اختِيرُوا ليُقَدِّمُوا أنْفُسَهُم، إلاَّ أَنَّهُم وَقَعُوا في شَكِّ الحَسَدِ. لَكِنَّ الأَمْرَ هُنَا لَيسَ مَسْأَلَةَ حَسَدٍ، لأَنَّ الجَنينَ في بَطْنِ مَرْيَم يُدِينُهَا. وَمَعَ ذلِكَ كَانَ يُوسُفُ طَاهِرًا من الهَوَى، بحَيْثُ إنَّه كَانَ رَاغِبًا عَنْ أَنْ يُحْزِنَ العَذْرَاءَ في أَيِّ شيءٍ مَهْمَا صَغُرَ. كَانَ الاحْتِفَاظُ بِهَا في مَنْزِلِه تَجَاوُزًا للشَّرِيعَة، لكِنَّ تَشْهِيرَهَا وَجرَّها إلى المحْكَمَة كَانَا ليؤدِّيَا بِهَا إلى المَوْت. إنَّ يُوسُفَ لا يفْعَلُ شيئًا مِنْ هذا، بَلْ يتَصرَّفُ تَصرُّفًا يَسْمُو عَلَى الشَّرِيعَةِ. فَالنِّعْمَةُ آتِيةٌ، وَلِذلِكَ يَلِيقُ وُجُودُ سِمَاتٍ كَثِيرَةٍ لِتِلْكَ المُوَاطِنيَّةِ السَّامِيَةِ. كَمَا أَنَّ الشَّمْسَ لا تُظْهِرُ أَشِعَّتَها، بَلْ تُنِيرُ عَنْ بُعْدٍ مُعْظَمَ المَسْكُونَة، هكَذَا أَنَارَ المَسِيحُ، حتَّى قَبْلَ وِلادَتِه، كُلَّ المَسْكُونَةِ، لَمَّا كَانَ عَلَى وَشْكِ الشُّرُوقِ من ذَلكَ الرَّحِمِ. لِهَذَا تَهَلَّلَ الأَنْبِيَاءُ فَرِحًا- حَتَّى قَبْلَ المخَاضِ- وَالنِّسْوَةُ أَنْبَأْنَ بِمَا كَانَ آتِيًا... وَيُوحَنَّا قَبْلَ وِلادَتِه ارْتَكَضَ في الرَّحِمِ.
إنجيلُ متَّى، موعظة ٤. ٤.[١٧]

إسْتِغْرَاقُ يُوسُفَ فِي التَّأَمُّل. كَاتِبٌ مَجْهُولٌ: رُبَّمَا فَكَّرَ يُوسُفُ في نَفْسِه: إنْ أَخْفَيْتُ خَطِيئَتَهَا خَالَفْتُ شَرِيعَةَ الله، وإِنْ كَشَفْتُها إلى أَبْنَاءِ إِسْرَائيلَ رَجمُوهَا. أَخَافُ أَنْ يَكُونَ مَا في رَحِمِها تَدَخُّلاً إلهيًّا. أَلَمْ تَحْمِلْ سَارَةُ وَتَلِدْ طِفْلاً وَهِيَ في التِّسْعِينَ مِنْ عُمْرِهَا؟ فَإِنْ كَانَ اللّهُ قَدْ جَعَلَ تِلْكَ المرْأَة- وكَانتْ كَحَطَبةٍ جَافَّةٍ- تُزْهِرُ، فهلْ يَعْجزُ اللاَّهُوتُ عَنْ أَنْ يَجْعَلَ مَرْيَمَ تَحملُ بِدُونِ مُسَاعدَةِ رَجُلٍ؟

أَلا يَعْتَمِدُ حمْلُ المرْأَةِ عَلَى رجُلٍ؟ فَلَو كَانَ حَمْلُهَا يَعْتَمِدُ دَائمًا عَلى رَجُلٍ، لحَمَلَت كُلَّمَا رَغِبَ رَجُلُهَا في ذَلِك. لكنْ، في هَذِه الحَالَةِ، لَمْ تَحْمِلِ المرْأَةُ مِنْ مَشيئَةِ رَجُلٍ بَلْ مِنْ مَشيئَةِ الله. وإِنْ كَان حَمْلَ المرْأَةِ لا يعْتَمِدُ عَلَى الرَّجُلِ، بلْ عَلَى الله، فَمَا هُوَ المُدْهِشُ حقًّا إذا شَاءَ الله أَنْ يَمْنَحَهَا ذُرِّيَّةً مِنْ دُونِ رَجُلٍ؟

[١٥] أمثال ٦: ٣٤.
[١٦] نشيد الأنشاد ٨: ٦.
[١٧] PG 57: 44; NPNF 1 10: 23
كما تنير الشمسُ الأرضَ قبل أن تُشرق هكذا تنير النعمةُ حياةَ من تشرق عليهم. ويوسف، في مواجهته حَمْلَ مريم، أظهر ضبط النفس الذي يرمز إلى النعمة الرؤوف الآتية إلى العالم.

مَــاذَا أَفْـعَـلُ إِذًا؟ إِنِّـي سَـأَتْـرُكُـهـا سِرًّا: فَمِنَ الأَفْضَلِ، في حالَةٍ يكْتَنِفُهَا الشَّكُ، أَنْ يُخْلَى سَبيلُ زَانِيَةٍ مِنْ أَنْ تَمُوتَ امرَأَة بَرِيئة. وَمِنَ العَدْلِ أَنْ يُخْلَى سَبيلُ إِنْسَانٍ مُذْنِبٍ لا أَنْ يَموتَ شَخْصٌ بَرِيءٌ ظُلْمًا. إِنْ أَفْلَتَ مُذْنِبٌ مَرّةً، فَسَيَمُوتُ في وَقْتٍ لاحِقٍ. لَكِنْ، إِنْ مَاتَ إِنْـسَـانٌ بَـرِيءٌ مَرّةً، فَلا يُمْكِنُ إِرْجَـاعُـهُ إِلى الحَيَــاةِ. عَـمَـلٌ غَـيرُ كَـامِـلٍ حَـولَ مَـتّـى، موعظة ١.[١٨]

١: ٢٠ إِعَادَةُ تَأْكِيدِ المَلاكِ

حَوَّاءُ وَمَرْيَمُ- كَلِمَةُ المَوْتِ والحَيَاة.

كروماتيوس: فِيمَا فَكَّرَ القدّيسُ يُوسُفُ، وَهُوَ غَيْرُ عَارِفٍ بِسِرٍّ عَظِيمٍ كَهَذا، في أَنْ يَتْرُكَ مَرْيمَ سِرًّا، أَشَارَ المَلاكُ عَلَيهِ في الحُلْمِ قَائلاً: «يَـا يُـوسُـفُ ابـنَ داودَ، لا تـخَـفْ أَنْ تَـأْخُذَ امرأَتَكَ مَرْيمَ. فَإِنَّ الَّذي حُبِلَ بِه فيها إِنَّمَا هُوَ مِنَ الرُّوحِ القُدُس».[١٩] أَطْلَعَهُ المَلاكُ عَلَى السِّرِّ السَّمَاويِّ، خِشْيَةَ أَنْ تُصِيبَهُ الوَساوِسُ في شَأْنِ عُذرِيَّةِ مَرْيَم. أَطْلَعَهُ عَلَى ذَلِكَ، لِكَي يُبْعِدَ عَنْه شُرُورَ الشَّكِّ فَيَتَلَقَّى صَلاحَ السِّرِّ. فَالكَلِمَاتُ التَّالِيةُ قِيلَتْ لَهُ: «يا يُوسُفُ ابنَ داودَ، لا تخَفْ أَنْ تَأْخُذَ امرأَتكَ مَرْيمَ. فَإِنَّ الَّذي حُـبِـلَ بِـه فـيـهـا إِنَّـمـا هُوَ مِنَ الرّوحِ القُدُس»،[٢٠] لِـيَـعْـتَـرِفَ بِـاسْـتِـقَـامَـةِ خَطيئتِهِ والوِلادَةِ العُذْرِيَّةِ. فَلَم يَكُنْ مِنَ اللاّئقِ أَنْ يَكْشِفَ المَلاكُ سِرًّا عَظِيمًا كَهَذا لأَيِّ شَخْصٍ آخَرَ سِوى لِيُوسُفَ خَطِيبِ مَرْيَم، لِئَلاّ يُلْصَقَ بِاسْمِهِ خِزيُ الخَطِيئَةِ. وَفِعْلاً، فَاسْمُ يوسفَ المُتَرْجَمُ مِنَ العِبْرِيَّةِ إِلى اللاّتينيَّةِ يَعْني «بلا خِزْيٍ». لاحِظْ هُنَا تَرْتيبَ السِّرِّ: تَحدَّثَ إِبْلِيسُ أَوّلاً إِلى حَوّاءَ العَذْراءِ مُنْذُ القِدَمِ، ومِنْ ثَمَّ إِلى رَجُلٍ، لِكَي يُقَدِّمَ لَهُمَا كَلِمَةَ المَوْتِ. وَهُنَا تَحدَّثَ مَلاكٌ قِدِّيسٌ أَوّلاً إِلى مَريمَ ومِنْ ثَـمَّ إِلى يُـوسُـفَ، لِـكَـي يَـكْـشِـفَ لَـهُـما كَلِمَةَ الحَيَــاةِ. في الحَـالَـةِ الأُولى، اخـتِـيرَتْ امْـرَأَةٌ لِـلـخَـطِـيـئَـةِ؛ وفي الحَالَةِ الأَخِيرَةِ، اختيرَتْ امـرَأَةٌ لِـلـخَـلاص. في الحَـالَـةِ الأُولـى، سَقَطَ الرَّجُلُ عَلَى يَدِ امرَأَةٍ؛ وفي الحَالَةِ الأَخِيرَةِ، قَامَ عَلَى يَدِ عَذْرَاءَ. لِذَلِكَ قَالَ المَلاكُ لِيُوسُفَ: «يـا يُـوسُـفُ ابـنَ داودَ، لا تـخَـفْ أَنْ تَـأْخُذَ امرأَتَكَ مَرْيمَ. فَإِنَّ الَّذي حُبِلَ به فيها إِنَّمَا هُوَ مِنَ الرُّوحِ القُدُس».[٢١]

وَأَضَافَ قَائلاً: «وسَتَلِدُ ابنًا فَسَمِّهِ يَسوعَ، لأَنَّــه هُــوَ الَّــذي يُـخَـلِّـصُ شَـعْـبَـهُ مِـنْ خَطايَاهُم».[٢٢] وَلَكِنَّ اسمَ الرَّبِّ أُعْطيَ لِيَسُوعَ

[١٨] PG 56: 633

[١٩] متّى ١: ٢٠.

[٢٠] متّى ١: ٢٠.

[٢١] متّى ١: ٢٠.

وهُوَ في رحِمِ العَذْراءِ. فالاسمُ لم يكُنْ جديدًا بالنِّسْبَةِ إليه، بلْ كانَ قديمًا، لأنَّ اسمَ يسوعَ المُتَرْجَمِ مِنَ العِبريَّةِ إلى اللاتينيَّةِ يعْني «المُخَلِّص». هذا الاسْمُ مُوافِقٌ لله، لأنَّه يقُولُ على لِسانِ النَّبيِّ: «الله عادِلٌ ومُخَلِّصٌ؛ وليْسَ منْ إلهٍ غيري».[٢٣] أخيرًا، عِنْدَما يتكلَّمُ الرَّبُّ نفْسُه بلِسانِ إشعْيا على أصْلِ مولِدِه الجسَديِّ، يقُولُ، «الرَّبُّ دعاني مِنَ الرَّحِمِ، مِنْ بطنِ أُمِّي جعَلَ ليَ اسمًا».[٢٤] بالطَّبْعِ لمْ يكُنْ اسمُهُ غريبًا، لأنَّ يَسوعَ دُعِيَ بحسَبِ الجسَدِ مُخَلِّصًا، (فَهُوَ مُخَلِّصٌ استِنادًا إلى أُلوهيَّتِه). فيسُوعُ، كمَا قلْنَا، يعْني «المُخَلِّص». هذا مَا قالَه بلسانِ النَّبيِّ: «مِن بطنِ أُمّي جعلَ ليَ اسمًا».[٢٥] ولِكَي يُظْهِرَ لنَا تمامًا سرَّ تجسُّدِه، قال: «فمي جعلَه سيْفًا قاطِعًا . . . جعلَني سهْمًا مصْقُولاً، في جُعْبتِه أخْفاني».[٢٦] بالسَّهمِ عنَى أُلوهيَّتَه، وبالجُعْبَةِ اتَّخذَ جسَدًا مِنَ العذْراءِ، واتَّشحَتْ أُلوهيَّتُه برداءِ الجسَدِ. موعظةٌ حولَ متّى ٢. ٣-٤.[٢٧]

مُؤاساةُ يُوسُف. الذَّهبيُّ الفَم: كيْفَ يُطمْئِنُ الملاكُ يُوسُفَ؟ إسمَعُوا وتعَجَّبُوا مِنْ حِكْمَةِ أقْوالِه: «يا يُوسُفُ ابنَ داوِدَ، لا تخَفْ أنْ تأْخُذَ امرأتَكَ مرْيم».[٢٨] للحِينِ يُذكِّرُهُ بداوِدَ، الَّذي سيكُونُ المَسيحُ مِنْ نَسْلِهِ. ولا يدَعُهُ يضْطرِبُ، مُذكِّرًا إيَّاه باسْمِ أجْدادِه، وبالوعْدِ المُعْطَى للذُّرِّيَّةِ كلِّها. ولِذلِكَ ما دعاهُ «ابنَ داوِد». . . لكِنْ قالَ: «لا تخَفْ» دالاًّ علَى أنَّ يُوسُفَ كانَ يخْشَى أنْ يُسيءَ إلى اللهِ لاحتفاظِهِ بزانيةٍ، وهذا ما جعَلَهُ يُفكِّرُ في التَّخلّي عنْها. غيرَ أنَّ المَلاكَ جاءَ مِنْ لدُنِ اللهِ ليُبدِّد ما كانَ يُعانيهِ مِنْ هَواجِس.

ولمْ يقِفِ المَلاكُ عِنْد ذِكْرِ اسمِها، بَلْ أرْفقَه بقَوْلِه: «إمْرأتَكَ»: فلو كانَتْ خائِنَةً لَما دعاها المَلاكُ «إمْرأتَك». وهُنَا يُسمِّي مَنْ هِيَ مخْطوبةٌ «إمْرأةً»: فهكذا يَميلُ الكِتابُ المُقدَّسُ إلى دَعْوةِ المخْطوبينَ أزْواجًا حتَّى قبْلَ الزَّواج. لكِنْ ماذا يعْني «أنْ تأْخُذ»؟ أيْ أنْ يَحْتفِظَ بِها في بيْتِه، لأنَّه عزمَ علَى أنْ يتْرُكهَا. يقُولُ المَلاكُ: إحتَفِظْ بمَنْ تُخطِّطُ للتَّخلّي عنْها فاللهُ قدْ دفَعَها إليكَ لتكُونَ عِنْدَكَ وَدِيعَةً، لا عِنْد والِدَيْها. اللهُ لا يُودِعُكَ إيَّاها للزَّواجِ، بَلْ لِتسْكُنَ مَعَك. وبِصوتي يُودِعُكَ إيَّاها. «فكَما أوْدعَها المسيحُ نفْسَه في ما بعْد تِلْميذَهُ يوحنّا، هكذا يُودِعُها الآن

---

[٢٢] متّى ١: ٢٠.

[٢٣] إشعيا ٤٣: ١؛ هوشع ١٣: ٤.

[٢٤] إشعيا ٤٩: ١.

[٢٥] إشعيا ٤٩: ١.

[٢٦] إشعيا ٤٩: ٢.

[٢٧] CCL 9a: 202-4

[٢٨] متّى ١: ٢٠.

يُوسف». إنجيلُ متّى، الموعظة ٤.٦.[٢٩]

لماذا احتاجَ يُوسُفُ إلى إعْلانٍ؟ كَاتِبٌ مَجْهُولٌ: لَقدْ سَمِعَ يُوسُفُ كَلامَ مَريمَ وَتأَمَّلَ في حَياتِها، فلَمْ يُداخِلْهُ فِيهَا سُوءُ ظَنٍّ. لكِنْ، لمَّا تأمَّلَ في حبَلِها، عَجِزَ عَن التَّفْكِيرِ فِيهَا تَفْكِيرًا صَحِيحًا. تجاذبَتْه الظُّنُونُ والوساوس. كَانَ خَائفًا مِنْ إبقائها، مَعْ أَنَّه لَمْ يتَجاسَرْ عَلَى أَنْ يُفشِيَ مَا يُخامِرُه في أمْرِهَا. فكَانَ مِنَ الضَّروريِّ أَنْ يَنْزِلَ عَلَى يُوسُف إعْلانٌ إلهيٌّ. فمَرْيَمُ نَفْسُها رأتِ الملاكَ وسَمِعَتْه وَهْو يَتحدَّثُ إليها عَنْ حبَلِها وَحبَلِ أليصَابَات. فَصَعِدَتْ إلى جِبالِ اليهُوديَّةِ لترَى أليصَابات، فتَأكَّدَ لَها ذَلِكَ لَمَّا رأَتْها. فإذَا كانَتْ مَرْيَمُ بحَاجةٍ إلى ما رأَتْهُ لتقْتَنِعَ، فكَمْ بالحريِّ كَان يُوسُفُ بحاجةٍ أكبَرَ إلى سَماعِ مَا يَتعلَّقُ بحَبَلِ مَريم. . .

ظَهرَ الملاكُ له لثلاثَةِ أسْبابٍ: أَوَّلُها، الحؤولُ دونَ إقْدامِ إنْسانٍ بَارٍّ عَلَى عَمَلٍ يُؤذِي، لجَهْلِهِ قضيَّةً مُقدَّسَةً. ثانيها، الحِرصُ عَلَى شَرَفِ الأُمِّ، إذْ، لَوْ تَركَها، لكَانَتِ المَرْأَةُ-لا عِنْدَ المؤْمِنينَ، بلْ عِنْدَ غيرِ المؤْمِنِين- مَوْضِعَ شُبْهَةٍ مُشِينَةٍ. ثَالِثُها، إدْراكُ يُوسُفَ أَنَّ حَبَلَهَا مُقدَّسٌ، فتَهْدأُ هَواجِسُهُ ويَثِقُ بطَهَارَتِها.

صَانَ نَفْسَه أَوَّلاً استنَادًا إلى نِظَامِ البِرِّ، وَثانيًا خَوْفًا مِنْ هَذا النَّوْعِ مِنَ الوِلادَةِ. لَكِنْ لِمَاذَا لَمْ يَظْهرِ الملاكُ ليُوسُفَ قَبْلَ حَبَلِ العَذْراءِ، إذًا لَجَنَّبَهُ ما كَانَ يُفكِّرُ فيه، وفاداهُ ما تعَرَّضَ لَه زَكريَّا مِنْ لومٍ بسَبَبِ مَا اعتَراه مِنْ شَكٍّ في إمْكَانِ حَبَلِ زَوْجَتِه الطَّاعِنَةِ في السِّنِّ. أَنْ تَحْمِلَ العَذْرَاءُ هُوَ أَعْجَبُ مِنْ أَنْ تَحْمِلَ الطَّاعِنَةُ في السِّنِّ. فَإِنْ كَانَ الكَاهِنُ الشَّهيرُ هَذا لَمْ يُؤمِنْ بأَنَّ ذَلِكَ مُمْكِنٌ، فَكيفَ يُؤمِنُ مُوَاطِنُه العَادِيُّ بأَنَّ ذلكَ مُمْكِنٌ؟ عَمَلٌ غيرُ كَامِلٍ حَولَ متّى، موعظة ١.[٣٠]

تَبْرِئَةُ مَرْيَم. الذَّهبيُّ الفَم: يَدُلُّ الملاكُ عَلى أَنَّ ما أَخَافَ يُوسُفَ، وَمَا جَعلَه يُفكِّرُ في التَّخَلِّي عَنْ مريمَ، كَانَ سَبَبًا مَشْروعًا في اتِّخَاذِهِ إيَّاهَا واحْتِفَاظِهِ بِهَا في بَيتِه. وبذَلِكَ انْجَلَى كَرْبُهُ. يَقُولُ المَلاكُ: «إنَّها لَمْ تَكُنْ حُرَّةً مِنْ عَلاقَةٍ غَيْرِ شَرعِيَّةٍ فَحَسْب، بَلْ كَانَ حَبَلُها يفُوقُ الطَّبيعَة. سكِّنْ رَوْعَكَ، وافْرحْ فَرحًا عَظِيمًا، «لأَنَّ الَّذي حُبِلَ بِه فِيهَا إنَّما هُوَ مِنَ الرُّوحِ القُدُس».

مَا أَعْجَبَ مَا تَحدَّث بِه الملاكُ، إنَّه يَفُوقُ فِكْرَ

---

[٢٩] PG 57: 47-48; NPNF 1 10: 25-26

إنَّ الملاكَ قَادَ يوسفَ، خِلالَ هذهِ المِحْنَة، مُبرِّئًا مريمَ ومُودِعًا إياها عنايته.

[٣٠] PG 56: 633-34

البَشرِ وَكُلَّ نواميس الطَّبيعةِ. كيفَ يَسْتطيعُ المرءُ أَنْ يُؤمنَ بأَنَّ هَذِه الأَنباءَ لا تكونُ مُتوقَّعةً؟ يقُولُ المَلاكُ «مَا حدَثَ ومَا أُعْلِن». بهذَا كشفَ المَلاكُ ليُوسُفَ كُلَّ ما كَانَ في ذِهْنِه، وكُلَّ ما كَانَ يُشْقِيه، ومَا يخافُ مِنْه، ومَا عَزمَ علَى فِعْلِه؛ فيَقْتنِعُ، ويَقِفُهُ المَلاكُ علَى ما سَيأْتِي مُغْفِلاً مَا انقضَى ويَقُولُ: «وسَتَلِدُ ابنًا، فسَمِّهِ يَسُوع». إنجيلُ متّى، ٤. ٦.[٣١]

٢١:١ يُوسُفُ يَتَصرَّفُ كَأَبٍ

يُوسُفُ يُسمِّي يَسوع. الذَّهبيُّ الفَم: «يا يُوسُفُ، لا تَظُنَّنَّ أَنَّكَ غَريبٌ عَنْ خِدْمَةِ هَذا التَّدبيرِ بِسَببِ كَوْنِ المَسيحِ مِنَ الرُّوحِ القُدُس. فَرغْمَ أَنَّه لا دَوْرَ لكَ في الوِلادَةِ، إذ لم يَمْسُسِ العَذْراءَ بَشَرٌ، فَإِنِّي أُعْطِي لكَ مَا يَتعلَّقُ بالأَبِ نَفْسِه، ومَا لا يَضُرُّ بمقَامِ البَتُوليَّةِ. وهْوَ أَنَّك تُطلِقُ اسمًا على المولُودِ: إنَّكَ «تُسمِّيه». «مَعْ أَنَّ الذُّرِيَّةَ لَيْست ذُرِيَّتَك، فَإِنَّكَ سَتَحُوطُهُ بِعِنَايَتِكَ كَأَبٍ وتَرْعَى المَولُودَ وتَحْدِبَ عَلَيه، عبر إعْطَائهِ الاسْم». ولئلاً يشُكَّ أَحَدٌ في أَنَّكَ أَبُوه، إسْمَعْ مَا يَقُولُه المَلاكُ بدِقَّةٍ: «سَتَلِدُ ابنًا»؛ إنَّه لا يَقُولُ «سَتَلِدُ لكَ» بَلْ «سَتَلِدُ» فقَط، واضِعًا الصِّيغَةَ بدُونِ تَحْدِيدٍ: فَالعَذْراءُ لَمْ تَلِدْ يَسوعَ ليُوسُفَ، بل ولَدَته للمَسْكُونَةِ جَمْعَاء». إنجيلُ متّى، الموعظة ٤. ٦.[٣٢]

مُقَارَنَةُ حَبَلِ مَرْيَم بِحَبَلِ أَليصَابَات. كَاتِبٌ مَجْهُولٌ: «سَتَلِدُ ابنًا، وتَدْعُو اسْمَه يَسُوع». فَلَمْ يقُلْ، «سَتَلِدُ لكَ ابنًا»، كَما قَالَ لزَخَريَّا: «هَا إنَّ امرَأَتَكَ أَليصَابَات ستَلِدُ لَكَ ابنًا». المَرْأَةُ الَّتي حَمَلَتْ مِنْ إنْسَانٍ وَلَدَت لزَوْجِها ابنًا. فَحَالُ مَرْيَم أَعْظَمُ أَهَمِّيَةً مِنْ حَالِ أَليصَابَات. فَالمَرْأَةُ الَّتي لَمْ تَحْمِلْ مِنْ رَجُلٍ، لَمْ تَلِدْ لَهُ ابنًا، بَلْ وَلَدَتِ الابنَ لِنَفْسِها. قَابِلْ مَا حَدَثَ لآدم. في ذَلِكَ الوَقْتِ كَانَتِ المَرْأَةُ وَحْدَهَا، فَأُغْرِيت وذَاقَتْ طَعْمَ ثَمَرِ الشَّجَرَةِ، فَسَبَّبَتِ المَوْتَ. لكِنَّ آدمَ لم يُغرَّرْ بِه. إنَّه لَمْ يخطِىء عبر غِوايَةِ إبْلِيس، إلاَّ أَنَّه وَافَقَ المرأةَ عَلَى عِصْيَانِها. كَذلِكَ، لَمَّا أَذْعَنَتْ مَرْيَمُ للرُّوحِ القُدُسِ، آمنَتْ وَحْدَها، وَقَالَتْ: «هَا مُنْذُ الآن تُطوِّبُني جَميعُ الأَجْيَال».[٣٣] في الحَقِيقَةِ، لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ شَيءٌ مُشْتَرِكٌ بين يُوسُفَ وَحبَلِها، غيرَ أَنَّه نَالَ الخَلاصَ في مَا بَعْدُ بَاعتِصامِهِ بالسُّكُوتِ وَقَبُولِه. تلقَّى العَوْنَ في الحُلُمِ -لا عَلَنًا- فلَمَّا كَانَ آدمُ نَائمًا خَلَقَ اللهُ المَرْأَةَ،

---

[٣١] PG 57: 46; NPNF 1 10: 25-26

[٣٢] PG 57: 47-48; NPNF 1 10: 25-26

[٣٣] لوقا ١: ٤٨.

وَلَمَّا كَانَ يُوسُفُ نَائِمًا أُعطِيتْ لَه امرأةٌ بعِنَايةٍ إلهيّةٍ. عَمَلٌ غيرُ كَامِلٍ حَولَ متّى، الموعظة ١.[٣٤]

المُخَلِّصُ مِنَ الخَطِيئَةِ. كَاتِبٌ مَجْهُولٌ: يُفَسِّرُ الإِنْجِيلِيُّ هُنَا مَعْنَى لَفْظَةِ «يَسُوع» في اللُّغَةِ العِبْرِيَّةِ، فيَقُولُ: «سَيُخَلِّصُ شَعْبَه مِنْ خطَايَاهُم». لذَلِكَ، في حِينِ أنَّ الطَّبِيبَ، الَّذي لا قُدْرَةَ لَه عَلَى صِحَّةِ البَشَرِ، لا يَسْتَحي أَنْ يُسَمِّيَ نَفْسَه طَبِيبًا لِمُجَرَّدِ إتْقَانِهِ تَحْضِيرَ الأَعْشَابِ، فَكَم يَكُونُ أَجْدَرَ بِمَن يَخَلِّصُ العَالَمُ بِأَسْرِه أَنْ يُسَمَّى مُخَلِّصًا؟ عَمَلٌ غيرُ كَامِلٍ حَولَ متّى، الموعظة ١.[٣٥]

١:٢٢ لِيَتِمَّ مَا قَالَ الرَّبُّ

الخَلاصُ الآتي. الذَّهبيُّ الفَم. هكَذَا، بَعْدَ أَنْ ثَبَّتَ إيمَانَ يُوسُفَ بِكُلِّ شَيءٍ– بِالأُمُورِ الأَرضِيَّةِ، بِالمُسْتَقْبَلِ وَالحَاضِرِ، بِالكَرَامَةِ المُعْطَاةِ لَه– أَورَدَ قَوْلَ النَّبِيِّ أيضًا في الوقْتِ المُنَاسِبِ حتى يُثْبِتَ كُلَّ هَذا. فَأَعلَنَ مُسبقًا حُدُوثَ الأُمُورِ الصَّالِحَةِ الَّتي كَانَتْ سَتَحْدُثُ في العَالَمِ عبر المَسِيحِ: الخَطَايَا أُزِيلَتْ وأُلْغِيت «لأَنَّه يُخَلِّصُ شَعْبَه مِنْ خطَايَاهُم».[٣٦] فَيُعلِنُ أَنبَاءَ النَّجَاةِ العَجِيبَةِ: لا مِنَ الحُرُوبِ المَنْظُورَةِ، ولا مِنْ البَرَابِرَةِ، بَلْ ممَّا كَانَ أَعْظَمَ مِنْ هَذا بِكَثِيرٍ: مِنَ الخَطَايَا؛ وَهُوَ عَمَلٌ لَمْ يَكُنْ مُمْكِنًا قطّ لأيِّ وَاحِدٍ مِنْ قَبْلُ. إنجيلُ متّى، موعظة ٤. ٧.[٣٧]

الوَعْدُ مِنَ الرَّبِّ. الذَّهبيُّ الفَم. لِهَذَا السَّبَبِ يُورِدُ المَلاكُ آيةَ إِشِعْيَا، ليَجْعَلَ مَا قالَه سَهْلَ القَبُولِ. وَلا يَتَوقَّفُ هُنَا، بَلْ يُرجِعُ الكَلامَ إلى الله. فَلا يَدْعُو القَوْلَ قَوْلَ إِشِعْيَا، بَلْ قَوْلَ إِلهِ الكُلِّ. لِذَلِكَ لَمْ يَقُلْ: «لِكَي يَتِمَّ مَا قَالَهُ إِشِعْيَا»، بلْ «مَا قِيلَ عَلَى لِسَانِ إِشِعْيَا». فَالفَمُ كَانَ حَقًّا فَمَ إِشِعْيَا، أَمَّا الوَحْيُ فَقَدْ هَبَطَ عَلَيهِ مِن عَلُ. إنجيلُ متّى، الموعظة ٥. ٢.[٣٨]

لَيْسَ مِن طَرِيقِ المُصَادَفَةِ. كَاتِبٌ مَجْهُولٌ: «حَدَثَ هَذَا كُلُّهُ». مَاذا يَعْنِي بِلَفْظَةِ «كُلِّه»؟ يعني أَنَّ العَذْراءَ سَتَقْتَرِنُ بِقَرِيبِها وَتُصَانُ طَاهِرَةً، أنَّ المَلاكَ سيكَلِّمُ يُوسُفَ في الحُلْمِ ويُوصِيه بِأَنْ يَقْبَلَها كَزَوْجَتِهِ، وَأَنْ يُسمِّيَ الصَّبِيَّ يَسُوع، فالعَذْرَاءُ سَتَلِدُ مُخَلِّصَ العَالَمِ». حَدَثَ هَذا كُلُّه لِيَتِمَّ ما قَالَ الرَّبُّ عَلَى لِسَانِ النَّبِيِّ، «هَا إِنَّ العَذْرَاءَ تَحْبَلُ وتَلِدُ ابنًا».[٣٩] الأَنْبِيَاءُ يَشْهَدُونَ لِلنِّعْمَةِ، لكَي

---

[٣٤] PG 56: 634

[٣٥] المصدر نفسه.

[٣٦] متى ١: ٢١.

[٣٧] PG 57: 47; NPNF 1 10: 25-26

[٣٨] PG 57: 56; NPNF 1 10: 32

يتناغمَ العهْدان: القديمُ والجديدُ. فتعوضُ النِّعْمَةُ عنْ ضعْفِ المتعلِّم، فما تمَّ التّنبُّؤُ به مُنْذُ زمنٍ طويلٍ لا يبْدُو أنَّه يحْدُثُ كُليًّا مُصادفةً. عملٌ غيرُ كاملٍ حوْلَ متّى، الموعظة ١.[٤٠]

٢٣:١ عمّانُوئيل، أيْ اللهُ معَنا

اللهُ معَنا. الذّهبيُّ الفم. قد يقولُ قائلٌ: لماذا سُمِّيَ «يسُوع» لا «عِمّانوئيل»؟ لأنَّه لمْ يقُلْ «ستدْعُو» بلْ «يدْعُونَ اسمَه»، أيْ إنَّ الشَّعْبَ يدْعو اسمَه عِمّانُوئيل، وذاكَ ما آلتْ إليهِ الأحْداثُ. هُنَا يضعُ للحدثِ اسمًا، وهِيَ عادةٌ في الكِتابِ المقدَّسِ أنْ تحلَّ الأحْداثُ محلَّ الأسْماءِ. لهذَا فقولُه «يدعونَ اسمهُ عمَّانُوئيل» لا يعْني شيئًا آخرَ سوى أنَّهم سيرونَ اللهَ بينَ البشَرِ. حقًّا كانَ يحْدُثُ أنْ يُرى اللهُ بينَ البشَرِ، إنمَّا لمْ يكُنْ واضحًا قطُّ كمَا هُو الآن. إنجيلُ متّى، الموعظة ٥. ٢-٣.[٤١]

٢٤:١ عمِلَ يوسفُ بما أمرَهُ به ملاكُ الرَّبِّ

جَوابُ يُوسُف. كروماتيوس: لقدْ تعلَّمَ يُوسُفُ منَ الملاكِ السِّرَّ السَّماويَّ وامتثلَ، بكُلِّ فرحٍ، لكلِمةِ الملاكِ. ولزِمَ التّدبيرَ الإلهيَّ فرِحًا. قبلَ مريمَ القِدِّيسةَ وتهلَّلَ بالمجْدِ جذِلاً، فعُدَّ أهْلاً ليَسْمعَ أنَّ الملاكَ دعَا الأُمَّ العذْراءَ ذاتَ الجلالِ العظيمِ إلى أنْ تكُونَ زوْجةً له. موعظةٌ حولَ متّى ١.٣.[٤٢]

٢٥:١ حتَّى ولَدتِ ابنَها

بتُوليَّةُ مَريمَ الدَّائمةُ. كروماتيوس: في مَا يتعلَّقُ بمَا قالَه الإنجيليُّ: «ولَم يعْرِفْها حتَّى ولَدتِ ابنَها البِكْر»، يتَساءَلُ كثيرونَ مِنَ المتَوانِين: هلْ كانَتْ لِمَريمَ الأُمِّ القِدِّيسَةِ علاقةٌ بيوسُفَ بعْدَ أنْ ولَدتِ المسِيحَ؟ مِثْلُ هَذا الأمْرِ مرْفُوضٌ في إيمانِنَا رَفْضًا قاطِعًا. فكَيْفَ يُجيزُ المرءُ لنَفْسِهِ أنْ يُصدِّقَ أنَّه بعْدَ حدُوثِ هَذا السِّرِّ العظيمِ معها وبعْدَ ولادتِها الرَّبَّ العَليَّ سيَعْرِفُها رَجُلٌ. ليتَذكَّرْ أنَّ مريمَ نبيَّةَ العهْدِ القَديمِ (أُختَ موسى وهَارون) بقِيتْ عذْراءَ غيْرَ مُرْتبطةٍ برَجُلٍ، بعْدَ أنْ رأتْ نُورَ الآياتِ السَّماويَّةِ وبعْدَ نُزُولِ الأَوْبئةِ بمِصْرَ وبعْدَ شقِّ البَحْرِ الأَحْمَرِ، فيمَا كانَ مَجْدُ الرَّبِّ يتَقدَّمُهُم وعَمودٌ مِنَ النَّارِ والسَّحابِ بارِزًا للعَيانِ. فلا يُعْقلُ أنْ تعْرِفَ

[٣٩] متّى ١: ٢٢.

[٤٠] PG 56: 634

[٤١] PG 57: 56-57; NPNF 1 10: 32

[٤٢] CCL 9a: 208

مريمُ العَذْراءُ وَالِدَةُ الإلهِ رَجلاً، بَعْد أَنْ رَأَتْ مَجْد الرَّبِّ، لا في السَّحابِ بلْ في حَشاهَا العُذْريِّ بعْدَ أَن استحقَّتْ أَنْ تحمِلَه. نُوحُ، الَّذي جُعِلَ أَهْلاً لأَنْ يُحادِثَ الرَّبَّ، أَعْلَنَ أَنَّه سيعُفُّ عن حاجةِ العلاقةِ الزَّوجيَّةِ. وَمُوسَى، بعْدَ أَنْ سَمِعَ الرَّبَّ وهو يُنادِيهِ مِنَ العُلَّيقَةِ، عفَّ عن العَلاقةِ الزَّوجيَّةِ. فكيْفَ نُجيزُ لأَنفُسِنا أَنْ نَزْعمَ أَنَّه كانَتْ ليُوسُفَ، الرَّجُلِ البارِّ، علاقاتٌ زَوجيَّةٌ بمريمَ بعْدَ ولادتِها الرَّبَّ؟ موعظةٌ حوْلَ متّى ٣. ١.[٤٣]

ما إذا كانَت «حتّى» تُشيرُ إلى وقْتٍ مُعيَّن. الذَّهبيُّ الفم: وَلمَّا أَخذَها «لمْ يَعْرِفْها حتَّى وَلدتِ ابنَها البِكْرَ». فاستعْمَلَ لَفْظَةَ «حتَّى»، لا ليَحْسبَ أَحدٌ أَنَّه عرَفَها بعْدَ ذلِكَ، بَلْ ليُعَلِّمَكُم أَنَّ العَذْراءَ قَبْلَ الولادةِ لم يَمْسَسْها بشَرٌ. لكِنْ لماذا استعْملَ لفْظةَ «حتّى»؟ عادةُ الكِتابِ المقدَّسِ أَنْ يفعَلَ هذا، وأَنْ يَسْتعْمِلَ هذا التَّعْبيرَ بدونِ الإشارةِ إلى أَزْمِنَةٍ مُحدَّدةٍ. ففي قصَّةِ الفُلْكِ مثلاً قيلَ: «وأَرْسَلَ الغُرابَ فَخَرجَ متَردِّدًا حتَّى جفَّتِ المياهُ عنِ الأَرْضِ».[٤٤] ولَمْ يعُدِ الغُرابُ بعْدَ ذلِكَ الوقْتِ. وعِنْدَ الحديثِ عنِ اللهِ أَيْضًا، يقُولُ الكِتابُ: «مُنْذُ الأَزلِ حتَّى الأَبدِ أَنْتَ اللهُ»،[٤٥] بدونِ أَنْ يَضعَ حُدُودًا لِهذِه الحالةِ. وَأَيْضًا عِنْدَ التَّبْشيرِ بالإنجيلِ يقولُ الكتابُ: «يُشْرِقُ في أَيّامِهِ البِرُّ وكَثْرةُ السَّلامِ حتَّى يَزُولَ القمرُ»،[٤٦] بدُونِ أَنْ يَضعَ حدًّا لهذا الجُزءِ الجميلِ مِنَ الخليقةِ. هكَذا يَسْتعْمِلُ هُنا أَيضًا لَفْظَةَ «حتَّى» ليُؤكِّدَ ما كانَ قبْلَ الوِلادةِ، أَمَّا بالنِّسْبَةِ إلى ما يلي، فَإِنَّه يترُكُ لكُم أَنْ تَسْتنتِجوا. هكذا، كانَ ضَرورِيًّا لكُمْ أَنْ تتَعلَّمُوه مِنْه، هذا ما قالَه هُوَ نفْسُه: إِنَّ العَذْراءَ لم يَمْسَسْها بَشَرٌ حتَّى الولادةِ. أَمَّا ما كانَ يُرَى أَنَّه نتيجةٌ للقَوْلِ السَّابقِ فَهُو ظاهِرٌ ومُسَلَّمٌ بِه أَيضًا. هذا يترُكُهُ لكُم الإنجيلِيُّ بدَوْرِه حتَّى تَدْرِكُوه؛ أَعْني حتَّى بَعْدَ أَنْ صارت أُمًّا، واعتُبِرَت مُسْتحقَّةً لنوعٍ جَديدٍ مِنَ الأَلَمِ، ولحبَلٍ غريبٍ جِدًّا، لَمْ يَحْتَمِلْ ذلكَ الإنْسانُ الصِّدِّيقُ أَنْ يَعْرِفَها. إنجيلُ متّى، الموعظة ٥. ٣.[٤٧]

وَسِعَتْ ما لا يَسَعُهُ العالَمُ. كاتِبٌ مَجْهُولٌ: منْ كانَ العالَمُ غيرَ قادِرٍ على أَنْ يَسعَهُ أَوْ غيْرَ جديرٍ بأَنْ يقْبلَهُ، استطاعَتْ مَرْيمُ وَحْدَها أَنْ تَسعَهُ في غُرْفَةِ رَحِمِها الصَّغيرةِ. ورأَى يُوسُفُ أَنَّه يجِبُ أَنْ تبْقى

---

(٤٣) CCL 9a: 208

(٤٤) تكوين ٨: ٧.

(٤٥) مزمور ٩٠: ٢ (٨٩: ٢).

(٤٦) مزمور ٧٢: ٧ (٧١: ٧).

(٤٧) PG 57: 58; NPNF 1 10: 23

عَذْراءَ بَعْدَ الوِلادَةِ. إنَّه رَأَى النَّجْمَ السِّرِّيَّ مُتَألِّقًا فَوْق رأْسِ الطِّفْلِ ودالاًّ المَجُوسَ عَليه. وَقفَ عَلى انفِرادٍ شاهِدًا له وقَدْ خانَتْهُ الكَلِماتُ. ثُمَّ رَأى المجُوسَ يَسْجُدُونَ لَه مُقدِّمين لَه هَدايَاهُم النَّفِيسَةَ المقَدَّسَةَ. سَمِعَهُم يَصِفُونَ كَيفَ جاؤُوا مِنَ المَشْرِقِ إلى أُورَشَليم، مُهْتدِينَ بالنَّجمِ الَّذي لَمْ يَتَوانَ في تَقْدِيمِ الإجْلالِ للبَشَرِ، حَتَّى يُعْلِنَ عَنْ مَجْدِ الرَّبِّ. لقدْ أَظْهرتْ وِلادَتُهُ الَّتي لا تُضاهَى والفائِقَةُ كُلَّ الوِلاداتِ البَشريَّةِ أُلوهِيَّةَ الطِّفْلِ المَولُودِ وَأَثْبتَتْ ليُوسُفَ كَرامةَ مَرْيَمَ الوالِدَةِ.

فَقَالَ الإنْجيلِيُّ: «وَلَمْ يَعْرِفْها حَتَّى وَلَدَتِ ابنَها البِكْرَ»، أي أَنَّه عَرَفَ مَنْ هِيَ بَعْدَ أَنْ وَلَدَتِ ابْنَها. عَملٌ غيرُ كامِلٍ حَوْلَ مَتّى، الموعظة ١.[48]

[48] GP 65: 536

١:٢ – ٨ زِيارَةُ المجُوسِ

[1] ولمَّا وُلِدَ يَسوعُ في بَيتَ لَحمِ اليَهودِيَّةِ، على عَهْدِ المَلِكِ هِيرودُسَ، إذا مجوسٌ من المشرقِ جاؤوا إلى أورَشليم [2] وقالوا: «أينَ هوَ المَولودُ، مَلِكُ اليَهودِ؟ فقد رَأَيْنا نَجمَهُ في المَشْرِقِ، فَجِئْنا لِنَسْجُدَ لَه». [3] وسَمِعَ المَلِكُ هِيرودُسُ، فاضْطَرَبَ هوَ وكُلُّ أورَشليم معه. [4] فجَمَعَ كُلَّ رُؤساءِ الكَهَنةِ ومُعَلِّمي الشَّعْبِ واستخبرهم أينَ يولَدُ المَسيحُ. [5] فقالوا لَه: «في بَيتَ لَحمِ اليَهودِيَّةِ، لأنَّه هكذا كُتِبَ بالنَبِيِّ: [6] «وأنتِ يا بَيتَ لَحْمُ، أرضَ يَهوذا، لستِ الصُّغْرى في مُدُنِ يَهوذا، لأنْ مِنكِ يَخْرُجُ مدبِّرٌ يَرعى شَعْبي إسرائيل»». [7] فَدَعا هيرودُسُ المَجوسَ سِرًّا وتَحقَّقَ مِنهُم متى ظَهَرَ النَّجْمُ، [8] ثُمَّ أرسَلَهُم إلى بَيتَ لَحْمَ وقالَ لَهُم: «اذْهَبوا وابْحَثوا عَنِ الطِّفلِ بحثًا دقيقًا. فإذا وجَدْتُموهُ، فأخْبِروني حتى أذهَبَ أنا أيضًا وأسْجُدَ لَه».

نَظْرَةٌ عَامَّةٌ: جَاءَ المَسِيحُ عَلَى عَهْدِ هيرودس غَيرِ اليَهوديِّ، لَكِنَّ النُّبُوءاتِ تَحَدَّثَتْ عَنْهُ (ثيودور المبسوستيّ). إنَّ هيرودوس رَمْزٌ لِلوَرَعِ الكَاذِبِ (غريغوريوس الكَبيرُ). إدَّعَى أَنَّه سَيَسْجُدُ لِلمَسيحِ الطِّفْلِ (بطرس خريسولوغوس)، لَكِنَّهُ كَانَ يَنْوي القَضَاءَ عَلَيْه لَوِ اسْتَطَاعَ أَنْ يَجِدَهُ (غريغوريوس الكبيرُ). العَنَاصِرُ الصَّامِتَةُ (كالنَّجم) بَشَّرَتْ بالمَسِيحِ الطِّفْلِ قَبْلَ أَنْ يَنْطقَ. في مَا بَعْدُ جَعَلَ التَّلاميذُ الرَّبَّ مَعْرُوفًا عِنْدَنا لَمَّا لَم يَعُدْ حَاضِرًا في جَسَدِهِ الأَرضيِّ لِيُكَلِّمَنَا (غريغوريوس الكبير). لَو آمَنَ هيرودسُ بأَنَّ النبوّة كانتْ حَقِيقيَّةً، لَمَا حَاوَلَ أَنْ يُحْبِطَ وَصِيَّةَ الله (الذَّهبيُّ الفَم). عِنْدَمَا يُرِيدُ الأَشْرَارُ أَنْ يُحْدِثوا أَضْرَارًا بِالنَّاسِ، يُلَوِّنُونَ الغَدْرَ بِلَوْنِ التَّواضُعِ (كَاتِبٌ مَجْهولٌ). مَا مِنْ شَيءٍ كَانَ يَرْدَعُ هيرودس، فَفَعَلَ الشَّرَّ مُتَعَثِّرًا بِجَشَعِهِ (الذَّهبيُّ الفَم). بقيتْ أُورشليمُ مُضطَرِبَةً مِنْ جَرَّاءِ المُيولِ الوثنيَّةِ عينها التي كَانَتْ قَدْ جَعَلَتْها مِنْ قَبْلُ أَنْ تَبْتَعِدَ عَنِ اللهِ، في وَقْتٍ كَانَ الرَّبُّ فيه يَسْكُبُ عليهم أَعْظَمَ إِحْسَانَاتِهِ (الذَّهبيُّ الفَم). إنَّ شَعْبَ الرَّبِّ بِأَسْرِهِ دُعِيَ بِاسْمِ إِسْرائيلَ، كَمَا لو أَنَّه اسْمٌ مُخْتَارٌ وَمَفْرُوزٌ عَنِ الأُمَمِ الأُخْرَى، كَمَا كَانَ يَصِحُّ عَلَى الكَنِيسَةِ (كيرلُّس الإسكندريّ). جَاءَ الرَّبُّ لِيُسَاعِدَ الجِنْسَ البَشَريَّ في شَخْصِ المَسْيحِ الطِّفْلِ، الَّذي لا يَحْتَاجُ إلى مُسَاعَدَةِ أَحَدٍ (بُطْرُس خريسولوغوس).

١:٢ أ ولمَّا وُلِدَ يَسوعُ

كَيْفَ أُنْبِئَ بِحُكمِ هيرودس. ثيودور المبسوستيّ: يَصِفُ البَطْرِيَرْكُ يَعْقُوبُ هَذَا الزَّمَنَ قَائِلاً: «لا يَزولُ رَئِيسٌ مِنْ يَهُوذَا ولا تَزُولُ عَصَا السُّلْطَانِ مِنْ بَينِ قدمَيْه، إلى أَنْ يَأْتِيَ مَنْ لَه الصَّولجَانُ».[1] قَدَّمَ مَتَّى هَذِه الشَّهادَاتِ ذاتها لِيُبَرْهِنَ عَلَى أَنَّ كُلَّ شَيءٍ حَدَثَ طِبقًا لأقوالِ الأَنْبِياءِ. مِنْ جِهَةٍ، أَظْهَرَ أَنَّه يَجِيءُ مِنْ بَيْتَ لَحْمٍ، كَمَا قَالَ النَّبيُّ.[2] ومِنْ جِهَةٍ أُخْرَى، أَظْهَرَ أَنَّ قَوْلَ يَعْقُوب هَذَا يُنْبِئُ بِأَنَّه سَيَحْدُثُ في «أَيَّامِ هيرودس». إنَّ الَّذين تَوَالَوا عَلَى حُكْمِ إسْرائيلَ مِنْ أَيَّامِ دَاودَ إلى سَبْيِ بَابِلَ كَانُوا مِنْ سِبْطِ يَهوذا (أَخ

---

[1] تكوين ٤٩: ١٠. مِنْ مَطْلَعِ القَرْنِ الثَّاني فَسَّرتِ الآيَة ٤٩: ١٠- ١١ (مِنْ قِبَلِ يوستينوس، وهيبوليتس، وأوريجنّس، وإفاسافيوس وغيرهم) لكونها نبوَّةً مسيحانيَّةً. هكذا فالآيَةُ التي تَقُولُ إنَّ هُنَاك رئيسًا في بيت داود حتّى مجيءِ ماسيًا تُشيرُ إلى المسيحِ، دالَّةً على وقتِ ولادتِه. فهيرودس -الذي لم يكُنْ من الجِنْسِ العِبْريّ- كان ملكَ اليهودِ.

[2] ميخا ٥: ٢.

لاوي). ثُمَّ خلفَهُم في قيادةِ الشَّعْبِ رُؤساءُ الكهنةِ وكانوا مِنْ سبْطِ لاوي، لكِنَّ نسبَهُم يعُودُ إلى يهُوذا. كانَ قد وقعَ خِصامٌ بين سبْطِ لاوي – لا سِيَّما بينَ رُؤساءِ الكهنةِ – وسِبْطِ يهُوذا الملكيِّ. وقدْ تفاقمَ الأمْرُ بينَ الأخوين أريستوفولُس وإيركانوس وتصارعا على العَرْشِ، فاسْتقرَّتِ المملكةُ على هيرودس، الذي لمْ يكُنْ يهُودِيَّ العِرْقِ بلْ كانَ ابنَ أنتيباترُس الأدُوميِّ. وكانَ أنَّه في عَهْدِهِ ظهرَ المَسِيحُ المُعلِّمُ ، بعْدَ أنْ كانتْ عُهُودُ الحكَّامِ والمُلوكِ اليهُودِ قدِ انقضتْ إلى غيرِ رَجْعَةٍ. مقطع ٦.[٣]

هيرودُسُ والمَسِيحُ: بطرس خريسولوغوس. ماذا يعْني أنَّه في عهْدِ ملِكٍ حاقدٍ جدًّا نزَلَ الرَّبُّ إلى الأرضِ، ودخَلَ اللاَّهُوتُ في النَّاسُوتِ، وتمَّ اتِّحادٌ سَماويٌّ بِجِسْمٍ أرْضِيٍّ؟ ماذا يعْني هذا؟ كيْفَ يحْدُثُ أنَّ طاغِيَةً يُقصَى على يدِ منْ لمْ يكُنْ مَلِكًا، أيْ على يدِ منْ يُحرِّرُ شعْبَه، ويُجدِّدُ وجْهَ الأرْضِ ويُعِيدُ إليْها الحُرِّيَّةَ؟ فهيرودسُ الكافِرُ كانَ قدْ غزَا مَمْلكةَ اليهُودِ، وانتزَعَ حُرِّيَّتَهُم، ودنَّسَ أماكِنَهم المُقدَّسةَ، وعطَّلَ النِّظامَ، وألْغى كُلَّ الطُّقوسِ والعِبادةِ الدِّينيِّين. فكانَ منْ المُلائمِ أنْ يأْتيَ عوْنُ الرَّبِّ لمُساعدةِ تِلْكَ الأُمَّةِ بدون أيَّةِ مُساعدةٍ بَشريَّةٍ. حقًّا حرَّرَها الرَّبُّ في وَقْتٍ لا تقْدِرُ فيه اليدُ البَشَريَّةُ أنْ تُحرِّرَها. بهذِه الطَّريقةِ سيأْتي المَسِيحُ، مرَّةً ثانيةً، ليُبيدَ المسيحَ الدَّجالَ، ويُحرِّرَ العالَمَ، ويُعِيدَ أرْضَ الفِرْدوسِ الأصْليَّةَ، ويرفعَ لِواءَ حُرِّيَّةِ العالمِ ويُزيلَ مِنْه كُلَّ عُبُوديَّةٍ. المواعظُ ١٥٦.٦.[٤]

٢:١ ب إذا مَجُوسٌ مِنَ المَشْرِقِ جاؤوا إلى أورشليم

أكْثر منْ توجيهٍ بشَريٍّ. الذَّهبيُّ الفَم: إنَّ النَّجْمَ ظهَرَ منَ العُلى داعِيًا المَجُوسَ. فقامَ الرِّجالُ الغُرباءُ برِحْلةٍ طويلةٍ ليَسْجُدُوا لِمَنْ هُوَ في الأقْمِطَةِ في مِزْودٍ. فالأنْبياءُ أنْبأوا بذلِكَ مِن عَلُ. فهَذا وكُلُّ الأحْداثِ الأُخْرى تَسْمُو علَى مَا هُوَ بَشريٌّ. إنجيلُ متّى، الموعظة ٣.٧.[٥]

٢:٢ فَجِئْنا لِنَسْجُدَ لَه

تَمْييزٌ بين علامةٍ صامتةٍ ونُبُوَّةٍ منْطُوقٍ بها. غريغوريوس الكبيرُ: يَجِبُ أنْ نَسْأَلَ ماذا يعْني أنّه، لمَّا وُلِدَ مُخلِّصُنا، ظهَرَ

[٣] KGK 98

[٤] CCL 24b: 971-72; FC 17: 126

[٥] PG 57: 75-76; NPNF 1 10: 45-46

مَلاكٌ للرُّعَاةِ في اليَهُوديَّةِ. لَكِنْ مَا المَلاكُ، بَلِ النَّجْمُ هُوَ الَّذي أَرْشَدَ المَجُوسَ مِنَ المَشْرِقِ لِيَسْجُدوا لَه. السَّبَبُ هُوَ أَنَّ مُبَشِّرَ اليَهُودِ كَانَ كَائنًا نَاطِقًا، أَيْ مَلاكًا، لأَنَّهم كَانُوا قَادِرِينَ عَلَى استِخْدَامِ العَقْلِ. أَمَّا العَلامَةُ–النَّجْمُ– فَهِيَ التي أَرْشَدَتِ الأُمَمَ لا الصَّوتُ، لأَنَّهم لَمْ يكونُوا مُهيَّئِين لاستِعْمَالِ العَقْلِ استِعْمَالاً كلِّيًّا لِيَعْرِفوا الرَّبَّ. لذلِكَ يَقُولُ بولسُ: «اللُّغَاتُ إذًا لَيْسَتْ آيَةً لِلمُؤْمِنين، بلْ لِغَيرِ المؤمِنِينَ. عَلَى أَنَّ النُّبُوءَةَ هي للمُؤمنينَ لا لغَيرِ المؤْمنين».[٦] هَكَذَا أُعْطِيَتِ النُّبُوءَةُ لليَهودِ كمُؤْمِنينَ وَكَغَيْرِ مُؤمِنينَ، والآيَاتُ أُعْطِيَتْ للأُمَمِ كَمُؤمِنِينَ وَكَغَيْرِ مُؤمِنينَ. لاحِظْ أَنَّ الرَّسُولَ بَشَّرَ بالمُخَلِّصِ للأُمَمَ نَفْسَها لمَّا كَانَ يَسوعُ رَجُلاً بَالِغَ السِّنِّ، لَكِنَّ نَجْمًا أَعْلَنَه للأُمَمِ لَمَّا كَانَ طِفْلاً عَيًّا. والحَقُّ أَنَّه كَانَ مِنَ الصَّوابِ أَنْ تُبشِّرَ به تِلْكَ العَنَاصِرُ الصَّامِتَةُ لَمَّا كَانَ عَيًّا، وَأَنْ يُبشِّرَ بِه المُبَشِّرونَ لَمَّا صَارَ قَادِرًا عَلَى الكَلامِ. أَرْبَعُونَ عِظَةً إنجيليّة ١٠.١.[٧]

٣:٢ فاضْطَرَبَ هيرودس

اضطِرَابٌ في المَدِينَةِ كُلِّها. الذَّهَبيُّ الفَم. اضطَرَبَ هيرودُسُ بصُورَةٍ طَبيعيَّةٍ لكونِهِ مَلِكًا يَخَافُ عَلَى نَفْسِه وَعَلَى أَوْلادِهِ. لَكِنْ لِمَاذَا اضطَرَبَتْ أُورَشليم؟ حقًّا، لَقَدْ أَنْبَأَ الأَنْبِيَاءُ بأَنَّ المَسِيحَ هُوَ مُخَلِّصٌ ومُحْسِنٌ ومُنْقِذٌ مِنَ العُلَى. لِمَاذَا إذًا اضطرَبُوا؟ بسببِ التَّفْكِيرِ ذاتِه الَّذي دَفَعَهُمْ مِنْ قَبْلُ إلى الابْتِعَادِ عَنِ اللهِ المُحْسِنِ، لمَّا أَنزَلَ عليهم نِعَمَه. وَفِيمَا كَانُوا يَنْعَمُونَ بالحُرِّيَةِ كَانوا يَتَذَكَّرون تَرَفَ مِصْرَ.

فَالأَوْلى أَنْ تَنْتَبِهوا إلى دِقَّةِ الأَنبيَاء. وَهَذَا مَا أَنْبَأَ بِهِ النَّبيُّ قَائلاً: «سيُسَرُّونَ لَوْ كَانوا مَأْكَلاً للنَّارِ؛ لأَنَّه يُولَدُ لنَا صَبيٌّ، ويُعْطَى لنَا ابنٌ».[٨]

وَرغْمَ أَنَّهُم اضطَرَبوا فإنَّهُم لَمْ يَطلُبوا أَنْ يَرَوا مَا حَدَثَ، وَأَنْ يَتْبَعُوا المَجُوسَ، ولا أَنْ يَتَقَصَّوا عَنِ الأَمْرِ، بَلْ كَانُوا مُشَاكِسِين مُهْمِلِين. وَمِنْ دواعي اعتِزَازِهِم أَنَّ المَلِكَ وُلِدَ في مَا بَيْنَهم وَأَنَّه جَذَبَ إِلَيْه بِلادَ الفُرْسِ، فَكَانَ كُلُّ شَيءٍ عَلَى وَشْكِ الخُضُوعِ لَهُم، وَأَخَذَتْ أُمُورُهُم بالتَّحَسُّنِ. مِنَ البَدْءِ

[٦] ١ كورنثوس ١٤: ٢٢.

[٧] PL 76: 1110-11; CS 123: 55 (الموعظة ٨).

لمَاذَا كَانَ النَّجمُ عَلامَةً تُرشِدُ المَجُوسَ فيمَا كَانَ صَوتُ المَلاكِ يُخَاطِبُ الرُّعَاة؟ إنَّ الصَّمتَ والكَلامَ استُخْدِما لإعلانِ مَجيءِ المسيح. فَاليهودُ، كمَا نَراهُم في الرُّعَاةِ، تلقَّوا الأصواتَ النبويَّةَ، والأممُ، كمَا نَراهُم في المَجُوسِ، تلقَّوا عَلاماتٍ صامتةً.

[٨] إشعيا ٩: ٥– ٦. (السبعينيّة).

أَصْبَحتْ إِمْبَراطوريَّتُه مَجيدَةً جِدًّا، إلاَّ أَنَّهم لَمْ يَكُونُوا مِنْ جرَاءِ ذلك أَفْضَلَ مِنْ غيْرِهِم. وَإِنْ كانُوا قَدْ تَحَرَّروا مِنْ عُبُودِيَّتِهم هُنَاكَ، فَكَانَ مِنَ الطَّبِيعِيِّ بِالنِّسْبَةِ إِليهم أَنْ يُفكِّروا (حَتَّى لَوْ لَمْ يَعْرِفُوا أَيًّا مِنْ هَذِه الأُمُورِ السَّامِيَةِ والسِّرِّيَّةِ، بَلْ كَوَّنوا أَفْكَارَهُم مِمَّا هُوَ حاضِرٌ أَمامَهُم فَقَطْ) إذا كَانَ المجُوسُ يَرْتَجِفُونَ أَمامَ مَلِكِنا عِنْدَ وِلادَتِه، فَكَمْ يَزدَادُ خَوْفُهُم مِنْه عِنْدَمَا يكبَرُ، فَيُطِيعُونَهُ وَتَصِيرُ حَالَتُنا أَمْجَدَ مِنَ البَرابِرَةِ. لَكِنْ لَمْ يَحْدُثْ لَهُمْ شَيءٌ مِثْلُ ذَلِكَ، فَكَانَتْ بِلادَتُهُم عَظِيمَةً وَحَسَدُهُم كَبيرًا. فَهَذانِ الأَمْرَانِ يَجِبُ أَنْ يُقْتلَعَا مِنْ عُقُولِنَا. فَعَلَيْنَا أَنْ نَكُونَ أَكْثَرَ اتِّقَادًا مِنَ النَّارِ لِنُقَاوِمَ هُجُومًا مُنَظَّمًا كَهَذَا. قَالَ المَسِيحُ: «جِئتُ لأُلقيَ نَارًا عَلَى الأَرْضِ، وَمَا أَشَدَّ رَغْبَتي في أَنْ تَكُونَ قَدِ اشْتَعَلَت».[٩] لِذَلِكَ يَظْهَرُ الرُّوحُ في نَارٍ. إنجيلُ مَتَّى، الموعظة ٦. ٤.[١٠]

٦:٢ لأن مِنكِ يَخْرُجُ مُدَبِّرٌ

كَيْفَ أَصْبَحَتِ الكَنِيسَةُ إِسرائيلَ؟ كيرلُّس الإِسْكَنْدَرِيّ: سُمِّيَ يَعْقُوبُ إِسْرائيلَ لَمَّا رَأَى السُّلَّمَ «والمَلائِكَةَ يَصْعَدُونَ ويَنْزِلُونَ عَليها».[١١] فَصَارَعَ الَّذي ظَهَرَ لَه، وَسَمِعَه يَقُولُ: «لا يُدْعَى اسمُكَ يَعْقُوب بَعْدَ الآنَ، بَل إِسرائيل».[١٢] بِهَذا الاسْمِ دُعِيَ شَعْبُ إِسرائيل بِكَامِلِه، وَكَأَنَّه اختيرَ اختيَارًا إِلَهيًّا سَامِيًا، ومُيِّزَ عَنِ الأُمَمِ الأُخْرَى. والآنَ، إِسرائيلُ يَعْني «عَقْلاً يَرَى اللّه». هَكَذا تُدْعَى الكَنِيسَةُ الَّتي مِنَ الأُمَمِ إِسرائيلَ، لا استِنَادًا إِلى الجَسَدِ بَل استِنَادًا إِلى النِّعْمَةِ الإلهيَّةِ. مقطع ٢.[١٣]

٧:٢ نِيَّةُ الأَذَى

نِيَّةُ التَّدمير. غريغوريوسُ الكَبيرُ: لَمَّا اسْتَعْلَمَ هيرودسُ عَنْ وِلادَةِ مَلِكِنا، لَجَأَ إِلى المكرِ وَالدَّهَاءِ حِرصًا عَلَى مَمْلَكَتِه الدُّنيَوِيَّةِ مِنَ التَّصَدُّعِ وَالْخَطَرِ. فَطَلَبَ أَنْ يُخْبِروه أَينَ الطِّفلُ. فَادَّعَى أَنَّه رَاغِبٌ في أَنْ يَسْجُدَ لَه، ولَكِنَّه كَانَ يَعْتَزِمُ القَضَاءَ عَلَيه إِذَا وَجَدَه.

---

[٩] لوقا ١٢: ٤٩.

[١٠] PG 57: 67-68; NPNF 1 10: 40

خَسِرت أورشليم الهيرودُسيَّة، بسبَبِ بلادتِها في النُّبوءةِ وَحَسدِها في الأمُورِ الإنسانيَّة، رؤيتَها في دعوتِها التَّاريخيَّةِ وَفُرصَتِها الفَريدَة لمَّا تمسَّكتْ بِالعُبُوديَّةِ وبِعبَادةِ الأَوثان. لذلكَ اضطربَت ممَّا يُنذِرُ بالتَّغيير.

[١١] تكوين ٢٨: ١٢.

[١٢] تكوين ٣٢: ٢٨.

إنَّ كيرلُّس لا يقْتَبِسُ من السَّبعينيَّةِ حرفيًا.

[١٣] MKGK 156-57

لكِنْ، مَاذا تَنْفعُ الضَّغِينةُ الإنْسانيّةُ ضِدَّ التَّدبيرِ الإلهيِّ؟ يَقولُ الكِتابُ: «مَا مِنْ حِكْمَةٍ، ومَا مِنْ فَهْمٍ ومَا مِنْ مَشورةٍ، يَنْفعُ ضِدَّ المشيئةِ الإلهيَّة».[١٤] فالنَّجمُ ظَهرَ ليُرْشِدَ المَجوس. فَوَجدوا المَلِكَ المولُودَ حديثًا وقدَّموا له هَدَايَاهُم. فَأُوحِيَ إليهم في الحُلْمِ أنْ لا يَرْجِعُوا إلى هيرودس. وهَكذا عَجِزَ عن أنْ يَجِدَ يسوعَ الَّذي كَانَ يُفتِّشُ عنهُ. واليومَ يَرمُزُ هيرودسُ إلى كُلِّ الَّذين يَسْعَون إلى الرَّبِّ سَعْيَ المُرائين، ولَكِنَّهم لا يَقْدِرُون على أنْ يَجِدوه. أرْبَعونَ عظةً إنجيليَّة ٢.١٠.[١٥]

مَا الّذي جَعَلَ هيرودسَ يَضطَرِبُ؟ كيرلُّس الإسكندريّ: لم يَضطَرِبْ هيرودسُ بسَبَبِ كَلامِ المَجوسِ، بَلْ بسَبَبِ هَذَيانِ عُلَماءِ الشَّريعَةِ في كَلامِ الأنْبِياءِ الصِّدِّيقين. فالمَجوسُ كانوا يَبْحَثُونَ عَنْ مَلِكٍ، أمَّا اليَهُودُ فكَانُوا يُعْلِنُونَ أنَّ المَسيحَ قَدْ وُلِدَ. لِهَذا السَّبَبِ، أهْمَلَ هيرودسُ المَجوسَ، واسْتَدْعَى بَدَلاً مِنهُم اليَهُودَ وسَأَلَهُم أيْنَ يُولَدُ المَسيحُ الَّذي «سَمِعْتُم عَنْهُ مِنَ المَجوس». هَذا مَا يَتكلَّمُ بِه أعْداءُ الحَقِّ أحيَانًا غَيْرَ راغِبينَ في قَوْلِ الحَقِّ. فيفَسِّرُونَ النُّبوءَةَ الكَامِلَةَ تفْسِيرًا بَاطِلاً: وَلا يَفْهَمُونه أبدًا. مقطع ٣.١٠.[١٦]

٢:٨ إجَابَةُ هيرُودُس الكَاذِبَة

هيرودُس أرْسَلَ المَجُوسَ. كيرلُّس الإسكندريّ: يَدْعُو هيرودسُ المَجُوسَ سُفَراءَ، لأنَّهُم جَاؤوا إلى مَلِكِ إسرائيل بطَريقَةٍ مُعَيَّنَةٍ للتَّوسُّطِ، فيَقومَ هُنَاكَ سَلامٌ بَيْنَهُم وبَينَ الإسرائيليّين. كانوا يَأْمَلُونَ أنْ يُصبِحُوا هُم والأُمَمُ «رَعيَّةً واحِدَةً، ورَاعيًا وَاحِدًا».[١٧] المقطع ١٠.[١٨]

مَا مِنْ شَيءٍ رَدَعَ هيرودس: الذَّهَبيُّ الفَم: دَعَا هيرودُسُ المَجُوسَ سِرًّا وتَحقَّقَ مِنْهُم مَتَى ظَهَرَ النَّجْمُ: إنَّ مُحَاوَلَةَ قَتْلِ الطِّفْلِ المَولُودِ لَمْ تَكُنْ عَمَلَ جُنُونٍ فَحَسب، بَلْ كَانَتْ حَمَاقَةً مُتَطَرِّفَةً أيضًا، لأنَّ مَا قِيلَ وَمَا حَدَثَ كَانَ كَافيًا ليُثْنِيَ هيرودسَ عَنْ القِيَامِ بمِثْلِ هذه المُحَاوَلاتِ. . . . لكِنْ مَا مِنْ شَيءٍ أوْقَفَهُ. هَكَذا هُوَ شَأْنُ فَاعِلِ الشَّرِّ: إنَّه يُبَالِغُ في اسْتِخْدامِ كُلِّ شَيءٍ لتَحْقيقِ أهْدَافِه الرَّعْنَاء... بحيثُ إنَّ مكْرَهُ كَانَ مُطْبِقًا مِنْ جَميعِ الجِهَاتِ. فَحَمَاقَتُهُ بَلَغَتْ أقْصَاهَا

---

[١٤] أمثال ٢١: ٣٠.

[١٥] PL 76: 1111; CS 123: 56 (الموعظة ٨).
كيفَ حُفِظَ الطِّفلُ مِنْ تلكَ القوّةِ الطّاغية؟ إنَّ العِنَايةَ الإلهيَّةَ هي الَّتي صَانَتِ الطِّفلَ مِنْ كُلِّ أذى.

[١٦] MKGK 156

[١٧] يوحنّا ١٠: ١٦.

[١٨] MKGK 156

عِنْدَمَا ظَنَّ أَنَّ المَجُوسَ سيُفَضِّلُونَه عَلَى المولُودِ، لأَنَّهم جَاؤوا مِنْ بَعيدٍ ليَروه. فَإِذَا كَانَ الشَّوقُ قد أَلهبَهُم قبْلَ أَن يَروه، فَكَيْفَ يَأْمَلُ هِيرودسُ، بَعْدَ أَنْ رَأَوه، أَنْ يُقْنِعَهُم بأَنْ يَخُونُوا الطِّفْلَ الَّذي كَانَتْ هُويَّتُه قَدْ أَثْبَتَتْهَا النُّبوءاتُ؟ ولَرُبَّمَا كَانَتِ الأَسْبَابُ الَّتي تَرْدَعُهُ مُقْنِعَةً، إلاَّ أَنَّهُ أَصرَّ عَلَى مُحَاولَتِه الشِّرِّيرَةِ... تَصَوَّرَ أَنَّ اليَهُودَ سَيكُونُون مُهْتمِّين جِدًّا بِحِمَايَةِ الطِّفْلِ، ولَنْ يَكُونُوا أَبَدًا رَاغِبين في تَسْلِيمِ حَامِيهِم ومُخلِّصِهِم ومُحَرِّرِهِم مِنَ الأَعْدَاءِ. لذَلِكَ استَدْعَى المَجُوسَ سِرًّا وَتَحقَّقَ مِنْهُم زَمَنَ ظُهورِ النَّجمِ لا زمنَ ظُهورِ الصَّبيِّ، وَاضِعًا نُصْبَ عَينَيه الحُصُولَ عَلَى مُبْتَغاه الغَبيِّ. فَالنَّجْمُ، عَلَى مَا أَظُنُّ، ظَهَرَ وَأَصْبَحَ مَرئيًّا مُنْذُ وَقْتٍ طويلٍ، لأَنَّ المَجُوسَ قَضَوا وَقْتًا طَويلاً في تَرْحَالِهِم بَحْثًا عَنِ المولُودِ: ليَسْجُدوا لَه وهُوَ في الأَقْمِطَةِ، فَيَنْجَلِيَ العَجَبُ المُسْتَغْرَبُ الَّذي دَلَّ عَليه النَّجْمُ مُنْذُ زَمَنٍ طَويلٍ. فَلَو ظَهَرَ النَّجْمُ سَاعَةَ وِلادَتِه في فَلَسْطِين، لَرَآه الكَثيرون في المَشْرِقِ، إذ استَغْرَقَتِ الرِّحْلَةُ إلى أورَشليم بَعْضَ الوَقْتِ، ولَمَا كَانوا رَأَوهُ في الأَقْمِطَةِ.

لا نَتَعَجَّبَنَّ مِنْ قَتْلِ هيرودسَ مَن كَانَ ابنَ سَنَتَين فَمَا دُون: إنَّهُ يُظْهِرُ حَنَقًا وَذُعْرًا لا وِقَايَةَ مِنهُمَا، ويخشى تمديدَ الوَقْتِ، لِئَلاَّ يَتمَكَّنَ الصِّغَارُ مِنَ الهَرَبِ...

لَكِنَّ المَجُوسَ، لتَقْوَاهُمُ الشَّديدة، لَمْ يُلاحِظوا شَيئًا كَهَذَا، وَلَمْ يَتَوقَّعُوا أَنْ يُقْدِمَ هيرودسُ عَلَى إنزَالِ شَرٍّ كهذا في مُحَاوَلَةٍ منه للقِيَامِ بمُؤَامَرةٍ ضِدَّ تَدْبيرٍ مُدْهِشٍ كَهَذَا. إنجيلُ مَتّى، الموعظةُ ٧. ٢– ٣.[١٩]

تلوينُ الضَّغينَةِ بلَونِ التَّواضُعِ. كَاتِبٌ مَجْهُولٌ: بَعْدَ أَنْ سَمِعَ هيرودسُ الجَوابَ، وَجَدَه قَابِلاً للتَّصْديقِ لسَبَبَين: أَوّلاً رأْيُ الكَهَنَةِ فيه، وَثَانِيًا نُبوءَاتُ الأَنْبياءِ عَنه. لَمْ يَسْجُدْ للمَلِكِ المَوْلُودِ عَنْ تُقَى؛ إنَّه أَخْفَى ضَغِينَتَهُ بَاحِثًا عن قَتْلِه خِدَاعًا. قَدْ يَتَمكَّنُ الشِّرِّيرُ مِنْ فَهْمِ مَا يَخُصُّ اللهَ عِندَمَا يَعْجِزُ عَنْ فِعْلِ مَا يَخُصُّ اللهَ. فَاللهُ خَلَقَ العَقْلَ البَشَرِيَّ، في حِينِ أَنَّ الأَعْمَالَ البَشَرِيَّةَ تَصْدُرُ عَنْ حُرِّيَّةِ الإرادَةِ. لَقَدْ رَأى هيرودسُ إخْلاصَ المَجُوسِ العَظِيمَ للمَسيحِ. فَلَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَحْتَالَ عَليهِم بالمُدَاهَنَاتِ، أَوْ أَنْ يُرْعِبَهم بالتَّهْدِيداتِ، أَوْ أَنْ يَشْتَرِيَهم بالذَّهَبِ

[١٩] PG 57: 75-76; NPNF 1 10: 45-46

هَلْ كَانَ هيرودوس عَنيفًا أو أَحْمَقَ؟ أظهَرَ لنا هيرودوس كيفَ أنَّ الشَّرَ يكونُ مَلئيًا بالحَماقَةِ عندما يَبثُّ ضَلالَه. ولذلك كَانَ هيرودوس يَتَعثَّرُ بطَمَعِهِ وَكبريائِه، بحيثُ إنَّه كان شريرًا وأحْمَقَ بآن.

ليرضخوا له في محاولته قتل ملك المستقبل. فسعى إلى خداعهم. لكنّه لم ينجح، لأنّه لو أغراهم بتملّقه، لخانوا الذي لأجله كابدوا مشقّة السّفر. غير أنّ هؤلاء الرّجال لا يدينون بالوفاء لأيّ ملك آخر. إنّهم ينتمون إلى مملكة أخرى ولا يعتبرون، تاليًا، هيرودس أو قيصر اعتبارًا كبيرًا. لا أحد بإمكانه أن يحملهم بالتّرهيب على خيانة المسيح، فهو كلّ أمنيتهم ورغبتهم، لذا قدّموا له هدايا نفيسة حملوها معهم من أقاصي الأرض. رأى هيرودس نفسه عاجزًا عن أن يفعل شيئًا آخر. وفيما كان يشحذ سيفه، وعد بالوفاء، لكنّه لوّن ضغينة قلبه بلون التّواضع. هذه هي عادة الأشرار جميعهم، فهم، عندما يريدون إيقاع الأذى بشخص ما، يتظاهرون بالتّواضع والصّداقة. عمل غير كامل حول متّى، الموعظة ٢.[٢٠]

التّظاهر بالسّجود له. بطرس خريسولوغوس: «اذهبوا وابحثوا عن الطّفل بحثًا دقيقًا. فإذا وجدتموه، أخبروني». قال هيرودس بشكل مناسب «أخبروني»، لأنّ الّذي يسارع في الوصول إلى المسيح يوصى برفض الشّيطان.[٢١] فعندما يسأل الكاهن المسيحيّ المزمع قبول المعموديّة: «هل رفضت الشّيطان؟» يجيب المعتمد: «نعم قد رفضت الشّيطان». لذلك أمر هيرودس المجوس أن يخبروه، فأدركوا أنّه كان يحلّ محلّ الشّيطان. عرف الشّيطان أن يفسد شخصًا. «حتّى آتي وأسجد له». أراد أن يكذب، لكن لم يستطع. فمن تظاهر بالسّجود للمسيح أتاه منحنيًا حتّى يؤذيه وخرّ أمامه ليعاقبه، واتّكأ هناك ليوقع به الضّرر. . . لكن لمّا مرّت سحب الغدر، في طقس جميل في أثناء ظهور الإيمان المسيحيّ النّاشئ، شاهد المجوس مرّة ثانية النّجم الّذي يبحثون عنه، وهو يتقدّمهم ويقودهم. أخيرًا وصلوا إلى المكان الأقدس حيث ولد الرّبّ. مواعظ ١٥٨. ٨- ٩.[٢٢]

---

[٢٠] PG: 56: 640

[٢١] من الواضح أنّ الفعل اللاتينيّ renumtiare يعني «أعلن، أذاع». لكنّ خريسولوغوس يفضّل أن يستعمله بمعنى «رفض». وبذلك يشير إلى أنّ كلّ مسيحيّ يجب أن يرفض الشّيطان الّذي يرمز إليه هيرودس.

[٢٢] CCL 24b: 983

٢: ٩-١٢ نجمُ بيتَ لحمْ

٩فلمَّا سَمِعوا كلامَ المَلِكِ انصَرَفوا. وبينَما هُمْ في الطَّريقِ إذا النَّجمُ الذي رَأَوْهُ في المَشرِقِ، يتَقَدَّمُهُمْ حتى بَلَغَ المكانَ الذي فيهِ الطِفلُ، فوَقَفَ فَوْقَه. ١٠فلمَّا رَأَوا النَّجمَ فَرِحوا فَرَحًا عَظيمًا جِدًّا، ١١ودَخَلوا البَيتَ فوَجَدُوا الطِّفْلَ معَ أُمِّهِ مَريَمَ. فرَكَعوا وسَجَدوا لَه، ثُمَّ فَتَحوا أَكْياسَهُمْ وأهْدَوْا إليهِ ذَهَبًا وبَخورًا ومُرًّا.

١٢وأنْذَرَهُمُ اللهُ في الحُلُمِ أنْ لا يَرجِعوا إلى هيرودُسَ، فأخَذوا طَريقًا آخَرَ إلى بِلادِهِم.

نَظْرَةٌ عَامَّةٌ: لَمْ يكُنْ نَجْمُ بيتَ لَحْم نَجْمًا عاديًّا، لأنَّه لَيْس لِنَجْمٍ آخرَ هذِه القُدْرَةُ على الإرْشَادِ (الذَّهبيُّ الفم). فَقَدْ سَبَقَ المجُوسَ، ليُظْهِرَ كَيفَ أَنَّ كُلَّ العَناصِرِ الكَونيّةِ تُعظِّمُ المسيحَ وتُجِلُّه (كَاتِبٌ مَجْهولٌ). فَابنُ اللهِ، الَّذي هُوَ إلهُ الكَوْنِ، وُلِدَ إنْسانًا في الجَسَدِ. أَجَازَ لنَفْسِه أَنْ يُوضَعَ في مِذْوَدٍ فيمَا كَانتِ السَّماوَاتُ مُثْبَّتَةً عَلى يَدِ مَنْ كَانَ في المِذْوَدِ (كُروماتيوس). لَقَدْ شَاهَدَ الرِّجَالُ الحُكَماءُ مِذْوَدًا مُتَواضِعًا مُظْلِمًا مُناسِبًا للحَيَوانَاتِ أَكْثَرَ مِنهُ للنَّاسِ، لا يَرْضَى المرْءُ باللُّجُوءِ إلَيه مَا لَم تَضْطَرُّهُ ضَرورَةُ الرِّحْلَةِ (كَاتِبٌ مَجْهُولٌ). أَدْرَكَ المَجُوسُ أَنَّ الرَّضِيعَ كَانَ مَلِكًا، فَقَدَّموا لَه ذَهَبًا ثَمينًا، وبَخُورا ومُرًّا (كَاتِبٌ مَجْهُولٌ). يَرمزُ الذَّهبُ إلى الحِكْمَةِ، والبخُورِ إلى اتِّباعِ الكَلامِ المُقَدَّسِ، والمُرُّ إلى إمَاتَةِ الجَسَدِ. إنَّنا نُقدِّمُ مُرًّا لله عِنْدَما نَستَخدِمُ تَابِلَ ضَبْطِ النَّفْسِ، لنَقِيَ هَذا الجِسْمَ الدُّنْيويَّ مِن انحِلالِه (غريغوريوس الكبيرُ). لَقَدْ أَعْلَمَنَا أَنَّ ربَّنَا ومُخَلِّصَنا الطِّفْلَ سيكُونُ مُنْتَصِرًا حَتّى في أَوَّلِ حَيَاتِه في الجَسَدِ (كروماتيوس). لَقَد استَحَالَ عَلَى الَّذينَ جَاؤوا مِنْ عِنْدِ هيرودس إلى المَسيحِ أَنْ يَرْجِعُوا إلى هيرودس، لِذَلِكَ عَادُوا إلى دِيَارِهِم مُتَّخِذينَ طَريقًا آخَرَ (كَاتِبٌ مَجْهُولٌ). عَنَى بذَلِكَ أَنَّ اللَّه عَازِمٌ أَنْ يَشْفِيَ بَابِلَ ومِصْرَ كِلَيهِمَا (كُروماتيوس). فَلْنَرْجِعْ، كَالمَجُوسِ، إلى بِلادِنا (الفِرْدَوس) بطَريقٍ يَختَلِفُ عَنِ الطَّريقِ الَّذي تَرَكْنَاه (غريغوريوس الكبير).

٢: ٩ إذا النَّجْمُ الذي رَأَوْهُ في المَشْرِق، يَتَقَدَّمُهُمْ حتى بلَغَ المكانَ الذي فيهِ الطِفلُ فوَقفَ فَوْقَه

بَيْتٌ عَادِيٌّ ونَجْمٌ غيرُ عاديّ. الذَّهبيُّ الفَم: «إذا النَّجْمُ الَّذي رَأَوْهُ في المَشْرِق، يَتَقَدَّمُهُمْ». كَانَ النَّجْمُ مَخْفِيًّا لِهَذا السَّبَب: بَعْدَ أَنْ فَقَدُوا دَليلَهُم (أَيِ النَّجْمَ) اضطُرُّوا إلى الاسْتِفْهَامِ مِنَ اليَهودِ عَنْه، فاتَّضَحَ الأَمْرُ للجَميع. وَبِمَا أَنَّهُم عَرَفُوا حَقِيقَةَ الأَمْرِ وَكَانَ أَعْداؤهُ هُم الَّذين أَعْلَمُوهُم بذَلِكَ، عَادَ النَّجْمُ إلى الظُّهُور. لاحِظُوا كَمْ كَانَ التَّرْتيبُ مُتْقَنًا: فَبَعْدَ أَنْ رَأَوا النَّجْمَ اسْتَقْبَلَهُمُ الشَّعْبُ اليَهوديُّ والمَلِكُ، فشَرَحُوا لَهُمُ النُّبُوءَةَ في مَا قَدْ ظَهَرَ لهم؛ ثُمَّ أَخَذَهُم مَلاكٌ –بَعْدَ النَّبِيِّ– وَعَلَّمَهُم كُلَّ شَيء! إنَّهُم انْتَقَلُوا مِنْ أُورَشَليم إلى بَيْتَ لَحْم بتَوجيهٍ مِنَ النَّجْمِ الَّذي سَارَ أَمَامَهُم ثَانِيةً، حَتَّى تَعْرِفُوا أَنَّ هَذا لَمْ يَكُنْ نَجْمًا عادِيًّا، إذْ لا يُوجَدُ نَجْمٌ لَه مِثْلُ هَذِهِ الطَّبيعَةِ. فَهُوَ لَمْ يَكُنْ يَسيرُ أَمَامَهُم فَحَسْب، بل «كَانَ يَتَقَدَّمُهم» مُرشِدًا إيَّاهُم في الظَّهيرة.

قَدْ يَتَساءَلُ بَعْضُهُم: مَا الحَاجَةُ إلى هَذا النَّجْمِ بَعْدَ أَنْ تَمَّ التَّحقُّقُ مِنَ المكَان؟ لكي يَدُلَّ عَلَى الطِّفْلِ أَيْضًا. فَمَا مِنْ شَيءٍ يُبْرِزُهُ: فَلا البَيْتُ كَانَ جَلِيًّا، ولا أُمُّه كَانَتْ مُتَأَلِّقَةً أو مَشْهُورَةً. لذَا كَانَ اتِّكَالُهم عَلَى النَّجْمِ لتَحْديدِ المَكَان. ظَهَرَ لهم لَدَى خُروجِهم مِنْ أُورَشَليم، وَلَمْ يَتَوَقَّفْ إلاَّ بَعْدَ أَنْ وَصَلَ إلى المِذْوَدِ. إنجيلُ متَّى ، الموعظة ٧. ٣.[1]

كُلُّ العَناصِرِ الكَونِيَّةِ تُعَظِّمُ المَسيحَ وتُجِلُّه. كَاتِبٌ مَجْهُولٌ: إذَا أَجلَّتِ العَنَاصِرُ الكَوْنِيَّةُ المَسِيحَ، فَإنَّها تَعِي كَرامَةَ المَلِكِ وَتَقُولُ في نَفْسِها: «كَيْفَ يُمْكِنُ هَذا أَنْ يَحْدُثَ– إنَّ مَلِكًا أَرْضِيًّا يُعَظِّمُه نَجْمٌ؟» يَا لَلْعَجَبِ، فَشَمْسُ الحَقِّ يُشرِقُ، والنَّجمُ السَّمَاويُّ يُجِلُّه! كَانَ يَتَقَدَّمُهم، ليُظْهِرَ لَهُمْ تَجَلِّيَ كُلِّ العَنَاصِرِ لكُلِّ مَنْ يَبْحَثُ عَنِ الله. لذَلِكَ، إنْ ظَنَنْتَ أَنَّ إجْلالَ النَّجْمِ للمَسِيحِ شَيءٌ عَظيمٌ، فَانْظُرْ مَا أَعْظَمَ ذَلِكَ الأَمْرَ الَّذي قَدَّمَ لكَ الإكْرامَ لَمَّا صِرْتَ بَشَرًا. أَنْظُرْ إلى الشَّمْسِ الَّتي تُسَارِعُ إلى البُزُوغِ لكَ وَإلى القَمرِ الَّذي لا يَتوقَّفُ عَنِ اللَّمَعَان. فَإنْ كَانَتِ العَنَاصِرُ تُقَدِّمُ لَكَ إجْلالاً، أَنْتَ المَخْلُوق، فَمَا العَجَبُ إنْ قَدَّمَ النَّجْمُ للمَسِيحِ إكْرامًا وَإجْلالاً؟ وَإذا كَانَ المَلائِكَةُ يُقَدِّمُونَ الإكْرَامَ للنَّاسِ– وقد خَلَقَهُم اللهُ إكْرامًا له لا للبَشَرِ– فَمَا هي الغَرابَةُ في أَنْ تُقَدِّمَ العَنَاصِرُ الَّتي خُلِقَتِ الإكْرَامَ للإنْسَان؟ عِنْدَ سَماعِنا هذا الأَمْرَ

---

[1] PG 57: 76; NPNF 1: 10: 46

علينا أنْ نبتهجَ وأنْ نخافَ في الوقتِ ذاتِه، لأنَّه كلَّما تعاظمَتِ النِّعمُ المُعطاةُ للبشريَّةِ، تعاظمَت ديْنُونةُ الخطأةِ. والنَّجمُ وقفَ فوقَ المكانِ الذي كانَ فيهِ الطِّفلُ وقالَ: إنَّه هُنا. ومعَ عجْزِه عنِ الإشارةِ إلى الطِّفلِ بالكلامِ، أشارَ إليه باستقرارِه في مكانٍ واحدٍ. عملٌ غيرُ كاملٍ حولَ متَّى، الموعظة ٢.[٢]

١٠:٢ فَرِحوا فَرَحًا عَظيمًا جِدًّا

وَجدُوا ما كانُوا يَبْحثُون عنْه. الذَّهبيُّ الفم: وكانتِ الأُعجُوبةُ مُرتَبطةً بالأُعجُوبةِ؛ فالأمْران كانا غريبَين، المجُوسُ يَسْجُدُون والنَّجْمُ يتقدَّمُهُم؛ كلاهُما كانَ كافيًا ليأخُذَ بلُبِّ مَنْ كانَ قلْبُه مِنْ حجَرٍ. فلوْ قالَ المجُوسُ إنَّهم سَمِعُوا الأنْبياءَ يقُولُون هذِه الأُمورَ أو إنَّ الملائكةَ قد تحادَثتْ معَهُمْ سِرًّا، لما صدَّقهُم أحدٌ، أمَّا الآنَ، وبعْدَ ظُهُورِ النَّجْمِ في الأعالي، فقدْ أُسكِتَتْ أفْواهُ فاعِلي الإثْمِ. يَتوقَّفُ النَّجْمُ فوْقَ الصَّبيِّ: أمْرٌ له قُوَّةٌ أعْظَمُ مِنْ قُوَّةِ نجْمٍ، تارةً يُخْفِي نفْسَه وطوْرًا يظْهَرُ، وبعْدَ ظُهُورِه يتوقَّفُ من دُونَ حِراكٍ. مِنْ هُنا ازدادُوا إيمانًا، وابْتهَجوا لأنَّهُم وجدوا مطْلبَهُم، وبرْهنُوا على أنَّهم صارُوا رُسُلَ الحقِّ. رحْلتُهُم الطَّويلةُ لمْ تكُنْ بدونِ ثمرٍ. هكذا أطْفأُوا الظَّمأَ إلى لقائِهِ. واعْترَفوا بذلِكَ لمَّا سَجدُوا له. إنجيلُ متَّى، موعظة ٤.٧.[٣]

بفَرحٍ عَظيمٍ. كاتِبٌ مَجْهُولٌ: فلمَّا رأَوا النَّجْمَ فرِحوا فرَحًا عظيمًا، لأنَّهُم لمْ يكُونُوا مَخْدُوعِين في أمَلِهِم، بلْ تأكَّدَ لهُم أنَّهم لمْ يقُومُوا بأعْباءِ هذِه الرِّحْلةِ العظِيمةِ بدونِ جدْوَى. وعبر علامةِ النَّجمِ الذي ظهَرَ لهم في ذلِكَ الوقتِ، فهِموا أنَّ ولادةَ الملِكِ أُوحِيَ أمرُها إليْهِم بسُلْطانٍ إلهيٍّ. ومِنْ سِرِّ النَّجْمِ فهِمُوا أنَّ كرامةَ الملِكِ المولُودِ تجاوزَتْ مقامَ كُلِّ الملُوكِ الأرْضيِّين. ولا بُدَّ أنَّهُم اعتبَرُوا هذا الملِكَ أعْظَمَ مِنَ النَّجمِ، فأجلُّوه بكُلِّ وفاءٍ. فماذا يسْتطِيعُ هؤلاءِ الرِّجالُ أنْ يفْعلُوا سِوى الإذْعانِ له بعْدَ أنْ رأَوا النُّجومَ في السَّماءِ تخْضَعُ لَه؟ كيْفَ تتمرَّدُ الأرْضُ على مَنْ تخْدُمُهُ السَّماواتُ؟ عملٌ غيرُ كاملٍ حوْلَ متَّى، الموعظة ٢.[٤]

١١:٢ فركَعوا وسَجَدوا لَه، ثُمَّ فتَحوا أكْياسَهُمْ وأهْدَوْا إليهِ ذَهبًا وبَخورًا ومُرًّا

---

[٢] PG 56: 641

[٣] PG 57: 77; NPNF 1 10: 46-47

[٤] PG 56: 641

مَهْدٌ لا يَسَعُه العَالَمُ. كروماتيوس: فَلْنُلاحِظِ الآن مَا أَعْظَمَ الكَرامَةَ التي صَاحَبَتْ يسوعَ عِنْدَ وِلادَتِه، بعْدَ أَنْ تَبِعَ المَجُوسُ النَّجمَ في تَرْحَالِهِم. للحَالِ خَرُّوا عَلَى أَقْدَامِهِم وَسَجَدُوا للمَوْلُودِ كإلهٍ. وَهُنَاكَ في مَهْدِهِ سَجَدوا لَه مُقَدِّمِين لَه الهَدَايا، مَعَ أَنَّهُ كَانَ رَضِيعًا. أَدْرَكُوا شَيئًا بأَعْيُنِ أَجْسَادِهِم، و بِبَصَائِرِ عُقُولِهِم أَدْرَكُوا شيئًا آخرَ. فَكَانَتْ وَضَاعَةُ الجَسَدِ الَّتي اتَّخَذَها يَسوعُ مُمَيَّزةً، لكنَّ مَجْدَ أُلوهِيَّتِهِ تَجَلَّى الآنَ. إِنَّه طِفْلٌ مَنْظُورٌ، لكِنَّه هُوَ الرَّبُّ المَسْجُودُ لَه. يا لَسِرِّ شَرَفِه الإلَهِيِّ الَّذي يَفُوقُ الوَصْفَ! فَالطَّبيعةُ الأَزليَّةُ غيرُ المرئيَّةِ لَمْ تَتَرَدَّدْ في أَنْ تَتَّخِذَ ضَعْفَ الجَسَدِ في أَجْلِنا. فابنُ اللهِ، رَبُّ الكَوْنِ، يُولَدُ بَشَرًا في الجَسَدِ. يُجِيزُ لِنَفْسِه أَنْ يُوضعَ في مِذْوَدٍ، و لِلسَّمَاواتِ أَنْ تُوضَعَ في المغَارَةِ. يُوضَعُ في مَهْدٍ مَنْ لا يَسَعُه العَالَمُ. يُسْمَعُ لَهُ بُكَاءُ الرَّضيعِ. إِنَّه هُوَ الَّذي يَرتَجِفُ العَالَمُ لِصَوتِه في سَاعةِ آلامِه. هَذا هُوَ رَبُّ المَجْدِ وربُّ الجَلالِ، الذي اعترفَ بِهِ المَجوسُ وهُوَ طِفْلٌ. فَمعَ أَنَّه طِفْلٌ فَهْوَ حقًّا اللهُ والمَلِكُ السَّرْمَدِيُّ. إِلَيهِ أَشَارَ إِشعيا في قَولِهِ: «لأَنَّه وُلِد لَنَا صَبيٌّ وأُعْطِيَ لَنَا ابنٌ، وتَكونُ رِئَاسَتُه عَلَى كَتِفِه».[٥] موعظةٌ حَوْلَ متَّى ٥. ١.[٦]

مَاذَا رَأَوا؟ كَاتِبٌ مَجْهُولٌ: «وَدَخَلُوا البَيْتَ وَوَجَدُوا الطِّفْلَ مَعَ أُمِّهِ مَرْيَم». هَلْ نَفْهَمُ لِمَاذا ابتَهَجُوا، لَمَّا رَأَوا مَشْهَدًا عَظِيمًا كَهَذَا: هُنَا هُوَ الطِّفْلُ الَّذي فَتَّشُوا عَنْهُ كَمَلِكٍ، وَتَحَمَّلوا مَشَقَّةَ رِحْلَةٍ كَبيرةٍ لِلوُصُولِ إِليهِ؟ هَلْ رَأَوا قَصْرًا رَائعًا مِنَ الرُّخَامِ وَالمَرْمَرِ؟ هَلْ رَأَوا أُمَّه مُتَوَّجَةً بِإِكْلِيلٍ مُرَصَّعٍ أَو مُتَّكِئةً عَلَى سَريرٍ مُذَهَّبٍ؟ هَلْ رَأَوا وَلَدًا مُقَمَّطًا بِالأُرْجُوانِ والذَّهَبِ، ورِوَاقًا مَلَكِيًّا تَحْتَشِدُ فِيهِ الجَمَاهِيرُ الغَفِيرَةُ؟ مَاذا رَأَوا؟ رَأَوا مِذْوَدًا مُظْلِمًا وضِيعًا مُخَصَّصًا لِلحَيَوانَاتِ لا لِلنَّاسِ، فَلا يَرضَى أَيُّ شَخْصٍ بِأَنْ يَخْتَبِئَ فيه ما لَمْ يكُنْ في سَفَرٍ. رَأَوا أُمَّه تَتَدَثَّرُ بِرداءٍ وَاحِدٍ غَيرِ مُتَأَنِّقٍ، بَلْ كَانَ كَافِيًا لأَنْ يُغَطِّيَ عُرِيَهَا، وَبَدَتْ بِثِيَابِهَا كَأَنَّهَا زَوجَةُ أَيِّ نَجَّارٍ مِنَ النَجَّارِينَ -إِنَّه كِسَاءُ مُهَاجِرةٍ. لَقَدْ غُطِّيَ الطِّفْلُ بِأَقْمِطَةٍ مُتَواضِعَةٍ وَوُضِعَ في المِذْوَدِ الأَكثرِ تَواضُعًا. كَانَ المَكَانُ ضَيِّقًا جِدًّا بِحَيثُ لَمْ يَكُنْ فِيهِ مَوْضِعٌ لِلجُلُوسِ.

لَوْ طَلَبَ المَجُوسُ مَلِكًا مِنْ هَذَا العَالَمِ وَوَجَدُوه، لَكَانَ ارْتِبَاكُهُم أَقْوَى مِنْ فَرَحِهِم،

---

[٥] إشعيا ٩: ٦.

[٦] CCL 9a: 216

وَلذهبَت جُهودُهُم وأتْعابُهم سُدىً. لكنْ، بِمَا أَنَّهم ابتغَوا المَلِكَ السَّمَاوِيَّ، رَغْمَ أنَّهم لَمْ يَروا فيه الفَخَامة، فَقَدْ فرِحُوا بشهَادَةِ النَّجْم. فَأَعينُهُم لَمْ تَقدِرْ أَنْ تَرى وَلَدًا غير جَديرٍ بالتَّعْظِيم، لأنَّ الرُّوحَ في قُلُوبِهِم كَانَ يَكْشِفُ لَهُم عَنْ مَهَابَتِه. فَلو كَانُوا يَبْحَثُونَ عَنْه كَمَلِكٍ مِنْ هَذَا العَالَم، لَلازَمُوه مُلازَمَةً، كالشَّعْبِ الَّذي يَتْرُكُ مَلِكَه لينْضَمَّ إلى مَلِكٍ آخر. أمَّا هُمْ فَسَجَدُوا له وَانصَرفُوا عائدينَ إلى بِلادِهِم. فَكَانَ يَسُوع مَلِكُهم السَّمَاوِيُّ العَادِلُ يَسُودُ نُفُوسَهُم ويَتَمَلَّكُ بيوتَهم كَحَاكِمٍ عَلى أجْسَادِهِم. عَمَلٌ غيرُ كَامِلٍ حَولَ متّى الموعظة ٢.[٧]

إيلافُ الأُلُوهَة. كَاتِبٌ مَجْهُولٌ: «وَسجَدوا لَه». هَلْ تَظُنُّ أَنَّهم سَجَدوا لِطِفْلٍ لَو لَم يُدْرِكُوا أَهميَّةَ سُجُودِهِم لَه، لَوْ لَمْ يَكُونُوا قَد آمَنُوا بِأَنَّ اللهَ كَانَ فيه؟ لذَلِكَ لَمْ يُرْجِئُوا السُّجُودَ لَه، كَمَنْ يَنْقصُهُ الفَهْمُ عَلى نَحْوٍ صِبْيَانِيٍّ. فَتَصَرَّفُوا تُجَاهَه مُدْرِكِين أَنَّ لاهُوتَه بكُلِّ شَيءٍ عَلِيمٌ. فَنَوعِيَّةُ الهَدَايا الَّتي قَدَّمُوهَا لَه شَهِدَتْ عَلَى أَنَّهُم كَانُوا عَلَى دَرجَةٍ مِنَ التَآلفِ مَعَ أُلوهِيَّةِ الطِفْل. عَمَلٌ غيرُ كَامِلٍ حولَ متّى، موعظة ٢.[٨]

هَدَايا تُلائمُ الأُمَمَ كُلَّها. كَاتِبٌ مَجْهُولٌ: «ثُمَّ فَتَحُوا أكْيَاسَهُمْ وَأَهْدَوْا إِلَيهِ ذَهَبًا وبَخُورًا وَمُرًّا». اعْتَرفُوا بالمَسِيحِ نيَابَةً عَنْ كُلِّ الأُمَم. وَبِهِم تَحَقَّقَت نُبوءَةُ إشَعْيَا: «والَّذينَ مِنْ سبأٍ يَجيئُونَ كُلُّهُم حَامِلِينَ الذَّهبَ والبَخُور وَمُبَشِّرِينَ بِأَمْجَادِ الرَّبِّ. وَغَنَمُ قِيدار كُلُّها تُجْمَعُ إِلَيكَ وكِبَاشُ نبايوتَ تُوضَعُ في خِدْمَتِك، فَيُصْعِدُونَها مَقْبُولَةً عَلَى مَذبحِ الرَّبِّ».[٩] وَلِلْحَالِ اعْتَرفُوا بِه. وفتَحُوا خزائنَهُم وقَدَّمُوا له هَدَايَاهُم، الَّتي يَلِيقُ بالأُمَمِ كُلِّها أَنْ تُقَدِّمَها لَه. أَدْرَكُوا أَنَّه كَانَ مَلِكًا، فَقَدَّمُوا لَه بَاكُورَةَ ثِمَارِهِم الغَالِيةَ والثَّمِينَةَ، اللائقةَ بالقُدُّوس. فَقَدَّمُوا لَه ذَهبًا كَانُوا قَدِ ادَّخَرُوه لأَنْفُسِهِم. وكَذَلِكَ، اعْتَرفُوا بمَجِيئهِ السَّمَاوِيِّ الإلهِيِّ إِلَيهِم، فَقَدَّموا لَه بَخُورًا كَهَدِيَّةٍ جَمِيلَةٍ، وَكَأَنَّها كَلامُ الرُّوحِ القُدُسِ المُعَزِّي. وكَذَلِكَ أَدْرَكُوا أَنَّ حياتَه البَشَرِيَّةَ هي كَالضَّرِيح، فَقَدَّموا لَه مُرًّا. عَمَلٌ غيرُ كَامِلٍ حَولَ متّى، الموعظة ٢.[١٠]

تَقْدِمَةُ العَقْلِ المُقَدَّس، وَالكَلامِ والإرَادَة. غريغوريوس الكَبيرُ: هُنَاكَ شَيءٌ أَهمُّ يتعلّق

---

[٧] PG 56: 641-42

[٨] PG 56: 642

[٩] إشعيا ٦٠: ٦-٧.

[١٠] PG 56: 642

بـالـذّهَـبِ والـبَـخُّـورِ وَالمرِّ ويَـجِـبُ فَـهـمُـه. فسُلَيمَان يَشْهَدُ أنَّ الذَّهَبَ يَرمُزُ إلى الحِكْمَةِ عِنْدَمَا يَقُولُ: «في فَمِ الحَكِيمِ كَنْزٌ ثَمين».[١١] وَيَـشْـهَـدُ كَـاتِـبُ المَزَامِيرِ عَلَـى البَـخورِ وَهُـوَ يَـرْتَـفِـعُ في الصَّلاةِ إلى الله فَيَقُول: «لتَكُنْ صَلاتِي كَالبَخُّورِ أَمَامَك».[١٢] أمَّا المرُّ فيُشِيرُ إلى مَوْتِ أَجْسَادِنا الّذي تَتَحَدَّثُ عَنهُ الكَنِيسَةُ المُقَـدَّسَــةُ في شَـأْنِ الَّـذيـن يُـجَـاهِـدُونَ مُسْتَشْهَدِينَ في سَبيلِ الله: «ويَدَايَ تَقْطُرانِ مُرًّا».[١٣] وَنَحْنُ نُقَدِّمُ ذَهبًا إلى المَلِكِ المَولُودِ حَدِيثًا إذَا أَشْرَقْنَا في الحِكْمَةِ العُلْوِيَّةِ بمَشْهَدٍ مِنْه. فنُقَدِّمُ لَه بَخُورًا عِنْدَمَا نُشْعِلُ عَلَى مَذْبَحِ قُـلـوبِـنَـا أَفْكَارَ عُقـولِـنَـا البَـشَـرِيَّـةِ في إقَامَتِنا الصَّلَـواتِ. وَنُـقَـدِّمُ لَـه مُرًّا، إذَا أَمَـتْـنَـا شُرُورَ أَجْسَادِنا بنُكْرَانِ الذَّاتِ. فَالمرُّ يَجْعَلُ الأَجْسَادَ غَيرَ مَائتَةٍ. أمَّا الجَسَدُ الإنْسَانيُّ الَّذي يَنْحَلُّ صَائرًا عَبْدًا للفَسَادِ والبِلَى، كَمَا قِيلَ عَلَى لِسَانِ النَّبيِّ: «بَلِيتِ الدَّوابُّ في رَوْثِـهـا»،[١٤] فيُشيرُ إلى أَشْخَاصِ جَسدانيّي التَّفْكيرِ يُنْهُونَ حَـيَـاتـهـم في نَتَـانَـةِ الفِسْقِ. لذَلِكَ نُقَدِّمُ مُرًّا للرَّبِّ عِـنْـدَمـا نُـطَيِّبُ أَنْفُسَـنَـا بضَـبْـطِ النَّفْسِ، لِـنَـقِـيَ جَسَدَنَـا الأَرْضِـيَّ الانْـحِـلالَ بـالـفِـسْـقِ. أَربعونَ عظةً إنجيليَّة ١٠. ٦.[١٥]

٢: ١٢ وَأَنْذَرَهُمُ الله في الحُلُمِ أَنْ لا يَرجِعوا إلى هيرودُسَ

فَأَخَذُوا طَرِيقًا آخَرَ إلى بِلادِهِم. كَاتِبٌ مَـجْـهُـولٌ: يَـا لإيمَانِ المَجُـوسِ! إنَّـهـم لَـمْ يَتَبَجَّحُوا مُنْتَقِصِين مِنْ قَدْرِ إنْذَارِ الله لَهُم قَائلِين: «قَدْ جِئْنَا مِنْ مَسَافَةٍ بَعِيدَةٍ، وَمَرَرْنَا بأُمَمٍ مُتَعَدِّدَةٍ، وَلَمْ نَشْعُرْ بالخَوفِ. وَلَمْ نَرْتَعِبْ أَمَامَ المُلُوكِ المرهُوبِين، لكِنْ كُنَّا ثَابِتِي العَقْدِ وبـإخْلاصٍ حَدَّثْنَاهُم بخَبَرِ المَلِكِ المولُودِ وَحَمَلْنَا مَعَنَا هَدَايا ثَمِينَةً لنُقَدِّمَها لَه وكَأَنَّنا نُقَدِّمُـهـا لإلَـهٍ. والآنَ تَـأْمُرُنـا كَـعَبِيدٍ لِنَأْخُذَ طَرِيقًا مُخْتَلِفًا غيرَ الطَّرِيقِ الَّذي سَلَكْنَاه؟» وَبِمَا أَنَّهُم كَانُوا ثَابِتي العَزْمِ، فَلَمْ يَخَافُوا مِنْ أنْ تَكُونَ لَهُم شُهْرَةٌ، ولَمْ يَخْجَلُوا مِنَ الانْسِحَابِ سِرًّا. ولِذَلِكَ لا يَتَعَذَّرُ عَلَى الَّذِين جَـاؤُوا مِـنْ عِـنْـدَ هيرودسَ إلى المَسِـيحِ أَنْ يَرْجِعُوا إلَيهِ. فَالَّذين تَرَكُوا المَسِيحَ، واتَّجَهُوا إلى هيرودسَ كَـانُـوا قَـادِرِيـنَ عَـلَـى الـعَـوْدَةِ بسُـرْعَـةٍ إلى المَسِـيـحِ. لَـكِـنَّ الَّـذيـن تَـرَكُـوا هيرودس وَجَاؤُوا إلى المَسِيحِ بكُلِّ قُلوبِهِم،

[١١] أمثال ٢١: ٢٠. (السبعينيّة)

[١٢] مزمور ١٤١: ٢ (١٤٠: ٢).

[١٣] نشيد الأناشيد ٥: ٥.

[١٤] يوئيل ١: ١٧.

[١٥] PL 76: 1113; CS 123: 58-59 (الموعظة ٨). يُقَرِّبُ ذَهَبُ الحِكْمَةِ وَبخورُ الصَّلاةِ وَمُرُّ إنكارِ الذَّاتِ كتقدمَةٍ إلى المَسيحِ الطِّفل.

لا يَرْغَبُونَ في الرُّجُوعِ إلى هيرودس. وهَذَا يعْنَي أنَّ الخاطِئَ يَنْتَقِلُ مِنَ المسيحِ إلى إبْليس، لكِنَّه قَدْ يَعُودُ سَرِيعًا بالتَّوبَةِ إلى المَسيحِ. أمَّا الَّذين يَترُكُون إبليسَ مُنْطَلِقين إلى المسيحِ فلا يَعُودُون بسُرْعَةٍ إلى إبليس. فمَنْ لَمْ يتورَّطْ في الشَّرِّ، عارِفًا البَرَاءَةَ وحْدَها، يَنْخَدِعُ بسُهُولَةٍ فيَنْتَقِلُ إلى إبليس، لأنَّه لَمْ يَخْتَبِرِ الشَّرَّ. لكنْ، مَتَى اختبَرَ الشَّرَّ وتذكَّرَ الخيرَ الَّذي أضاعه، وضلَّت مَساعِيه، يَرْجِعُ بسُرْعَةٍ إلى الرَّبِّ. أمَّا مَنْ تَوَرَّطَ في الشَّرِّ واهتدَى إلى الخيرِ فيَصْعُبُ عليه الرُّجُوعُ إلى الشَّرِّ، إذْ إنَّ الخيرَ الَّذي وَجَدَه يَسُرُّه مُتذكِّرًا الشَّرَّ الَّذي تخلَّصَ منه. عملٌ غيرُ كامِلٍ حولَ متَّى، الموعظة ٢.[16]

التَّغلُّبُ عَلَى خِدَاعِ الطَّاغِيَةِ. كروماتيوس: هذَا مِثالٌ لَنَا في التَّواضُعِ والإيمانِ. فنَحْنُ عرَفْنَا المَسيحَ وسَجَدْنَا لَه كمَلِكٍ، وتركْنَا الطَّريقَ الَّذي اتخَذْنَاه مِنْ قَبْلُ، طَريقَ الضَّلالِ. والآنَ نَحْنُ نَسْلُكُ السِّراطَ الآخرَ، الَّذي يُرْشِدُنا فيه المَسيحُ. فنَرْجِعُ إلى مَوْضِعِنا، إيْ إلى الفِرْدوسِ الَّذي طُرِدَ مِنْه آدمُ. وهَذا المَوْضِعُ يُسمِّيه كِتابُ المزامير «أَرْضَ الأحْيَاءِ»،[17] وفيه نُرْضِي الله. في هَذَا المَوْضِعِ كانَ المَجوسُ مُجْتَمِعينَ لمَّا أنْذرَهُم الله باتِّباعِ طَريقٍ آخرَ. ولمَّا نَهَجُوا ذَلِكَ الطَّريقَ أُحْبِطَتْ خُطَطُ الطَّاغِيَةِ. وعلَى هَذَا النَّحْوِ أصْبَحَ الطِّفْلُ المَوْلُودُ مَعْرُوفًا عبر المجوس، فتَمَّ التَّغلُّبُ عَلَى خِدَاعِ هيرودسَ المُسْتبِدِّ. فأُنْبِئَ بأَنَّ الطِّفْلَ مُخلِّصَنا وربَّنا سيَنْتَصِرُ حتَّى في بَدْءِ حَيَاتِه في الجَسَدِ. وهَذا مَا قيلَ عَلَى لسَانِ إشعْيا: «فقبْلَ أنْ يَعْرِفَ الصَّبيُّ أنْ يُنادِيَ يا أبي ويَا أُمِّي، تُحْمَلُ ثروةُ دِمشق وغنائِمُ السَّامِرةِ إلى أمامِ مَلِكِ أشُور».[18] «ثَرْوَةُ دِمَشْق» تُشيرُ إلى الذَّهَبِ الَّذي تلقَّاه الصَّبيُّ ابنُ الله المولودُ كمَا قَدَّمَه لَه المَجُوسُ. و«غَنائِمُ السَّامِرَةِ» تُشيرُ إلى عِبَادَةِ الأوْثانِ، أيْ إلى ضَلالاتِ السَّامِرَةِ الخُرافيَّةِ الَّتي ابتعَدَ عنْهَا المَجُوسُ أنْفُسُهم. فالَّذين كانُوا مِنْ قَبْلُ فَريسةَ إبليس بسَبَبِ دينِهِم البَاطِلِ أصْبَحُوا غنيمةَ الله عبر مَعْرِفَةِ المَسيحِ. أمَّا مَلِكُ أشُورَ فيُشيرُ إلى هيرودس، وبالأحْرَى إلى إبْليسَ الَّذي أصْبَحَ المَجُوسُ أعْداءَه ساجِدينَ لابنِ الله ربِّنا ومخلِّصِنا. موعظةٌ حول متّى ٥. ٢.[19]

الطَّريقُ الآخَرُ للعَوْدَةِ إلى وَطَنِهِم. غريغوريوس الكبيرُ: إنَّ عَوْدَةَ المَجُوسِ إلى وَطَنِهِم «بطَريقٍ آخَر» تَحْمِلُ تفْسِيرًا رُوحيًّا، فكمَا أُنْذِرُوا باتِّخاذِ طَريقٍ آخر نُنْذَرُ نَحْنُ أيضًا. فمَوْطِنُنَا هُوَ الفِردَوسُ الَّذي طُرِدْنا مِنْه وحُرِمْنا الرُّجُوعَ إليهِ. لَكِنْ، عِنْدَما

[16] PG 56: 643
[17] مزمور ١١٦: ٩. (١١٥: ٩).
[18] إشعيا ٨: ٤.
[19] CCL 9a: 217-218

نَعْرِفُ يَسوعَ، تَسْهَلُ عَلَيْنَا العَوْدَةُ مِنَ الطَّريقِ الَّذي عَادَ مِنْه. لَقَدْ هَجَرْنا فِرْدَوْسَنا بكِبْريائنا وعِصْيانِنَا، وَبتَقْديرِنا لِمَا يُرَى، وَبإذْعَانِنَا لِتَذوُّقِ الثَّمَرةِ المُحَرَّمَة. لَكِنَّنَا نَقْدِرُ على أَنْ نَعُودَ إِلَيهِ الآنَ بالبُكَاءِ والطَّاعَةِ، رافِضِينَ مَا يُرَى، وكَابِحينَ شَهَواتِنا الجَسَديَّة. فَلْنَعُدْ كالمَجُوسِ إِلى وَطَنِنا بطَريقٍ آخر يَخْتَلِفُ عَنِ الطَّريقِ الَّذي حِدْنَا عَنْهُ. فَمَيْلُنا الشِّرِّيرُ أَبْعَدنا عَنْ فَرحِ الفِرْدَوسِ. رُجوعُنا إِلى طَريقِ التَّوبَةِ يَدعُونَا إِلى اتِّخَاذِ طَريقٍ آخر. بهذِهِ الطَّريقَةِ، يا أَحِبَّةُ، نَكونُ مُتَيقِّظِينَ لِمَخَافَةِ الرَّبِّ. فَكُونُوا مُتَيقِّظِين. ضَعُوا نُصْبَ بَصَائرِ قُلُوبِكُم خِداعَ أَعْمَالِكُم. تَبيَّنُوا الجِدَّ في صَرامَةِ الدَّيْنُونَةِ الأَخِيرَةِ. انظُرُوا كَمْ يَكُونُ الدَّيَّانُ صَارِمًا! يَتَوعَّدُ السَادِرَ بالعَذَاب، لَكِنَّه يُعْطِيهِ وَقْتًا للتَّوبةِ. يَتَحمَّلُنا ويُؤَجِّلُ مَجِيئَه لِنَنْدَمَ وَنَتُوبَ، فَلا يَجِدُ في اليَومِ الآخِرِ إِلاَّ عَدَدًا أَقَلَّ لِيَدِينَهُم. أَربعونَ عظة إنجيليَّة ١٠.٧.[٢٠]

[٢٠] PL 76: 1113-14; CS 123: 59-60 (الموعظة ٨).
إنَّ عودةَ المَجُوسِ إِلى بلادِهِم عبرَ طَريقٍ آخر أَوْحت لغريغوريوس بتشبيهٍ آخر وَهُوَ أنَّ عَودتَنَا إِلى العَلاقةِ الأَصليَّةِ مَعَ اللهِ تَتمُّ عبرَ التَّوبةِ والإيمان.

٢:١٣-١٨ الهَرَبُ إِلى مِصْرَ

١٣وبَعدَمَا انْصرَفوا، ظَهَرَ مَلاكُ الرَّبِّ لِيوسفَ في الحُلُمِ وقالَ لَه: «قُمْ، خُذِ الطِفْلَ وأُمَّهُ واهرُبْ إِلى مِصْرَ وأَقِمْ فيها، حتى أقولَ لكَ، لأنَّ هيرودُسَ سيَبحَثُ عَنِ الطِّفْلِ ليَقتُلَه». ١٤فقامَ يوسفُ وأخذَ الطِّفْلَ وأُمَّهُ ليلاً ورحَلَ إِلى مِصْرَ. ١٥فأقامَ فيها إِلى أنْ ماتَ هيرودُسُ، لِيتِمَّ ما قالَ الربُّ بلِسانِ النبيِّ: «مِنْ مِصْرَ دَعَوْتُ ابني».

١٦فلمَّا رَأى هيرودُسُ أنَّ المَجوسَ استهزَأوا به، غَضِبَ جدًّا وأمرَ بقَتلِ كُلِّ طِفْلٍ في بَيتَ لحمَ وجِوارِها، مِن ابنِ سَنَتَينِ فما دونَ ذلِكَ، حسَبَ الوَقتِ الَّذي تحقَّقَهُ مِنَ المَجوسِ، ١٧فتَمَّ ما قالَ النبيُّ إرْميا:

١٨«صُراخٌ سُمِعَ في الرّامَةِ، بُكاءٌ ونَحيبٌ كثيرٌ، راحيلُ تَبكي على أولادِها ولا تُريدُ أنْ تَتعزّى، لأنَّهُم زالوا عَنِ الوجودِ».

نَظْرَةٌ عامَّةٌ: إنَّ مصْرَ التي وَقَفتْ في عهْدِ فِرعونَ وَقْفةً عنيدةً ضِدَّ الرَّبِّ، أَصْبحَتِ الآنَ شَاهِدةً للمَسيحِ ومُقامًا له (كروماتيوس). لَمْ يذْهَبْ يسوعُ إلى مِصْرَ ليتَجنَّبَ الموتَ، بَلْ ليَطْرُدَ الشَّياطِينَ ويُدَمِّرَ الأَصْنَامَ الَّتي تتَعاطَى الموتَ (كاتِبٌ مجْهُولٌ). لَقدْ كانَ إبْلِيسُ عَلَى بَيِّنَةٍ منْ مُسْتقبلِ المسيحِ، فعَزَمَ على صَدِّه وهُوَ بَعْدُ طِفْلٌ. وفِي الوَقْتِ المُحدَّدِ هَرَبَ المَسِيحُ ليُعْطِيَنا أَمَلاً أَبديًّا بتجنُّبِ الجَوْرِ. فلأَنْ نَهْرُبَ في أثْنَاءِ الاضْطِهادِ أَفْضَلُ من أَنْ نتخلَّى عنْ إيمانِنا. لكِنَّه كَرَجلٍ تامِّ النُّموِّ لنْ يَهْرُبَ منَ الموتِ كمَا هَرَبَ مِنْه كطِفْلٍ (بطرس خريسولوغوس). أمَّا الأَطْفالُ الَّذين ذبحَهم هيرودسُ فَأَدْرَكُوا المَجْدَ الإلَهيَّ إدراكًا فوريًّا بسَبَبِ شَهادَتِهم (هيلاريون). لقدْ كانوا شُهداءَ المسيحِ الأَوائلَ في أثناءِ مَجيئِه (كروماتيوس). إنَّ هيرودسَ لا المَسيحَ هُوَ الَّذي قَتلَ الأَطْفَالَ (ثيودور الموبسوستي). ومَهْمَا كانَ مَصْدرُ أَلمِ الظُّلمِ، كمَا ظَهَرَ أوَّلاً في الأَطْفَالِ المَذْبُوحِين، فالدَّافِعُ النِّهائيُّ هُوَ أَحَدُ أَمْرين: إمَّا أَنْ يَجِدَ الرَّبُّ لنَا حَلاً مِنْ خَطايَانا أو أَنْ يُقدِّمَ فِدْيةً عنِ الخَطِيئةِ (الذَّهبيُّ الفَم). لقدْ حَمَلَ الموتُ للأَطْفالِ نِهايةً سَعيدةً لأَلمِهم (كاتِبٌ مَجْهُولٌ). لَقد أُعْلِنَ نَبويًّا أنَّه مَا مِنْ سُلْطانٍ لهيرودوس عَلَى الرَّبِّ (كروماتيوس).

٢:١٣ قُمْ، خُذِ الطِفْلَ وأُمَّهُ واهرُبْ إلى مِصْرَ

بابلُ ومِصر (الذَّهبيُّ الفم): قَدْ يُقالُ: لِماذَا أُرْسِلَ الطِّفْلُ إلى مِصْرَ؟ يَذْكُرُ الإنْجِيليُّ سَبَبَ ذَلِك فيَقُولُ: «لِيتِمَّ مَا قَالَ الرَّبُّ بِلِسَانِ النَّبيِّ: «مِنْ مِصْرَ دَعوتُ ابني»».[1] وفي الوَقْتِ ذاتِه أَعْلَنَ بَدْءَ أَمَلِ خَلاصِ العالَمِ أَجْمَع. فَبابلُ ومِصْرُ احْتَرقتَا بلَهِيبِ الفُجُورِ أَكْثَرَ مِنَ الأَرْضِ كُلِّها، فالسَّيِّدُ يَنْوي أَنْ يُؤدِّبَهُما ويُصْلِحَهُما مَعًا. فأَرادَ مِنَ الإنْسانيَّةِ أَنْ تَرْجُو عَطاياه السَّخِيَّةَ في كُلِّ المَسْكُونَةِ. لهَذا أَرْسَلَ إلى الأُولَى- أَيْ إلى بَابل -المَجُوسَ، وزارَ الثَّانِيَةَ أَيْ مِصْرَ مَعَ أُمِّه.

هُنَاكَ دَرسٌ آخَرُ أَيْضًا نَتعَلَّمُ مِنْهُ أَلاَّ نميلَ إلى التَّهاوُنِ في مَحبَّتِنَا للحِكْمَةِ {في ضَبْطِ النَّفْس}. ومِنْهُ نَتوقَّعُ مُنْذُ البَدْءِ التَّجارِبَ وَالمكائِدَ. انْظُرْ إذًا مَا حَدَثَ عِنْدمَا كَانَ في الأَقْمِطَةِ. طَاغِيَةٌ مُغْتَاظٌ يُخَطِّطُ لاغتيالِه

[1] هُوشَع ١١: ١.

فَيَهْرُبُ إلى مَا وَراءَ الحدُودِ، وَيِدُونِ جُرْمٍ تُنْفَى أُمُّه إلى أَرْضِ البَرابِرَةِ.

فلا تَضْطَرِبْ لدى سَمَاعِكَ هَذِه الأُمُورَ (فَقَدْ يَحْدُثُ وَأَنْتَ تُفَكِّرُ في أَنَّكَ جَديرٌ بخِدْمَةٍ أَيَّةِ مَسْأَلةٍ روحيَّةٍ، أَنْ تُعَانِي مِنْ مَرَضٍ عُضَالٍ وتَحْتَمِلَ مَخَاطِرَ لا حَصْرَ لَهَا)، لا تَقُلْ «كيْفَ يكونُ لِي ذَلِكَ؟» لا تَتَوقَّعْ أَنْ تُتَوَّجَ وتُمَجَّدَ وَأَنْ تكُونَ مُتَأَلِّقًا وَلامِعًا لتُتِمَّ وَصيَّةَ الرَّبِّ. تَعَلَّمْ مِمَّا سَمِعْتَه أَنْ تَحْتَمِلَ كُلَّ هَذِه الأَشْيَاءِ بشَجَاعَةٍ، عَارِفًا أَنَّ هَذَا هُوَ تَرْتِيبُ الأُمُورِ الرُّوحيَّةِ في أَنْ تَخُوضَ التَّجَارِبَ في كُلِّ مكَانٍ بالقَدْرِ عينه. أُنْظُرْ إذًا، هَذِه هِي حَالُ أُمِّ الطِّفلِ وحالُ أُولئك البرابرةِ أَيْضًا. فَقَدْ أَقْفَلُوا رَاجِعِينَ خِفْيَةً عَلَى غِرارِ الهَارِبِينَ. إنجيلُ متَّى، الموعظة ٨. ٢.[٢]

لمَاذَا هَرَبَ المَسِيحُ؟ بطرس خريسولوغوس: لَمْ يَهْرُب المسِيحُ عَنْ خَوْفٍ، بَلْ لإتْمَامِ سِرِّ النُّبُوَّةِ. فَالإنْجِيليُّ غَرَسَ البَذْرَ لَمَّا تَكَلَّمَ هَكَذَا: «قُمْ، خُذِ الطِّفْلَ وأُمَّهُ واهْرُبْ إِلى مِصْرَ» ومِنْ ثَمَّ: «لِيَتِمَّ مَا قَالَ الرَّبُّ بِلِسَانِ النَّبِيِّ: «مِنْ مِصْرَ دَعَوْتُ ابنِي»».[٣] هَرَبَ المَسِيحُ لكَي يُثَبِّتَ حَقِيقَةَ الشَّرِيعَةِ، والإيمَانَ بالنُّبُوَّةِ وشَهَادَةَ كِتَابِ المَزَامِيرِ: فَالرَّبُّ نَفْسُه يَقُولُ: «لا بُدَّ مِنْ أَنْ يتِمَّ لي كلُّ مَا جَاءَ عَنِّيَ في شَرِيعَةِ مُوسَى والأَنْبِيَاءِ والمَزَامِيرِ».[٤] هَرَبَ المَسِيحُ مِنْ أَجْلِنا، لا مِنْ أَجْلِ نَفْسِه. هَرَبَ لكَي يَقُومَ في الوَقْتِ المُنَاسِبِ بخِدْمَةِ الأَسْرارِ (الأَسْرارِ الإلهيَّةِ). هَرَبَ لِيَمْنَحَنَا الغُفْرَانَ بطَرْدِ مَصْدَرِ المَسَاوِئِ الآتِيَةِ وَلِيُعْطِيَ بُرْهَانَ الإِيمَانِ لكُلِّ الَّذين سيُؤمِنُونَ. هَرَبَ لِيَمْنَحَنَا الإيمانَ حتَّى عِنْدَمَا نُضْطَرُّ إلى الهَرَبِ، فَلأَنْ نَهْرُبَ في أَثْنَاءِ الاضطِهَادِ أَفضَلُ مِنْ أَنْ نَتَخَلَّى عَنْ إيمَانِنَا. وبما أَنَّ بُطْرُسَ كَانَ رَاغِبًا عَنِ الهَرَبِ، فَقَدْ أَنْكَرَ الرَّبَّ. أَمَّا يُوحنَّا فهَرَبَ خِشْيَةَ أَنْ يُنكِرَ الرَّبَّ. المواعظ ١٥٠.١١.[٥]

رَأَى إبْلِيسُ سَبْقِيًّا مُسْتَقْبَلَ المَسِيحِ. بطرس خريسولوغوس: هَلْ كَانَ هيرودسُ يَبْحَثُ عَنِ الطِّفْلِ، أو أَنَّ إبْلِيسَ كَانَ يَسْتَعْمِلُهُ؟ لَمَّا رَأَى هيرودسُ المَجُوسَ، تَصَوَّرَ في ضَلالِه أَنَّهم هَرَبوا مِنْ حُكَّامِهِم. لَكِنَّ المَسِيحَ- وَإِنْ كَانَ بَعْدُ مَلْفُوفًا بالأَقْمِطَةِ، رَاضِعًا رَأْمَه، صَامِتًا، خَفِيًّا، عَيًّا- قَدْ حَوَّلَ المجُوسَ (وَهُمْ عَادةً حَامِلو إبْلِيس) إلى أَكْثَرِ الخُدَّامِ أَمَانَةً. هُنَا أَدْرَكَ إبْلِيسُ مَا يَقْوَى المَسِيحُ عَلَى فِعْلِه إذَا صَارَ

[٢] PG 57: 83-84; NPNF 1 10: 51-52

[٣] هُوشع ١١: ١.

[٤] لوقا ٢٤: ٤٤.

[٥] CCL 24b: 938-39

كَـامِلَ السِّنِّ. لـذَلِكَ حَـرَّضَ إِبْلِيسُ الـيَـهُـودَ ضِدَّه، وبِكَوْنِه ذَكيًّا فَطِنًا فَقَدْ أَكْرَه هيرودس عَلَى الانْقِضَاضِ عَلَى المَسيحِ في طُفُولَتِه. فَكَانَتْ بُغْيَتُه مَنْعَ يَسوعَ مِنْ رَفْعِ شِعَارِ فَـضِيلَـتِـه، أَيْ الصَّلِيبِ، وَهُوَ رَايَةُ لأَعْظَمِ انتِصَارٍ لَنا. أَدْرَكَ إِبليسُ أَنَّ المَسِيحَ سيُعِيدُ الحَيَاةَ إِلى كُلِّ الـعَـالمِ بـتَـعْـلِيمِـه وبفَضِيلَتِه. وَفِيمَا كَانَ يَسُوعُ طِفْلاً فَإِنَّه كَانَ مَلِكًا عَلَى كُلِّ البَرَايا. وَذَلِكَ مَا قَالَهُ النَّبيُّ: «قَبْلَ أَنْ يَعْرِفَ الصَّبيُّ أَنْ يُنَاديَ يا أَبي وَيا أُمِّي، تُحْمَلُ لَهُ ثَروَةُ دِمشقَ وَغَنائِمُ السَّامِرة».[٦] وَاليَهُودُ أَنْفُسُهم شَهِدُوا لذَلِكَ قَائِلين: «هَا هُوَ العَالَمُ كُلُّه يَتْبَعُه».[٧] مواعظ ١٥٠. ٩.[٨]

طَرْدُ شَيَاطِين مِصْر. كَاتِبٌ مَجْهُولٌ: «إذْهَبْ إِلى أَرْضِ مِصْر»، نَزَلَ الرَّبُّ كطَبيبٍ إِلى مِصْرَ لا ليُقِيمَ فيها، بَلْ ليَزُورَهَا لَمَّا كَانَتْ مُثْقَلَةً بالأَضَاليلِ. للْوَهْلَةِ الأُولى قَدْ يَبْدُو أَنَه ذَهَبَ إِلى مِصْرَ هَرَبًا مِنْ هيرودس. كَلاَّ لَمْ يَهْرُبْ، بَلْ ذَهَبَ ليَطْرُدَ شَيَاطِينَ الضَّلالِ مِنْهَا، كَمَا يَشْهَدُ لذَلِكَ إِشَعْيَا قَائلاً: «هَا هوَ الرَّبُّ رَاكِبٌ عَلَى سَحَابَةٍ سَريعَةٍ وَقَادِمٌ إِلى مِصْرَ. فتَسقطُ أَوْثَانُها».[٩] أَلاَ تَـرَى أَنَّـه نَـزَلَ إِلى مِصْرَ لا لِلْهَرَبِ مِنَ المَوْتِ، بَلْ لِيَسْتَأْصِلَ أَوْثَانَها المُميتَةَ؟ إِنَّه في ذَلِكَ الوَقْتِ الوَحِيدِ نَزَلَ الرَّبُّ إِلَيْها. تَجِبُ المُلاحَظَةُ، أَيضًا، أَنَّه هَرَبَ إِلى مِصْرَ لَيْلاً، لكِنَّه عَادَ مِنْها في وَضْحِ النَّهَارِ. ذَلكَ لأَنَّـه، لَـمَّا فَـرَّ، كَـانَ يَـهْـرُبُ مِنِ اضـطـهَـادِ هيرودس. لَـكِـنَّـه بَـدَأَ عَـوْدَتَـه بَعْدَ أَنْ مَـاتَ المُـضـطَـهِـدُ. فـالـلَّـيْلُ يَرمُزُ إِلى تَوتُّرِ حَرَارَةِ الاضطِّهَادِ، أَمَّا النَّهَارُ فيُمثِّلُ هُدُوءَه. عَمَلٌ غَيرُ كَامِلٍ حَوْلَ متّى، الموعظة ٢.[١٠]

١٤:٢ مِصْرُ تَسْتَقبِلُ المَسِيحَ الطِّفْلَ

فلَسْطِينُ تتَآمرُ عَلَيه ومصرُ تَسْتَقْبِلُه. الذَّهبيُّ الفَم: تَتَلَقَّى مَرْيَمُ الَّتي لَمْ تَتَجَاوَزْ قَطُّ عَتَبَةَ بَيْتِهَا الأَمْرَ بالقِيَامِ برِحْلَةٍ طَويلَةٍ جدًّا فيـهـا الـكَـثيرُ مِنَ الأَلَـمِ بسَبَبِ هَذِه الـوِلادَةِ العَجَائبيَّةِ وبِسَبَبِ مَخَاضِها الرُّوحيِّ. فَيَا لَهُ مِنْ مَشْهَدٍ عَجيبٍ: فِلِسْطِينُ تَتَآمَرُ عَلَيه ومِصْرُ تَـسْـتَـقْـبِـلُـه وتُـنْـقِذُ مَنْ كَـانَ هَدَفَ المُؤامَراتِ. فَكَمَا يبْدو، لَمْ تَحْدُث النَّمَاذِجُ في حَالَةِ أَبْنَاءِ يعقوبَ فَحَسْب،[١١] بَلْ أَيْضًا في حَالَةِ ربِّنا بالذَّاتِ. إنجيلُ مَتَّى، الموعظة ٨.٢.[١٢]

---

[٦] إشعيا ٨: ٤.
[٧] يوحنّا ١٢: ١٩.
[٨] CCL 24b: 938
[٩] إشعيا ١٩: ١.
[١٠] PG 56: 646
[١١] أنظر تكوين ٤٥: ٢٥- ٤٦: ٧.
[١٢] PG 57: 85; NPNF 1 10: 52

لَـــمْ يَـــهْـــرُبْ مِـــنَ الموتِ. بطرس خـريسولـوغوس: وَعَدَ المَسيحُ أنّـه سَيأتـي مُتَجسِّدًا، فيَمُرُّ بمَراحِلِ الحَياةِ، ويُعْلِنُ مَجْدَ مَلَكُوتِ السَّماواتِ، مُبَشِّرًا بتعْلِيمِ الإيمانِ وبـأنّـه، بـقُدْرَةِ كَلِمَتِـه وَحْدَهـا، سَيطْرُدُ الشَّياطِينَ. وَعَدَ بأنّه سيُعْطِي العُمْيانَ بصَرًا، والعُرْجَ المشْيَ، والخُرْسَ الكلامَ والصُّمَّ السَمْعَ، والخطأةَ الغُفْرانَ، والأمْواتَ الحَياةَ. وَعَدَ بكُلِّ هَذِه الأُمورِ عبر الشَّريعةِ والأنبيَاءِ. هَكَذا لَمَّا صَارَ المَسِيحُ رجُلاً لمْ يَهْرُبْ مِنَ المَوتِ الَّذي هَرَبَ مِنْه وهو طِفْلٌ. المواعظ ١٥٠. ١٠.[١٣]

١٥:٢ من مصْرَ دَعوتُ ابني

الفَارُّونَ شَرْقًا وَغرْبًا. الذَّهبيُّ الفَم: هُنَاكَ شَيءٌ يَتَعَلَّقُ بـالمَجُوسِ والطِّفْلِ مَعًا يَسْتَحِقُّ لَفْتَ النَّظَرِ إليه. إذَا لَمْ يَضْطَرِبِ المجُوسُ، كَمَا رَأَيْنَا، بَلْ تَقَبَّلُوا كُلَّ شَيءٍ بإيمَانٍ، فَلِمَاذا خَلَصوا وخَلَصَ الطِّفْلُ مَعَهُم، إذْ إنّهم ذَهَبُوا إلى بِلادِ فَارِس، وذَهَبَ يَسُوعُ مَعَ أُمِّهِ إلى مِصْرَ؟ أكَانَ سَيَقَعُ في يَدي هيرودس ويُقْتَلُ ويَمُوتُ؟ كَلاّ. فلِمَ كَانَتْ عَظَمَةُ تَدْبيرِ الخَلاصِ مَوْضِعَ إيمَانٍ، لَوْ لَمْ يتَّخِذْ جَسَدًا؟ حِينَ كَانَ الطِّفْلُ في خطرٍ تَجرَّأَ بَعْضُهم عَلَى القَوْلِ إنَّ اتِّخاذَه جَسَدَنا كَانَ خُرَافَةً، فَإلى أيَّةِ درجةٍ مِن الزَّنْدَقَةِ انحَدَرُوا، إنْ كَانَ السيِّدُ فعَلَ كُلَّ شَيءٍ بطَريقةٍ تُلائِمُ أُلوهيَّتَه وَبِحَسَبِ قُدْرَتِه؟

إنَّه يُرْسِلُ المجُوسَ بسُرْعَةٍ، مُقِيمًا إيَّاهم للحَالِ مُعلِّمِين لبلادِ فارِس. فخَذَلُوا جُنُونَ المَلِكِ أيْضًا ليَتعَلَّمَ المَلِكُ أنّه كَانَ يُحاوِلُ تَحْقِيقَ المُسْتَحِيل، وليُطْفِئَ غضَبَه ويَكُفَّ عَنْ جَهْدِهِ العقِيمِ هَذا. إنّه لَحَقٌّ أنْ تُخْضِعَ القُدْرَةُ الإلَهيَّةُ الأعْداءَ بشَجَاعَةٍ، وأنْ تُحْبِطَ خِدَاعَهُم بسُهولَةٍ على ما هُوَ لائقٌ بها. وفي مَا مَضَى خُدِعَ المصريُّونَ[١٤] وانْتَقَلَ غِنَاهُم إلى العِبْرانيّين سرًّا وببرَاعَةٍ، إذْ إنَّ اللّه أمَرَ أنْ تُصْنَعَ آياتٌ عَجِيبةٌ كَثِيرةٌ ضِدَّ أعْدائهم. إنجيل متَّى، الموعظة ٨. ١.[١٥]

مِصْرُ مُقَامُ المسيحِ. كروماتيوس: أمِرَ يُوسُفُ أنْ يقْبلَ هَذَا الطِّفْلَ الَّذي قَالَ عَنْهُ إشَعْيا: «لأنَّهُ يولَدُ لَنا صَبيٌّ ويُعْطَى لنَا ابنٌ وتَكونُ رِئَاستُه على كَتِفِه».[١٦] لَقَدْ قَالَ

---

(١٣) CCL 24b: 938

(١٤) في أيّام موسى: أنظر ١ صموئيل ٦: ٦.

(١٥) PG 57: 83-84. NPNF 1 10: 51
لمّا انتقل المجوسُ إلى فارس والعائلةُ المقدّسةُ إلى مصر شهدوا لمجيء الربِّ المتواضعِ في الجسد لخلاص البشر. وبذلك خُدِعَ المخادعُ على نحو يليق بقوّة الله القدير.

(١٦) إشعيا ٩: ٦.

«لأنَّهُ يولدُ لَنا صَبيٌّ»، لأنَّ المَسيحَ الرَّبَّ وُلِدَ كَطِفْلٍ وعُدَّ ابنَ يُوسُفَ وَمَرْيَم. أَمَّا نُزُولُهُ إِلى مِصْرَ فقد أَنْبَأَ به إِشَعْيَا لمَّا قَالَ: «هَا هُوَ الرَّبُّ راكِبٌ عَلَى سَحَابَةٍ سَرِيعَةٍ وَقَادِمٌ إِلى مِصْر».[١٧] بِهَذَا القَوْلِ أُعْلِنَ وَعْدُ تَجَسُّدِ الرَّبِّ بِكُلِّ وُضُوحٍ. ولأَنَّ النَّبِيَّ يُنَاشِدُ الرَّبَّ «المُشْرِقَ مِنَ العُلَى، وَشَمْسَ البِرِّ»،[١٨] أَضَافَ أَنَّه سَيَأْتي عَلَى سَحَابَةٍ سَرِيعَةٍ. بِهَذَا القَوْلِ يَعْني إِشَعْيَا أَنَّه سَيَأْتي بِجَسَدٍ مُقَدَّسٍ، بِجَسَدٍ لَيسَ مُثْقَلاً بِالخَطِيئَةِ، وبِهِ يُغَطِّي نُورَ جَلالِهِ. وهُوشَعُ أَيضًا يُشيرُ إِلى هَذِهِ النُّقْطَةِ بِقَولِهِ: «يَهلِكُ مَلِكُكُم هَلاكًا. يَوْمَ كَانَ إِسرائيلُ فَتىً أَحبَبْتُهُ، ومِنْ مِصْرَ دَعَوْتُ ابْني».[١٩]

بَعْدَ خَطِيئَةِ مِصْرَ الكَبيرة، وبَعْدَ العَديدِ مِنَ الضَّرَباتِ المُوَجَّهَةِ إِلَيهِم مِنْ عَلُ، تَحَرَّكَ اللهُ الآبُ القَديرُ بِعَطْفٍ وَأَرْسَلَ ابنَه إِلى مِصْرَ. لَقَدْ فَعَلَ ذَلِكَ لِتَسْتَقْبِلَ مِصْرُ المسيحَ أَمَلَ الخلاصِ، بَعْدَ أَنْ دَفَعَتْ، مُنْذُ عَهْدٍ بَعِيدٍ، عُقُوبَةَ الشَّرِّ الَّتي أُدِينَتْ بِهَا في عَهْدِ مُوسَى. مَا أَعْظَمَ عَطْفَ الرَّبِّ كَمَا ظَهَرَ في مَجيءِ ابنِهِ! فَمِصْرُ، الَّتي وَقَفَتْ بِعِنَادٍ في أَيامِ فِرْعَونَ ضِدَّ اللهِ، أَصْبَحَتْ شَاهِدَةً لِلمَسيحِ ومُقَامًا لَه. إِنَّ عَطْفَ الرَّبِّ عَلى مِصْرَ كَانَ مُشَابِهًا لِعَطْفِهِ عَلى المَجُوسِ الَّذين استَحَقُّوا أَنْ يَعْرِفُوا المَسيحَ الرَّبَّ، رَغْمَ أَنَّهم تَجَاسَرُوا وَقْتًا طويلاً عَلَى تَحَدِّي الصَّلاحِ الإِلهيِّ في أَيامِ مُوسَى. فَيَرَوْنَ الآنَ نَجْمًا وَاحِدًا في السَّمَاءِ فَيُؤْمِنُونَ بِابنِ اللهِ. لَقَدْ تَلَقَّى السَّحَرَةُ المُتَعَجْرِفُونَ عُقُوبَةَ عَدَمِ إِيمَانِهِم. وَالآخَرُونَ تَمَجَّدُوا عبرَ الإِيمَانِ، لأَنَّهم آمَنُوا بِأَنَّ الرَّبَّ وُلِدَ في الجَسَدِ–اللهَ الَّذي تَنَكَّرَ السَّحَرَةُ المِصْرِيّونَ لِلاعْتِرَافِ بِهِ بِكُلِّ صَلاحِهِ الإِلهيِّ. موعظةٌ حول متّى ٦. ١.[٢٠]

٢: ١٦ قَتَلَ هيرودس كُلَّ طِفْلٍ في بَيت لحم

حِمَايَةُ الرَّبِّ أُنْبِئَ بِهَا نَبَوِيًّا. كروماتيوس: إِنَّ هيرودس، كَمَا قُلْنَا، رَغْبَةً مِنْه في القَضَاءِ عَلى مُخلِّصِ العَالَمِ، صَبَّ نَقْمَتَهُ عَلَى بَيْتَ لَحْمَ وَأَمَرَ بِقَتْلِ كُلِّ طِفْلٍ مِنْ ابنِ سَنَتَينِ فَمَا دُونَ حَسبَ الوَقتِ الَّذي تحقَّقه مِنَ المَجُوسِ. ظَنَّ أَنَّ أَوَامِرَه سَتُنَفَّذُ بِالرَّبِّ نَفْسِهِ، مَصْدَرِ الحياةِ. أَمَّا الرُّوحُ القُدُسُ فَقَد أَنْبَأَ بِشَرِّ هيرودس مِنْ قَبْلُ.

---

[١٧] إشعيا ١٩: ١.
[١٨] ملاخي ٤: ٢؛ لوقا ١: ٧٨.
[١٩] هوشع ١٠: ١٥– ١١: ١.
[٢٠] CCL 9a: 220-21

فسُلَيْمَانُ في كَلامِهِ عَلَى الكَنيسَةِ قَالَ: «مَنْ يُعْطِيكَ، يَا أَخي، مَنْ رَضَعَ ثَدْيَ أُمِّي؟»[٢١] في قَولِهِ «مَنْ يُعْطِيكَ؟» أَظْهَرَ أَنْ لا قُدْرَةَ لهيرودس عَلَى الرَّبِّ، رَئيسِ كُلِّ سُلْطَةٍ. هَكَذَا تكَلَّمَ الرَّبُّ كَلامًا صَادِقًا لَمَّا شَهِدَ لذَاتِه عبر سُلَيْمَانَ نَفْسِهِ: «ويُبَكِّرُ الأَشْرَارُ إليَّ فَلا يَجِدونَني، لأَنَّهم أَبْغَضُوا الحِكْمَةَ، ولَمْ يُشَارِكوا في كَلِمَةِ الله، ولَمْ يكُونوا رَاغبين فيه».[٢٢] قَالَ الرُّوحُ أَيْضًا عَلَى لِسَانِ داود: «بِمَا أَنَّكِ أَنْتِ الَّتي وَلَدْتِني، يا أُمِّي، فَأَنتِ رَجَائي، مِنَ اليَومِ الَّذي رَضِعْتُ فيهِ مِنْ ثديَيْكِ... فَأَنْتِ حِصْنِيَ المَنيع».[٢٣] ومُوسَى المُبَارَكُ يَتَحدَّثُ عَنْ المَسيحِ الرَّبِّ الطِفْلِ لَنْ يُقْتَلَ وَهُوَ رَضِيعٌ. فَشَهِدَ لذَلِكَ بِقَوْلِهِ: «لا تَطْبُخُوا الجِدْيَ بِلَبَنِ أُمِّه».[٢٤] وَقد أَظْهَرَ موسى في قَولِهِ الدَّقيقِ هَذَا أَنَّ المَسيحَ الرَّبَّ سَيَكونُ الحَمَل الَّذي سيَتَألَّمُ عَندَمَا تَحِينُ السَّاعَةُ.[٢٥] موعظَةٌ حول متّى ٦: ٢.[٢٦]

مَا إِذَا تَخَلَّى المَسِيحُ عَنْ صِغَارِ الجُنُودِ. خريسولوغس: لِمَاذَا فَعَلَ المَسِيحُ هَذَا؟ إِنَّه ديَّانُ الأَفْكَارِ وَمُمْتَحِنُ العُقُولِ. فَلِمَاذا تَخَلَّى عَنْ أُولئك الأَطْفَالِ الَّذين عَرَفَ أَنَّ هيرودسَ كَانَ يَكِيدُ لَهُم بسَبَبِه، وَعَرَفَ أَنَّهم سَيُقْتَلون في سَبيلِه؟ لَقَدْ وُلِدَ مَلِكًا- مَلِكَ السَّمَاءِ-فَلِمَاذَا أَهْمَلَ حَامِلي لِوَاءِ بَرَاءَتِه؟ لِمَاذَا ازْدَرَى جَيْشًا أَفْرَادُهُ بِمِثْلِ عُمْرِه؟ لِمَاذَا ارتَضَى أَنْ يُبَادُوا كَالمَتَاعِ في مَهْدٍ كمَهْدِه؟ هَلْ سَيُقْدِمُ ذَاكَ الَّذي سيَصيرُ مَلِكًا عَلَى الفَتْكِ بأَعْدَائه؟ أَيُّها الإِخوةُ، إنَّ المَسِيحَ لم يَحْتَقِرْ جُنُودَه، بَلْ رَفَعَهُم وأَعْطَاهُم أَنْ يَسْلُكوا مُنْتَصِرين قَبْلَ أَنْ يَحْيَوا. مكَّنَهم مِنَ المُشَارَكَةِ في الانْتِصَارِ بدُونِ صِرَاعٍ. وَأَهْدَاهُم تِيجَانًا قَبْلَ أَنْ تَنْمُوَ أَجْسَادُهُم. كَانَتْ مَشِيئَةُ المَسِيحِ أَنْ يَعْبُروا مِنَ الرَّذِيلَةِ إلى الفَضِيلَةِ، وَأَنْ يَصِلُوا إلى السَّمَاءِ قَبْلَ وُصُولِهِم إلى الأَرْضِ، وَأَنْ يُشَارِكُوا في الحَيَاةِ الإِلَهِيَّةِ مُبَاشَرةً. هَكَذَا أَرْسَلَ المَسِيحُ جُنُودَه قُدُمًا. لَمْ يَتْرُكْهُم، بَلْ جَمَعَ شَمْلَهُم. لَمْ يَتْرُكْهم في المُؤَخَّرَةِ. مواعظ ١٥٢. ٧.[٢٧]

شُهَدَاءُ المَسِيحِ الأَوائل. كروماتيوس: في بَيْتَ لَحْمَ ذُبِحَ كُلُّ الأَطْفَالِ. فَهَؤلاء الأَبْرِيَاءُ

[٢١] نشيد الأنشاد ٨: ١.
[٢٢] أمثال ١: ٢٨- ٣٠.
[٢٣] مزمور ٧١: ٥- ٦ (٧٠: ٦).
[٢٤] خروج ٢٣: ١٩؛ تثنية ١٤: ٢١.
[٢٥] إنَّ الشريعةَ والأنبياءَ أنبأوا بأنَّ المسيحَ سيأتي كحملِ الله، وبأنَّه سيُصانُ منذ طُفوليَّته إلى أَنْ يَتمَّ تدبيرُه الإلهيّ.
[٢٦] CCL 9a: 221-22
[٢٧] CCL 24b: 953-54; FC 17: 257-58

الَّذين ماتوا في سَبيلِ المَسيحِ أَصْبَحُوا **شُهَدَاءَه الأَوائل**. فداودُ يُشيرُ إليهم قائلاً: «مِنْ أفواهِ الأَطْفالِ والرُّضَّعِ أَصْلَحْتَ تَسْبِيحًا بسببِ أَعْدائكَ، لكي تُبيدَ الخُصُوم».[٢٨] فَفِي هذا الاضطِهادِ قُتِلَ الأَطْفَالُ والرُضَّعُ في سَبيلِ المَسيحِ وَنَالُوا مَجْدَ الشُّهَداءِ. في الوَقْتِ ذاتِه قُضِيَ عَلَى المَلِكِ الشِّرِّيرِ الَّذي اغتَصَبَ المُلْكَ لِيُدَافِعَ عَنْ نَفْسِه ضِدَّ مَلِكِ السَّماواتِ. هكَذا، وبِجَدارَةٍ، كَانَ أُولئك الأَطْفَالُ المُقَدَّسُونَ أَكْثَرَ ديمومةً مِنْ غيرهِم. فَكَانُوا الأَوائلَ الّذينَ استَحَقُّوا أَنْ يَمُوتُوا في سَبيلِ المَسيحِ. مواعظ حَوْلَ متّى ٦. ٢.[٢٩]

مِنِ ابنِ سَنَتَين وَمَا دُون. ثيودور المُبْسوستيّ: لَمْ يَأْمُرْ هيرودس بِقَتْلِ أَطْفَالِ بَيتَ لحمَ فَحسب، بَلْ أَيضًا بِقَتْلِ أَطْفَالِ الجِوارِ، ظانًّا أَنَّه بَينَ الأَطْفَالِ المَقْتُولين سَيكُونُ ذاكَ الَّذي يَبْحَثُ عَنْه. فَأَمَرَ بذَبْحِ كُلِّ مَنْ كَانَ ابنَ سَنَتَين ومَا دُون. حَسْبَ بدِقَّةٍ مُرورَ الوَقْتِ مِنْ تَاريخِ وِلادَةِ المَسيحِ إلى الوَقْتِ الَّذي استَغْرَقَه المَجُوسُ في رِحْلَتِهم وَإلى مُدَّةِ جُلوسِه على العَرْشِ. ثُمَّ أَضافَ الوَقْتَ الَّذي استَغْرَقَتْهُ خُطَطُه. إنَّ ولادَةَ المَسيحِ لَمْ تَكُنْ سَبَبًا لِقَتْلِ الأَطْفَالِ. لَكِنَّ الإعْلانَ عَنْ قَتْلِ هيرودس للأَطْفَالِ اتَّخَذَ سَبيلاً لعَمَلِ الشَّرِّ. فَحَتّى الَّذينَ صَلَبُوا المَسيحَ لَمْ يكُونُوا أَشْرَارًا في الوَقْتِ الَّذي اعتَقَلُوه فِيه، بَلْ أَصْبَحُوا أَشْرَارًا لَمَّا اتَّخَذُوا سَبيلاً لِقَتْلِه. لَكِنْ لأَجْلِ المَسيحِ يَتَلَقَّى الأَطْفَالُ مُكَافَأَةً جَديرةً بشَهَادَتِهم. مقطع ٩.[٣٠]

٢:١٧-١٨ نَحِيبٌ في الرَّامَةِ

حُزْنُ الأُمَّهَاتِ والأَطْفَال. كَاتِبٌ مَجْهُولٌ: «صُرَاخٌ سُمِعَ في الرَّامَةِ».[٣١] وَالرَّامَةُ مَدينَةُ شَاول. وشَاولُ كَانَ مِنْ سِبْطِ بِنْيَامين ابنِ رَاحيل، وَدُفِنَ في قُرْبِ بَيتَ لحمَ، حَيْثُ تَمَّتْ هَذِه المَذَابِحُ. وبِمَا أَنَّ الأَطْفَالَ قُتِلوا في بيت لَحْمَ، حَيْثُ كَانَ قَبْرُ رَاحيل، فَقَد قيلَ إِنَّها تَبْكِي.[٣٢] . . مَا عَنَاه «البُكَاءُ» كَانَ إِشارةً إلى دُمُوعِ الأَطْفَالِ؛ و«العَويلُ» عَنَى بِهِ نَحِيبَ الأُمَّهَاتِ. بَكَى الأَطْفَالُ لانْفِصَالِهم عَنْ أُمَّهَاتِهم. وَبَكَتِ الأُمَّهَاتُ لأَنَّهُنَّ حُرِمْنَ أَطْفَالَهنَّ، وَتَمَزَّقَتْ أَحْشَاؤهُنَّ أَمَامَ هَوْلِ الفَاجِعَةِ. وَلَعَلَّ حُزْنَ الأُمَّهَاتِ اللَّواتي بَقِينَ عَلَى قَيْدِ الحَيَاةِ أَشَدُّ مِنْ حُزْنِ الأَطْفَالِ الَّذين

---

[٢٨] مزمور ٨: ٢.

[٢٩] CCL 9a: 222

[٣٠] MKGK 99

[٣١] إرميا ٣١: ١٥؛ ٤٠: ١.

[٣٢] تكوين ٣٥: ١٦– ٢٠.

كَانوا يَمُوتون. فَالأَطْفَالُ يَتَأَلَّمُونَ حَزْنًا لِلَحْظَاتٍ، لأَنَّهم انفصَلُوا عَنْ أُمّهَاتِهِم، ولَيْسَ لأَنَّهم اقتيدُوا إلى الموتِ. فَهُمْ لَمْ يَخَافُوا الموتَ. أمَّا الأُمَّهَاتُ فَتَأَلَّمْنَ أَلمًا مُضَاعفًا: في الدَّرجَةِ الأُولى، رَأَينَ أَطْفَالَهُنَّ يُقْتَلون، وفي الدَّرجَةِ الثَّانِيَةِ، حُرِمْنَ أَطْفالَهنَّ. فَالموتُ كَانَ نِهَايَةً مُبَارَكَةً لِحزنِ الأَطْفَالِ، أَمَّا ذِكرُهُم فَقَدْ أَذْكَى حُزْنَ الأُمَّهاتِ. عَمَلٌ غيرُ كَامِلٍ حَوْلَ متَّى، موعظة ٢.[٣٣]

[٣٣] PG 56: 644-45

٢:١٩-٢٣ العَوْدَةُ إلى النَّاصِرَةِ

[١٩] ولمَّا ماتَ هِيرودُس ظَهَرَ ملاكُ الرَّبِّ ليوسفَ في الحُلمِ، وهوَ في مِصْرَ، [٢٠] وقالَ لَه: «قُمْ، خُذِ الطِّفْلَ وأُمَّهُ وارجِعْ إلى أرضِ إسرائيلَ، فقد ماتَ طالبو نفس الصبيّ». [٢١] فقامَ وأخذَ الطِّفْلَ وأُمَّهُ ورَجَعَ إلى أرضِ إسرائيلَ. [٢٢] لكِنَّهُ سَمِعَ أنَّ أرخيلاوُسَ يَملِكُ على اليَهوديَّةِ خلَفًا لأبيهِ هِيرودُسَ، فخافَ أن يذهَبَ إليها. فأنذَرَهُ اللهُ في الحُلُمِ، فلَجأَ إلى الجَليلِ. [٢٣] وجاءَ إلى مدينةٍ اسمُها النّاصِرَةُ فسكَنَ فيها، لِيَتِمَّ ما قيل بلسانِ الأنبياءِ: «يُدعى ناصِريًّا».

نَظْرَةٌ عَامَّةٌ: لَمَّا هَرَبَ يُوسفُ عَشِيَّةَ الاضطِهَادِ عَادَ مِنْ مِصْرَ في يومٍ أَمينٍ (كاتِبٌ مجهولٌ). فيوسفُ يُمثِّلُ سَبْقيًا خِدْمَةَ الرُّسُلِ (هيلاريون). قَادتِ الدَّوافِعُ كلُّها يوسفَ إلى أَنْ يكونَ في منْأى عن بيتَ لحمَ وإلى أَنْ يَتَّجِهَ إلى النَّاصرةِ (الذَّهبيُّ الفمِ). ومِنَ الغَرابَةِ بمكَانٍ أَنْ يكُونَ الطِّفْلُ هُوَ الَّذي غَذَّى أُمَّه وَرَعَى يُوسفَ (كَاتِبٌ مَجْهُولٌ). الطِّفْلُ لَه أَولَوِيَّةٌ عَلَى الوالدين (كَاتِبٌ مَجْهولٌ). يَشْهَدُ المَعْنى الكامِلُ للكِتَابِ المُقَدَّسِ عَلَى أَنَّ المَسِيحَ المُنْتَظَرَ سَيَكونُ قُدّوسًا وَنَموذَجًا أَوّليًّا للنَّاصِريِّ (جيروم، كَاتِبٌ مَجْهولٌ)، وَهِيَ لَفْظَةٌ ذاتُ مَعْنى مُزْدَوج أي مَعنى القَداسَةِ وَالازْدِهَارِ

(كيرلّس الإسكندريّ). يُسمَّى الّذين يَنْذُرون لله أنْفُسهم بالعِفّةِ ناصريّين، ويَنْذُرون شُعُورَ رؤوسِهم، كَمَا تأْمُرُهُم الشَّريعَةُ، كَتَقْدِمَةٍ للرَّبِّ (كروماتيوس).

١٩:٢ لمّا مَاتَ هيرودس

هيلاريون. بَعْدَ مَوْتِ هيرودس أَوْحَى المَلاكُ ليُوسُفَ بالرُّجُوعِ إلى اليهوديَّةِ مع الصَّبيِّ وَأُمِّه. ولمَّا عادَ سمِعَ أَنَّ أرخيلاوس ابن هيرودس أصْبَحَ مَلِكًا علَيْهَا. فَخافَ أَنْ يَذْهبَ، لكنَّ المَلاكَ أَنْذَرَهُ بالعُبُورِ إلى مِنْطَقَةِ الجليلِ، فعاشَ مع الصبيِّ وَأُمِّه في مدينَةِ النَّاصِرَةِ... يُشْبِهُ يوسفُ الرُّسُلَ الَّذين عَهِدَ المَسِيحُ إليهم إعْلانَ بِشارته. حَدَثَ ليُوسُفَ، بَعْدَ مَوتِ هيرودس، ما حَدَثَ للرُّسُلِ بمُعامَلَتِهِم الشَّعْبَ بالحُسْنَى على الرَّغمِ مِنْ أَنَّ الشَّعْبَ كانَ سَبَبَ آلامِ الرَّبِّ. أَمَرَهُم الله بأَنْ يُبَشِّروا اليَهُود، لأَنَّه أرْسَلَهُم إلى الخِرافِ الضَّالَةِ مِنْ بيْتِ إسْرَائيل. لَكِنْ، لمَّا رَأَوا أَنَّ السُّلْطَةَ بقِيَت في أَيْدِي الكُفْرِ المَورُوثِ،[١] خَشُوا المَغبَّةَ وَتَراجَعُوا. في متّى ٢. ١.[٢]

٢٠:٢-٢١ العَوْدَةُ إلى إسْرائيل

أوْلَوِيَّةُ الوَلَدِ عَلَى الأُمِّ. كاتِبٌ مَجْهُولٌ: أَتَعْجَبُ لماذا لَمْ يَكُنْ يُوسُفُ أَهْلًا ليكُون زَوْجًا لمريم، بَلْ ليَخْدُمَها؟ فَمَنْ كانَ سيَخْدُمُها في أَثْناءِ ذَهابِها إلى مِصْرَ وَعَوْدَتِها مِنْها، لَوْ كانَت غَيرَ مُقْتَرِنَةٍ بِه؟ حَقًّا، كانَتْ مَريمُ تغذّي الطِّفْلَ، ويُوسُفُ كانَ يُعْنَى بها. لَكِنْ، في الوَاقِعِ، كانَ الصَّبيُّ يُغذّي أُمَّه، ويَرْعَى يُوسُف.... لَمْ يَكُنْ مَجْدًا للابنِ أَنْ تكونَ له تِلْكَ الأُمُّ، بَلْ كانَ عَلَى الأصحِّ بَرَكَةً للأُمِّ أَنْ تُرْزَقَ ذلِكَ الابنَ. كانَتْ هِيَ نَفْسُها تَقُولُ: «ها مُنْذُ الآنَ تُطوِّبني جَميعُ الأَجْيال».[٣] عَمَلٌ غَيرُ كامِلٍ حَوْلَ متّى، الموعظة ٢.[٤]

٢٢:٢ اللُّجوءُ إلى الجليلِ

خَلَفًا لأبيه هيرودس. الذَّهبيُّ الفَم: أَورأيتم الانْتِعاش بَعْدَ التَّجْرِبةِ، وبَعْدَ الانْتِعاشِ خَطَرٌ جديدٌ؟ لقَدْ أُعْتِقَ مِنَ النَّفيِ وَعادَ إلى بلادِه، وعَايَنَ قاتِلَ الأَطْفالِ وَقَدْ سِيقَ إلى الذَّبْحِ. لكِنْ، ما إنْ وَطِئَتْ قدَماه بِلادَهُ حتّى وَجَدَ ابنَ الطَّاغِيَةِ حيًّا ومَلِكًا. لَكِنْ كَيْفَ حكَمَ أرْخِيلاوس على اليَهُوديَّةِ

---

[١] *Hereditariae infidelitatis*

[٢] SC 254: 100-102

[٣] لوقا ١: ٤٨.

[٤] PG 56: 645

لَمَّا كَانَ بونتيوس بيلاطس حَاكِمًا؟ لَقَدْ حَدَثَ أَنَّ هيرودس مَاتَ مُنْذُ فَتْرةٍ وَجيزَةٍ، وَلَمْ تكُنِ المَمْلَكةُ مُقَسَّمَةً بَعْدُ. لكِنْ، بمُجَرَّدِ انتهاءِ حَيَاتِه استَوْلَى الابْنُ عَلَى المَمْلَكَةِ زَمَنًا «خَلَفًا لأَبِيه هيرودس». وَقَدْ كَانَ أَخوهُ يَحْمِلُ الاسْمَ ذاته، فأَضَافَ الإِنْجِيليُّ عِبَارةَ «أَبِيه هيرودس».

قد يُقَالُ: لِمَاذَا خَافَ مِنَ الجَلِيل أَيضًا بسَبَبِ هيرودس؟ أُجِيبُ: بتَغْيِيرِه المَكَانَ حَجَبَ الأَمْرَ كُلَّهُ، لأَنَّ الاعْتِدَاءَ كُلَّه كَانَ عَلَى بَيْتَ لَحْمَ وعَلَى كُلِّ تُخُومِهَا. إنجيلُ متَّى، الموعظة ٩. ٤.[٥]

يوسف يَلْجَأُ إلى الجَلِيل. الذَّهبيُّ الفَم: بَعْدَ أَنْ حَدَثَتِ المَجْزَرَةُ ظَنَّ أَرخيلاوس أَنَّ كُلَّ شَيءٍ قَدْ تَمَّ، وأَنَّ مَنْ كَانَ البَحْثُ عَنْه جَارِيًا قَدْ قُتِلَ في عِدادِ مَنْ قُتِلَ مِنَ الأَطْفَالِ. وَلَمَّا مَاتَ أَبُوه تِلْكَ المِيتَةَ البَشِعَةِ عَلَى مَرْأَى مِنْه صَارَ أَشَدَّ حِرْصًا عَلَى المُسْتَقْبَلِ. لذلِكَ يَأْتي يُوسفُ إِلى النَّاصرةِ لِيَتَجَنَّبَ الخَطَرَ المُحْدِقَ بِهِ، وَلِيَرْتَاحَ إِلى السُّكْنَى في مَوْطِنِه. وَتَشْجِيعًا لَه تَلَقَّى وَحْيًا مِنَ المَلَاكِ في مَا يَخُصُّ هَذَا الأَمْرَ. إنجيلُ مَتَّى، الموعظة ٩. ٤.[٦]

٢٣:٢ العَيْشُ في النَّاصِرَةِ

تَلْخِيصُ مَعْنَى الكِتَابِ. جيروم: لَو وُجِدتْ هَذِه الآيَةُ في الكِتَابِ المُقَدَّسِ، لَمَا قَالَ: «لأَنَّه قِيلَ بِلِسَانِ الأَنبياء»، بَلْ لَقَالَ بصَرَاحَةٍ أَكْبَرَ: «لأَنَّه قِيلَ بِلِسَانِ نبيٍّ». والآنَ، بكَلامِه العَامِّ عَلَى الأَنْبِيَاءِ بعَامَّةٍ، أَظْهَرَ أَنَّه لَم يَأْخُذِ الكَلامَ حَرْفِيًّا، بَل اسْتَعْمَلَ المَعْنَى العَامَّ للكِتَابِ المُقَدَّسِ. فَلَفْظَةُ «النَّاصِريّ» تُفْهَمُ بمَعْنَى «القُدُّوس». وَالكِتَابُ يَشْهَدُ عَلَى أَنَّ الرَّبَّ قُدُّوسٌ. وَيُمْكِنُنا أَنْ نَتكَلَّمَ بطَرِيقَةٍ أُخْرَى عَلَى مَا كُتِبَ... في العِبْرِيَّةِ في سِفْرِ إِشَعْيَا: «يَخْرُجُ فَرْعٌ مِنْ جِذْعِ يَسَّى، وَيَنْمُو غُصنٌ مِنْ أُصُولِهِ».[٧] تُفْسير متَّى ١. ٢. ٢٣.[٨]

لماذا سُمِّي نَاصِرِيًّا؟ كروماتيوس: يُسَمَّى رَبُّنا وَمُخَلِّصُنا «نَاصرِيًّا» عَلَى اسْمِ مكَانٍ وَهُوَ مَدِينَةُ النَّاصِرَةِ، وَكَأَنَّه عَلَى اسْمِ سِرِّ الشَّرِيعَةِ. فَحَسَبَ الشَّرِيعَةِ يُسَمَّى الَّذِين يَنْذُرُونَ عِفَّتَهُم لله نَاصِرِيِّين، وَيُطَبِّقُونَ ذَلِكَ النَّذْرَ، كَمَا أَمَرَتْهُم الشَّرِيعَةُ، بقَصِّ شَعْرِ

---

(٥) PG 57: 18

(٦) PG 57: 180; NPNF 1 10: 58
بعد موت هيرودس عاد يوسف آمِنًا إلى الناصرة.

(٧) إشعيا ١١: ١.

(٨) CCL 77: 16

رُؤوسِهم تَقْدِمَةً للرَّبِّ. وبِمَا أَنَّ مُبْدِعَ وفَاعِلَ كُلِّ عَمَلٍ مُقَدَّسٍ وكُلِّ تَقْوَى هُوَ المَسِيحُ الرَّبُّ الَّذي قَالَ، «تَقَدَّسوا وكُونُوا قِدِّيسينَ لأَنّي أَنَا قُدُّوسٌ»،[٩] فَقَدْ دُعِيَ «نَاصِريًّا» عَنْ جَدارَةٍ. فَـقَـدَّمَ، وَفْقَ مَـا تَـتَطَلَّبُه الشَّريعةُ، ذَبـيحَـةَ جَسَدِه نَذْرًا لله الآبِ. وَقَدْ تكلَّمَ دَاوُدَ عَلَى هَذَا النَّذْرِ قَائلاً للرَّبِّ «كَيفَ حَلَفَ يَعْقُوبُ للرَّبِّ ونَذَرَ لله».[١٠] فَالرَّبُّ أَظْهَرَ نَفْسَه نَاصِريًّا لَمَّا أَصْبَحَ مَوْلُودًا في الجَسَدِ. موعظة حَوْلَ متّى ٢. ٧.[١١]

النُّمُوُّ في القَدَاسَةِ. كيرلُّس الإسْكَنْدَريّ: لَكِنْ، إنْ فُسِّرَتْ لَفْظَةُ «النَّاصِريّ» بِمَعْنَى «قُدُّوس» أَو، استِنَادًا إلى بَعْضِهِم، بِمَعْنَى «زَهْرة»، فَهَذِه الإشَارَةُ مَوجُودَةٌ عِنْدَ الكَثيرينَ. فَدانيالُ يُسَمِّيه «قُدُّوسًا» أَو «مِنَ القِدِّيسين» كَذَلِكَ نَقْرَأُ في إشَعْيا: «يَخْرُجُ فَرْعٌ مِنْ جِذْعِ يَسَّى، ويَنْمُو غُصْنٌ مِنْ أُصُولِه».[١٢] والرَّبُّ نَفْسُهُ يقُولُ عَنْ ذَاتِه: «أَنَا نَرْجِسَةُ السُّهُولِ وَسَوسَنَةُ الأَوْدِيَةِ».[١٣] مقطع ١٦.[١٤]

فَهِمَ الأَنْبِيَاءُ أَنَّه نَاصريٌّ. كَاتِبٌ مَجْهُولٌ: عِنْدَمَا يَقُولُ «بِلِسَانِ الأَنبِيَاءِ» بالجَمْعِ، لا «بِلِسَانِ النَّبيِّ» بالمُفْرَدِ، يُوضِحُ أَنّه لا يُشِيرُ إلى سُلْطَةِ نبيٍّ مُعيَّنٍ، بَلْ إلى مَا أَجمَعَ عليهِ كُلُّ الأَنْبِيَاءِ. فَيَسُوعُ سُمِّيَ «النَّاصِريّ» بِلِسَانِ كُلِّ الأَنْبِيَاءِ، لأَنّه كَانَ قُدُّوسًا. قَدْ يَكُونُ هُنَاكَ أَنْبِيَاءُ آخَرونَ، لا نَعْتَرِفُ بشَرْعِيَّتِهم، قَدْ صَرَّحُوا هَذَا التَّصْريحَ. بِهَذَا تَنَبَّأَ بَعْضُهُم ودَوَّنُوا ذَلِكَ، مِثْلَ نَاثَانَ وعَزْرَا. ووَفْقَ مَا أُنبِئَ بِه أَوْضَحَهُ فِيلِيبُّسُ بقَولِه إلى نَثَنَائيل: «وَجَدْنَا الَّذي ذَكَرَه مُوسَى في الشَّرِيعَةِ وذَكَرَهُ الأَنْبِيَاءُ، وَهُوَ يَسُوعُ ابنُ يُوسفَ مِنَ النَّاصِرَةِ».[١٥] وَقَدْ أَكَّدَ ذَلِكَ نَثَنائيلُ في جَوابِهِ لأَنَّه كَانَ يَعْرِفُ مَا جَاءَ في النُّبُوءَةِ عَنْهُ، لِذَا قَالَ: «أَمِنَ النَّاصِرَةِ يَخْرُجُ شَيءٌ صَالِحٌ؟».[١٦] عَمَلٌ غيرُ كَامِلٍ حَوْلَ مَتّى، الموعظة ٢.[١٧]

---

[٩] لاويّين ١١: ٤٤؛ ١٩: ٢؛ ٢٠: ٧.
[١٠] مزمور ١٣٢: ٢ (١٣١: ٢).
[١١] CCL 9a: 224-25
[١٢] إشعيا ١١: ١.
[١٣] نشيد الأناشيد ٢: ١.
[١٤] MKGK 158
[١٥] يوحنّا ١: ٤٥.
[١٦] يوحنّا ١: ٤٦.
[١٧] PG 56: 646

٣: ١-٦ يُوحَنّا المَعْمَدانُ يُعِدُّ الطَّرِيقَ

[١]وفي تِلكَ الأيّامِ ظهر يوحنّا المَعمدانُ يُبشِّرُ في بريّةِ اليهوديّةِ [٢]فيقولُ: «تُوبوا، لأنَّ مَلكوتَ السَّماواتِ اقترَبَ!» [٣]فهوَ الذي عَناهُ النبيُّ إشَعْيا بِقولِه:

«صوتُ صارِخٍ في البرِّيّةِ:

هَيِّئوا طريقَ الرَّبِّ

واجعَلوا سُبُلَهُ مُستقيمةً».

[٤]وكانَ يوحنّا يَلبَسُ ثوبًا مِنْ وبَرِ الجِمالِ، وعلى وسَطِهِ حِزامٌ مِنْ جِلدٍ، وكان طعامُهُ الجَرادَ والعَسَلَ البرّيَّ. [٥]وكانت تَخرُجُ إليهِ أُورشليمُ وجَميعُ اليَهوديّةِ وكُلُّ الأرجاءِ المُحيطَةِ بالأُردنِّ. [٦]فيعتمدونَ عن يده في نَهرِ الأردُنِّ، مُعتَرِفينَ بِخَطاياهُم.

نَظْرَةٌ عامَّةٌ: لَقَدْ هَيّأَ الأَنْبِياءُ ويُوحَنّا مَعًا الطَّريقَ وَأَعَدُّوه لِمَجيءِ يسوع. فيُوحَنَّا لَمْ يَنْعَمْ بالهَدِيَّةِ الآتِيَةِ -أيْ بغُفْرانِ الخَطايا- بَلْ أَعدَّ في الوَقْتِ المُناسِبِ نُفُوسَ الَّذين سيَقْبَلونَ رَبَّ الكُلِّ (الذَّهبيُّ الفَم). وَهكَذا في دَاخِلِ كُلٍّ مِنّا يَجِبُ تَعْبيدُ طَريقِ العِفَّةِ والإيمانِ والقَداسَةِ بالتَّوبَةِ (كُروماتيوس). كَانَ يُوحَنّا صَوْتًا مِنَ البرِّيَةِ يَخْتَلِفُ عَنْ الكَلِمَةِ المَوعُودِ بِه (كاتِبٌ مَجْهُولٌ). فَبَشَّرَ بأَنَّ الخَطايا المخالِفَةَ لِشَريعَةِ اللهِ يُمْكِنُ تَطْهيرُها بالتَّوبَةِ (كروماتيوس). اختِيرَ ثَوْبُ يُوحَنّا مِنْ وبَرِ الجَمَلِ رَمْزًا للعَمَلِ الصّارِمِ الَّذي يَقُومُ بهِ الإنجيليُّ في سَبيلِ دَعْوَةِ اليَهُودِ وَالأُمَمِ أَيْضًا (بطرس خريسولوغوس، ثيودور المبسوستيّ)، لَبِسَ لأَجْلِهِم جِلْدَ حَيَوانٍ نَجِسٍ (مكسيموس أسقف تورنس). مَنْ أَنْكَرَ مَلَذّاتِ العَالمِ يَكْفُرُ بالمَلابِسِ الثَّمينَةِ أو بالأَطْعِمَةِ الشَّهِيَةِ (كروماتيوس). كَانَ طَعَامُهُ جَرادًا- وَهُوَ طَعامٌ للتَّوبَةِ -مَمْزُوجًا بالرَّحْمَةِ، أيْ بالعَسَلِ (بطرس خريسولوغوس). لاحِظْ أَنَّ العَسَلَ البَرِّيَّ لا يُقْتَنَى بجهْدٍ، إذْ إنَّه عَطيَّةُ

رَحُومٌ لغَيرِ المُستَحقِّين (أوريجنّس). الحِزامُ الأَمينُ للوَسطِ في كُلِّ عَملٍ صَالحٍ يُعِدُّ المرءَ للتَّنَطُّقِ بإِرَادَةِ الرَّبِّ في أَدَائه الخَدَماتِ (هيلاريون). بِحزامِه الجلديِّ قادَ رَمْزيًّا أَعْضاءَه التَّناسُليَّةَ إلى التَّوبَةِ (أوريجنّس) لكَي يُعِدَّ النَّفْسَ للسَّيرِ في النَّقَاءِ (جيروم). فَظُهورُ نَبيٍّ بَعْدَ زَمَنٍ طَويلٍ كَهَذا زادَ دَهْشَةَ إسْرائيل (الذَّهبيُّ الفَم). خُلُقيًّا يَبْقَى الاعْتِرافُ نَاقِصًا إذا لَمْ يُؤْمِنِ المَرْءُ بالدَّيْنُونَةِ المُسْتَقْبلَةِ (كاتبٌ مَجْهُولٌ). لَقَدْ تَراكَضَ الجُمْهُورُ إلى يُوحَنَّا مُسْرِعين إلى رَجُلٍ مُرْسلٍ مِنَ الرَّبِّ (ثيودور أسقف هيراقلية).

٣:١ يوحنّا المَعْمَدان

في تِلْكَ الأَيّام. الذَّهبيُّ الفَم: لِمَاذا «في تِلْكَ الأَيّام»؟ يُوحَنَّا لمْ يَأْتِ لَمَّا كانَ المَسِيحُ طِفْلاً. وَلَمَّا أَتَى إلى النَّاصِرَةِ إنَّمَا أَتَى بَعْدَ ثَلاثين سَنَةً، كَمَا يَشْهَدُ لوقا عَلَى ذَلِكَ.[١] فَكَيْفَ قِيلَ إذًا «في تِلْكَ الأَيّام»؟ عَادَةُ الكِتَابِ المُقَدَّسِ دَائمًا أَنْ يَسْتَعْمِلَ هَذِهِ الطَّريقَةَ في الكلامِ عِنْدَمَا يَذْكُرُ مَا يَحْدُثُ بَعْدَ ذَلِكَ مُبَاشَرةً، وعِنْدَمَا يَذْكُرُ مَا سَيَحْدُثُ بَعْدَ انْقِضَاءِ سَنواتٍ عَديدَةٍ عَلَى الحَدَثِ. إنجيلُ متّى، الموعظة ١٠. ١.[٢]

٣:٢ يُوحَنَّا يُبَشِّرُ بالتَّوبةِ

المَلَكُوتُ هو في دَاخِلِنا ليُبَرِّرَنا ويُقَدِّسَنا. كيرلُّس الإسكندريّ: «مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ» يُشيرُ إلى التَّبْريرِ بالإيمَانِ والتَّقْديسِ بالرُّوحِ. ولِهَذا يَقُولُ، في مَكانٍ آخر، «مَلَكُوتُ السَّماوَاتِ هُوَ في دَاخِلِكُم».[٣] مقطع ١٧.[٤]

٣:٣ صوتُ صارِخٍ في البَرِّيَّةِ

صَوتُ صَارِخٍ. كَاتِبٌ مجهولٌ: الصَّوْتُ أَوِ الأَثَرُ السَّمْعيُّ نُطْقٌ غَامِضٌ، لا يَكْشِفُ سِرَّ القَلْبِ، إنَّما يَعْنِي أَنَّ الصَّارِخَ يُريدُ أَنْ يَقُولَ شَيئًا. أَمَّا الكَلِمَةُ فخِطَابٌ نَاطِقٌ يَفْتَحُ سِرَّ القَلْبِ. أَمَّا الصَّوتُ فَيَشْتَرِكُ فيهِ الحَيَوانُ وَالإنْسَانُ. الكَلِمَةُ تُلائمُ الإنْسَانَ فقط. إنَّ يوحَنَّا سُمِّيَ صَوْتًا لا كَلِمَةً، لأَنَّ اللهَ لا يُظْهِرُ، عبر يوحنّا، رَحْمَتَه أَوْ عَدْلَه أَو وَصَايَاهُ المُعَدَّةُ قَبْلَ إنْشَاءِ العَالم، بَلْ يُظْهِرُ اعتِنَاءَ الله بتَحْقِيقِ العَظَائمِ في التَّاريخِ البَشَريِّ. ومِنْ ثَمَّ أَعْلَنَ سِرَّ مَشِيئتِه الكَامِلِ.

---

[١] لوقا ٣: ١- ٢.

[٢] PG 57: 183; NPNF 1 10: 61

[٣] لوقا ١٧: ٢١.

[٤] MKGK 159

ولذَلِكَ يُسَمَّى ابنُ اللهِ الكَلِمَة. «هَيِّئوا طَرِيقَ الرَّبِّ» يَعْنِي: تُوبُوا عَنْ خَطَايَاكُم وآتوا ثَمَرًا يَلِيقُ بالتَّوبَةِ. عَمَلٌ غيرُ كَامِلٍ حَوْلَ متَّى، الموعظة ٣.[٥]

تَهْيِئَةُ النُّفُوسِ للطَّهَارَةِ. جيروم: لَقَدْ هَيَّأَ نُفُوسَ المُؤمِنِينَ الَّذينَ يَسِيرُ الرَّبُّ مَعَهُم سِيرةَ الطَّهَارةِ في أطْهَرِ الطُّرُقِ. لذَلِكَ قَالَ: «وَأَسِيرُ فِيمَا بَينكُم، وأَكُونُ لكُم إلهًا، وأَنتُم تَكُونونَ لِي شَعْبًا».[٦] تفسير متّى ١. ٣. ٣.[٧]

تَهْيِئَةُ الطَّرِيقِ لِمَجِيءِ مَاسِيًا. الذَّهبيُّ الفَم: أُنْظُرْ كيفَ يَأْتِي كُلٌّ مِنْ إشَعْيَا ويوحنَّا المعْمدان بالأفْكَارِ ذاتِها، ولَوْ بِكَلامٍ مُخْتَلِفٍ. هَكَذَا يَقُولُ إشَعْيَا إنَّه سَيَأْتِي مُعْلِنًا: «هَيِّئُوا طَرِيقَ الرَّبِّ، أَعِدُّوا سُبُلَه».[٨] وَالمَعْمَدانُ يَقُولُ: «أَثمِرُوا ثَمَرًا جَدِيرًا بتوبتِكُم».[٩] وهَذا مُسَاوٍ لقَوْلِه «هَيِّئُوا طَرِيقَ الرَّبِّ». أُنْظُرْ أنَّه بكَلامِ النَّبيِّ وبتَبْشِيرِ يوحنَّا أَوْضَحَ هَذَا الأمْرَ: إنَّه جَاءَ مُهيِّئًا الطَّرِيقَ وَمُعِدًّا إيَّاه سَبْقِيًّا. فَيُوحنَّا لم يُعْطِ الهَدِيَّةَ التي كَانَتْ غُفْرَانَ الخَطَايا، بَلْ أَعَدَّ مِنْ قَبْلُ نُفُوسَ أُولئك الَّذينَ سيَتَقبَّلون إلهَ الكُلِّ. إنجيلُ متّى، موعظة ١٠. ٣.[١٠]

أَزِيلُوا الحِجَارَةَ مِنَ الطَّرِيقِ. كُرومَاتيوس: هَكَذَا أَعَدَّ يوحنَّا طُرُقَ الرَّحْمَةِ والحَقِّ والإيمانِ وَالبِرِّ. وَعَنْ ذَلِكَ قَالَ إرْمِيَا: «قِفُوا في الطُّرُقِ وانظُروا، وَاسْأَلوا عَنِ السُّبُلِ القَدِيمَةِ، أَيْنَ الطَّرِيقُ الصَّالِحُ وَسِيروا فيه»،[١١] لأَنَّ المَلَكُوتَ السَّمَاوِيَّ قَائِمٌ هُنَاكَ. وَلِهَذا لَيْسَ مِنْ غَيرِ سَبَبٍ يُضِيفُ القِدِّيسُ يوحنَّا قَائلاً: «لأَنَّ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ اقْتَرَب».[١٢] فَهَل تَبْتَغي أَنْ يَكُونَ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ قَرِيبًا مِنْكَ؟ أَعِدَّ هَذِه الطُّرُقَ في قَلْبِكَ وفي أَحَاسِيسِكَ وفي نَفْسِكَ. مَهِّدْ في دَاخِلِكَ طَرِيقَ العِفَّةِ وَطَرِيقَ الإيمَانِ وَطَرِيقَ القَدَاسَةِ. وَابنِ طُرُقَ البِرِّ. وَانْزَعْ كُلَّ عِثَارِ الإثْمِ عَنْ قَلْبِكَ. لإِنَّه كُتِبَ: «أَزِيلُوا الحِجَارةَ عَنِ الطَّرِيقِ».[١٣] وَحَقًّا، سَيَدْخُلُ المَسِيحُ المَلِكُ عبرِ أَفْكَارِ قَلْبِكَ وَحَرَكَاتِ نَفْسِكَ عِبْرَ طُرُقٍ مُحَدَّدَة. مَوْعِظَةٌ حَوْلَ مَتَّى ٨. ١.[١٤]

---

[٥] PG 56: 647
[٦] لاويين ٢٦: ١٢؛ ٢ كورنثوس ٦: ١٦.
[٧] CCL 77: 16
[٨] إشعيا ٤٠: ٣.
[٩] متّى ٣: ٨.
[١٠] PG 57: 187; NPNF 1 10: 63. لم تمنح معموديّة يوحنّا غفران الخطايا، بل أعدّتِ الطريق للحصول عليه.
[١١] إرميا ٦: ١٦.
[١٢] متّى ٣: ٢.
[١٣] إشعيا ٤٠: ٤.
[١٤] CCL 9a: 228-29.

٤:٣ رَمْزِيَّةُ طَعَامِ يُوحنّا ولِباسه

وشَاحُ التَّوبَةِ. الذَّهبيُّ الفَم: كَانَ مِنَ الضَّرُورِيِّ أَنْ يُظهِر (يُوحنَّا) السَّابِقُ لِنَاقِضِ كُلِّ العِلَلِ القَديمةِ- مِثْلِ التَّعَبِ واللَّعْنَةِ والحُزْنِ والعَرَقِ- سِمَاتِ تِلكَ المَواهِبِ، حتَّى يكُونَ فَوْقَ تِلْكَ الإدَانَةِ. عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّه لَمْ يَفْلَح الأَرْضَ وَلَمْ يَحْرُث الحَقْلَ ولم يَأْكُلْ خُبْزًا بِعَرَقِ جَبينِهِ، فَقَد كَانَتْ مَائدَتُه مُهيَّأَةً، وَلِبَاسُهُ مُهيَّئاً أَكْثَرَ مِنْ مَائدَتِهِ، وكَانَت تَهْيِئَةُ مَسْكَنِهِ أكثَرَ يُسْرًا مِنْ تَهيئَة لِبَاسِه. فَلَمْ يَكنْ بحَاجَةٍ إلى سَقْفٍ أو إلى سَريرٍ أَو إلى مَائِدَةٍ، بَلْ أَظْهَرَ، وَهُوَ في الجَسَدِ، أَنَّه ذُو سِيرَةٍ مَلائكيَّةٍ. فلِبَاسُهُ كَانَ مَصْنُوعًا مِنْ وبَرِ الإبْلِ لِكَي يُعلِّمَنا، حتَّى بمظْهَرِهِ الخَارجيِّ، التَّحرُّرَ ممَّا هُوَ بَشريٌّ، فَلا يكُونُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الأَرْضِ شَيءٌ مُشْتَرِكٌ، بَلْ نَعُودُ إِلى مَا كَانَ عَلَيه آدمُ وهُوَ بَعْدُ في الفِرْدَوسِ، من دُونِ حَاجَةٍ إلى مَا نَدَّثِرُ بِه. هكَذَا كَانَ لِبَاسُ يُوحنَّا رَمْزًا لِمَجيءِ المَلَكُوتِ والتَّوبةِ. إنجيلُ متَّى، الموعظة ١٠.[١٥]

ليسَتْ مَلابِسُهُ فَاخِرةً. كروماتيوس: أَوَّلاً، إِنَّ سِيرَةَ يوحنَّا السَّمَاويَّةَ وَتَواضُعَه العَظِيمَ يَتَجلَّيانِ في أُسْلُوبِ حَيَاتِه. فَمَن احْتَقَرَ العَالَمَ لا يَطْلُبُ المَلابِسَ الثَّمينَةَ. وَمَنْ تَرفَّعَ عَنْ مَلذَّاتِ العَالَمِ لا تَسْتَهْوِيهِ المَلابِسُ الفَاخِرَةُ ولا يَتَهافَتُ عَلَى الأَطْعِمَةِ اللَّذِيذَةِ. مَا حَاجَةُ المُتَوشِّحِ بِالبِرِّ إلى اللِّبَاسِ الدُّنْيَويِّ الفَاخِرِ؟ وَأيُّ طَعَامٍ أَرْضِيٍّ لَذِيذٍ يَروقُ لِمَنْ تَغذَّى بالكَلامِ الإلهِيِّ وَلِمَنْ كَانَتْ شَريعَةُ المسيحِ طعَامَه الحَقِيقِيّ؟ هَذا السَّابِقُ هُوَ نَبِيُّ الرَّبِّ وَرَسُولُ المَسِيحِ، قَدَّمَ نفسَه كُلِّيًّا إلى ربِّه السَّماويِّ وازْدَرَى أُمُورَ العَالَمِ. موعظةٌ حَولَ متَّى ٩. ١.[١٦]

اللِّبَاسُ الرَّثُّ يَتَقَدَّسُ. هيلاريون: إنَّ الثَّوبَ المَحُوكَ بوبَرِ الجمَلِ يُشيرُ إلى اللِّبَاسِ الخَاصِّ بهَذَا السَّائحِ النَّبَويِّ، إذْ يَتَّشِحُ بِجِلْدِ حَيَوانٍ غيرِ طَاهِرٍ... فَكُلُّ مَا كَانَ عِنْدَنا لا نَفْعَ مِنْه أَوْ رَثًّا يَتَقَدَّسُ بثِيَابِ النَّبيِّ. حول متَّى ٢. ٢.[١٧]

كَانَ عَلَى وَسطِه جِلْدُ حَيَوانٍ غيرِ طَاهِرٍ. مكسيموس أُسقف تورنس. لَمَّا لَبِسَ سَابِقُ المَسِيحِ ثَوْبًا مِنْ وبَرِ الجمَلِ الخشِنِ، أَلَمْ يُشِرْ ذَلِكَ، بالحقيقة، إلى أَنَّ المَسِيحَ الآتِيَ سَيكُونُ مُتَّشِحًا بجَسَدٍ إِنْسَانيٍّ كَثِيفٍ بِسَبَبِ خُشُونَةِ الأَثمَةِ، وَأَنَّه، وَهُوَ مُتَّشِحٌ بجُلُودٍ أَكْثَرِ

---

(١٥) PG 57: 188; NPNF 1 10:64
لقد كان نهج حياة يوحنا المعمدان رمزًا لاستعادة الإنسانيّة وضعها قبل السقوط.

(١٦) CCL 9a: 231

(١٧) SC 254: 104

الحَيوانَاتِ نَجَاسَةً، قَدْ حَمَلَ عَاهَاتِ الأُمَمِ؟ المواعظ ٨٨. ٣.[١٨]

ثَوْبٌ مُعَدٌّ لِعَمَلِ التَّوبَةِ الصَّعْبِ. بطرس خريسولوغوس: كَانَ بِإمْكَانِهِ أَنْ يَسْتَعْمِلَ شَعْرَ المَاعِزِ، لَكِنْ لَمْ تَكُنْ هُنَاكَ حَاجَةٌ إِلَى ذَلِكِ. بِالأَحْرَى، لَبِسَ ثَوْبًا مِنْ وبَرِ الجَمَلِ لا جَمَالَ فِيه، ولا أَنَاقَةَ، وَلا زِينَةَ. كَانَ ثَوبُهُ، بِطَبِيعَتِه، مُعَدًّا لِلعَمَلِ الشَّاقِّ وَلِلأَعْبَاءِ الثَّقِيلَةِ ومُخَصَّصًا لِلخُضُوعِ المُطْلَقِ. إِنَّ مُعَلِّمَ التَّوبَةِ يَجِبُ أَنْ يَتَّشِحَ بِمِثْلِ هذا اللِّبَاسِ، بِحَيثُ إِنَّ الَّذينَ ابتَعدُوا عَنِ الفَضِيلَةِ في تَرْبِيتِهِم وأَسْلَمُوا أَنْفُسَهُم بِلا خَجَلٍ إِلى الخَطِيئَةِ يَرْزَحُونَ تَحْتَ أَعْبَاءِ التَّكْفِيرِ العَظِيمِ، ويُقَاسُونَ صَرَامَةَ الإِصْلاحِ وتَأَوُّهَاتِ النَّدَمِ.... ولا يَنَالُونَ الغُفْرَانَ الكَافِيَ إِلاَّ عِبرَ التَّكْفِيرِ الضَّيِّقِ. المواعظ ١٦٧. ٨.[١٩]

لِمَاذَا وبَرُ الجَمَلِ؟ ثيودور المبسوستيّ: لا يُذْكَرُ وبَرُ الجَمَلِ عَرَضًا، إِنَّمَا في سِرٍّ وفي رَمْزٍ. فَالجَمَلُ لا يُعَدُّ حَيَوانًا نَجِسًا، ولا حَيَوانًا طَاهِرًا، بَلْ يَحْتَلُّ مَوقِعًا مُتَوسِّطًا بين الاثنَين ويُشَارِكُ في خَواصِّ كُلٍّ مِنْهُما. فَالاجْتِرَارُ، أَيْ إِخْرَاجُ الطَّعَامِ من المعدة لِمَضْغِه، مِنْ خَصَائِصِ الحَيوانَاتِ الطَّاهِرَةِ، وَهَذَا يَنْطَبِقُ عَلَى الجَمَلِ. لَكِنَّ النَّجَاسَةَ هِيَ في الحَيوانَاتِ المَشْقُوقَةِ الظُّفْرِ. وَالجَمَلُ لَيْسَ مَشْقُوقَ الظِّفرِ، بِاعْتِبَارِ أَنَّ ظِفرَهَا غَيرُ مَشْقُوقٍ. وَعلَيه، كَانَ يوحنّا مُتَّشِحًا بِشَعْرِ هَذَا الحَيوانِ مُظْهِرًا دَعْوَةَ الإِنْجِيلِ. فَأَشَارَ إِلى أَنَّ مَلَكُوتَ اللهِ، الَّذي أَعلَنه هُوَ أَنَّه قَرِيبٌ، سَيَضُمُّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ إِسْرَائِيلَ، الشَّعْبِ الطَّاهِرِ، وَأُولَئِكَ الَّذِينَ هُمْ مِنَ الأُمَمِ غَيرِ الطَّاهِرَةِ. بَشَّرَ الجَمَاعَتَينِ بِالتَّوبَةِ بِسَوَاءِ الكَرَامَةِ. مقطع ١٢.[٢٠]

مُنْضَبِطٌ بِالفَضِيلَةِ. مكسيموس أُسْقُف تورين: مَاذا يُظْهِرُ الحِزَامُ الجِلْدِيُّ سِوى جَسَدِنا الوَاهِنِ، الوَاقِعِ في قَبْضَةِ الشَّرِّ قَبْلَ مَجِيءِ المَسِيحِ، والصَّائِرِ، بَعْدَ مَجِيئِه، مُرْتَبِطًا بِالفَضِيلَةِ؟ قَبْلَ مَجِيءِ المسيحِ كَانَ الجَسَدُ مِبْدَانًا مُغَمَّسًا في المَلَذَّاتِ. والآنَ، بِفَضْلِ الإِمْسَاكِ، أَصْبَحَ ثَابِتًا في مَكَانِهِ. مواعظ ٨٨. ٣.[٢١]

الجَرَادُ وَالعَسَلُ البَرِّيُّ. أوريجنّس: أَكَلَ يُوحنّا جَرَادًا، مُشِيرًا إِلى أَنَّ شَعْبَ اللهِ كان يَغْتَذي بِالكَلِمَةِ التي تُحَلِّقُ بِأَجْنِحَتِها، مَعَ أَنَّهَا لَمْ تَرْتَفِعْ عَنِ الأَرْضِ. أَكَلَ يوحنّا أَيْضًا العَسَلَ

(١٨) CCL 23: 360

(١٩) CCL 24b: 1028-29

(٢٠) MKGK 100

(٢١) CCL 23: 360

الّذي تُخْرِجُهُ الطَّبيعَةُ. فالعَسَلُ المُسْتَخْلَصُ تحت الشَّريعَةِ والأَنْبِياءِ لم يَحْصَلْ عليهِ أُولئكَ الَّذين لا يَعْبأُونَ بمَرَامِيها ولا يَدْرُسونَ الكِتابَ المقدَّسَ. المقطع ٤١.[٢٢]

طَعَامُ التَّكْفِيرِ. بطرس خريسولوغوس: يُعْتَبَرُ الجرادُ المعَدُّ للخاطِئينَ الجَديرين بالتَّأْديبِ أنَّه طَعامُ التَّوبَةِ، بحيثُ إنَّهم، إذا وَثَبُوا مِنْ مكانِ الخطيئةِ إلى مكانِ التَّوبةِ، يَطيرونَ إلى السَّماءِ على أَجْنِحَةِ الغُفْرانِ. فالنَّبيُّ أَدْرَكَ ذلِكَ لمَّا قالَ: «كظلٍّ مائِلٍ أَمْضي، وكَجَرادةٍ في مَهَبِّ الرِّيحِ. وَهَنَتْ رُكْبَتايَ مِنَ الصَّومِ، ولَحْمي هَزيلٌ بلا شَحْمٍ... خلِّصْني يا إلهي برحمَتِك».[٢٣] قَدْ سَمِعْتُم كيفَ أنَّ يُوحنَّا كانَ في مَهَبِّ الرِّيحِ مِثْلَ الجرادِ فَعَبَرَ مِنَ الخَطِيئةِ إلى التَّوبَةِ. حَنَى رُكْبَتَيه ليَحْمِلَ عِبءَ التَّوبَةِ. وكانَ طَعامُهُ مَمْزُوجًا بالعَسَلِ لكي تُصْلِحَ الرَّحمةُ مَرارةَ التَّوبَةِ. مواعظ ١٦٧. ٩.[٢٤]

٣: ٥ وكانت تَخْرُجُ إليهِ أورشليم وجَميعُ اليَهوديَّةِ وكلُّ الأرجاءِ المُحيطَةِ بالأُردنِّ

أُسلوبُ كلامِ يوحنَّا النَّبَويّ. الذَّهبيُّ الفَم: أَوَرأَيْتَ ما أَعْظَمَ قُدْرةَ مَجيءِ النَّبيِّ، كيفَ حَرَّكَ الشَّعْبَ كُلَّه وقادَهُ إلى التَّفْكيرِ في خَطاياهُ؟ حقًّا، كانَتْ رُؤيَةُ شَكْلِه البَشَريِّ تُثيرُ الإعْجابَ وكَذلِكَ جُرْأَتُه الصَّادِمَةُ في الكَلامِ، وتأْنيبُهُ العَنيفُ للجَميعِ وكأنَّهم أَطْفالٌ، فتألَّقَ مُحيَّاه بالنِّعْمَةِ. وأَيْضًا، فإنَّ ظُهورَ نبيٍّ بَعْدَ زمانٍ طويلٍ قَدْ أَذْهلَهُم، لأنَّ المَوْهِبَةَ غابَتْ عَنْهُم وعادَتْ إليهم بَعْدَ غِيابٍ طالَ أَمَدُهُ. كانَتْ طَبيعَةُ تَبْشيرِه غَريبَةً وغَيْرَ مأْلوفَةٍ. فلَمْ يَسْمَعوا ما اعتادُوا سَماعَه، مِنْ أَخْبارِ الحُروبِ والمعَارِكِ والانْتِصاراتِ في الدُّنْى والمجاعاتِ والأوبئَةِ والبابليِّين والفُرْس، إنَّما سَمِعُوا عَنِ السَّماواتِ وعَنِ الملَكُوتِ هُناك، وعَنِ العِقابِ في الجحِيمِ. إنجيلُ متّى، موعظة ١٠. ٥.[٢٥]

إنْسانٌ مُرْسَلٌ مِنَ اللهِ. ثيودور أسْقُف هيراقلية: لَمَّا سَمِعَتِ الجُمُوعُ عن سِيرَةِ حَياةِ يوحنَّا الَّتي تَفُوقُ حَياةَ البَشَرِ، رَغِبَتْ في رُؤيَتِه. لهذا السَّبَبِ، لَمَّا سَمِعَتْ أنَّه كانَ قَريبًا، تَراكَضَ الجَميعُ إليه، وكأنَّهم يَتراكَضُونَ إلى «إنْسانٍ مُرْسَلٍ مِنَ اللهِ».[٢٦]

---

[٢٢] GCS 41. 1: 32

[٢٣] مزمور ١٠٩: ٢٣-٢٦: (١٠٨: ٢٣- ٢٦).

[٢٤] CCL 24B: 1029

[٢٥] PG 57: 189; NPNF 1 10: 65
لقد أحيا يوحنَّا التَبشيرَ النَّبويَّ وجدَّده.

[٢٦] يوحنَّا ١: ٦.

إعْتَرَفوا بخَطَايَاهُم في حُضُورِه فَقَدَّمَ، ككاهنٍ، القَرابينَ مِنْ أَجْلِهِم. المقطع ١٣.[٢٧]

٦:٣ فَيَعْتَمِدون عَنْ يدِه في نَهرِ الأُردُن، مُعترِفينَ بخَطاياهُم

التَّطهُّر بالتَّوبة. كروماتيوس: لذلِكَ، حَثَّ يوحنّا الوافِدِينَ إليه مُبشِّرًا إيّاهُم بأَنَّ خَطَايَاهُم المُرْتَكَبَةَ بمُخَالَفَتِهم فُرُوضَ الشَّريعَةِ الإلهيَّةِ تَتَطهَّرُ بالتَّوبة. إنَّهم، بإرْضَائِهم الله بالتَّوبَةِ اللائقةِ، يَنَالونَ غُفْرانًا مِمَّن قالَ بلِسَانِ النَّبيّ: «فَأَنا لا يُسُرُّني مَوتُ مَنْ يَمُوتُ... فارْجِعُوا إليَّ واحْيَوا»[٢٨] وأَيضًا، «تَعَالَوا إليَّ يَقُولُ رَبُّ الجُنُودِ، وَأَنا آتي إلَيْكُم».[٢٩] وَكَذلِكَ «أَنا السَّيِّدُ الرَّبُّ، الَّذي لا يَتَذَكَّرُ الشَّرَّ. إذا ارتَدَّ المَرءُ عَنِ المَعَاصِي يَحْيَا».[٣٠] موعظةٌ حول متّى ١٠. ١.[٣١]

مُعْتَرِفِينَ بخَطَايَاهم. كيرلّس الإسكندريّ: لَمْ تُقَدِّمْ مَعْمُودِيَّةُ يُوحنَّا غُفْرَانَ الخَطَايَا، إنَّما عَلَّمَت النَّاسَ أَنْ يُسْرِعُوا إلى المَعْمُودِيَّةِ لأَجلِ خَطَايَاهُم. المقطع ١٨.[٣٢]

الاعتِرَافُ والخَجَلُ. كَاتِبٌ مَجْهُولٌ: إنَّ الاعترافَ بالخَطَايا شَهَادَةُ ضَمِيرٍ يَخَافُ اللهَ. مَنْ يَخَفْ دَينُونَةَ الله لا يَخْجَلْ مِنَ الاعْتِرافِ بخَطَايَاه، فالخَجُولُ مِنَ الاعْتِرافِ لا يَخَافُ الله. حَقًّا، إنَّ خوفَ اللهِ الكامِلَ يَقِي المَرْءَ كُلَّ إحْسَاسٍ بالخِزْي. فاعْتِرَافُ المَرءِ لا قِيمَةَ لَه خُلُقيًّا إذا لم يُؤمِنْ بعُقُوبَةِ الدَّينُونَةِ الآتيةِ. فَنَحْنُ لا نَعْرِفُ أَنَّ الاعْتِرَافَ بالخَطَايا يَستَلْزِمُ خِزْيًا، فالخِزيُ ذاته عُقُوبَةٌ صَارِمةٌ! فَكُلَّما أَمَرَنا اللهُ بالاعْتِرَافِ نَخْتَبِرُ الخِزْيَ عبر العُقُوبةِ. هَذا جُزْءٌ مِنَ الدَّيْنُونَةِ. يا لَرَحْمَةِ الله، الَّتي لا تَحُثُّنا عَلَى الغَضَبِ! حَسْبُنَا العُقُوبةُ الَّتي تُرافِقُ خَجَلَنا. عَمَلٌ غَيرُ كَامِلٍ حول متَّى، موعظة ٣.[٣٣]

---

(٢٧) MKGK 60

(٢٨) حزقيال ١٨: ٣٢.

(٢٩) أنظر إشعيا ٤٥: ٢٢؛ إرميه ١٥: ١٩.

(٣٠) حزقيال ١٨: ٢١– ٢٢.

(٣١) CCL 9a: 235

(٣٢) MKGK 159

(٣٣) PG 56: 650

٣:٧-١٢ مَعْمُودِيَّةُ التَّوبَةِ

٧ورأى يوحنّا أنَّ كثيرًا مِنَ الفرِّيسيِّينَ والصدّوقيّينَ يَقبلونَ على معموديّتِه، فقالَ لَهُم: «يا أولادَ الأفاعي، مَنْ دَلَّكُم عَلَى طَريقِ الهربِ مِنَ الغَضَبِ الآتي؟ ٨أَثْمِروا ثمرًا يليقُ بتَوْبتِكُم، ٩ولا يخطرَنَّ لكم أن تقولوا في أنفسِكُم: إنَّ أبانا هوَ إبراهيمُ. أقولُ لكُم: إنَّ اللهَ قادرٌ على أنْ يُقيمَ مِنْ هذهِ الحجارةِ أبناءً لإبراهيمَ. ١٠والآنَ قد وُضِعَتِ الفأسُ على أصلِ الشَّجرِ، فكُلُّ شجرةٍ لا تُثمرُ ثمرًا جيِّدًا تُقطَعُ وتُرمى في النّارِ. ١١أنا أُعمِّدُكُمْ بالماءِ مِنْ أجلِ التَّوبةِ، وأمّا الَّذي يأتي بَعدي فهوَ أقوى مِنّي، وأنا لستُ أهلاً لأنْ أحمِلَ حِذاءَهُ. هوَ يُعمِّدُكُم بالرُّوحِ القُدُسِ والنّارِ، ١٢بيدِهِ مِذراتُه يُنقّي بيدَرَهُ، فيَجمَعُ القَمحَ في مَخزَنِه ويَحرقُ التِّبنَ بنارٍ لا تَنطَفِئُ».

نَظْرَةٌ عَامَّةٌ: إنَّ الفرّيسيّين أنفُسَهم أَقْبلوا عَلَى مَعْمُوديَّةِ يوحنّا، لكنَّهُم لم يَتابعُوا بإخْلاص بِشَارَتَهُ (الذَّهَبيُّ الفَم). وبِسَبَبِ خِداعِهِم سُمُّوا أَوْلادَ الأفَاعِي، لأَنَّهمّ كَانُوا يُتمُّونَ إرَادَةَ إبْليس، الَّذي دُعِيَ مُنْذُ البدءِ أَفْعَى، فَجَعَلُوا أَنْفُسَهم أولادًا لإبْليس (كروماتيوس). فَالأَفاعِي جَمِيلَةٌ مِنَ الخَارِج، لَكِنَّها في الدَّاخِلِ مَلِيئَةٌ بِالسَّمِّ (كَاتِبٌ مَجْهُولٌ). إنَّ الأُمَنَاءَ لإبراهيم يَكُونُونَ مِنْ نَسْلِهِ في الإيمان، أَمَّا غَيْرُ المُؤمنين فَيُصْبِحُونَ مِنْ ذُرِّيَّةِ إبْليس (هيلاريون). لا تُفَاخِرُوا بقَولِكُم إنَّ إبْرَاهِيمَ أَبُونَا، إنَّمَا اخْجَلوا من كَوْنِكُم أَبْنَاءَه، لكِنَّكُم لَسْتُم وَرَثَةً لقَدَاسَتِه (كَاتِبٌ مَجْهُولٌ). إنَّ اللهَ الَّذي خَلَقَ كُلَّ شَيءٍ مِنَ العَدَمِ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُخْرِجَ مِن الحِجَارةِ الصَّمَّاءِ شَعْبًا لَيِّنَ الجَانِبِ (جيروم). فَأَوْلادُ إبْرَاهِيمَ لا يَتَكَاثَرونَ عبر اقْتِنَائِهم جَسَدَه، بَلْ عبر مُشَارَكتِهِم إيّاه في فَضِيلَتِهِ (ثيودور أُسقف هيراقلية).

وَمَعْ أَنَّ الفَأْسَ وُضِعَتْ عَلَى الأَصْلِ، فَيُوحَنَّا يَجْعَلُ القَطْعَ مُعْتَمِدًا عَلَيكم. فَإِنْ تُبْتُم تُوضَعُ الفَأْسُ جَانِبًا بدون أَنْ تُسِيءَ إِلَيكم (الذَّهَبيُّ الفَم). العَالَمُ السَّابِقُ سيَنْتَهي،

وَالعَالمُ المُقْبِلُ قريبٌ (كَاتِبٌ مَجْهُولٌ). فَقَطْعُ الشَّجَرةِ وَحَرْقُهَا يُشيران إلى دَمَارِ الكُفرِ القَاحِلِ المُعَدِّ لِنَارِ الدَّينُونَةِ الأَخِيرَةِ (هيلاريون، كروماتيوس وكيرلّس الإسكندريّ). ترك يوحنّا للتّلاميذِ مَجْدَ التَّبشيرِ بكلِمَةِ الله (هيلاريون). يَرْمُزُ الحِذَاءُ هُنَا إِلَى خُطُواتِ التَّبْشيرِ الإنجيلِيّ (كروماتيوس). يُبلِّغُ يُوحَنَّا مَا أُمِرَ بِهِ بِدُونِ مُسَاوَمَةٍ، ومَعْ ذَلِكَ فهو لا يُسْهِبُ في الكَلامِ عَلَى الفَأْسِ أَو عَلى الشَّجَرَةِ المُلْقَاةِ في النَّارِ فَحَسْب، بَلْ أيضًا عَلَى غُفْرانِ الخَطَايَا (الذَّهبيُّ الفَم). يُخْزَنُ ثَمَرُ المؤمِنِين النَّاضِجُ في الأَهْرَاءِ، أَمَّا قَشُّ التَّفَاهَةِ الإِنْسَانِيَّةِ العَقِيمَةِ فيَصْلُحُ لِنَارِ الدَّينُونَةِ (هيلاريون). النَّارُ هي قُوَّةُ الرُّوحِ المُنْشِئَةِ الحَيَاةَ (كيرلّس الإسكندريّ). فمِنْ جِهَةٍ تَكُونُ النَّارُ مُؤَاتِيَةً لِتكوينِ الثِّمَارِ وَإِنْضَاجِهَا، وَمِنْ جِهَةٍ أُخْرَى تَكُونُ وَسِيلَةً لِلتَّدمِيرِ والاسْتِهْلاكِ. فَكَمَا تَتَفَوَّقُ النَّارُ عَلَى كُلِّ العَنَاصِرِ، هَكَذَا يَتَغَلَّبُ القَديرُ عَلَى كُلِّ الآلِهَةِ وَالحُكَّامِ وَالسُّلُطَاتِ (ثيودور أسقف هيراقلية). البَيْدَرُ هُوَ الكَنيسةُ، المَخْزَنُ هُوَ المَلَكُوتُ السَّمَاوِيُّ، وَالحَقْلُ هُوَ هَذَا العَالَم. لِذَلِكَ، كَمَا يُرْسِلُ رَبُّ البَيتِ الحَصَّادِينَ لِيَقْطُفُوا السَّنَابِلَ مِنَ الحَقْلِ، ويَحْمِلوهَا إلى البَيْدَرِ لِيُغَرْبِلَهَا، ويُميِّزَ القَمْحَ مِنَ العُصَافَةِ، هَكَذا يُرْسِلُ الرَّبُّ تَلاميذَه وَمُعَلِّمِيهِ كَحَصَّادِين (كَاتِبٌ مَجْهُولٌ).

٣:٧ أَقْبَلَ الفَرِّيسيّونَ والصَّدُّوقيُّونَ عَلَى مَعْمُوديَّتِه

الصِّدَامُ مَعَ الرُّؤَسَاءِ الرُّوحيِّين. الذَّهَبيُّ الفَم: كَيفَ يَقُولُ المَسِيحُ إِنَّهُم لَمْ يُؤمِنُوا بيُوحَنَّا؟ لأَنَّ عَدَمَ التَّرْحِيبِ بِمَنْ كَانَ يُبَشِّرُ بِهِ يوحنّا لَمْ يكُنْ إِيمَانًا. هَكَذَا ظَنُّوا أَنَّهم كَانُوا يُصْغُونَ لأَنبِيَائهِم ولِمُوسَى مُعْطِي الشَّرِيعَةِ، أَمَّا المَسِيحُ فَقَالَ إِنَّهم لَمْ يُصْغُوا لَهُم، لأَنَّهُم لَمْ يقْبَلُوا بِمَا كَانوا يُنْبِئُونَ بِه. يَقُولُ: «لَوْ كُنْتُم تُؤمِنُونَ بمُوسى لآمَنْتُم بِي».[1] وبَعْدَ هَذا سَأَلَهُم المَسِيحُ: «مِنْ أَيْنَ جَاءَتْ مَعْمُودِيَّةُ يُوحَنَّا: أَمِنَ السَّمَاءِ أَمْ مِنَ النَّاسِ؟ فقَالُوا في أنفُسِهم:صإِنْ قُلْنَا مِنَ السَّمَاءِ يَقُولُ لَنَا: فَلِمَاذَا لم تُؤمِنُوا بِهِ»؟[2] يَتَّضِحُ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ أَنَّهم جَاؤوا فِعْلاً وَتَعَمَّدوا، وَمَعَ ذَلِكَ لَمْ يَثْبتُوا في الإِيمَانِ الَّذي كَانَ يُبَشِّرُ بِهِ. فيُوحَنَّا أَيْضًا يُشيرُ إِلَى شَرِّهِم المُتَمَثِّلِ في إِرْسَالِهِم مُمَثِّلين إِلَى

---

[1] يوحنّا ٥: ٤٦.

[2] لوقا ٢٠: ٥؛ أنظر متّى ٢١: ٢٥- ٢٦.

المعْمَدان وَقولِهم: «أإيليّا أنْتَ؟ أالمَسِيحُ أَنتَ؟» لهذا أضَاف: «وكَانَ المُرْسَلون مِنَ الفَرِّيسيّين».[٣] إنجيلُ متَّى، الموعظة ١١.١.[٤]

أَوْلادُ إبْلِيس. كروماتيوس: لَقَدْ أَوْضَحَ يُوحَنَّا ذَلِكَ للفَرِّيسيينَ وَالصَّدُّوقِيِّينَ الَّذينَ أَقْبَلُوا عَلَى مَعْمُوديَّتِه، قَائلاً: «يا أَوْلادَ الأَفَاعِي، مَنْ أَرَاكُم سَبيلَ الهَرَبِ مِنَ الغَضَبِ الآتي؟ أَثْمِروا ثَمَرًا يَلِيقُ بِتَوْبَتِكُم».[٥] «فأُولئِكَ الَّذين دُعُوا زَمَنًا طَويلاً أَبْنَاءَ اللّه، يُدْعَون الآنَ بِسَبَبِ إثْمِهِم أَوْلادَ الأَفَاعِي، لأَنَّهم، بإتْمامِهِم إرادَةَ إبْلِيس، الّذي دُعِي مُنْذُ البَدءِ أَفعَى، جَعَلُوا أَنْفُسَهم أَوْلادًا لإبْلِيس». «أنتُم أَوْلادُ أَبيكُم إبليس تُريدُونَ العَمَلَ بِشَهوَاتِ أَبيكُم».[٦] موعِظَةٌ حَوْلَ يُوحَنَّا ٢.١٠.[٧]

سَمُّ الضَّغِينَة. كاتِبٌ مَجْهُولٌ: «أَولادُ الأَفَاعِي». إنَّ طَبِيعَةَ الأَفَاعِي هِيَ أَنّها عندما تَلْدَغُ شَخْصًا تُسْرِعُ إلى الماءِ. وَإذا لَمْ تَجِدْ مَاءً تَموتُ. هَكَذا دَعَا يُوحَنَّا أُولئِكَ أَولادَ الأَفَاعِي، إذْ إنَّهُم يُسْرِعُونَ إلَى المَعْمُوديّةِ عِنْدَمَا يَقْتَرِفُونَ خَطَايَا عَظِيمةً، لكي يَتَجنَّبُوا خَطَرَ المَوْتِ. وَكَذلِكَ فَطبيعَةُ الأَفَاعِي أنَّها تُمَزِّقُ أَحْشَاءَ أُمِّها لكَي تُولَدَ. هَكَذا كَانَ اليَهُودُ يَضْطَهِدُونَ بعِنادٍ الأَنْبِياءَ مُمَزِّقِين مَجْمَعَهُم أي أُمَّهم، كَمَا تَقُولُ المَرأَةُ المُنْتَحِبَةُ في نَشيدِ الأَنْشَادِ: «بَنُو أُمّي نَقَمُوا عَلَيَّ».[٨] الأَفَاعِي جَمِيلَةٌ مِنَ الخَارِجِ وَمُزيَّنةٌ كَذَلك، لَكِنَّهَا مَلِيئَةٌ مِنَ الدَّاخِلِ بالسَّمِّ. هَكَذَا يُسمِّي يُوحَنَّا المُرائِينَ وَالفَرِّيسيّين أَوْلادَ الأَفَاعِي. فَحُسْنُ القَداسَةِ يَبدُو عَلَى وُجُوهِهِم، في حِينِ أَنَّ قُلُوبَهُم مَلِيئَةٌ بِسُمُومِ الضَّغِينَةِ. عَمَلٌ غيرُ كَامِلٍ حَوْلَ متَّى، الموعِظَةُ ٣.[٩]

٨:٣ أَثْمِروا ثَمَرًا يَلِيقُ بِتَوْبَتِكُم

خِلافَةُ الإيمانِ لا خِلافَةُ الجَسَد. هيلاريون: يَنْصَحُهُم أَنْ «يُثْمِروا ثمَرًا يلِيقُ بتَوْبتِهِم»، لا أَنْ يُفَاخِروا بأَنَّ إبْرَاهِيمَ أَبوهُم، لأَنَّ اللّه قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُقِيمَ أَوْلادًا لإبْراهِيمَ مِنَ الحِجَارَةِ. لذَلِكَ لا تَكُونُ خِلافَةُ إبْراهيمَ في الجَسَدِ مَطْلُوبَةً، لَكِنْ مِيرَاثُ إيمَانِ إبراهيم. في هَذا السِّيَاقِ تَكُونُ كَرامَةُ الحَسَبِ قَائمَةً عَلَى أَمْثِلَةِ الأَعْمَالِ. فَيَبْقَى مَجْدُ المَرءِ في

[٣] يوحنَّا ١: ٢٤.
[٤] PG 57: 191-92; NPNF 1 10: 67-68
[٥] متّى ٣: ٧- ٨.
[٦] يوحنَّا ٨: ٤٤.
[٧] CCL 9a: 235-36
[٨] نشيد الأنشاد ١: ٦.
[٩] PG 56: 651

مُحَاكَاةِ الإِيمَانِ لا في أَصْلِه. كَانَ إِبْلِيسُ غَيرَ مؤمن، غيرَ أَنَّ إبْراهِيمَ كَانَ مُؤمِنًا. كَانَ إِبْلِيسُ غَدَّارًا في مُعَامَلَتِه للإِنْسَانيَّةِ، بَيْنَما كَانَ إبْراهِيمُ مُبرَّرًا بالإِيمَان. لذَلِكَ كَانَتْ حَيَاةُ كُلِّ امرئٍ وشَخْصيَّتُه تكْتَسِبان بعَلاقَةٍ حَمِيميَّةٍ، بحيث إنَّ الأُمَناءَ لإبراهيم هُمْ نَسْلُهُ في الإيمَان. أمَّا غيرُ الأُمَنَاءِ فإنَّهم يَتَحوَّلون إلى ذُرِّيَّةِ إبْليسَ عبر عَدَمِ إيمَانِهم. حَولَ متَّى ٢. ٣.[١٠]

أَثْمَارُ التَّوبة. كيرلّس الإسكندريّ: يُمْكِنُ للمَرءِ أَنْ يَقُولَ إنَّ ثِمَارَ التَّوبَةِ هِي، كَمَا سَلَفَ الأمْرُ، بالإيمَانِ بالمَسِيح. هُنَاكَ أَيضًا جَمَاعَةُ الإِنْجِيلِ الكَائِنَةُ في «الحيَاةِ الجَدِيدَةِ»،[١١] المُتَحَرِّرَةُ مِنْ تَخَانَةِ الحَرْفِ. المقطعُ ٢٠.[١٢]

٩:٣ ولا يَخْطُرَنَّ لَكُمْ أَنْ تَقُولوا في أَنْفُسِكُم: إنَّ أَبَانا هُوَ إبْراهِيم

عَائلةٌ نَبيلَةٌ مَعَ طِفْلٍ وَضِيعٍ. كَاتِبٌ مَجْهُولٌ: مِنَ الأَفْضَلِ أَنْ يُولَدَ المرءُ ولادَةً نَبيلَةً لعَائِلَةٍ وَضِيعَةٍ، مِنْ أَنْ يُولَدَ ولادَةً وَضِيعَةً لعَائِلَةٍ نَبيلَةٍ. فَمَن يُولَدُ ولادَةً نَبيلَةً لعَائِلَةٍ نَبيلَةٍ لا يكُونُ مَجْدُ نُبْلِهِ لَهُ وَحْدَه، بَلْ يَشْتَرِكُ فِيه مَعَ عَائِلَتِه. وَمَنْ يُولَدُ ولادَةً وَضِيعَةً لعَائِلَةٍ وَضِيعَةٍ لا تكُونُ وَضَاعَتُهُ لَهُ وَحْدَه... لذَلِكَ لا تُفاخِروا في قَولِكُم: «إنَّ أَبَانَا هُوَ إبْرَاهِيمُ»، بَلِ اخْجَلُوا مِنْ كَونِكُم أَبْنَاءَه، في حِينِ أَنَّكُم لَسْتُمْ وَرَثَةَ لقَدَاسَتِه. عَمَلٌ غيرُ كَامِلٍ حَوْلَ مَتَّى، الموعظةُ ٣.[١٣]

قُدْرَةُ الله في إعَادَةِ تَكْوِينِ البَشَر. جيروم: «إنَّ اللّه قَادِرٌ على أَنْ يَجْعَلَ مِنْ هَذِهِ الحِجَارَةِ أَبْنَاءً لإِبْرَاهِيمَ». يُسَمِّي الأُمَمَ حِجَارَةً بِسَبَبِ ثِقَلِ قُلُوبِهِم. قَرأْنَا في حزقيال: «أَنزِعُ مِنْ لَحْمِهِم قَلْبَ الحَجَرِ وَأُعطِيهِم قَلْبًا مِنْ لَحْمٍ».[١٤] يُظْهِرُ الصَّلابَةَ في الحَجَرِ واللُّيونَةَ في اللَّحْمِ. بتَعْبِيرٍ آخَر، يُشِيرُ هَذَا المَقْطَعُ إلى قُدْرَةِ الله الَّذي صَنَعَ كُلَّ شيءٍ مِنَ العَدَم، وَالَّذي يَقْدِرُ على أَنْ يَصْنَعَ بَشَرًا من أَشَدِّ الحِجَارَةِ صَلابةً. تَفْسِيرُ مَتَّى ١. ٣. ٩.[١٥]

المُشَارَكَةُ في إيمَانِ إبْراهِيم: ثيودور أُسْقُف هيراقلية. إذًا «أُعطِي إبْرَاهِيمُ أَوْلادًا مِنَ الحِجَارَةِ»، فَهذَا لا يَكُونُ بامْتِلاكِهِم الجَسَدَ وَالرُّوحَ، بَلْ بامْتِلاكِهِم الفَضِيلَةَ. لذَلِكَ يَستَطِيعُ شَعْبُ الله أَنْ يَدْعُوَ إبْراهِيمَ

(١٠) SC 254: 104-6

(١١) رومية ٦: ٤.

(١٢) MKGK 159

(١٣) PG 56: 651

(١٤) حزقيال ٣٦: ٢٦.

(١٥) CCL 77: 17-18

أَبًا. «كَيفَ يكُونُ ذَلِكَ»؟ إِعْتَبِرْ مَا يَلِي: إِنَّ الحِجَارةَ تَسْتَخْدِمُها الأُمَمُ لا للبِنَاءِ فَحَسْب، بَلْ لِعِبَادةِ الأَوثَانِ أَيضًا. بالإِضَافَةِ إِلى هَذَا، تَذَكَّرْ أَيْضًا أَنَّ قَلْبَ التِّنِّينِ صَلْبٌ كالحَجَرِ.[١٦] مَقَاطِع ١٥- ١٦.[١٧]

أَوْلادٌ مِنْ حِجَارَةٍ. الذَّهَبِيُّ الفَم: إِنَّ يُوحنَّا، مَع أَنَّه أَرْهَبَهم، فَإِنَّه لم يَسْمَحْ لَهُم بِأَنْ يَقَعُوا في اليَأس. فَهُوَ لَمْ يَقُلْ «أَقَامَ»، بَلْ «إِنَّ اللهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُقِيمَ مِنْ هَذِهِ الحِجَارَةِ أَبْنَاءً لإِبراهِيمَ». بِهَذِه الطَّرِيقَةِ أَرْهَبَهُم وَعَزَّاهُم في وَقْتٍ وَاحِدٍ. إِنجِيلُ متَّى، الموعظة ١١. ٣.[١٨]

٣:١٠ هَا هِيَ الفَأسُ وُضِعَتْ عَلَى أَصْلِ الشَّجَرِ

الفَأسُ عَلَى أَصلِ الشَّجرِ. الذَّهَبِيُّ الفَم: لَمْ يَقُلْ إِنَّ الفَأسَ مُلامِسَةٌ للأَصْلِ، بَلْ إِنَّها «مَوضُوعَةٌ عَلَى الأَصْلِ». فالفَأْسُ قَرِيبَةٌ مِنْه، وَمَا مِنْ إِشَارةٍ للتَّأْجِيل. يَجْعَلُ السَّيِّدُ قَطْعَهَا مُعْتَمِدًا عَليكُم، فإِذَا تَغيَّرتُم وَصِرْتُمْ عَلَى وَضْعٍ أَفْضَل، فَالفَأْسُ تُوضَعُ جَانبًا ولا تَمُسُّكُم بِسُوءٍ. أَمَّا إِذَا نَهَجْتُم النَّهْجَ ذاته فَإِنَّه سيَقْطَعُ الشَّجَرَةَ مِنْ أَصْلِهَا. لذَلِكَ لا تُزَاحُ الفَأْسُ عَنِ الأَصْل، ولا تُوضَعُ عَلَيه لتَقْطَعَه للحَال. مَا أَرَادكُمْ أَنْ تَكُونُوا سَاقِطِي الهِمَّة، لَكِنَّه أَرَادكُمْ أَنْ تَعْرِفُوا أَنَّكُم قَادِرون عَلَى أَنْ تَتَغيَّروا وَتَخْلُصُوا في وَقْتٍ قَصِير. هَكَذَا يَزِيدُ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ رَهْبَتَهُم وَيُوقِظُهم ويَدْفَعُهم إِلَى التَّوبَةِ. إِنجِيلُ يُوحنَّا، المَوعِظَةُ ١١. ٣.[١٩]

الأَصلُ: كيرلُس الإِسْكَنْدَرِيّ: يَقُولُ إِنَّ المَسِيحَ فَأْسٌ «أَمْضَى مِنْ كُلِّ سَيْفٍ لَه حَدَّان»،[٢٠] لِيَقْطَعَ اليَهُودَ غَيْرَ المُؤمِنِين وَيَفْصِلَهُم عَنْ كَرَامَةِ البَطَارِكَةِ وَشِرْكَتِهِم. أَمَّا الَّذِينَ قَالَ عَنْهُم إِنَّهُم «الأَصْلُ» فَهُم الآبَاءُ الَّذِينَ أَرْضَوا اللهَ دَائمًا، فَكَانُوا مُقَدَّسِين مَع إِبراهيمَ وَمَع الكَثِيرِ مِنَ النَّاسِ في أَوْقَاتٍ سَابِقَةٍ. إِنَّ غَيرَ المُؤمِنِينَ الَّذِينَ تَفَرَّعُوا عَنْهُم قُطِعُوا وَكَأَنَّهُم فُرُوعٌ غَيرُ مُثْمِرةٍ. لَكِنَّ الأَصْلَ بَقِي، وَبِه طُعِّمَتِ الأُمَمُ المُؤمِنَةُ. وَكَمَا يُذَكِّرُنا إيريناوس فَإِنَّ كَلِمَةَ اللهِ، وَفْقًا لِقَوْلِ إِرْمِيَا، هُوَ كَالفَأْس: «وكَالمِطْرَقَةِ الَّتي تُحطِّمُ الصَخْرَ».[٢١] فَلِمَاذا

[١٦] أنظر أيّوب ٤١: ٢٤ (س ٤١: ١٥).

[١٧] MKGK 61

[١٨] PG 57: 195; NPNF 1 10: 70

إِنَّ بشَارَةَ يوحنَّا الدَّاعِيَةَ إِلى التَّوبَةِ أثارتِ الرَّهبَ وأعطتِ الأملَ. وبذلكَ جَمعَت بين التَّرهيبِ والوَعدِ.

[١٩] PG 57: 195; NPNF 1 10: 70

[٢٠] عبرانيين ٤: ١٢.

[٢١] إرميا ٢٣: ٢٩.

أَقُولُ إِنَّكُم ستسْقُطون؟ فالله لا يستَبْقِي الأَصْلَ. المقطع ٢٤.[٢٢]

الفَأْس. كَاتِبٌ مَجْهُولٌ: الفَأْسُ هي الغَضَبُ الشَّدِيدُ للدَّمَارِ الَّذي يَضْرِبُ العَالَمَ بأَسْرِه. إذَا كَانَ قَدْ أَعدَّ الفَأْسَ فلِمَاذا لا يَضْرِبُ بِهَا؟ وإذَا لَمْ يَكُنْ عَلَى وَشْكِ الضَّرْبِ، فَلِمَاذَا أَعَدَّهَا؟ الأَشْجَارُ[٢٣] الَّتي نتَكَلَّم عليهَا لَهَا خَاصِّيَّةٌ نَاطِقَةٌ، وَلَهَا القُدْرَةُ عَلَى عَمَلِ الخيرِ أَو عدمِه. وبِمَا أَنَّ الفَأْسَ وُضِعَتْ عَلَى أَصْلِهِم فَهُم يَخَافُونَ القَطْعَ، لأَنَّهم دُعوا إِلَى الإِتْيَانِ بالثَّمرِ. فَفَاعِلُ الشَّرِّ لا يُصْلِحُه الخَوْفُ. لَكِنَّ الإِنْسَانَ الصَّالِحَ سيهْلِكُ إِذَا لَمْ يُنْزِلِ اللّهُ به الرَّهْبَةَ المفِيدَةَ له. لذَلِكَ، حَتَّى لَو أَنَّ التَّرْهِيبَ لا يُؤَثِّر في فَاعِلِي الشَّرِّ، فإِنَّه يُسَاعِدُ عَلَى التَّمييزِ بَينَ الصَّالحِ وَالطَّالحِ. ومَعْ ذَلِكَ، لا يُقَالُ إِنَّ الفَأْسَ تُوضَعُ عَلَى الأَغْصَانِ لتُقْطَعَ، وَمِنْ ثَمَّ تَتَبرعَمُ ثَانِيَةً، إِنَّما تُوضَعُ عَلَى الأَصْلِ لتَسْتَأْصِلَها استِئصَالاً نِهَائيًّا. لِمَاذَا؟ فَمَا دَامَ هَذَا العَالَمُ قَدِ انْغَمَسَ في الشَّرِّ فَإِنَّه لَمْ يَصِلْ إِلَى الدَّيْنُونَةِ الأَخيرةِ بَعْدُ،[٢٤] فَالخَاطِئون يُؤَدَّبون، لَكِنَّهم لا يُستَأْصَلُونَ. وَذَلِكَ لسَبَبَين: أَوَّلاً، يَجِبُ عَلَى المتَجَاوِبين مَع الله أَنْ يكُونُوا فَاعِلِين في العَالَمِ، حَتَّى لَو كَانَ العَالَمُ مَلِيئًا بالظُّلْمِ. ثَانِيًا، مَع استِمْرَارِ العَالَمِ كَانَ هُنَاكَ أَمَلٌ بِأَنْ يُولَدَ بَعْضُ الأَبْرَارِ مِنْ أَجْيَالِ الظَّالِمِين. لَكِن الآن، مَع انْتِهَاءِ العَالَمِ القَدِيمِ، واقْتِرَابِ العَالَمِ المقَدَّس، فَالخَاطِئونَ لا يُؤَدَّبُونَ، إِنَّما يُطْرَدُون. هُنَاكَ أَمَلٌ بِأَنْ يُولَدَ مِنْ أَجْيَالِ الظَّالِمين بَعْضُ الصِّدِّيقِين. لكِنْ لا يَلِيقُ، في هَذَا العَالَمِ المقَدَّسِ الآتي، أَنْ يُوجَدَ، كَمَا كُتِبَ، أُنَاسٌ غَيْرُ مُقَدَّسِين: أَنْقِيَاءُ القُلُوبِ سَيَرِثُون الأَرْضَ، لَكِنْ «مَنْ يفْعَلِ الإِثْمَ يَسقطْ وَلا نُهُوضَ لَهُ».[٢٥] عَمَلٌ غَيرُ كَامِلٍ حَولَ مَتَّى، الموعظة ٣.[٢٦]

تَهْدِيدُ الدَّيْنُونَةِ الأَخِيرَة. كروماتيوس: الفَأْسُ تُشِيرُ إِلَى قُدْرَةِ الكَلِمَةِ المُقَدَّسَةِ، فالله يَقُولُ بِلِسَانِ النَّبِيِّ إِرْمِيَا: «أَمَا كَلِمَتِي كَالنَّارِ وَكالمِطْرَقَةِ الَّتي تُحَطِّمُ الصَّخْرَ»؟ لذَلِكَ كَانَتِ الفَأْسُ الَّتي وُضِعَتْ عَلَى أُصُولِ الإِيمَانِ الدَّاخِليِّ في الغَابَةِ الإِنْسَانيَّةِ، تُشيرُ دَائمًا إِلَى وَعِيدِ الدَّينونَةِ الإِلَهِيَّةِ. فَالأَشْجَارُ العَقِيمَةُ، أَو العُقَمَاءُ، الَّذينَ لا يُثْمِرون ثَمَرَ الإِيمَانِ، سَيُقْطَعُونَ ويُطْرَحُونَ في النَّارِ الأَبَدِيَّةِ. مَوعِظَةٌ حَولَ متَّى ١١. ١.[٢٧]

---

[٢٢] MKGK 160

[٢٣] ترمزُ إِلَى الكَائِنَاتِ البَشرِيَّةِ.

[٢٤] ١ يوحنّا ٥: ١٩.

[٢٥] مزمور ٣٦: ١٢ (٣٥: ١٢).

[٢٦] PG 56: 652

[٢٧] CCL 9a: 239

عَدمُ الإيمانِ يُبادُ. هيلاريون: إنَّ الفَأْسَ الموضُوعةَ عَلَى أَصْلِ الشَّجرِ تَشهَدُ للقُدْرةِ المَوْجُودَةِ في المَسيحِ. فقَطْعُ الشَّجرِ وحَرْقُها يدُلاَّنِ عَلَى تَدْميرِ الكُفْرِ العقِيمِ الَّذي أُعِدَّتْ لَهُ نارُ الدَّينونةِ. في متّى ٢. ٤.[٢٨]

٣:١١-أ أَنَا أُعمِّدُكُمْ بالماءِ

هيلاريون: إنَّ عَمَلَ الشَّريعةِ صارَ الآنَ غيرَ فاعِلٍ للخَلاصِ. فظَهَرَ يُوحنَّا رَسُولَ تَوْبةٍ إلى الَّذين سَيُعَمَّدُون. كانَتْ مُهِمَّةُ الأَنبياءِ أَنْ يُبْعِدوا النَّاسَ عَنْ خَطاياهُم، لكِنْ كانَ مِنَ اللاَّئقِ بالمَسيحِ أَنْ يُخلِّصَ المُؤمِنينَ. هَكذا قالَ يُوحنَّا إنَّه كانَ يُعمِّدُهم بمَعْموديَّةِ التَّوبةِ. وقالَ أَيضًا إنَّه يأْتي بَعْدَه مَنْ هُوَ أَقْوى مِنْه، وإنَّه لَيْسَ أَهْلاً لأَنْ يَخْلَعَ نَعْلَيه. وتَركَ للرُّسُلِ مَجْدَ نَشْرِ كَلِمةِ الله. فكانَ واجِبُهم أَنْ يُعْلِنوا سَلامَ الله بأَقْدامٍ واثِقةٍ.[٢٩] لذلِكَ يُشيرُ قَبْلَ وَقْتِ خَلاصِنا وإدانَةِ الرَّبِّ لَنا قائلاً: «إنَّه سَيُعمِّدُكم بالرُّوحِ القُدُسِ والنَّار».[٣٠] في متّى ٢. ٤.[٣١]

تَناغُمُ النِّعْمَةِ والدَّينونَةِ. الذَّهبيُّ الفَم: أَوَرأَيْتَ ما أَعْظَمَ حِكْمَةَ المعْمَدانِ: لَمَّا بَشَّرَهم استَرْهَبَهُم جِدًّا واستَحثَّهم عَلَى الجِهادِ الرُّوحيِّ؛ أَمَّا لَمَّا أَرْسَلَهُم إلى المَسيحِ فقَدْ كانَ لَطِيفًا ومَيَّالاً إلى شِفاءِ النَّاسِ، لِذا لَمْ يَذْكُرِ الفَأْسَ ولا الشَّجَرةَ المَقْطُوعَةَ والمُحْتَرِقَةَ والمُلْقاةَ في النَّارِ، ولا الغَضَبَ الآتي، بَلْ ذَكَرَ غُفْرانَ الخَطايا، وزَوالَ العِقابِ، والبِرَّ، والتَّقْديسَ، والفِداءَ، والتَّبنِّيَ، والأُخُوَّةَ، والمُشارَكَةَ في المِيراثِ، وزادَ الرُّوحِ القُدُسِ الوَفيرَ. لقَدْ أَلْمَعَ إلى كُلِّ هذِهِ الأُمُورِ إلْماعًا بقَولِه،[٣٢] وباسْتِعارَةِ الكَلامِ أَظْهَرَ وَفْرَةَ النِّعْمَةِ: لَمْ يَقُلْ سَيُعْطِيكُم الرُّوحَ القُدُسَ، بَلْ قالَ «وسيُعَمِّدُكم بالرُّوحِ القُدُسِ». وبتَخْصِيصِهِ النَّارَ مِنْ جِهَةٍ أُخْرى كانَ يَدُلُّ عَلَى نِعْمَتِه المُتَّقِدَةِ والمُتَعذِّرِ ضَبْطُها. إنجيلُ متّى، الموعظة ١١. ٤.[٣٣]

٣:١١-ب مَعْموديَّةٌ بالنَّارِ والرُّوحِ

النَّعْلانِ كَرَمْزٍ كِتابيٍّ. كروماتيوس: يَجِبُ أَنْ نُركِّزَ عَلَى مَعْنَى النَّعْلَينِ مِنَ الوَجْهَةِ الرُّوحِيَّةِ. نَعْرِفُ أَنَّ مُوسَى قالَ مُنْذُ عَهْدٍ بَعِيدٍ: «إخْلَعْ حِذاءَكَ مِنْ رِجْلَيكَ، لأَنَّ المَوضِعَ الَّذي أَنتَ واقِفٌ عَلَيهِ أَرْضٌ

(٢٨) SC 254: 106
(٢٩) أنظر رومية ١٠: ١٥.
(٣٠) متّى ٣: ١١.
(٣١) SC 254: 106-8
(٣٢) متّى ٣: ١١.
(٣٣) PG 57: 197; NPNF 1 10: 71

مُقَدَّسَةٌ»[٣٤] نَقْرأُ كذلِكَ أَنَّ يشوعَ بْنَ نون قَالَ الشَّيءَ عَينَه «إخْلَعْ نعليكَ مِنْ رِجلَيكَ».[٣٥] فَلِمَاذَا أَمرَهُم الرَّبُّ أَنْ يَخْلَعُوا أَحْذِيَتَهُم؟ يَجِبُ أَنْ نَفْهَمَ هَذا على أَنَّهُ رَمْزٌ لحقيقَةٍ مُقْبِلَةٍ. بالنِّسْبَةِ إلَى الشَّريعَةِ، إذا رَفَضَ الرَّجُلُ أَنْ يَتَّخِذَ امْرَأةَ أَخيهِ زَوْجَةً له بَعْدَ وَفَاةِ زَوجِها، عَلَيهِ أَنْ يَخْلَعَ نَعْلَيه، ليَتَزَوَّجَها إنْسَانٌ آخَرُ وَيُصبِحَ بمُوجَبِ الشَّريعَةِ وارِثًا. بالنِّسْبَةِ إلَى الوَصِيَّةِ المُنبأ عَنْهَا في الشَّرِيعَةِ، فَإِنَّنا نَجِدُهَا مُحقَّقَةً في المَسِيحِ الَّذي هُوَ عَريسُ الكَنِيسَةِ الحَقِيقيُّ. لذَلِكَ، لأَنَّ مُوسَى المُعْطِي الشَّريعَةَ يَعْجَزُ عن أَنْ يَكُونَ عَريسَ الكَنِيسَةِ، ويَشوعَ قَائدَ الشَّعبِ يَعْجَزُ كَذلِكَ، فَقَدْ قِيلَ لَهُما، لسَبَبٍ وَجيهٍ وَمُقنعٍ، إنَّهُما سَيَخْلَعَانِ نِعالَهما من أَقدامِهِما، لأَنَّ المَسِيحَ عَريسَ الكَنِيسَةِ المُستَقْبَليَّ مُنْتَظَرٌ. يَقُولُ يُوحَنَّا فِيهِ: «مَنْ لَه العَرُوسُ فَهوَ العَريسُ».[٣٦] إنَّ يُوحَنَّا نَفْسَهُ اعتَرَفَ بأَنَّه غَيْرُ أَهْلٍ لأَنْ يَحْمِلَ أَو أَنْ يَحِلَّ حِذاءَ يَسُوع. فَالرَّبُّ نَفْسُه أَعْلَنَ عبر دَاوِدَ أَنَّ النَّعْلَين تَدُلاَّن عَلَى خُطُواتِ التَّبْشِيرِ بالإنْجِيل، حِينَ قَالَ: «وَعَلَى أَدُومَ أُلقي حِذَائي»؛[٣٧] يوحنّا، عبر تَلامِيذِهِ، يتَّخِذُ خُطُواتِ الإنْجِيلِ مُعلِّمًا في كلِّ مَكَانٍ. موعظةٌ حولَ متَّى ١١. ٤.[٣٨]

نَارُ الرُّوحِ. كيرلّس الإسكندريّ: قَرَنَ المعْمَدانُ المبَارَكُ مَعْنَى الرُّوحِ بفعْلِ النَّارِ وَمَعْنَاهَا، قَائلاً إنَّنا جَمِيعَنَا لا نَعْتَمِدُ بالمَسِيحِ في النَّارِ، فَدَلَّ بذَلِكَ عَلَى أَنَّ في مَعْنَى النَّارِ قُوَّةَ الرُّوحِ المُنْشِئَةِ الحَيَاة. المقطعُ ٢٧.[٣٩]

النَّارُ تُطَهِّرُ. ثيودور أُسْقُف هيراقلية. تُسْتَعْمَلُ لَفْظَةُ «وَرائي» بِمَعْنَى «بَعْدي». ولَفْظَةُ «الآتي» قيلَتْ بَدَلاً مِنَ «الظَّاهِر». وَلِكَي تَقْبَلَ أَنْفُسُ القِدِّيسِين سِرَّ التَّقْوَى قِيلَ إنَّهُم يُعَمَّدُونَ «بالنَّارِ» بكُلِّ نَقَاءٍ. ذَلِكَ لأَنَّ الرُّوحَ نَزَلَ أَوّلاً عَلَى التَّلامِيذِ في أَلْسِنَةٍ نَارِيَّةٍ، فَتَعَمَّدُوا عبرها وَصَارَتْ أَنْفُسُهم كَامِلَةً،[٤٠] أَو لأَنَّ الجَمِيعَ، في الدَّهْرِ الآتي، سَيُعَمَّدُونَ بالنَّارِ، إذْ إنَّ «كُلَّ امْرِئٍ سَيُمَلَّحُ بالنَّارِ».[٤١] «أَلنَّارُ سَتَمْتَحِنُ قِيمَةَ عَمَلِ كُلِّ وَاحِدٍ».[٤٢] أَلنَّارُ مُخَصَّصَةٌ للمَادَّةِ، وَهِي

[٣٤] خروج ٣: ٥.
[٣٥] يشوع ٥: ١٥.
[٣٦] يوحنّا ٣: ٢٩.
[٣٧] مزمور ٦٠: ١٠ (٥٩: ١٠).
[٣٨] CCL 9a: 240-41
[٣٩] MKGK 161
[٤٠] أعمال ٢: ٣.
[٤١] مرقس ٩: ٤٩.
[٤٢] ١ كورنثوس ٣: ١٣.

لَيْسَتْ في ذَاتِها شرِّيرةً ولا سَيِّئَةً، بَلْ إنَّها قَويَّةٌ وَقَادِرَةٌ علَى أَنْ تُطهِّرَنا مِنَ الشَّرِّ. فَقُدْرَةُ النَّارِ مُدْرِكَةٌ وَقَوِيَّةٌ، ومُدَمِّرَةٌ للأُمُورِ الشِّرِّيرَةِ وَحَافِظَةٌ للأُمُورِ الصَّالِحَةِ. لِهَذَا السَّبَبِ فالنّار تَرْتَبِطُ بالحِكْمَةِ عِنْدَ الأَنْبِيَاءِ. فعِنْدَما يُسَمَّى اللّه «نَارًا آكِلَةً»،[٤٣] يُفْهَمُ ذَلِكَ لا كَرَمْزٍ أَوْ كَاسْمٍ لِلْشَّرِّ، بَلْ كاسمٍ للقُدْرَةِ. كَمَا أَنَّ النَّارَ هِيَ أَقْوَى العَنَاصِرِ وَتَنْتَصِرُ عَلَى كُلِّ شَيءٍ، هَكَذَا فَإِنَّ اللّهَ الكُلِّيَّ القُدْرَةِ، وَالضَّابِطَ الكُلَّ، قَادِرٌ عَلَى الحِفظِ وَالخَلْقِ وَالصُنْعِ وَالتَّغْذِيَةِ وَالخَلاصِ، وَلَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الجَسَدِ وَالنَّفس. فَكَمَا تَتَفَوَّقُ النَّارُ عَلَى كُلِّ العَنَاصِرِ، هَكَذَا لا مَثِيلَ للقَدِيرِ بَيْنَ الآلِهَةِ وَالقُوَى وَالسَّلاطِين.

إنَّ للنَّارِ قُوَّةً ثُنَائِيَّةً. فمِنْ جِهَةٍ، هِيَ مُنَاسِبَةٌ لِتَكوِينِ الثَّمَرِ وَنُضُوجِهِ، وَكَذَلِكَ لِولادَةِ الحَيَوانَاتِ وَنُمُوِّهِم. فَالشَّمْسُ هِيَ الصُّورَةُ الأُولَى لِهَذِه القُدْرَةِ. وَمِنْ جِهَةٍ أُخْرَى، النَّارُ صَالِحَةٌ للدَّمَارِ وَالهَلاكِ، كَمَا هِيَ الحَالُ مَعَ النَّارِ الدُنيَوِيَّةِ. فَعِنْدَمَا يُسَمَّى اللّه نَارًا «آكِلَةً» قَادِرَةً عَلَى التَّدمِير، فَإِنَّه يُسَمَّى قُدْرَةً عَظِيمَةً لا تُقَاوَمُ. فَاللّه لا يُعْجِزُه شَيءٌ، وَلَكِنَّه قَادِرٌ عَلَى إِبَادَةِ كُلِّ شَيءٍ. في هَذَا المَعنَى يَقُولُ المُخَلِّصُ: «جِئتُ لأُلقِيَ نَارًا».[٤٤] هَذِه قُدْرَةٌ تُطهِّرُ القِدِّيسِين، وَتَجْعَلُ الأُمُورَ المَادِّيَّةَ تَخْتَفِي، وَنَكَادُ نَقُولُ إِنَّها تُثَقِّفُ. النَّارُ تُثِيرُ الرُّعْب. وَنُورُهَا يَشُعُّ شَعًّا. المقطع ١٨.[٤٥]

٣-١٢ القَمْحُ والعُصَافَةُ

البَيْدَر. كَاتِبٌ مَجْهُولٌ: ألبَيْدَرُ هُوَ الكَنِيسَةُ، ألمَخْزَنُ هُوَ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ، وَالحَقْلُ هُوَ العَالَمُ. لِذَلِكَ، كَمَا يُرْسِلُ رَبُّ البَيْتِ الحَصَّادِينَ لِيَحْصِدوا سَنَابِلَ الحَقْلِ وَيُحْضِرُوهَا إِلَى البَيْدَرِ، لِيَتِمَّ دَرْسُهَا وَغَرْبَلَتُهَا، وَفَصْلُ القَمْحِ فيها عَنِ العُصَافَةِ، هكَذَا يُرْسِلُ الرَّبُّ تَلامِيذَهُ وَمُعَلِّمِين آخَرِين كَحَصَّادِينَ، فَيَقْطَعُ النَّاسَ أَجْمَعِين في العَالَمِ وَيَجْمَعُهُم عَلَى بَيْدَرِ الكَنِيسَةِ، حَيثُ يَتُمُّ دَرْسُهُم وَغَرْبَلَتُهم. فَكَمَا تَعْجَزُ حَبَّةُ القَمْحِ المُغَلَّفَةُ في العُصَافةِ عن أَنْ تَتَخَلَّصَ مِنْهَا مَا لَمْ تُدْرَسْ أَوَّلاً، كَذَلِكَ يَصْعُبُ عَلَى المَرْءِ أَنْ يَتَخَلَّصَ مِنَ المَشَاغِلِ الدُّنْيَوِيَّةِ والمَسَائِلِ الجَسَدَانِيَّةِ مَا دَامَ مُغَلَّفًا بِالعُصَافَةِ، مَا لَم يَهُزَّهُ الضِّيقُ. لاحِظْ أَنَّ حَبَّةَ القَمْحِ الكَامِلَةَ عِنْدَمَا تُذْرَى تَتَخَلَّصُ مِنْ عُصَافَتِها. وَإِذَا كَانَتْ رَقِيقَةً فَإِنَّها تَأْخُذُ بَعْضَ الوَقْتِ

[٤٣] تثنية ٤: ٢٤؛ عبرانيّين ١٢: ٢٩.
[٤٤] لوقا ١٢: ٤٩.
[٤٥] MKGK 61-62

للتّخلُّص منْها. وإذا كانتْ فارغةً فإنّها لا تخرُجُ أبدًا، إنّما تقعُ علَى الأرْضِ معْ عُصافتِها وتُرْمى مع التّبن. بهذهِ الطَّريقةِ، كُلُّ من يُسرُّ بأُمُورِ الجسدِ يكونُ مِثْلَ القمْحِ والعُصافةِ. لكنَّ المؤمنَ، ذا القلبِ الطيِّبِ، متَى حلّتْ بهِ مُصِيبةٌ يتجاهلُ تِلْكَ الحاجاتِ الدُّنْيويّةَ ويُسارِعُ إلَى اللهِ. أمَّا إذا كانَ قليلَ الإيمانِ فإنّه سيَرجِعُ إلَى اللهِ بصُعُوبةٍ كَبيرةٍ. ولكِنَّ غيرَ المؤمِنِ، الفارغَ، معْ أنّه يتأسّفُ لظُرُوفِهِ، يخْرُجُ مِنَ العُصافةِ كالقمْحةِ الفارغةِ. فهُو لا يتخلّى عَنِ الأُمُورِ الجسْدانيّةِ والمشاغِلِ الدُّنيويّةِ، ولا ينْتقِلُ إلَى اللهِ، إنّما يبْقى مُتأصِّلا في الأُمُورِ الدُّنيويّةِ، وهكذا يُطْردُ معْ غيرِ المؤمِنين مِثْلَ العُصافةِ. عملٌ غيرُ كاملٍ حولَ متَّى، موعظة ٣.[٤٦]

القمْحُ والعُصافةُ. هيلاريون: يبْقَى للّذينَ تعمَّدُوا في الرُّوحِ القُدُسِ أنْ تلْتهِمَهُم نارُ الدَّينُونةِ، لأنَّ «المِذْراةَ في يدِهِ، وسَيُنقّي بَيْدرَهُ ويجْمعُ قمْحَهُ في مخْزَنِهِ؛ لَكِنَّ العُصافةَ ستُحْرقُ بنارٍ لا تخْمُدُ». إنّ وظِيفةَ المِذْراةِ هِي أنْ تفْصُلَ المُثْمِرَ عَنِ العقِيمِ. فالقرارُ هُوَ في يدَي اللهِ وهذا يُشارُ إليهِ بقمْحِهِ الرّائعِ، بثَمرِ المؤمِنين النّاضِجِ المخْزونِ في الأهْراءِ. لكِنَّ العُصافة تُشيرُ إلى تفاهةِ منْ لا خيرَ فيه ولا ثِمار فيه الّذي يَصْلُحُ للقذفِ بهِ في نارِ الدَّينُونةِ الحارِقةِ. في متّى ٢. ٤.[٤٧]

[٤٦] PG 56: 655

[٤٧] SC 254: 108

٣: ١٣-١٧ مَعْمُوديّةُ يسوعَ

[١٣]في ذلكَ الوقتِ جاءَ يَسوعُ مِنَ الجليلِ إلى الأُردنِّ ليتَعَمَّدَ على يدِ يوحنّا. [١٤]فجعلَ يوحنّا يُمانعُه ويقولُ لَه: «أنا أحتاجُ إلى أنْ أتعمَّدَ على يدِكَ، وأنتَ تأتي إليَّ؟» [١٥]فأجابَهُ يَسوعُ: «دَعِ الآنَ، فهكذا يَحسنُ بنا أنْ نُتَمِّمَ كلَّ برٍّ». فتركَه.
[١٦]وتعمَّدَ يَسوعُ وطلعَ في الحالِ مِنَ الماءِ. وإذا السماواتُ انفتَحت، فرأى رُوحَ اللهِ يَهبِطُ كأنّهُ حَمامةٌ وينزِلُ عليهِ. [١٧]وإذا صوتٌ مِنَ السَّماءِ يقولُ: «هذا هوَ ابني الحبيبُ الّذي بِهِ سُرِرتُ».

نَظْرَةٌ عَامَّةٌ: قبلَ يَسُوعُ مَعْمُوديَّةَ يُوحَنَّا بِمِلءِ حُرِّيَّتِه، لِيُتِمَّ بكُلِّ تَواضُعٍ بِرَّ الشَّرِيعَةِ، فيُصَادِقَ بمعمُوديَّتِه عَلَى خِدْمَةِ يُوحَنَّا في التَّعْمِيدِ، وَبِتَقْدِيسِ المِيَاهِ يَظْهَرُ مَجِيءُ الرُّوحِ القُدُسِ في تَعْمِيدِ المُؤْمِنِين (جيروم). لَمَّا اعْتَمَدَ يَسُوعُ كَرَّسَ مِيَاه مَعْمُوديَّتِنا للاسْتِعْمَالِ اللِّيتورجيِّ. وبِمَا أنَّه كَانَ مُنَزَّهًا عَنِ الخَطِيئَةِ، فهو لم يَكُنْ بحَاجَةٍ شَخْصِيَّةٍ إِلَى المَعْمُوديَّةِ. (هيلاريون، ثيودور المبسوستيّ). أَمَّا المُؤمِنُ فيَنْتَقِلُ بالمَعْمُوديَّةِ رَمْزِيًّا مِنْ هَذِهِ الحَيَاةِ الحَاضِرَةِ، وتُعْطَى لَهُ الحَيَاةُ الآتِيَةُ. رَأَى يَسوعُ أَنَّ هَذِهِ المُمَارسَةَ يَجِبُ أَنْ تَتِمَّ كُلُّهَا في نَفْسِه أَوَّلاً (ثيودور المبسوستيّ). ولَمَّا رَأَى النَّاسُ أَنَّ الابنَ يَعْتَمِدُ كَأَنَّه خَاطِئٌ، طُرِحَ السُّؤَالُ حَولَ البَرَاءَةِ الَّتي شَهِدَ لَهَا المِعْمَدانُ (كَاتِبٌ مَجْهولٌ). لَمْ يشَأْ يُوحنَّا أَنْ يَسْتَخْلِصَ المرءُ أَنَّ يسوعَ جَاءَ إِلَى الأُردنِّ لِيَنْدَمَ عَلَى خَطَايَاه، لذَلِكَ دعَاه، للحَالِ، الحَمَلَ وَمُخَلِّصَ العَالمِ مِن كُلِّ خَطيئَةٍ (الذَّهَبيُّ الفم). طَلَبَ يُوحَنَّا الاعتِذَارَ عَمَّا أَشَارَ عَلَيهِ يَسوعُ بِفِعْلِه، فَهُوَ يَعلَمُ أَنَّ المَعْمُوديَّةَ ضَرورِيَّةٌ لِمَن أَثِمَ لا لِمَنْ جَاءَ لِيُطَهِّرَ العَالَمَ مِنْ آثَامِهِ (كروماتيوس). جَاءَ يَسوعُ لِيُزيلَ اللَّعْنَةَ الَّتي تُصَبُّ عَلَى رُؤُوسِ مُخَالِفِي الشَّرِيعَةِ. فقَبْلَ كُلِّ شَيءٍ كَانَ عَلَيهِ أَنْ يُتَمِّمَ كُلَّ الشَّرِيعَةِ، وَأَنْ يُزِيلَ اللَّعْنَةَ (كروماتيوس). فَمَن كَانَ كَامِلاً وَفْقَ الشَّرِيعَةِ (ثيودور أسقف هيراقلية) مَاثَلَ نَفْسَهُ في المَعْمُوديَّةِ مَعَ كُلِّ من يَنْتَمي إِلَى الطَّبِيعَةِ البَشرِيَّةِ (كَاتِبٌ مَجْهولٌ). لَوْ لَمْ يُشَبِّهْ يَسوعُ نَفْسَهُ بحُرِّيَّةٍ مَعِ البَشَرِ لَمَا جَاءَ مَعَهُم لِيَعْتَمِدَ عَلَى يَدِ يوحنَّا. ولذلِكَ، لَمَّا اعتَمَدَ أَعْلَنَ صوتٌ مَع الرُّوحِ بوُضُوحٍ هويّتَه بأَنَّه الابنُ الأَوْحَدُ (الذَّهَبيُّ الفم). لَمْ يَعْتَمِدِ الرَّبُّ مِنْ أَجْلِ نَفْسِهِ، إِنَّما مِنْ أَجْلِنا، لِيُتِمَّ كُلَّ بِرٍّ (كروماتيوس). كَانَتْ مَعْمُوديَّةُ يُوحَنَّا كَامِلَةً وَفْقَ سُنَّةِ الشَّرِيعَةِ، لَكِنَّها كَانَت غيرَ كَامِلَةٍ في أَنَّها لَمْ تُقَدِّمْ غُفرانًا للخَطَايَا الآتِيَةِ. كَانَت غَايتُها إِعْدَادَ النَّاسِ لِتَقَبُّلِ المَعْمُوديَّةِ الكامِلَةِ (ثيودور المبسوستيّ). إِنَّ الحَمَامَةَ تُشيرُ إِلَى الوَدَاعَةِ وَالمُصَالَحَةِ (أوريجنس)، والمَحَبَّةِ وَالوَلاءِ الثَّابتِ (ثيودور المبسوستيّ). فَالحَمَامَةُ وَالصَّوتُ أَعْلَنَا هويَّةَ الابنِ للعَينِ وَالأُذنِ (هيلاريون). التَّعْلِيمُ الثَّالُوثيُّ جُزءٌ لا يَتجَزَّأُ مِنْ صَوتِ الآبِ الخَاصِّ بالابنِ عبر نُزُولِ الرُّوحِ القُدُسِ (أوغسطين).

٣:١٣ جاءَ يَسوعُ مِنَ الجليلِ إلى الأُردنِّ ليَتَعَمَّدَ على يَدِ يُوحنّا

فيمَا كَانَ يُوحنّا يُعَلِّمُ. كَاتِبٌ مَجْهولٌ: أَتَى المَسِيحُ، لِكَي تُعْلِنَ هَذِه الشَّهَادَةُ حقيقَتَه. في مَعْمُوديَّتِه انفَتَحَتِ السَّماوَاتُ وَنَزَلَ الرُّوحُ القُدُسُ، تَكَلَّمَ الآبُ مِنَ السَّمَاءِ، وَبذَلِكَ ظَهَرَ أَنَّ الَّذي اعتمَدَ عَلَى يَدِ يُوحَنَّا كَانَ أَكثرَ اسْتِحْقَاقًا مِنْ يُوحَنَّا. بِهَذِه الطَّريقَةِ جَاءَ إبْليسُ، لكِنَّ النُّورَ لم يَنْتَظِرْ سُقُوطَ إبْلِيسَ لِيَظْهَرَ. وَلمَّا جَاءَ {المَسِيحُ} بَرَزَ نُورُه فَحَجَبَ لمَعَانَ {يُوحنَّا}. وَبِهَذِه الطَّرِيقَةِ جَاءَ وَعْظُ يُوحنَّا قَبْلَ مَجِيءِ المَسيحِ. فَالمَسِيحُ لَمْ يَنْتَظِرْ يُوحنَّا لِيُكمِلَ مُهِمَّتَه قَبْلَ ظُهُورِه عَلَى مَسْرَحِ الأَحْدَاثِ، إِنَّمَا ظَهَرَ فِيمَا كَانَ يُوحَنَّا يُعَلِّمُ. فَإذَا قَارَنَّا تَعْلِيمَ يَسوع وَعَمَلَهُ بِيُوحَنَّا لَوَجَدْنَا أَنَّ عَمَلَ يُوحَنَّا وَدَوْرَه أَخَذَا بِالتَّضَاؤُلِ بِاسْتِمْرَارٍ. فَبَعْدَ أَنْ بَدَأَ يَسُوعُ يَعِظُ كُلَّ الَّذِينَ احتَشَدُوا حَوْلَهُ، انحَجَبَ نُورُ تَعْلِيمِ يوحَنّا. عَمَلٌ غَيرُ كَامِلٍ حَوْلَ متّى، الموعظة ٤.[1]

لِمَاذَا اعتَمَدَ المَسِيحُ المُنَزَّهُ عَنِ الخَطِيئةِ. كَاتِبٌ مَجْهُولٌ: طَافَ يُوحَنَّا يُبَشِّرُ قَائِلاً: «تُوبُوا، لأَنَّ مَلَكُوتَ السَّمَاواتِ اقْتَرَب»![2] وَجَاءَ يَسُوعُ لِيَتَسَلَّمَ شَهَادَةَ يُوحَنَّا وَيُثْبِتَ بِشَارَتَه: «هَا هُوَ حَمَلُ اللهِ الَّذي يَرْفَعُ خَطِيئَةَ العَالَمِ».[3] هَكَذَا، لَمَّا رَأَى بَعْضُهم المَسِيحَ المُنَزَّه عَنِ الخَطِيئةِ يَعْتَمِدُ، قَالَ بَعْضُهم لِبَعْضٍ: «إذا اقتَنَعَ مَنْ شَهِدَ المَعْمَدانُ لطُهْرِه أَنَّه كَانَ عَليهِ أَنْ يَعْتَمِدَ، فَكَم نَسْتَطيعُ نَحْنُ الَّذينَ تَكَاثَرَتَ عَلَينَا الذُّنُوبُ أَنْ نَزْدَرِيَ بالتَّوبَةِ»؟ هُنا يَجِبُ أَنْ نَتَذَكَّرَ أَنَّ يُوحَنَّا نَفْسَه شَهِدَ قَائلاً: «أَنَا أُعَمِّدُكم بالمَاءِ للتَّوبةِ، لكِنْ مَنْ يَجيءُ بَعْدِي هُوَ أَقْوَى مِنِّي، وَلا أَسْتَحقُّ أَنْ أَحْمِلَ حِذَاءَه، هُوَ يُعَمِّدُكم بالرُّوحِ القُدُسِ». عَمَلٌ غَيرُ كَامِلٍ حَولَ متَّى، الموعظة ٤.[4]

مِياهُ المَعْمُودِيَّةِ تَقَدَّسَت. هيلاريون: كَانَ في يَسوعَ المَسِيحِ الإنْسَانُ الكَامِلُ. هَكَذا فَالجَسَدُ الَّذي اتَّخَذَهُ أَتَمَّ بِهِ، عبر طَاعَتِه للرُّوحِ القُدُسِ، كُلَّ سِرِّ الخَلاصِ. لذَلِكَ أَتَى إلى يُوحَنَّا، مَولُودًا لامْرأَةٍ،[5] مُرتَبِطًا بالشَّرِيعَةِ، وَصَائرًا جَسَدًا بالكَلِمَةِ.[6] لذَلِكَ لَمْ تَكُنْ هُنَاكَ حَاجَةٌ عِنْدَه لِيَعْتَمِدَ، إِذ قِيلَ فِيه: «لَمْ يَرْتَكِبْ خَطِيئَةً».[7] فَحَيْثُ لا تُوجَدُ

---

[1] PG 56: 657

[2] متّى ٣: ٢.

[3] يوحنّا ١: ٢٩.

[4] PG 56: 657

[5] أنظر غلاطية ٤: ٤.

[6] أنظر يوحنّا ١: ١٤.

[7] ١ بطرس ٢: ٢٢.

خَطِيئَةٌ يَكُونُ الغُفْرَانُ نَافِلاً. لَقَدِ اتَّخَذَ المَسِيحُ جَسَدًا وَاسْمًا مِنْ خَلِيقَتِنا لا عَنْ حَاجَةٍ، فَهُوَ لَمْ يَحْتَجْ إِلَى المَعْمُودِيَّةِ. بِالأَحْرَى، إِنَّه بِمَعْمُودِيَّتِه صَارَ عَمَلُ تَطْهِيرِنا مُقَدَّسًا. في متّى ٢. ٥.[٨]

مَا إِذَا كَانَ المُعمِّدُ أَعْظَمَ مِنَ المُعَمَّدِ. أوريجنّس: بِهَذَا العَمَلِ أَظْهَرَ يَسُوعُ أَنَّه «وَدِيعٌ وَمُتَوَاضِعُ القَلْبِ».[٩] يَأْتِي إِلَى الدُّنَى مُحَقِّقًا كُلّ مَا حَدَثَ، مُتَّضِعًا مُطِيعًا «حَتَّى الموت».[١٠] فَالمُعَمِّدُ لا يكُونُ دَائمًا أَعْظَمَ مِنَ المُعَمَّدِ. فَحَنَانيًا لَمْ يكُنْ أَعْظَمَ مِنْ بُولُس.[١١] ولَمَّا اعتَمَدَ فيليبُّس[١٢] أَعْطَاه بُطْرُسُ الرُّوحَ القُدُسَ عبر وَضْعِ الأَيْدي.[١٣] المقطع ٥٢.[١٤]

لِمَاذَا قَبِلَ يَسُوعُ مَعْمُودِيَّةَ يُوحَنَّا؟ جيروم: قَبِلَ المُخَلِّصُ مَعْمُودِيَّةَ يُوحَنَّا لثلاثةِ أَسْبَابٍ: أَوّلاً، لأَنّه وُلِدَ كَإِنْسَانٍ ليُتِمَّ كُلَّ بِرٍّ وَكُلَّ تَواضُعٍ في الشَّرِيعةِ. ثَانِيًا، لِيُثَبِّتَ بِمَعْمُودِيتِّه مَعْمُودِيَّةَ يُوحَنَّا. وثَالِثًا، لِيُقدِّسَ مِياهَ الأُرْدُنِّ بِنُزُولِ الحَمَامَةِ، مُظْهِرًا مَجِيءَ الرُّوحِ القُدُسِ في مَعْمُودِيَّةِ المُؤمِنِين. تَفْسِيرُ متّى ١. ٣. ١٣.[١٥]

لِمَاذَا تَعَمَّدَ. ثيودور المبسوستيّ: يَتَسَاءَلُ الكَثِيرُونَ مَا هِيَ المَعْمُودِيَّةِ التي اعْتَمَدَ بِهَا الرَّبُّ؟ مَاذَا تبْتَغِي مَعْمُودِيَّةُ رَبِّنَا وَمُخَلِّصِنَا يَسُوعَ المَسِيحِ الَّذي مِنْ أَجْلِ خَلاصِ الكُلِّ صَارَ بَشَرًا؟ لَقَدْ قَدَّمَ نَفْسَه لِيُظْهِرَ بَدْءَ حَيَاةٍ مُسْتَغْرَبَةٍ، عَلَى أَسَاسِ أَنَّه دُعِيَ آدَمَ، إِذْ بِهِ وبِجَمِيعِ البَشَرِ القَائمين صَارَ بَدْءَ حَيَاةٍ أَبَدِيَّةٍ. بِهَذِه الطَّرِيقَةِ كَان آدمُ رَئِيسَ هَذِه الحَيَاةِ الفَانِيَةِ والوَقتِيَّة. إِنَّ يَسُوعَ مَثَّل في ذَاتِه كُلَّ مَا يَنْتَسِبُ إِلَيْنَا. فَكمَا مَاتَ وَقَامَ، كَذَلِكَ سَنَمُوتُ نَحنُ ونَقُومُ. وَبِمَا أَنَّنا بِالضَّرُورَةِ سَنَنْتَقِلُ بِالمَعْمُودِيَّةِ رَمْزِيًّا مِنْ هَذِه الحَيَاةِ الحَاضِرَةِ ونَسْتَقِرُّ لُزُومًا في الحَيَاةِ الآتِيَةِ، رَأَى أَنَّ هَذِه المَعْمُودِيَّةَ يَجِبُ أَنْ تَتِمَّ فِيهِ أَوَّلاً. فَفِي تَدْبِيرِه تَلَقَّى أَوَّلاً مَعْمُودِيَّةَ التَّبَنِّي بِالمَاءِ وَالرُّوحِ. وبِذَلِكَ أَظْهَرَ هَذِهِ المَعْمُودِيَّةَ عَظِيمَةً وَشَرِيفَةً، لِمُجَرَّدِ أَنَّه هُوَ قَبِلَهَا وَارتَضَاهَا. أَضِفْ إِلَى ذَلِكَ أَنَّه عَاشَ عَيْشَ الَّذين هُم خَارِجَ شَرِيعَةِ النِّعْمَةِ، الَّتي عَيْشُهَا واجِبٌ عَلينا. مِنَ اللائقِ أَنْ يُصْبِحَ الرَّبُّ، بِتَوَاضُعِهِ كَإِنْسَانٍ مِن الشَّعْبِ، خَاضِعًا للنَّبيِّ والمعْمَدَانِ، ليُقَدِّسَ

(٨) SC 254: 108
(٩) متّى ١١: ٢٩.
(١٠) فيليبّي ٢: ٨.
(١١) أعمال ٩: ١٠- ١٨.
(١٢) أعمال ٨: ١٣، ٣٨.
(١٣) أعمال ٨: ١٧.
(١٤) GCS 41.1: 36
(١٥) CCL 77: 18-19

المِياهَ ويَمْنَحَنَا غُسْلَ المِيلادِ الثَّاني والتَّبَنِّيَ وَغفْرانَ الخَطَايَا وكُلَّ الصَّالِحَاتِ الموهُوبَةِ لَنَا بالمَعْمُوديَّةِ، مُمَثِّلاً إيَّاها في نَفْسِه. وَبِكَونِه اللهَ «الَّذي يَرْفَعُ خطيئةَ العَالمِ»[١٦] لَمْ يَكُنْ بحَاجَةٍ إلى المعموديَّةِ. المقطع ١٤.[١٧]

٣:١٤ فَجَعَلَ يُوحنَّا يُمَانِعُهُ

لَمْ يَكُنْ يَسُوعُ هُنَاكَ للتَّوبَةِ. الذَّهبيُّ الفَم: بما أنَّ مَعْمُوديَّةَ يُوحنَّا كَانَتْ مَعْمُودِيَّةَ التَّوبةِ، فَقَدْ كَانَتْ غَايَتُها حَمْلَ الخَاطِئينَ عَلَى إدَانَةِ خَطَايَاهُم. وَخِشْيَةَ أَنْ يَظُنَّ أَحدُهم أَنَّ يسوعَ نَفْسه جَاءَ إلَى الأُرْدُنِّ لِهَذِه الغَايَةِ، تَفَادى يُوحنَّا ذَلِكَ مُنْذُ البَدءِ دَاعِيًا إيَّاه الحَمَلَ ومُخَلِّص المَسْكُونَةِ مِنْ كُلِّ الخَطَايَا. فَمَنْ كَانَ قَادِرًا على أَنْ يَمْحُوَ خَطَايَا الجِنْسِ البَشَرِيِّ لا يُمْكِنُ إلاّ أَنْ يكُونَ نَقيًّا مِنْ كُلِّ شَائِبَةٍ. إنجيلُ متّى، الموعظة ١٢. ١.[١٨]

لِمَاذَا حَاوَلَ يُوحنَّا أَنْ يُمَانِعَه. كَروماتيوس: جَاءَ يَسُوعُ لِيُتِمَّ كُلَّ أَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ، فتعَمَّدَ عَلَى يَدِ يُوحنَّا في جَلِيلِ نَهْرِ الأُرْدنّ. لكِنَّ يُوحنَّا، لَمَّا اعْتَرَفَ بِالرَّبِّ إلهًا بِإلْهَامِ الرُّوحِ القُدُسِ، أَعْلَنَ أَنَّه لَيْسَ أَهلاً لأَنْ يَحْمِلَ حِذَاءَه. طَلَبَ المَعْذِرَةَ مِمَّا طَلَبَ مِنْه فِعْلَهُ، لأَنَّه عَجِزَ عَنْ إدْرَاكِ ضَرورَةِ المَعْمُوديَّةِ لِمَن عَرَفَه أنَّه يَأْتي لِيَمْحُوَ خَطَايا العَالَم. بالأَحْرَى نَاشَدَهُ أَنْ يَعْتَمِدَ هُوَ نَفْسُهُ عَلى يَدِ المَسِيحِ، قَائِلاً: «إنّي أَنا الَّذي يَجِبُ أَنْ أَعْتَمِدَ عَلى يَدِكَ، وَأَنْتَ تَأْتي إليَّ»؟ وَكَأَنَّه يَقُولُ، «أَنا بَشَرٌ. وَأَنْتَ الله. أَنا آثِمٌ، لأَنّي أَنا بَشَرٌ. أَنْت مُنَزَّهٌ عَنِ الخَطيئةِ، لأَنَّكَ أَنْتَ الله. لِمَاذَا تُريدُ أَنْ تَعْتَمِدَ عَلى يَدَيَّ؟ فَلا أَرْفُضُ مَا تُبدِي لي مِن احْتِرامٍ، لَكِنَّني أَجْهَلُ هَذا السِّرَّ. إنّي أُعمِّدُ الخَاطِئينَ في التَّوبةِ. لَكِنَّكَ طَاهِرٌ مِنْ كُلِّ رَجَاسَةٍ وَإِثْمٍ. فَلِمَاذا تُريدُ أَنْ تَعْتَمِدَ كَخَاطِئٍ وَأَنت جِئْتَ لتَغْفِرَ الخَطَايَا؟ هَذا مَا قَالَهُ يُوحنَّا للرَّبِّ حقًّا. موعظةٌ حَوْلَ متّى ١٢. ١.[١٩]

٣:١٥ لِيُتَمِّمَ كُلَّ بِرٍّ

اعتَمَدَ يَسُوعُ من أَجْلِنا. كروماتيوس: يَمْتَحِنُ الرَّبُّ هُنَا اسْتِعْدَادَ المُؤمِنِ للخِدْمَةِ، لِكَي يُظْهِرَ سِرَّ تَدْبِيره بِقَولِه: «دَعِ الآنَ، فَهكَذَا يَحْسُنُ أَنْ نُتَمِّمَ كُلَّ بِرٍّ»، مُظْهِرًا أَنَّ

[١٦] يوحنّا ١: ٢٩.
[١٧] MKGK 101
[١٨] PG 57: 203; NPNF 1 10: 75
[١٩] CCL 9a: 244

هَذَا هُوَ بِرٌّ حقِيقِيٌّ، وَأَنَّ الرَّبَّ السيِّدَ يَجِبُ أَنْ يُتَمِّمَ كُلَّ سِرِّ خَلاصِنا. لذَلِكَ لَمْ يَشأِ الرَّبُّ أَنْ يَعْتمِدَ مِنْ أَجْلِ نَفْسِهِ، بَلْ مِنْ أَجْلِنا، ليُتمِّمَ كُلَّ بِرٍّ. عَلَى المَرْءِ أَنْ يَفْعَلَ أَوّلاً ما يُعلِّمُ الآخرينَ أَنْ يَفْعَلُوه. وَبِمَا أَنَّ الرَّبَّ وَسَيِّدَ الجِنْسِ البَشَرِيِّ جَاءَ، فَقَدْ شَاءَ أَنْ يُعلِّمَ بِمِثالِه مَا يَجِبُ عَلَى التَّلامِيذِ أَنْ يَفْعَلُوه ليَتْبعُوا سَيِّدَهُم، وَمَا يَجِبُ عَلَى الخُدَّام أَنْ يَفْعَلُوه ليَتْبَعوا ربَّهم. مَوْعِظَةٌ حَوْلَ متّى ١٣. ٢– ٣.[٢٠]

أُبْطِلَتْ لَعْنَةُ الشَّرِيعةِ. الذَّهَبِيُّ الفَم: لَمْ يَقُلِ المَسِيحُ «دَعْنِي وَمَا أُرِيدُ» فَحَسْب، بَلْ أَضَافَ «الآنَ». فَالسَّيِّدُ يَقُولُ: «لَنْ يَكُونَ الأَمْرُ عَلَى هَذَا النَّحْوِ إلى الأَبدِ، بَلْ سَتَرَانِي كَمَا صَبَوْتَ إِلَى ذَلِكَ؛ لَكِنْ احْتَمِلِ الآنَ ذلِكَ». بَعْدَئذٍ يُظْهِرُ المَسِيحُ كَيفَ يَكُونُ ذَلِكَ لائقًا، وَكَيفَ يَليقُ بِنَا أَنْ «نُتَمِّمَ الشَّرِيعَةَ»: هَذَا مَا قَصدَه بقَولِهِ «كُلّ بِرٍّ». إِنَّ البِرَّ هُوَ إِتْمَامُ الوَصَايا. يَقُولُ السَّيِّدُ: «لأَنَّنا آنئذٍ قَدْ أَتْمَمْنا كُلَّ الوَصَايا، لذَلِكَ تَبْقَى هَذِه المَعْمُوديَّةُ فَقَط، وَلِذَلِكَ يَجِبُ إِضَافَتُها أَيضًا. إِنَّنِي جِئتُ لأَمْحُوَ اللَّعْنَةَ المَوضُوعَةَ عَلَى الخَارِجِينَ عَلَى الشَّرِيعَةِ. لِهذَا لا بُدَّ لي أَوَّلاً مِنْ أَنْ أُتمِّمَ كُلَّ شَيءٍ، فأُحَرِّرَكُم مِنَ الإِدَانَةِ، وَبِذَلِكَ أُرِيحُهَا. إِنَّه يَجدُرُ بِي أَنْ أُتَمِّمَ الشَّرِيعَةَ كُلَّهَا، لأَمْحُوَ اللَّعْنَةَ الَّتي أَلصَقَتْهَا الشَّرِيعَةُ بِكُم: هذا هُوَ سَبَبُ اتِّخَاذِي جَسَدًا، وَمَجِيئي إِلَيكُم». إِنجيلُ مَتَّى، الموعظة ١٢. ١.[٢١]

كُلُّ شَيءٍ يَنْتَمِي إِلى الطَّبِيعَةِ البَشَرِيَّةِ. كَاتِبٌ مَجْهُولٌ: كَيفَ أَتَمَّ المَسِيحُ بِرَّ المَعْمُوديَّةِ؟ إِنَّه أَتَمَّها استِنَادًا إِلى مُتَطلَّبَاتِ الطَّبِيعَةِ البَشَرِيَّةِ: النَّاسُ بِحَاجَةٍ إِلى المَعْمُودِيَّةِ، لأَنَّهم بِطَبِيعَتِهِم الجَسَديَّةِ خَاطِئُون. وَلَمَّا أَتمَّ بِرَّ المَعْمُوديَّةِ، أَتَمَّ أَيضًا بِرَّ الوِلادَةِ وَالنُّمُوِّ وَالطَّعَامِ وَالشَّرابِ وَالنَّومِ وَالرَّاحَةِ. أَتَمَّ أَيضًا بِرَّ اختِبَارِه للتَّجْرِبَةِ وَالخَوفِ وَالهَرَبِ وَالحُزْنِ، وَالأَلَمِ وَالمَوْتِ وَالقِيَامَةِ: أَيْ وَفْقَ مُتَطلَّبَاتِ الطَّبِيعَةِ البَشَرِيَّةِ الَّتي اتَّخَذَها، أَتَمَّ كُلَّ أَعْمَالِ البِرِّ. عَمَلٌ غَيرُ كَامِلٍ حَولَ متَّى، الموعظة ٤.[٢٢]

كَامِلٌ فِي الشَّرِيعَةِ. ثيودور أُسْقُف هيراقلية. لَمَّا تَعَمَّدَ مَنْ هُوَ كَامِلٌ وَفْقَ الشَّرِيعَةِ بِمَعْمُوديَّةِ يُوحَنّا، أَوْصَلَ الشَّرِيعَةَ إِلى كَمَالِهَا. فَالمَسِيحُ الَّذي كَانَ كَامِلاً في الشَّرِيعَةِ تَعَمَّدَ بِمَعْمُوديَّةِ يُوحَنّا. لِذَلِكَ يَقُولُ،

---

(٢٠) CCL 9a: 244-45

(٢١) PG 57: 203; NPNF 1 10: 76

(٢٢) PG 56: 658

«فَهَكَذَا يَحْسُنُ أَنْ نُتَمِّمَ كُلَّ بِرٍّ». المقطع ٢١.[٢٣]

يُؤَهِّلُنا لنَتَقبَّلَ مَنْ هُوَ كَامِلٌ. ثيودور المبسوستيّ: كَانَتْ مَعْمُوديَّةُ يُوحَنَّا كَامِلَةً وَغيرَ كَامِلَةٍ في الوَقْتِ ذاته. كَانَتْ كَامِلَةً استِنَادًا إِلَى أَحكَامِ الشَّرِيعَةِ، لَكِنْ كَانَتْ غَيرَ كَامِلَةٍ، لأَنَّها لَمْ تُعْطِ غُفْرَانَ الخطَايَا، إِنَّما أَهَّلَتِ النَّاسَ لتَقَبُّلِ المَعْمُودِيَّةِ الكَامِلَةِ. لهذا، وبِمَا أَنَّ المَسِيحَ كَانَ كَامِلاً في مَا يَتَعَلَّقُ بالشَّرِيعَةِ، تَعَمَّدَ بِهَذِه المَعْمُوديَّة، أَيْ بمَعْمُوديَّةِ يُوحَنَّا. فيُوضِحُ ذَلِكَ قَائلاً: «فَهَكَذَا يَحْسُنُ أَنْ نُتَمِّمَ كُلَّ بِرٍّ». المقطع ١٣.[٢٤]

٣:١٦ هَبَطَ الرُّوحُ لمَّا تَعَمَّدَ يَسوع

لَمْ يَتَعَمَّدْ كَتَائِبٍ. كيرلُس الإسكندريّ: قَبْلَ مَجِيءِ المَسِيحِ كَانَ المُعَمَّدُون القُدَمَاءُ يُغَطَّسُون بِالمَاءِ وَقْتًا طَويلاً ليَعْتَرِفُوا بخَطَايَاهُم. لَكِنَّ المَسِيحَ المُنَزَّه عَنِ الخطيئةِ «طَلَعَ للحَالِ». إِنَّه لَمْ يَعْتَمِدْ كَتَائِبٍ، بَلْ كَمُطَهِّرٍ للخَطَايَا وَمُقَدِّسٍ للمِيَاهِ. المقطع ٢٩.[٢٥]

في المَعْمُودِيَّةِ نُصْبِحُ أَولادَ الله. كَاتِبٌ مَجْهُولٌ: إِنِّي لا أَفْهَمُ لِمَاذَا يَقُولُ «طَلَعَ للحَالِ مِنَ المَاءِ». مَا الفَرْقُ إذا طَلَعَ في ما بَعْدُ؟ كَانَ الإِنْجِيلِيُّ قَادِرًا عَلَى القَوْلِ: «بَعْدَ أَنْ اعتَمَدَ، طَلَعَ للحَالِ مِنَ المَاء». أَعْتَقِدُ أَنَّ عَمَلَ المَسِيحِ يَنْتَمي إِلَى سِرِّ كُلِّ الَّذينَ سَيُعمَّدُونَ حقًّا. هَكَذَا قَالَ «للْحَالِ». وَلَمْ يَقُلْ «خَرَجَ» لَكِنْ «طَلَعَ». فَكُلُّ الَّذينَ يُعَمَّدون عَنِ اسْتِحْقَاقٍ في المَسِيحِ، بكَوْنِهِم أَعضَاءَ مكَوَّنينَ وَقَائمينَ في البِرِّ، يَصْعَدُون للْحَالِ مِنَ المَاءِ، بمَعْنَى أَنَّهم يرتَقون في الفَضِيلَةِ ويَرتَفِعونَ إِلَى الكَرَامَةِ السَّمَاويَّةِ. فالَّذين يَدخُلُونَ المَاءَ كَأَوْلادِ آدمَ في الجَسَدِ يَخْرُجُونَ– وَهُمْ خَاطِئُونَ– للوَقْتِ مِنَ المَاءِ كَأَشْخَاصٍ صَارُوا أَبْنَاءً لله رُوحَانيِّينَ. عَمَلٌ غيرُ كَامِلٍ حَوْلَ متّى، الموعظة ٤.[٢٦]

وَدَاعَةُ الحَمَامَةِ. أوريجنِّس: تَعَمَّدَ المَسِيحُ مِنْ أَجْلِنَا، ليُقَدِّسَ المَاءَ. فَنَزَلَ الرُّوحُ في شَكْلِ حَمَامَةٍ. فَحَيْثُما تَكُنْ مُصَالَحَةٌ مَعَ الله تَكُنْ حَمَامَةٌ، كَمَا كَانَتِ الحَالَةُ في فُلْكِ نُوحٍ. وَالآنَ في شَكْلِ حَمَامَةٍ نَزَلَ الرُّوحُ مُعْلِنًا رَحْمَةَ اللهِ إِلَى المَسْكُونَةِ، وَمُوضِحًا أَيضًا أَنَّ مَا هُوَ رُوحِيٌّ يَجِبُ أَنْ يكُونَ وَدِيعًا، بَسِيطًا،

[٢٣] MKGK 63
[٢٤] MKGK 100
[٢٥] MKGK 162
[٢٦] PG 56: 658

لا شَرَّ فيه وَلا غِشّ.[٢٧] الموعظة ٥٦.[٢٨]

وَلاءُ الحَمَامَةِ الثَّابِت. ثيودور المبسوستيّ: يُشَبَّهُ الرُّوحُ القُدُسُ بالحَمَامَةِ لأَنَّها وَدُودٌ. وَرغْمَ ازدِراءِ النَّاسِ لَها فالله لا يَحتَقِرُها. لِصَلاحِها تَقْتَرِبُ مِنَ النَّاسِ. لا تَتَغَيَّرُ مَعْ مَنْ أَلِفَتهُم، وَلَو أَساؤوا إِلَيْها وَاخْتَطَفُوا مِنْها أَفْرَاخَها. لَقَدْ ظَهَرَ الرُّوحُ القُدُسُ بِشَكْلِ حَمَامَةٍ وَدودٍ وَمُحِبَّةٍ لِلبَشَر. وَرغْمَ استِحْقَارِ النَّاسِ لَها، فَهيَ تَعُودُ لِنَمْلِكَها مُحْسِنَةً إِلَينَا وَفْقَ صَلاحِها: إِنَّها لَمَخْلُوقٌ وَدودٌ مُحِبٌّ لِلبَشَر. وَإِذَا أَساءَ النَّاسُ مُعَامَلَتَها مُخْتَطِفِينَ أَفْرَاخَها وَمُلْتَهِمِينَها، فَهِيَ لا تَتَخَلَّى عَمَّن صَادَقَتهم، بَلْ تَبْقَى بِجَانِبِهِم مَهْمَا كَلَّفَ الأَمْر. المقطع ١٥.[٢٩]

١٧:٣ صوتٌ مِنَ السَّماءِ

هَلْ هُوَ صَوتٌ مَلائكيٌّ؟ أبوليناريوس: يَقُولُ بَعْضُهُم إِنَّ «الصَّوتَ القَائِلَ: «هَذَا هُوَ ابنِي الحَبيب» كَانَ إِمَّا صَوْتًا مَلائِكِيًّا يُمَثِّلُ شَخْصَ الآبِ، أَو صَوْتًا آخَرَ أُعِدَّ في ذَلِكَ الوَقْت. المقطع ٩.[٣٠]

بِالسَّمْعِ وَالبَصَر. هيلاريون: جَاءَ صَوْتٌ مِنَ السَّمَاوَاتِ يَقُولُ: «هَذَا هُوَ ابنِي الحَبيبُ الَّذي بِهِ سُرِرْتُ». تَجَلَّى ابنُ الله بِالسَّمْعِ وَالبَصَرِ. أَرْسَلَ الرَّبُّ شَهَادَةَ التَّأَمُّلِ وَالكَلامِ المَنْطُوقِ بِهِ إِلَى شَعْبٍ غَيْرِ مُؤمِنٍ يَتَجَاهَلُ الأَنْبِيَاءَ. فَعَرَفْنَا مِمَّن اعتَمَدُوا في المَسِيحِ أَنَّ الرُّوحَ القُدُسَ يَنْزِلُ عَلَيْنَا بَعْدَ مَعْمُودِيَّتِنا بِالمَاءِ مِنَ الأَبْوابِ السَّمَاوِيَّةِ، فَنَمْتَلِئُ بِمَسْحَةِ المَجْدِ السَّمَاوِيِّ وَنُصْبِحُ أَوْلادَ الله بِالتَّبَنِّي الَّذي أَعْلَنَه صَوْتُ الآب. ألحقُّ يُمَثِّلُ سَبْقِيًّا صُورَةَ السِّرِّ عبر هَذِه الوَقَائِع. في متَّى ٢. ٦.[٣١]

ابني الحَبيب. الذَّهَبيُّ الفَم: أَدْرَكَ النَّاسُ أَنَّ المَسِيحَ كَانَ وَاحِدًا مَعَ الكَثيرين: فَلَو لَمْ يَكُنْ وَاحِدًا مَعَهُم لَمَا جَاءَ مَعَهُم إِلَى المَعْمُودِيَّةِ. لِهَذا اعتَقَدُوا أَنَّ يُوحَنَّا كَانَ أَعْظَمَ منه وَأَسمَى. وَحَتَّى لا يَسُودَ هَذَا الاعْتِقَادُ الجَميعَ، انْفَتَحَتِ السَّمَاوَاتُ عِنْدَ مَعْمُودِيَّتِه، ونَزَلَ الرُّوحُ القُدُسُ، وَأَعْلَنَ صَوتٌ مَعَ الرُّوحِ مَقَامَ الابنِ الأَوْحَدِ. وَقَد بَدَا لِلجَميعِ أَنَّ الصَّوتَ القَائِلَ: «هَذَا هُوَ ابني الحَبيب» عَنَى فيهِ صَاحِبَه يُوحنَّا، إذ إِنَّه لَمْ يَقُلْ «هَذَا الَّذي يَعْتَمِدُ»، بَلْ قَالَ «هَذا»؛ فَكُلُّ سَامعٍ يُدْرِكُ أَنَّ الصَّوتَ قِيلَ في المُعَمِّدِ لا في المُعْتَمِدِ، غَيرَ

---

[٢٧] أنظر متّى ١٠: ١٦.

[٢٨] GCS 41.1: 37

[٢٩] MKGK 102

[٣٠] MKGK 3

[٣١] SC 254: 110

أنَّ الرُّوحَ ينزِلُ بشكْلِ حمامةٍ، جاذبًا الصَّوتَ إلى يسوعَ، مُوضحًا للجميعِ أنَّ «هذا» لمْ يُشِرْ إلى يُوحنَّا المعمِّدِ، بلْ إلى يسوعَ المُعْتَمِدِ. إنجيلُ متّى، الموعظة ١٢. ٢.[٣٢]

صَوتُ الآب، نَاسُوتُ الابن، نُزولُ الرُّوحِ.

أُوغسطين: هُنَا يَظْهَرُ لنا الثَّالوثُ بصُورةٍ مُميَّزةٍ: الآبُ في الصَّوتِ، الابنُ في الإنْسانِ، الرُّوحُ القُدُسُ في الحمَامَةِ. إنّه أمرٌ واضِحٌ جليٌّ لأيِّ إنْسَانٍ يُريدُ أنْ يرَاهُ، فينْقُلُ إلينَا الاعْتِرافَ بالثَّالوثِ، بحَيثُ لا يتْرُكُ أيَّ مَجالٍ للشَّكِّ أوِ التَّردُّدِ. فالرَّبُّ المسيحُ نفْسُه، الَّذي يأْتي بشكْلِ خادمٍ إلى يُوحنَّا، هُوَ الابْنُ حقًّا، لأنَّه لا يقْدِرُ أحدٌ هُنَا على أنْ يظُنَّه خطأً الآبَ أوِ الرُّوحَ القُدُسَ. إنَّه الابنُ الآتي. ومَنْ يَقْدِرُ على أنْ يَشُكَّ في هويَّةِ الحمَامةِ؟ الإنْجيلُ نفْسُه يَشْهَدُ بوضُوحٍ: «نزَلَ الرُّوحُ القُدُسُ عليْهِ بشكْلِ حمَامةٍ». لا شكَّ أيضًا في هويَّةِ صوتِ الآبِ القائلِ: «أنتَ ابني الحبيب». إذًا الأقانيمُ الثَّلاثةُ مُميَّزةٌ. فلَمَّا وصَلَ يسوعُ إلى النَّهرِ، انتقَلَ مِنْ مكانٍ إلى آخَرَ. كذَلِكَ نزلَتِ الحمَامةُ مِنَ السَّماواتِ إلى الأرضِ، مُنْتقِلةً مِنْ مكانٍ إلى آخَرَ. فصَوْتُ الآبِ لَمْ يَدُوِّ مِنَ الأرْضِ ولا مِنَ الماءِ، بلْ مِنَ السَّماواتِ.... نحْنُ نُؤمِنُ بأنَّ الآبَ والابنَ والرُّوحَ القُدُسَ ثالوثٌ لا ينْفَصِلُ، إلهٌ واحِدٌ لا ينْفَصِلُ، وليْسَ هو ثلاثةَ آلهةٍ. لكنْ هُناكَ إلهٌ واحدٌ علَى نحْوٍ لا يكُونُ فيه الابنُ هو الآبَ، ولا الآبُ هُوَ الابنَ، ولا الرُّوحُ القُدُسُ هُوَ الآبَ أو الابنَ ... هَذه الألوهيَّةُ الَّتي لا تُوصَفُ، حاضِرةٌ في كُلِّ مكانٍ، مُجدِّدةٌ كُلَّ شيءٍ، فهي تخْلُقُ وتُعِيدُ الخلْقَ، وتُرسِلُ وتُعِيدُ إلى الحيَاةِ، وتحْكُمُ وتُخلِّصُ. هذا هُوَ الثَّالوثُ... الفائِقُ الوَصْفَ وغيرُ المُنْفصِلِ. موعظة ٢. ١-٢.[٣٣]

---

(٣٢) PG 57: 204; NPNF 1 10: 76

(٣٣) PL 38: 355; NPNF 1 6: 259

في هذا السَّردِ القَصصيِّ يظهرُ الإلهُ الواحدُ المُثلَّثُ الأقانيم: الآبُ والابنُ والرّوحُ القدس. الإلهُ الواحدُ يَظهرُ مميّزًا في أقانيمه.

٤:١ – ١١ تجربة يسوع

[١]ثُمَّ قَادَ الرُّوحُ يَسوعَ إلى البرِّيَّةِ ليُجرِّبَهُ إبليسُ. [٢]فصامَ أربعينَ يومًا وأربعينَ لَيلةً حتَّى جاعَ. [٣]فدنا مِنهُ المُجرِّبُ وقالَ لَه: «إنْ كُنتَ ابنَ اللهِ، فقُلْ لِهذِهِ الحِجارَةِ أنْ تَصيرَ خُبزًا». [٤]فأجابَهُ: «مكتوبٌ: ليس بِالخُبزِ وحدَهُ يحيا الإنسانُ، بل بكلِّ كَلِمَةٍ تَخرُجُ مِنْ فم اللهِ».

[٥]فأخذَهُ إبليسُ إلى المدينةِ المُقدَّسَةِ، فأقامَهُ على جَناحِ الهَيكلِ [٦]وقالَ لَه: «إنْ كُنتَ ابنَ اللهِ فألْقِ بنَفسِكَ إلى الأسفَلِ، لأنَّه مكتوبٌ: يُوصي ملائِكتَهُ بكَ، فيَحمِلونَكَ على أيديهِم لئلاَّ تَصدِمَ رِجْلَكَ بحجرٍ».

[٧]فأجابَهُ يَسوعُ: «مكتوبٌ أيضًا: لا تُجرِّبِ الرَّبَّ إلهَكَ».

[٨]وأخَذَهُ إبليسُ إلى جبلٍ عالٍ جدًّا، فَأراهُ جَميعَ مَمالِكِ الدُّنيا ومجدَها [٩]وقالَ لَه: «أُعطيكَ هذا كلَّهُ، إنْ سجَدْتَ لي وعبَدْتَني». [١٠]فأجابَهُ يَسوعُ: «أُغرُبْ عنّي يا شَيطانُ! فإنَّه مكتوبٌ: للرَّبِّ إلهِكَ تَسجُدُ، وإيّاهُ وحدَهُ تَعبُدُ».

[١١]ثُمَّ تَركَهُ إبليسُ، فإذا بملائكةٍ قد دنَوا منه وأخذوا يخدمونَهُ.

نَظْرَةٌ عَامَّةٌ: لَقدِ انعكَسَتْ تَجْرِبَةُ آدم في تَجربَةِ يَسوع (ثيودور المبسوستيّ). فإبْليسُ يَخرُجُ ليُجرِّبَ النَّاسَ تَجْريبًا، لكِنْ، انْطَلَقَ هُنَا المَسيحُ ليَجْبَهَ إبليسَ (كَاتِبٌ مجْهُولٌ). كَانَ مِنَ المُنَاسِبِ أَنْ يُهْزَمَ إبْليسُ في ذَلِكَ الجَسَدِ الإنْسَانيِّ نَفْسِهِ الَّذي كَانَ قدِ اعتَزَّ بمَوتِهِ (هيلاريون). في صَوْمِ يَسُوعَ الأَرْبَعِينيِّ قَدَّمَ نَمُوذَجًا لصِيَامِنا (كَاتِبٌ مَجْهُولٌ). لذلِكَ كَانَ صَوْمُهُ لتعلِيمِنَا. لَقَدْ فَعَلَ يَسُوعُ كُلَّ مَا هُوَ ضَروريٌّ لخلاصِنا عبر مَا عَمِلَهُ وَمَا تَحمَّله مِنْ أَجْلِنَا (الذَّهبيُّ الفَم). إنَّ للأربَعين يومًا مَعْنًى رَمْزِيًّا، لأَنَّ هذا العدد يتألَّفُ مِنْ أَرْبَعَةِ عُقُودٍ (خريسولوغوس)، مُشَابِهَةٍ لوَحَداتِ القِيَاسِ الطَّبيعِيَّةِ الأَساسِيَّةِ، وَلِلتَّكوينِ الجَنِينيِّ (أوريجنّس)، ولصَوم إيليّا مُدَّةَ أَرْبَعِين يَوْمًا.

فاضطَّربَ إبْلِيسُ وارْتَاعَ بَعْدَ أَنْ كَانَ قَدْ مَلأَ العَالمَ بالخطايا. فهُناك مَنْ يَأْتي ليَرْفَعَ خَطَايَا العَالمِ (كروماتيوس).

في الوقْتِ الَّذي جَاءَ فيهِ المَسيحُ انْطَلَقَ إبْلِيسُ ليُجَرِّبَهُ (ثيودور المبسوستيّ). فَبِجُوعِهِ يُشَارِكُنا تَمَامًا في وَضْعِنا الإنْسَانيِّ مَا عَدَا الخَطِيئَة (أوريجنّس). أَمَّا إبلِيسُ فَيَبْدَأُ تَجْرِبَتَهُ بجَعْلِ الجَوْفِ رَغِيبًا. بهَذه الوَسِيلَةِ طُرِدَ الرَّجُلُ الأَوّلُ، وبهَا أَيضًا يُطْرَدُ الكثيرونَ (الذَّهَبيُّ الفَم). لَمْ يُظْهِرِ الرَّبُّ بانقيادِهِ ضُعْفًا بَلْ صَبْرًا؛ ولَمْ يُظْهِرْ إبْلِيسُ بقِيَادَتِهِ قُوّةً بَلْ تِيهًا (كَاتِبٌ مَجْهُولٌ). في البَرِّيَّةِ أوطأَ الرَّبُّ خدَّ الشَّعْبِ العِبريِّ بالجُوعِ، وَأَطْعَمَهُم المَنَّ حتَّى يُدركوا أنَّه لَيسَ بالخُبْزِ وَحْدَه يَحيَا الإِنْسَانُ (أوريجنّس). بالكَلِمَةِ، لا بالخُبْزِ وَحْدَه، نَتَغذَّى بالحَيَاةِ مَعِ الله (جيروم). فَالطَّعَامُ الَّذي جُرِّبَ به المسيحُ لم يَنْجَحْ في إيقاعِهِ في التَّجْرِبَةِ (مكسيموس أُسقف تورين). إنَّه لَيْسَ بالمُعْجِزَاتِ، بَلْ بالصَّبرِ وبتَوْطِينِ النَّفْس عَلَى طُولِ الأَنَاةِ، نَنْتَصِرُ عَلَى إبْليس. يَجِبُ أَنْ لا نَفْعَلَ شَيئًا بقَصْدِ التَّفَاخُرِ والتَّبَاهي (ثيودور المبسوستيّ). فإبْليسُ سَعَى إلَى أنْ يُسْقِطَ الرَّبَّ مِنَ الأَعْلَى إلى الأسْفَلِ بإقَامَتِه إيَّاه عَلَى شُرْفَةِ الهَيْكَلِ (هيلاريون). فَالسِّهَامُ الكَاذِبَةُ مِنْ رُؤيَةِ إبْلِيسَ المُنْحَرِفَةِ للكتَابِ المُقَدَّس يكْسِرُهَا الدِّرْعُ الحَقِيقيُّ للكِتَابِ المُقَدَّس (جيروم).

أَجَابَ إبْلِيسُ مُقْتَبِسًا مِنَ الكِتَابِ المُقَدَّس، أمَّا يَسوعُ فَأَظْهَرَ أنَّ التَّجْرِبَةَ الشَّيطَانِيَّةَ يَجِبُ أَنْ يَغْلِبَها تَوطِينُ النَّفسِ عَلَى الصَّبرِ (الذَّهَبيُّ الفَم). جَبَه يَسوعُ ثَلاثَ تَجَارِبَ: الشَّرَاهَةَ، وَالمَجْدَ البَاطِلَ، وَالطَّمَعَ. هَذِهِ التَّجَارِبُ الثَّلاثُ لَخَّصَتْ تَجْرِبَةَ آدمَ الأُولَى. بِهَا نَتَعَلَّمُ أَنْ نُجِيبَ عَنْ كُلِّ التَّجَارِبِ الوَارِدَةِ في الكِتَابِ المُقَدَّسِ (غريغوريوس الكبير). فإبْليسُ لا يَقْوَى عَلَى مُقَاوَمَةِ مَا أَرَادَه الله في تَدْبيرِه لكُلِّ شيءٍ (ثيودور المبسوستيّ). يَبْقَى كُلُّ وَعْدٍ مِنْ وُعُودِ إبلِيس أَفينًا في جَوْهَرِه، لأَنَّه لا يَقْدِرُ على أَنْ يُعطيَ المَرْءَ كُلَّ شَيءٍ مَا لَم يَنتزِعْ كُلَّ شَيءٍ مِنَ الجَمِيعِ. وَإِذَا مَا انتَزَعَه مِنْهُم، فَلَنْ يُوقِّرَه أَحَدٌ. فإبْليسُ لا يُجَرِّبُ شَعْبَ الله كَمَا يَشَاءُ هو– وهو عاجِزٌ عن هذا– بَلْ كَمَا يَسْمَحُ لَه الله (كَاتِبٌ مَجْهُولٌ). وَلَمَّا أُمِرَ إبْليسُ بأَنْ يَعْبُدَ الرَّبَّ وَحْدَه، كَانَ هَذَا مُخَالِفًا لكَلامِه السَّابقِ إلَى المُخَلِّصِ: «إِنْ سَجَدْتَ لِي وَعَبَدْتَني» (جيروم). بهَذه الطَّرِيقَةِ هَزِئَ الرَّبُّ بإبلِيسَ، أي (بلوياثان) التِّنِّين، كَمَا يَهْزَأُ بالشِّصِّ (كروماتيوس). استِنَادًا إلَى تَدْبيرِ الله،

تتَوَارَى مَلائكَتُنا الصَّالِحَةُ عَنْ نَظَرِ إبلِيس، لكَيْ تُعْطيه مَجَالاً وَاسِعًا للتَّجربَةِ فيتَمَرَّسَ النَّاسُ أخْلاقيًّا بمُمَارَسَةٍ أعْمَقَ للفَضِيلةِ (كَاتِبٌ مَجْهُولٌ).

١:٤ وَقَادَ الرُّوحُ يَسوعَ إلَى البَرِّيَّةِ

الاستِعْدَادُ لمُواجَهَةِ التَّجَارِب. الذَّهَبيُّ الفَم: يَقُولُ النَّصُّ «ثُمَّ». مَتَى؟ بَعْدَ نُزُولِ الرُّوحِ القُدُسِ، وَبَعْدَ ذَلِكَ الصَّوتِ الآتي مِنَ السَّمَاواتِ وَالقَائل: «هَذَا هُوَ ابني الحَبيبِ، الَّذي بِهِ سُرِرْتُ». وَالعَجَبُ أنَّ الرُّوحَ القُدُسَ قَادَه. لِهَذَا يَقُولُ مَتَّى «أصْعَدَه». فالسَّيِّدُ قَامَ بفِعْلِ كُلِّ هَذِه الأشْيَاءِ وتَحَمَّلَهَا بُغْيَةَ تَعْلِيمِنَا. فَإنَّهُ تَحَمَّلَ الصُّعُودَ إلى هُنَاكَ، وَصَارَعَ إبلِيس. إذا اضطُرَّ كُلُّ مَنْ اعتَمَدَ إلى أنْ يَتَحَمَّلَ تَجَارِبَ كَبيرةً بَعْدَ مَعْمُوديَّتِه، فيَجِبُ ألاَّ يَضْطَرِبَ كَمَا لَوْ كَانَ الأمْرُ غيرَ مُتَوقَّعٍ، بل أنْ يَسْتَمِرَّ في تَحَمُّلِها كُلِّها بشَجَاعَةٍ، كَمَا لَوْ كَانَتْ تَحْدُثُ في السِّيَاقِ الطَّبيعيِّ للأُمُورِ. إنجيلُ متَّى، الموعظة ١٣. ١.[1]

انعِكَاسُ تَجْرُبَةِ آدم. ثيودور المبسوستيّ: بَعْدَ أنْ نَعِمَ آدمُ بالتَّرفِ في الفِرْدَوس، خُدِعَ وَاستَحْوَذَ عَلَيهِ السُّوءُ. فَكَانَ عَلَى الرُّوحِ أنْ يَقُودَ المَسِيحَ إلَى البَرِّيَّةِ ليُضْعِفَ قُوَّةَ إبْلِيس عَلَى يَدِ مَنْ هُوَ أقْوَى مِنْه. لذَلِكَ صَامَ المسيحُ أرْبَعِين يومًا وَأرْبَعِين لَيْلَةً. المقطع ١٧.[2]

وَقَادَه الرُّوحُ. كَاتِبٌ مَجْهُولٌ: الإنْجِيليُّ، بإضافتِهِ هَذِه الكَلِمَاتِ، «ليُجَرِّبَه إبْلِيس»، أظْهَرَ أنَّ الرُّوحَ القُدُسَ قَادَ يسوعَ، لا كَمَرؤوس يَنْقَادُ لأمْرِ رَئيسِهِ، وَلا كَرَئيسٍ يُشَجِّعُ مَرْؤُوسَهُ. فَهُوَ لا يُشِيرُ إلَى مَنْ اقتِيدَ أو وُضِعَ تَحْتَ سُلْطَانِ إنْسَانٍ آخَر فَحَسْب، بَلْ إلى مَنْ يُذْعِنُ إلى إصْرَارٍ شَديدٍ مِنْ شَخْصٍ آخَر....

اقتِيدَ يَسُوعُ إلَى إبْلِيس ليُجَرَّب. لاحِظْ أنَّ إبْلِيسَ هو الَّذي يَخرُجُ ليُجَرِّبَ النَّاسَ، ولا يَذهَبُ إليهِ النَّاسُ ليُجَرِّبَهم. وبِمَا أنَّ إبلِيسَ عَاجِزٌ عَنْ أنْ يُقَاوِمَ المَسِيحَ، فَإنَّ المَسِيحَ ذَهَبَ ليُقَاوِمَه. عَمَلٌ غيرُ كَامِلٍ حَوْلَ مَتَّى، الموعظة ٥.[3]

انْهِزَامُ إبْلِيسَ عَلَى يَدِ الجَسَدِ نَفْسِه الَّذي جَعَلَه بَائسًا. هيلاريون: إنَّ رِحْلَةَ السَّيِّدِ إلَى الصَّحْرَاءِ، وَصَوْمَهُ الأرْبَعِينيَّ،

---

(١) PG 57: 207-8; NPNF 1 10: 80

(٢) 2MKGK 102

بخِدَاعِ إبليس خَرَجَ آدمُ مِنَ الفردوسِ فَسَقَطَ في عَالَمِ الموتِ وَالفَسَادِ. وَهُنَا قَادَ الرُّوحُ يسوعَ إلى البَرِّيَّةِ ليَقْهَرَ قُوَّةَ إبليس.

(٣) PG 56: 661

وَجُوعهُ بَعْدَ الصَّوْمِ، وتَجْرِبَةَ إبْلِيس لَهُ، وَرَدَّهُ عَلَيْهَا، هِي كُلُّها مليئةٌ بِمَفَاعِيلِ المُشِيرِ السَّمَاوِيِّ العَظِيم. فقِيَادَةُ المسيح إلَى الصَّحْرَاءِ تَعْنِي حُرِّيَّةَ الرُّوحِ القُدُس في تَقْدِيمِ نَاسُوتِه إلَى إبْلِيسَ وإعْطَائِهِ الفُرْصَةَ للتَّجْرِبَةِ والانْتِصَارِ عَلَى إبْلِيس. فَالمُجَرِّبُ ما كان ليَقْهَرَ لَوْ لَمْ تُعْطَ فُرْصَةَ التَّجْرِبَةِ. كَانَ هُنَاكَ في إبْلِيسَ خَوْفٌ مَشْحُونٌ بالشَّكِّ، لَكِنْ لَمْ تَكُنْ لَدَيْهِ مَعْرِفَةٌ بالمُشْتَبَهِ بِهِ. تَحَرَّكَ إبْلِيسُ بِسُرْعَةٍ بَعْدَ أَنْ صَامَ يَسُوعُ أَرْبَعِين يَوْمًا. كَانَ يَعْرِفُ مِقْدَارَ المِيَاهِ المَسْكُوبَةِ في اللُّجَّةِ عبر عددٍ من الأَيَّامِ ومِن ارْتِيَادِ الأَرْضِ المَوْعُودِ بِهَا[٤] في الشَّرِيعَةِ المُوسَوِيَّةِ الَّتِي دَوَّنَها الله.[٥] عَرَفَ أَيضًا أَنَّ عَدَدَ السَّنَوَاتِ تَمَّ، لَمَّا بَقِيَ الشَّعْبُ في الصَّحْرَاءِ فِي حَيَاةٍ مَلائكيَّةٍ.[٦] ولَمَّا كَانَ خَائفًا في ذَلِكَ الوَقْتِ مِنْ تَجْرِبَةِ مَنْ ظَنَّه إنْسَانًا، قامَ بعمَلِه مُتَهَوِّرًا. كَانَ إبليسُ قَدْ أَغْرَى آدمَ، وبِخِدَاعِهِ قَادَه إلَى الموتِ. لَكِنْ كَانَ مِنَ اللائقِ، بِسَبَبِ شَرِّه وَفَسَادِه، أَنْ تَغْلِبَهُ تِلْكَ الإنْسَانيَّةُ الَّتي اعتَزَّ بِمَوْتِها ومِحْنَتِها. لقَدْ حَسَدَ إبْلِيسُ عَطَايَا الله للبَشَرِيَّةِ قَبْلَ تَجْرِبَةِ آدم، وهُوَ الآنَ عَاجِزٌ عَنْ فَهْمِ حُضُورِ الله في الوُجُودِ الإنْسَانيّ، لذَلِكَ جُرِّبَ الرَّبُّ فَوْرًا بَعْدَ مَعْمُودِيَّتِه. تُشِيرُ تَجْرِبَتُه إلى مِقْدارِ شَرِّ مُحَاوَلاتِ إبْلِيس ضِدَّ أُولئِكَ الَّذين تقَدَّسُوا، لأَنَّه زُيِّنَ لَهُ أَنَّه انتَصَرَ عَلَى القِدِّيسين.

لَمْ يكُنْ يَسُوعُ جَائعًا إلى طَعَامٍ بَشَرِيٍّ، بَلْ إلى خَلاصِ النَّاسِ. فَبَعْدَ أَرْبَعِين يَوْمًا، وَلَيْسَ خِلالَها، جَاعَ. فَمُوسَى وإيليَا لَمْ يَجِدَا الحَاجَةَ إلى الطَّعَامِ في أَثْنَاءِ الصِّيَامِ نَفْسِه.[٧] لذَلِكَ، لَمَّا جَاعَ الرَّبُّ لَمْ يَحُلَّ بِه فِعْلُ الضَّرَمِ، وَلَمْ تَخُرْ قُواه بِصَوْمِهِ أَرْبَعِين يَوْمًا. لَمْ يَتَخَلَّ عَنْ طَبِيعَتِه كَإنْسَانٍ. فَإبْلِيسُ لا يَهْزِمُه الله، بَلِ الإنْسَانُ، وهو لنْ يَتَجَاسَرَ أَبَدًا عَلَى إغْرَائِه، بِاسْتِثْنَاءِ تِلْكَ الحَاجَاتِ الّتي اعترفَ بِأَنَّها كَانَتْ مُنَاسِبَةً للبَشَرِ إذا أَصَابَهُ سُعَارُ الجُوعِ. في متّى ٣. ١– ٢.[٨]

٤: ٢ فصَامَ أَربعينَ يَومًا وأَربَعِينَ لَيلة

صَامَ أَرْبَعِين يَوْمًا وأَخيرًا جَاعَ. أوريجنّس: الرَّقْمُ «أَرْبَعُونَ» يَتَأَلَّفُ مِنْ أَرْبَعَةِ عُقُودٍ.[٩] ورُبَّمَا كَانَ هَذَا مُشَابِهًا لِلأَوْجُهِ الأَرْبَعَةِ

[٤] أنظر عدد ١٣: ٢٥.

[٥] خروج ٢٤: ١٨.

[٦] خروج ١٦: ٣٥.

[٧] أنظر خروج ٣٤: ٢٨.

[٨] SC 254: 110-14

[٩] نَجِدُ في هَذَا المقْطَعِ نَمُوذَجًا عَنِ التَّفسيرِ الرَّقْمِيِّ، الَّذي يُعْطِي للأرقَامِ معنىً استِعَارِيًّا.

المَادِيَّةِ الحقيقِيَّةِ، لأَنَّ العَالَمَ الحِسِّيَّ يَتكَوَّنُ مِنْ أَرْبَعةِ عَناصِرٍ، أَوْ رُبَّما لأَنَّ الإنْسانَ يَتكَوَّنُ خِلالَ أَرْبَعِين يَوْمًا في الرَّحِمِ. وبِذلِكَ لا يُعْطِي مَدْلُولاً، إذا صَامَ مُدَّةً أَطْولَ، عَلى أَنَّ الجَسَدَ الَّذي اتَّخَذَهُ لَمْ يَكُنْ حَقيقِيًّا. أَخيرًا جَاعَ مُشارِكًا إيَّانا في كُلِّ ما لَنا «مَا عَدَا الخَطِيئة»،[١٠] ومُشاطِرًا إيَّانا في وَضْعِنا عبر آلامِهِ. المقطع ٦١.[١١]

صَامَ إيلِيَّا أَرْبَعِينَ يَوْمًا. ثيودور المبسوستيّ: لَمَّا جَاعَ المَسِيحُ، كَمَا كُتِبَ، أَسْرَعَ إبْلِيسُ وَجَرَّبَهُ، لأَنَّه لَمْ يُذْهَلْ مِنْ صَوْمِهِ أَرْبَعِين يَوْمًا، إذْ إنَّه عَرِفَ أَنَّ إيلِيَّا صَامَ المُدَّةَ ذاتَها.(١٢) لِهَذا السَّبَبِ تَجَرَّأَ عَلَى مُهاجَمَتِهِ، ظَانًّا أَنَّه شَخصٌ مُشَابِهٌ لَه، ولَيسَ الله. المقطع ١٨.[١٣]

جَاعَ يَسُوعُ طَوْعًا. كَاتِبٌ مَجْهُولٌ: لَقَد صَامَ أَرْبَعِين يَوْمًا لِسَبَبَين: أَوَّلاً، لِيُعْطِينَا مِثَالاً للصِّيامِ فَيَقِينَا مِنَ التَّجارِبِ. ثَانِيًا، لِيُحَدِّدَ الأَرْبَعِين يَوْمًا مِقْيَاسًا لِصِيَامِنا. وَأَخِيرًا جَاعَ، لكَي لا يُفْرِطَ في صَوْمِهِ فيَفْهَم أَنَّه هُوَ الله، ولِكَيْ يُزِيلَ أَملَ إبْلِيس في التَّجربةِ ويُعِيقَ انْتِصَارَه. بَعْدَ أَنْ رَآه إبْلِيسُ يَصُومُ أَرْبَعِين يَوْمًا خَابَ أَملُه. لَكِنْ لَمَّا أَدْرَكَ أَنَّ المَسِيحَ جَاعَ تَجَدَّدَ أَملُه. فَاقْتَرَبَ مِنْه، لَمَّا جَاعَ خَارِجِيًّا، لكنَّه وَجدَ أَنَّه دَاخِلِيًّا لَمْ يَكُنْ جَائعًا قَطّ. ومَعْ أَنَّه جَرَّبَ المَسِيحَ الجَائع، فَقَدْ غَلَبَ عَلى يدِ مَنْ لم يَكُنْ جَائعًا.

كَمَا أَنَّ الجُوعَ بَشَرِيٌّ، هكذا فإنَّ الصَّوْمَ لمدَّةِ أَرْبَعِين يَوْمًا لَيْسَ بَشَرِيًّا. لذَلِكَ أَثْبَتَ الَّذي لَمْ يَكُنْ جَائعًا مُدَّةَ أَرْبَعِين يَوْمًا أَنَّ جُوعَهُ كَانَ طَوْعًا لا كَرْهًا. عَمَلٌ غيرُ كَامِلٍ حَوْلَ متّى، الموعظة ٥.[١٤]

تَوَقُّعُ الصَّومِ الكَبِيرِ. بطرس خريسولوغوس: هَكَذَا تَرَونَ، أَيُّها الإخْوةُ، أَنَّ صِيَامَنَا في أَثْناءِ الصَّومِ الكَبِيرِ لَمْ يَكُنْ بِدعَةً. فَالسُّلْطَةُ إلَهِيَّةٌ وسِرِّيَّةٌ، وَيَجِبُ أَلاَّ يُسْتَخفَّ بِهَا. وَهِي لَيْسَتْ أَرْضِيَّةً بل سِرِّيَّةٌ وَسَماوِيَّة. الصَّومُ الأَرْبَعِينيّ [Quadragesima] يَشْمُلُ التَّعْلِيمَ الرُّبَاعِيَّ لِلعُقُودِ الأَرْبَعَةِ لِلإيمَانِ، لأَنَّ الكَمَالَ هُوَ دَائمًا رُبَاعِيُّ الجَوانِبِ. فَالرَّقمُ أَرْبَعُون [quadragesimus] والرَّقْمُ عَشَرة {دينار [denarius]} يَحْمِلانِ أَسْرَارًا إلَهِيَّةً في السَّمَاوَاتِ وَعَلى الأَرْضِ، ذَلِكَ أَنَّ المُرَبَّعَ لا يَنْفَتِحُ بِسُهُولَةٍ، والرَّقمَين المَذْكُورَين

---

[١٠] عبرانيِّين ٤: ١٥.
[١١] GCS 41.1: 39
[١٢] أنظر ١ ملوك ١٩: ٨.
[١٣] MKGK 203
[١٤] PG 56: 664-65

يُسْتَخدمان في شَرحِ صَومِ الرَّبِّ. المواعظ ١١. ٤.[١٥]

٣:٤ التَّجربةُ الأُولى

سُؤالُ إبْلِيس. كروماتيوس: يَستفزُّ إبْلِيسُ يسوعَ ليُوقِعَه في التَّجْربةِ، والرَّبُّ يُتابعُ ذَلِكَ لِيَنْتَصِرَ علَيه. فالمعْركَةُ حَوْلَ هَذِه التَّجْربَةِ قائمَةٌ، كمَا يقولُ إبْلِيسُ للرَّبِّ: «إنْ كُنْتَ ابنَ اللّه، فقُلْ لِهذِهِ الحِجارَةِ أَنْ تَصير خُبزًا». لَمَّا كَانَ جَاهِلاً سِرَّ التَّدبيرِ الإلهيِّ وَضَعَ مَا لا يَعْرفُه كَسُؤالٍ، وبِصَوْتِ المُشكِّكِ يَسْتَجوبُ المَسِيحَ وَيقُولُ: «إنْ كُنْتَ ابنَ اللّه...» الآنَ دَعْنَا نَرَ لِمَاذا يَسْتَنْطِقُهُ وهُوَ يَشُكُّ فِيه، ولِمَاذا يَسْأَلُه وَهُوَ لا يَعْرِفُه. سَمِعَ أَنَّ المَلاكَ بَشَّرَ العَذْراءَ بِأَنَّها سَتَلِدُ ابنَ اللّه. وَرأَى المَجوسَ يتخَلَّون عَنْ ضَلالِ مَعْرِفَتِهم الفَارِغَةِ، وَيَسجدُونَ لِلطِّفْلِ المَوْلُودِ. وَرَأَى بَعْدَ المَعْمُودِيَّةِ الرُّوحَ القُدُسَ يَنْزِلُ عَلَيْهِ مِثْلَ حَمَامَةٍ. سَمِعَ صَوْتَ الآبِ مِنَ السَّمَاواتِ يَقولُ: «هَذا هُوَ ابني».[١٦] وسَمِعَ يُوحنّا يَقُولُ بِصَوْتٍ عَالٍ: «هَذَا هُوَ الَّذي يَرْفَعُ خَطِيئَةَ العَالم».[١٧] أَربَكَتهُ هَذِه الشَّهادَاتُ الكَثيرةُ جِدًّا وَاضطَّربَ مِنَ الصَّوْتِ، وَهَذَا مَا خَافَ منه قَبْلَ كُلِّ شيءٍ: بَعْدَ أَنْ كَان قَدْ مَلأَ العَالم بِالخَطَايَا سَمِعَ أَنَّ شَخْصًا يَجِيءُ الآنَ لِيَرْفَعَ خَطِيئَةَ العَالَمِ. والحَقُّ أَنَّه كَانَ خَائفًا مِنْ كُلِّ هَذِه الأَقْوالِ، لكنْ لَمْ يُؤْمِنْ إيمَانًا كَامِلاً بِأَنَّ ابنَ اللّه الَّذي سَمِعَه، وَرآه إِنْسَانًا في الجَسَدِ، سَيَرْفَعُ خَطِيئَةَ العَالَمِ. يَسْعَى إبليسُ، في خوفِهِ الشَّديدِ، إلى اكْتِشافِ مَا إذا كَانَتْ هَذِه الأَشياءُ الَّتي سَمِعَها حقيقيّةً. يَرَى الرَّبَّ صَائمًا «أَرْبَعين يَوْمًا وَأَرْبَعِين لَيْلَةً»، لكنَّه يُنْكِرُ أَنَّه ابنُ اللّه. تَذَكَّرَ أَنَّ مُوسَى وَإيليَّا صَامَا أَيضًا أَرْبَعِين يَوْمًا. ولِذَلِكَ سَأَلَ أَنْ يُعْطَى دَليلاً عَلَى أَنَّه ابنُ اللّه. فَقَالَ: «إنْ كُنْتَ ابنَ اللّه فقُلْ لِهذِهِ الحِجارَةِ أَنْ تَصيرَ خُبزًا». موعظةٌ حَوْلَ متّى ١٤. ٢.[١٨]

نقْطَةُ الانْقِضَاضِ الأُولَى. الذَّهبيُّ الفَم: مَاذَا قَالَ؟ «إنْ كُنْتَ ابنَ اللّهِ فقُلْ لِهذِهِ الحِجارَةِ أَنْ تَصيرَ خُبزًا». لَمْ يَقُلْ، «لأَنَّكَ جَائعٌ...»، بَلْ «... إنْ كُنْتَ ابنَ اللّه...» ظَانًّا أَنَّه يَخْدَعُه بتَمَلُّقِه. لِهَذا كَانَ إبْلِيسُ صَامِتًا في شَأْنِ جُوْعِهِ، لكَي لا يَظْهَرَ أَنَّه يُجِلُّ شَأْنَهُ، بَلْ يُعَيِّرُه. بِمَا أَنَّه جَهلَ عَظَمَةَ التَّدْبيرِ الإِلَهِيِّ الحَاصِلِ، افتَرَضَ أَنَّ الجُوعَ مُخْزٍ لِلسَّيِّدِ. لِذَلِكَ يَذْكُرُ مَنْزِلَتَهُ فَقَط، مُتَمَلِّقًا إِيَّاه بِمَكْرٍ.

---

[١٥] CCL 24: 74; FC 17: 58

[١٦] متّى ٣: ١٦– ١٧؛أُنظر مرقس ١: ١٠– ١١ .

[١٧] يوحنّا ١: ٢٩.

[١٨] CCL 9a: 251-52

مَـاذَا يَـقُـولُ المَسِـيحُ عِـنْـدَئـذٍ؟ لكـي يُـخْزِيَ كِبْرِيـاءَ إِبْلِيس وَيَدُلَّ عَلَى أَنَّه مَـا مِنْ شَيءٍ مُعيبٍ فِي جُوعِهِ أَو غَيْرِ لائق بِحِكْمَتِه، يُورِدُ مَا تَغَاضَى عَنْه إِبْلِيسُ صَامِتًا وَهُوَ يَتَمَلَّقُه قَائِلاً: «لَيْسَ بـالخُبزِ وحدَه يَحْيَا الإِنْسَانُ». هَكَذَا يَبْدَأُ بتَجْرِبَةِ السَّيِّدِ عبر حَاجَةِ البَطْنِ. إِنَّمَا انتَبِهْ إِلَى مكْرِ ذَلِكَ الشَّيطَان الشِّرِّير، ومِنْ أَيْنَ يَبْدَأُ صِراعَهُ، وكَيْفَ لا يَنْسَى فَنَّه الخَاصَّ. بـالوَسِيلَةِ الَّتي طَرَدَ بِهَا الإِنْسَانَ الأَوَّلَ، فَـأَحَـاطَـهُ بـآلافِ الشُّرورِ الأُخْـرَى، هَكَذَا يَنْسُجُ خِدَاعَه هُنَا أَيضًا بالبِطْنَةِ. والآنَ قَدْ يَسْمَعُ المَرءُ كَثِيرِينَ مِنَ الحَمْقَى يَقُولُونَ إِنَّ الإِكْثَارَ في الكَلامِ البَاطِلِ هُوَ مِنَ البَطْنِ. إِنْجِيلُ متّى، الموعظة ١٣. ٣.[19]

فَـقُـلْ لِـهَذِهِ الحِجَـارَةِ أَنْ تَـصِيرَ خُـبـزًا. كيرلّس الإِسْكَندريّ: خَطَّطَ إِبْلِيسُ أَنْ يُوقِعَ المَسِيحَ في هَوَى المَجْدِ البَاطِلِ، لِذَا لَمْ يَقُلْ لَـه: «كُـلْ» بَـلْ: «اصْـنَـعْ آيَـةً». فَـعَلَ هَـذَا لا لمَنْفَعَةِ المَسِيحِ، بَلْ، كَمَا قُلْتُ، ليَجُرَّهُ إِلَى المَجْدِ البَاطِلِ. لَكِنَّ المَسِيحَ كَانَ عَالِمًا بذَلِكَ فَلَمْ يُطِعْهُ. وَهُوَ لَمْ يَمْتَثِلْ لطَلَبِ الفَرِّيسيِّين مِنْ بَعدُ، لَمَّا أَرَادُوا أَنْ يَروا آيةً مِنْه. فَهُمْ لَمْ يَقْتَرِبُوا كَأَنَّهم يَقتَرِبُونَ مِنَ الله، بَلْ كَانُوا يُجَرِّبونَه كإِنْسَانٍ. فَلْيَكُنْ ذَلِكَ قَانونًا ثَابِتًا عِنْدَ القِدِّيسين بحَيْثُ إِنَّهم لا يَتَفَاخَرُون أَمَامَ غَيرِ المُؤمِنِين تحتَ سِتَارِ المَنْفَعَةِ. المقطع ٣٢.[20]

٤:٤ لَـيسَ بـالخُبْـزِ وحـدَهُ يَـحْـيَـا الإِنْسَانُ

عِبرةُ المَنِّ. أوريجنّس: يَقُولُ مُخَلِّصُنا هَذَا القَوْلَ مُوضِحًا لذَوي الفَهْمِ أَنَّنا، قَبْلَ أَنْ يَأْتيَ المَنُّ، الّذي كَانَ غِذَاءَنا السَّمَاوِيَّ، كُنَّا خَاطِئين، جَائِعِينَ، نَائِعِينَ، بَعْدَ أَنْ أَنفَقْنَا كُلَّ غِنَانَا عَلَى الطَّعَامِ. هَكَذَا كُتِبَ: «واذكُرْ جَمِيعَ الطُّرُقَاتِ الَّتي سَيَّرَكَ فِيها الرَّبُّ إِلَهُكَ في البَرِّيَّةِ، ليُذِلَّكَ ويَمْتَحِنَكَ حتَّى يَعْرِفَ مَا في قَـلْـبِـكَ، أَتَـحْـفَـظُ وَصَـايَـاهُ أَمْ لا؟ فَـأَذَلَّكَ وَجَوَّعَكَ ثُمَّ أَطْعَمَكَ المَنَّ الّذي لم تَعْرِفْهُ أَنتَ وَلا عَرَفَهُ آباؤُكَ، حتَّى يُعْلِنَ لَكَ أَنَّ الإِنْسَانَ لا يَحْيَا بالخُبْزِ وَحْدَه».[21] المَنُّ ذاته كَانَ كَلِمةً. هَذَا مَا أَوْضَحَه مُوسَى في رَدِّه عَلَى سُؤالِ أَبْنَـاءِ إِسْرائـيلَ، لَمَّـا قَـالَ بَـعْـضُـهم لبَعْضٍ «مَا هَذَا»؟ فَمَاذَا قَالَ لَهُم مُوسَى؟ «هوَ الخُبْزُ الّذي أَعْطَاكُمُ الرَّبُّ لتَأْكُلوا. هَذَا

---

[19] PG 57: 210; NPNF 1 10: 81

[20] MKGK 162

[21] تثنية ٨: ٢- ٣.

هُوَ الكَلِمَةُ الَّذي أمَرَ الرَّبُّ بأَنْ تَتناوَلوه».[٢٢] بَعْدَ هَذا يُتابِعُ إبْلِيسُ تَجْرِبَتَه لِيَسِيرَ إلى هَزيمَةٍ أُخْرَى. المقطع ٦٣.[٢٣]

الاغْتِذَاءُ بالكَلِمَة. مكسيموس أسْقُف تورين: أدَانَ المُخَلِّصُ حِيلَةَ إبْلِيسَ بِجَوابٍ ذَكِيٍّ. فَهُوَ لا يَفْعَلُ مَا يَقُولُه إبْلِيسُ لَه، لِئَلاَّ يَبْدُوَ أَنَّه يُعْلِنُ مَجْدَ قُدْرَتِه نُزُولاً عِندَ إرادَةِ خَصْمِهِ، وَلا يُجِيبُ بأَنَّ ذَلِكَ مُحَالٌ، لأَنَّه لا يَقْدِرُ على أَنْ يُنْكِرَ مَا فَعَلَهُ مِنْ قَبْلُ. لِذَلِكَ لا يَنْقَادُ إلى طَلَبِ إبْلِيس وَلا يرفُضُه، فَيَحْتَفِظُ لِنَفْسِه بِتَجَلِّي قُدْرَتِه ويَجْبَهُ حِيلَةَ خَصْمِه بِبَلاغَتِهِ. فيقُولُ لَه: «لَيْسَ بِالخُبْزِ وَحْدَهُ يَحْيَا الإنْسَانُ، بَلْ بِكُلِّ كَلِمَةٍ تَخرجُ مِنْ فمِ الله»--أيْ لَيْسَ بِخُبْزٍ دُنيَوِيٍّ أَو بِغِذَاءٍ مَادِّيٍّ، فَبِهِ خَدَعْتَ آدمَ الإنْسَانَ الأَوَّلَ- فَهُوَ يَحْيَا بِكَلِمَةِ الله، الَّذي يَهَبُ غِذَاءَ الحَياةِ السَّمَاوِيَّة. فَكَلِمَةُ الله هُوَ المَسِيحُ الرَّبُّ، لِذَلِكَ يَقُولُ الإنْجِيلِيُّ: «في البَدْءِ كَانَ الكَلِمَةُ، والكَلِمَةُ كَانَ عِنْدَ الله».[٢٤] فَكُلُّ مَنِ اغتذَى بِكَلِمَةِ المَسِيحِ لا يَطْلُبُ غِذَاءً دُنْيَوِيًّا. ولا يَشْتَهِي طَعَامَ العَالَمِ مَنْ اغتذَى بِخُبزِ المُخَلِّص. فَلِلرَّبِّ طَعَامُهُ. والحَقُّ أَنَّ الخُبْزَ هُوَ المُخَلِّصُ نَفْسُهُ، كَمَا عَلَّمَ لَمَّا قَالَ «أَنَا الخُبْزُ الَّذي نَزَلَ مِنَ السَّمَاوَاتِ».[٢٥] عَنْ هَذَا الخُبْزِ يَقُولُ النَّبِيُّ «والخُبْزُ يُشَدِّدُ قَلْبَ الإنْسَان».[٢٦] المواعظ ٥١. ٢.[٢٧]

لَيْسَ بِالخُبْزِ وَحْدَه. ثيودور أُسقف هيراقلية: خَطِئَ آدمُ الأَوَّلُ بالطَّعامِ. وَانتَصَرَ المَسِيحُ بِضَبْطِ النَّفْسِ. لِذَلِكَ يُعَلِّمُنا أَنْ لا نَبْقَى بَعِيدِين عَنِ الله، حَتَّى لَوْ بِتْنَا عَلَى الطَّوَى. هَذا هُوَ أَيْضًا عُرْبُونُ وَضْعِنَا المُسْتَقْبَلِيِّ الَّذي دَشَّنَهُ المَسِيحُ حَقًّا، لأَنَّ البَشَرَ يَحْيَوْنَ بلا طَعَامٍ في الحَيَاةِ المُقْبِلَةِ. المقطعُ ٢٢.[٢٨]

الاغْتِذَاءُ بِكَلِمَةِ الله. جيروم: أُخِذَتِ الشَّهَادَةُ مِنَ تَثْنِيَةِ الاشْتِرَاعِ. فَالرَّبُّ أَجَابَ بِهذِه الطَّرِيقَةِ، لأَنَّ غَايَتَهُ كانَتِ التَّغَلُّبَ عَلَى إبْلِيس بِتَواضُعٍ لا بِقُدْرَةٍ. في الوَقْتِ عينِه، تَجِبُ المُلاحَظَةُ أَنَّه لَوْ لَمْ يَبْدأ الرَّبُّ بِصِيَامِهِ لَمَا كَانَ لإبْلِيس فُرْصَة، وَفْقًا لِلقَول: «إنْ أَرَدْتَ خِدْمَةَ الرَّبِّ فَاسْتَعِدَّ يا ابْنِي لِلتَّجْرِبَةِ».[٢٩] لَكِنَّ جَوابَ المُخَلِّصِ يُشيرُ إِلَى

---

[٢٢] خروج ١٦: ١٥.

[٢٣] GCS 41.1: 41

[٢٤] يوحنّا ١: ١.

[٢٥] يوحنّا ٦: ٤١.

[٢٦] مزمور ١٠٤: ١٥ (١٠٣: ١٥).

[٢٧] CCL 23: 51; ACW 50: 125
بالكَلِمَةِ، لا بالخُبْزِ وَحدَه، نُغَذّى لِحَياةٍ في المَسيحِ. إنَّ إبليس استطَاعَ أن يُغوِيَ آدمَ بِشهوةِ البَطنِ، لكِنَّه فشِلَ في إغواءِ المَسيحِ.

[٢٨] MKGK 63

[٢٩] سيراخ ٢: ١.

أَنّه جُرِّبَ كإِنْسَانٍ: «لَيْس بالخُبْزِ وَحْدَهُ يَحْيا الإِنْسانُ، بَلْ بكُلِّ كلِمَةٍ تَخرُجُ مِنْ فمِ اللّه». هَكَذا إِذا لَمْ يَغْتَذِ المَرْءُ بكَلِمَةِ اللّه فَإِنَّه لنْ يَحْيَا. تَفْسِيرُ متّى ١. ٤. ٤.[٣٠]

لا تُفَاخِروا بِمَا تَفْعَلون. ثيودور المبسوستيّ: تَغلَّبَ يَسُوعُ الإِلَهُ عَلَى إِبْلِيس. فَانْتِصَارُهُ عَلَى المَلاكِ المُرْتَدِّ الَّذي خَلَقَهُ لَمْ يَكُنْ إِنْجَازًا عَظِيمًا بالنِّسْبَةِ إِليه هَذا الانْتِصَارُ لا يُنْسَبُ إِلَى نَاسُوتِه فَقَط. إِنّما بثَبَاتِ جَنَانِهِ انتصرَ عليْه كإِنْسَانٍ، فَعلَّمَنا أَنَّه لَيْسَ بالآيَاتِ بَلْ بثَبَاتِ الجَنَانِ وَبتَوْطِينِ النَّفْسِ عَلَى الصَّبْرِ، نَنْتَصِرُ عَلى إِبْلِيس من دون تبجُّحٍ وشُمُوخِ أَنفٍ. المقطع ٢٠.[٣١]

٤: ٥-٦ التَّجْرِبَةُ الثَّانِيَةُ

شُرْفَةُ الهَيكَلِ. هيلاريون: حَاوَلَ إِبْلِيسُ أَنْ يُجرِّبَ الرَّبَّ ليُنْزِلَه مِنْ عَلُ ويُهينَه. وَضعَهُ عَلَى شُرْفَةِ الهَيكَلِ، وَكَأَنَّه يَعْلُو عَلَى الشَّريعَةِ وَالأَنْبِيَاءِ. عَرَفَ أَنَّ المَلائكَةَ أَخذُوا لخِدْمَةِ ابنِ اللّه أُهْبَةً وَاحتفُّوا بهِ، لئَلاَّ تَصْطَدِمَ بحَجَرٍ رِجْلُهُ، وعَرَفَ أَنَّهُ يَطأُ الصِّلَّ والأَفْعَى ويَدوسُ الأَسَدَ والتِّنِّينَ.[٣٢] أَمَّا بشأْنِ الحَاجَاتِ الدُّنْيَا الّتي يَسْتَخِفُّ بِهَا، فَقَدْ بَقِيَ إِبْلِيسُ صَامِتًا، لكِنْ بذِكْره الأُمورَ العُلْيَا أَرادَ أَنْ يَجْعَلَ مَنْ يُجرِّبُه خَاضِعًا لَه، رَاجِيًا أَنْ يَسْمَعَ صَدَى مَجْدِه في تَعْبِيرِ رَبِّ الجَلالَةِ عَنِ الثِّقةِ بِه. في متّى ٣. ٤.[٣٣]

إِنْ كُنْتَ ابنَ اللّه. الذَّهبيُّ الفم: لأَيِّ سَبَبٍ كَانَ إِبْلِيسُ يُضِيفُ في كُلِّ تَجْرِبَةٍ: «إِنْ كُنْتَ ابنَ اللّه؟» يفْعَلُ الآنَ، كَمَا فَعلَ سَابِقًا، أَيْ كَمَا سَخِرَ باللّه آنئذٍ قَائلاً: «يَوْمَ تَأْكُلانِ مِنْهُ تَنْفَتِحُ أَعْيُنُكُمَا»،[٣٤] مُشِيرًا إِلى أَنّهما خُدِعَا وخُتِلا، وَلَمْ يَنَالا فَائِدَةً: هَكَذا يَدُسُّ أَيْضًا هُنَا الشَّيءَ ذاته قَائلاً: «بَاطِلاً دَعَاكَ اللّه ابنًا: وَخَدَعكَ بعَطِيَّتِه، لأَنَّه، إِذا لَمْ يَكُنِ الأَمرُ كَذَلِكَ، فَأَعْطِنا بُرْهَانًا وَاضِحًا عَلَى أَنَّ لَكَ القُدْرَة». وَكَانَ المَسِيحُ في حِوَارِهِ يُورِدُ آياتِ الكِتَابِ المُقَدَّس، وَكَانَ إِبلِيسُ يُبَارِيهِ مُسْتَشْهِدًا بأَقْوالِ النَّبِيِّ. إِنجيلُ متّى، الموعظة ١٣. ٤.[٣٥]

كَيْفَ أَسَاءَ إِبْلِيسُ تَفْسِيرَ الكِتَابِ المُقدّس. جيروم: «أَلْقِ بنَفْسِكَ إِلى الأَسْفَلِ» هَذا صَوْتُ إِبْلِيس، الَّذي عبره يَشَاءُ سُقوطَ الجَمِيعِ. يَقُولُ «أَلْقِ بنفْسِكَ». إِنَّه قَادِرٌ عَلَى

---

(٣٠) CCL 77: 20

(٣١) MKGK 103

(٣٢) مزمور ٩١: ١٣ (٩٠: ١٣).

(٣٣) SC 254: 116

(٣٤) تكوين ٣: ٥.

(٣٥) PG 57: 211; NPNF 1 10: 82

الإقْنَاعِ، لكنّه عَاجِزٌ عَنْ إلْقَاءِ أَيِّ امرِئٍ إلى الأَسْفَلِ. «يُوصِي مَلائِكَتَهُ بكَ، فيَحْمِلُونَكَ عَلَى أَيديهِم لئلاَّ تَصطَدِمَ رِجلُكَ بِحجرٍ».[٣٦] هَذَا مَا نَقْرَأُه في المَزْمُورِ التّسْعِين. يتَّضِحُ أَنَّ النُّبوّةَ لَمْ تَكُنْ هُنَا عَنِ المَسِيحِ، بَلْ عَنْ إنْسَانٍ قِدِّيسٍ. إذًا إبْلِيس هُو مُفَسِّرٌ رَدِيءٌ للكِتَابِ المُقَدَّسِ. بالتَّأْكِيدِ لو عَرَفَ إبْلِيسُ مَا كُتِبَ عَنِ المُخَلِّصِ، لأَوْرَدَ أيضًا الآيَاتِ اللاَّحِقَةَ في المَزْمُورِ ذاته ليكُونَ عَليهِ ضِدًّا: «يَطَأُ الصِّلَّ والأَفْعَى ويَدُوسُ الشِّبْلَ والتِّنِّين».[٣٧] وفِي مَا يَخُصُّ مُسَاعَدَةَ المَلائكَةِ، فإنَّه يتَكلَّمُ كَمَا لَوْ أنّه يتَكلَّمُ إلى رَجُلٍ ضَعِيفٍ. وفِي مَا يَخُصُّ دَوْسَه لَهَا تَحْتَ الأَقْدَامِ، يَسْكُتُ مِثْلَ مُرَاوِغٍ مَاكِرٍ.

قَالَ يَسُوعُ لَه: «مكتُوبٌ أيضًا: لا تُجرِّبِ الرَّبَّ إلـهَكَ». يكْسِرُ يَسُوعُ الأَسْهُمَ الكَاذِبَةَ مِنْ كِتَابِ إبْلِيسَ بدِرْعِ الكِتَابِ المُقَدَّسِ الحَقِيقيِّ. لَقَدْ قَدَّمَ شَهَادةً ضَروريَّةً مِنْ سِفْرِ تَثْنِيةِ الاشْتِرَاعِ، ليُظْهِرَ أَسْرَارَ الشَّرِيعَةِ الثَّانيةِ. تَفْسِيرُ متّى ١.٤.٥-٧.[٣٨]

٤:٧ لا تجرِّبِ الرَّبَّ

التَّغلُّبُ عَلَى التَّجْرِبةِ بالصَّبْرِ. الذَّهَبيُّ الفَم

مَاذَا يَفْعَلُ المَسِيحُ؟ يَتَحَدَّى إبْلِيسَ بلا سُخْطٍ أَوْ غَضَبٍ، مُورِدًا بلُطْفٍ فَائقٍ آيةً أُخْرَى مِنَ الكِتَابِ المُقَدَّسِ فيَقُول: «لا تُجرِّبِ الرَّبَّ إلهَكَ».[٣٩] فعَلَّمَنَا أنَّه وَاجِبٌ عَلَيْنا أَنْ نَتَغلَّبَ عَلَى إبْلِيسَ لا بالآيَاتِ، بَلْ بالصَّبْرِ وَطُولِ الأَنَاةِ، وَأَنْ لا نَفْعَلَ شَيئًا بُغْيَةَ التَّفَاخُرِ وَالتَّبَاهِي. إنْجِيلُ متَّى، الموعظة ١٣. ٤.[٤٠]

أَخَذَه إلَى مكَانٍ لَن نَقْدِرَ على أَنْ نَتْبَعَه إليهِ. كَاتِبٌ مَجْهُولٌ

«ثُمَّ أَخَذَه إبْلِيسُ إلَى المَدِينَةِ المُقَدَّسَةِ». عِنْدَمَا تَسْمَعُ هَذِه الكَلِمَاتِ أَنَّ «إبْلِيسَ أَخَذَه»، لا تُفكِّرْ في أَنْ إبْلِيس قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَقْتَادَ المَسِيحَ، بل، بالأَحْرَى، تَأَمَّلْ في صَبْرِ المَسِيحِ لَمَّا سَمحَ لَه أَنْ يَقْتَادَه. فَلَمْ يُظْهِرِ الرَّبُّ هُنَا ضَعْفًا بَلْ صَبْرًا؛ وَلَمْ يُظْهِرْ إبْلِيسُ قُوَّةً بَلْ تَفَاخُرًا، لأَنَّهُ، في عَدَمِ فَهْمِهِ لِمَشِيئَةِ المَسِيحِ، ظَهَرَ وَكَأَنَّه أَكْرَهَهُ على الانصِيَاعِ. اقتِيدَ يسوع لئلاَّ نَتْبَعَ إرَادَةَ إبْلِيس. عَمَلٌ غيرُ كَامِلٍ حَوْلَ متّى، الموعظة ٥.[٤١]

---

[٣٦] مزمور ٩١: ١٢ (٩٠: ١٢).

[٣٧] مزمور ٩١: ١٣ (٩٠: ١٣).

[٣٨] CCL 77: 21-22

[٣٩] متّى ٤: ٧.

[٤٠] PG 57: 211; NPNF 1 10: 82

[٤١] PG 56: 665

٨:٤ التَّجربةُ الثَّالِثَةُ

التَّعْبِيرُ عَنْ تَدْبِيرِ الله حَتَّى في التَّجْرِبَةِ. ثيودور المبسوستيّ: إنَّ عِبَارَةَ «أَخَذَه إبْلِيس» يَجِبُ فَهْمُها بالعَوْدَةِ إلى تَدْبيرِ الله، لأنَّ المَسِيحَ كَانَ رَاغِبًا في ذَلِكَ وَطَالِبًا مِنْه تَحْقِيقَه، وكَانَ قَدْ وَضَعَ خطَّةً لهَزِيمَةِ مَنْ حَاوَلَ عبثًا أَنْ يُجرِّبَه. فَفِي حَالَةِ أَيّوب يَقُولُ الكِتَابُ: «قَالَ إبْلِيسُ للرَّبِّ».[٤٢] لَكِنْ مَنْ هُوَ السَاذجُ المَأفُونُ الَّذي يَحسبُ إبْلِيس يُنَاقِشُ الأُمُورَ مَعَ الله؟ لَكِنْ مَا عَزَمَ عَلَى فِعْلِه سَمَحَ الله بِهِ لكَي يكْشِفَ إخلاصَ أَيّوب. يَنْطبِقُ هَذَا عَلَى إبْلِيس الَّذي حَقَّقَهُ مَا حقَّقَ بسَمَاحٍ مِنْ الله وَفْقًا لتَدْبِيرِه. أَمَّا بالنِّسْبَةِ إلَى عِبارةِ «أَرَاهُ» فَالوَاضِحُ أَنَّ الرُّؤيَةَ لَمْ تَكُنْ وَاقِعيّةً بل إيهاميّة، وَفْقًا لعَادَةِ إبْلِيس، إذْ يَسْتَحيلُ عَلَى المرءِ أَنْ يَرَى العَالَمَ كُلَّه مِنْ شَوَاهِقِ القِمَمِ. هِيَ رَمْزٌ وَاضِحٌ لتَضْلِيلِ النَّاسِ عَنِ الفَهْمِ السَّلِيمِ، إذْ إنَّها تُصَوِّرُ لَهُم أُمُورًا لَيْسَت مَوْجُودَةً وَكَأنَّها مَوْجُودة، وَلَيْسَتْ وَاقِعًا وَكَأَنَّها وَاقِعَةٌ. المقطع ٢٢.[٤٣]

٩:٤ إنْ سجَدْتَ لي وعَبدْتَني

التَّنَاقُضُ في وَعْدِ إبليس. كَاتِبٌ مَجْهُولٌ: تَأمَّلْ مَلِيًّا كَيفَ أَنَّ كُلَّ وَعْدِ إبْلِيس هُوَ غَيْرُ مَنْطِقِيٍّ وكَاذبٌ. إنَّه، بالتَّأكِيدِ، لا يَقْدِرُ على أَنْ يُعْطِيَ المَرْءَ كُلَّ شَيءٍ مَا لَمْ يَنْتَزِعْ كُلَّ شَيءٍ مِنَ الجَمِيعِ. فَلَوِ انتَزَعَ كُلَّ شَيءٍ مِنَ الجَمِيعِ، لَمَا سَجَدَ لَهُ أَحَدٌ. تَذَكَّرْ أَنَّ إبْلِيسَ لا يُعْبَدُ نَتِيجَةَ المَحَبَّةِ أَو نَتِيجَةَ الخَوفِ، بَلْ لأَنَّه يَعِدُ بالثَّرْوَةِ. فَكَيفَ يَسْتَطِيعُ إبْلِيسُ أَنْ يَنْتَزِعَ كُلَّ شَيءٍ مِنَ الجَمِيعِ ليُعْطِيَهُ لشَخْصٍ وَاحِدٍ حَتَّى يَحْتَقِرَه الجَمِيعُ ويَعْبُدَه شَخْصٌ وَاحِدٌ؟ إنَّنَا لا نَسْتَطِيعُ القَولَ إنَّ المَرْءَ قَادِرٌ عَلَى الاحْتِفَاظِ بِمَا لَه في وقتٍ يَتَولَّى فيه إبلِيسُ كُلَّ شيءٍ. لَيْسَتْ هُنَاكَ حَالَةٌ يَكُونُ فِيهَا المَرْءُ غَيرَ خَاضِعٍ لأَحَدٍ. هَذَا لَمْ يَحْدُثْ، ولَنْ يَحْدُثَ. لِمَاذَا؟ أَوَّلاً، لأَنَّ الله لَنْ يَمْنَحَ إبْلِيسَ مِثْلَ هَذِه القُدْرَةِ الكَامِلَةِ؛ ثَانِيًا، بِسَبَبِ إبْلِيس نَفْسِه؛ فَفَرحُهُ وَمَجدُه وَقُدْرَتُه تَرتكِزُ عَلَى الكِبْرِياءِ وَالحَسَدِ وَالحَنَقِ وَالمَجْدِ البَاطِلِ وَمَا شَابَهَ. عِنْدَمَا تَنْشَطُ هَذِه الرَّذَائِلُ، تَنْهَارُ كُلُّ مَمْلَكَةٍ وتَنْقَسِمُ إلَى مَمالِكَ لا يُحصِيهَا العَدُّ. أَمَّا عِنْدَمَا لا تَكُونُ هَذِه الرَّذَائِلُ نَاشِطَةً، فإنَّ إبليسَ لا يُبَجَّلُ وَلا يَتَسلَّطُ عَلَى أَحَدٍ. عَمَلٌ غيرُ كَامِلٍ حَوْل متّى، الموعظة ٥.[٤٤]

---

[٤٢] أيوب ١: ٧؛ ٢: ٢.
[٤٣] MKGK 104
[٤٤] PG 56: 667

التَّجَارِبُ الثَّلاثُ. غريغوريوسُ الكبيرُ: إذَا نَظَرْنَا إلى سَيْرِ التَّجَارِبِ، لرَأَيْنا كَمْ كَانَ كِفَاحُ السَّيِّدِ عَظِيمًا لتَحْرِيرِنَا مِنَ التَّجْرِبَةِ. فَعَدُوُّنَا القَدِيمُ جَبَهَ سَلَفَنَا الإِنْسَانَ الأَوَّلَ في ثَلاثِ تَجَارِب. جَرَّبَه بِالشَّرَاهَةِ وَالمَجْدِ البَاطِلِ والطَّمَعِ. تَغَلَّبَ إبليسُ عَلَى آدم لَمَّا أَوقَعَهُ في التَّجْرِبَةِ وَأَخْضَعَهُ. جَرَّبَه بِالشَّرَاهَةِ لَمَّا أَرَاهُ ثَمَرَ الشَّجْرَةِ المُحَرَّمَةِ فَقَالَ لَه «ذُقْهُ»، وَبِالمَجْدِ البَاطِلِ لَمَّا قَالَ لَهُ «إِنَّكَ تَصِيرُ مِثْلَ اللّه». جَرَّبَه مُضِيفًا الجَشَعَ فَقَالَ ستَعْرِفُ الخَيرَ وَالشَّرَّ». الجَشَعُ لا يَتَعَلَّقُ بِالمَالِ فَحَسْب، بَلْ أيضًا بِكُلِّ مَنْصِبٍ رَفِيعٍ. نُسَمِّي حِرصَنَا عَلَى مَنصِبٍ رَفِيعٍ جَشَعًا. فَلَو كَانَ اختِلاسُ المَنَاصِبِ لا عَلاقَةَ لَه بِالجَشَعِ، لَمَا قَالَ بولسُ عَن ابن اللّه الأَوحَدِ: «لَمْ يَعْتَبِرْ مُسَاوَاتَه للّه اختِلاسًا».[٤٥] لَقد قَادَ إبْلِيسُ جَدَّنا الأَوَّلَ إلَى التَّصلُّفِ بِدَفْعِه إيَّاه إلَى رَغْبَةٍ جَشِعَةٍ في مَنْصِبٍ رَفِيعٍ.

لَكِنَّ الوَسَائلَ الَّتي تَغَلَّبَ بِهَا عَلَى الإِنْسَانِ الأَوَّلِ كَانَتْ هِيَ ذَاتَها الَّتي قَادَتْهُ إلَى الإِذْعَانِ لَمَّا جَرَّبَ آدمَ الثَّانِي. جَرَّبَه إبْلِيسُ بِالشَّرَاهَةِ لَمَّا قَالَ لَه: «قُلْ لِهذِهِ الحِجَارَةِ أَنْ تَصِيرَ خُبْزًا». جَرَّبَه بِالمَجْدِ البَاطِلِ لَمَّا قَالَ لَه: «إِنْ كُنْتَ ابنَ اللّه فَأَلْقِ بِنَفْسِكَ إلَى الأَسْفَلِ». جَرَّبَه بِرَغْبَةِ التَّهَالُكِ عَلَى المَنْصِبِ الرَّفِيعِ لَمَّا «أَرَاهُ جَمِيعَ مَمَالِكِ الدُّنيا قَائلاً: [أُعْطِيكَ هَذا كُلَّه إِنْ سَجَدتَ لي وعَبَدتَني]». لَكِنَّ الإِنْسَانَ الثَّاني أَحْبَطَ أَسَالِيبَ إِبْلِيس الَّتي تَفَاخَرَ بِأَنَّه تَغَلَّبَ بِهَا عَلَى الإِنْسَانِ الأَوَّلِ. يَخرُجُ مِنْ قَلبِنا مِنْ حَيْثُ دَخَلَ فِيهِ أَوَّلاً.

لَكِنْ هُنَاكَ شَيءٌ آخَرُ يَجِبُ أَنْ نأخُذَه في الاعتبار، أَيُّها الإِخْوَةُ الأَحِبَّاءُ، في تَجْرِبَةِ الرَّبِ. فلَمَّا جَرَّبَ إبْلِيسُ الرَّبَّ أَجَابَه الرَّبُّ عبر وَصَايا الكِتَابِ المُقَدَّس. وبِكَونِهِ الكَلِمَةَ فَقَدْ كَانَ قَادِرًا على أَنْ يُرسِلَ مُجَرِّبَه إِلَى الهَاوِيَةِ بِسُهُولَةٍ، لَكِنْ لم يُظْهِرْ قُدْرَةَ قُوَّتِهِ. كُلُّ مَا فَعَلَهُ هُوَ أَنَّهُ أَوْرَدَ رُسُومَ الكِتَابِ المُقَدَّس. كَانت غَايَتُهُ أَنْ يُعْطِينا مَثَلاً عَنْ صَبْرِه، حَتَّى، إذَا تَأَلَّمْنَا عَلَى يَدِ الآثِمِين، نَنْهَضَ للتَّعْلِيمِ بَدَلاً مِنَ الانتِقَامِ القَاسِي. مَا أَعْظَمَ صَبْرَ اللّه، وَمَا أَضْيَقَ صَبْرَنا! فَنَحنُ إذَا أُوذِينَا أُو هُدِّدْنا بِالأَذَى، أَو أُسْخِطْنَا، نَسْعَى إلَى الانْتِقَامِ. وَعِندَمَا نَعجَزُ عَنْ الانتِقَامِ نَتَهَدَّدُ ونَتَوَعَّدُ. لَكِنَّ الرَّبَّ تَحَمَّلَ مُعَارَضَةَ إِبْلِيس، وَلَمْ يُجِبْهُ بِسِوَى كَلامِ الوَدَاعَةِ. إِحْتَمَلَه مَع أَنَّه كَانَ قَادِرًا عَلَى مُعَاقَبَتِهِ... وتَغَلَّبَ عَلَيهِ لا بِتَدْمِيرِه بَلْ

[٤٥] فيليبي ٢: ٦.

بـإكْراهـهِ عَلـى تَـحمُّلِ الـعُقُوبـةِ لمدَّةٍ مُعيَّنَة. أربعونَ عِظَة إنجيليَّة ٦١.٢-٣.[٤٦]

٤:١٠ إيّاهُ وَحْدَهُ تَعْبُدُ

مُـحَـاولَـةُ الاسْـتِـفْـسَـادِ عبر الجَشَـعِ. هيلاريون: الآنَ، وَلِلْمَرَّةِ الثَّالِثَةِ، يكُونُ طَمَعُ القُوَّةِ الشَّيْطَانيَّةِ فَاعِلاً. مَضَى إبْلِيسُ بالرَّبِّ إلَى جبَلٍ عَالٍ جِدًّا. فَوعَدَ بأَنْ يكُونَ لَه كُلُّ مَمَالِكِ العَالَمِ ومَجْدِهِ إذا سَجَدَ لَه وَعبَدَه. لكِنَّ جوابَه بدَّد كُلَّ شُكُوكِ إبْلِيس. لَقَدْ جَرَّبَ إبْـلِـيسُ آدمَ بـالـطَّـعَـامِ، وَقَـادَه مِنْ مَـجْدِ الفِرْدَوْس إلى مَكَانِ الخَطِيئَةِ-إلى مِنْطَقَةِ الشَّجَرَةِ المُحَرَّمة. أَغْرَاهُ. زَيَّنَ لَهُ أنَّهُ سَيُصبِحُ مُمَاثِلاً للّه إذا أكلَ منها... هُنَا وضَعَ جوابُ الـرَّبِّ المَسْـأَلَـةَ عَلَـى مُسْتَوى أَعْلَـى. فَقَـالَ: «أُغْرُبْ عَنّي يا شَيْطَانُ! فَإنّه مكْتُوبٌ: للرَّبِّ إلـهِكَ تَـسجُدُ، وإيَّـاهُ وَحْدَهُ تَـعبُدُ». إضطُرَّ إبْلِيسُ إلَى أنْ يَتحمَّلَ نَتيجَةَ تَهوُّرِه، بَعْدَ أَنْ نَمَت علَيهِ جَرائمُهُ. فَأَدْرَكَ أَنَّ الرَّبَّ إلهٌ يجبُ أنْ يُعْبَدَ في الإنْسَان. بِهذه الإجابَةِ الفِعْلِيَّةِ أَعْـطَـانـا الـرَّبُّ مَـثَـلاً حَـاسِـمًـا. بـالازْدِراءِ بـالقُدْرَةِ الإنْـسانِيَّةِ وَبـالإقْلالِ مِنَ الطَّمَعِ الدُّنْيَويِّ، يَجِبُ أَنْ نَتَذكَّرَ أيضًا أَنَّ الرَّبَّ الإلَهَ يَـجِبُ أَنْ يُعْبَد، لاسيَّمـا وَأَنَّ كَرامَـةَ إبْلِيس أَصْبَحَتْ مُهَانَةً في كُلِّ زَمَانٍ. بَعْدَ أَنْ هَرَبَ إبْـلِـيس جَـاءَتِ المَلائِـكَـةُ لِـتَـخْـدِمَ المَسِـيحَ. فَبانْتِصَارِ الإنْسَانِ عَلَى إبْلِيس، وبـانْسِحَاقِ رَأسِه، نَقْدِرُ الآنَ على أَنْ نَرَى بشَكْلٍ أَفْضَلَ خِدْمَةَ المَلائِكَةِ لَنا وَعِنَايَةَ القوَّاتِ السَّماويَّةِ بِنَا. في متّى ٣. ٥.[٤٧]

حُدُودُ قُدْرَةِ إبْلِيس فِي التَّجْرِبَةِ. كَاتِبٌ مَجْهُولٌ: لَقَدْ وَضَعَ الربّ يَسوعُ حدًّا لِتَجْرِبَةِ إبْلِيس لمَّا قَالَ: «أُغْرُبْ عنّي، يا شَيْطَان». فَعَجِزَ إبْلِيسُ عَنِ التَّقدُّمِ أَكْثَرَ بتَجْرِبَتِه. لكِنَّنَا نَقْدِرُ على أَنْ نَفْهَمَ وَنُؤكِّدَ، بِشَكْلٍ لا يَعْتَوِرُهُ شَكٌّ، أنّه لَمْ يَنْسَحِبْ طَوعًا. بالأَحْرَى، إنَّ أُلوهيَّةَ المَسِيحِ وقوّةَ الرُّوحِ القُدُسِ هُمَا اللّتَان طَرَدتَا إبْلِيس. هَذَا يُواسِينَا مُواسَاةً عظيمةً، لاسِيَّما أَنَّ إبْلِيس يَـعْـجِـزُ عَـنْ تَـجْـرِبَـةِ شَـعْبِ الله كَمَـا يَـشَاءُ. بـاسْـتِـطَـاعَـتِـهِ أَنْ يُجَرِّبَـهم قَدْرَ مَـا يَسْمَـحُ لَـه المَسيحُ أَو الرُّوحُ القُدُسُ الّذي هُوَ فِيهِم. عَمَلٌ غَيْرُ كَامِلٍ حَوْلَ متّى، الموعظة ٥.[٤٨]

انْعِكَاسُ عَرْضِ إبْلِيس. جيروم: «ثُمَّ قَالَ يَسوعُ لَهُ أُغْرُبْ عنّي يَا شَيْطَانُ! فإنَّه مكْتُوبٌ: لِـلـرَّبِّ إلـهِكَ تَسجُدُ، وإيّاهُ وَحْدَهُ تَـعبُدُ». إنَّ إبْلِيسَ والرَّسُولَ بُطْرُس لا يُدَانَانِ بالدَّيْنُونَةِ ذاتِها، كَمَا يَظُنُّ بَعْضُهُم. فَقَدْ قِيلَ لِبُطْرُسَ «إِذْهَبْ خَلْفِي، يَا شَيْطَانُ»، أَي اتبَعْني أَنتَ

[٤٦] PL 76: 1135-36

[٤٧] SC 254: 116- 18

[٤٨] PG 56: 668

الَّذي تُخالِفُ مَشيئَتي. لَكِنَّ إبْليس سَمِعَ: «أُغْرُبْ عَنِّي يَا شَيطانُ»؛ لَمْ يُقلْ لَه «إذْهَبْ خَلْفِي»، كَمَا لَوْ أَنَّه أمرٌ في غَايَةِ البَسَاطَةِ. إنَّهُ أَمْرٌ: «للرَّبِّ إلهكَ تَسجُدُ، وإيَّاهُ وَحْدَهُ تَعبُدُ». هَذَا يَعْكِسُ كَلامَ إبْليس السَّابِقِ إلى المُخَلِّص: «إنْ سَجَدْتَ لي وَعَبدتَني». الآنَ يَسْمَعُ بِأَنَّه هُوَ الَّذي يَجِبُ أَنْ يَعْبُدَ رَبَّه وَإلهَه، وَإلاَّ «ادخُلِ النَّارَ الأَبديَّةَ المُعَدَّةَ لَكَ ولِمَلائكتِكَ».[٤٩] تَفْسِيرُ مَتَّى ١.٤.١٠-١١.[٥٠]

الرَّبُّ يَهْزَأُ بإبليس. كروماتيوس: يُمَثِّلُ دَاودُ سَبْقيًّا هَذَا الرَّفْضَ للتَّجْرِبةِ عِنْدَمَا يَتكلَّمُ عَلى الرَّبِّ، فَيقُول: «وَلا تَقْتَرِبُ نَكْبَةٌ مِنْ مَسْكَنِه».[٥١] فَخَطِيئَةُ النَّكْبَةِ الشَّيْطَانيَّةِ تَعْجَزُ عَنِ الاقْتِرَابِ مِنْ جَسَدِ الرَّبِّ. لِذَلِكَ تَحَمَّلَ الرَّبُّ التَّجْرِبَةَ مِنَ العَدُوِّ ليُعِيدَ الانْتِصَارَ إلَى الجِنْسِ البَشَريِّ. وَبِذَلِكَ هَزِئَ بإبْليسَ، وَفْقَ مَا يُعْلِنُه دَاودُ: «وَيَمْرَحُ فيه لُويَاثَانُ (التِّنِّين) الَّذي صَوَّرته».[٥٢] ومرَّةً ثَانِيَةً يُعْلِنُ أَنَّه: «يَسْحَقُ المُفْتَري».[٥٣] وأَيضًا: «سَحَقْتَ رُؤوسَ لوياثان (التِّنِّين) عَلَى المِيَاهِ».[٥٤] في سِفْرِ أَيُّوب يُعْلِنُ الرَّبُّ أَنَّ لوياثان (التِّنِّين) يُسْخَرُ مِنْه ويُلْقَى القَبْضُ عَلِيهِ في هَذِه التَّجْرِبَةِ، قَائلاً: «ولوياثان (التِّنِّين) تَصْطَادُه بشَصّ».(٥٥) موعظةٌ حول متَّى ٥.١٤.[٥٦]

١١:٤ فَإذَا بِمَلائِكَةٍ قَدْ دَنَوا مِنْه وَأَخَذُوا يَخْدِمُونَه

السَّماحُ له بالتَّجْرِبَةِ. كَاتِبٌ مَجْهُولٌ: لَمْ يَقُلْ: «وَإذا بمَلائكةٍ نَزلَتْ وَأَخَذَتْ تَخْدِمُه»، ليُظْهِرَ أَنَّ المَلائِكَةَ كَانَتْ دَائمًا عَلى الأَرْضِ لتَخْدِمَه. إنَّها، بالأحرى، ابْتَعَدَتْ عَنْه عَمَلاً بِوَصِيَّةِ الرَّبِّ، لِيُتَاحَ لإبْليس أَنْ يَعْمَلَ ضِدَّ المَسِيحِ. فَلو رَأَى إبْليسُ المَلائِكَةَ حَوْلَهُ لَمَا دَنَا مِنْهُ. في هَذَا الطَّريقِ ذاته يَأْتي إبْليسُ بِشَكْلٍ خَفِيٍّ لِيُجَرِّبَ المُؤمِنَ. هُنَاكَ مَلاكَانِ يَقِفَانِ دَائمًا إلَى جَانِبِ كُل وَاحِدٍ مِنَّا: مَلاكٌ صَالِحٌ وآخرُ شِرِّيرٌ. فَإذَا كَانَ المَلاكُ الصَّالِحُ مَعَنَا فَإنَّ المَلاكَ الشِّرِّيرَ يَعْجَزُ عَنْ إيقَاعِنَا في التَّجْرِبَةِ. استِنَادًا إلَى تَدْبِيرِ اللَّه، قد يَتَوَارَى المَلاكُ الصَّالِحُ قَلِيلاً. إنَّه لا يَتَوارَى بَلْ يُخْفِي نَفْسَه، أي يَحْتَجِبُ أَمَامَ إبْلِيس. فَإذا كَانَ المَلاكُ الصَّالِحُ لا يَرْغَبُ في أَنْ يُعْرَفَ فَإنَّ إبْلِيس لا يَرَاهُ. لذَلِكَ يَنْسَحِبُ

[٤٩] أنظر متَّى ٢٥: ٤١.
[٥٠] CCL 77: 22-23
[٥١] مزمور ٩١: ١٠ (٩٠: ١٠).
[٥٢] مزمور١٠٤: ٢٦ (١٠٣: ٢٦).
[٥٣] مزمور٧٢: ٤ (٧١: ٤).
[٥٤] مزمور٧٤: ١٣- ١٤ (٧٣: ١٣-١٤).
[٥٥] أيّوب ٤٠: ٢٤.
[٥٦] CCL 9a: 255

لِيُفْسِحَ في المَجَالِ أمامَ إبْلِيس لِيُجَرِّبَ الإنْسانَ، وَيَنْتَظِرُ خاتِمَةَ الأمر. عَمَلٌ غيرُ كَامِلٍ حَوْلَ متّى، الموعظة ٥.[٥٧]

[٥٧] PG 56: 671

٤:١٢–٢٢ دَعوَةُ التَّلاميذِ الأوَّلين

[١٢] وسَمِعَ يَسوعُ باعتِقالِ يوحنّا، فرجعَ إلى الجليلِ. [١٣] ثُمَّ تركَ النّاصِرةَ وجاءَ فسكَنَ في كَفْرَناحومَ على شاطِئِ بحرِ الجليل في تُخُومِ زبولونَ ونفتالي، [١٤] ليَتِمَّ ما قيل بلسانِ النَّبيِّ إشعيا:

[١٥] «أرضُ زَبولونَ وأرضُ نَفتالي،
طريقُ البحرِ، عَبْرُ الأردن،
جليلُ الأُمَمِ!
[١٦] ألشَّعبُ الجالِسُ في الظَّلامِ
رأى نورًا عظيمًا،
والجَالسونَ في أرضِ المَوتِ وَظِلالِهِ
أشرَقَ علَيهِم النُّورُ».

[١٧] وبدأ يَسوعُ مِنْ ذلِكَ الوقتِ يُبشِّرُ فيقولُ: «توبوا، لأنَّ مَلكوتَ السَّماواتِ اقترَبَ».

[١٨] وكانَ يَسوعُ يَمشي على شاطئِ بحرِ الجليلِ، فرأى أخوَينِ هُما سِمعانُ المُلقَّبُ بِطُرسَ وأخوهُ أندراوُسُ يُلقِيانِ الشَّبَكَةَ في البحرِ، لأنَّهُما كانا صيَّادَيْنِ. [١٩] فقالَ لَهُما: «إتبَعاني أجعَلْكُما صيَّادَيْ بشرٍ». [٢٠] فترَكا شِباكَهُما في الحالِ وتَبِعاهُ.

[٢١] وسارَ مِنْ هُناكَ فرأى أخوَينِ آخَرَينِ، هُما يعقوبُ بنُ زَبَدي وأخوهُ يوحنّا، معَ أبيهِما زبَدي في قارِبٍ يُصلِحانِ شِباكَهُما، فدعَاهُما إليهِ. [٢٢] فترَكا القارِبَ وأباهُما في الحالِ وتَبِعاهُ.

نَظْرَةٌ عَامَّةٌ: إنتَظَرَ يَسُوعُ اعتِقَالَ يُوحنّا حتَى يَبْدَأَ التَّبشيرَ بالتَّوبةِ (الذَّهبيُّ الفم). لَمَّا وَصَلَ يُوحنَّا بالعَهْدِ القَديمِ إلَى نِهَايَتِهِ، بَدَأَ يَسوعُ «بالتَّبشير» بالعَهْدِ الجَديدِ بكونِهِ هُو نَفْسُه بَدَاءتَه (أوريجنّس). لَمْ تَكُنْ غَايةُ يَسوع أَنْ يَدوسَ تعليمَ يُوحنّا، إنَّما أَنْ يُثبِّتَه (كَاتِبٌ مَجْهولٌ). مَا مِنْ أَحَدٍ يَقْدِرُ على أَنْ يَتَلَقَّى نِعْمَةَ اللّه إلاّ إذا تَطهَّرَ مَنْ كُلِّ رِجْسٍ بالاعْتِرافِ وَالتَّوبَةِ (كروماتيوس). فَلْيَبْتَهِجِ الأَبْرارُ، لأَنَّ اضطِّراباتِهم تَنْتَهي الآن. وَلْيَنْتَحِبِ الأثَمَةُ، لأَنَّ اضطِّرابَاتِهم ستَبْدَأُ (كَاتِبٌ مَجْهولٌ).

قَدَّمَ لَنَا يَسُوعُ، في رُجُوعِهِ إلَى الجَلِيلِ، نَمُوذَجًا نَتَعَلَّمُ مِنْه أَنْ لا نَتَطلَّعَ إلَى التَّجَارِبِ أو إلَى الاضطِّهَادَاتِ (كيرلّس الإسْكَندريّ)، بَلْ أَنْ نَتَجَنَّبَ دَائِرَةَ تَأْثِيرِهِم (الذَّهَبيُّ الفَم). رَجَعَ يَسُوعُ إلَى الجَلِيلِ لا لأَنَّه يَخَافُ المَوتَ، بَلْ لِيُبْقِيَ آلامَه إلَى أَنْ تَحينَ سَاعَتُهُ، وَلِيُعْطِينَا مِثَالاً للهُرُوبِ مِنْ خَطَرِ التَّجرِبَةِ (كاتِبٌ مَجْهولٌ).

أَلنُّورُ العَظِيمُ هُوَ الإِنْجِيلُ (كيرلّس الإسكندريّ). وَالنُّورُ يُشْرِقُ عَلَى القَابِعِينَ في ظِلِّ المَوتِ، حتَّى عِنْدَمَا لا يَبْحَثُون عَنْه (أوريجنّس). مِنَ المُلائم أَنْ تُعْتَقَ قَبائِلُ الأُمَمِ في الجَلِيلِ مِنَ الأَسْرِ الرُّوحيِّ بَعْدَ أَن اقتِيدوا إلَى الأَسْرِ الجَسَديِّ (كَاتِبٌ مَجْهولٌ). كَمَا أَنَّ الآبَ نُورٌ، الابنُ نُورٌ. بُقْعَةُ المَوتِ وَظِلُّه هُمَا المَقَامُ الجهنَّميُّ الّذي أَدْخَلَ إليه المُخَلِّصُ نُورَ جَلالِه عَلى المُتَسَرْبِلين المَوتَ (كروماتيوس).

لَمَّا دَعَا يَسوعُ تَلامِيذَهُ، تَرَكُوا لِلْحَالِ شِبَاكَهُم. فَالمَسِيحُ يَطْلُبُ مِنَّا هَذا النَّوعَ مِنَ الطَّاعَةِ الفَوريَّةِ (الذّهبيُّ الفم). فَالمُتَمَسِّكونَ بالأُمُورِ الرُّوحِيَّةِ يُرْفَعُونَ بِهَا (كَاتِبٌ مَجْهُولٌ). إِنَّكَ سَتَتْرُكُ وَرَاءَكَ الكَثِيرَ إِنْ أَنكَرْتَ الرَّغَبَاتِ الدُّنيويَّةَ. فَالرَّبُّ يَنْظُرُ إِلَى القَلْبِ لا إِلَى ثَرْوَتِنا المَادِّيَّةِ (غريغوريوس الكَبير). عَلَى كُلِّ تِلْمِيذٍ يَأْتي إِلى المَسِيحِ أَنْ يَتْرُكَ وَرَاءَه هَذِه الارْتِبَاطَاتِ الثَّلاثَةَ: أَعمَالَ الجَسَدِ، الثَّروَاتِ المَادِّيَّةَ والآبَاءَ بِحَسَبِ الجَسَدِ (كَاتِبٌ مَجْهُولٌ). يَجْدُرُ بِنَا، لِلحُصُولِ عَلَى المَلَكُوتِ، أَنْ نُضَحِّيَ بِكُلِّ مَا نَمْلِكُه وَمَا نَرغَبُ فِي امتِلاكِهِ (غريغوريوس الكَبير). فَيَسوعُ لَمْ يُعَارِضْ تَلامِيذَه لَمَّا أَرَادُوا الابْتِعَادَ عَنْهُ، وَلَمَّا ابتَعَدُوا عَنْه لَمْ يَدْعُهُمْ إلى التَّخَلّي عَنهُ (الذّهبيُّ الفم). يَرَى يَسوعُ تَلاميذَهُ لا مِنْ حَيْثُ الجَسَدِ بَلْ مِنْ حَيْثُ الرُّوحِ، وَلا يَخْتَارُهُم كتَلاميذَ لَه بَلْ لأَنهُم أَكفَاءُ لأَنْ يُصْبِحُوا تَلامِيذَه (كَاتِبٌ مَجْهُولٌ). اختَارَ صَيَّادِي السَّمَكِ غيرَ المُتَعَلِّمين، غَيرَ

البَارِعِين وغيرَ المُثقَّفين، لتظْهرَ نِعْمَةُ اللّه ظُهُورًا جَلِيًّا (كرومَاتيوس). فجَعَلهُم صَيَّادِي بَشرٍ، ومُعَلِّمِي المسكُونة، لكي يُخْرِجَ، بكَلِمَةِ الله، النَّاس مِنْ وَهْمِ العَالَمِ، ومِنْ عَالَمٍ مُتقلّبٍ، مَسْعُورٍ، مُتزَعْزِعٍ وغَدَّارٍ (كَاتِبٌ مَجْهُولٌ)

٤: ١٢ فرجَعَ إلى الجَليل

تَجَنُّبُ الاضطهَادِ. كيرلُس الإسكندريّ: لَمْ يَعْتزِلْ يَسُوعُ خَوْفًا. وَبِفِعْلِ مَا قَامَ بِه عَلَّمَنا أَنْ نَتنحَّى عَنِ المُضْطَّهِدِين. لَقدِ اعتزَلَ اليَهُودِيَّةَ مُنْتقِلاً إلَى الأُمَمِ. وهَذا يُرِينا أنَّه يُفَارِقُ اليَهُودَ عِنْدمَا يَزْدرُونَ بِاللّه نَفْسِه، وَكَذلِكَ عِنْدمَا يَخْطَأُونَ ضِدَّ الأَنْبِيَاءِ القِدِّيسِينَ. مقطع ٣٤.[1]

تَحْتَ عِنَايَةِ الله. كَاتِبٌ مَجْهُولٌ: «وسَمِعَ يَسوعُ بِاعتِقَالِ يوحنّا، فرجَعَ إلى الجَلِيلِ». لِمَاذا؟ لأَنَّ الله سَمَحَ بذَلِكَ، فَمَا مِنْ أَحدٍ يَسْتَطِيعُ الإِسَاءَةَ إِلَى أَيِّ رَجُلٍ قِدِّيسٍ مَا لَمْ يَسْمَحِ الله بذَلِكَ. فَالخَاطِئُ قَدْ يُسِيءُ إِلَى خَاطِئٍ آخَر، لأَنَّه لا يَكُونُ تَحْتَ عِنَايَةِ الله كُلِّيًّا. وَلكِنَّه يَعجزُ عَنِ الإِسَاءَةِ إِلَى رَجُلِ الله، لأَنَّ «الله حِصْنٌ لِكُلِّ المُعْتَصِمِينَ بِه».[2] وَهكَذا قَالَ في مَكَانٍ آخَر: «أَمَا يُبَاعُ عُصْفُوران بدِرْهَمٍ وَاحِدٍ؟ وَمَعَ ذلِكَ لا يَقعُ وَاحِدٌ مِنْهُمَا إِلَى الأَرْضِ إلاَّ بِعِلْمِ أَبِيكُمُ السَّمَاويِّ. أَمَّا أَنتُم، فَشَعْرُ رُؤُوسِكُم ذاته مَعْدُودٌ كُلُّهُ. لا تَخَافُوا، أَنتُم أَفضَلُ مِنْ عَصَافِيرَ كَثِيرةٍ».[3]

عَرَفَ الرَّبُّ هذا، لَكِنَّه انْصَرَفَ إِلى الجَلِيل، لا لأَنَّه يَخَافُ المَوت، بَلْ لِسَبَبَين آخرين: أَوّلاً، لكَي يُبْقِيَ آلامَه للوَقْتِ المُلائم، ثَانيًا، لكي يَضَعَ لنا نمُوذجًا للهَرَبِ مِنْ خَطَرِ التَّجْرِبَةِ. لَمْ يَنْصَرِفْ لأَنَّه خَافَ مِنْ خَطَرِ التَّجْرِبَةِ، بَلْ لأَنَّنا سنكُونُ عَاجِزينَ عَنْ تَحمُّلِ كُلِّ تَجْرِبَةٍ. سبَقَنا في كُلِّ طُرُقِ البِرِّ كسَيِّدٍ، لِنَتْبَعَه كتَلاميذَ. واضِحٌ أَنَّه لَمْ يَقُمْ وَزنًا لِمَا كَانَ قَادِرًا عَلَى فِعْلِه، بَلْ لِمَا كُنَّا قَادِرِينَ نَحْنُ عليه. وفَضْلاً عَنْ ذلِكَ، لَو فَعَلَ المَسِيحُ مَا يَسْتَطِيعُ فِعْلَه ومَا نَعْجزُ نَحنُ عَنْهُ، لَمَا كُنَّا تَلامِيذَه، لأَنه ستُعْوِزنا قوَّةُ اتِّبَاعِه. عَمَلٌ غَيرُ كَامِلٍ حَوْلَ مَتّى، الموعظة ٦.[4]

---

[1] MKGK 163

[2] مزمور ١٨: ٣٠ (١٧: ٣١).

[3] متّى ١٠: ٢٩– ٣٠.

[4] PG 56: 671-72

لقد أرسلَ البابليُّون هذه الأسباط إلى بابلٍ (راجع ٢ ممالك «ملوك» ١٧) قبلَ أنْ يُلاقيَ سكّانَ اليهوديّةِ المصير ذاته.

٤:١٣ وَأَتَى فَسَكَنَ في كَفْرَناحومَ

لا تَبْحَثوا عَنِ التَّجْرِبَةِ. الذَّهَبيُّ الفَم: لِماذا انْصَرَفَ؟ ليُعَلِّمَنا أَنْ لا نُقْبِلَ عَلى مُواجَهَةِ التَّجارِبِ في المَكانِ ذاته، بَلْ أَنْ نُخْلِيَ المَكانَ ونَنْسَحِبَ. فَلَيْسَ مِنَ العارِ أَنْ يَقِيَ المَرْءُ نَفْسَهُ مِنَ الوُقوعِ في الخَطَرِ. العَارُ هُوَ عَدَمُ الوُقوفِ بِجُرْأَةٍ عِنْدَما يَقَعُ فِيه. يَنْسَحِبُ يَسوعُ إِلَى كَفْرَناحومَ ليُعَلِّمَنا هَذا وَليُهَدِّئَ حَسَدَ اليَهُودِ مُتَمِّمًا النُّبوءة.[٥] إنجيلُ متّى، الموعظة ١٤.١.[٦]

٤:١٤-١٥ أَرْضُ زبولون ونفتالي

جَليلُ الأُمَمِ. كاتِبٌ مَجْهُولٌ: كَمَا يُعَلِّمُنا التَّاريخُ، هَذِه هِيَ الأَسْباطُ الأُولَى الَّتي هَاجَرَتْ إِلَى بَابِل. لذَلِكَ كَانَ مِنَ المُلائمِ أَنْ تَفْتَقِدَ رَحْمَةُ الله أُولَئكَ الَّذين حَلَّ بِهِم غَضَبُ الله أَوّلاً، وَأَنْ يُعْتِقَ مِنَ الأَسْرِ الرُّوحِيِّ أُولئِكَ الَّذين اقتيدُوا إِلى الأَسْرِ الجَسَدِيِّ. «أَلشَّعْبُ السَّالِكُ في الظَّلامِ رَأى نُورًا سَاطِعًا، والجَالِسُونَ في أَرْضِ المَوْتِ وظِلالِهِ أَشرَقَ عَلَيهِم النُّورُ».[٧] كَانَ اليَهُودُ قَابِعِينَ في الظَّلامِ. وَمَعْ أَنَّهم كَانُوا تَحْتَ الشَّريعَةِ فَإِنَّ بِرَّ الله لم يَكُنْ مُعْلَنًا. وَمَعْ أَنَّ البِرَّ كَانَ مَوْجُودًا، إِلاَّ أَنَّه كَانَ مَسْتُورًا تَحْتَ رُسُومٍ مُعَيَّنَةٍ وَأَسْرَارِ الأُمُورِ الدُّنْيَويَةِ. أَيُّ نُورٍ للبِرِّ في الخِتَانِ؟ حَقًّا كَانَ الظَّلامُ مُخيِّمًا تَحْتَ الشَّريعَةِ، الَّتي سُنَّتْ لتُعَاقِبَ قَسَاوَةَ قُلُوبِنا أَكْثَرَ مِنْ إِحْدَاثِ البِرِّ. كَمَا قَالَ الرَّبُّ: «مِنْ أَجْلِ قَسَاوَةِ قُلُوبِكُم كُتِبَتْ لَكُمْ هَذِهِ الوَصِيَّةُ».[٨] لَقَدْ سُنَّتِ الشَّرِيعَةُ لتُؤَدِّبَنا لا لتُخَلِّصَنَا. لَكِنَّ الشَّرِيعَةَ عَمَتْهُم، فَعَجِزُوا، وهُمْ سُكَارَى بِهَا، عن أَنْ يَرَوا النُّورَ العَظِيمَ، أَيِ المَسِيحَ آتيًا.

كَانَتْ هُنَاكَ أَنْوَارٌ عَدِيدَةٌ بَيْنَ اليَهُودِ، مِنْ مِثْلِ مُوسَى وَهَارُونَ ويَشُوعَ والقُضَاةِ. كُلُّ مُعَلِّمٍ كَانَ نُورًا لَهُم، يُنيرُهُم بتَعْليمِه كَمَا كُتِبَ: «أَنتم نُورُ العَالَمِ».[٩] لَكِنَّ المَسِيحَ هُوَ النُّورُ الأَعْظَم. فَفِي أَرْضِ المَوْتِ وَظِلالِه كَانَ الوَثَنيّون قَابِعِينَ، إِمَّا لأَنَّهم كَانُوا يَأْثَمُونَ، أَوْ لأَنَّهم كَانُوا يَعْبُدونَ الأَوْثَانَ وَالشَّيَاطِينَ، فَقَادَتْهُم هَذِه العِبَادَةُ إِلى المَوتِ الأَبَدِيِّ. عَمَلٌ غَيْرُ كَامِلٍ حَوْلَ مَتّى، الموعظة ٦.[١٠]

[٥] إشعْيا ٩: ١- ٢.
[٦] PG 57: 217; NPNF 1 10: 86
[٧] إشعْيا ٩: ٢.
[٨] مرقس ١٠: ٥.
[٩] متّى ٥: ١٤.
[١٠] PG 56: 672

٤: ١٦ أَلشَّعْبُ الجالِسُ في الظَّلامِ رَأَى نورًا عظيمًا

إِنْجيلُ النُّورِ العَظِيمِ. كيرلّس الإِسْكَنْدَرِيّ: المَسِيحُ رَبُّنَا هُوَ «النُّورُ العَظِيمُ»، وَضِيَاءُ البِشَارَةِ الإِنْجِيلِيَّةِ. أَلحقُّ أَنَّ الشَّرِيعَةَ لَمْ تُشَبَّه بِمِصْبَاحٍ.[١١] لِهَذَا السَّبَبِ كَانَ هُنَاك دَائمًا مِصْبَاحٌ مُشْتَعِلٌ في خَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ، بِسَبَبِ قُصُورِ أَشِعَّةِ الشَّرِيعَةِ الَّتي استطاعَتْ أَنْ تَنْشُرَ نُورَهَا في نَوَاحِي اليَهودِيَّةِ فَقَط. لِذَلِكَ كَانَ الوَثَنِيّونَ في الظَّلامِ، وَكَأَنَّهم لا سِرَاجَ عِنْدَهُم. المقطع ٣٤.[١٢]

أَلنُّورُ الحَقِيقِيُّ للإِعْلانِ إلى الأمم. كروماتيوس: يَذْكُرُ الإِنْجِيلِيُّ في هذا المَقْطَعِ كَلامَ النَّبِيِّ: «عِبْرَ الأُردنِّ، يَا جَلِيلَ الأُمَمِ! الشَّعْبُ الجَالِسُ في الظَّلامِ رأَى نُورًا عَظِيمًا».[١٣] في أَيِّ ظَلامٍ؟ بالتَّأْكِيدِ في ضَلالِ الجَهْلِ العَمِيقِ. وأَيَّ نورٍ عَظِيمٍ رَأَوا؟ إِنَّه النُّورُ المَذْكُورُ في الكِتَابِ. «كَانَ النُّورُ الحَقُّ الآتِيَ إِلَى العَالَمِ».[١٤] كَانَ النُّورَ الَّذي أَعْلَنَه سِمْعَانُ الصِّدِّيقُ في الإِنْجِيلِ: «نُورًا يَتَجَلَّى للوَثَنِيِّين وَمَجْدًا لشَعْبِكَ إِسْرائِيل».[١٥] هَذَا النُّورُ أَشْرَقَ في الظَّلامِ وَفْقًا لِمَا أَعْلَنَهُ داودُ قائلاً: «أَلنُّورُ يُضِيءُ في الظَّلامِ لِمُسْتَقِيمي القُلُوبِ»،[١٦] وَإِشعيا أَثْبَتَ أَيضًا أَنَّ النُّورَ آتٍ لِيَتَجَلَّى للكَنِيسَةِ لَمَّا قَالَ: «اسْتَنِيري، اسْتَنِيري، يَا أُورَشَلِيم، فَنُورُكِ جَاءَ، ومَجْدُ الرَّبِّ أَشْرَقَ عليكِ».[١٧] وَإِلى هَذَا النُّورِ أَشَارَ دانِيالُ قَائِلاً: «هُوَ الَّذي يَكْشِفُ الأَعْمَاقَ والخَفَايا، ويَعلَمُ مَا في الظُّلمَةِ، وعِنْدَهُ يُضِيءُ النُّورُ».[١٨] إِنّه الابنُ مَعَ الآبِ، فكَمَا أَنَّ الآبَ نُورٌ، هكَذَا يكُونُ الابنُ نُورًا أَيضًا. وَيَتَكَلَّمُ دَاودُ أَيضًا في المَزْمُورِ فَيَقُولُ: «وبِنُورِكَ نُعَايِنُ النُّورَ»،[١٩] لأَنَّ الآبَ يُرَى في الابنِ، كَمَا يُخْبِرُنا الرَّبُّ في الإِنْجِيلِ: «مَنْ رَآني فَقَد رَأى الآبَ».[٢٠] مِنَ النُّورِ الحَقِّ يَنْبَثِقُ النُّورُ الحَقُّ، ومِن غيرِ المَنْظُورِ يَنْبَثِقُ المَنْظُورُ، «هُوَ صُورَةُ اللهِ الَّذي لا يُرَى»[٢١] كَمَا يُشِيرُ الرَّسولُ. المَوْعِظَةُ حَوْلَ متّى ١٥. ١.[٢٢]

ظِلالُ المَوتِ. أوريجنّس: تَكَلَّمَ إِشَعْيا عَلَى «ظِلالِ المَوتِ» وَلَيْسَ عَلَى «المَوتِ» فَحَسْب. هَذَا لأَنَّ الخَطِيئةَ عَجِزَتْ عَنْ أَنْ تُفْسِدَ النَّفْس

---

[١١] أمثال ٦: ٢٣. مزمور ١١٩: ١٠٥ (١١٨: ١٠٥).
[١٢] MKGK 163
[١٣] متّى ٤: ١٥- ١٦.
[١٤] يوحنّا ١: ٩.
[١٥] لوقا ٢: ٣٢.
[١٦] مزمور ١١٢: ٤ (١١١: ٤).
[١٧] إشعيا ٦٠: ١.
[١٨] دانيال ٢: ٢٢.
[١٩] مزمور ٣٦: ٩ (٣٥: ٩).
[٢٠] يوحنّا ١٤: ٩.
[٢١] كولوسّي ١: ١٥.
[٢٢] CCL 9a: 259

إفسَادًا كُلّيًّا. فمِثْلُ هَذا الفَسَادِ يُحْدِثه المَوْتُ للأَجْسَادِ. لكنَّ الخَطِيئةَ تُسَبِّبُ ظِلالَ المَوْتِ. وعِبارةُ يُشْرِقُ عَلِيهم «النُّورُ» تَعْني أنَّه لَمْ يُشْرِقْ عَلَى البَاحِثِين عَنْهُ، بَلْ عَلَى المُتَهَاوِنِين. المقطع ٧٣.[٢٣]

نُزُولُ النُّورِ إلَى الظَّلامِ. كروماتيوس: في مَا يَخُصُّ هَذا النُّور، يُشِيرُ الإنْجِيليُّ إلَى المَقْطعِ الحَاضِرِ: «الشَّعْبُ الجَالِسُ في الظَّلامِ رَأَى نُورًا عَظِيمًا». إنَّهم لا يَرَوْنَه جَسَديًّا – فَالنُّورُ لا يُرَى – بَلْ بِبَصِيرةِ الإيمانِ وبِعَيْنِ العَقْلِ. لذَلِكَ يَقُولُ: «الشَّعبُ السَّالِكُ في الظَّلامِ رَأَى نُورًا سَاطِعًا، وَالجَالِسونَ في أرضِ المَوتِ وَظِلالِه أشرَقَ عليهِم النُّورُ».[٢٤] لَمْ يَظْهَرْ هَذَا النُّورُ للَّذين كَانُوا في الظُّلمَةِ فَحَسْب، لَكِنَّهُ يقولُ إنَّ النُّورَ أشْرَقَ عَلَى الجَالِسِين في أرْضِ المَوْتِ وَظِلالِهِ. هَذا يُثْبِتُ أنَّ هُنَاكَ شَعْبًا آخَرَ جَالِسًا في الظَّلامِ، قَائمًا في أَرْضِ المَوْتِ وَظِلالِه. وَمَا هَذِه الأَرْضُ إلاَّ العَالَمِ السُّفْليّ الّذي يَتَحدَّثُ عَنْهُ دَاود: «لَو سِرتُ في وَادِي ظِلِّ المَوتِ لا أَخَافُ شَرًّا، لأَنَّكَ أَنتَ مَعِي».[٢٥] إنَّه لا يَخَافُ مِنْ أيِّ شَرٍّ، أَيْ مِنْ عُقُوبَةِ جَهَنَّم. لِذلِكَ أَشْرَقَ نُورُ الخَلاصِ للجَالِسينَ في أرْضِ المَوتِ وَظِلالِهِ، أَعْني المَسيحَ ابنَ اللهِ القَائلَ في الإنْجِيلِ: «أنَا النُّورُ الحقُّ، مَنْ يَتْبَعْني لا يَمْشِ في الظَّلامِ».[٢٦] نَزلَ بَعْدَ آلامِهِ المُوقَّرةِ المُعْطيةِ الحيَاةَ إلى الجَحِيمِ، وَأَضاءَ للحَالِ نُورُ جَلالِه عَلَى المُتَسَرْبِلين المَوت، لِيُحرِّرَ الَّذين كَانوا مُعْتَقَلين بينَ الأَمْوات توقُّعًا لمَجِيئِه، كَمَا يَقولُ الرَّبُّ نَفْسُه في شَخْصِ الحِكْمَةِ عَلَى لِسَانِ سُلميان: «سَأَنْزِلُ إلَى أَعْمَاقِ الأَرضِ وَأُحدِّقُ في كُلِّ النَّائمين، وَأُنيرُ الَّذين يَرْجُون اللّه».[٢٧] موعظةٌ حول متّى ١٥. ٢.[٢٨]

٤:١٧ وَبَدَأَ يَسوعُ مِنْ ذلِكَ الوَقتِ يُبشِّرُ فيَقولُ: «توبُوا، لأَنَّ مَلكوتَ السَّماواتِ اقتَرَب»

مُقَارنَةُ بشَارةِ يوحنّا ببشَارةِ المَسيحِ. أوريجنّس: لَمْ تَكُنْ بِشَارةُ يُوحنّا بالتَّوبةِ مُمَاثِلَةً لبِشَارةِ يَسوع... فيُوحنّا أَعدَّ الشَّعْبَ لتَقبُّلِ اللّه، قَائلاً: «تُوبُوا». أَمَّا يَسوعُ فلَمَّا قَبِلَ شَعْبًا مُسْتَعِدًّا تَائِبًا، لَمْ يَكْتَفِ بقَوْلِهِ لَهُم «تُوبُوا»، لأَنَّه لَمْ يكُنْ يُبَشِّر ليُنَافِسَ الشَّريعَةَ

---

[٢٣] GCS 41.1: 45

[٢٤] إشعيا ٩: ٢.

[٢٥] مزمور ٢٣: ٤ (٢٢: ٤).

[٢٦] يوحنّا ٨: ١٢.

[٢٧] أنظر سيراخ ٢٤: ٥.

[٢٨] CCL 9a: 259-60

وَالأَنبيَاء. فلمَّا أتمَّ يُوحنَّا العَهْدَ القديم «بدأ يسوعُ يُبشِّر» بالعَهْدِ الجديدِ، لِكونِه بدءًا له. لذلِكَ لَمْ تُكْتَبْ لفْظَةُ «بدأ» عَنْ يُوحنَّا، لأنَّه كَانَ النِّهَايَةَ. فَضْلاً عَنْ ذلِكَ، بَشَّر يوحنَّا في البرِّيَّةِ، ويَسوعُ بَشَّرَ بَيْنَ النَّاسِ. المقطع ٧٤.[٢٩]

التَّبشيرُ يَبْدأُ. الذَّهبيُّ الفم: مِنْ ذَلِكَ الوَقْتِ. متَى؟ بعْدَ أَنْ أُلقِيَ يُوحنَّا في السِّجْنِ. لكِنْ لِماذا لم يَنْطَلِقْ ببِشارتِه لهُم مُنْذُ البدْءِ؟ ما هِيَ ضَرُورةُ يُوحنَّا لَمَّا كَانتْ أَعْمَالُ المسِيحِ تَشْهَدُ لَه؟ حتَّى تَتَعلَّمُوا أيضًا سُموَّه، أيْ أَنَّ لَه أَنبياء أيضًا مِثْلَمَا للآبِ. لهَذا السَّببِ قالَ زَكَريّا: «وأنتَ أيُّها الصَّبيُّ نَبيَّ العَليِّ تُدْعى»،[٣٠] وحتَّى لا يَتْرُكَ دَعْوى لليَهودِ الصِّفَاقِ الوُجُوهِ، وهذِه دَعْوى استَعْمَلَها المَسِيحُ نَفْسُه قَائلاً: «جاءَ يوحنَّا لا يأكُلُ وَلا يَشْرَبُ فقَالوا: فيهِ شيطانٌ. وجاءَ ابنُ الإنْسانِ يأْكُلُ ويَشْرَبُ فقَالوا: هَذا رَجُلٌ أَكُولٌ وَسِكّيرٌ وَصَديقٌ لِجُبَاةِ الضَّرائبِ وَالخاطِئين. لكِنَّ الحِكمة قد بَرَّها جَميعُ بَنِيها».[٣١] كانَ مِنَ الضَّرُورَةِ أَنْ يَتَحدَّثَ شَخْصٌ آخَر غيرُه أوَّلاً عمَّا يَتَعلَّقُ بِهِ. لأنَّه إذا كَانَ اليَهُودُ قَالُوا- حتَّى بَعْدَ الشَّهَادَاتِ والبَرَاهِينِ الكَثيرةِ وَالعَظِيمةِ أيضًا- «أَنْتَ تَشْهَدُ لنفْسِكَ، وشَهَادَتُكَ ليْسَتْ صَادِقَةً».[٣٢] فَإِنْ أَتَى السَّيِّدُ نَفْسُه وَشَهِدَ لنَفْسِه أَوَّلاً بدُونِ أَنْ يَقُولَ يوحَنَّا شيئًا، فأَيَّةُ تُهمَةٍ سيُحْجِمُونَ عَنْ إلصاقِها بهِ؟ لِهَذا السَّبَبِ، لَمْ يُبَشِّرِ السَّيِّدُ قَبْلَ يوحنَّا، ولَمْ يَصْنَعِ العَجَائبَ إلى أَنْ أُلقِيَ يُوحنَّا في السِّجْنِ، خِشيَةَ أَنْ تنْقَسِمَ الجُمُوعُ بِهَذِه الطَّريقةِ. إنْجيلُ متّى، الموعظة ١.١٤.[٣٣]

تَثْبيتُ تَعْليمِ يوحنا. كَاتِبٌ مَجْهُولٌ: لَمَّا اعتُقِلَ يوحنَّا بدأَ يَسوعُ يُبَشِّر. فلو بدأَ بِشارَته لَمَّا كَانَ يُوحنَّا حيًّا لقلَّلَ مِنْ شأْنِ يوحنَّا، واعتُبِرَ تَبْشِيرُه نَافِلاً مُقَارَنَةً بتَبْشيرِ يَسُوع، كانْبِلاجِ الصُّبْحِ يَشِعُّ فَتَمَّحِي معَهُ أَنوارُ السِّراجِ. ما أَحْكَمَ طَريقَةَ بِشارَتِه علَى نَمَطِ يُوحنَّا الّذي اعتَادَ أَنْ يُبَشِّرَ قَائلاً: «تُوبُوا لأَنَّ مَلَكُوتَ السَّمَاواتِ اقتَرَب».[٣٤] فَغَايَتُه أَنْ لا يَدُوسَ تَعْلِيمَ يوحنّا، بَلْ أَنْ يُثْبِتَه. فَلَو بَشَّرَ فِيما كَانَ يُوحنَّا يُعلِّمُ، لَبَدا وَكَأَنَّه يَتطفَّلُ

---

[٢٩] GCS 41.1: 45

[٣٠] لوقا ١: ٧٦.

[٣١] متّى ١١: ١٨- ١٩.

[٣٢] يوحنا ٨: ١٣.

[٣٣] PG 57: 217-18; NPNF 1 10: 87

إنّ هويّة يسوع المسيانيّة تُفهَمُ بأفضلِ وجهٍ على ضوءِ خِدمةِ يوحنّا. فبعد اعتقال يوحنّا أصبح الوقتُ مُؤاتيًا لبِشارةِ يسوع.

[٣٤] متّى ٣: ٢.

علَى رِسَالَةِ يوحنّا. لَكِنْ الآنَ، مَعْ اعتِقَالِ يُوحنّا، فَإنَّه يُؤكِّدُ تَعْلِيمَه. فلَيْسَ هُنَاكَ مِنْ سَحْقٍ ليُوحنّا، بَلْ تَثْبِيتٌ لَه. لَقَدْ ثَبَّتَ تَعْلِيمَ يُوحَنّا، ليُشِيرَ إليهِ كَشَهَادَةٍ صَادِقَةٍ. عَمَلٌ غيرُ كَامِلٍ حَوْلَ مَتّى، الموعظة ٦.[٣٥]

لَيْسَ فِي مَكَانٍ. أوريجنّس: «مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ» لَيْسَ في مَكَانٍ، بَلْ في قَصْدٍ، لأنّه هُوَ «في دَاخِلِنَا». فيُوحَنّا يُبَشِّرُ بِاقْتِرَابِ مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ الّذي سيُسَلِّمُه المَسِيحُ المَلِكُ «إلى الله، الآبِ»[٣٦] المقطع ٧٤.[٣٧]

الدَّعْوَةُ إلى التَّوبَةِ. كروماتيوس: يَحُثُّ صَوْتُ الرَّبِّ النَّاسَ عَلَى التَّوبَةِ- فَدَعَا الرُّوحُ القُدُسُ بلِسَانِ داودَ النَّاسَ إلَى التنبُّه، إسْمَعُوا اليومَ صَوتَهُ يَقُولُ: «لا تُقَسُّوا قُلوبكُم كَمَا عِندَ العِصْيَانِ، كَمَا في ذلِكَ اليَومِ عِندَ الامتِحَانِ في البرِّيَّةِ»،[٣٨] في المَزْمُورِ ذاته أَوْضَحَ أَنّه كَانَ يَدعُو الشَّعْبَ الخَاطِئَ إلَى التَّوبةِ ويُظْهِرُ وَضْعَ النَّفْسِ التَّائبةِ، قَائلاً، «هَلُمَّ نَسْجدْ وَنَرْكَعْ لَهُ ونَنْحَنِ أَمَامَ الرَّبِّ خَالِقِنَا. هُوَ إلَهُنَا وَنَحْنُ شَعْبُهُ».[٣٩] يَحُثُّ الرَّبُّ النَّاسَ عَلَى التَّوبةِ، ويَعِدُ بغُفْرَانِ خَطَايَاهُم، استِنَادًا إلَى كَلِمَاتِ إشعيا: «أَنا المَاحِي مَعَاصِيكَ، وَخَطَايَاكَ لا أَذكُرُهَا لأَجْلِي. ذكِّرْني بِهَا فنَتَحَاكَمَ معًا وَهَاتِ بُرْهَانَكَ حتّى تَبرَّرَ».[٤٠] وَحقًّا يَحُثُّ الرَّبُّ الشَّعْبَ عَلَى التَّوبةِ قَائِلاً: «تُوبُوا، لأَنَّ مَلَكُوتَ السَّمَاواتِ اقتَرَبَ»، فَيُؤَهِّلُنَا الاعْتِرَافُ بِالخَطَايا للاقْتِرَابِ مِنْ مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ. فَمَا مِنْ أَحَدٍ يَقْدِرُ على أَنْ يَتَلقَّى نِعْمَةَ اللّه السَّمَاويّ مَا لَمْ يَتَطهَّرْ بِالتَّوبَةِ عَمَّا ارتَكَبَهُ مِنْ خَطَايَا وَبِالمَعْمُودِيَّةِ الَّتي أَمَرَ رَبُّنَا وَمُخَلِّصُنَا أَنْ نَغْتَسِلَ بِهَا لنَرْحَضَ جَمِيعَ آثَامِنَا. موعظةٌ حولَ متّى ١٥. ٣.[٤١]

اقترَبَ. كَاتِبٌ مَجْهُولٌ: «مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ اقتَرَبَ». هَذَا يَعُودُ إلَى بَرَكَةِ المَلَكُوتِ السَّمَاويِّ، الّتي أَعَدَّهَا الله للمُؤمِنِينَ. مَا قَالَهُ يَدْعُو إلَى إعْدَادِ نُفُوسِكُم بِالتَّوبَةِ وَالصَّبرِ لتَقَبُّلِ بَرَكَةِ المَلَكُوتِ السَّمَاوِيِّ. لَقَدِ اقتَرَبَ وَقْتُ اسْتِلامِ المُكَافَأَةِ. تَيَقَّظُوا، يَا مَنْ تَخَافُونَ مِن فِعْلِ الشَّرِّ، وَتَرْغَبُونَ في عَمَلِ الخَيرِ، لأَنَّ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ اقتَرَبَ. تَيَقَّظُوا إذَا كُنتُم تَنْفِرونَ مِنَ الشَّرِّ نَفْرًا أَو تُفْتَنُونَ بِالخَيرِ فُتُونًا أَو تَرْغَبُونَ عَنِ المَلَكُوتِ أَو

[٣٥] PG 56: 673

[٣٦] ١ كورنثس ١٥: ٢٤.

[٣٧] GCS 41.1: 45

[٣٨] مزمور ٩٥: ٨ (٩٤: ٨).

[٣٩] مزمور ٩٥: ٦- ٧ (٩٤: ٦- ٧).

[٤٠] إشعيا ٤٣: ٢٥- ٢٦.

[٤١] CCL 9a: 260-61

تخَافُونَ مِنَ العَذَابِ. فَلْيَبْتَهِج الأَبرَارُ الآنَ، لأَنَّ اضطِّرابَاتِهم تَنْتَهِي الآنَ وَيَبْدَأُ نَصِيبُهم الصَّالِحُ. دَعِ الأَثمَةَ يَنْتَحِبون، لأَنَّ نَصِيبَهم الصَّالِحَ يَعْبُرُ الآنَ واضطِّرابَاتِهِم تَبْدَأُ. فَلا يَحُلُّ بالصِّدِّيقين أَذًى. واضطِّرابَاتُهم تَنْتَهِي، ونَصِيبُهُم الصَّالِحُ يَبْدَأُ. ذِكْرُ الاضطِّرابَاتِ السَّالِفَةِ لا يُصِيبهُم بأذًى، بَلْ يجْعَلُهم يبْتَهِجون ابتِهَاجًا عَظِيمًا. الحَقُّ أَنَّ الاضطِّرابَاتِ تَبْدُو ثَقِيلَةَ الوَطْءِ مَا دَامَتْ قَائمةً. لكِنْ عِنْدَمَا تَكُونُ شَيئًا مِنَ المَاضِي فَتذكُّرُها يُطيِّبُ القَلْبَ. فمَا هِي المَنْفَعَةُ إذا حَصَلَ الأَثمَةُ عَلَى الثَّروةِ، وَلِكنَّهم يُعَانونَ اليَومَ اضطِّرابًا؟ ذِكْرُ النَّصِيبِ الصَّالِحِ لا يَنْفَعُ شيئًا، بل يُصْبِحُ كَريهًا. ما دَامَتْ تلك الثَّروةُ قَائمَةً تَكونُ مَصْدرَ مُتْعَةٍ؛ لَكِنْ إذَا كَانَتْ شيئًا مِنَ المَاضِي، فتذكُّرُها يُصْبِحُ مَصْدرَ الأَسَى. هَلْ أَثْمَرَ هَذَا الوَعْظُ ثمَرًا يَضُمُّ النَّاسَ إلَى المَسيحِ؟ إنَّه زَرَعَ كَلِمَةَ التَّوبةِ وأَنْتَجَ وُعَّاظًا للحَقِّ أَفَاضِل. عَمَلٌ غيرُ كَامِلٍ حَولَ متَّى، الموعظة ٦.[٤٢]

١٨:٤ فَرأى أخَوَين هُما سِمعانُ المُلقَّبُ بِبُطرُس وأَخُوهُ أَنْدَراوُسُ يُلقِيان الشَّبكَةَ في البَحْرِ

مَاذَا تَرَكَ الصَّيَّادَانِ الفَقِيرَانِ وراءَهُما؟

غريغوريوسُ الكَبيرُ: قَدْ يَتَساءَلُ بَعْضُهُم: مَاذَا أَو كَمْ تَرَكَ هَذَانِ الصَّيَّادَانِ وَراءَهُمَا عِنْدَ دَعْوةِ الرَّبِّ لَهُمَا؟ في هَذَا الأَمْرِ يَجِبُ علَيْنا، أَيّها الإِخْوَةُ الأَحِبَّاءُ، أَنْ نَهْتَمَّ بنيَّةِ المَرْءِ لا بثَرْوَتِه. مَنْ يَتْرُكْ وَرَاءَه كَثِيرًا لا يُبْقِ لنَفْسِه شيئًا، وَهُوَ وَإِنْ كَانَ عِنْدَه القَلِيل، فَإنَّه يَتَخَلَّى عَنْ كُلِّ شَيءٍ. إنَّنا نَمِيلُ إلَى التَّعلُّق بِمَا نَمْلِكُه، وَنَتَمَسَّكُ بِهِ تَمسُّكًا شَدِيدًا. لِذَلِكَ تَرَكَ بطرسُ وأندراوسُ الكَثِيرَ وَراءَهُمَا، لَمَّا تخلَّيا عَنِ الطَّمَعِ وَالرَّغْبَةِ. فَالمَرْءُ يَتْرُكُ الكَثِيرَ وَرَاءَه عِنْدَما يَتَغلَّبُ عَلَى الطَّمَعِ وَعَلَى مَا يَمْلِكُهُ. لذَلِكَ، تَرَكَ الفُقَراءُ الَّذينَ تَبِعُوا يسوعَ وَرَاءَهُم قَدْرَ مَا تَرَكَهُ أُولِئَكَ الأَقلّ فَقْرًا ولَمْ يَتْبَعوُه، لَكِنْ كَانَ شرَهُهُم في قُنْيَةِ غَيرِهِم شَدِيدًا. إِذَا لاحَظْتَ أَنَّ بَعْضَهم تَرَكَ الكَثِيرَ وَرَاءَه، فَلا تَكُنْ مُضطَرًّا إِلَى القَوْلِ لنَفْسِكَ: أُرِيدُ الاقْتِدَاءَ بمَنْ يَزْدَرِي بهَذَا العَالَمِ، لَكِنْ وَآأَسَفَاه، مَا عِنْدِي شَيءٌ أَتْرُكه. يَا إِخْوَةُ، أَنْتُم سَتَتْرُكونَ الكَثِيرَ وراءَكم، إِذَا أَنْكَرْتُم الشَّهَواتِ الدُّنْيَوِيَّةَ. فَالأُمورُ الخَارِجِيَّةُ، مَهْمَا كَانَتْ صَغِيرَةً، هِي كَافِيَةٌ للرَّبِّ، لأَنَّه يَنْظُرُ إلى القَلْبِ لا إِلَى ثَرَوَاتِنا المَادِيَّةِ. فَلا يُحكَمُ عَلَى مِقْدَارِ مَا

(٤٢) PG 56: 674

نُضَحِّي بِه، بَلْ عَلَى مُرَكَّبَاتِ هَذِه التَّضْحِيةُ. فإذَا كُنَّا نَحكُمُ بِنَاءً عَلَى الثَّرواتِ المَاديَّةِ، فالتَّاجِرَانِ القِدِّيسَانِ قَدِ استَبْدَلا بشِباكِهما وَقوارِبِهما حَيَاةَ المَلائِكَةِ الأَبَدِيَّةَ. أربعون عظة إنجيليَّة ٥. ٢.[٤٣]

١٩:٤ إتبَعاني

كيفَ دَعَا يَسُوعُ تَلامِيذَه الأوائلَ. الذَّهبيُّ الفَم: «فتَركَا شِباكَهُما وَتبِعَاه».[٤٤] ومَعَ ذَلِكَ يَقُولُ يُوحَنّا الإنْجِيليُّ إنَّهُمَا دُعِيا بطريقَةٍ أُخْرَى.[٤٥] مِنْ هَذَا يَتَّضِحُ أَنَّ هذِه كَانَتْ الدَّعْوَةَ الثَّانِيَة؛ ويُمْكِنُ إدْرَاكُ ذَلِكَ مِنْ أُمُورٍ عَدِيدَةٍ. هُنَاكَ قِيلَ إنَّهما أَتَيَا إلَى يَسُوعَ في الوَقْتِ الَّذي فيه «لَمْ يَكُنْ يُوحَنَّا قَدْ أُلقِي في السِّجْنِ»،[٤٦] وَهُنَا يَقُولُ «بَعْدَ اعْتِقَالِ يَسُوع». هُنَاكَ يَدْعُو يَسُوعُ بُطْرُس، وَهُنَا يَدْعُو الاثْنَين. يَقُولُ يوحَنَّا الإنْجِيلِيُّ إنَّ يَسُوعَ شَاهَدَ سِمْعَانَ فَقَالَ لَه: «أَنْتَ سِمْعَانُ بن يُونَا، وَسَتُدْعَى كِيفا أَيْ صَخْرًا».[٤٧] لَكِنَّ مَتَّى يَقُولُ إنَّه كَانَ يُدْعَى سَلَفًا بِهَذَا الاسْمِ، فَقَوْلُهُ هُوَ: «سِمْعَانُ الَّذي يُدْعَى بُطْرُس». ويُمْكِنُ للمَرءِ أَنْ يُدْرِكَ ذَلِكَ مِن انقِيَادِهِما الطَّوْعِيِّ وَهَجْرِهما كُلَّ شَيءٍ، وَالآنَ قد تَعَلَّمَا ذَلِكَ جَيِّدًا. هَكَذَا في الحَالَةِ الأُخْرَى يَرَى أَنْدراوس آتِيًا إِلَى بَيْتِ السَّيِّدِ، ويَسْمَعُ أُمُورًا كَثِيرةً، إنَّما هُنَا، فَقَد تَبِعَاه لمُجَرَّدِ أَنَّهما سَمِعَا كَلِمَةً وَاحِدَةً. لَمْ يَكُنْ أَمْرًا غَرِيبًا أَنْ يَتْبَعَاه ثُمَّ يَتْرُكَاه ليَعُودَا إلَى حِرْفَتِهما، لَمَّا رَأيَا يُوحَنَّا مُلْقًى في السِّجْنِ. وَهَكَذَا وَجَدَهُمَا يَصْطَادَانِ. فَلَمْ يَمْنَعْهُمَا مِنَ العَوْدَةِ إلى الصَّيْدِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَسْمَحَ لَهُما بالذَّهَابِ كُلِّيًّا، لَكِنَّه سَمَحَ لَهُمَا بذَلِكَ، ثمَّ أَتَى ثَانِيَةً لِيَرْبَحَهُمَا إِلَيهِ. وَهذَا النَّوْعُ هُوَ أَعْظَمُ مِيزَةٍ في الصَّيْدِ. إنجيلُ متَّى، الموعظة ١٤.[٤٨]

لماذَا اختَارَ الرَّبُّ صَيَّادِي السَّمَك. كروماتيوس: هُنَا بَرْهَنُوا أَنَّهم كَانُوا أَبْنَاءَ حَقِيقِيِّين لإبرَاهيم، لأَنَّهم، بطَرِيقَةٍ مُشَابِهَةٍ، تَبِعُوا المُخَلِّصَ لَمَّا سَمِعُوا صَوْتَ اللَّه. فَالمَنْفَعَةُ المَادِيَّةُ تَقْطَعُ مِنْهُم رَجَاءَ الحُصُولِ عَلَى المُكَافَأَةِ السَّرمديَّةِ. فتَركُوا

---

[٤٣] PL 76: 1093; CS 123: 10-11

[٤٤] متّى ٤: ٢٠.

[٤٥] يُورِدُ يوحنّا الإنجيليّ الدَّعوة بطريقَةٍ مُختَلِفَةٍ (يوحنّا ١: ٣٥- ٤٠). هُنَا يَجْعَلُ الذَّهبيُّ الفَم السَّرديْن مُتَنَاغِمَين، ذَاكرًا أَنَّ يسوعَ دَعَاهُمَا مَرَّتَين، فأورد يوحنّا الأولى مِنهُمَا.

[٤٦] يوحنّا ٣: ٢٤.

[٤٧] يوحنّا ١: ٤٢.

[٤٨] PG 57: 218-19; NPNF 1 10: 87-88

يرتبطُ تنوُّع السَّردِ الإنجيليِّ بطَبِيعَةِ الصَّيدِ ذاته. إذا أفلتَتِ السَّمكَةُ يُعَاوِدُ الصَّيَّادُ المُحَاوَلَةَ إلى أن يلتَقِطَها.

أَبَاهُم الدُّنيَويَّ ليكُون لَهُم أَبٌ سَمَاوِيٌّ، وَهكَذَا اختيروا عَنْ غَيْرِ اسْتِحْقَاق. هكذا اختَارَ الرَّبُّ صَيَّادي السَّمَكِ وَهُمْ يَعْمَلُونَ بِكُلِّ كَدٍّ وَاجْتِهَادٍ في مِهْنَتِهِم، فَاهْتَدَوا مِنَ الصَّيدِ الأَرْضِيِّ إِلَى الصَّيدِ السَّمَاوِيِّ، لِيَقْتَنِصُوا البَشَرَ لِلخَلاص مِثْلَ السَّمَكِ مِنْ مِيَاهِ الضَّلال العميقَة، وَفْقَ مَا قَالَه الرَّبُّ لَهُم: «إِتبعُونِي فَأَجْعَلَكُم صَيَّادِي بَشَرٍ». لَقَدْ وَعَدَ بِالشَّيءِ ذاته عَلَى لِسَان إِرْمِيَا النَّبِيِّ: «سَأُرْسِلُ صَيَّادي سَمَكٍ كَثيرينَ يقولُ الرَّبُّ، فَيَصْطَادُونَهُم، ثُمَّ أُرْسِلُ قَنَّاصِين فَيَقْتَنِصُونَهُم».[٤٩] هكَذا نَرَى أَنَّ الرُّسُلَ لا يُسَمَّون صَيَّادي سَمَكٍ فحَسْب، بَلْ قَنَّاصًا أَيضًا: سُمّوا صَيَّادي سَمَك، لأَنَّهم يَصْطَادُونَ في شِبَاكِ الإِنْجِيل كُلَّ المُؤمِنين كَالسَّمَكِ في العَالَم؛ وَسُمُّوا قَنَّاصًا، لأَنَّهم يَقْتَنِصُونَ لِلْخَلاص بِالطَّرِيقَةِ السَّمَاوِيّةِ الَّذين يطُوفُون في هَذا العَالَم وَكَأَنَّهم عَائِشُونَ في غَابَاتِ الضَّلال كَحَيَوانَاتٍ بَرِّيَّةٍ. موعظةٌ حولَ متّى ١٦. ٢.[٥٠]

صَيَّادو بَشَرٍ. كَاتِبٌ مَجْهُولٌ: قَالَ لَهُمَا «إِتبَعَاني أَجعَلْكُمَا صَيَّادَيْ بَشَر» أَيْ أَجْعَلْكُمَا مُعَلِّمين، لكي تَقْتَنِصَا بِشَبَكَةِ كَلِمَةِ اللهِ البَشَرَ في هذا العَالَمِ الخَادِعِ، العَالَمِ المُتَقَلِّبِ، المَسْعُورِ، المُتَغيِّرِ، المُضَلِّلِ، الدَّائم الخَطَرِ، وَغَيرِ الأَمنِ لأَحَدٍ، حَيْثُ لا يَمْشِي البَشَرُ، بَلْ يُحْمَلُونَ فيهِ وَكَأَنَّ ذلِكَ يُخَالِفُ إِرادَتَهم.

إِستَعْمَلَ غَضَبُ إِبْلِيس جُمُوحَ الشَّهْوَةِ القَوِيَّةِ استِعْمَالاً ذَكِيًّا. كَذَبَ في حَدِيثِه لَهُم أَنَّ إِرادَتَهُم ستَتَحقَّقُ. فَسُرَّ بِإِكْرَاهِهِم عَلَى أَفْعَالٍ شِرِّيرةٍ، بحيثُ إِنَّهم يَتَآكلونَ، فَتَأْكُلُ السَّمَكَةُ الكَبِيرَةُ السَّمَكَةَ الضَّعِيفَةَ، خِشْيَةَ أَنْ يَعِيشُوا فَيَخْرجُوا مِنَ المَاءِ إِلى أَرْضٍ مُثْمِرَةٍ بِجَسَدِ المَسِيحِ. وهُم أَعْضَاءٌ فِي جَسَدِ المسِيحِ يستَطيعُونَ العَيْشَ في أَرْضٍ مُثْمِرَةٍ، أرضٍ مَحْبُوبَةٍ وَهَادِئَةٍ لا تَهُبُّ فِيهَا العَوَاصِفُ المُدَمِّرَةُ، إِلاَّ عِندَ اختِبَارِ إِيمَانِهِم وَفَحْصِ طُولِ أَنَاتِهِم. في ذَلِكَ الجَسَدِ يَمْشِي النَّاسُ بِسَلامٍ أَخْيَارًا. فلا يلْتَهِمُونَ بَعْضُهم بَعْضًا، بَلْ يَحْتَمِلُونَ بِصَبرٍ وَرَحَابَةِ صَدْرٍ بَعْضُهم بَعْضًا.

هَا أَنَا أُسَلِّمُكم إِنْجِيلاً جَدِيدًا، لَيْسَ مَنْسُوجًا كَأَيَّةِ شَبَكَةٍ أُخْرَى مِنْ حِكَايَاتٍ عَدِيدَةٍ تَتَلاطَمُ هُنَا وَهُنَاك وكَأَنَّها أَمْوَاجُ آراءٍ مُتَعَدِّدَةٍ وأَمْثَالٌ مُتَضَارِبَةٌ، وفَضَائِلُ تَبْدُو رَائِعَةً، وَتَعَالِيمُ مُنَوَّعَةٌ مُقَيَّدَةٌ بِتَهْدِيدَاتٍ

[٤٩] إرميا ١٦: ١٦.

[٥٠] CCL 9a: 264

الأَحْكَامِ ووُعُودِ السَّعَادةِ. هَذَا الإنْجِيلُ لَمْ يُصْنَعْ مِنْ رَوَابِطِ الأَحْكَامِ القَاسِيَةِ، ومِنْ تَنَبُّوَاتٍ أَو مِنْ عِرفَانِ التَّفْكِيرِ الخَفِيِّ، أَو مِن اعْتِرَافَاتِ الشَّيَاطِين أَو من قَصص قِيامَةِ الأَمْوَاتِ، لكَي يَأْسِرَ بنَسِيجِهِ المُحكَمِ النَّاسَ النَّاطِقِين ويَمْنَعَهُم مِنَ الخُروجِ، وكَأَنَّ الرُّوحَ القُدْسَ النَّاسِجَ وَالحَائِكَ لتِلكَ الشَّبكَة قَد أَغْفَلَ بَعْضَ الفُرَجِ. عَمَلٌ غيرُ كَامِلٍ حَوْلَ مَتَّى، الموعظةُ ٧.[٥١]

٤:٢٠ فَتَرَكَا شِبَاكَهُمَا فِي الحَالِ وتَبِعَاهُ

مَا مِنْ طَرِيقٍ وَسطٍ. كَاتِبٌ مَجْهولٌ: رُبَّ سَائِلٍ يَسْأَلُ: «إذًا أَنَا لا أَسْتَطِيعُ أَنْ أُحِبَّ الثَّرْوَةَ وَأُرْضِي المَسِيحَ»؟ لَقَد أَعْطَى الرُّسُلُ دَرْسًا فِي تَرْكِ شِبَاكِهِم فِي الحَالِ، فَمَا مِنْ أَحَدٍ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَمْلِكَ الأَرْضِيَّاتِ لِقَاءَ وُصُولِهِ إِلَى السَّمَاوِيَّاتِ. لاحِظْ كَيْفَ أَنَّ هُنَاكَ بين الأَرضِ والسَّمَاوَاتِ طَبَقَةً مُتَوسِّطَةً تَفْصِلُ الخَلِيقَتَين. هَذَا لا يُشيرُ إلى وُجُودِ امْتِزَاجٍ بَينَ الأَجْسَامِ الأَرْضِيَّةِ والأَجْسَامِ السَّمَاوِيَّةِ. فَالأَجْسَامُ السَّمَاوِيَّةُ رُوحَانِيَّةٌ نُورَانِيَّةٌ تَتَطَلَّعُ دَائمًا إِلَى العُلَى. أَمَّا الأَجْسَامُ الأَرْضِيَّةُ فَيَشُدُّهَا ثِقلُهَا إِلَى الأَسْفَلِ. هَكَذَا، إذَا تَمَسَّكْتَ بِالرُّوحِيَّاتِ تَرتَفِعُ، وَإِذَا تَمَسَّكْتَ بِالأَرْضِيَّاتِ تَسْقطُ. لذَلِكَ تَركَا شِبَاكَهُمَا لئلاَّ تَكُونَ هَذِهِ الأُمورُ حَجَرَ عِثَارٍ بَدَلاً مِنْ أَنْ تَكُونَ مُفِيدَةً لَهُمَا. عَمَلٌ غيرُ كَامِلٍ حوْلَ متّى، الموعظة ٧.[٥٢]

لا يَخْتَارُهُم يَسوعُ كتَلاميذَ لَه، بَلْ يُصيِّرُهم كَذَلِكَ. كَاتِبٌ مَجْهولٌ: قَبْلَ أَنْ يَقُولَ وأَنْ يَفْعَلَ أَيَّ شَيءٍ، فإنَّه يَدعو الرُّسُلَ لكَي لا يَحْجُبَ عَنْهُم قَولاً وفِعْلاً، فَيُكلِّمُهم فِي مَا بَعْدُ بصُورَةٍ سِرِّيَّةٍ. «لا يُمْكِنُنَا إلاَّ أَنْ نَتَحَدَّثَ بِمَا رَأَيْنا وَبِمَا سَمِعْنا».[٥٣] هُوَ لا يَنظُرُ إِلَيهِم جَسَديًا، بَلْ رُوحِيًا، غَيْرَ عَابِئٍ بمَظْهَرِهِم، بَلْ مُهْتَمًّا بقُلُوبِهِم. لا يَخْتَارُهُم كَرُسُلٍ، بَلْ يَخْتَارُهُم ليُصَيِّرَهُم رُسُلاً. كَذَلِكَ هُوَ الجَوهَرِيُّ يَخْتَارُ الحِجَارَةَ الكَرِيمَةَ غَيرَ المَجلُوَّةِ لتُصْبِحَ عَلى يَدِهِ وَهَّاجَةً. وَالفَنَّانُ الذَّوَّاقُ لا يَحْتَقِرُ مَا لا شَكْلَ لَه، هَذَا مَا فَعَلَهُ الرَّبُّ عِنْدَ رُؤيَتِه إِيَّاهُم، لَمْ يَخْتَرْ أَعْمَالَهم، بَلْ قُلُوبَهم. عَمَلٌ غيرُ كَاملٍ حَوْلَ مَتَّى، الموعظة ٧.[٥٤]

---

[٥١] PG 56: 674-75

[٥٢] PG 56: 675

[٥٣] أعمال ٤: ٢٠.

[٥٤] PG 56: 674

٤: ٢١ دَعْوَةُ يَعْقُوبَ ويُوحنّا

إختَارَ اللهُ مَنْ لا شَأْنَ لَهُم ليُعْلِنَ عَنْ نِعْمَتِهِ الإِلَهيَّةِ. كروماتيوس: طُوبَى لِصَيَّادِي السَّمَكِ الَّذينَ آثرَهُم الرَّبُّ عَلى العَديدِ مِنْ عُلَمَاءِ الشَّريعَةِ والكَتَبَةِ، وعَلى العَديدِ مِنْ حُكَماءِ العَالَمِ، لِمُهِمَّةِ الوَعْظِ المُقدَّسِ وَالنِّعْمةِ الرَّسُوليَّةِ! الحقُّ أنَّ رَبَّنَا يَسوعَ أَحْسَنَ الاختِيَارَ وانتَقَى مَنْ يَصلُحُ للتَّبشيرِ. فكُلَّمَا زادَ التَّبْشِيرُ باسْمِهِ زادَ تَمْجِيدُه وعَظُمَ عبر تَبْشِيرِ الضُّعَفاءِ المُتَواضِعِين بِكَلِمَتِهِ. لَمْ يَخْتَرْهُم لِيأْسِروا العَالَمَ بِحِكْمَةِ الكَلِمَةِ، بَلْ لِيُحَرِّرُوا الجِنْسَ البَشريَّ مِنْ ضَلالِ المَوتِ بالتَّبشيرِ البسيطِ بالإيمانِ، كما يقولُ الرَّسُولُ: «لكي لا يَسْتَنِدَ إيمانُكم إلَى حِكْمَةِ النَّاسِ، بَلْ إلى قُدرةِ اللّه».[٥٥] وَفِي مكانٍ آخرَ يَقُولُ: «إلاَّ أنَّ اللّهَ اختارَ ما كانَ في العَالَمِ مِنْ حَمَاقةٍ لِيُخْزِيَ الحُكَماءَ، ومَا كانَ في العَالَمِ مِنْ ضَعْفٍ ليُخزِيَ الأقوياءَ. واختارَ اللّه مَا كانَ في العَالَمِ مِنْ غيرِ حَسَبٍ ولا نَسَبٍ وما كانَ مُحْتَقرا، اختارَ ما لا شَأْنَ لَهُ ليُزيلَ صاحِبَ الشَّأنِ حتَّى لا يَفْتَخِرَ بَشرٌ أمامَ اللّه».[٥٦] لذَلِكَ لمْ يَخْتَرْ نُبلاءَ العَالَمِ أوِ الأغْنِياءَ، لئلاَّ تَكُونَ بشارَتُهم مَشْبُوهَةً، ولا حُكَمَاءَ العَالَمِ، لئلاَّ يُؤمِنَ النَّاسُ بأنَّهُم استَمَالُوا الجِنْسَ البَشَريَّ بِحِكْمَتِهِم؛ لَكِنَّهُ اختارَ صَيَّادي السَّمَكِ غيرَ المُتَعَلِّمِينَ، وغيرَ البَارِعِينَ، والأُمِّيِّين، لكَي تَكُونَ نِعْمَةُ المُخَلِّصِ مَكْشُوفَةً. موعظةٌ حول متّى ١٦. ١.[٥٧]

٤: ٢٢ وَفِي الحَالِ تَبِعَاه

وَفِي الحَالِ تَرَكا القَارِبَ. الذَّهبيُّ الفَمِ: إنَّما انتَبِهْ إلَى إيمانِهِمَا وطَاعَتِهِمَا كِلَيْهِما. فرَغْمَ أنَّهما كَانا في وَسطِ عمَلِهِما- وأنْتُم تَعْلَمُونَ مَا أشْرَهَ الصَّيدَ- فإنَّهما لَمْ يتردَّدا ولَمْ يُمَاطِلا لَمَّا سمِعَا أَمْرَه. لمْ يَقُولا «لِنَعُدْ إلَى المَنْزِلِ وَلْنُشاوِرْ أَهْلَ بيُوتِنَا»، إنَّما تَرَكا للْحَالِ شِباكَهُما وتبِعَاهُ» تمامًا كَمَا فَعَلَ أليشعُ معْ إيليَّا.[٥٨] هَذِهِ هِيَ الطَّاعَةُ الَّتي يَطْلُبُها المَسِيحُ مِنَّا، بحَيْثُ لا نَتَلَكَّأُ ولا للَحْظَةٍ مِنَ الزَّمنِ، مَهْمَا كَانَتِ الظُّرُوفُ ضَاغِطَةً. إنْجِيلُ متَّى، الموعظة ١٤. ٢.[٥٩]

المَلَكُوتُ جَدِيرٌ بكُلِّ شَيءٍ. غريغوريوس الكبيرُ. لا يُقَدَّرُ مَلَكُوتُ السَّماواتِ بثَمَنٍ، فهُوَ يُسَاوِي كُلَّ مَا تَمْلِكُه. إنَّه يُساوِي عِنْدَ زكَا

---

[٥٥] ١ كورنثس ٢ : ٥.

[٥٦] ١ كورنثس ١: ٢٧-٢٨.

[٥٧] CCL 9a: 263

[٥٨] ١ ممالك (ملوك) ١٩: ٢٠- ٢١.

[٥٩] PG 57: 219; NPNF 1 10: 88

نِصْفَ أمْوالِهِ، لأنَّ النِّصْفَ الآخَرَ الَّذي وَضَعه في جَيبِه ظُلْمًا وَعدَ بأنْ يَرُدَّه أرْبعَةَ أضْعافٍ. ويُساوِي عِنْدَ بُطْرُسَ وَأَنْدراوسَ الشِّباكَ وَالقَارِبَ اللَّذَينِ تركَاهُمَا وَراءَهُمَا، ويُساوِي عِنْدَ الأَرْمَلَةِ فِلْسَين، وَعِنْدَ آخَرِين يُساوِي كَأْسَ مَاءٍ بَارِدٍ. وهَكَذا، يُسَاوِي مَلَكوتُ السَّمَاوَاتِ قَدْرَ مَا تَمْلِكُونَه. أَربعون عظةً إنجيليَّة ٥.٢.[٦٠]

مَا يَتْرُكُ المَرءُ وَراءَه في التَّلْمَذَة. كَاتِبٌ مَجْهُولٌ: لاحِظْ أَنَّ بُطْرُسَ وَأَنْدراوس تَركَا شِبَاكَهُما، أَمَّا يَعْقُوبُ ويُوحَنَّا فَقد تَركَا أَبَاهُمَا والقَارِبَ. عَادَةً هُنَاكَ ثَلاثَةُ أَشْيَاءَ يَجِبُ أَنْ يَتْرُكَها كُلُّ مَنْ يأْتي إلَى المَسِيحِ: أَعْمَالُ الجَسَدِ، المُمْتَلَكَاتُ، وآباءُ الجَسَدِ. فتَركُهُما لشِبَاكِ الصَّيدِ يَدُلُّ عَلَى تَركِ أَعْمَالِ الجَسَدِ؛ وَتَرْكُهُمَا القَارِبَ يَعْنِي تَرْكَ المُمْتَلَكَاتِ، وَتَرْكُهُما أباهما يَعْنِي تَرْكَ الأَبَوين. لاحِظْ أَنَّهما تَركَا شِبَاكَهُما أَوَّلاً، ومِنْ ثَمَّ قَارِبَهُمَا، وَأخيرًا أَبَاهُمَا. إنّه مِنَ اللائقِ أَنْ يَتْرُكَ المَرْءُ الأَعْمَالَ الدُنيويَّةَ أَوّلاً، لأَنَّها تَضُرُّ بالأُمورِ الرُّوحيَّةِ ضَرَرًا كَبيرًا. ثَانيًا المُمْتَلَكَاتِ، لأَنّه لا يَضُرُّ أَنْ يَمْلِكَ المَرءُ شَيئًا في العَالَمِ كَمَا تَضُرُّ بَعْضُ الأَعْمَالِ، مَعْ أَنَّ المِلْكَ يُمْكِنُ أَنْ يكُونَ ضَارًّا، وأَخِيرًا الأَبَوين لأَنَّ التَّعَلُّقَ بِهِما قَدْ يكونُ ضَارًّا، ولو أَنّه أَقلُّ ضَررًا مِنَ الأَمْلاكِ وَأَعْمَالِ هَذا العَالَمِ. فَتَركَا قَارِبَهُمَا لِيَصيرا قَائدَي مَرْكَبِ الكَنِيسَةِ؛ تَركَا شِبَاكَهما حتّى لا يَحْمِلا سَمكًا إلى المَدِينَةِ الأَرضِيَّةِ، بَلْ بَشَرًا إِلَى المَدِينَةِ السَّمَاويَّةِ؛ تَركَا أَبَاهُمَا، لِيُصْبِحَا أَبَوَي الكَائِنَاتِ الرُّوحيَّةِ. عَمَلٌ غَيرُ كَامِلٍ حَوْلَ متّى، الموعظة ٧.[٦١]

(٦٠) PL 76: 1093-94; CS 123: 11* (Homily 2)

(٦١) PG 56: 676

٤:٢٣-٢٥ يَسُوع يُعَلِّمُ ويُبَشِّرُ ويَشْفي المَرْضَى

[٢٣]وكانَ يَسوعُ يَطوفُ في أنحاءِ الجليلِ، يُعلِّمُ في المَجامِعِ ويُعلِنُ إنجيلَ المَلكوتِ ويَشفي النّاسَ مِنْ كُلِّ مَرَضٍ وداءٍ. [٢٤]فانتَشرَ صيتُهُ في سوريا كُلِّها، فجاؤوا إليهِ بِجميعِ المُصابينَ بأوجاعٍ وأمراضٍ متنوِّعَةٍ: مِنْ مَمسُوسِينَ ومَصروعينَ ومُقْعَدينَ، فشفاهُم. [٢٥]فتَبِعَتْهُ جموعٌ كبيرةٌ مِنَ الجليلِ والمُدُنِ العَشْرِ وأورَشليم واليهوديَّةِ وعِبْرَ الأُردنِ.

نظْرَةٌ عامَّةٌ: كَمَا يُحْشَدُ الجيْشُ، هكذا حَشَدَ الرَّبُّ رُسُلَه، لا ليَنالُوا المجْدَ بجُهُودِهِم، بَلْ ليَنصُرَهُم عَلَى الصِّعابِ ويُمكِّنهُم مِنْ تحقِيقِ النَّصرِ (كَاتِبٌ مجْهُولٌ). فَلْندَنُ مِنْه نَحْنُ المُصَابينَ بأمْرَاضِ النَّفْس، ليَشفيَنَا فنستَعِيدَ ابْتِهاجَنَا وَسُرورَنَا. وَلا نطْلُبنَّ مِنْهُ شيئًا يَرْتَبطُ بهذِه الحيَاةِ، بَلْ غُفْرَانَ الخَطَايَا للْخُلُودِ. إنَّ عَمَلَ التَّلاميذِ بتقْديمِ الآخَرين إليهِ، يُعْرِبُ عَنْ إيمَانٍ عمِيقٍ (الذَّهبيُّ الفَم). بالدَّوَاءِ السَّمَاويِّ يَشْفي مَرَضَ الجسَدِ والنَّفْس، ويُحرِّرُهُمَا مِنْ إبْلِيس، ويُعِيدُ الصِّحَةَ الكامِلَةَ إلَى المُصَابين بأمْراضٍ وَعَاهَاتٍ (كروماتيوس). الشَّياطِينُ تُذِلُّ أجْسَادَنَا، وتَجْعَلُ نفسَنا غَارِقَةً في الإثْمِ والحمَاقَةِ (أوريجنّس). فَلو أهْمَلْنَا يَنْبُوعَ إرادَتِنَا فلا نَنْتَظِرَنَّ أنْ تكُونَ السُّيُولُ المُتدفِّقَةُ مِنْهُ غيرَ مُلَوَّثةٍ (الذَّهَبيُّ الفَم).

٢٣:٤ يَسوعُ يُعلِّمُ ويُعلِنُ إنْجيلَ الملَكوتِ ويَشْفِي المرْضَى

الإنْبَاءُ بأعْمَالِ شِفَاءِ يسوع. كروماتيوس: لَقَدْ أَنْبَأ إشعيا بذلِكَ قَائلاً: «حمَلَ عَاهَاتِنا وَتحمَّلَ أوْجَاعَنَا».[١] لهذِه الغَايَةِ جَاءَ مُعَلِّمُ الحيَاةِ وَالمَسِيحُ الرَّبُّ الطَّبِيبُ السَّمَاويُّ ليُرشِدَ النَّاسَ بوصَاياه إلَى الحيَاةِ، فَشَفَى بدَوائِه السَّمَاويِّ مَرَضَ الجَسَدِ والنَّفْس، وَحرَّرَ أجْسَادًا اسْتَحْوَذَ عَليها إبْلِيسُ، وأعَادَ الصِّحَةَ الكامِلَةَ إلَى الَّذِينَ أوْصَبَهُم الدَّاءُ. بكَلِمَةِ القُدْرَةِ المقدَّسَةِ شَفَى ضُعْفَ الجَسَدِ، وَبدَوَاءِ التَّعْلِيمِ السَّمَاويِّ شَفَى وَصَبَ النَّفْس. وَقد اكتَشَفَ داودُ بوضُوحٍ أنَّ أوْصَابَ النَّفْسِ يَشْفِيها اللّه وَحْدَه لمَّا قَالَ: «بَارِكي يَا نَفْسي الرَّبَّ ولا تنْسَي جَمِيعَ حَسَنَاتِهِ»، وَمِنْ ثَمَّ أضَافَ: «يَغفِرُ جَمِيعَ ذُنُوبي ويَشْفِي جَمِيعَ أمْرَاضِي».[٢] إذًا هُوَ الطَّبيبُ الكَامِلُ، الحقُّ، الشَّافِي الجَسَدَ وَالمُعِيدُ النَّفْسَ إلَى الصِّحَّةِ: إنَّه رَبُّنا ومُخَلِّصُنا. موعِظَةٌ حَوْلَ متّى ١٦. ٤.[٣]

كَطَبِيبٍ عَطُوفٍ. كَاتِبٌ مَجْهُولٌ: طَافَ في الجَلِيل؛ وَكطَبيبٍ عَطُوفٍ حَنُونٍ سَهِرَ عَلَى مَنْ اشتَدَّ عَلَيهِ مَرَضُهُ، وَاصِفًا أدْويَةً لكُلِّ دَاءٍ، لأنَّ كُلَّ المُتَألِّمِينَ والضُّعَفَاءِ لَم يَسْتَطِيعوا الوُصُولَ إلَى الطَّبيبِ. عَمَلٌ غيرُ كَامِلٍ حَوْلَ متّى، الموعظة ٨.[٤]

---

[١] إشعْيا ٥٣: ٤.
[٢] مزمور ١٠٣ : ٢- ٣ (١٠٢: ٢- ٣).
[٣] CCL 9a: 266
[٤] PG 56: 677

٢٤:٤ فَجَاؤوا إليهِ بِجَميعِ المُصَابِينَ فَشَفَاهُم

في سُوريا كلِّها. كيرلّس الإسكندريّ: إنَّ هذا بِحَاجَةٍ مَاسَّةٍ إلى التَّوضِيحِ، لأنَّ حِصَّةَ قَبَائلِ زبلّون ونفتالي امتدَّت إلَى صَيْدَا المدينَةِ الأُمَمِيَّةِ. وهُنَاكَ أَقَامَ اليَهُودُ بَيْنَ الأُمَمِ. وزبلّون تعني الشَّذَا والبَرَكَة، أمَّا نَفْتَالي فهي الجِذْعُ المُتبرْعِم، أيْ الغَرْسُ النَّامِي. علَى غِرَارِ هذِه الأُمُورِ هُمُ المؤمِنُونَ في المَسِيحِ. وعِندمَا انطلَقَ الَّذينَ كَانُوا سَابِقًا في الجَلِيلِ انْطِلاقَ الشَّذا، أصْبَحُوا مُستحقِّينَ للنِّعْمَةِ المُقدَّسَةِ، وَأخَذُوا يُجْهِدون النَّفسَ في إنْجَازِ كلِّ عملٍ صالحٍ. الآنَ تُفسِّرُ لَفْظَةَ «الجليل» تحت مجازِ «الدَّوَرَان»، لذلِكَ كَانَ المؤمِنُونَ مِنَ الجَلِيلِ مِثْلَ لفائفَ أسطُوانيَّةٍ تَدُورُ ضِدَّ فُلُوعِ التَّهْلِكَةِ. المقطع ٣٧.[٥]

مَا إذَا كَانَ الإيمَانُ مَطلُوبًا. الذَّهَبيُّ الفَم: لَكِنْ يَجِبُ أَنْ نَسْأَلَ لماذا لَمْ يَسْأَلْ أَحدًا منهُمَا هَل يُؤمِنُ؟ إنَّه لمْ يقُلْ مَا قَالَه في مَا بَعدُ «أتؤمنَان بأنَّني أَقدِرُ على أنْ أفْعلَ هذا»؟[٦] فَهُوَ لَمْ يكُن قدْ أعْطَى بُرْهَانًا بَعْدُ عَلَى قُدْرَتِهِ. غير أنَّ الاقْتِرابَ مِنْهُ بِحَدِّ ذَاتِه وَالإتيَانَ بالآخرين إليهِ يَشْهَدَانِ لَهُمَا بالإيمَانِ العَظِيمِ. لقَدْ جاؤوا بالمَرضَى مِنْ بَعيدٍ، ومَا كَانُوا ليَجِيئوا بهِم لَوْ لَمْ يكُونُوا مُقْتَنِعِينَ بالعَظَائمِ الصَّادِرَةِ عَنهُ. إنجيلُ يُوحنَّا، الموعظة ٤. ٣.[٧]

عَدمُ السَّهَرِ عَلَى تَنْقِيَةِ اليَنْبُوعِ. الذَّهَبيُّ الفَم: إذَا نَصَبَنَا المرضُ فَإنَّنا نَسْتَنْبِطُ كُلَّ شَيءٍ لِنَتَخَلَّصَ مِمَّا يُؤلِمُنَا. وَلَكِنْ عِنْدَمَا تَكُونُ أَنْفُسُنَا مَريضَةً فإنَّنا نتأخَّرُ في المُعَالَجَةِ. ولهَذا السَّبَبِ نحْنُ لا نَتَخَلَّصُ مِنَ الأَمْرَاضِ الجَسَديَّةِ. فَقَدْ أَصْبَحَتِ الأُمُورُ الضَّرُوريَّةُ عِنْدَنا ثانويّةً، والمَسَائِلُ الثَّانويَّةُ لا غِنَى عنها. وفيما نَحْنُ لا نَسْهَرُ عَلَى تَنْقِيَةِ يَنْبُوعِ أَمْرَاضِنا نَرْجُو أَنْ تَكُونَ الأَنْهَارُ غيرَ مُلَوَّثَةٍ. إنْجيلُ متّى، الموعظة ١٤. ٣.[٨]

التَّمييزُ بَيْنَ المَرَضِ والدَّاءِ. كيرلّس الإسْكندريّ: إذَا سَأَلَ أَحدُهُم مَا هُوَ الفَرْقُ بينَ «المَرَض» و«الدَّاء»، نُجِيبُ أَنَّ «الدَّاءَ» يَخْطِفُ الجَسَدَ إذَا مرض مَرَضًا عَابِرًا، أَمَّا «المَرَضُ» فَيُسَبِّبُ ثِقْلَةً دائِمَةً فِي عَنَاصِرِ الجَسَدِ. المقطع ٣٧.[٩]

---

(٥) MKGM 164

(٦) متّى ٩: ٢٨.

(٧) PG 57: 220; NPNF 1 10: 89

(٨) PG 57: 221; NPNF 1 10: 89

(٩) MKGK 164

كَيْفَ تُؤثِّرُ التَّجارِبُ الشَّيْطَانيَّةُ في صِحَّةِ الجَسَدِ. أوريجنّس: سَتَرى تَنَوُّعَ الشُّرورِ في مَحَبَّةِ الفِضَّةِ أَو الفظَاظَةِ أَو الفِسْقِ، في السُّخْفِ وَالمكْرِ وَالوَقَاحَةِ وَالجبْنِ وَفي كُلِّ خِصَامٍ مُشينٍ؛ فَأَوْجَاعُ النَّفْسِ هِيَ المَالُ وَالمَجْدُ وَالفَقْرُ وَالسُّمْعَةُ القَبيحَةُ. وَفيمَا تُؤذِي الشَّيَاطِينُ الأَجْسَادَ، فَإِنَّهَا تَجْعَلُ نُفُوسَنَا مُمْعِنَةً في الخَطِيئَةِ وَالهَذَيَانِ. أَمَّا المَمْسُوسُ فَكَانَ فيهِ شَيْطَانٌ أَصمُّ أَخْرَس. فَمِثْلُ هَذِهِ الأَهْوَاءِ تُضَايقُ النَّفْسَ مِنْ حِينٍ إِلَى آخَر، فَتَجْعَلُهَا صَمَّاءَ عَنِ الكَلِمَةِ المُخَلِّصَةِ؛ كَمَا أَنَّ الغَضَبَ هُوَ شَلَلُ النَّفْسِ، بِحَيْثُ إِنَّ النَّاسَ، عِنْدَمَا يُذْعِنُونَ لَه، يَتَرَاخَونَ في عَمَلِهِم وَسِيرَتِهِم. و«دَاءُ» النَّفْسِ تَعبيرٌ يَسْتَخْدِمُه اليُونَانيُّونَ لأَيِّ مَرَضٍ يَنْتُجُ عَنِ الرَّذيلَةِ بِشَكْلٍ عَامٍّ؛ وَكُلُّ مَنْ لا يَقْوَى عَلَى الصَّبرِ عَلَى المَكَارِهِ، يَسقُطُ في مَيْدَانِ مُقَاوَمَةِ الأَلَمِ وَالحُزنِ. المقطع ٧٧.[١٠]

أَوْجَاعُ النَّفسِ وَالجَسَدِ. كَاتِبٌ مَجْهُولٌ: لَمَّا قَالَ «كُلَّ مَرَضٍ»، دَلَّ عَلَى الآلامِ الجَسَدِيَّةِ؛ وَلَمَّا قَالَ «كُلَّ دَاءٍ»، دَلَّ عَلَى آلامِ النَّفْسِ الرُّوحيَّةِ. فَأَوْجَاعُ النَّفْسِ لَيسَتْ أَقَلَّ إِيلامًا مِنْ أَوْجَاعِ الجَسَدِ. وَرَغْمَ أَنّه قَالَ «وَيَشْفِي النَّاسَ مِنْ كُلِّ مَرَضٍ وَدَاءٍ»، فَإِنَّنَا نَفْهَمُ أَنَّ المَرَضَ وَالدَّاءَ يَدُلَّانِ عَلَى آلامِ الجَسَدِ، لِنَفْهَمَ أَنَّ المَرَضَ هُوَ أَكْثَرُ إِيلامًا، فِيمَا يَكونُ الدَّاءُ أَقَلَّ نَصَبًا. وَعِنْدَمَا يَقُولُ «كُلَّ مَرَضٍ» فَهُوَ يُشيرُ إِلَى كُلِّ أَنواعِ الأَمْرَاضِ سَواءٌ أَكَانَتْ مُزمِنَةً أَم عَابِرَةً؛ لكِنَّ إِضَافَةَ اللَّفْظَةِ الثَّانِيَةِ قَد تَبدو نَافِلَةً مَا لَم نَفْهَمْ أَنَّ وَاحِدَةً مِنْهما تَعُودُ إِلَى آلامِ الجَسَدِ وَالأُخْرَى تَعُودُ إِلَى آلامِ الرُّوحِ. وَنَفْهَمُ أَنَّ اللَّفظَتَين تَنْتَسِبَانِ مَعًا إِلَى أَوْجَاعِ النَّفْسِ وَالجَسَدِ: أَيْ «كُلَّ مَرَضٍ» سَواءٌ أَكَانَ جَسَديًّا أَم رُوحَانِيًّا، و«كُلَّ دَاءٍ» سَواءٌ أَكَانَ جَسَديًّا أَمْ رُوحَانِيًّا. مَرَضُ النَّفسِ عِلَّةٌ وَسُقمٌ أَو ضَعْفٌ، وَالمرءُ الخَاضِعُ لِعِلَّةِ الطَّمَعِ أَو الشَّهوةِ أَو المَجْدِ البَاطِلِ يُعَانِي مَرَضَ النَّفْسِ. وَمَنْ تَجَاهَلَ سِرَّ دَعْوَةِ اللّٰه كَانَ مَرِيضًا في إِيمَانِه. فَالكَثِيرونَ قَادِرونَ عَلَى القِيَامِ بِالأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ لِيُرضُوا اللّٰه، أَمَّا مَنْ لم يَقُمْ بِهَا فَقَدْ تَجَاهَلَ سِرَّ دَعْوَةِ اللّٰه. هَؤلاءِ الأَشْخَاصُ هُم مَرْضَى. بَعْضُهُم يَسْتَسلمون للأَوجَاعِ الجَسَديَّةِ فَيَعْجَزونَ عَنِ القِيَامِ بِالأَعْمَالِ الصَّالحةِ، مَعْ أَنَّهم يَعْرِفُونَ سِرَّ دَعْوةِ اللّٰه، فَيَشُقُّ عَلَيهم مَرَضُهم. لكِنَّ يَسوعَ شَفَى الأَسْقَامَ الجسديَّةَ بِقُدْرَةِ لاهُوتِه، وَالأَسْقَامَ الرُّوحيَّةَ بِكَلِمَةِ عَطْفِه. فَكَمَا يَنْفَعُ

[١٠] GCS 41.1: 46

الدَّواءُ إنْسانًا مريضًا، هكذا الكلِمَةُ تَنْفَعُ النَّفسَ المريضَة. لاحِظْ أيضًا أنَّه لَمْ يقُلْ أوَّلاً «ويَشْفِي النَّاسَ مِنْ كُلِّ مَرَضٍ وداءٍ»، بَلْ قالَ: «يُعلِّمُ في المَجامعِ ويُعلِنُ إنجيلَ الملكوتِ» وَمِنْ ثَمَّ «يشفي». لَقَدْ فعَلَ هَذا لسبَبَين: أوّلاً، لأنَّ مُعْجِزاتِ الفضيلَةِ تَبْني النُّفوسَ استِنادًا إلَى كلِماتِ العَطْفِ. لذلكِ يقولُ ما يَظُنُّه ضَروريًّا جِدًّا. فكلماتُ العطْفِ لا تَقُومُ بأَعْمَالٍ عَظِيمَةٍ، إنَّما تقُومُ بِها كَلِمةُ الحقِّ. لذَلِكَ لَمْ يُعْتَقدْ أنَّ المَسيحَ كانَ قادِرًا عَلَى القِيَامِ بأَعْمَالٍ عظِيمَةٍ، لأنّه بَشَّرَ بالحقِّ، لكنْ يُعْتَقد أنَّه بَشَّرَ بالحقِّ، لأنَّه كانَ قادِرًا علَى القِيامِ بأَعْمالٍ عظيمَةٍ. «فجَاؤوا إليهِ بجَميعِ المُصَابينَ بأَوْجَاعٍ وأَمْراضٍ مُخْتَلِفةٍ: مِنْ مصروعينَ ومُقْعَدينَ والَّذينَ بِهِمْ شَياطينُ، فَشَفَاهُم».[١١] وفي مكانٍ آخَر يَقولُ: «فَشَفَى كثيرًا مِنَ المُصَابين».[١٢] وأيضًا «فكَانَ كُلُّ مَنْ يلْمُسُه يُشْفَى».[١٣] لكنْ هُنَا يقُولُ الكِتابُ، ببَساطَةٍ، «وشَفَاهم»، أَيْ إنَّه شَفَاهُم كُلَّهُم. فكُلُّ طَبيبٍ جَديدٍ يأْتي إلَى المَدِينةِ رَاغِبًا في التَّطْبيبِ وشَافِيًا كُلَّ مَنْ يقْصُدُه، لا يُفكِّرُ في الحُصُولِ علَى أيَّةِ أُجْرَةٍ، بَلْ في بِنَاءِ سُمْعَتِه، لكِنْ عِنْدما تُصْبِحُ سُمْعَتُه قويّةً يَبْدأُ بطَلَبِ أُجْرَةٍ عَنْ عَمَلِه. وهَكَذا فإنَّ الرَّبَّ، في بَدءِ بشَارتِه، لَمْ يَشْفِ أُناسًا اختَارَهُم بِنَاءً عَلَى حُكْمِه، بَلْ شَفَى الجَميعَ بدُونِ تمييزٍ. وما إنْ عرَفَتْهُ مِنْطَقَةُ اليهوديَّةِ بأَسْرِها، حَتَّى بَاعَ فوائدَ الشِّفَاءِ بسِعْرٍ يُسَاوي إيمَانَ الفَردِ، قَائلاً لكُلٍّ مِنْهُم: «فلْيكُن لكُمْ علَى قَدْرِ إيمانِكُم».[١٤] لَكِنْ لَيْسَ لكُلِّ فَردٍ، بَلْ لأُولئكَ الَّذين أعدَّهم وَفْقَ سَابِقِ مَعْرِفَتِه قَبْلَ أَنْ يأْتُوا إليه. عَمَلٌ غيرُ كَامِلٍ حَوْلَ متّى، الموعظة ٨.[١٥]

٤: ٢٥ فتبِعَتْهُ جُمُوعٌ كَبيرَةٌ

نَحْنُ مَدْعُوُّون أيضًا أنْ نَتْبَعَه. الذَّهبيُّ الفَم. فَلْنَتْبَعْه نَحْنُ أيضًا، لأنَّنا مُصَابُون بأَمْراضِ النَّفْسِ المُتعَدِّدةِ، فَهُو يَشاءُ أنْ يَشْفِيَنا فرِحًا. لهذِهِ الغايَةِ أَصْلَحَ الأَنْواعَ الأُخْرَى، لكي يُزيلَها مِنْ نَفْسِنا.

فَلْنَأْتِ إليه إذًا غيرَ طَالبِينَ مِنْه شيئًا يَتعَلَّقُ بهذِه الحياةِ، بَلْ سَائلِينَ غُفْرانَ الخَطَايا، فَهُو يَمْنَحُنا إيّاها إذا كُنَّا جادِّينَ في ذَلِكَ، لأنَّه كَمَا «شَاعَ ذِكْرُه في سوريا كُلِّها»[١٦]

---

[١١] مرقس ١: ٣٤.

[١٢] لوقا ٧: ٢١.

[١٣] متّى ١٤: ٣٦.

[١٤] متّى ٩: ٢٩.

[١٥] PG 56: 678-79

[١٦] متّى ٤: ٢٤.

هَكَذا يَشِيعُ الآنَ في المَسْكُونَةِ كُلِّهَا. هُم يَتَراكَضُون إِلَيهِ عِنْدَ سَماعِهِم أَنَّه شَفَى المَمْسُوسِين. أَمَّا أَنْتُم فَبَعْدَ أَنْ صَارَتْ لَدَيْكُم خِبرَةٌ أَكْبَر أَلا تَنْهَضُونَ وَتَرْكُضُون إِلَيه؟ تَرَكُوا وَطَنَهُم وَأَصْدِقَاءَهم وَأَقَارِبَهم، أَفَلا تَتَحَمَّلُونَ تَرْكَ بُيُوتِكُم للاقْتِرابِ مِنْه وَلنيلِ أُمورٍ أَعْظَمَ بكَثِير؟ إِنَّنا لا نَطْلُبُ مِنكُم شَيئًا كَهَذا، كُلُّ مَا نَطلُبُهُ هُوَ أَنْ تَتْرُكوا عَاداتِكُم الشِّرِّيرَةَ لِكَي تَخْلُصُوا بِسُهُولَةٍ، فِيمَا أَنتُم مُقِيمُونَ في بُيوتِكُم مَعْ أَصْدِقَائكم. إنجيلُ متَّى، الموعظة ١٤. ٣.[١٧]

الرَّبُّ يَجْمَعُ جَيْشَه. كَاتِبٌ مَجْهُولٌ: يَجْمَعُ كُلُّ مَلِكٍ، على وَشْكِ مُحَارَبَةِ عَدُوِّه، جَيْشَهُ قَبْلَ أَنْ يَنْطَلِقَ إِلَى الحَرْب. هَكَذا بَدَأَ الرَّبُّ، وَهُوَ عَلَى وَشْكِ مُقَاتَلَةِ إِبْلِيس، فَجَمَعَ تَلامِيذَهُ وبَشَّرَ بِإِنْجِيلِ المَلَكُوتِ في الجَلِيلِ كُلِّه. فَالتَّبْشِيرُ بِالحَقِّ هُوَ إِهْلاكُ إِبْلِيس، وَالنُّطقُ بِالبِرِّ هُوَ السَّهْمُ القَاتِلُ في قَلْبِهِ، وَعَمَلُ الآيَاتِ هُوَ إِسْقَاطُهُ. فَتَعْرِيَتُه مِنْ سُلْطَانِه هِدَايَةٌ لِلمُؤمِنِين. فَالمَلِكُ الأَرْضِيُّ يَجْمَعُ جَيْشَه لِيَنْتَصِرَ بِجُهُودِه. أَمَّا الرَّبُّ فَقَدْ جَمَعَ رُسُلَه لا لِيَنْتَصِرَ بِجُهُودِهِم، بَلْ لِيَنْتَصِرَ عَلَيهِم بِجُهُودِه الخَاصَّةِ. عَمَلٌ غيرُ كَامِلٍ حَوْلَ مَتَّى، الموعظة ٨.[١٨]

(١٧) PG 57: 220; NPNF 1 10: 89

(١٨) PG 56: 676-77

٥: ١-٢ مُقَدِّمَةُ المَوعِظَةِ عَلَى الجَبَل

١فلمّا رأى يَسوعُ الجُموعَ صَعِدَ إلى الجبَلِ وجلَسَ. فَدنا إليهِ تلاميذُهُ، ٢ففتحَ فاه يُعلِّمُهُم قائلاً:

نَظْرَةٌ عَامَّةٌ: لِمَاذا صَعِدَ الرَّبُّ إِلَى الجَبَلِ لِيُلْقِيَ مَوْعِظَتَه؟ لِكَي يُعْطِيَ تَلامِيذَه الوَصَايا الإِلَهِيَّةَ، تَارِكًا الأَرْضِيَّاتِ وَمُنْطَلِقًا إِلى السَّمَاوِيَّاتِ (كروماتيوس)، وَيَرْفَعَهم مَعَه إِلَى حَيَاةٍ أَسْمَى (جيروم)، وَيَجْعَلَ تَعْلِيمَ الآبِ الأَسْمَى وَقُوَّةَ الابنِ مَعْرُوفَين (أوغسطين)، وَيُرِينَا أَنَّ مَنْ يُعَلِّمُ طَرِيقَ البِرِّ الإِلَهِيِّ يَجِبُ أَنْ يُجَسِّدَ تَعْلِيمَهُ المُنْطَلِقَ مِنْ

أعالي الفضيلةِ الرُّوحيَّةِ. فمَنْ تاقَ اليومَ إلى معْرفةِ أَسْرارِ الحقِّ عليْه أنْ يصْعَدَ إلى جبَلِ الكنيسةِ (كاتبٌ مجْهولٌ). علَّم يسُوعُ تلاميذَهُ وفقَ تأهُّبِهم للسَّمْعِ، بصمْتِهِ وبكلامِهِ (الذَّهبيُّ الفم). على الجبلِ أُعْطِيَ مُوسَى قَسْوَةَ الشَّريعَةِ أوّلاً، لكنَّ النَّاسَ مُنِعُوا منَ الاقْترابِ منْه. والآنَ معْ يسُوع يُدْعَى الجميعُ إلى الاقْترابِ منْه ليسْمَعُوا عطيَّةَ الإنجيلِ (كروماتيوس).

٥:١ صَعِدَ يسوعُ إلى الجبَلِ

رَفعَ الجُموعَ إلى نقطةٍ أعْلَى: جيروم: صَعِدَ الرَّبُّ إلى الجبَلِ لكَي يُصْعِدَ معَهُ الجُموعَ إلى السُّموّ. لكِنَّ الجُموعَ عجزَت عَنِ الصُّعُودِ معَه، فتَبِعَه تلاميذُهُ الَّذين كلَّمهُم قعوداً لا وُقوفًا. كانُوا عاجزين عَنْ فهْمِ هذا الرَّجُلِ اللاَّمعِ في جَلالِه. فقَدْ آمنَ الكثيرُ مِنَ المؤمِنين البُسطاءِ بأنَّه علَّمَ التَّطويباتِ وغَيْرَها علَى جبَلِ الزَّيتونِ، لكِنَّ هذا لَمْ يكُنْ صَحِيحًا، إذْ نعْتَقِدُ، ممَّا سَبقَ أوْ تلا، أنَّ هذِه الوَقائعَ تمَّتْ في الجلِيلِ، إمَّا علَى جبَلِ تابُور أو علَى أيِّ مُرْتفعٍ آخَر بعْدَ أنْ أنْهَى كلامَهُ، يقُولُ الإنجيليُّ، «لـمَّا دَخَلَ كَفرنَاحُوم» تفْسيرُ متّى ١.٥.١.[١]

الصُّعُودُ إلى الأعَالي. كروماتيوس: مِنَ الأماكِنِ المُنْخَفِضَةِ والوضيعَةِ إلى الأماكِنِ العَالِيَةِ المُرْتفِعَةِ صَعِدَ الرَّبُّ إلى الجبَل ليُعَلِّمَ تلاميذَه– وعلَى الأخصِّ إلى جبَلِ الزَّيتُون–لكي يُقدِّمَ، وَفْقَ معْنَى هذِه الكَلِمَةِ، هَدِيَّةَ رَحْمَتِه الإلهيَّةِ. صَعِدَ الرَّبُّ إلى الجبَلِ لكَي يُعْطِيَ تلاميذَهُ رُسُومَ وصَاياه السَّماويَّةِ، لتلاميذِه، تارِكًا الأرْضِيَّاتِ ومُنْطَلِقًا إلى السَّماويَّاتِ. صَعِدَ لكَي يُعْطِينا هِبَةَ البَرَكَةِ السَّماويَّةِ الموعُودِ بها مِنْ قبْلُ وفْقَ ما أعْلَنَه داودُ قائلاً: «لأنَّ واضِعَ الشَّريعَةِ سيجُودُ علَينا بالبَرَكاتِ». موعظةٌ حولَ متّى ١.١.١٧–٢.[٢]

جبَلُ مُوسَى والموعِظَةُ علَى الجبَلِ. أوغسطين: إذا سألْنا ماذا يعْني الجبَلَ، نفْهَمُ أنَّه يُشيرُ إلى البرِّ السَّامِي للوَصايا الَّتي أُعْطِيَت للشَّعْبِ اليهُودِيِّ بأدْنَى منْزِلَةٍ. فالرَّبُّ، عبر أنبيائِه المقدَّسين وخُدَّامِه، ووَفْقًا لترْتيبِ الظُّرُوفِ أعْطَى هو نفْسُه الوصَايا الأدْنَى منْزِلَةً لشَعْبٍ كانَ مِنَ الملائمِ أنْ يُوثَقَ بالخوفِ، وعبر ابنِه أعْطَى

[١] CCL 77: 23-24

[٢] CCL 9a: 268

تلقَّى موسى الشَّريعَةَ وهُوَ علَى الجبَلِ، ويسوعُ سلَّمَ الشَّريعَةَ الجديدةَ وهو علَى الجبَلِ أيضًا؛ الشَّريعةُ الأولَى كانت للتَّرهيبِ، والثَّانيةُ كانت لتحريرِ البشرِ من الخطيئةِ والموتِ.

الـوَصَـايَا الأَسْمَى لشَعْبٍ كَانَ يَليقُ بِـه أَنْ يَتَحَرَّر بِالمَحَبَّةِ. الموعظَةُ على الجبَلِ ١. ١. ٢.[٣]

المَوْعِظَةُ تُجَسِّدُ أَسْمَى الفَضَائل الرُّوحيَّة. كَاتِبٌ مَجْهُولٌ: أَلَمْ يَكُنْ الرَّبُّ يَسوعُ قَادِرًا عَلَى التَّعْلِيم حَيْثُ كَانَ النَّاسُ مُجْتَمِعِين هُنَاكَ؟ صَعِدَ الجَبَلَ لسَبَبَين: أَوّلاً، ليُتِمَّ نُبوَّةَ إشعيا القَائل: «إصْعَدُوا عَلَى جبَلٍ عَالٍ يَا مُبَشِّري صِهيَون»![٤] ثَانِيًا، ليُظْهِرَ سِرَّ عَطْفِهِ. فَصُعُودُه يَعْني سُمُوَّ الفَضِيلَةِ. لذَلكَ صَعِدَ الجَبَلَ ليُرِينَا أَنَّ مَنْ يُعَلِّمُ ومَنْ يَسْمَعُ لِبرِّ اللهِ يَجِبُ أَنْ يَقِفَ عَلَى سُمُوِّ الفَضَائلِ الرُّوحيَّةِ. فَعَلَى مَنْ يُعلِّمُ أَنْ يَكُونَ قُدْوَةً في أَقْوَالِهِ، فَيُعَلِّمَ بِأَعْمَالِه أَكْثَرَ مِنْ أَقْوَالِهِ، كَمَا يَقُولُ الرَّسُولُ: «كُنْ قُدْوَةً للمُؤْمِنين».[٥] فَمَنْ مَشَى في وَادِي طَرِيقِ الحَيَاةِ الدُّنْيَويَّةِ دَاسَ الطُّرُقَ المُظْلِمَةَ وتَكَلَّمَ بكَلِمَاتٍ سَامِيَةٍ: فَلا يُعلِّمُ أَيَّ شَخْصٍ، بَلْ يُؤَدِّبُ نَفْسَهُ. فَمَا مِنْ أَحَدٍ يَقْدِرُ على أَنْ يَقِفَ في الوَادِي ويَتَكَلَّمُ مِنَ الجَبَلِ. تَكَلَّمْ مِنَ المَكَانِ الَّذي أَنتَ فِيهِ. خُذْ مَوْضِعَكَ مِنَ المَكَانِ الَّذي تَتَكلَّم فِيه. عَمَلٌ غيرُ كَامِلٍ حَوْلَ متّى، الموعظة ٩.[٦]

النَّظَرُ إِلَى الكَنِيسَةِ وكَأَنَّها الجبَلُ العَظِيمُ. كَاتِبٌ مَجْهُولٌ: تُسَمَّى الكَنِيسَةُ جَبَلاً. فَيَقُولُ النَّبِيُّ إِنَّها «جَبَلُ اللهِ، الجبَلُ السَّامِي».[٧] لِذَلِكَ صَعِدَ المَسِيحُ الجبَلَ ليَكْشِفَ هُنَاكَ أَسْرَارَ الحَقِّ لِتَلاميذِهِ. فَأَرَاهُمْ أَنَّ مَنْ يَتُوقُ إِلَى تعَلُّمِ أَسْرَارِ الحَقِّ يَجِبُ أَنْ يَصْعَدَ إِلَى جبَلِ الكَنِيسَةِ، لَيْسَ إِلَى أَيِّ جَبَلٍ، لَكِنْ الجبَلَ العَظِيمَ. فَهُنَاكَ جِبَالُ أَهْلِ النِّحْلَةِ الَّتي لَيْسَت عَظِيمَةً، إِنَّمَا هي شَامِخَةٌ. عَلَى هَذِه الجِبَالِ لا تُعْلَنُ أَسْرَارُ الحَقِّ، بَلْ أَسْرَارُ الكَذِبِ الَّتي تَتَنَاثَرُ أَمَامَ الحَقِّ. لِهَذَا السَّبَبِ يُوبِّخُ الرُّوحُ القُدُسُ أُولَئكَ الَّذين يَصْعَدُونَ مِثْلَ هَذِه الجِبَالِ لَمَّا قَالَ لِلنَّبِيِّ: «لِمَاذا تَنظُرينَ بِحَسَدٍ، أَيَّتُها الجِبَالُ الشَّامِخَةُ»؟[٨] فَجَمَاعَاتُ أَهْلِ النِّحْلَةِ يُدْعَونَ شَامِخِين لأَنَّ قُلُوبَهُم جَمُدَت كَالشَّحْمِ.[٩] عَمَلٌ غيرُ كَامِلٍ حَوْلَ متّى، الموعظة ٩.[١٠]

الكُلُّ مَدْعُوُّونَ إِلَى المَجيءِ. كروماتيوس: لِكَي يُبَيِّنَ بوُضُوحٍ نِعْمَةَ التَّلاميذِ ومُغْدِقَ هَذِه النِّعْمَةِ الكُبْرَى، أَضَافَ النَّبِيُّ: «يَنْطَلِقُونَ مِنْ

(٣) PL 34: 1231; FC 11: 20
(٤) إشعيا ٤٠: ٩.
(٥) ١ تيموثاوس ٤: ١٢.
(٦) PG 56: 679
(٧) مزمور ٦٨: ١٥ (٦٧: ١٥).
(٨) مزمور ٦٨: ١٦ (٦٧: ١٦).
(٩) مزمور ١١٩: ٧٠ (١١٨: ٧٠).
(١٠) PG 56: 680

قُوَّةٍ إلى قُوَّةٍ، والرَّبُّ سيَنْظُرُ إلى صِهْيَونَ».[١١] أَيْ، ابنِ اللّه، الَّذي أعْطَى تلاميذه نِعَمًا في صِهْيَون. علَى هَذَا الجبَلِ أَعْطَى تلاميذه نِعْمَةً أيضًا. سَلَّمَ الشَّريعَةَ المُوسَوِيَّةَ عَلَى جبَلِ سِينَاء، مُظْهِرًا أَنَّه هو الَّذي سَنَّ الشَّرائِعَ . . . ولمَّا أُعْطِيتِ الشَّرِيعَةُ عَلَى الجبَلِ مَنَعَ الشَّعْبَ مِنَ الاقْتِرابِ مِنْه. لكِنَّ الرَّبَّ لَمَّا كَانَ يُعلِّمُ عَلَى الجبَلِ، لمْ يكُنْ أَحَدٌ مَحْرُومًا مِنْه. عَلَى العَكْسِ، دُعِي الجَمِيعُ إلى الاسْتِماعِ. فَفِي الشَّرِيعَةِ رَهْبَةٌ وَخَشيَةٌ، وَفي الإنجيلِ هُنَاكَ نِعمَةٌ وَرحمَةٌ. في الحَالَةِ السَّابقَةِ، بَثَّ التَّرْهِيبَ في غَيرِ المؤمنينَ. في الحالَةِ الأَخيرةِ، سُكِبَتْ عَطيَّةُ النِّعَمِ عَلَى المؤمنِينَ. موعظةٌ حول متّى ٣.١.١٧-٤.[١٢]

٢:٥ ففتحَ فاه يُعلِّمُهُم قائلاً

وَفْقَ استِعْدَادِهم للسَّماعِ. الذَّهبيُّ الفَم:

ولِمَا أُضِيفَتْ عِبارَةُ «فتَحَ فَاه»؟ فتَح فَاه ليُعلِّمَك أَنَّه كَانَ يُعلِّمُ في صَمْتٍ أيضًا، لا في كَلامِهِ فَقَطْ، وَتَارَةً أُخْرَى كَانَ يَنْطِقُ بالأعْمَالِ الَّتي كَانَ يَعْملُها. وإذا سَمِعْتَ أَنَّه «عَلَّمَهُم» فلا تَظُنَّنَّ أَنَّه يُخاطِبُ تَلامِيذَهُ فَقَط، بَلْ يُخَاطِبُ الجَمِيعَ عبرهم وبِمَا أَنَّ الجَمْعَ كَانَ كَأَيِّ جَمْعٍ آخَر، بِمَن فِيهِم الَّذين يَحْيَونَ عَلَى مُسْتَوى وَضِيعٍ، فَإِنَّ يسوعَ يَنْفَرِدُ بِتَلامِيذِهِ مُخَاطِبًا إيَّاهُم، وَفِي مُخَاطَبَتِهِ إيَّاهُم يُخَاطِبُ الآخَرِينَ الَّذين لَمْ يَكُونُوا مُسْتَعِدِّين بَعْدُ لِسَمَاعِ تَعْلِيمِهِ عَنْ مَحَبَّةِ الحِكْمَةِ فَتَحَاشَى أَنْ يُغِيظَهُم. إنجيلُ متّى الموعظة ١٥.١.[١٣]

[١١] مزمور ٨٤: ٧ (٨٣: ٧).
[١٢] CCL 9a: 268-69
[١٣] PG 57: 223; cf. NPNF 1 10: 91

٥:٣-١٢ التَّطْوِيبَات

«[٣]طُوبَى للمَسَاكِينِ في الرُّوحِ،
لأنَّ لَهُم مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ.
[٤]طُوبَى للمَحزُونِينَ، لأنَّهُم يُعزَّوْنَ.
[٥]طُوبَى للوُدَعاءِ، لأنَّهُم يَرِثُونَ الأرضَ.

٦طُوبَى للجِياعِ والعِطاشِ إلى البِرِّ، لأنَّهُم يُشبَعونَ.
٧طُوبَى للرُّحَماءِ، لأنَّهُم يُرحَمونَ.
٨طُوبَى لأنقياءِ القُلوبِ، لأنَّهُم يُشاهِدونَ اللهَ.
٩طُوبَى لِصانِعي السَّلامِ، لأنَّهُم أبناءَ اللهِ يُدْعَونَ.
١٠طُوبَى للمُضطَهَدينَ مِنْ أجلِ البِرِّ، لأنَّ لهُم مَلكوتَ السَّماواتِ.
١١طُوبَى لكُم إذا عَيَّرُوكُم واضطَهَدُوكُم وقالوا علَيكُمْ كَذِبًا كُلَّ كَلِمةِ سوءٍ مِنْ أجلي.
١٢افرَحوا وابتَهِجوا، لأنَّ أجرَكُم في السَّماواتِ عظيمٌ. هكذا اضطَهَدوا الأنبياءَ مِنْ قبلِكُم».

نَظْرَةٌ عامَّةٌ: يُقالُ إنَّ المرءَ يكُونُ فقِيرًا في الرُّوحِ عِنْدَما يَتُوبُ ويُصْبِحُ مُتواضِعًا مِثْلَ طِفْلٍ (كَاتِبٌ مَجْهُولٌ). لَمَّا أَعْلَنَ الأَنبياءُ أَنَّ اللهَ اخْتارَ شعْبًا مُتَواضِعًا يَهابُ كلامَه، فَإِنهُم توقَّعُوا التَّهنِئةَ الرَّئيسةَ: تَواضُعَ الرُّوحِ (هيلاريون). فَالَّذين احتَقَرُوا غِنَى العَالَمِ أَصْبَحوا أغْنِياء في الله وصَارُوا مُبَارَكين حقًّا (كروماتيوس). فَالمَلَكُوتُ هُوَ أَفْضَلُ حَياةٍ تُلائمُ الَّذينَ يُمَارِسُونَ الفَضِيلةَ. وَيعمَلُ الرُّوحِ القُدُسِ فيهم أصْبَحَ المُبارَكُون الفُقراءَ الَّذين افتَقَرُوا إراديًّا (جيروم).

إنَّ الحَزانى يُعزَّون عِنْدَما يتوقَّفُ أَلَمُ الحُزنِ (كَاتِبٌ مَجْهولٌ). في هذِه الحالَةِ لا يُشيرُ الحُزنُ إلَى حُزنٍ بسَبَبِ المَوْتِ، بَلْ بِسَبَبِ الخطِيئةِ (جيروم، الذَّهَبِيُّ الفَم). فَالَّذين يَحْزَنون بسَبَبِ خَطايَا العَالمِ كُلِّه هُمْ مُبَارَكُون بِبَرَكةٍ خَاصَّةٍ (كروماتيوس، كَاتِبٌ مَجْهولٌ).

ولأنَّ المتواضِعين تَشَبَّعوا بالإنْجِيلِ، فإنَّهم يُقلِّدُونَ وَداعةَ الرَّبِّ (كروماتيوس). الوُدَعَاءُ يَرْضَونَ بتحمُّلِ أيِّ اعتِداءٍ (كَاتِبٌ مَجْهُولٌ). مُبَارَكَةُ الوُدعَاءِ لَيْسَت رَمْزِيَّةً بَلْ حَقِيقيَّةٌ. الوُدَعَاءُ سيُبَارَكُون في هَذا العَالَمِ وفي العَالَمِ الآتي (الذَّهبيُّ الفَم، أوغسطين). مَا دَامَتْ هَذِه الحَيَاةُ الحَاضِرةُ فَاسِدةً، فَهِي أَرْضُ الأَمْوَاتِ، وعُرْضَةٌ للتَّفَاهَةِ؛ وَلكِنْ مَا أَنْ تَتَحَرَّرَ مِنْ عُبُودِيَّةِ الفَسَادِ وَتَنْعَمَ بحُرِّيَّةِ مَجْدِ أَبْنَاءِ الله، حتَّى تُصْبِحَ أَرْضَ الأَحْيَاءِ (كَاتِبٌ مَجْهولٌ).

الجُوعُ وَالعَطَشُ إِلى البِرِّ هُمَا رَغْبَةُ اللهِ وَحْدَه (كَاتِبٌ مَجْهولٌ)، وكَذلِكَ القِيامُ بأَعْمَالِ البِرِّ وبالبَحْثِ عَنْه (كروماتيوس). إنَّ لَهَبَ العَطَشِ وَحَرَارَةَ طُولِ الأَنَاةِ يُشَارُ إِلَيْهِما في مَجَازِ العَطَشِ إِلَى البِرِّ (أبوليناريوس). تَنْتُجُ من العَطَشِ إِلَى البِرِّ ثَرْوَةٌ حَقِيقيَّةٌ، لا تَخَافُ الفقْرَ ولا تَجْزَعُ مِنَ الجُوعِ (الذَّهبيُّ الفَم). رُؤيَةُ اللهِ هِيَ النِّهَايَةُ الَّتي نَبْلُغُ فيها الكَمَالَ، لا النِّهَاية الَّتي لا نَبْلُغُ فيها شَيئًا (أوغسطين). إنَّ خُلاصَةَ الفَضِيلَةِ هِيَ الصَلاحُ غيرُ المَمْزُوجِ بأيِّ صَلاحٍ أَدْنَى مِنْه، إنَّه صَلاحُ اللهِ نَفْسُه (أوريجنّس). مُكَافَأَةُ اللهِ هِي أَعْظَمُ مِنْ أَيَّةِ مُكافَأَةٍ نَسْتَلِمُها مِنَ الآخرينَ عَلَى أَيِّ عَمَلٍ مِنَ الأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ (الذَّهبيُّ الفَم). عِنْدَمَا تَسْمَعُ صَوْتَ مُتَسوِّلٍ تذَكَّرْ أَنَّكَ أَنْتَ نَفْسَكَ مُتَسوِّلٌ أَمامَ اللهِ. كَمَا تُعَامِلُ مَنْ يَسْأَلُكَ العَطَاءَ، يُعَامِلُكَ الرَّبُّ عِندَمَا تسأَلُهُ العَطَاءَ (أوغسطين). الرَّحِيمُ الحَقِيقِيُّ يُظْهِرُ رَحْمَتَه حتّى لأَعْدَائِهِ (كَاتِبٌ مَجْهولٌ). إنَّ أَنْقِيَاءَ القُلُوبِ هُم الَّذينَ تَخَلَّصُوا مِنَ الخَطِيئَةِ، فَطَهَّرُوا أَنْفُسَهم مِنْ كُلِّ شَهَواتِ الجَسَدِ وَرِجَاسَاتِه، وَأَرْضَوا اللهَ بأَعْمَالٍ تَنْبُعُ مِنَ الإيمانِ ومِنْ مُمَارسَةِ البِرِّ (كروماتيوس). مَنْ تَصَرَّفَ بالحَقِّ بِدَافِعٍ مِنْ قَنَاعَةٍ يَرَى اللهَ. الحَقُّ الإِنْسَانيُّ مُشَابِهٌ للحَقِّ الإلَهيِّ (كَاتِبٌ مَجْهُولٌ). مَا لَمْ يكُن قَلْبُكَ طَاهِرًا، لا يُسْمَحُ لكَ أَنْ تَرى مَا لا يُرَى. لا شَيءَ يَقْدِرُ عَلى بأَنْ يُرْضِيَ مَنْ لا يَرْضَى باللهِ (أوغسطين).

السَّلامُ مَوجُودٌ حَيْثُ يَتَوهَّجُ الإيمَانُ، فَيَتقوَّى بِهِ الأَمَلُ حِينَذَاكَ ويتَّقِدُ الإحْسَانُ (أوغسطين). المَسِيحُ نَفْسُهُ هُوَ سَلامُنَا (كَاتِبٌ مَجْهولٌ). صَانِعو السَّلامِ هُم الَّذين يَحْرِسُونَ سَلامَ الكَنِيسَةِ تَحْتَ وَحْدَةِ التَّعليمِ الرَّسُوليِّ (كروماتيوس). إنَّ المُشَاكَسَةَ تُغْلَبُ في مَلَكوتِ السَّلامِ، حَيثُ الأُمُورُ تكونُ مُرتَّبَةً داخليًّا وَخَارجيًّا. إنَّ كُلَّ مَا هُوَ مُشْتَرَكٌ بَينَ البَشَرِ والحَيَوانِ يُحْكَمُ بما يَمْتَازُ بِه البَشَرُ، أَيْ بالفَهْمِ الإدْرَاكيِّ وَالعَقْلِ (أوغسطين). صَانِعُ السَّلامُ هو الَّذي يكْشِفُ عَن التَّنَاغُمِ في الكِتَابِ المُقَدَّسِ، بَينَمَا غيرُه يَرَى التَّنَاقُضَاتِ (كيرلّس الإسكندريّ). الَّذين يُجَسِّدونَ السَّلامَ في أَنْفُسِهم يُعبِّرونَ عَنْ حُكْمِ اللهِ (أوغسطين).

إنَّ الَّذين يُضطَّهَدُونَ مِنْ أَجْلِ الحقِّ يُعْطَونَ نِعمَةً لتَحَمُّلِ الضِّيقِ بدونِ قَلَقٍ (أوغسطين). وَبِمَا أَنَّهم يُعيَّرونَ ظُلْمًا، فَسَيَسْتَلِمونَ مُكَافَأَتَهم المُقَدَّسَةَ في السَّمَاواتِ (كَاتِبٌ مَجْهُولٌ). إنَّ مُبارَكَةَ تَحَمُّلِ الاضطِّهَادِ مِنْ

أَجْلِ البِرِّ قَدْ وَجدَتْ أَفْضَلَ مِثَالٍ لَهَا فِي الرُّسُلِ، ومَعَهُم كُلُّ الَّذين يُضْطَهدُون مِنْ أَجْلِ البِرِّ (كروماتيوس). قَدْ لا يُضْطَهَدُ المرءُ عَلَى أَيدِي الغُرباءِ وَحَسب، بَلْ عَلى أَيدي أَخِصَّائه أيضًا (كَاتِبٌ مَجْهُولٌ).

فِي كُلِّ تَطْوِيبَةٍ يَحْصَلُ المُبَارَكُونَ عَلَى مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ (كروماتيوس). عِنْدَمَا يَأْخُذُ المُؤمِنون في الاعْتِبارِ مَا يَنْتَظِرُهُم مِنْ مُكَافَآتٍ، يُصْبِحُونَ مُستعدِّين لِتَحمُّلِ كُلِّ أَنواعِ المُعَانَاةِ لِكَي يَكونُوا شُرَكَاءَ صَالِحِين في مَجْدِ الله (كروماتيوس). مَنْ يَرْغبْ في السَّمَاويَّاتِ لا يَهَبْ أَيَّ تَوبِيخٍ عَلى الأرضِ. هَكَذا قِس الاضْطِرابَ الدُّنيَويَّ بِالمَجْدِ السَّمَاويِّ (كَاتِبٌ مَجْهُولٌ).

٣:٥ المَسَاكِينُ فِي الرُّوحِ

يَا مَنْ أَنتُم مَسَاكِينُ فِي الرُّوحِ. كَاتِبٌ مَجْهُولٌ: مَعْ أَنَّ الإِنْجِيليَّ لُوقَا يُورِدُ جُزئيًّا التَّطويبَاتِ ذاتَها، فَقَدْ جَاءَتْ بِشَكْلٍ أَكْمَل فِي مَتَّى. فِي لُوقَا أُلْقِيتِ المَوْعِظَةُ فِي مَكَانٍ مُنْبَسِطٍ، بَيْنَمَا أُلقِيَتْ فِي مَتَّى عَلَى الجَبَلِ. المَوعِظَةُ فِي لُوقَا كَانَتْ خَفِيضَةَ النَّغْمَةِ فِي طَبِيعَتِهَا، بَيْنَمَا تَنَاوَلت فِي مَتَّى كَثِيرًا مِنَ الجَوانِبِ، وتَوجَّهَتْ بِشَكْلٍ مُبَاشِرٍ إلى التَّلامِيذِ أَنْفُسِهم. السَّبَبُ فِي هَذَا الاخْتِلافِ حُدِّدَ فِي وَقتٍ مُبكِّرٍ. يَقُولُ لوقا «المَسَاكِين» فَقَط، بَيْنَمَا يَقُولُ مَتَّى «المَسَاكِين في الرُّوحِ».[١] فَالمِسْكِينُ فِي الرُّوحِ وَالمُتَواضِعُ القَلْبِ هُوَ وَدِيعُ النَّفْسِ لا يَتَبَاهَى بِذَاتِه. ومِنْ نَاحِيةٍ أُخْرى، مَنْ تَصوَّرَ أَنَّه غَنيٌّ فِي الرُّوحِ افتخرَ بِمَا لَيْسَ لَه. إِنَّه صَلِفٌ لا يُتِمُّ وَصِيَّةَ المَسِيحِ «إِنْ لَم تَرجِعُوا وتَصِيروا مِثْلَ الأَطْفَالِ، فَلَنْ تَدخُلُوا مَلَكوت السَّمَاوَاتِ».[٢] مَنْ تَابَ وَصَارَ مِثْلَ الأَطْفَالِ هُوَ وَحْدَهُ مِسْكِينٌ فِي الرُّوحِ. عَمَلٌ غَيرُ كَامِلٍ حَوْلَ مَتَّى، المَوعظة ٩.[٣]

تَوَاضُعُ الرُّوحِ تَطْوِيبٌ كَامِلٌ. هيلاريون: «طُوبَى لِلمَسَاكِينِ فِي الرُّوحِ، لأَنَّ لَهُم مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ». عَلَّمَنا الرَّبُّ بِالقُدْوَةِ أَنْ نَتَخلَّى عَنْ مَجْدِ الطَّمعِ الإِنْسَانيِّ لمَّا قَالَ: «لِلرَّبِّ إِلهِكَ تَسْجُدُ، وإِيَّاه وحْدَه تَعْبُدُ».[٤] وَلمَّا أَعْلَن عَلَى لِسَانِ الأَنْبِياءِ أَنَّه سَيَخْتَارُ شَعْبًا مُتَواضِعًا، أَدْخَلَ بِرَهْبَةٍ كَلامَه[٥] التَّطْوِيبَةَ الكَامِلَةَ وَهِي تَواضُعُ الرُّوحِ. لِذَلكَ يَصِفُ المُلْهَمِين بِأَنَّهم وَاعُونَ لِلمَلَكُوتِ

---

[١] لوقا ٦: ٢٠.
[٢] متّى ١٨: ٣.
[٣] PG 56: 680
[٤] متّى ٤: ١٠.
[٥] أنظر إشعيا ٦٦: ٢.

السَّماويّ. . . ما مِنْ شيءٍ ينْتَمي إلى المَرْءِ وكأنَّه مِلْكٌ له، فالكلُّ يمْلِكون الأمورَ ذاتها بهَديَّةٍ مِنْ أبٍ واحِدٍ. فقَدْ أُعْطوا ما يحْتاجُونَ إليه لدُخولِ الحياةِ، وزُوِّدوا بوسائلِ استِعْمالِه. في متّى ٤.٢.[٦]

المَساكِينُ المبارَكونَ هُمْ أغْنِياءُ في الله. كروماتيوس: نعْرِفُ العَديدَ مِنَ المَساكِين الَّذين ليْسُوا مُجرَّدَ فُقراء، بَلْ مُبارَكون. فضَرُورَةُ الفَقْرِ لا تَجْعَلُ كُلَّ واحِدٍ مِنَّا مُبارَكًا، إنَّما الثِّقَةُ المُخْلِصَةُ المُغذَّاةُ بالفقْرِ هِيَ الَّتي تجْعَلُه مُبارَكاً. فبَعْضُ الَّذين لا مَوارِد دُنْيَويَّةً عِنْدهُم، ما زالُوا مُذْنِبين وغيرَ مُؤمِنين بالله. والواضِحُ أنَّنا لا نَقْدِرُ على أنْ ندْعُوَ هؤلاء النَّاسَ مُبارَكين. يجِبُ أنْ نَسْأَلَ عَنْ هُويَّةِ المُبارَكين الَّذين قالَ الرَّبُّ عنْهُم: «طُوبَى للمَساكِينِ في الرُّوحِ، لأنَّ لهُم ملكوتَ السَّماواتِ». فيَسُوعُ يعْني أنَّ المُبارَكين المُزْدَرِينَ بالثَّرَواتِ وبالغِنَى العالَميّ، والمُغْتَنِين بالله، يرْغَبُونَ في أنْ يكُونوا مَساكِينَ في العالَمِ. والحقُّ، أنَّهم يظْهَرُونَ مَساكينَ في نَظَرِ العالَمِ، إلاَّ أنهُّم أغْنِياءُ في الله. هُم فُقَراءُ في العالَمِ، لَكِنْ أغْنِياءُ في المَسيحِ. موعِظَةٌ حوْلَ متّى ١٧.٢.١-٢.[٧]

مُقَدَّسٌ هُوَ التَّواضُعُ الحرُّ لا الفَقْرُ القَسْرِيُّ. جيروم: هَذا ما نَقْرأُهُ في مكانٍ آخَر: «يُخَلِّصُ المُنْسَحقين في الرُّوحِ».[٨] لكِنْ لا تَتَصوَّرُوا أنَّ الفقْرَ يَسْتَدعي البركةَ بالضَّرُورَةِ، لأنَّه أضافَ «في الرُّوحِ»، لِنَفْهَمَ أنَّ البَرَكَةَ هِيَ في التَّواضُعِ لا في الفَقْرِ. «طُوبَى للمَساكين في الرُّوحِ»، الَّذين هُمْ بالرُّوحِ القُدُسِ فُقَراءُ طَوْعًا. وفي ما يَخُصُّ هَذا النَّوعَ مِنَ المَساكِينِ، يتَكلَّمُ المُخلِّصُ أيضًا على لِسانِ إشعيا قائلاً: «لأنَّ الرَّبَّ مَسَحَني لأُبَشِّرَ المساكينَ».[٩] تفسيرُ متّى ١.٣.٥.[١٠]

أهْلُ الفَضيلَةِ جَديرُونَ بالملَكُوتِ. كاتِبٌ مَجْهُولٌ: ماذا يَعْني قولُه «لأنَّ لهُم ملَكُوت السَّماوات»؟ أليْسَ الملَكُوتُ لأهْلِ الفَضِيلَةِ؟ رغْمَ أنَّ الطَّريقَ إلى الجَحِيمِ مَرْصُوفَةٌ بالرَّذائلِ كُلِّها، ولاسِيَّما الكِبْرِياءِ، فالفَضائِلُ كلُّها توصِلُ إلى مَلَكُوتِ السَّماوَاتِ، وعلى الأخَصِّ التَّواضُعُ.[١١] فأصْلُ الشَّرِّ هُوَ الكِبْرِياءُ، وأصْلُ كُل صَلاحٍ هُوَ التَّواضُعُ. لذلِكَ يلِيقُ بِمَنْ يرْفَعُ نفْسَهُ أنْ

---

[٦] SC 254: 120-22
[٧] CCL 9a: 269
[٨] مزمور ٣٤: ١٨ (٣٣: ١٨).
[٩] إشعيا ٦١: ١.
[١٠] CCL 77: 24
[١١] أنظر لوقا ١٤: ١١.

يـتَّضِـعَ، وبمَنْ يـتَّـضِـعُ أَنْ يُـرْفَـعَ. عَـمَلٌ غيرُ كَامِلٍ حَوْلَ متّى، الموعظة ٩.[١٢]

٥: ٤ الحَزَانَى

الحُزْنُ عَلَى خَطِيئةٍ لَمْ يُدْرِكْها نَدَمٌ. جيروم: إنَّ الحُزْنَ المُشَارَ إِلَيهِ هُنَا لا يَتَعلَّقُ بـالشَّـريـعَـةِ الـطَـبِـيـعِـيَّـةِ لـلـمـائـتِـينَ، إنَّمَا بـالخطَايـا وَالرَّذَائل. هـكَذَا حزنَ صَمُوئيلُ عَلَى شَاول،[١٣] وَندِمَ الرَّبُّ لأَنَّه أَقَامَ شَاولَ مَلِكًا عَلَى إِسْرائيل.[١٤] وَكَذَلِكَ يَقولُ الرَّسُولُ بـولسُ إِنَّـه بَـكَـى عَـلَـى كَـثِـيريـنَ مِـنَ الَّـذيـنَ خَطِئوا مِنْ قَبْلُ، وَلَم يَنْدَمُوا عَلَى مَا ارتكَبُوه مِنْ دعَارَةٍ وَزِنًى وَفُجُور.[١٥] تفسيرُ متّى ١. ٥. ٤.[١٦]

البُكَاءُ عَلَى خَطَايَا الـعَـالَمِ. كروماتيوس: إِضَـافَـةً إِلَـى تَـعْـلِـيـمِ يَـسُـوعَ الـسَّـابـقِ عـنِ المَسَـاكِين، يَـتَكَلَّمُ هُـنَـا عَلَـى الحزَانَى. لَيْسَ المُبَـارَكُـون الَّـذِيـنَ ذَكَـرهُـم هُـم مَـنْ فَـقَدُوا بـالموتِ زَوْجَاتِهِم أَو خُدَّامَهُم المُدلَّلين، بل هم أُولَئِكَ المُبَارَكون الّذين . . . لا يكفُّون عَن الحُزْنِ بورعٍ عَلَى مَا يُعَانِيهِ العَالَمُ مِنْ ظُلْمٍ وَمِنْ جَوْرٍ. فَالَّذينَ يَحْزَنُونَ بورَعٍ يَنَالونَ، وَلَـوْ عَـنْ غَـيرِ اسـتِـحْـقَـاقٍ، مُـوَاسَـاةَ الـفَـرَحِ الأَبَـديِّ الَّـذي وَعَـدَ بِـه الـرَّبُّ. مـوعـظـةٌ حَـوْلَ متّى ١٧. ٣. ١-٢.[١٧]

تَطْويبٌ أَعْظَم. كَاتِبٌ مَجْهُولٌ: تَبارَكَ الّذينَ يَبْكُـونَ عَلَـى خَطَـايَـاهُـم، تَبَـارَكَ أَيضًـا، وَلَوْ بِـدَرجَـةٍ أَدْنَـى، الَّـذين يَبْـكُـونَ عَـلَـى خَـطَـايَـا الآخَـريـن. فَـالَّـذِيـنَ يَـبْـكُـون عَـلَـى خَـطَـايَـا الآخَـرِيـنَ تَـكُـونُ خَـطَـايَـاهُـم في الـغَـالِبِ أَقلَّ دَرجَةً لِيَبْكُوا عَلَيْهَا. إِنَّهم يُسَمَّونَ مُعلِّمِينَ، لأَنَّهُم هُمْ مَعَ الرَّبِّ عَلَى الجَبَلِ. عَمَلٌ غيرُ كَامِلٍ حَوْلَ متّى، الموعظة ٩.[١٨]

حُزْنٌ شَدِيدٌ عَلَى الخَطِيئَةِ. الذَّهبيُّ الفَم: هُنَا يَدْعُو السَّيِّدُ نَفْسُه المَحْزُونِينَ مُبَارَكِينَ، لا لمجرَّدِ أَنَّهم يَحْزَنُونَ، بَلْ لأَنَّهم يَحْزَنُون حُزْنًا شَدِيدًا. لِهَذَا لَمْ يَقلْ «المُتَأَسِّفين» بَلِ «المَحْزُونين». هَـذِهِ الوَصِيَّةُ تُعَلِّمُ الجَمِيعَ مَـحَـبَّـةَ الحِكْمَـةِ. فَـإِذَا حَزِنوا عَلَى أَوْلادٍ أَو زَوْجَةٍ أَو قَرِيبٍ تَوَفَّاهُم اللهُ، فَلا يَكُونُونَ طَامِعِينَ بِرِبحٍ أَو مُتْعَةٍ في وَقْتِ حُزْنِهِم، وَلا سَـاعِـينَ إِلى المَجْـدِ، لِـذَا لا يَـتَـأَثَّـرُونَ بـالإِهَـانَـاتِ وَلا يَـسْـتَـبِـدُّ بِـهِـم الحَسَدُ وَلا يَنْزَعِجُونَ مِنْ أَيِّ هَوًى آخر، لأَنَّهم صَارُوا

---

[١٢] PG 56: 680-81

[١٣] ١ صموئيل ١٥: ١١.

[١٤] ١ صموئيل ١٥: ٣٥.

[١٥] ٢ كورنثس ١٢: ٢١.

[١٦] CCL 77: 24-25

[١٧] CCL 9a: 271

[١٨] PG 56: 681

مَحْزُونِينَ حُزنًا شَدِيدًا. إنجيلُ متّى، الموعظة ٣.٥.[١٩]

المَحْزُونُونَ يُعزَّون. كَاتِبٌ مَجْهُولٌ: يُعزَّى المَحْزُونُونَ عِنْدَمَا يَتَوقَّفُ أَلَمُ الحزنِ. فَالَّذين يَحْزَنون عَلَى خَطَايَاهُم، ويَنَالُونَ الغُفْرانَ، سَيُعزَّونَ في هَذَا العَالَمِ. وَالَّذينَ يَحْزَنون عَلى خَطايَا الآخَرينَ سَيُعزَّونَ في الدَّهْرِ الآتي. فَكُلَّمَا كَانُوا في العَالَمِ غيرَ مُدْرِكِينَ عِنَايَةَ اللهِ وَغَيرَ عَارِفِينَ بِالسَّاقِطِينَ تَحْتَ تَأْثيرِ إبْلِيس، حَزِنُوا عَلى كُلِّ الأثمةِ، حتّى عَلَى الَّذين يَفْعَلونَ الشَّرَّ بِدُون نِيَّةٍ شِرِّيرةٍ. إنَّهم يَرَوْنَ كُلَّ الأَثَمَةِ الَّذينَ صَفَعَهُم إبليس. ويَرَوْنَ كَذلِكَ أَنَّ خَاصَّته لا تَهْلِكُ، وأَنَّ الهَالِكينَ لَيْسُوا مِنَ اللهِ. ما مِنْ أَحَدٍ يقدِرُ على أَنْ يَهْرُبَ مِنْ يدِ اللهِ. لكِنْ مَا إنْ يَنتَهي حُزْنُهُم حتّى يُعزَّونَ. فإنَّهم سيَبْتهجُون بتَطْويبِهِم، من دُونِ آلامٍ إضَافِيَّةٍ. عَمَلٌ غيرُ كَامِلٍ حَوْلَ متّى، الموعظة ٩.[٢٠]

٥:٥ الوُدَعَاءُ

الاقتِدَاءُ بِوَدَاعَةِ الرَّبِّ. كروماتيوس: الوُدَعَاءُ هُم أَهْلُ اللُّطْفِ وَالتَّوَاضُعِ وَالبَسَاطَةِ في الإيمَانِ والصَّبرِ عَلَى تَحمُّلِ الإهَانَاتِ. وبِكَوْنِهِم مُتَأَصِّلِينَ بِرُسُومِ الإنْجِيل، فَهُمْ يَتَمَثَّلونَ بِوَداعَةِ الرَّبِّ القَائِل: «تَعَلَّمُوا مِنّي، فَإنّي وَدِيعٌ وَمُتَوَاضِعُ القَلْبِ».[٢١] لَقَدْ وَجَدَ مُوسَى حُظْوَةً كُبْرَى في عَيْنَي الرَّبِّ لأَنَّه كَانَ وَدِيعًا. لذَلِكَ كُتِبَ عَنْهُ: «وكَانَ مُوسَى رَجُلاً وَدِيعًا جِدًّا أَكثرَ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ».[٢٢] وَفَضْلاً عَنْ ذَلِكَ، نَقْرأُ في مَزْمُورِ دَاود: «أُذْكُرْ يَا رَبُّ دَاودَ وكُلَّ وَدَاعَتِه».[٢٣] الموعظةُ حَوْلَ متّى ١٧.٤.١-٢.[٢٤]

تَحَمُّلُ الأَسْوَاء. كَاتِبٌ مَجْهُولٌ: الإِنْسَانُ اللَّطِيفُ لا يُثيرُ الشَّرَّ ولا يُثِيرُهُ الشَّرُّ. فَاتِّهَامُ أَشْخَاصٍ كَهَؤلاءِ بِالخَطِيئَةِ لا يُجَرِّمُهُم، لأَنَّهم لَيْسُوا سَبَبًا للخَطِيئَةِ. المُتَوَاضِعُ يَرْضَى بِتَحمُّلِ المَسَاوِئ ولا يَرْضَى بِفِعْلِ أيٍّ مِنْهَا. مَا لَمْ يكُنِ المَرءُ غيرَ خَائفٍ مِنَ المَضَايق، لا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَكُونَ بِلا خَطِيئَةٍ. فَكمَا أَنَّ الزُّوَانَ لا يَخْتَفي مِنَ الحَقْلِ أَبَدًا، كَذلِكَ لا يَتَوارَى المُحرِّضُونَ عنِ العَالَمِ. لذَلِكَ فَإنَّ الإِنْسَانَ اللَّطيفَ حقًّا، عِنْدَمَا يُسَاءُ إِلَيهِ، لا يَفْعَلُ الشَّرَّ ولا يُفَكِّرُ في فِعْلِه. عَمَلٌ

---

(١٩) PG 57: 225-26; NPNF 1 10: 93

(٢٠) PG 56: 681

(٢١) متّى ١١: ٢٩.

(٢٢) عدد ١٢: ٣.

(٢٣) مزمور ١٣٢: ١ (١٣١: ١).

(٢٤) CCL 9a: 272

غيرُ كاملٍ حوْلَ متّى، الموعظة ٩.[٢٥]

نِعْمَةٌ حاضِرةٌ. الذَّهَبيُّ الفَم: قُلْ لي أيَّ نوعٍ مِن الأَرضِ يَقْصِدُ: يقُولُ بعْضُهُم إنَّها أرْضٌ عَقْلِيَّةٌ. إنَّما ليْسَتْ هِيَ كذَلِكَ، فإنَّنا لا نَجِدُ في أيِّ مكانٍ من الكِتابِ ذِكْرًا لأَرضٍ عَقْلِيَّةٍ. السَّيِّدُ يُقَدِّمُ جائِزةً حِسِّيَّةً، تَمامًا مِثْلَما يفْعَلُ بولس قائلاً: «أكْرِمْ أباكَ وأُمَّكَ لتُصِيبَ خيرًا وتَطُولَ أيَّامُكَ في الأَرضِ».[٢٦] والرَّبُّ نَفْسُهُ قالَ لِلِّصِّ: «سَتَكُونُ اليَوْمَ معِي في الفِرْدَوس».[٢٧] وهَكَذا فإنَّه لا يَحُثُّ النَّاسَ علَى بَركاتِ المُسْتَقْبَلِ فَحَسْب، بَلْ علَى البَركاتِ الحاضِرَةِ أيضًا. إنجيلُ متّى، الموعظة ١٥.٣.[٢٨]

مِيراثٌ أبديٌّ. أوغسطين: «رِثُوا الأَرْضَ»، أظُنُّ أنَّه يَقْصِدُ الأَرْضَ المَوْعُودَ بِها في المَزْمُور: «فأَنْتَ رجائي، وأَنْتَ نَصِيبي في أرْضِ الأَحْياءِ».[٢٩] هَذا يَدُلُّ علَى صَلابَةِ المِيراثِ الأَبَدِيِّ وثَباتِهِ. فالنَّفْسُ، بِسَبَبِ حُسْنِ مُيُولِها، هِيَ في راحَةٍ، في مَكانِها الخاصِّ بِها، تَتَغَذَّى بِطَعامِها هُناكَ، وكأَنَّها جَسَدٌ مِنَ الأَرْضِ. هَذِه هِيَ حياةُ القِدِّيسِينَ المُسالِمَةُ. الوُدَعاءُ هُم الَّذين يَتحمَّلُونَ الإِثْمَ ولا يُقاوِمُونَ الشَّرَّ، بَلْ هُمْ بالخَيْرِ للشَّرِّ قاهِرونَ.[٣٠] فَلْيَكُنِ المُتغَطْرِسُ مُقاوِمًا ولْيُناضِلْ في سَبِيلِ الأَرْضِيَّاتِ والوَقْتِيَّاتِ. «طُوبَى للوُدَعاءِ، لأَنَّهم سَيَرِثُونَ الأَرْضَ». إنَّها الأَرْضُ الَّتي لا يُمْكِنُ طَرْدُهُم مِنْها. الموعظة علَى الجَبَل ١.٢.٤.[٣١]

الكائناتُ الأَزَلِيَّةُ سَتَرِثُ أرْضًا أزَلِيَّةً. كاتِبٌ مَجْهُولٌ: كَتَبَ ناظِمُ المَزامِيرِ: «أنَا مُؤْمِنٌ بأَنْ أرَى جُودَ الرَّبِّ في أرْضِ الأَحْياءِ».[٣٢] يَقُولُ بَعْضُهم كُلَّما كانَتْ هَذِه الأَرْضُ في وَضْعٍ فاسِدٍ، كانَتْ هِيَ أرْضَ الفَسادِ، لأَنَّها خاضِعَةٌ للباطِلِ وللتَّفاهَةِ. ولَكِنْ، إذا تَحَرَّرَتْ مِنْ عُبُودِيَّةِ الفَسادِ، وأَصْبَحَت حُرَّةً في مَجْدِ أولادِ اللّه، فإنَّها تُصْبِحُ أرْضَ الأَحْياءِ، ويَرِثُ فيها المائِتُونَ الخُلُودَ. وبالنِّسْبَةِ إلى تَفْسِيرٍ آخر، إنَّها سَماءٌ مِنَ السَّماواتِ الَّتي سَيَحْيَا فِيها القِدِّيسون؛ لذَلِكَ تُسَمَّى أرْضَ الأَحْياءِ. إنَّها بالنِّسْبَةِ إلى الدُّنَى، أرْضٌ؛ لكِنْ، بالنِّسْبَةِ إلى السَّماواتِ فَوْقُ، فإنَّها تُسَمَّى أرْضَ الأَحْياءِ. يَقُولُ الآخرون إنَّ جَسَدَنا علَى الأَرْضِ، ما دامَ

---

[٢٥] PG 56: 681

[٢٦] أفسس ٦: ٢- ٣.

[٢٧] لوقا ٢٣: ٤٣.

[٢٨] PG 57: 226; NPNF 1 10: 93

[٢٩] مزمور ١٤٢: ٤ (١٤١: ٤).

[٣٠] رومية ١٢: ٢١.

[٣١] PL 34: 1232; FC 11: 22; NPNF 1 10: 93

[٣٢] مزمور ١٤٢: ٥ (١٤١: ٥).

خَاضِعًا لِلْمَوتِ، يَسْكُنُ في أَرْضِ الأَمْوَاتِ. لَكِنْ عِنْدَمَا يَتَحَوَّلُ الجَسَدُ، ويَصِيرُ مُشَابِهًا لجَسَدِ مَجْدِ المَسِيحِ، عِنْدَئِذٍ يَسْكُنُ في أَرْضِ الأَحْيَاءِ. وَالكائِنَاتُ الأَبَدِيَّةُ تَرِثُها كَأَرْضٍ أَبَدِيَّةٍ، وَالكَائِنَاتُ الرُّوحَانِيَّةُ وَالقدِّيسُونَ كَأَرْضٍ رُوحَانِيَّةٍ ومُقَدَّسةٍ. عملٌ غيرُ كامِلٍ حَوْلَ مَتَّى، الموعظة ٩.[٣٣]

٦:٥ طُوبَى للجِياعِ والعِطَاشِ إلى البِرِّ

أَللهُ هُوَ الفَضِيلَةُ الحَقِيقِيَّةُ. أوريجنّس: إذَا كَانَ عَلَيَّ أَنْ أُكَلِّمَكُم كَلامًا جَسُورًا، فَيُخَيَّلُ إلَيَّ أَنَّ الرَّبَّ، عبر الكَلِمَةِ الَّتي تُقَاسُ بالفَضِيلَةِ وَالبِرِّ، قَدَّمَ نَفْسَه إلَى رَغْبَةِ السَّامِعِينَ. وُلِدَ لَنَا حِكْمَةً مِنَ اللهِ وَبِرًّا وَتَقْدِيسًا وَخَلاصًا.[٣٤] هُوَ «الخُبْزُ النَّازِلُ مِنَ السَّمَاوَاتِ»[٣٥] «وَالمَاءُ الحَيُّ»،[٣٦] الّذي عَطِشَ إلَيه دَاودُ العَظِيمُ نَفْسُه مُعْتَرِفًا بِه في أَحَدِ مَزَامِيرِه: «إلَيْكَ، إلَى الإلَهِ الحَيِّ عَطِشَتْ نَفْسِي، فَمَتَى أَجِيءُ وَأَرَى وَجْهَ اللهِ»؟[٣٧] ... «وَأَنَا في بَرَاءَتِي أُعَايِنُ وَجْهَكَ وَأَشْبَعُ مِنْ رُؤْيَةِ مَجْدِكَ».[٣٨] هَذَا، في قَوْلِي، هُوَ الفَضِيلَةُ الحَقِيقِيَّةُ، الصَّلاحُ غيرُ المَمْزُوجِ بِأَيِّ صَلاحٍ أَدْنَى مِنْه، أَي اللهِ، الفَضِيلَةُ الَّتي غَطَّتِ السَّمَاوَاتِ، كَمَا يَذْكُرُ حَبَقُوقُ.[٣٩] المقطع ٨٣.[٤٠]

الشَّوقُ الحَارُّ إلَى البِرِّ. كروماتيوس: عَلَّمَنَا الرَّبُّ يَسُوعُ أَنَّه يَجِبُ السَّعْيُ إلَى البِرِّ لا بِفُتُورٍ بَلْ بِرَغْبَةٍ حَارَّةٍ. يَدْعُو أُولَئِكَ الأَشْخَاصَ مُبَارَكِينَ، لأَنَّهم، في سَعْيِهِم إلَى البِرِّ، توهَّجُوا مِنْ حَرِّ شَوْقِهِم في جُوعِهِم وَعَطَشِهِم. فَلَوْ جَاعَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا وَعَطِشَ إلَى البِرِّ بنِيرانِ الأَشْوَاقِ، لَسَعَى تَوْقًا إلَى مَا يَجُوعُ إليهِ وَيَعْطَشُ. موعظةٌ حَوْلَ مَتَّى ١٧. ٥.١.[٤١]

نَقْلُ الرَّغبةِ إلَى غَايَةٍ جَدِيدَةٍ. الذَّهَبِيُّ الفَم: أُنْظُرْ كَيْفَ يُنْشِئُ كَلامَهُ بقُوَّةٍ فَائِقَةٍ. إنَّه لَمْ يَقُلْ طُوبَى لِلَّذِينَ يَتَمَسَّكُونَ بِالبِرِّ، بَلْ «طُوبَى لِلْجِيَاعِ وَالعِطَاشِ إلى البِرِّ». فَلْنَسْعَ إلَيهِ لا كَيفَمَا اتَّفَقَ، بَل بكُلِّ شَوْقٍ، فَنَحْنُ لَسْنَا رِغَابَ الجَوْفِ أَكْلاً وَشُرْبًا، ولا نَتَشَوَّفُ إلَى المَطَامِعِ. فَهوَ أَمَرَنَا بِأَنْ نَنْقُلَ هَذِه الرَّغْبَةَ إلَى غَايَةٍ جَدِيدَةٍ أَلا وَهِيَ عُزُوفُ النَّفْسِ عَنِ

---

[٣٣] PG 56: 681-82
أرضُ الأحياءِ الَّتي سيَرثِها الوُدعَاءُ هي الميراثُ الدَّائمُ للحياةِ الأبديَّةِ معَ اللهِ.

[٣٤] ١ كورنثس ١: ٣٠.

[٣٥] يوحنّا ٦: ٥٠.

[٣٦] يوحنّا ٤: ١٠- ١١.

[٣٧] مزمور ٤٢: ٢ (٤١: ٢).

[٣٨] مزمور ١٧: ١٥ (١٦: ١٥).

[٣٩] حبقوق ٣: ٣.

[٤٠] GCS 41.1: 49

[٤١] CCL 9a: 273

الشَّهوةِ. إنجيلُ متّى، الموعظة ١٥.٤.[٤٢]

العَطَشُ إلى البرِّ. أبوليناريُوس. عِنْدَمَا يَذْكُرُ لُوقَا المبَارَكين، فإنّه يدعُوهم ببَسَاطَةٍ «الجِياع». أمَّا متّى فيصِفُهُم بأَنَّهم الَّذينَ يَسْعَونَ طَوْعًا إلى الصَّلاحِ ويصْبُونَ إليهِ، ويعزفونَ عَنِ الملذَّاتِ الجَسَديَّةِ. إنّنا نَسْمَعُ متّى ولوقا يَتَكلَّمانِ بلُغَةٍ مُتَشابِهَةٍ. فَمَنْ تَاقَ إلى برِّ اللهِ وجَدَ ما يَرْغَبُ في الحُصُولِ عَلَيه. لكِنَّ الشَّوْقَ إلى البرِّ لا يُشْبَعُ بالقِيَاسِ إلى الشَّاهِيَةِ وَحْدَها. فالمُشارَكَةُ في البرِّ لا يَرْغَبُ فيها النَّاسُ كطعَامٍ فقط. هذا نَصْفُ الصُّورةِ. لكِنَّ يوحنّا الآنَ قدَّمَ هذا الشَّوْقَ وكأنَّه عَطشٌ للشَّرابِ. فتأَجُّجُ النَّفْسِ عَطشًا يَدُلُّ عَلَى التَّوهُّجِ مِنْ حرِّ الشَّوْقِ. يقُولُ إنَّ شخْصًا كهذا «سيُشْبَعُ». لكِنَّ هذا الشَّبَعَ لا يكُونُ نُزُوعًا عَنِ الرَّغْبَةِ، بَلْ يَزيدُ في اشتِدادِ الرَّغبةِ إليهِ. المقطع ٢.[٤٣]

القَلْبُ الطَّيِّعُ. كَاتِبٌ مَجْهُولٌ: الجُوعُ وَالعَطَشُ إلى البرِّ هُما الرَّغْبَةُ في برِّ اللهِ نَفْسِهِ. عَلَى النَّاسِ أَنْ يَسْمَعوا برَّ اللهِ ويَعْمَلُوا بِهِ، لا كأنّهم يُكْرَهُونَ عَلَى العَمَلِ بِهِ، بَلْ بِرَغْبَةِ قُلُوبِهِم. كُلُّ خَيرٍ لا يُعْمَلُ بِهِ حُبًّا بالبرِّ لا يكونُ مَرْضِيًا للهِ. إذًا لا يَدْعُو الرَّبُّ عَلَى لِسَانِ يُوحنَّا كُلَّ وَاحِدٍ لِيَشْرَبَ، بَلْ العِطَاشَ فقط، فقَالَ: «إنْ عَطِشَ أَحَدٌ فَلْيُقْبِلْ إليَّ ويَشْرَبْ».[٤٤] وَعَلَى هَذَا النَّحْوِ، لَمْ يُشِرْ إِلَى الَّذين «يَجُوعُون ويَعْطَشُون إِلَى البِرِّ» عبثًا. مَنْ عَطِشَ إِلَى البِرِّ رَغِبَ في العَيْشِ بنشَاطٍ وِفْقَ بِرِّ اللهِ؛ وَهَذَا مُنَاسِبٌ لِلصَّالِحِ القَلْبِ. وَمَنْ عَطِشَ إِلَى البِرِّ رَغِبَ في اقْتِنَاءِ مَعْرِفَةِ اللهِ الَّتي يَكْتَسِبُهَا المرءُ عبر دِرَاسَةِ الكِتَابِ المُقَدَّسِ؛ وَهذا مُنَاسِبٌ لِلْيَقِظِ القَلْبِ. «سيُشْبَعُون» وَيَمْتَلِئُون بمُكَافَأَةِ اللهِ الوَافِرَةِ. فَمُكافَآتُ اللهِ أَعْظَمُ مِنْ كُلِّ رَغَبَاتِ القِدِّيسِينَ الشَّديدةِ التَّوق. عَمَلٌ غيرُ كَامِلٍ حَوْلَ متّى، الموعظة ٩.[٤٥]

وَعْدُ الإتْمَامِ. كروماتيوس: إنَّ الخُبْزَ السَّمَاوِيَّ وَيَنْبُوعَ المَاءِ الحَيِّ يَعِدَانِ الَّذين يَجُوعُون ويَعْطَشُون بالانْتِعَاشِ الأَبَدِيِّ: «طُوبَى لِلْجِيَاعِ والعِطَاشِ إِلى البِرِّ، لأَنَّهُم يُشْبَعُونَ». هَذا هُوَ بِرُّ الإيمانِ الآتِي مِنَ اللهِ وَالمَسِيحِ، الَّذي يَقُولُ عَنْهُ الرَّسُولُ: «هُوَ بِرُّ اللهِ بالإيمَانِ بيَسُوعَ المَسيحِ إِلى كُلِّ الَّذين يُؤْمِنُونَ بِهِ وعليهم».[٤٦] مَوعِظَةٌ حول متّى ٢.٥.١٧.[٤٧]

سَيُشْبَعُونَ: الذَّهَبِيُّ الفَم. ثُمَّ يُعَيِّنُ الجَائِزَةَ

---

[٤٢] PG 57: 227; NPNF 1 10: 94

[٤٣] MKGK 4

[٤٤] يوحنّا ٧: ٣٧.

[٤٥] PG 56: 682

[٤٦] رومية ٣: ٢٢.

[٤٧] CCL 9a: 273

الحِسِّيَّةَ مَرَّةً ثَانِيَةً قَائِلاً: «لأَنَّهم سَيُشْبَعُون». فالاعتِقادُ السَّائِدُ بِأَنَّ الأَغْنِياءَ يَصِيرُونَ أَثْرِياءَ بِالطَّمَعِ، لا أَسَاسَ لَهُ يَقُولُ السَّيِّدُ، إِذِ الأَمْرُ مُعَاكِسٌ تَمَامًا. البِرُّ هُوَ الَّذي يَصْنَعُ هَذَا. مَا دُمْتَ تَصْنَعُ البِرَّ فَلا تَخَفْ مِنَ الفَقْرِ، وَلا تَرْتَجِفْ مِنَ الجُوعِ. فَالمُخْتَلِسُونَ يَخْسَرُونَ كُلَّ شَيءٍ، بَينَمَا يَمْلِكُ مُحِبُّ البِرِّ مَتَاعَ جَمِيعِ النَّاسِ بِأَمَانٍ. إِذَا كَانَ الَّذِينَ لا يَشْتَهُونَ مِلْكَ الآخَرِينَ يَنْعَمُونَ بِاليُسْرِ، فَمَا أَكْثَرَ استِعْدادَهُم لِتَقْدِيمِ مَا يَمْلِكُونَ! إنجيلُ متَّى، الموعظة ١٥.٤.[٤٨]

٥: ٧ الرُّحَمَاء

يُبَارِكُهُم إِلَهُ الرَّحْمَة. كروماتيوس: بِشهادةِ عددٍ كبيرٍ منَ الشُّهودِ، يَدْعُونا الرَّبُّ، كَمَا دَعَا الكَثِيرِينَ في العَهْدَيْنِ القَدِيمِ وَالجَدِيدِ، إِلَى أَنْ نُظْهِرَ الشَّفَقَةَ والرَّحْمَةَ. فَلِلْوُصُولِ إِلَى الإِيمَانِ يَكْفِي مَا قَالَهُ الرَّبُّ نَفْسُهُ فِي الآيَةِ المَذْكُورَةِ مُعْلِنًا بِصَوْتِهِ: «طُوبَى لِلرُّحَمَاءِ، لأَنَّ اللهَ يرحمُهم». يَقُولُ إِلَهُ الرَّحْمَةِ إِنَّ الرُّحَمَاءَ مُبَارَكُونَ. فَمَا مِنْ أَحَدٍ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنَالَ رَحْمَةَ اللهِ مَا لَمْ يَكُنْ رَحِيمًا هُوَ نَفْسُه. في آيةٍ أُخْرَى قَالَ: «كُونُوا رُحَمَاءَ كَمَا أَنَّ أَبَاكُم في السَّمَاوَاتِ رَحِيمٌ».[٤٩] موعظةٌ حول متّى ١.٦.١٧-٢.[٥٠]

مُكافَأَةُ الرَّحْمَة. الذَّهبيُّ الفَم. يَبْدُو لِي هُنَا أَنَّه لا يَتَكَلَّمُ فَقَطْ عَلَى الرُّحَمَاءِ فِي إِعْطَاءِ المَالِ، بَلْ أَيضًا عَلَى الرُّحَمَاءِ في أَعْمَالِهِم. فَطَرَائِقُ إِظْهَارِ الرَّحْمَةِ مُتَعَدِّدَةٌ، وَهَذِهِ الوَصِيَّةُ رَحْبَةٌ. فَمَا هِيَ المُكَافَأَةُ عَلَيْهَا إِذًا؟ «لأَنهُم سَيُرْحَمُون».

يَبْدُو حَقًّا أَنَّ هذا نَوْعٌ مِنَ المُكَافَأَةِ المُتَسَاوِيَةِ، إِنَّمَا هُوَ أَعْظَمُ بِكَثِيرٍ مِنْ عَمَلِ الخَيْرِ. لأَنَّ الَّذِينَ يَرْحَمُونَ كَبَشَرٍ يَرْحَمُهُم إِلَهُ الجَمِيعِ، وَلَيْسَ الأَمْرُ وَاحِدًا. فَرَحْمَةُ الإِنْسَانِ غَيْرُ مُسَاوِيَةٍ لِرَحْمَةِ الله، لَكِنْ عَلى قَدْرِ مَا تَكُونُ الهُوَّةُ كَبِيرَةً بَيْنَ الشَّرِّ وَالخَيْرِ، تَبْتَعِدُ الوَاحِدَةُ عَنِ الأُخْرَى. إِنْجِيل متّى، الموعظة ١٥.٤.[٥١]

كَمُتَسَوِّلِينَ فِي حَضْرَةِ الله. أوغسطين: إِسْمَعْ مَا يَلِي: «طُوبَى لِلرُّحَمَاءِ، لأَنَّ الله يَرْحَمُهُم». أَتِمُّوا هَذَا فَيُتَمَّمَ لَكُم. أَتِمُّوا هَذَا لِلآخَرِينَ فَيُتَمَّمَ لَكُمْ. فَقَدْ تَغْتَنُونَ، لَكِنَّكُم مَا زِلْتُم بِحَاجَةٍ إِلَيه. قَدْ تَغْتَنُونَ بِالمَادِّيَّاتِ، لَكِنَّكُم مَازِلْتُم بِحَاجَةٍ إِلَى الحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ. إِنَّكُمْ تَسْمَعُونَ صَوْتَ المُتَسَوِّلِ، لَكِنَّكُم أَنْتُم

[٤٨] PG 57: 227; NPNF 1 10: 94

[٤٩] لوقا ٦: ٣٦.

[٥٠] CCL 9a: 274; PG 57: 227; NPNF 1 10: 94

[٥١] PG 57: 227; NPNF 1 10: 94

أَنفُسَكُم مُتَسوِّلون. فَهُنَاكَ مَنْ يَسْأَلُكُم العَطَاءَ، فِيمَا أَنْتُم أَنفُسُكُم مُتَسوِّلُون. فَكمَا تُعامِلُونَ المُتَسوِّلين، هكَذَا يُعَامِلُكُم الله. فَأَنتُم مُجَرَّدُونَ الآنَ، لَكِنَّكُم ستَمْتَلئون. مِنْ مِلئِكُم تُفْعِمُونَ المُحْتَاجَ، لكَي يَمْتَلِئَ فَراغكُم بمِلءِ الله. الموعظة ٥.٥٣.[٥٢]

رَحْمَةُ الأَعْدَاءِ، كَاتِبٌ مَجْهُولٌ: إنَّ نَوْعَ الرَّحْمَةِ المُشَارَ إِلَيهِ هُنَا لَيْسَ مُجَرَّدَ الإِحْسَانِ إِلَى الفَقِيرِ أَو اليَتِيمِ أَوْ الأَرْمَلَة. فَهَذَا النَّوعُ مِنَ الرَّحْمَةِ يَعْمَلُ بِهِ كَثِيرونَ مِمَّن لا يَعْرِفونَ الله. أَمَّا الرَّحِيمُ فَهُوَ مَنْ يَرْحَمُ أَعْدَاءَه وَيُعَامِلُهم مُعَامَلَةً حَسَنَةً. فَقَدْ كُتِبَ: «أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُم، وَأَحْسِنُوا إِلَى مُبْغِضِيكُم».[٥٣] تَذَكَّرْ أَنَّ الله يُرْسِلُ المَطَرَ وَيَسْأَلُ شَمْسَه أَنْ تُشْرِقَ لا عَلَى الشَّاكِرِينَ فَحَسْبُ، بَلْ أَيضًا عَلَى جَاحِدِيِّ النِّعْمَةِ. لذَلِكَ يَدعُونَا يَسُوعُ إِلَى أَنْ «كُونُوا رُحَمَاءَ، كَمَا أَنَّ أَبَاكُم رَحِيمٌ».[٥٤] فَهُوَ مُبَارَكٌ حَقًّا، لأَنَّه مَا خَطِئَ، وَهَذَا مَا يَصعُبُ عَلَيْنَا أَجْمَعِينَ، فَنِعْمَةُ الله تُسَاعِدُه عَلَى إِكْثَارِ البِرِّ عِنْدَه. فَهُو يُصَلِّي: «أُتْرُكْ لَنَا مَا عَلَيْنَا، كَمَا نَتْرُكُ نَحْنُ لِمَنْ لَنَا عَلَيه». عَمَلٌ غَيرُ كَامِلٍ حَوْلَ متّى، الموعظة ٩.[٥٥]

٥: ٨ أَنْقِيَاءُ القُلُوبِ

وَعُودُ رُؤيَةِ الله. الذَّهَبِيُّ الفَم. لاحِظْ أَيضًا أَنَّ المُكَافَأَةَ رُوحِيَّةٌ. هُنَا يُسَمِّي «أَنقِيَاءَ» الَّذينَ اقتنَوا الفَضِيلَةَ كُلَّها، وَلَمْ يَعُوا أَيَّ شَرٍّ فِي أَنْفُسِهِم، أَو الَّذِين يَعِيشُونَ عِيشَةَ الوَرَعِ وَالتَّعَقُّل. فَمَا مِنْ شيءٍ أَعْظَمَ مِنَ الحَاجَةِ إِلَى هَذِه الفَضِيلَةِ لكَي نَرَى الله. لِهَذَا قَالَ بولسُ: «إِقْتَفُوا السَّلامَ مَعَ جَمِيعِ النَّاسِ، وَالقَدَاسَةَ الَّتِي بِغَيْرِهَا لَنْ يَرَى أَحَدٌ الرَّبَّ».[٥٦] هُنَا يَتَحَدَّثُ بولس عَنْ مُعَايَنَةٍ عَلَى مِقْدَارِ مَا يَسْتَطِيعُ الإِنْسَانُ أَنْ يَرَاهَا. فَبِمَا أَنَّ الرُّحَمَاءَ كَثِيرُونَ، وَهُمْ لا يَسْرِقُونَ وَلا يَشْتَهُونَ مِلْكَ غَيْرِهِم، رَغْمَ أَنَّهم يَزْنُونَ وَيَأْتُونَ الفُجُورَ، فَقَدْ أَضَافَ «نَقَاءَ القَلْبِ» لِيَدُلَّ عَلَى أَنَّ الرَّحْمَةَ لا تَكْفِي وَحْدَهَا. وَلِهَذَا يَشْهَدُ بُولسُ وَهُوَ يَكتُبُ إِلَى أَهْلِ كُورِنْثُس عَنِ المَقْدُونِيِّينَ الَّذِينَ لَمْ يَغْتَنُوا بِالإِحْسَانِ فَحَسْب، بَلْ بِسَائِرِ الفَضَائِلِ أَيضًا. فَبَعْدَ أَنْ تَحَدَّثَ بُولُسُ عَنْ عِزَّةِ نُفُوسِهِم تُجَاهَ أَمْلاكِهِم قَالَ: «أَسْلِمُوا أَنْفُسَكُم إِلَى الرَّبِّ وَإِلَيْنَا».[٥٧] إِنجيلُ متّى، الموعظة ٤.١٥.[٥٨]

[٥٢] PL 38: 366; FC 11: 213-14

[٥٣] لوقا ٦: ٢٧.

[٥٤] متّى ٥: ٤٥.

[٥٥] PG 56: 682

[٥٦] عبرانيّين ١٢: ١٤.

[٥٧] ٢ كورنثس ٨: ٥.

[٥٨] PG 57: 227-28; NPNF 1 10: 94

لا يقْدِرُ القَلْبُ النَّقيُّ على أَنْ يَراه. أوغسطين: لاحِظْ جيِّدًا ما يلي. عِنْدما يقولُ النَّصُّ «طوبى لأنقياءِ القُلُوبِ»، فإنَّه يُشيرُ إلى الَّذين تطهَّروا داخِليًّا، لأنَّهم سيرَون اللّه. رُؤيَةُ اللّه هِيَ غايَةُ المحبَّةِ. إنّها النِّهايةُ التي نَبْلُغُ عبرها الكَمالَ لا الاستِنْفاد. نِهايَةُ الطَّعامِ شيءٌ ونِهايَةُ الثَّوبِ شيءٌ آخر. الطَّعامُ يَنْتَهي عِنْدما يُسْتَهْلَكُ، أمَّا الثَّوبُ فيَنْتَهي عِنْدما يكْمَلُ نَسجُهُ. كِلاهُما ينتهِيان. لكِنَّ النِّهايَةَ بالنِّسْبَةِ إلى الطَّعامِ استِهْلاكٌ، أمَّا بالنِّسْبَةِ إلى الثَّوبِ فتَعْني كَمالاً. فمَهْما فعَلْنَا وأتَيْنا مِنْ أعمالٍ صالِحَةٍ، ومَهْما سَعَيْنا إلى إنْجازٍ، وتقْنا إليهِ بالثَّناءِ، ورَغِبْنا فيه بكُلِّ براءَةٍ، فإنَّنا لا نَطْلُبُ هذه عِنْدما نَصِلُ إلى رُؤيَةِ اللّه. عمَّ يَبْحَثُ المرءُ إذا كانَ اللّه نُصْبَ عينَيه؟ أو ماذا يُرْضِي المرءَ إذا لَمْ يُرْضِهِ اللّهُ؟ حقًّا، إنَّنا نَتُوقُ إلى رُؤيَةِ اللّه، ونَلْتَهِبُ شَوْقًا إلى مرآهُ. لكِنِ انتَبِهْ إلى القولِ: «طوبى لأنقِياءِ القُلُوبِ، لأنَّهم سيُعايِنُونَ اللّه». فأَعِدَّ نَفْسَكَ لرُؤيَةِ اللّه. دَعْني أتكلَّمْ بشَكْلٍ مَلْمُوسٍ: لِماذا تَرْغَبُ في رُؤيَةِ شُرُوقِ الشَّمْسِ وأنْتَ كَلِيلُ البَصَرِ؟ كُنْ نافِذَ البَصَرِ، فالنُّورُ سيكونُ مَليئًا بالفَرَحِ. وإذا أظْلَمَ بصَرُكَ كانَ الضَّوءُ عذابًا أليمًا لكَ. لَنْ يُسْمَحَ لكَ برُؤيَةِ ما لا يُرى إلا إذا كانَ القَلْبُ نقيًّا. الموعظة ٦.٥٣.[٥٩]

رُؤيَةُ اللّه وَجْهًا لوَجْهٍ. كروماتيوس: أنقِياءُ القُلُوبِ هُم الَّذينَ تَخلَّصُوا مِنْ قذارةِ الخَطيئةِ، وطهَّروا أنفُسَهم مِنْ كُلِّ رجاساتِ الجسَدِ، وأرضَوا اللّهَ بأعْمالِ الإيمانِ والبِرِّ. يَشْهَدُ علَى ذلِكَ داودُ في المَزمورِ قائلاً: «مَنْ يَصْعَدُ إلى جَبَلِ الرَّبِّ ويَقِفُ في مُقامِهِ المُقدَّس؟ هوَ النَّقيُّ اليَدينِ، الطَّاهرُ القَلْبِ، الَّذي لم يَحْمِلْ علَى الباطِلِ نَفْسَه».[٦٠] إنَّ داودَ يَعْرِفُ حقَّ المَعْرِفَةِ أنَّ اللّهَ لا يَراهُ إلاَّ كُلُّ ذي قَلْبٍ نَقيٍّ. لِذا يَتَضرَّعُ في المَزمُورِ قائلاً: «قلبًا طاهِرًا أخْلُقْ فيَّ، يا اللّه، ورُوحًا قويمًا جدِّدْ في أحْشائي».[٦١] عِندَ الرَّبِّ المُباركُون هُم أنقِياءُ القُلُوبِ. هُم الَّذين يَحْيَون بالإيمانِ باللّه بقَلْبٍ طاهِرٍ وضَميرٍ نقيٍّ. إنَّهُم سيَنْعَمُونَ برؤيَةِ إلهِ المَجْدِ في المَلَكُوتِ السَّماويِّ الآتي، «لا في مِرآةٍ على سَبيلِ اللُّغزِ، ولكِنْ وجْهًا لوَجْهٍ»،[٦٢] كَما قالَ الرَّسُول. موعِظَة حَول متّى ٣.٦.١٧-٤.[٦٣]

---

[٥٩] 65PL 38: 366; FC 11: 214

[٦٠] مزمور ٢٤: ٣- ٤ (٢٣: ٣- ٤).

[٦١] مزمور ٥١ : ١٠ (٥٠: ١٠).

[٦٢] ١ كورنثس ١٣: ١٢.

[٦٣] CCL 9a: 274-75

رُؤيَةُ الله في الخليقَةِ. أبوليناريوس: هُنا يُسمَّى الَّذين اقتنوا الفضيلةَ «أنقياءَ القُلُوبِ». وإذْ يُظْهِرُ الرَّبُّ يسوعُ عدم كفايةِ ما قالَه أوَّلاً، فإنّه يُضيفُ «لأنَّهُم سيُعاينُون الله». فلماذا يقُولُ إذًا: «الله لَمْ يرهُ أحدٌ قطُّ»؟[٦٤] نقُولُ إنّه يُرى ويُدْرَكُ بالكلمةِ: أمَّا مِنَ الكِتابِ الإلَهيِّ فنَرى الله ببصائرِ المعْرِفَةِ، وأمَّا مِنَ الحِكْمَةِ المرئيَّةِ في الكونِ فإنّنا نرى صانِعَه رُؤيَةً عقليَّةً، كمَا يُرى في الخلائقِ البَشريَّةِ وفْقَ ما يرى صانعُ العملِ مادَّتَه في ذِهْنِه. فلا تُرى طبيعةُ المُحْترفِ، بلْ تُرى مهارتُه الفنيَّة. وهكذا من رأى الله في الخليقةِ أدْرَكَ أنّه لا يرى الجوهرَ بلْ حِكْمَةَ صانعِ كُلِّ شيءٍ. لذلِكَ يَصْدُقُ الرَّبُّ عِندما يُعْلِنُ أنَّ الله يُرى بقلْبٍ طاهِرٍ، والكِتابُ المُقدَّسُ لا يكذِبُ عِندما يُؤكِّدُ أنَّ الله لَمْ يرَه أحدٌ ولا يُمْكِنُ أنْ يُرى. المقطع ١٣.[٦٥]

رُؤيَةُ الله في هَذا الدَّهرِ وفي الدَّهْرِ الآتي. كاتِبٌ مجهُولٌ: «طُوبى لأنقياءِ القُلُوبِ، لأنَّهم سيُعاينُونَ الله». هُناكَ طريقتانِ في رُؤيَةِ الله: في هذا الدَّهْرِ وفي الدَّهْرِ الآتي. عنْ رُؤيَتِه في هذا الدَّهْرِ كُتِبَ: «مَنْ رآني فقدْ رأى الآبَ».[٦٦] فأنقياءُ القُلُوبِ هُم الّذين لا يفْعلُون شرًّا ولا يبْتغُونَه وحسْب، ولكِنْ هُم الّذين يفْعلُون الخيرَ أيْضًا ويُوطِّنون النَّفسَ على فِعْلِه. قدْ يفْعَلُ المرءُ الخيرَ مِنْ وقتٍ إلى آخرَ مِنْ دُونِ توطينِ النَّفْسِ عليه. فالّذين يتصرَّفون هكذا قد يعْملُون الخيرَ لا مِنْ أجْلِ الله. فاللهُ لا يُكافِئُ المرْءَ بمثْلِ هذا الخيرِ، لأنَّ الخيرَ الَّذي يُكافِئُنا به لا يُفْعَلُ فحسْب، بلْ يُجْمَلُ فِعْلُه. مَنْ يعملِ الخيرَ مِنْ أجْلِ الله يُوطِّنِ النَّفْسَ عليه أيضًا. مَنْ يعْملِ البرَّ، ويعْتزمْ فِعْلَه يرَ اللهَ في فِكْرِه، لأنَّ البرَّ تشبُّهٌ بالله. فاللهُ بارٌّ. وكُلَّما ابتعدَ المرءُ عنِ الشَّرِّ وفعلَ الخيرَ، رأى الله، سواءٌ بإبْهامٍ أم بوضُوحٍ، قليلاً أو كثيرًا، جُزئيًّا أو كُلّيًّا، مِنْ حينٍ إلى آخرَ أو دائمًا، أو وفْقًا لإمْكانيَّةِ الإنْسانِ. وفي المُقابلِ، مَنْ فعلَ الشرَّ وصمَّمَ على فِعْلِهِ الشَّرَّ رأى إبليس، لأنَّ كُلَّ شرٍّ رمْزٌ لإبليس. في ذلِكَ الدَّهرِ سيرى أنقياءُ القلْبِ الله وجْهًا لوجْهٍ، لا في مرآةٍ مُلْتبسةٍ[٦٧] كمَا هي الحالةُ هُنا. عملٌ غيرُ كاملٍ حوْلَ متّى، الموعظة ٩.[٦٨]

---

[٦٤] يوحنّا ١: ١٨.

[٦٥] MKGK 5

[٦٦] يوحنّا ١٤: ٩.

[٦٧] ١ كورنثس ١٣: ١٢.

[٦٨] PG 56: 682

٩:٥ صَانِعُو السَّلام

الحِفَاظُ عَلَى سَلامِ الكَنِيسَةِ. كروماتيوس: إِنَّ صَانِعِي السَّلام، بتَجَنُّبِهِم حَجَرَ عِثَارِ الخُلْفِ وَالشِّقَاقِ، يَصُونُونَ عَاطِفَةَ المَحَبَّةِ الأَخَوِيَّةِ وَسَلامَ الكَنِيسَةِ تحتَ وَحْدَةِ الإِيمَانِ الجَامِعِ. وَالرَّبُّ في الإِنجيلِ نَاشَدَ تَلامِيذَهُ الحِفَاظَ عَلَى هَذَا السَّلامِ قَائلاً: «سَلامِي أَسْتَودِعُكُم، سَلامِي أُعْطِيكُم.»[٦٩] وَشَهِدَ داودُ مِنْ قَبْلُ عَلَى أَنَّ الرَّبَّ يُعْطِي كَنِيسَتَهِ هَذَا السَّلامَ، قَائلاً: «أَسمَعُ الرَّبَّ الإِلهَ حِينَ يَتكلَّمُ بِالسَّلامِ لِشَعْبِهِ والَّذينَ يَتَّقُونَهُ.»[٧٠] موعظةٌ حول متّى ١٧. ٧. ١- ٢.[٧١]

حَيْثُ يَكُونُ السَّلامُ. أوغسطين: هُنَاكَ في دَاخِلِ المَرْءِ نَوعٌ مِنَ الصِّرَاعِ اليَومِيِّ؛ فَالمَعْرَكَةُ الَّتِي نُهَلِّلُ لَهَا تَعْمَلُ عَلَى إِنقَاذِ مَا هُوَ حَسَنٌ مِنْ بَرَاثِنِ السُّوءِ. فَالصِّرَاعُ يَرمِي إِلَى حُؤُولِ الرَّغبَةِ دُونَ السَّيطَرَةِ عَلَى العَقْلِ، وَصَدِّ الشَّهوةِ عَنِ السَّيْطَرةِ عَلَى الحِكْمَةِ. هَذَا هُوَ السَّلامُ الثَّابتُ الَّذِي يَجِبُ أَنْ تُنْمِيَه في نَفْسِكَ. وَلْيَكُنْ كُلُّ مَا هُوَ حَسَنٌ فيكَ مُسَيْطِرًا عَلَى مَا هُوَ سَيِّئٌ. فَالجُزْءُ الأَحْسَنُ فِيكَ هُوَ حَيثُ تَكُونُ صُورَةُ اللهِ. وَهَذَا يُسَمَّى العَقْلَ... هُنَاكَ يَكُونُ الإِيمانُ حَارًّا، وَهُنَاكَ يَكُونُ الرَّجَاءُ قَوِيًّا، وَهُنَاكَ يَتَّقِدُ الإِحْسَانُ. الموعظة ٥٣ أ. ١٢.[٧٢]

صَانِعُ السَّلامِ. كيرلُسُ الإِسكندريّ: إِنَّ صَانِعَ السَّلامِ هُوَ الَّذِي يَكْشِفُ عَنْ تَنَاغُمِ أَسْفَارِ الكِتَابِ المُقَدَّس، حَيْثُ لا يَرَى فيه الآخَرُونَ إِلاَّ التَّنَاقُضَاتِ: الأَسْفَارَ القَدِيمةَ مُقَابِلَ الحَدِيثةِ، التَّشْرِيعيَّةَ مُقَابِلَ النَّبَوِيَّةِ، والإِنجِيليَّةَ مُقَابِلَ اللاَّإِنجيليّةِ.[٧٣] بِنَاءً عَلَيهِ، إِنَّهُ، عبر اقتِدائه بابنِ اللهِ، «يُدْعَى ابنًا»، وَعبر عَمَلِهِ يَنَالُ «رُوحَ التبنِّي». المقطع ٣٨.[٧٤]

المَسِيحُ هُوَ سَلامُنَا. كَاتِبٌ مَجْهُولٌ: السَّلامُ هو الابنُ الأَوْحَدُ الَّذِي قَالَ عَنْهُ الرَّسُولُ: «هُوَ سَلامُنَا». فَالَّذِينَ يَهْتَمُّونَ بِالسَّلامِ هُمْ أَوْلادٌ لَه. أَمَّا البَعْضُ فَيَظُنُّونَ أَنَّهم صَانِعُو السَّلامِ لأَنَّهم يُسَالِمُونَ أَعْدَاءَهُم، غَيرَ أَنَّهم يَبقَونَ غَافِلِينَ عَنِ الشَّرِّ في دَاخِلِهِم. إِنَّهم مُسْتَعِدُّونَ لأَنْ يُصَالِحُوا

---

[٦٩] يوحنّا ١٤: ٢٧.

[٧٠] مزمور ٨٥: ٨ (٨٤: ٨).

[٧١] CCL 9a: 275

[٧٢] MA 1: 633

[٧٣] إِنَّ صَانعي السَّلام عند كيرلُس هم الّذين يؤكِّدون وجودَ تَنَاغُمٍ في أسفارِ الكِتَابِ المقدّس. إنّ كيرلُس يستهدِفُ أهلَ النِّحلةِ مِن عُرفانيّين ومرقيونيّين ومانويّين الّذي يفصلون العَهدَ الجديدَ عَن العَهدِ القديم، وَيَتَحدَّى الَّذين يَدّعون (مثل بورفيرى وجوليان) وجودَ تَنَاقُضاتٍ في أسفارِ الكِتَابِ أو الأناجيلِ.

[٧٤] WSA 3 3: 83

الآخرين، لكنْ لا يُسالمون في قلوبهم أعداءهم الدّاخليِّين. فهُمْ صُوَرٌ ساخِرةٌ عَن السَّلام بدلاً مِنْ أنْ يُحِبّوه. مُبارَكٌ هُو السَّلامُ القلْبيُّ لا الكلاميُّ. هلْ تُريدُ أنْ تعْرِفَ معْرِفةً حقِيقيَّةً منْ هُو صانِعُ السَّلام؟ إسمعِ النَّبيَّ القائل: «صُنْ لِسانَكَ عَنِ الشَّرِّ، وشَفَتيكَ عَنِ النُّطْقِ بالغِشِّ. جانِبِ الشَّرَّ واعْمَلِ الخيرَ، ولا تدَعْ لسانكَ ينْطِقُ بالشَّرِّ».[٧٥] عملٌ غيرُ كاملٍ حول متّى، الموعظة ٩.[٧٦]

نِعَمُ السَّلامِ. الذَّهبيُّ الفَم: هُنَا لا يُبكِّتُنا عَلى تخاصُمِنا وَتباعُدِنا فقط، بلْ يَطْلُبُ أيضًا شيئًا آخرَ وأعْظمَ، أيْ أنْ نُصالِحَ المتخاصِمينَ. وَأيضًا، فالمكافأةُ الَّتي تليها هِيَ رُوحِيَّةٌ. «لأنَّهم أوْلادُ الله يُدْعَون». فهذا كانَ عَمَلَ المولودِ الأوحَدِ: أنْ يُوحِّدَ المُنْقسِمِينَ، وأنْ يُصلِحَ بينَ المتخاصِمِينَ. إنجيلُ متّى، الموعظة ١٥. ٤.[٧٧]

تَعْبيرٌ عَنْ مُلْكِ اللهِ الآتي. أوغسطين: حَيْثُ لا نِزاعَ هُنَاكَ سَلامٌ كَامِلٌ. أَبْنَاءُ اللهِ هُمْ صانِعُو السَّلامِ، لأنَّهُ مَا مِنْ شيءٍ يَسْتَطِيعُ مُقاوَمَةَ اللهِ. بهذِهِ الطَّريقةِ يُشابهُ الأولادُ اللهَ الآبَ. إنَّ أُولئكَ الَّذين يُقِرّون هائِجَهُم، ويُخْضِعُونَه للْفِكْرِ وَالعقْلِ وَالرُّوحِ، ويُسَيْطِرُونَ علَى شَهَواتِهِم الدُّنيويَّةِ، يَسُودُ السَّلامُ أَنْفُسَهم، ويُصْبِحُونَ هُمْ أَنْفُسُهم مَلَكُوتَ اللهِ. في هَذَا الملَكُوتِ تُرتِّبُ كُلُّ الأشْياءِ البَشريَّةِ المُشْتركَةِ بيْننا وبيْنَ الحيَوانَاتِ، فيَسُودُ تلْقَائيًّا ما هُوَ سَامٍ وَرَفيعٌ عِنْدَ الإنْسَانِ، أي العَقْلُ. وَهذِه المقْدِرَةُ الإنْسَانيَّةُ المُتفوِّقَةُ هِيَ ذاتها خَاضِعَةٌ لِقُدرةٍ أسْمَى مِنْهَا، أي الحقِّ عينه، ابنِ اللهِ الأوْحَدِ. الموعِظَةُ عَلَى الجبَلِ ١. ٢. ٩.[٧٨]

٥: ١٠ المُضْطَهَدونَ

المُضْطَّهَدونَ مِنْ أجلِ البرِّ. كروماتيوس: لَمْ يَذْكُرِ الرَّبُّ مِنْ قَبْلُ الجُوعَ وَالعَطَشَ إِلَى البرِّ مِنْ دُون سَبَبٍ. فَهُوَ يُعَلِّمُنَا أَنْ نَعْطَشَ في رَغْبَتِنا إلى البرِّ، لأَنَّنا مِنْ أَجْلِه يَجِبُ أَنْ نَهْزَأَ باضْطِّهَاداتِ العَالَمِ لَنَا، وَنَزدرِيَ بِعُقُوبَاتِ الجسَدِ وبِالمَوْتِ ذاته. فَالشُّهَدَاءُ هُمُ الَّذينَ يَتَحمَّلونَ الاضطِّهَادَ في العَالَمِ مِنْ أَجْلِ بِرِّ الإيمَانِ وَاسْمِ المَسِيحِ. ولَهُم وَعْدٌ عَظِيمٌ، أَعْنِي امتِلاكَ مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ. كَانَ الرُّسُلُ أَمْثِلَةً حَيَّةً لهذِهِ البَرَكَةِ، وَمعَهُم كُلُّ الأبرَارِ الَّذين تَحمَّلُوا اضطِّهَاداتٍ مُتَعَدِّدَةً في

[٧٥] مزمور ٣٤: ١٣- ١٤ (٣٣: ١٣- ١٤).

[٧٦] PG 56: 682

[٧٧] PG 57: 228; cf. NPNF 1 10: 94-95

[٧٨] PL 34: 1233; FC 11: 23-24

سَبِيلِ البرِّ. وَبِسَبَبِ إِيمَانِهِم دَخلُوا المَلَكُوتَ السَّمَاوِيَّ. موعظةٌ حول متّى ١٧. ٨. ١– ٢.[٧٩]

الصِّلْبَانُ الثَّلاثَة. أوغسطين: «مِنْ أَجْلِ البرِّ». هَذِه الزِّيَادَةُ تُمَيِّزُ بِوُضُوحِ الشَّهِيدَ عَنِ اللِّصِّ. فَاللِّصُّ أيضًا تُعَاقِبُه الشَّرِيعَةُ بِسَبَبِ شَرِّه، فَلا يَسْأَلُ عَنْ جَائِزَةٍ أَوِ إِكْلِيل، لكنَّهُ يُؤَدِّي جَزَاءَ العُقُوبَةِ المُسْتَحِقَّةِ.... فَلْنَخْتَرِ الغَايَةَ الصَّحِيحَةَ، وَلْنَحتَمِلِ العِقَابَ بِدُونِ اضطِّرَابٍ.

كَانَتْ هُنَاكَ ثَلاثَةُ صِلْبَانٍ حَيْثُ تَأَلَّمَ المَسِيحُ: هُوَ نَفْسُهُ كَانَ فِي الوَسْطِ، وَلِصَّانِ كَانَا عَنْ جَانِبَيْهِ. العُقُوبَةُ مُتَشَابِهَةٌ بَيْنَ الثَّلاثَةِ. وَمَعَ ذَلِكَ وَجَدَ أَحَدُهُمَا الفِرْدَوسَ عَلَى الصَّلِيبِ. والَّذِي فِي الوَسْطِ يَدِينُ المُتَكَبِّرَ ويقْبَلُ المُتَوَاضِعَ. كَانَتْ تِلْكَ الخَشَبَةُ مِنْبَرَ المَسِيحِ لِلقَضَاءِ. فَالقَاضِي هُوَ القَادِرُ عَلى أَنْ يَجْعَلَ الحُكْمَ صَحِيحًا، فَيقُولُ لِلِّصِّ الَّذِي اعتَرَفَ بِهِ: «أَلحَقَّ أَقُولُ لكَ: سَتَكُونُ اليَومَ مَعِي فِي الفِرْدَوسِ».[٨٠] فَاللِّصُّ اتضَعَ. لاحِظْ مَا قَالَه: «أُذْكُرْنِي، يَا رَبُّ، مَتَى أَتَيْتَ فِي مَلَكُوتِكَ».[٨١] وَهَذَا يَعْنِي ضِمْنًا: أَنَا أَعْرِفُ أَعْمَالِيَ الشِّرِيرَةَ. فَلأُصْلَبْ أَنَا حَتَّى تَأْتِيَ أَنتَ. وَلأَنَّ كُلَّ مَنْ اتَّضَعَ ارتَفَعَ، فَقَدْ عَبَّرَ المَسِيحُ عَن قَصْدِهِ وَأَظْهَرَ رَحْمَتَه. الموعظةُ ٥٣ أ. ١٣.[٨٢]

شَعْبُكَ يَضطَّهِدُكَ. كَاتِبٌ مَجْهُولٌ: إِنَّنا لا نَقُولُ إِنَّ هَذَا يُشِيرُ فَقَطْ إِلَى الَّذين يُعَانُونَ الاضطِّهَادَ عَلَى يَدِ أُمَمٍ أَجْنَبِيَّةٍ لِعَدمِ عِبَادَتِهِم الأَوْثَانَ. فَإِنَّه يُشِيرُ أيضًا إِلَى المُبَارَكِين الَّذين لَمْ يَتَخَلَّوا عَنِ الحَقِّ عِنْدَمَا يُعَانُونَ الاضطِّهَادَ عَلَى يَدِ أَهْلِ النِّحْلَةِ. إِنَّهم يَتَأَلَّمُونَ فِي سَبِيلِ البِرِّ. وَفِيمَا تُنْكِرُ الأُمَمُ الوَثَنِيَّةُ المَسِيحَ، فَأَهْلُ النِّحْلَةِ يُنْكِرونَ حَقِيقَةَ المَسِيحِ. والَّذينَ يُنْكِرونَ حَقِيقَةَ المَسِيحِ يُنْكِرونَ المَسِيحَ نَفْسَه. فَالمَسِيحُ هُوَ الحَقُّ. وَأَهْلُ النِّحْلَةِ أيضًا الَّذين يَشُنُّونَ الاضطِّهَادَ لا بِسَبَبِ المَسِيحِ، بَلْ بِسَبَبِ حَقِيقَةِ المَسِيحِ المُفْتَرَضَةِ، يَظْهَرونَ لِلوَهْلَةِ الأُولَى أَنَّهم مَسِيحيُّونَ، لَكِنَّهُم فِي الواقِعِ وَثَنِيُّونَ فِي تَصَرُّفِهم. فَإِذَا اضطَّهدَكُم أَمْثَالُ هَؤُلاءِ النَّاسِ، فَأَنْتُم مُبَارَكُونَ كَمَا كَانَ يُوحَنَّا المَعْمَدَانُ مُبَارَكًا فِي الاضطِّهَادِ مِنْ قَبْلِكُم. فَإِنَّه قُتِلَ لا بِسَبَبٍ دِينِيٍّ ولا بِسَبَبِ بِدْعَةٍ، لَكِنْ لِمُنَاهَضَتِهِ الانحِرَافَ عَنِ الأَخْلاقِ، فَقَد بَكَّتَ هيرودسَ عَلَى زِنَاه. وَالحقُّ أَنَّ كُلَّ الأَنْبِيَاءِ قَتَلَهُم مُلُوكُهُم لا المُلُوكُ الوَثَنِيُّونَ. فَإِذَا صَحَّ أَنَّ الأَنبِيَاءَ هُمْ

[٧٩] CCL 9a: 276-77

[٨٠] لوقا ٢٣: ٤٣.

[٨١] لوقا ٢٣: ٤٢.

[٨٢] MA 1: 634; WSA 3 3: 83-84

شُهدَاء، فَلا شَكَّ فِي أَنَّ مَنْ تَأَلَّم في سَبيلِ اللهِ اليَومَ، حتَّى لَو عَلَى يَدِ شَعْبِه، تَلَقَّى المُكَافَأَةَ الأَبَدِيَّةَ. عَمَلٌ غيرُ كَامِلٍ حَول متّى، الموعظة ٩.[٨٣]

٥: ١١ إذَا عَيَّروكُم

كَذِبًا مِنْ أَجْلِ المَسيح. الذَّهَبيُّ الفَم: وَلِئَلاَّ تظُنَّ أَنَّ مُجَرَّدَ سُوءِ السَّمَاعِ يَجْعَلُ المُفْتَرَى عَلَيْهِم مُبَارَكِينَ، وَضَعَ الرَّبُّ شَرْطَيْن: الأَوَّلُ أَنَّ ذَلِكَ التَّعْيِيرَ هُوَ مِنْ أَجْلِ المَسِيحِ، والثَّاني عِنْدَمَا يكُونُ مَا قِيلَ كَذِبًا. فَلَنْ تَكُونَ مُبَارَكًا إِذَا عُيِّرْتَ لشَيءٍ شِرِّيرٍ، أَو إِذَا كَانَ مَا نُعِتَّ بِهِ صَحِيحًا. إنجيلُ متّى، الموعظة ١٥. ٤.[٨٤]

لِمَاذَا يُعَيِّرُكم النَّاس. كَاتِبٌ مَجْهُولٌ: إِنَّه كَانَ يَتكلَّم عَلَى تَحَمُّلِ الاضطِّهَادِ، وَكَأَنَّ المَرْءَ يَسْأَلُ الله: يَا اللهُ، مَاذَا يكُونُ إِنْ لَمْ نَحْتمِلِ الاضطِّهَادَ لأَجْلِكَ أَو لأَجْلِ البِرِّ؟ مَاذَا يَكُونُ لَوْ وَاجَهْنَا نَحْنُ التَّبْكِيتَ وَحَدِيثَ النَّاسِ الأَشْرَارِ؟ يَقُولُ يَسُوعُ: «سَتُطَوَّبُونَ لا لِتَحَمُّلِكُم الاضطِّهَادَ فَحَسْب، بَلْ أَيْضًا لأَنَّهم افْتَرَوْا عَلَيْكُم كُلَّ كَذِبٍ مِنْ أَجْلِي». يُخَاصِمُنَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ بِسَبَبِ إِيمَانِنَا بِاللهِ، لَكِنَّهُم لا يَضْطَهِدُونَنَا عَلَنًا. وَرُبَّمَا لَيْسَ عِنْدَهُم قُدْرَةٌ عَلَى الاضطِّهَادِ. مَعْ ذَلِكَ يَفْعَلُونَ كُلَّ شَيءٍ ضِدَّنَا فَيَفْتَرُونَ عَلَيْنَا وَيَقُولُونَ فِينَا أَشْيَاءَ تَبْعَثُ عَلَى الأَسَى. يَقُولُ الكِتَابُ المُقَدَّسُ: «سَتُطَوَّبُون عِنْدَمَا يُعَيِّرُكُم النَّاسُ وَيَضطَّهِدُونَكُم وَيَفْتَرُونَ عَلَيْكُم كُلَّ كَذِبٍ مِنْ أَجْلِي». فَمُكَافَأَتُكُم لا تَنْتَهِي لَحْظَةَ إِعْطَاءِ كُوبٍ مِنَ المَاءِ بِرَحْمَةٍ. إِذَا أَخْطَأَ إِلَيْكَ شَخْصٌ مَا، وَلَو بِكَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ، خَفِيفَةٍ، فَإِنَّ نُفُوسَكُم لَنْ تُعْوِزَهَا المُكَافَأَة. عَمَلٌ غيرُ كَامِلٍ حَولَ متّى، الموعظة ٩.[٨٥]

٥: ١٢ إفْرَحُوا وابْتَهِجُوا لأَنَّ أَجرَكُم عَظِيمٌ

تَحَمُّل الاضطِّهَاد. كروماتيوس: علينَا أَنْ نَتَحمَّلَ بِصَبْرٍ غَدْرَ المُضطَّهِدِينَ المُرِيعَ الَّذي يَحِلُّ بِنَا مِنْ أَجْلِ اسمِ المَسِيحِ، وَاللَّومَ الشَّدِيدَ الَّذي يُثْقِلُ كَاهِلَنَا، أَو العُقُوبَةَ الجَسَدِيَّةَ. وَعَلَينَا أَيضًا أَنْ نُرحِّبَ بِهذِهِ الأُمُورِ بِابْتِهَاجٍ بِسَبَبِ المَجْدِ القَادِمِ. لأَنَّه يَقُولُ، «إِفْرَحُوا في ذَلِكِ اليَومِ وَابْتَهِجُوا؛ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّ أَجْرَكُم عَظِيمٌ في السَّمَاءِ». مَا أَعْظَمَ تَحَمُّلَ هَذَا الاضطِّهَادِ الَّذي يَكُونُ أَجْرُه في السَّمَاوَاتِ، كَمَا قَالَ الرَّبُّ. وَإِذَا حَسِبْنَا أَجرَ المَجْدِ المُنْتَظَرِ، فَيَجِبُ أَنْ نَكُون مُسْتَعِدِّينَ بِإِيمَانٍ

(٨٣) PG 56: 683

(٨٤) PG 57: 228; NPNF 1 10: 95

(٨٥) PG 56: 683-84

مُخْلِصٍ لِتَحَمُّلِ كُلِّ الآلامِ، لِكَي نَكونَ مُستَعِدِّينَ لأَنْ نُصْبِحَ شُرَكَاءَ في مَجْدِ الأَنبِيَاءِ. موعظةٌ حول متّى ١٧. ٩. ٢. – ٣.[٨٦]

مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ. الذَّهَبِيُّ الفَمِ: أُنْظُرْ إِلَى المُكَافَأَةِ مَرَّةً ثَانِيَةً: «لأَنَّ أَجْرَكُم عَظِيمٌ في السَّمَاوَاتِ». وَإِنْ لَمْ تَسْمَعْ عَنْ مَلَكُوتٍ يُعْطَى في كُلِّ تَطْوِيبَةٍ فَلا تَضْعُفَنَّ عَزِيمَتُكَ. فَرَغْمَ أَنَّ الرَّبَّ يُعْطِي أَسْمَاءً مُخْتَلِفَةً لِلْمُكَافَآتِ، فَمَعَ ذَلِكَ يَحْمِلُهَا جَمِيعَهَا إِلَى مَلَكُوتِهِ. وَهَكَذَا عِنْدَمَا يَقُولُ: «الحَزَانَى يُعَزَّونَ» و«الرُّحَمَاءُ يُرْحَمُونَ» و«أَنقِيَاءُ القُلُوبِ يُعَايِنُونَ اللهَ» و«صَانِعُو السَّلامِ يُدْعَونَ أَبنَاءَ اللهِ»، لا يُشِيرُ إِلَى شَيءٍ آخَرَ سِوَى المَلَكُوتِ. فَالَّذِينَ يَنْعَمُونَ بِذَلِكَ يَبْلُغُونَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ. بِنَاءً عَلَى هَذَا لا تَظُنَّنَّ أَنَّ المُكَافَأَةَ هِيَ لِلمَسَاكِينِ بِالرُّوحِ، بَلْ لِلْجَائِعِينَ إلى البِرِّ والوُدَعَاءِ وَكُلِّ المُبَارَكِينَ أَجْمَعِينَ. أَرْسَلَ الرَّبُّ بَرَكَتَهُ عَلَيْهِم جَمِيعًا حتَّى لا تَتَوقَّعَ مَا هُوَ حِسِّيٌّ، لأَنَّه لا يُمْكِنُ لِلإِنْسَانِ أَنْ يُبَارَكَ إِنْ كَانَ يُكَلَّلُ بِأُمُورٍ تَزُولُ بِأَسْرَعَ مِنَ الظِّلِّ مَعْ زَوَالِ هَذِهِ الحَيَاةِ الحَاضِرَةِ. إنجيلُ متّى، الموعظة ١٥. ٥.[٨٧]

المُقَابَلَةُ بين الاضطِرابِ الدُّنْيَوِيِّ والمَجْدِ السَّمَاوِيِّ. كَاتِبٌ مَجْهُولٌ: قِسِ الاضطِّرَابَ الدُّنيويَّ بِالمَجْدِ السَّمَاوِيِّ، تَرَ أَنَّ الأَلَمَ عَلَى الأَرْضِ أَخَفُّ مِمَّا نَتَوقَّعُه في السَّمَاوَاتِ. رُبَّمَا تَقُولُ: «مَنْ يَقْدِرُ على أَنْ يَكُونَ فرحًا عِنْدَما يُعَيِّرُه النَّاسُ؟ مَنْ يَقْدِرُ على أَنْ لا يَتَحَمَّلَ التَّعْيِيرَ فَحَسْب، بَلْ أَنْ يَفْرَحَ بِهِ فَرَحًا عَظِيمًا»؟ الجوابُ: مَنْ لا يَستَأْثِرُ بِهِ المَجْدُ البَاطِلُ. مَنْ رَغِبَ في السَّمَاوِيَّاتِ لَنْ تُخِيفَهُ تَعْيِيراتٌ في الأَرْضِ. إِنَّه لا يَهْتَمُّ بِمَا يَقُولُه النَّاسُ عَنْه، بَلْ يَهْتَمُّ بِالقَضَاءِ الإِلَهِيِّ. وَلَكِنْ مَنْ يَسُرُّهُ ثَنَاءُ الآخَرِينَ وَمَدِيحُهم، يَحْزَنُ إِذَا لَمْ يَمْدَحْهُ الآخَرُونَ. يَشْعُرُ بِالحُزنِ عِنْدَمَا يُعَيِّرُه الآخَرُونَ. فَمَنْ لا يَرْتَفِعُ بِسَبَبِ مَدِيحِ الآخَرِينَ فَإِنَّه لا يَتَّضِعُ مِنْ جَرَّاءِ تَعْيِيرَاتِهِم. فَمَنْ سَعَى إِلَى مَجْدِهِ خَافَ هُنَا أَيضًا مِنَ التَّعيِيرِ. وَمَنْ طَلَبَ المَجْدَ بِاسْتِمْرَارٍ عَلَى الأَرْضِ خَافَ بِاسْتِمْرَارٍ مِنَ الاضطِّرَابَاتِ عَلَى الأَرْضِ. لَكِنَّ مَنْ يَطْلُبُ مَجْدًا من اللهِ، فقط، لا يَخَافُ إِلاَّ مِنْ قَضَاءِ اللهِ. فَالجُنْدِيُّ يَتَحَمَّلُ خَطَرَ الحَرْبِ لأَنَّه يَتُوقُ إِلَى غَنَائِمِ النَّصْرِ. فَكَم يَنْبَغِي عَلَيْنَا أَنْ لا نَخَافَ مِنْ تَعيِيرِ العَالَمِ نَحنُ الَّذِينَ نَنْتَظِرُ مُكَافَأَةَ المَلَكُوتِ السَّمَاوِيِّ. عَمَلٌ غيرُ كَامِلٍ حَوْلَ متّى، الموعظة ٩.[٨٨]

(٨٦) CCL 9a: 277

(٨٧) PG 57: 228; NPNF 1 10: 95

(٨٨) PG 56: 684

٥: ١٣-١٦ المِلْحُ والنُّورُ

[١٣] أنتم مِلحُ الأرضِ، فإذا فسَدَ المِلحُ، فَماذا يُمَلِّحُهُ؟ لا يَصلُحُ إلاَّ لأنْ يُرمَى في الخارِجِ فيدوسَهُ النَّاسُ.

[١٤] أنتم نورُ العالَمِ. لا يمكن أنْ تَخفَى مدينةٌ على جبَلٍ، [١٥] ولا يُوقَدُ سِراجٌ ويوضَعُ تَحتَ المِكيالِ، ولكِنْ على المنارةِ حتَّى يُضيءَ لِجميعِ الَّذينَ هُمْ في البَيتِ. [١٦] هكذا فلْيُضِئْ نورُكُم قُدّامَ النّاسِ لِيُشاهِدوا أعمالَكُمُ الصّالِحةَ ويُمَجِّدوا أباكُمُ الذي في السَّماواتِ.

نَظْرَةٌ عامَّةٌ: كَمَا يَحْفَظُ المِلْحُ اللَّحْمَ مِنَ الفَسَادِ، هَكَذا يُحْفَظُ تَلاميذُ المَسيحِ (أوريجنّس). عَلَى التَّلاميذِ ألاَّ يَفْقِدوا حَاسَّتَهُم المُبْهِجَة (هيلاريون، كروماتيوس). عَلَى الّذين تَثَقَّفُوا بالحِكْمَةِ السَّماويَّةِ أنْ يَبقَوا صَامِدينَ، وَإلاَّ كَانُوا كالطَّعَامِ التَفِهِ بِغَدْرِ إبْليس (كروماتيوس). يُدْعَونَ إلَى إعَادةِ النَّضَارَةِ الأَصْلِيَّةِ إلَى الخَلائِقِ الَّتي فَسدَت (الذَّهبيُّ الفَم). يَسُوع يُسَمِّي الفِكْرَ المَلِيءَ بالكَلِمَةِ الرَّسُوليَّةِ مِلْحًا. وَبِمَا أنَّها زُرِعَت في أنْفُسِنا، فَهِي تَسْمَحُ لكَلِمَةِ الحِكْمَةِ أنْ تَسْكُنَ فينَا (كيرلّس الإسكندريّ). عِنْدَمَا يُصْبِحُ التَّلاميذُ مِلْحًا، يَدخُلُونَ في ذَوْقِ العَالَمِ وَنَسيجِهِ، فَيَعْكِسُونَ نُورَ الله للعَالَمِ عبر نُورِ الحَقِّ (الذَّهبيُّ الفَم). يُسَمِّي يَسوعُ تَلاميذَه نُورَ العَالَمِ، لأَنّهم يَسْتَنيرونَ بالنُّورِ الحَقِيقيِّ الأزليِّ (كروماتيوس، الذَّهبيُّ الفَم). أَهْلُ الدُّنيا هُمْ أَشْبهُ بالمَكاييلِ مِنْهُم بالمَصابيحِ (ثيودور المبسوستيّ)، إذ يُعْوِزُهُم الله. إنَّهُم فَارِغُون مِنْ فوق ومُمْتَلِئُونَ مِن أَسْفَل (الذَّهبيُّ الفَم). يَجِبُ عَلَى قَائِدِ الكَنيسَةِ أنْ يَتَحلَّى بِسِلْسِلَةِ الفَضَائِلِ الوَاسِعَةِ (كَاتِبٌ مَجْهُولٌ).

٥: ١٣ مِلْحُ الأَرْضِ

المِلْحُ يَحْفَظُ الطَّعَامَ. أوريجنّس: إنَّ المِلْحَ مُفيدٌ لكَثيرٍ مِنَ الغَايَاتِ في حَيَاةِ البَشَرِ! فَمَاذَا يَجِبُ أنْ نَقُولَ عَنْ ذَلِكَ؟ الآن وَقْتٌ مُنَاسِبٌ للتَّسَاؤُلِ عَنْ سَبَبِ تَشْبيهِ يَسُوع

تَلامِيذَهُ بِالمِلْحِ. يَبْدُو لِي أَنَّ المِلْحَ يَحْفَظُ اللَّحْمَ مِنْ أَنْ يَفْسُدَ وَيَنْتن، وَيَجْعَلُهُ صَالِحًا لِلأَكْلِ لِمُدَّةٍ أَطْوَل. فَبِدُونِ المِلْحِ لا يَدُومُ الطَّعَامُ وَلا يَكُونُ نَافِعًا. وَهَكَذَا إِذَا وَقَفَ تَلامِيذُ المَسِيحِ أَيضًا في وَجْهِ النَّتَانَةِ النَّاتِجَةِ مِن خَطَايَا الوَثَنِيَّةِ وَالزِّنى، فَإِنَّهم يشَدِّدُونَ العَالَمَ بِأَسْرِهِ وَيَجْعَلُونَهُ مُتَمَاسِكًا. المقطع ٩١.[١]

مُقَاوَمَةُ الفَسَادِ. هيلاريون: إِنَّ مِلْحَ الأَرْضِ يَبدو أَوَّلاً شيئًا غيرَ خاصٍّ. فَمَاذَا عَنَى يَسُوعُ لَمَّا سَمَّى تَلامِيذَه «مِلْحَ الأَرضِ»؟ يجِبُ أَنْ نَبْحَثَ عَنِ المَعْنَى المُلائِمِ لِلْكَلام. فَمهمَّةُ التَّلاميذِ وَطَبِيعَةُ المِلْحِ عينه تَكْشِفَانِ عَنْ هَذا. فَعُنْصُرُ المَاءِ وَعُنْصُرُ النَّارِ يَجْتَمِعَانِ وَيَتَّحِدَانِ في المِلْحِ. هَكَذَا يُقَاوِمُ المِلْحُ المُسْتَعْمَلُ عِنْدَ البَشَرِ فَسَادَ اللَّحْمِ إِذَا مَا رُشَّ عَلَيْهِ. وَبِالطَّبْعِ، إِنَّه مُنَاسِبٌ جِدًّا لأَنْ يُضِيفَ الإِحْسَاسَ بِالنَّكْهَةِ الخَفِيَّةِ. كَذَلِكَ كَانَ الرُّسُلُ مُبَشِّرِينَ بِالأُمُورِ السَّمَاوِيَّةِ المُدْهِشَةِ وَبِالأَبدِيَّةِ. إِنَّهم كَالزَّارِعِ يَبْذُرُونَ الخُلُودَ عَلَى كُلِّ الأَجْسَادِ الَّتي نُثِرَت عَلَيْهَا مواعِظُهُم. فَيَبْلُغُونَ الكَمَالَ بِمَعْمُودِيَّةِ المَاءِ وَالنَّارِ. هَكَذَا سُمِّيَ الَّذِين يُمَلِّحُونَ بِقُوَّةِ تَعْلِيمِ الإِنجيل «مِلْحَ الأَرضِ». وَهُمُ الآنَ مُصَانُونَ حَتَّى النِّهَايَة. في متّى ٤. ١٠.[٢]

الكَلِمَةُ المَزْرُوعَةُ في نُفُوسِنَا. كيرلّس الإسكندريّ: يُسَمِّي يَسُوعُ الفِكْرَ المُمْتَلِئَ بِالكَلِمَةِ الرَّسُولِيَّةِ «مِلْحًا». فَهَذِهِ الكَلِمَةُ المَزْرُوعَةُ فِي نُفُوسِنَا تَسْمَحُ لِكَلِمَةِ الحِكْمَةِ بِأَنْ تَسْكُنَ فِينَا. وَقَدْ شُبِّهَتْ بِالمِلْحِ بِسَبَبِ طَعْمِهِ الجَيِّدِ وَلَذَّتِه. فَبِدُونِ المِلْحِ لا يَكُونُ الخُبْزُ ولا السَّمَكُ مُستَسَاغًا صَالِحًا. وَهَكَذا، بِدُون فَهْمِ الرُّسُلِ وَتَعْلِيمِهِم تَبْقَى كُلُّ نَفْسٍ جَاهِلَةً بَلِيدَةً وغَيْرَ مَرْضِيَّةٍ للّه. المقطع ٤١.[٣]

لا تَفْقِدُوا ذَوْقَكُم الطَّيِّبَ. هيلاريون: يُسَمِّي يَسُوعُ المُؤمِنِين «مِلْحَ الأَرْضِ»، وَيُنَاشِدُهُم الحِفَاظَ عَلَى عَظَمَةِ القُدْرَةِ المُعْطَاةِ لهم. أَمَّا إِذَا خَسِرُوا حَاسَّةَ الذَّوق، فَإِنَّهم يَعْجَزُون عَنْ أَنْ يَجْعَلُوا أَيَّ طَعَامٍ لَذِيذًا سَيِّغًا. وَإِذَا فَقَدُوا طَعْمَ المِلحِ، فَإِنَّهم يَعْجَزُونَ عَنْ أَنْ يَجْعَلُوا مَا هُوَ مُعَرَّضٌ لِلفَسَادِ صَالِحًا لِلأَكْل. يُحَذِّرُهُم مِنْ أَنْ يَدُوسَهُم عَابِرو السَّبِيل- إِذَا طُرِدُوا مِنْ مُسْتَوْدَعِ الكَنِيسَةِ – بِأَقدامِ مَن كَانَ مِنَ المُتَوَقَّعِ أَنْ يُؤَدِّيَ المِلْحُ خِدْمَةً لَهُم. في متّى ٤. ١٠.[٤]

---

(١) 6 sutengoiD ot retteL .fc ;2 5:1.14 SCG

(٢) 82-621 :452 CS

(٣) 561 KGKM

(٤) 821 :452 CS

يُعِيدُ المُضْغَةَ الشَّهِيَّةَ إلى تَرْتِيبِ المَخْلُوقَاتِ. الذَّهَبِيُّ الفَم: إِسْمَعْ مَا يَقُولُهُ: أَنْتُمْ مِلْحُ الأَرْضِ. وبِذلِكَ أَظْهَرَ لَكُمْ أَنَّ طَاعَتَكُم لِوَصَايَاهُ واجِبَةٌ، فأَنْتُمْ سَتُحَاسَبُونَ لا مِنْ أَجْلِ حياتِكُم فَحَسْب، بَلْ مِنْ أَجْلِ العَالَمِ كُلِّه. فلَنْ أُرْسِلَكُم إِلَى مَدِينَتَين أَو عَشرِ مُدُنٍ أَو عِشْرِين، وَلا إِلَى أُمَّةٍ وَاحِدَةٍ، كَمَا أَرْسَلْتُ الأَنبياءَ، بَلْ إِلَى الأَرْضِ وَالبَحْرِ، إِلَى العَالَمِ بِأَسْرِه، إِلَى العَالَمِ الوَاقِعِ تَحْتَ وَطْأَةِ الشِّرِّير». بِقَولِهِ: «أَنتُم مِلْحُ الأَرضِ» يدلُّ على أَنَّ الطَّبِيعَةَ البَشَرِيَّةَ كلَّها فَسُدَتْ وَأَنْتَنَتْ بخَطَايَاهَا. لذَلِكَ يَطْلُبُ مِنْهُم فَضَائِلَ كَهَذِه نَافِعَةً وبَالِغَةَ الضَّرُورَةِ للْعِنَايَةِ بِالجَمِيعِ. إنجيلُ متَّى، الموعظة ١٥. ٦.[٥]

لا يَصْلُحُ لِشَيءٍ. كروماتيوس: يُظْهِرُ أَنَّ الَّذِين تَثَقَّفُوا بِالإِيمَانِ والحِكْمَةِ السَّمَاوِيَّةِ يجب أَنْ يَثْبُتُوا في الإيمانِ ويَصْمُدُوا فيهِ من دُونِ أَنْ «يَفْقِدُوا ذَوْقَهُم». أَمَّا إِذَا تَرَكُوا الإيمانَ والحِكْمَةَ الإِلَهِيَّةَ، فَإِنَّهم يَنْدَفِعُون بتَهَوُّرٍ وَراءَ النِّحْلَةِ أَو يَرجِعُون إِلَى حَمَاقَةِ الوَثَنِيِّين. وهكذا يَقُولُ: «فَإِذَا فَسُدَ المِلْحُ، فَمَاذا يُمَلِّحُهُ»؟. أُناسٌ مِثْلُ هؤُلاءِ يَجْعَلُهُم خِدَاعُ إِبلِيسَ عَدِيمِي الطَّعْمِ، وَبعْدَ خَسَارَتِهِم نِعْمَةَ الإيمانِ يَفْسُدُون. إنَّهُم تَحَدَّثُوا للغُرَبَاءِ عَنِ الإِيمَانِ وبَدَا مِنهُم أَنَّهُم مِلْحُ كَلِمَةِ الوَعْظِ الإِلهِيِّ، وأَظْهَرُوا أَنْفُسَهم أَنَّهم لا يَصلُحُون لشَيءٍ. فَيَهُوذَا الإِسْخَرْيُوطِيُّ فَسُدَ بسَبَبِ مِلْحٍ لا طَعْمَ لَه. وَبَعْدَ أَنْ رَفَضَ الحِكْمَةَ الإِلهِيَّةَ، تَحَوَّلَ مِنْ تِلْمِيذٍ إلى مُرْتَدٍّ، فَلَم يُسَاعِدِ الآخَرِينَ وليس هذا فَحَسْب، بَلْ أَصْبَحَ شَقِيًّا لا نَفْعَ مِنْه لغَيرِهِ وَلا لنَفْسِهِ. مَوعظةٌ حَوْلَ متَّى ١٨. ٤. ١- ٢.[٦]

٥: ١٤ نُورُ العَالَمِ

الاسْتِنَارَةُ بالمَسِيحِ. كروماتيوس: سَمَّى الرَّبُّ تلاميذَهُ «مِلْحَ الأَرْضِ» لأَنَّهم يُمَلِّحُون بِالحِكْمَةِ الإِلَهِيَّةِ قُلُوبَ البَشرِ الَّتي جَعَلَها إِبْلِيسُ عَدِيمَةَ الطَّعْمِ. والآن يُسَمِّيهِم «نُورَ العَالَمِ» لأَنَّهم، باسْتِنَارَتِهِم بِالنُّورِ الحَقِيقِيِّ الأَبَدِيِّ يُصْبِحُون نُورًا في الظَّلامِ. وبِمَا أَنَّه هُوَ نَفْسُهُ شَمْسُ البِرِّ، فَإِنَّه يُسَمِّي تَلامِيذَه أَيضًا «نُورَ العَالَمِ». وبِهِم، كَمَا بِأَشِعَّةٍ لامِعَةٍ، يُشِعُّ بِنُورِ مَعْرِفَتِهِ عَلَى العَالَمِ بِأَسْرِه. وَبِإِظْهَارِ نُورِ الحَقِّ، يَكْسَحُ تَلامِيذُ الرَّبِّ ظَلامَ الضَّلالِ مِنْ قُلُوبِ النَّاسِ. موعِظةٌ حول متَّى ١٩. ١. ١-٢.[٧]

---

[٥] GP 75: 132; NPNF 1 10: 97
[٦] CCL 9a: 282
[٧] CCL 9a: 285

مِلْحٌ أَوّلاً، وَمِنْ ثَمَّ نُورٌ. الذَّهَبيُّ الفَم: أَنتُمْ نُورُ العَالم- لا لأُمَّةٍ واحِدَةٍ وَلا لِعِشْرِينَ مَدِينَةً- بَلْ للْمَسْكُونَةِ كُلِّها. أَنتُم نُورٌ عَقلِيٌّ، أَفْضَلُ بكَثِيرٍ مِنْ شُعَاعِ النُّورِ، كَمَا أَنتُم مِلْحٌ رُوحِيٌّ. أَوّلاً أَنتُم مِلْحٌ، وَمِنْ ثَمَّ أَنْتُم نورٌ. يَذْكُرُ ذَلِكَ لِيُعَلِّمَكَ الفَائِدَةَ العَظِيمَةَ مِنْ هَاتَيْنِ اللَّفْظَتَينِ القَوِيَّتَين، وَمِنْ هَذَا التَّعْلِيمِ الوَقُورِ. فَيَربطُ الاثْنَين ولا يُبِيحُ لَنَا أَنْ نُصْبِحَ فَاسِدِينَ. إنجيلُ متَّى، الموعظة ١٥. ٧.[٨]

المَسِيحُ يُوحِّدُنَا لِنَكُونَ أُمَّةً وَاحِدَة. هيلاريون: يُسَمِّي يَسُوعُ الجَسَدَ الَّذي اتَّخَذَه مَدِينَةً. فَكَمَا أَنَّ المَدينةَ تَتَأَلَّفُ مِنْ سُكَّانٍ مُتَنَوِّعِينَ وَمُتَعَدِّدِينَ، هَكَذَا المسيحُ، بِجَسَدِهِ المُتَّخَذِ، يَضُمُّ في ذَاتِهِ اتِّحَادَ الجِنْسِ البَشَرِيِّ بِأَكْمَلِه. هَكَذَا يُصْبِحُ مَدِينَةً بِاتِّحَادِنا بِه، وَبِالاتِّحَادِ بجسدِه نُصْبِحُ جَمَاعَةَ المَدِينَةِ. لِذَلِكَ لا يُمْكِنُ أَنْ يُخْفَى. فَالمَوْضُوعُ عَلَى مكَانٍ مُرْتَفِعٍ يُنْظَرُ إِلَيهِ بِإِعْجَابٍ نظرًا إلى أَعْمَالِهِ الصَّالِحَةِ الجَدِيرَةِ بِالتَّأَمُّلِ وَالإِدْرَاك. لَكِنْ لا يُضَاءُ نُورٌ ويُوضَعُ تَحْتَ المِكْيَالِ. فَمَا هِيَ المَنْفَعَةُ مِنْه إذا بَقِيَ مَخْفِيًّا؟ هَكَذَا لا يُوْضَعُ نُورُ المَسِيحِ تَحْتَ المِكْيَالِ. . . . وَبِمَا أَنَّه عُلِّقَ عَلَى خَشَبَةِ الصَّلِيبِ، فَهُو يُشْرِقُ بنُورِه الأَزَلِيِّ عَلَى كُلِّ الَّذين يَسْكُنون في الكَنِيسَةِ. في متّى ٤. ١٢- ١٣.[٩]

لا تَبْنِ سِيَاجًا حَوْلَ الأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ. الذَّهَبِيُّ الفَم: إِنَّ الوَدِيعَ وَالحَلِيمَ وَالرَّحِيمَ وَالبَارَّ لا يَبْنِي سِيَاجًا حَوْلَ الأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ. بِالأَحْرَى، إِنَّه يُهَيِّئُ هَذِه اليَنَابِيعَ الصَّالِحَةَ لِتَكُونَ فَيَّاضَةً لِفَائِدَةِ الآخَرِينَ. الطَّاهِرُ القَلْبِ وَصَانِعُ السَّلام، عِنْدَمَا يُضْطَهَدُ في سَبِيلِ الحَقِّ، يُقَدِّمُ حَيَاتَهُ لِلخَيرِ العَامِّ. إنجيلُ متّى، الموعظة ١٥. ٧.[١٠]

المَدِينَةُ المُقَدَّسَةُ. كَاتِبٌ مَجْهُولٌ: مَا هِيَ هَذِه المَدِينَةُ؟ إِنَّهَا كَنِيسَةُ المُقَدَّسِينَ الَّتي يَقُولُ عَنْهَا النَّبيُّ: «لقَدْ قِيلَت الأَمْجَادُ فِيكِ يَا مَدِينَةَ مَلِكِنا».[١١] فَجَمِيعُ المُؤْمِنِينَ هُم مُواطِنُوهَا الَّذِينَ خَاطَبَهُمُ الرَّسُولُ بقَولِه: «أَنتُم مواطِنُونَ مَعَ القِدِّيسِينَ وَمِنْ أَهْلِ بَيْتِ اللّه».[١٢] عَمَلٌ غَيرُ كَامِلٍ حَوْلَ مَتَّى، الموعظة ١٠.[١٣]

٥:١٥ إيقَادُ السِّراج

مُوقِدُو السِّرَاجِ. كَاتِبٌ مجهولٌ: تُوْضَعُ هَذِه

[٨] G 57: 232; NPNF 1 10: 97-98

[٩] SC 254: 130; cf. SC 254: 126-28

[١٠] GP 57: 231; NPNF 1 10: 97

[١١] مزمور ٨٧: ٣ (٨٦: ٣).

[١٢] أفسس ٢: ١٩.

[١٣] GP 56: 686

المدينةُ على جبلٍ. وهي تشيرُ إلى الرُّسُلِ والأنبياءِ والمعلِّمينَ الآخرينَ الَّذين تعلَّموا منَ المسيح. فالمسيحُ هُوَ الجبلُ الَّذي يقولُ عنهُ دانيال: «ها إنَّ الحجَرَ غيرَ المقتطعِ بيدٍ ... صارَ جبلاً كبيرًا وملأَ الأرضَ كلَّها».[١٤] بتشبيهٍ آخرَ يُريدُ الآنَ أنْ يُبيِّنَ لماذا يجعلُ المسيحُ نفسهُ قدِّيسيه بارزين. إنَّهُ يأبى أنْ يكونوا وراءَ السِّترِ: «ولا يُوقَدُ سراجٌ ويُوضَعُ تحتَ المكيالِ، ولكنْ على المنارةِ حتَّى يُضيءَ لجميعِ الَّذينَ هُمْ في البيتِ». منْ هُم موقدو السِّراج؟ إنَّهما الآبُ والابنُ. وما هُو ذلكَ السِّراجُ؟ إنَّه الكلمةُ الإلهيَّةُ الَّتي قيلَ عنها: «كلامُكَ سراجٌ لخُطواتي، ونورٌ لطريقي».[١٥] مصباحُ الكلمةِ يشعُّ نورًا، لكي يكونَ الطَّريقُ واضحًا، فيُضيءُ لجميعِ الَّذين هُمْ في البيتِ، سواءٌ في بيتِ الكنيسةِ أو في العالمِ بأسْرِهِ. ما هي هذه المنارةُ؟ إنَّها الكنيسةُ، الَّتي تحملُ كلمةَ الحياةِ. ولذلكَ يقولُ بولسُ: «تضيئونَ فيهِ كالكواكبِ في الكونِ، متمسِّكينَ بكلمةِ الحياةِ».[١٦] وهكذا يُسمَّى كلُّ فردٍ في الكنيسةِ منارةً، لأنَّه يملكُ كلمةَ اللهِ. فأهْلُ الدُّنيا هُمْ أشبهُ بمكاييلَ يعوزُها اللهُ وكلُّ ما هُو منْ عندِ اللهِ. عملٌ غيرُ كاملٍ حولَ متَّى، الموعظة ١٠.[١٧]

إخفاءُ المنارةِ تحتَ المكيالِ. ثيودور المبسوستيّ: ماذا يعني بالمكيالِ الَّذي يُوضَعُ تحتَ السِّراجِ؟ بـ«المكيالِ» يعني الرَّذيلةَ، و بـ«السِّراجِ» الفضيلةَ. فالنَّاسُ الَّذين يبتغونَ أنْ يقوموا ببعضِ الأعمالِ المحرَّمةِ يسيرونَ في الظَّلامِ معْرِضينَ عنِ النُّورِ. المقطع ٢٦.[١٨]

٥: ١٦ فليُضِئْ نُورُكم

خدمةُ الجسَدِ للنُّورِ. أوغسطين: مَنْ يضعُ السِّراجَ تحتَ المكيالِ هُو الَّذي يحجبُ نورَ التَّعليمِ الصَّالحِ ويُخفيه بالدُّنيويَّاتِ. بالأحرى، يجبُ أنْ يرفعَ المرءُ الحقَّ عاليًا على «المنارةِ». وهذا يدلُّ على أنَّ النُّورَ يُشرِقُ نتيجةَ خدمةٍ جسديَّةٍ، ليُقدِّمَ للمؤمنينَ عبر خدمةٍ مُجسَّدة. بهذهِ الطَّريقةِ تُترجَمُ أصواتُنا وألسنتُنا وتصرُّفاتُ الجسدِ الأخرى إلى أعمالٍ صالحةٍ على أيدي الَّذينَ يتعلَّمُون. الموعظةُ على الجبلِ ١. ٦. ١٧.[١٩]

---

[١٤] دانيال ٢: ٣٤- ٣٥.
[١٥] مزمور ١١٩: ١٠٥ (١١٨: ١٠٥).
[١٦] فيليبي ٢: ١٥- ١٦.
[١٧] GP 65: 686
[١٨] KGKM 501
[١٩] LP 43: 8321; CF 11: 53

أَعْمَالٌ صَالِحَةٌ لِتَمْجِيدِ اللهِ. أوغسطين: كَلامُ الإِنْجِيل يُفَسِّرُ نَفْسَه بِنَفْسِه. وَفِيمَا يُشْبِعُ قُلُوبَ القَارِعِين، فَإِنَّه لا يُعِيقُ صَيْحَاتِ الجَائعِين. يَجِبُ عَلَى المَرْءِ أَنْ يَسْبُرَ القَلْبَ الإِنْسَانِيَّ لِيرَى أَيَّ اتِّجَاهٍ يَأْخُذ، وإِلامَ يَصْبُو. تَصَوَّرْ أَنَّ إِنْسَانًا يرغَبُ في أَنْ تَكُونَ أَعْمَالُه مَرئيَّةً، وأَنْ يَنْظُرَ إِلى مَجْدِهِ ومَنْفَعَتِهِ استِنَادًا إِلى تَقْدِيرِ الآخَرِينَ لَه، لِيَرتَفِعَ في نَظرِهِم. هو لا يُتِمُّ، بِفعلِهِ هذا أَوَامِرَ الرَّبِّ الَّتي أَعْطَاهَا في هَذِهِ الآيَةِ. سَعَى إِلَى أَنْ يُمَارِسَ بِرَّه عَلَى مَشْهَدٍ مِنَ الآخَرِين، لِكَي يَرَوه. لِذَلِكَ لَمْ يَجْعَلْ نُورُهُ الآخَرِينَ أَنْ يُمَجِّدُوا الآبَ الَّذي في السَّمَاوَاتِ. لَم يَرْغَبْ في تَمْجِيدِ اللهِ، بَلْ في تَمْجِيدِ نَفْسِه. لَمْ يحبّ مَشِيئَةَ اللهِ، إِنَّمَا بَحَثَ عَنْ مَنْفَعَتِهِ الشَّخْصِيَّةِ. عَنْ أَمْثَالِ هَؤلاءِ قَالَ الرَّسُولُ: «فَكُلُّهم يَعْمَلُ لِنَفْسِه لا لِيَسُوعَ المَسِيح».[٢٠] إِنَّ قَوْلَه «فَلْيُضِيءْ نُورُكُم هَكَذَا قُدَّامَ النَّاسِ لِيُشَاهِدُوا أَعْمَالَكُمُ الصَّالِحَةَ» استِشْهَادٌ مَبتُورٌ. لِذَلِكَ يَجِبُ الإِبْقَاءُ عَلَى تَتِمَّتِه: «وَيُمَجِّدُوا أَبَاكُمُ الَّذي في السَّمَاوَاتِ». هَذَا يَعْنِي أَنَّ المَرءَ يُشَاهِدُ الآخَرِينَ يَقُومُونَ بِعَمَلِ الخَيْرِ، فَيُمَجِّدُ اللهَ. فَفِي ضَمِيرِ كُلِّ وَاحِدٍ يَجِبُ أَنْ تُوجَدَ النِّيَّةُ الخَالِصَةُ لِتَمْجِيدِ اللهِ. إِنَّه مِنْ أَجْلِ مَجْدِ اللهِ يَجِبُ أَنْ نَسْمَحَ لأَعْمَالِنَا بِأَنْ تُعْرَف. الموعظة ٥٤. ٣.[٢١]

التَّعْلِيمُ وَالعَمَلُ. كَاتِبٌ مَجْهُولٌ: «هَكَذَا فَلْيُضِيءْ نُورُكُم قُدَّامَ النَّاسِ لِيُشَاهِدُوا أَعْمَالَكُمُ الصَّالِحَةَ وَيُمَجِّدُوا أَبَاكُمُ الَّذي في السَّمَاوَاتِ»، أَيْ أَن يُضِيءَ نُورُكُم وَتُعلِّمُوا لا مِنْ أَجْلِ أَنْ يَسْمَعَ النَّاسُ أَقْوالَكُم فَحَسْب، بَلْ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَرَوا أَعْمَالَكُمُ الصَّالِحَةَ أَيضًا. فَلْيُمَلِّحِ المُسْتَنِيرونَ بِنُورِ أَقْوالِكُم بِمِلحِ أَعْمَالِكُم. فَمَنْ يُعَلِّمْ ويَعْمَلْ بِمَا يُعَلِّمُ بِه يَكُنْ تَعلِيمُهُ حَقِيقِيًّا. لَكِنْ مَنْ لا يَعْمَلُ بِمَا يُعلِّمُهُ لا يُعَلِّمُ شَيئًا، بَلْ يُدَان. إِنَّه لَمِنَ الأَفْضَلِ أَنْ يَعْمَلَ المرءُ بِدُونِ أَنْ يُعلِّمَ مِنْ أَنْ يُعَلِّمَ ولا يَعْمَلَ بِما يُعَلِّمُهُ. فَمَنْ يَعْمَلْ يُصْلِحْ بَعْضَ النَّاسِ بِمِثَالِهِ مَعْ أَنَّه يَبْقَى صَامِتًا. وَلَكِنْ، مَنْ يُعلِّمْ وَلا يَعْمَلْ بِهِ لا يُصْلِحْ أَحدًا، بَلْ يَكُونُ عَثرَةً لِلآخرِين. أَلا يَقَعُ في تَجْرِبَةِ الخَطِيئَةِ مَنْ يَرَى مُعَلِّمِي الصَّلاحِ يُخطِأُون؟ لِذَلِكَ يُمَجَّدُ الرَّبُّ عَلَى أَيْدِي الَّذينَ يُعَلِّمُونَ وَيَعْمَلُون بِمَا يُعلِّمُونَ. يُجَدَّفُ عَلَيهِ عَلَى أَيْدِي الَّذينَ يُعَلِّمُونَ ولا يَعْمَلُونَ بِمَا يُعَلِّمُونَ. عَمَلٌ غَيرُ كَامِلٍ حَوْلَ مَتَّى، الموعظة ١٠.[٢٢]

---

[٢٠] فيليبي ٢: ٢١.
[٢١] LP 83: 373; CF 11: 922-03
[٢٢] GP 65:786

فَلْيُضِئْ نُورُكم. كَاتِبٌ مجهُولٌ: عَلى قَائدِ الكَنِيسَةِ أَنْ يَتحلَّى بالفضائلِ كُلِّها. وَعَليهِ أَنْ يكُونَ فقِيرًا ليَسْتَطِيعَ أَنْ يُؤدبَ الجشِعَ بصَوْتٍ حرٍّ، وَأَنْ يكُونَ دَائمًا مُتَأَسِّفًا عَلى أَيَّةِ مُتْعَةٍ مُفْرِطَةٍ، سَوَاءٌ في نَفْسِهِ أَو في الآخرِين. فهُوَ مُتَأَهِّبٌ لأَنْ يَجْبَه الَّذينَ لا يَترَدَّدُونَ قبلَ أَنْ يُخْطِئوا والَّذينَ لا يَشعُرونَ بالأَسَفِ عَلَى خَطِيئَتِهِم بَعْدَ أَنْ يَخْطَأُوا. فلْيَتَنَهَّدْ وَليَرِثِ لخَطِيئتِه، وَلْيُظْهِرْ بذَلِكَ أَنَّ هَذا العَالَم شَاقٌّ وخَطِرٌ عَلَى المؤْمِن. عَلَيهِ أَنْ يَجُوعَ ويَعْطَشَ إِلَى البرِّ، ليَمْتَلِكَ القُوَّةَ بثِقَةٍ، ليَستحِثَّ بكَلِمَةِ اللهِ الكَسَالَى عَلَى الأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ. إِنَّهُ يَعْرِفُ كَيْفَ يَسْتَعْمِلُ سوطَ التَّبْكِيتِ، بمِثَالِه أَكثرَ مِنه بصَوْتِه. عَلَيهِ أَنْ يَكُونَ لَطِيفًا، فَيُدِيرَ الكَنِيسَةَ بالرَّحْمَةِ لا بالعِقَابِ. هُوَ يَرْغَبُ في أَنْ يُحَبَّ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُهَابَ. وَعلَيهِ أَنْ يكُونَ رَحِيمًا مَعَ الآخَرِينَ، وَقَاسِيًا عَلَى نَفْسِه. يَضَعُ في المِيزانِ حِمْلاً مِنَ العَدَالَةِ ثَقِيلاً بالنِّسْبَةِ إِلى نَفْسِه، وَحِمْلاً خَفِيفًا بالنِّسْبَةِ إِلى الآخَرِين. وَعَلَيهِ أَنْ يَكُونَ طَاهِرَ القَلْبِ، لا يَتَورَّطُ في مَسَائِلَ دُنْيويَّةٍ، ولا يُفَكِّرُ فيها. عَمَلٌ غيرُ كَامِلٍ حَوْلَ متَّى، الموعظة ١٠.[٢٣]

---

[٢٣] GP 58-486:65

٥:١٧ – ٢٠ الرُّوحُ الجَدِيدَةُ والشَّرِيعَةُ القَدِيمَةُ

١٧لا تَظُنّوا أنّي جِئتُ لأُبطِلَ الشَّريعَةَ والأنبياءَ: إنّي ما جِئتُ لأُبطِلَ، بل لأُكمِّلَ. ١٨الحَقَّ أقولُ لكُم: إلى أن تَزولَ السَّماءُ والأرضُ لا تَزولُ ياءٌ أو نقطَةٌ واحدَةٌ مِنَ الشَّريعةِ حتّى يتِمَّ كُلُّ شيءٍ. ١٩فمَنْ ينقُضْ وَصيَّةً مِنْ أصغَرِ هذِهِ الوصايا ويُعلِّمِ النَّاسَ هكذا، يُدعَ الأصغَرَ في ملَكوتِ السَّماواتِ. وأمَّا مَنْ يَعمَلُ بِها ويُعلِّمُها، فهوَ يُدعى عظيمًا في ملَكوتِ السَّماواتِ. ٢٠أقولُ لكُم: إنْ كانَ بِرُّكم لا يَفوقُ بِرَّ مُعلِّمي الشَّريعةِ والفَرِّيسيِّينَ، لن تَدخُلوا ملَكوتَ السَّماواتِ.

نَـظْـرَةٌ عَامَّةٌ: أَتمَّ يَسُوعُ الشَّرِيعَةَ (هيلاريون، كَاتِبٌ مَجْهُولٌ) لمَّا أَتمَّ بآلامِهِ سِرَّ العَشاءِ الفِصْحيِّ الَّذي أُنْبِئَ به مِنْ قبْلُ (كروماتيوس). فَما يَعُدُّه غيرُ المُؤمنين صَغِيرًا، لا يُؤبَهُ لَهُ، هُوَ مُهِمٌّ أَمامَ اللهِ (أوريجنس، كروماتيوس، كَاتِبٌ مَجْهُولٌ). الشَّريعَةُ تلَخَّصُ في الإنجِيلِ (جيروم). إنَّ الَّذين يُدْعون صِغَارًا في المَلَكُوتِ هُم الَّذين يُسِيئون فَهْمَ وصَايا الله (الذَّهبيُّ الفم) ويُعلِّمُونها، لكِنْ لا يَعْملُون بِها (كَاتِبٌ مَجْهُولٌ). مِنْ أَهْمَلَ وَصِيَّةً مِنْ أَصْغرِ وَصَايا الشَّريعةِ يُهْمَلُ لأَنَّه يُعْتَبرُ أَنَّهُ يَسُنُّ شَرائعَ مُخَالِفَةً للهِ (كيرلّس الإسكندري). إنَّ مُعلّمي الشَّريعةِ والفرِّيسيِّين كَانُوا أَكثرَ اهتِمامًا بالمَدِيحِ الإنْسانيِّ مِنهم بالإيمان بالوَعْدِ الإلهيِّ (كروماتيوس). فَالمُعلِّمُون المُثقَّفُون، إذَا تدَنَّسُوا بخَطِيئةٍ صغِيرةٍ، يتَّضِعُون مهْمَا علت رُتبُهُم. لا ينْفَعُهُم تَعْليمُ البِرِّ الَّذي قد يُضْعِفُونه بأَدْنى خطِيئة (جيروم). بعْدَ مجِيءِ المسِيحِ هُناكَ قوَّةٌ تُسَانِدُنا أَعْظمُ قُوَّةً مِن الشَّريعَةِ ذَاتِها (الذَّهبيُّ الفم).

إتْمَامُ الشَّرِيعَةِ وَالأَنْبِياءِ

آلامُ يسوعَ أَتمّت الشَّريعَةَ. كروماتيوس: إنَّ ابنَ اللهِ، الَّذي سَنَّ الشَّرِيعَةَ وَتعَالِيمَ الأَنبِياءِ، لَمْ يَأْتِ ليُبْطِلَها. أَعْطى النَّاس الشَّرِيعَةَ الَّتي سَلَّمَها إلى مُوسَى، ومَلأَ الأَنبِياءَ بالرُّوحِ القُدُسِ ليُبَشِّرُوا بالأُمورِ المُسْتَقْبَلِيَّةِ. لذلِكَ قَالَ: «إنِّي لَمْ آتِ لأُبطِلَ الشَّريعَةَ والأَنبياءَ: إنِّي لمْ آتِ لأُبطِلَ، بَلْ لأُكمِّلَ».

لَقدْ أَكْمَلَ الشَّريعَةَ وَالأَنبيَاء عَلَى هَذَا النَّحوِ: إنَّه يُتَمِّمُ مَا كُتِبَ عَنْهُ في الشَّريعَةِ وَالأَنبِيَاءِ. وَلِذلِكَ لَمَّا شَرِبَ الخلَّ المُقدَّمَ إليه عَلَى الصَّلِيبِ قَالَ: «قَد تمَّ» ليُظْهِرَ أَنَّ كُلَّ مَا كُتِبَ عَنْهُ في الشَّريعَةِ وَالأَنبيَاءِ قَدْ تمَّ، بِمَا في ذَلكَ شُرْبُ الخلِّ. أَتمَّ الشَّريعَةَ لَمَّا أَتمَّ بِسِرِّ آلامِهِ سِرَّ العشاءِ الفِصْحيِّ الَّذي أُنبئَ به مِنْ قبْلُ. يقُولُ الرَّسُولُ: «قَدْ ذُبِحَ حَمَلُ فِصْحِنا، وَهُوَ المَسِيحُ».[١] موعظةٌ حَولَ متَّى ٢٠. ١. ١-٢.[٢]

مُتمِّمًا أَصْغَرَ الوَصَايَا. كروماتيوس: فِيمَا يكُونُ إبْطَالُ أَصْغَرِ الوَصايا إثْمًا، يَكُونُ إبْطَالُ الوَصايَا العَظِيمَةِ وَالمُهِمَّةِ أَكْثَرَ إثْمًا. لذلِكَ يُؤكِّدُ الرُّوحُ القُدُسُ عَلَى لسَانِ سُليْمَانَ: «إنَّ مَنْ يَتَهامَلُ بالصَّغَائرِ يَسقُطُ خُطْوةً خُطْوةً».[٣]

---

[١] ١ كورنتس ٥: ٧.
[٢] LCC 9a: 192
[٣] سيراخ ١٩: ١.

محظورٌ عدمُ إبْطالِ أيِّ شيءٍ في الوصايا الإلهيَّةِ أو تغْييرُ أيِّ شيءٍ فيها. فكلُّ شيءٍ يجبُ أنْ يُحفظَ ويُعلَّم بإخْلاصٍ وولاءٍ ليشعَّ مجْدُ الملَكُوتِ السَّماويّ. حقًّا، إنَّ ما يعْتَبرُه غيرُ المؤْمنينَ أو أهْلُ هذا العالمِ صغيرًا وأقلَّ أهميَّةً لا يكونُ صغيرًا أمامَ اللهِ، بل ضروريًّا.

وحتَّى الأمُورُ الصَّغيرةُ تُشيرُ إلى المسْتقبَلِ العظيمِ لملكُوتِ السَّماوات. لهذا السَّبب، لا تكُونُ الكلماتُ وحْدَها مُهمَّةً، بل الأعْمالُ أيضًا؛ وأنْتُم عليْكُم ألاَّ تُعلِّمُوا فحسْب، بلْ أنْ تعْملُوا بما تُعلِّمُونَه. موعظةٌ حوْلَ متَّى ٢٠. ٢. ١-٣.[4]

مَا جِئتُ لأُبْطِل. كاتِبٌ مجْهُولٌ: يقُولُ المسيحُ إنَّه لمْ يأتِ ليُبْطِلَ الشَّريعة، بلْ ليُتمِّمَها، لسببَين: أوَّلاً، ليُقْنِعَ تلاميذَهُ، الَّذينَ علَّمهُم أنْ يتفوَّقوا في كلِّ الأعْمالِ الصَّالِحةِ، بالاقتداءِ بِهِ. فكمَا أتمَّ يَسُوعُ الشَّريعةَ كلَّها، عليْهِم أنْ يُتمُّوا بغيْرَةٍ جزْءًا ضئيلاً منها. ثانيًا، عمِلَ يَسُوعُ في السَّبْتِ ولمسَ البرْصَ، فاتَّهمهُ اليهُودُ بأنَّه خالفَ الشَّريعَة، أو على الأقلّ هذا ما بدا منهُ. فكانَ عليْهِ أنْ يرُدَّ عنْه هذِهِ التُّهمَ الباطِلة. فقالَ: «لا تظنُّوا أنِّي أتيتُ لأُبطِلَ الشَّريعةَ والأنبياء: إنِّي لمْ آتِ لأُبطِلَ، بلْ لأُكمِّل». إنَّ الشَّريعةَ وتعْليمَ الأنبياءِ مازالا نافذَين. إنَّهما يُنْبئانِ بالمسيحِ ويؤلِّفانِ شريعةَ الحياةِ. والمسيحُ أتمَّهُمَا. عمَلٌ غيرُ كاملٍ حوْلَ متَّى، الموعظة ١٠.[5]

٥:١٨ حتَّى يَتِمَّ كُلُّ شيءٍ

نقطَةٌ واحِدَةٌ. أوريجنّس: إنَّ «النُّقْطَة الواحِدَة» ليْست حَرْفَ اليُوتَّا iota في اليُونانيَّةِ، بلْ أيضًا «اليُوْدُ yod» في العِبْريَّةِ. فـ «اليُوتَّا iota الواحِدَة» أو «النُّقْطةُ الواحدة» يُطْلَقانِ رمْزيًّا على يَسُوع، لأنَّ مطْلعَ اسمِهِ يكتُبُه اليُونانيُّون بـ «اليوتَّا»، ويكْتُبُهُ اليهُودُ أيضًا بـ «اليُوْد». لذلِكَ يكُونُ يَسُوعُ النُّقْطةَ الواحِدَة، أي كلِمةَ اللهِ في الشَّريعةِ الّتي لا تزُولُ منَ الشَّريعةِ حتَّى يتِمَّ كُلُّ شيءٍ. لكِنَّ «اليُوتَّا» قد تكونُ أيضًا (كمَا يقُولُ هُو نفْسُه) الوصايَا العَشْرَ في الشَّريعةِ، لأنَّ كُلَّ شيءٍ يزُولُ، لكِنَّ هذِه الوصَايا لا تزُولُ. وكذلِكَ، فإنَّ يَسُوعَ لا يزُولُ إذا ما «وقعَ في الأرْض»[6] لأنَّه يقَعُ إراديًّا، لكَيْ يأتِيَ بثمَرٍ. وأيضًا فإنَّ «اليُوتَّا

---

(4) LCC 9a: 292

(5) PG 56: 786

(6) يوحنَّا ١٢: ٢٤.

iota الوَاحِدَة» أو «النُّقْطَة الوَاحِدَة» تَسُودُ في العُلى وَفي الدُّنَى. المقطع ٩٩.[٧]

الشَّرِيعَةُ تُلَخَّصُ في الإِنْجِيل. جيروم: لَقَدْ وُعِدْنا بِأَنَّ الله سيَخْلُقُ سَمَاءً جَدِيدَة وَأَرْضًا جَدِيدَةً. فَإِذَا خُلِقْنَا خَلقًا جَدِيدًا زَالَتِ السَّماءُ والأَرْضُ القَدِيمتان. فَيَقُولُ: «لا تَزُولُ يَاءٌ أَو نُقْطَةٌ وَاحِدَةٌ مِنَ الشَّرِيعَةِ حتَّى يَتِمَّ كُلُّ شَيءٍ». وهَذَا يَدُلُّ حَرْفِيًّا عَلَى أَنَّ مَا يُعْتَبَرُ أَقَلَّ أَهَمِّيَّةً في الشَّرِيعَةِ هُوَ مَلِيءٌ بِالأَسْرَارِ الرُّوحِيَّة، وَأَنَّ كُلَّ شَيءٍ يُلَخَّصُ في الإِنجِيل. تَفْسِيرُ متَّى ١. ٥. ١٨.[٨]

الشَّرِيعَةُ تَمَّتْ مِنْ خِلالِ النِّعْمَة. كروماتيوس: أَتمَّ يَسُوعُ الشَّرِيعَةَ في ذَلِكَ الوَقْتِ بِإِتْمَامِ ذَبَائِحِهَا في نَفْسِه وكَذَلِكَ بِالأَمْثَالِ الَّتي أُنبِئَ بِها عَنْهُ. . . . بِاتِّخَاذِهِ جَسَدًا. أَتمَّ الشَّرِيعَةَ في وقْتٍ ثَبَّتَ فِيهِ بِالنِّعْمَةِ الإِنجِيلِيَّةِ رُسُوم الشَّرِيعَةِ الَّتي أَعْطَاهَا. وَيُتَابِعُ مُظْهِرًا أَنَّه جَاءَ لِيُتِمَّ الشَّرِيعَةَ فَيَقُولُ: «إِلى أَنْ تَزُولَ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ لا تَزُولُ يَاءٌ أَو نُقْطَةٌ وَاحِدَةٌ مِن الشَّرِيعَةِ حتَّى يَتِمَّ كُلُّ شَيءٍ». لذلِكَ نَعْرِفُ مِنْ تَعْلِيمِ المَسِيحِ أَنَّ تَعْلِيمَ الشَّرِيعَةِ صَادِقٌ وَإِلهِيٌّ. فالرَّبُّ أَظْهَرَ أَنَّه لا تَزُولُ يَاءٌ أَو نُقْطَةٌ وَاحِدَةٌ. مَوْعِظَةٌ حَوْلَ متّى ٢٠. ١. ٣- ٤.[٩]

لا تَزُولُ يَاءٌ: كَاتِبٌ مَجْهُولٌ: لَمَّا يَعِي المَرْءُ مَا قَالَهُ يَسُوعُ يَجِدُ أَنَّهُ لَمْ يَتْرُكْ وَرَاءَهُ كَلامًا فَارِغًا. وَهَل يُعْقَلُ أَنْ يكُونَ الكَلامُ الإِلَهِيُّ فَارِغًا؟ الله يُعَاقِبُ الإِنْسَانَ إِذَا لم يَفْعَلْ مَا لَقَّنَه إِيَّاه الله. أَلا يُتِمُّ المَسِيحُ ما قِيلَ عَلى لِسانِ الأَنبِياءِ؟ لذَلِكَ أَتمَّ الشَّرِيعة حتّى في أَدَقِّ تَفَاصِيلِهَا. عَمَلٌ غيرُ كَامِلٍ حَوْلَ متّى، موعظة ١٠.[١٠]

٥:١٩ مَنْ هُوَ العَظِيمُ في مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ

فَوْقَ الشَّرِيعَةِ. هيلاريون: وَبِمُقَدِّمَةٍ جَمِيلَةٍ يَتَخَطَّى المَسِيحُ نِطَاقَ عَمَلِ الشَّرِيعَةِ. فَهُو لا يَبْتَغِي أَنْ يُبْطِلَهَا، بَلْ أَنْ يُؤَيِّدَهَا عبر إِتْمَامِهَا. فَأَعْلَنَ أَنَّ تَلامِيذَهُ لَنْ يَدخُلُوا السَّمَاوَاتِ مَا لَمْ يَزِدْ بِرُّهُم عَلَى بِرِّ الفَرِّيسيِّينَ. إِنَّهُ يَتَجَاوَزُ ما وَضَعَتْه الشَّرِيعَةُ، لا مِنْ أَجْلِ إِبْطَالِهَا، بَلْ مِنْ أَجْلِ إِتْمَامِهَا. في متّى ٤. ١٦.[١١]

الصُّغْرَى في المَلَكُوتِ. الذَّهَبِيُّ الفَم: لأَيِّ سَبَبٍ يدعُو تِلْكَ الوَصَايا «وَصَايَا صُغْرَى»

(٧) SCG 1.14: 65
(٨) LCC 77: 72
(٩) LCC a9: 192
(١٠) GP 65: 886
(١١) CS 452: 431

رَغْمَ أَنَّها كَانَتْ عظِيمَةً وَسامِيَةً جِدًّا؟ لأَنَّه هُو نَفْسهُ كَانَ عَلى وَشكِ أَنْ يَسُنَّ تَشريعَه. فكَمَا اتَّضَعَ وتكَلَّم عَلَى ذَاتِه بتواضُعٍ في كُلِّ شَيءٍ، هكَذا يَفْعَلُ أيضًا بِالنِّسْبَةِ إِلَى شرائعِه، حتَّى يُعلِّمَنا أَنْ نَكُونَ مُعْتَدِلينَ في كُلِّ شَيءٍ. وَلِفَتْرةٍ وَجيزةٍ رَتَّبَ كَلامَهُ بصُورةٍ مُتحفِّظَةٍ، لئلاَّ يَبْدُوَ لبَعْضِهِم أَنَّ هُنَاكَ بِدعَةً مَا في تَعْلِيمِه.

عِنْدَمَا تَسْمَعُونَ «الصُّغْرَى في مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ» لا تُفَكِّروا إلاَّ في الجَحِيمِ والعَذابِ. فَقَدْ اعتَادَ أَنْ يَتَحَدَّثَ عَنِ «المَلَكُوتِ» وَقْتَ القِيَامَةِ، في المَجِيءِ المَهِيبِ، وَلا يَتَحدَّثُ عَنهُ لمُجَرَّدِ التَّنعُّمِ بِهِ. فَكِّرْ: كُلُّ مَنْ يَدْعُو أَخَاهُ أَحْمَق، يُخَالِفُ وَصيَّةً وَاحِدَةً وَيَسْقُطُ في الجَحِيمِ. فَكَيْفَ يُعْقَلُ أَنْ يَكُونَ في المَلكُوتِ مَنْ خَالَفَها كُلَّها وحَرَّضَ الآخَرِينَ عَلى ذَلكَ؟ لَيْسَ هَذَا مَا يعْنِيه. إِنَّمَا يَعْنِي أَنَّ شَخْصًا كَهَذَا سَيَكُونُ في ذَلِكَ الوَقْتِ «الأَصْغَر» أَي المَطْرُود، أَو الأَخِير. وَالأَخِيرُ سيَسْقُطُ حَتْمًا في الجَحيمِ. إنجيلُ متّى، الموعظة ١٦.[١٢]

مُخَالَفَةُ أَصْغَرِ الوَصَايَا. كيرلّس الإسكندريّ. مَنْ رَذَلَ «وَصيَّةً مِنْ أَصْغَرِ تِلْكَ الوَصَايَا» رَذَلَهُ الله كَعَدُوٍّ لَهُ وَكَمُخَالِفٍ لِشَرائعِه. والآن، بسبَبِ شَرِيعَةِ الإِنْجِيل، يَنَالُ القِصَاصَ الّذي لم يَكُنْ مُحَدَّدًا تَحْتَ الشَّرِيعَةِ القَدِيمَةِ. لِهَذَا يقُولُ المَسِيحُ: «لمْ آتِ لأُبْطِلَ، بَلْ لأُتمِّم». فَمَا كَانَ نَاقِصًا هُنَاك أَكْمَلَه هُنَا. قِيلَ في الشَّرِيعَةِ «قُم احْترامًا للأَشْيَبِ»[١٣] و«إِذَا رَأَيْتَ حِمَارَ مَنْ يُبغِضُكَ رَازِحًا تَحْتَ حِمْلِه، فلا تَتَلَكَّأْ عَنْ مُسَاعَدَتِهِ ورَفْعِ الحِمْلِ معَهُ».[١٤] إِنْ خَالَفَ أَحَدُهُم هَذِه الوَصَايَا، فَلَنْ يَكُونَ لَه قِصَاصٌ مُعَيَّنٌ تَحْتَ الشَّرِيعَةِ. لذَلِكَ يَسُدُّ المَسِيحُ هَذَا النَّقْصَ عِنْدَمَا يَقُولُ إِنَّ شَخْصًا كَهَذَا سيُحْتَقَرُ في مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ. المقطع ٤٨.[١٥]

بِرٌّ يَفُوقُ بِرَّ عُلَمَاءِ الشَّرِيعَةِ وَالفَرِّيسيِّينَ. جيروم: يُبَكِّتُ يَسوعُ الفَرِّيسِيِّينَ لأَنَّهم ازدَروا وَصَايَا الله وَسَنُّوا لأَنفُسِهِم تقَالِيدَ خَاصَّةً. إِنَّ تَعْلِيمَهُم بَينَ النَّاسِ لا قِيمَةَ لَه، لأَنَّهُم أَلغَوا فيه جُزءًا صَغِيرًا مِنَ الشَّرِيعَةِ. نَقْدِرُ أَنْ نَفْهَمَ هَذا بمَعْنًى آخَر، أَيْ أَنَّ تعْلِيمَ المُعَلِّم يَتَعَرَّضُ للنَّيلِ مِنْ قَدْرِه، إِذَا تَدنَّسَ بخَطِيئَةٍ صَغِيرَةٍ. وَلا يُفِيدُه تعْلِيمُ البِرِّ الَّذي يُضْعِفُه بِأَدْنَى

---

[١٢] GP 75: 342; NPNF 1 10: 106
[١٣] لاويّين ١٩: ٣٢.
[١٤] خروج ٢٣: ٥.
[١٥] MKGK 167

خطأً. فالطُّوبى تكْتَمِلُ إذا عَمِلتَ بما تُعلِّمُ بِهِ. تفسيرُ متَّى ١. ٥. ١٨.[١٦]

يَفوقُ برَّ عُلَماءِ الشَّريعَةِ. الذَّهَبيُّ الفَم: «البِرُّ» يَعْنِي الفضيلَةَ بِمِلْئِها، كَمَا قَالَ يَسُوعُ في كلامِهِ علَى أيّوب: «كانَ هذا الرَّجُلُ نَزيهًا بارًّا».[١٧] وبمَعْنَى الكَلِمَةِ ذاتِها يُسَمِّي بولسُ ذَلِكَ الرَّجُلَ بارًّا، ولَهُ لا تُسَنُّ شَريعَةٌ كَما يَقُولُ «إنَّ الشَّريعَةَ لَمْ تُسَنَّ للبارِّ».[١٨] يُمكِنُ للمَرْءِ أنْ يَجِدَ لفظَةَ «البارّ» في آياتٍ أُخْرى كَثيرةٍ تَدُلُّ على «الفضيلَةِ» بشَكْلٍ عامٍّ.

أُناشِدُكُم أنْ تُلاحِظُوا كيْفَ أنَّ النِّعْمَةَ تَزْدادُ في العَهْدِ الجَديدِ. فهُوَ يشاءُ أنْ يكُونَ تلاميذُه أفْضَلَ مِنْ مُعلِّمي العهْدِ القَديمِ. فَبِالكَتَبَةِ وَالفَرِّيسيّين هُنَا لَمْ يَقْصِدْ مُتَعَدِّي الشَّريعَةِ فقَط، بل المُسْتَقيمينَ أيضًا. فلَوْ لَمْ يَفْعلُوا البِرَّ لما قَالَ إنَّ فيهِم بِرًّا، ولَمَا قَارَنَ غَيرَ الحقيقِيِّ بالحقيقِيِّ.

لاحِظْ كَيْفَ يَمْتَدِحُ الشَّريعَةَ القَديمَةَ بمُقارنَتِه إيّاها بالجَديدَةِ، وهَذا يَعْنِي أنَّهُما مِنَ العَشِيرَةِ عينِها والعائِلَةِ عينِها. فـ «الأصْغَرُ» و«الأعْظَمُ» هُمَا مِنَ النَّوعِ ذاتِه. إنّه لا يَجِدُ خطأً في الشَّريعَةِ القَديمَةِ، بلْ يُريدُها أكْثَرَ صَرامَةً. فلَوْ كانَتْ شِرِّيرةً، لمَا طلَبَ المَزيدَ مِنْها، ولَمَا أكْمَلَها، بلْ لكانَ نَبذَها نَبْذًا. لَوْ أنَّ الأمرَ كذلِكَ فَكَيْفَ يَجُوزُ لِلمَرءِ أنْ يَقولَ إنَّ الشَّريعَةَ لا تَكْفِيهِ للدُّخولِ إلَى المَلَكُوتِ؟ إنَّه لا يَأْتِي بالَّذين يَعِيشُونَ الآنَ بَعْدَ مَجيءِ المَسيحِ، الَّذِينَ أُعْطِيَتْ لَهُم قُوَّةٌ أَعْظَم، وجَدُّوا قُدُمًا في الوُصُولِ إلَى أُمُورٍ أَعْظَم. إنجيلُ متَّى، الموعظة ١٦. ٤.[١٩]

إعْتِدادُ الفَرِّيسيِّين بأَنْفُسِهم. كروماتيوس: يَجِدُ يَسُوعُ في بِرِّ عُلَماءِ الشَّريعَةِ وَالفَرِّيسيِّين عَيْبًا، لأَنَّهم لا يُعْنَونَ بالإيمانِ بالوَعْدِ الإلَهِيِّ، بَلْ بِمَديحٍ إنْسانِيٍّ وَبِمَجْدٍ دُنْيَوِيٍّ. مِثَالٌ عَلَى ذَلِكَ هُوَ ذَلِكَ الفَرِّيسيُّ – المُتَفاخِرُ المُتَباهِي المُعْتَزُّ بِفَضائلِ بِرِّه وَالجاعِلُ نَفْسَه بلا خَجَلٍ مُبَجَّلاً في نَظَرِ اللَّه بِكَلامٍ فيه اعْتِدادٌ بِالنَّفْسِ وَرَغْبَةٌ في إرْضاءِ الذَّاتِ.

لِذَلِكَ شَدَّدَ عُلَماءُ الشَّريعَةِ وَالفَرِّيسيُّونَ عَلَى مَظاهِرِ البِرِّ، لا مِنْ أَجْلِ إرْضاءِ اللَّه، بَلْ مِنْ أَجْلِ التَّباهِي بِالمَجْدِ الإنْسانِيِّ وَاقْتِناءِ الرِّبحِ الدُّنيَويِّ وَالرَّفاهَةِ الوَقْتِيَّةِ. فَالرَّبُّ يَحُثُّنا عَلَى إعْطاءِ الأَولَوِيَّةِ لأَعْمالِ البِرِّ السَّماوِيِّ وَلِفَضائلِ الإيمانِ بَدَلاً مِنْ بِرِّ

[١٦] LCC 77: 72
[١٧] أيّوب ١: ١ (السبعينيّة).
[١٨] ١ تيموثاوس ١: ٩.
[١٩] GP 75: 244; NPNF 1 10: 107

الثَّنَاءِ الإِنسَانِيِّ المَمْقُوتِ. مَوعِظَةٌ حَولَ متَّى ٢٠. ٣. ١– ٢.[٢٠]

الأَصْغَرُ فِي المَلَكُوتِ. كَاتِبٌ مَجْهُولٌ: إِنَّ بِرَّ عُلَمَاءِ الشَّرِيعَةِ وَالفَرِّيسيِّينَ يُوجَدُ في وَصَايَا مُوسَى، بَيْنَمَا يُوجَدُ إِتْمَامُ تِلْكَ الوَصَايَا في وَصَايَا المَسِيحِ. هَذا مَا يَقُولُه: لا يَدْخُلُ المَرْءُ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ مَا لَمْ يُتِمَّ رُسُومِي هَذِه الَّتي هِيَ غَيْرُ مُهِمَّةٍ في اعْتِقَادِ النَّاسِ إِضَافَةً إِلَى وَصَايَا الشَّرِيعَةِ. فَوصَايَا الشَّرِيعَةِ تُحَرِّرُ المَرْءَ مِنَ العُقُوبَةِ المَفْرُوضَةِ عَلَى مُتَجَاوِزِي الشَّرِيعَةِ، لَكِنَّها لا تُدْخِلُهُ المَلَكُوتَ. أَمَّا وَصَايَا المَسِيحِ فَتُحَرِّرُ المرءَ مِنَ العُقُوبَةِ وَتُدْخِلُهُ المَلَكُوتَ. وَفِي شَأْنِ عَدمِ إِلْغَاءِ الشَّرِيعةِ وَعدمِ الحِفَاظِ عَلَى أَصْغَرِ هَذِهِ الوَصَايَا يَقُولُ لِمُخَالِفِ الشَّرِيعَةِ: «مَنْ يُخَالِفْ وَصيَّةً مِنْ أَصغَرِ هذِهِ الوَصَايَا يُدْعَ صَغِيرًا في مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ». أَيْ لَوْ كَانَ المَرْءُ صَغِيرًا فَإِنَّه يَبْقَى في المَلَكُوتِ. لَكِنْ لِمَاذَا يَقُولُ عَنْ غيرِ المُتَقَيِّدِينَ بِالشَّرِيعَةِ إِنَّه مَا لم يَزِدْ بِرُّ المَسِيحِيِّ عَلَى بِرِّ عُلَمَاءِ الشَّرِيعةِ وَالفَرِّيسيِّين، فَإِنَّه لَنْ يَدْخُلَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ؟ مَنْ لا يَدْخُلُ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ كَانَ خَارِجَه. في هَذَا الأَمرِ، لاحِظْ أَنَّ الأَصْغَرَ في المَلَكُوتِ هُوَ كَمَن لا يَدخُلُهُ. أن يكونَ أحدُهم في المَلَكُوتِ لا يَعْنِي أَنَّهُ يَمْلُكُ مَعَ المَسِيحِ، بَلْ أَنَّهُ يَكُونُ في عِدَادِ شَعْبِه. وَكَأَنَّه قَالَ: مَنْ لا يَحْفَظِ الشَّرِيعَةَ، مَعْ أَنَّه يُعَلِّمُها، يَكُنْ حقًّا في عِدَادِ المَسِيحِيِّينَ، لَكِنَّه سيَكُونُ أَصْغَرَهم، أَو بَيْنَ الأَصَاغِرِ مِنْهُم. أَمَّا مَنْ يَدخُلُ المَلَكُوتَ فإِنَّه سيُشَارِكُ فِيه مَعَ المَسِيحِ، كَمَا يُقَالُ في مَكَانٍ آخر حَوْلَ الخَادِمِ الصَّالِحِ: «أُدْخُلْ فَرَحَ رَبِّكَ»[٢١] أَيِ إِفْرَحْ مَعَ رَبِّكَ. فَمَنْ لا يَدْخُلُ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ لَنْ يَمْتَلِك مَجْدَ مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ، وَلَوْ أَنَّه كَانَ فِيهِ، أَيْ في عِدَادِ الَّذِينَ يَسُودُ المَسِيحُ مَلِكُ السَّمَاوَاتِ عَلَيهم. عَمَلٌ غيرُ كَامِلٍ حَوْلَ متّى، الموعظة ٢.[٢٢]

---

(٢٠) 392:a9 LCC

(٢١) متّى ٢٥: ٢١.

(٢٢) 986:65 GP

٥:٢١-٢٦ المَثَلُ الأَوَّلُ عَنِ الرُّوحِ الجَدِيدَةِ: الغَضَبُ والمُصَالَحَةُ

[٢١]سَمِعتُم أنَّهُ قِيلَ للأقدمين: لا تَقتُلْ، فمَنْ يقتُلْ يَسْتَوْجِبْ حُكْمَ القاضي. [٢٢]أمّا أنا فأقولُ لكُم: مَنْ غَضِبَ على أخيهِ استوجَبَ الدَّينونةَ، ومَنْ قالَ لأخيهِ: «يا سافِلُ» («راقا»)[أ] استوجبَ حُكمَ المجلسِ، ومَنْ قالَ لَه: «يا أحمقُ» استوجَبَ نارَ جهنَّمَ. [٢٣]وإذا كُنتَ تُقدِّمُ قُربانَكَ إلى المَذبحِ وتذكَّرتَ هُناكَ أنَّ لأخيكَ شيئًا عليكَ، [٢٤]فاترُكْ قُربانَكَ عِندَ المَذبحِ هُناكَ، واذهَبْ أوَّلاً وصالِحْ أخاكَ، ثُمَّ تَعالَ وقَدِّم قُربانَكَ. [٢٥]سارِعْ إلى إرْضاءِ خصمِكَ ما دُمْتَ معهُ في الطَّريقِ، لِئلاّ يُسلِّمَكَ الخَصمُ إلى القاضي، والقاضي إلى الشُّرطيِّ، فتُلقى في السِّجنِ. [٢٦]الحقَّ أقولُ لكَ: لن تخرُجَ مِنْ هُناكَ حتَّى توفي آخِرَ دِرهَمٍ.

(أ) لعلَّ اللفظةَ العبريّة «راقا» قريبةٌ من لفظةِ «رقيع» في العربيّة.

نَظْرَةٌ عَامَّةٌ: اشتمَلَتْ وَصِيَّةُ المسِيحِ عَلَى الشَّرِيعَةِ، أَمَّا الشَّرِيعَةُ فَلا تَشْتَمِلُ عَلَى وَصِيَّةِ المَسِيحِ (كَاتِبٌ مَجْهُولٌ). فِيمَا تَأْمُرُنا الشَّرِيعَةُ القَدِيمةُ بِأَنْ لا نَقْتُلَ، يَأْمُرُنا الإِنْجِيلُ بِأَنْ لا نُغْضِبَ أَحَدًا بِدُونِ سَبَبٍ، لِكَي نُزِيلَ مِنْ قُلُوبِنَا كُلَّ جَذْرٍ للخَطِيئَةِ (كروماتيوس). وَكَأَنَّ يسوعَ يَقُولُ لِتِلْمِيذٍ غَلِيظِ الذِّهْنِ: «إِنَّكَ قَضَيتَ وَقْتًا كَافِيًا تَتَعَلَّمُ فِيهِ هَذِه الدُّرُوس. وَالآنَ هَا وَقْتٌ تُركِّزُ فِيهِ عَلَى دُرُوسٍ أَسْمَى مِنْ تِلكَ» (الذَّهَبيُّ الفَم). مَنْ بكَّتَ شَخْصًا مُمْتَلِئًا مِنَ الرُّوحِ القُدُسِ وَاتَّهَمَه بِأَنَّهُ سَقِيمُ الفَهْمِ أَصْبَحَ مَسْؤُولاً أَمَامَ مَجْمَعِ القِدِّيسِينَ (هيلاريون). فَاللهُ النَّاظِرُ إِلَى نَوايَا المرءِ يَأْتِي إِلَى مَجْمَعِ القِدِّيسِينَ بِمَن يَسْتَوجِبُ الدَّيْنُونَةَ لِسُخْرِهِ مِن أَخِيهِ، لأَنَّ كُلَّ سُخْرِيَةٍ مُوجَّهَةٍ ضِدَّ شَخْصٍ وَاحِدٍ تَرتَدُّ إِلَى الجَمِيعِ (خريسولوغوس). مَا مِنْ بَشَرٍ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَصُونَ لِسَانَه، ولِذَلِكَ يَجِبُ أَنْ نَنْظُرَ إِلَى اللهِ الَّذي يَصُونُهُ (أوغسطين). لَمَّا أَطْلَقَ الرَّبُّ

نَفْسُه لَقبَ الحمَاقةِ على غيْرِ الأبْرارِ كَانَ علَى حقٍّ، فَإِنَّه لَمْ يفْعَلْ ذلِك عَنْ غضبٍ، بَلْ مِنْ أَجْلِ إحْقَاقِ الحقِّ (ثيودور المبسوستيّ).
لا يكُونُ القُربَانُ المُقدَّمُ إلى اللهِ مقْبُولاً إلاَّ إذَا طَرَحَ المرْءُ الغَضَبَ جَانِبًا وصَالَحَ أخَاهُ (كروماتيوس). فَالحَاقِدُ يُشْبِهُ القَاتِلَ (ثيودور أسقف هيراقلية). إنَّ المَسِيحَ لا يقْبلُ ذَبيحَةَ العِبادَةِ بدُونِ ذَبيحَةِ المحبَّةِ. إنَّه يُرسِلُكَ لتُصَالِحَ أخَاكَ لا قَبْلَ تقْدِيمِ الذَّبيحَةِ أو بعْدَهَا، بلْ عِنْدمَا تكُونُ الذَّبيحَةُ مُهيَّأةً لأنْ تُقدَّمَ (الذَّهبيُّ الفَم). مَنْ لا يحبُّ أخَاهُ لا يحبُّ الرَّبَّ (كيرلُس الإسكندريّ).
فَلْيأْتِ السَّلامُ الأخويُّ أوّلاً، قَبْلَ أنْ يقْتَرِبَ المرْءُ مِنَ المذْبحِ (جيروم، أوغسطين). أنْتَ أوَّلُ مَنْ تطْلُبُ الغفْرانَ (كَاتِبٌ مَجْهُولٌ). فإذا كُنْتَ لا تُصَالِحُ خصْمَك وأوْدتْ بكُمَا المنيَّةُ ومثَلْتُمَا أمَامَ المسِيحِ القَاضِي، فإنَّكمَا للحِينِ ستُدَانَان (كَاتِبٌ مَجْهُولٌ). وإذا تَصَامَمْتَ عَنْ صَوتِ ضَميرِك وَضَعْتَ نفْسَكَ في مَخَاطِرَ مُهْلِكَةٍ (أوريجنّس). فَالرُّوحُ القُدُسُ يُوبِّخُكَ عبر ضَميرِك (كروماتيوس).
لا تُؤجِّلِ المُصَالحَةَ مَعَ الآخرين لِئَلاَّ يذهَبَ الخُلْفُ بَيْنَكُمَا كُلَّ مَذْهَبٍ (الذَّهبيُّ الفَم، جيروم). أزِلْ نيَّةَ الخَطِيئَةِ قَبْلَ أنْ تُقْدِمَ عليْهَا (أوريجنّس).

٥: ٢١ وَصِيَّةُ القُدَمَاءِ بعَدَمِ القَتْلِ

قِيلَ للأقْدَمِينَ. الذَّهبيُّ الفَم: كَانَ هُوَ نَفْسُه الَّذي سَنَّ هذِه الشَّرائعَ. إنَّمَا يُورِدُهَا الآنَ بصِيغَةٍ لا شَخْصيَّةٍ. فَلَوْ قَالَ «قَدْ سَمِعتم أنّي قُلْتُ للأقْدَمِينَ» لَكَانَ قَوْلُهُ عَسِرَ القَبُولِ يَتَجَافَاهُ السَّامِعُونَ. وَلَوْ قَالَ أيضًا: «قَدْ سَمِعْتُم أنَّ أبي قَالَ للقُدَمَاءِ» ثُمَّ أضَافَ: «أمَّا أنَا فَأقُولُ لكُم» لبدا مُتَبَجِّحًا بنفْسِه.
إنَّهُ يَذْكُرُ الوَصِيَّةَ ببَسَاطَةٍ ليُعِدَّهُم لهَا مُظْهِرًا أنَّ وَقْتَ إيضَاحِهَا قَدْ أتَى. وَبعِبَارَةِ «قِيلَ للأقْدَمِين» يُشِيرُ إلى طُولِ الزَّمَانِ الَّذي تسَلَّمُوا فيه هذِه الوَصِيَّةَ، فيُخْجِلُ السَّامِعَ الَّذي يكُفُّ عَنِ التَّقدُّمِ إلى مَرْتَبةٍ أسْمَى مِنَ الوصَايَا. تكلَّمَ يَسوعُ كمُعلِّمٍ لتلاميذَ مُتوانِينَ، كمَا لوْ أنَّه قَالَ: «مَا أطْوَلَ الزَّمَانَ الذي قَضَيْتُمُوه في تَلَقُّنِ هذِه الدُّرُوس. إنَّه ألْمَعَ إلى ذلِكَ عبر اسمِ القُدَمَاءِ، دَاعِيًا إيَّاهُم إلى تَعَاليمَ أسْمَى قَائلاً: إنَّكُمْ قَضَيْتُمْ على دِرَاسَتِهَا الوَقْتَ الكَافِي، فَمِنَ الآنَ وصَاعِدًا عليكُم أنْ تَلِجُوا أكثرَ على مَا هُوَ أسْمَى مِنْ تِلْكَ الوَصَايَا».
حَسَنًا. إنَّه لَمْ يُفْسِدْ تَرْتِيبَ الوصَايَا، إنَّمَا يَبْدَأُ أوّلاً بمَا بَدأتْ به الشَّريعَةُ أوَّلاً. وَهذَا يُظْهِرُ التَّجَانُسَ بيْنَهُمَا. إنجيل متَّى، الموعظة ١٦. ٥.[1]

[1] 801:01 1 FNPN ;542:75 GP

المَعْنَى العَمِيقُ للشَّرِيعَةِ. كروماتيوس: هَذا مَا قَالَهُ الرَّبُّ: «لَمْ آتِ لأُبْطِلَ الشَّرِيعَةَ، بَلْ لأُتمِّمَ». بِتَعْبِيرٍ آخر، إنِّي أَتيتُ لأُبرزَ مَا كَانَ يُعْتَبرُ صَغِيرًا جدًّا؛ أي، لأُصْلِحَ رُسُومِ الشَّرِيعةِ.

لِهَذا السَّبَبِ يقُولُ الرَّسُولُ المُقَدَّسُ: «أَفَنُبْطِلُ الشَّرِيعَةَ بِالإِيمَانِ؟ مَعَاذَ اللهُ! بَلْ نُثبِّتُ الشَّرِيعَةَ».[٢] . . . تَأْمُرُنَا الشَّرِيعَةُ بِأَلاَّ نَقْتُلَ. ويَأْمُرُنا الإنجِيلُ بِأَلاَّ نَغْضَبَ بِدُونِ سَبَبٍ، لِنَقْتَلِعَ كُلَّ جِذْرٍ للخَطِيئَةِ مِنْ قُلُوبِنا، لأَنَّ الغَضَبَ قَدْ يقُودُنا إِلَى القَتْلِ. موعِظَةٌ حَولَ متّى ٢١. ١. ١- ٢.[٣]

وَصِيَّةُ المَسِيحِ أَرْحَبُ مِنَ الشَّرِيعَةِ. كَاتِبٌ مجْهُولٌ: إنَّ إِتْمَامَ الشَّرِيعَةِ، بِحَسَبِ الظُّرُوفِ، يَقَعُ طَبِيعِيًّا في مَكَانِهِ. وَلَمَّا فَعَلَ المَسِيحُ هَذِهِ الأَشْيَاءَ وَعَلَّمَ بِهَا لَمْ يُبْطِلِ الشَّرِيعَةَ. فَوَصِيَّةُ المَسِيحِ لا تُخَالِفُ الشَّرِيعَةَ، بَلْ هِيَ أَرْحَبُ مِنْهَا. اشتَمَلَتْ وَصِيَّةُ المَسِيحِ عَلَى الشَّرِيعَةِ، غَيرَ أَنَّ الشَّرِيعَةَ لا تَشْتَمِلُ عَلَى وَصِيَّةِ المَسِيحِ. لِذَلِكَ، مَنْ أَتمَّ وَصَايَا المَسِيحِ أَتمَّ ضِمْنًا وَصِيَّةَ الشَّرِيعَةِ. وَمَنْ لا يَغْضَبُ قَلَّمَا يُقْدِمُ عَلَى القَتْلِ. لَكِنْ، مَنْ يُتِمُّ مَا تَأْمُر بِهِ الشَّرِيعَةُ لا يُتَمِّمُ مَا يَأْمُرُ بِه المَسِيحُ. غَالِبًا لا يُقْدِمُ المَرْءُ عَلَى القَتْلِ بِسَبَبِ الخَوْفِ مِنَ الانتِقَامِ، إنَّمَا لأَنَّه غَاضِبٌ. هَلْ تَرَى أَنَّ الشَّرِيعَةَ المُتَمِّمَةَ هي ذَاتُ فَائدَةٍ عَظِيمَةٍ، لأَنَّها لَمْ تُبْطَلْ؟ نَتِيجَةً لِذَلِكَ، لا يُمْكِنُ لِوَصَايَا الشَّرِيعَةِ، مُسْتَقِلَّةً عَنْ وَصَايَا المَسِيحِ، أَنْ تَظَلَّ فَاعِلَةً. فَإِذا أَبَاحَتِ الحُرِّيَّةُ للمَرْءِ أَنْ يَكُونَ غَاضِبًا، فَهِي تَقُودُ إِلَى القَتلِ، لأَنَّ القَتْلَ يَنْتُجُ مِنَ الغَضَبِ. بِإِطْفَاءِ ثَوْرَةِ الغَضَبِ يَنْتَفِي القَتْلُ. لِذَلِكَ مَنْ غَضِبَ بِدُونِ سَبَبٍ مَارَسَ القَتْلَ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الإِرادَةِ، حتَّى لو لَمْ يَقْتُلْ خَوْفًا مِنَ الانتِقَامِ. غَيرَ أَنَّ النَّدَمَ عَلَيْهِ لا يكُونُ كَأَنَّه قَتلٌ، لَكِنَّ خَطِيئَةً كَهذِهِ تُمَاثِلُ خَطِيئَةَ الغَاضِبِ. هَكَذا يَقُولُ يُوحنّا في رِسَالتِهِ القَانُونِيَّةِ: «مَنْ أَبْغَضَ أَخَاهُ بدونِ سَبَبٍ فَهُوَ قَاتِلٌ».[٤] أُنْظُرْ إِلَى حِكْمَةِ المَسِيحِ. لَمَّا أَرادَ أَنْ يُظْهِرَ أَنَّه هُوَ اللهُ المُتَكَلِّمُ مِنْ قَبْلُ في الشَّرِيعَةِ والآمِرُ الآنَ بِالنِّعْمَةِ سَنَّ تِلْكَ الوَصِيَّةَ قَبْلَ كُلِّ وَصِيَّةٍ أُخْرَى في الشَّرِيعَةِ. إِنَّهُ يَضَعُهَا في رَأْسِ وَصَايَاه. لَقَدْ كَتَبَ أَوَّلاً في الشَّرِيعَةِ: «لا تَقْتُلْ».[٥] وَلِلْحَالِ يَبْدَأُ بِوَصِيَّةِ الامتِنَاعِ عَنِ القَتْلِ لِيُظْهِرَ، عبر انسجَامِ الوَصَايا، أَنَّه هُوَ

[٢] (رومية ٣: ٣١).
[٣] LCC 9a: 592
[٤] ١ يوحنّا ٣: ١٥.
[٥] خروج ٢٠: ١٣.

الَّذي سَنَّ الشَّرِيعَةَ وَأَعْطَى النِّعْمَةَ. «مَنْ غَضِبَ عَلَى أَخِيهِ بِلا سَبَبٍ اسْتَوْجَبَ الدَّيْنُونَةَ».[6] لذلِكَ مَنْ غَضِبَ بِسَبَبٍ لا يكُونُ مَسؤُولاً أَمَامَ الشَّرِيعَةِ. لَو لَمْ يكُنْ هُنَاكَ غَضَبٌ، لَكَانَ التَّعْلِيمُ بلا فَائدَةٍ، ولَمَا كَانَتِ الرُّسُومُ ضَرورِيَّةً، ولَمَا كُبِحَتِ الأَعْمَالُ الإجراميَّةُ. الغَضَبُ العَادِلُ أُمُّ التَّأْدِيبِ. فَالَّذِين يَغْضَبُون عَنْ سَبَبٍ لا يَخْطَأُون، وليسَ هذا فَحَسْب، بَلْ يَخْطَأُونَ إذَا لَمْ يَغْضَبُوا. فَضلاً عَنْ ذلِكَ، فَالصَّبْرُ اللاعَقْلانِيُّ يَزْرَعُ بُذُورَ الرَّذِيلَةِ، ويُغذّي الإهْمَالَ ويُشَجِّعُ الشرّير والصَّالحَ مَعًا عَلى فِعْلِ الشَّرِ. بالرَّغْمِ مِنْ تَبْكِيتِ اللّه للشرّير، فإنَّه لا يُغيِّرُ أَسَالِيبَه؛ لَكِنَّ الصَّالِحَ، مَا لَمْ يُوبَّخ، يُصابُ بالأذى، لأنَّ الشَّرَّ يسُودُ جَسَده لا الخَيْر. الغَضَبُ لسَبَبٍ مُعيَّنٍ لَيْسَ غَضبًا، بَلْ إدانَةً. عَمَلٌ غَيرُ كَامِلٍ حَوْلَ مَتَّى، الموعظة ٢.[7]

٥:٢٢ يَسْتَحِقُّ الدَّيْنُونَة

إدانَةُ الحَمَاقَة. هيلاريون: «مَنْ قَالَ لأَخِيهِ: "يَا سَافِلُ" (راقا) اسْتَوْجَبَ حُكْمَ المَجْلِسِ»، ومَنْ بَكَّتَ بِحَمَاقَةٍ مَنْ هُوَ مُمْتَلِئٌ مِنَ الرُّوحِ القُدُسِ اسْتَحَقَّ الدَّيْنُونَةَ أَمَامَ مَجْمَعِ القِدِّيسِين. أَمَّا التَّكْفِيرُ عَنْ هذا الغَضَبِ ضِدَّ الرُّوحِ القُدُسِ فَيَتِمُّ بأَنْ يُنْزِلَ القُضَاةُ القِدِّيسونَ العُقُوبَةَ بِمَنْ جَدَّفَ. «ومَنْ قَالَ لَه: "يَا مُعَتَّه" اسْتَوْجَبَ نَارَ جَهنَّم»... هكَذا مَا لا تَدِينُه الشَّرِيعَةُ مِنْ أَعمَالِ المَرْءِ، يُوبِّخُه إيمَانُ الإنجِيلِ بسببِ استِعْدَادِه لاسْتِعْمَالِ كلامٍ مُهِينٍ. في متّى ٤. ١٧.[8]

السَّيْطَرَةُ عَلَى اللِّسَانِ. أوغسطين: ماذا نَفْعَلُ؟ مَنْ قَالَ «يَا مُعَتَّه» اسْتَوْجَبَ نَارَ جَهَنَّم. «لكِنْ مَا مِن امرئٍ يَسْتَطِيعُ السَّيْطَرة عَلى لِسَانِه. فَهَلْ سَيكُونُ مَصِيرُ كُلِّ إنْسَانٍ فِي نَارِ جَهنَّم؟ كلا. «يَا رَبُّ مِنْ جِيلٍ إلى جِيلٍ كُنْتَ مَلْجَأً لَنَا»[9] أَنْتَ عَادِلٌ.... «أَينَ أَفِرُّ مِنْ رُوحِكَ؟ وَأَينَ أَهْرُبُ مِنْ وَجْهِك»[10] سوى إلَيْكَ؟ هكَذا دَعُونا نَفْهَم، أَيُّها الأحبَّاء، أنه إذا لَمْ يَتَمكَّن المرءُ من السَّيْطَرةِ على لسانِهِ، فلْيَلْجَأْ إلى اللّه لِيلْجِمَهُ لَهُ. هَلْ تَحْرِمُكَ طبيعتُكَ البشريَّةُ مِن السَّيْطَرةِ على لسانِكَ؟ «مَا مِنْ أحدٍ يَسْتطِيعُ أَنْ يَقْمَعَ لِسَانَه».[11] تَعَلَّمْ هذا التَّشبيهَ من الحيوانَاتِ الَّتي

---

[6] متّى ٥: ٢٢.
[7] PG 56:686-90
[8] SC 254:136
[9] مزمور ٩٠: ١ (٨٩: ١).
[10] مزمور ١٣٩: ٧ (١٣٨: ٧).
[11] يعقوب ٣: ٨.

نُروِّضُها. الحِصانُ لا يُروِّضُ نَفْسَه؛ وَلا الجَمَلُ؛ وَلا الفِيلُ؛ وَلا الأَفْعى؛ وَلا الأَسَد. وَالإِنسانُ لا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُرَوِّضَ نفْسَه. فَلِكَي تُرَوِّضَ حِصانًا، وثَوْرًا، وَجَمَلاً، وَفِيلاً، وَأَسَدًا وَأَفْعى، فَلا بُدَّ لكَ مِنْ وُجُودِ الإِنْسان. لذَلِكَ لا بُدَّ مِنْ وُجُودِ الله لتَرْويضِ الإِنْسان. الموعظة ٥٥. ٢.[١٢]

اطرَحُوا الغَضَبَ جَانِبًا. كروماتيوس: إنَّنا نَعْرِفُ مِمَّا تقَدَّمَ كَمْ يُثَمِّنُ الرَّبُّ المحبَّةَ الأَخَوِيَّةَ وَيُولِيها حَقَّ قَدْرِها، إِنَّه يُصارِحُنَا بأَنَّ القُرْبانَ الَّذي يُقدِّمُه المرءُ إِلَى اللهِ لَيْسَ مَقْبُولاً ما لَمْ يَطْرَحِ الغضَبَ جَانِبًا، ويُصالِحْ أَخاهُ.

فَضْلاً عَنْ ذَلِكَ، نَتَعَلَّمُ أَنَّ التَّقْدِمَةَ الَّتي قَدَّمَها قايينُ لله رُفِضَتْ. لَقَدْ تَثاقَلَ عَنْ مَحبَّةِ أَخِيهِ، لأَنَّهُ كَانَ يُضْمِرُ الغضَبَ في قَلْبِه. إِذًا، لسَبَبٍ وَجِيهٍ يُشِيرُ الرَّبُّ في أَماكِنَ عَدِيدَةٍ مِنَ الإِنْجِيلِ إِلى الضَّرُورَةِ القُصْوى للصَّداقَةِ الأَخَوِيَّةِ فَيَقُولُ: «أُعْطِيكُم وَصِيَّةً جَدِيدَةً: أَحِبُّوا بَعْضُكم بَعْضًا».[١٣] وَيَقُولُ أَيْضًا: «فَإِذَا أَحْبَبْتُم بَعْضُكُمْ بَعْضًا، يَعْرِفُ النَّاسُ جَمِيعًا أَنَّكُم تَلامِيذي».[١٤] حَقًّا تَكَلَّمَ الرَّبُّ عَلَى لسَانِ زَكريّا قائلاً: «إِقضُوا بالعَدْلِ وَأَظْهِروا اللُّطْفَ وَالرَّحْمَةَ، الأَخُ لأَخِيهِ».[١٥] وَعَلى لِسانِ داودَ أَعْلَنَ كَذَلِكَ: «كُفَّ عَنِ الغَضَبِ وَدَعِ السُّخْطَ».[١٦] مواعظ حَولَ متّى ٢١. ٣. ١-٣.[١٧]

الغُلُوّ في الظَّرْف. ثيودور أُسقف هيراقليه. قَالَ شَيْئَين: «مَنْ قَال «يَا سَافِلُ» وَمَنْ قَالَ «يَا مُعتَّه» لِيَتَنَاوَلَ حَماقَةَ النَّفْس، وَ«حَقارَةَ» الجَسَدِ. وبِهَذا يُرِيدُ القَوْلَ إِنَّ هُنَاكَ مَنْ يَتَعالى مُتَصلِّفًا عَلى إِخْوَتِه في الإِيمَانِ ويَكْرَهُهم وَيَبْتَعِدُ عَنْهُم أَو يَنْظُرُ إِلَيْهِم بعَيْنِ الاحتِقارِ، ويَمُرُّ بِهِم مُتَجاهِلاً إِيَّاهُم وَكَأَنَّهم لَيْسُوا جَدِيرِينَ بنَظْرَةِ عَطْفٍ وَاحِدَةٍ. إِنَّ هَذَا التَّعالي نَاشِئٌ عِنْدَهُ عَنْ أَفْضَلِيَّةِ الجَسَدِ أَو النَّفْسِ وَلِذَلِكَ يَحْتَقِرُ إِخْوَتَه الأَدْنى مِنْه. يَقولُ يَسوعُ إِنَّ شَخْصًا كَهَذَا لا يَنجُو مِنَ الدَّيْنُونَةِ؛ فَالحَاقِدُ يُشابِهُ القَاتِلَ. كَانَ مِنَ الوَاجِبِ عَلى شَخْصٍ كَهَذا أَنْ يُحِبَّ الآخَرينَ بسَبَبِ إِيمَانِهِمُ المُشْتَرَكِ، مَعَ أَنَّ طَبِيعَتَهُمُ البَشَرِيَّةَ المُشْتَرَكَةَ هِيَ سَبَبٌ كَافٍ لإِقْنَاعِهِم بأَنْ يَكُونُوا مُوحَّدِينَ في الصَّداقَةِ. المقطع ٢٧.[١٨]

---

[١٢] LP 83: 573; CF 11: 432

[١٣] يوحنّا ١٣: ٣٤.

[١٤] يوحنّا ١٣: ٣٥.

[١٥] زكريّا ٨: ١٦-١٧.

[١٦] مزمور ٣٧: ٨ (٣٦: ٨).

[١٧] LCC 9a: 792-89

[١٨] KGKM 46

السُّخْرِيَةُ مِنَ المؤمِنِ هي كالسُّخْرِيَةِ مِـن حِكْمَةِ الله. بُطرس خريسولوغوس: «مَنْ قَالَ لأَخِيهِ: "يَا سَافِل"[١٩] استَوْجَبَ حُكْمَ المَجْلِس». يَا إِخْوَتِي، إِنَّ لَفْظَةَ «راقا» لَيْسَتْ مُجَرَّدَ لَفْظَةٍ، بَلْ هي تَهَكُّمٌ وَشَتِيمَةٌ أَيضًا. إنَّها تظْهَرُ عَادَةً عبر الزَّور، أَو شَمَمِ الأَنفِ أَو النَّحْنَحَةِ في الصَّوتِ، فَيُلَفِّقُ الإِهَانَةَ جَاعِلاً حَجْمَ الإِسَاءَةِ مَجْهُولاً. لَكِنَّ الله النَّاظِرَ إِلَى نَوَايَا المرءِ يَأْتِي بِمَن يَسْتَوجِبُ الدَّينُونَةَ، لِسُخْرِه مِنْ أَخِيه، إِلى مَجْمَعِ القِدِّيسِين. السُّخْرِيَةُ المُوجَّهَةُ ضِدَّ شَخْصٍ واحِدٍ تَرتَدُّ إِلَى الجميعِ. فَيَمْتَدُّ شَرْطُ وصْلِ المَرْءِ إِلَى الجسدِ، وينتَقِلُ أَلَمُ الجسدِ إِلَى الرَّأْس. فَمَا سَبَبَ المُسْتَهْزِئُ لأَخِيه مِنْ بَلاءٍ، سيُدْرِكُه وينْدمُ عَلَيهِ في المَجْمَعِ السَّمَاوِيِّ، أَيْ أَنَّ نَوايَاه وَصَلَتْ إِلَى الله.

لِذَلِكَ مَنْ «قَالَ: "يَا مُعَتَّه!" استَوْجَبَ نَارَ جَهنَّم». مَا يُخْفِيه السَّاخِطُ في قَلْبِهِ، وَمَا يَسْتُرُه السَّاخِرُ في صَوتِه، يَضَعُه المُغْتَابُ في كَلِمَاتٍ. هَكَذا يُحَاسَبُ المرْءُ، عَلَى الشَّتِيمَةِ المُوجَّهَةِ إِلَى الإِخْوَةِ، بِنَارِ جَهنَّم. فَدَيْنُونَةُ الخَطَايَا المَخْفِيَّةِ تَتَوَقَّفُ عَلَى قَرارِ المُخَلِّص، فيُصْدِرُ الحُكْمَ العَادِلَ بِنَاءً عَلَى تَفَحُّصِ الأَسْبَابِ. وَالوَاضِحُ أَنَّ الجَرِيمَةَ الظَّاهِرَةَ تُؤَدِّي إِلَى العِقَابِ. لَكِنْ رُبَّ سَائِلٍ يَسْأَلُ: «مَا أَعْظَمَ قُوَّةَ الكَلِمَةِ، بحيث إِنَّ كُلَّ مَنْ قَالَ لأَخِيهِ: "يَا مُعَتَّه!" يُلاقي عُقُوبَةً صَارِمَةً؟» عَظِيمَةٌ هِيَ الكَلِمَةُ، يَا إِخْوَتِي، عَظِيمَةٌ جِدًّا، لأَنَّ المَسِيحَ هُوَ في أَخِيكَ، وَالمَسِيحُ هُوَ حِكْمَةُ الله. لذلِكَ مَنْ قَالَ لأَخِيهِ «يَا مُعَتَّه»! قَدْ سَخِرَ مِنْ حِكْمَةِ الله. المواعظ ١٧٧. ٦- ٧.[٢٠]

الحقُّ يَتَحَدَّثُ عَنِ الحَمْقَى. ثيودور المبسوستيّ: إنّ يسوع، في كلامِهِ عَلَى الدَّينُونَةِ وَالمَجْلِسِ وَجَهَنَّمِ النَّارِ، يُشِيرُ إِلَى العَذَابِ عينه. إِنَّه لا يُشِيرُ إِلَى أُمُورٍ مُخْتَلِفَةٍ عبر اختِلافِ الأَلْفَاظِ، أَو إِلَى العِقَابِ المُخْتَلِفِ. إِذَا كَانَ لا يَجُوزُ لَنَا أَنْ نُسَمِّيَ أَحَدًا أَحْمَقَ، فَلِمَاذَا يَسْتَعْمِلُ الرَّبُّ نَفْسُهُ تَعْبِيرَ الحَمْقَى؟ إِنَّه لا يَلِيقُ بِنَا أَنْ نُسَمِّيَ الأَخَ أَحمَق، لأَنَّ هَذِهِ التسمية تَصْدُرُ عَنْ غَضَبٍ لا عَنْ بِرٍّ. وَمِنَ الإِثْمِ أَنْ تُطْلَقَ عَلَى مَنْ هُوَ قِدِّيسٌ. لَكِنَّ الرَّبَّ يُسَمِّي، عَنْ حَقٍّ، غَيْرَ الأَبْرَارِ وَالمُنَاوِئِينَ لَه حَمْقَى. إِنَّه لا يَفْعَلُ ذَلِكَ بِدَافِعِ الغَضَبِ، بَلْ مِنْ أَجْلِ الحَقِّ. وَأَيضًا فَإِنَّ جَهنَّمَ هُوَ مَكَانُ العِقَابِ الأَبَدِيِّ الجَهَنَّمِيِّ. المقطع ٢٨.[٢١]

---

[١٩] لعلّ اللفظة العبريّة «راقا» قريبة من لفظة «رقيع» في العربيّة.

[٢٠] LCC b42: 77-6701

[٢١] KGKM 601

٢٣:٥ وَإذَا كُنتَ تُقدِّمُ قُربانَكَ إلى المذبَحِ

هُنـاكَ تـذكُر أخـاك. الذَّهـبيُّ الفَم: يَا لصَلاحِهِ، يَا لِمَحبَّتِه الفَائقَةِ البَشر! إنَّه يَزْدري بالكَرامةَ اللائِقَة به مِنْ أجْلِ مَحبَّتِنَا قَريبِنَا، دَالاً علَى أنَّه لم يَنْطُقْ بهَذِه التَّهْدِيدَاتِ السَّابقَةِ بدَافعٍ مِنْ عَداوةٍ أو رَغْبَةٍ في إنْزَالِ العِقَابِ، إنَّمَا عَنْ وُدٍّ رَقيقٍ جِدًا. هلْ هُنَاكَ كَلامٌ أكْثرُ رِقَّةً مِنْ هَذا؟ يقولُ: «فَلْتَتَوقَّفْ عِبادتِي كَي تَسْتَمِرَّ مَحبَّتُكَ. المُصالَحةُ مَعْ أَخِيكَ هِيَ ذَبِيحَةٌ أيضًا». لِهَذا السَّببِ لَمْ يَقُلْ قبْلَ التَّقْدِمةِ أو بعْدَها، بَلْ حِينما تَضعُ القُرْبانَ هُنَاكَ، يُرْسِلُكَ لتُصَالِحَ أخَاك عِنْد بَدْءِ الذَّبيحَةِ.

لأيِّ سَببٍ يأمُرُنا بفِعْلِ ذلكَ ولِمَاذا؟ يَبْدُو لِي أنَّ هُنَاكَ شَيْئَين يُلْمِعُ إلَيْهِما وَيعِدُهُمَا. أوَّلاً، كمَا قُلْتُ، إنَّ رَغْبَته هيَ أنْ يُشِيرَ إلَى أنَّه يُقدِّرُ المحبَّةَ حقَّ قَدْرِهَا، وَيعْتَبرُها الذَّبيحَةَ العُظْمَى، وَأنَّه بدُونِهَا لا يَقْبَلُ الذَّبيحَةَ الأُخْرَى. ثانِيًا يَفْرضُ ضَرُورَةَ المُصَالَحةِ. لِهَذَا يُسْرِعُ إلى إزالةِ العداوةِ مَنْ يُوْصَى بألاَّ يُقدِّمَ القُرْبَانَ قَبْلَ مُصالَحةِ مَنْ هَامَ في أودِيَةِ الحُزنِ. وإذَا لمْ تَكُنْ هُنَاكَ مَحبَّةٌ للقَريبِ يَبْقَى القُرْبَانُ بِلا تَكْريسٍ. إنجيلُ متَى، الموعظة ١٦. ٩.[٢٢]

مَحبَّةُ الأَخِ الجَريحِ. كيرلّس الإسكندريّ: إنَّ قوْلَهُ «وإذَا كُنْتَ تُقدِّمُ قُرْبانَكَ» يُظْهِرُ أنَّ هَذَا يُفْهَمُ كَوسِيلَةٍ للخَلاصِ أو كانعِتَاقٍ مِن عِقَابِ الخَاطِئينَ. لِهذا أوْجدَ اللّه التَّوبَةَ. لَكِنَّ المرْءَ سَيتَفَادى العِقَابَ إذا بَلْسَمَ جِراحَ المحْزُونِ. إنَّ مَنْ لا يُحِبُّ أخَاهُ لا يُحِبُّ الرَّبَّ، ومَنْ لا يَقْبَلُ أخَاهُ الَّذي أحْزَنَهُ يعجزُ عَنِ الدُّنُوِّ مِنَ الرَّبِّ. المقطع ٥٠.[٢٣]

٢٤:٥ واذهَبْ أوَّلاً وَصَالِحْ أخَاكَ

إستِئصَالُ نيَّةِ الخَطيئَةِ. أوريجنّس: إنَّ المُوافَقَةَ علَى الخَطِيئَةِ شَرٌّ وَبيلٌ، لَوْ لَمْ يَقْتَرِفْها المرْءُ فِعْلاً. وَهُنَا يُبْعِدُنَا المُخلِّصُ عَنْ سَببِ الخَطَايَا، ويَسْتَأْصِلُ نيَّةَ الخَطِيئَةِ. وَعِنْدمَا لا تَكُونُ هَذه النِّيَّةُ مَوْجُودَةً في أَنْفُسِنا، فَالعَملُ بِها لا يَصْحَبُها أيضًا. المقطع ١٠٣.[٢٤]

فَلْيَأتِ السَّلامُ الأَخَوِيُّ أوَّلاً. جيروم: لَمْ يَقُلْ: «إنَّ لَكَ شَيْئًا عَلَى أَخِيكَ»، بَلْ «إنَّ لأَخِيكَ شَيئًا عَليكَ» لكَي يَفْرِض عَليكَ ضَرْورَةَ المُصَالحَةِ. إذَا كُنَّا عَاجِزينَ عَنْ

(٢٢) GP 57: 250; NPNF 1 10: 112
(٢٣) MKGK 168
(٢٤) GCS 41.1: 58

مُصَالَحَةِ أَخِينَا، فَلَسْتُ وَاثِقًا مِمَّا إِذَا كَانَ عَلَيْنَا أَنْ نُقَدِّمَ قُرْبَانَنَا لله. تفسيرُ متّى ١. ٥. ٢٣.[٢٥]

أُتْرُكْ قُرْبَانَكَ أَمَامَ الهَيْكَلِ. أوغسطين: رُوحِيًّا يُمْكِنُ فَهْمُ الإِيمانِ كَهَيْكَلٍ في قُدْسِ أَقْدَاسِ اللهِ. يُشِيرُ الهَيْكَلُ المَرْئِيُّ إِلَيه رَمْزِيًّا. فَمَا قَدَّمْنَاه إِلَى اللهِ - سَواءٌ كَانَ نُبُوَّةً، أو عَقِيدَةً، أَو صَلاةً، أَو تَرْتِيلَةً، أَو تَرْنِيمَةً مِنَ المَزَامِيرِ، أَو أَيَّةَ عَطِيَّةٍ رُوحِيَّةٍ أُخْرَى مِنْ هَذَا النَّوعِ تَخْطُرُ بِبَالِنَا - لا يَكُونُ مَقْبُولاً عِنْدَ اللهِ مَا لَمْ يُسَانِدْه إِيمانٌ صَادِقٌ ثَابِتٌ لا يَتَزَعْزَعُ. فَبِهِ يَكُونُ كَلامُنَا طَاهِرًا وَغَيرَ مُدَنَّسٍ. الموعظةُ عَلَى الجبلِ ١. ١٠. ٢٧.[٢٦]

كُنْ أَوَّلَ مَنْ يَسْأَلُ الغُفْرَانَ. كَاتِبٌ مَجْهُولٌ: لا تَقُلْ: «اعتدَى عَلَيَّ، وَأَنَا لَمْ أَعْتَدِ عَلَيْهِ. فَعَلَيْهِ أَنْ يُصَافِيَنِي، وَلَيْسَ عَلَيَّ أَنْ أُصَافِيَهُ». إِذَا أَمَرَكَ الرَّبُّ بِأَنْ تُصَادِقَ النَّاسَ مِنْ أَجْلِ خَلاصِكَ، مَعْ أَنَّكَ أَنتَ المُتَضَرِّرُ، فَيَجِبُ أَنْ تَطْلُبَ المَعْذِرَةَ، فيكُونَ لَكَ فَضْلٌ مُضَاعَفٌ: أَوَّلاً، لأَنَّكَ أَنتَ المُتَضَرِّرُ، وَثَانِيًا، لأَنَّكَ كُنْتَ الأَوَّلَ في طَلَبِ المَعْذِرَةِ. فَإِنْ كُنتَ أَنتَ المُعْتَدِي عَلَى الآخَرِ فَاطْلُبِ المَعْذِرَةَ مِنْهُ، وَالرَّبُّ يَصْفَحُ لَكَ عَنْ جُرْمِكَ، لأَنَّكَ كُنْتَ الأَوَّلَ في طَلَبِ المَعْذِرَةِ. لَكِنْ، لا مُكَافَأَةَ لَكَ إِنْ تَبَيَّنَ أَنَّكَ المُذْنِبُ وَقَدْ طَلَبْتَ المَعْذِرَةَ. لَكِنْ، إِنْ عَامَلَكَ أَحَدُهُم مُعَامَلَةً سَيِّئَةً وَكُنْتَ أَنتَ الأَوَّلَ في طَلَبِ المَعْذِرَةِ، فَإِنَّكَ سَتَنَالُ مُكَافَأَةً عَظِيمَةً. أَسْرِعْ لِتَكُونَ الأَوَّلَ في المُصَافَحَةِ. أَمَّا إِذَا تَأَخَّرتَ فَقَدْ يَكُونُ هُوَ أَوَّلَ مَنْ يَعْتَذِرُ وَقَدْ يَخْتَطِفُ مِنْ يَدَيْكَ مُكَافَأَةَ المَحَبَّةِ. فَلَو اعتَدَى عَلَيكَ وَطَلَبَ مِنْكَ المَعْذِرَةَ، تَكُونُ صَدَاقَتُكَ غيرَ مُثْمِرَةٍ. أَيَّ بِرٍّ تَمْلِكُ أَمَامَ الرَّبِّ إِنْ تَلَقَّيتَ المَعْذِرَةَ وَتَمَّ استرضَاؤُكَ؟ بِالتَّأْكِيدِ إِنَّ الرَّبَّ لا يُرِيدُ مِنْكَ أَنْ تُعَفِّرَ وجهَكَ بِالتُّرَابِ مِنْ أَجْلِ الغُفْرانِ، لَكِنْ يَأْمُرُكَ بِأَنْ تَكونَ أَوَّلَ مَنْ يَعْتَذِرُ. عَمَلٌ غيرُ كَامِلٍ حَولَ متّى، الموعظة ٢.[٢٧]

٥:٢٥ سَارِعْ إِلَى إِرْضَاءِ خَصْمِكَ

لا تُهْمِلِ الضَّمِيرَ. أوريجنّس: في هَذِه الحَيَاةِ نَعْبُرُ جَمِيعُنا هَذِه الطَّرِيقَ. فَحَسَنًا تَفْعَلُ إِنْ قَبِلْتَ إِيحَاءَاتِ الضَّمِيرِ وَلَم تَتَجَاهَلْهَا. وَلَكِنْ، إِنْ كُنْتَ مُتَهَوِّرًا في هَذِه الحَيَاةِ وَمُهْمِلاً، فَالضَّمِيرُ ذَاته يَقُومُ بِدَوْرِ المُدَّعِي، فَيَتَّهِمُكَ أَمَامَ القَاضِي. سَيَكُونُ ضَمِيرُكَ خَاضِعًا لِقَرَارِ هَيئَةِ المُحَلَّفِين،

---

(٢٥) LCC 82:77

(٢٦) LP 43: 24; CF 11: 54

(٢٧) GP 65: 296

وَستُسْلَمُ إِلَى عُقُوبَاتٍ مُهْلِكَةٍ. إِنَّكَ لَنْ تتَأَلَّمَ مِنْ هَذِه الأُمُورِ لَوْ استَعْطَفْتَ في الطَّرِيقِ المُدَّعِي عَلَيْكَ، فَتَقَبَّلْتَ عِتَابَه وَكأَنَّه مُقَدَّمٌ بِحُسْنِ نِيَّةٍ. لذَلِكَ يَقُولُ يُوحَنَّا الإِنجِيلِيُّ اللاَّهُوتِيُّ في رِسَالَتِه: «إِنْ كَانَ ضَمِيرُنَا لا يُوبِّخُنَا، أَيّها الأَحِبَّةُ، فَلَنَا ثِقَةٌ عِنْدَ اللّه». المقطع ١٠٢.[٢٨]

التَّصَاحُبُ السَّرِيعُ. الذَّهبيُّ الفم: لَمَّا ذَكَرَ الدَّيْنُونَةَ وَالمَجْلِسَ وَجَهنَّمَ وَتَحدَّثَ عَنْ ذَبيحَتِهِ، أَضَافَ قَائلاً: «سَارِعْ إِلَى إِرْضَاءِ خَصْمِكَ مَا دُمْتَ مَعَه في الطَّرِيقِ». وَلا تَقُلْ: «مَاذَا لَوْ كُنْتُ مَظْلُومًا؟ مَاذَا لَوْ كُنْتُ مُخْتَطَفًا وَمُقَادًا إِلَى المَحْكَمَةِ»؟ لقَدْ أَقْصَى السَّيِّدُ هذَا الدَّافِعَ وَهذَا العُذْرَ: إِنَّه يأْمُرُنَا بأَنْ لا نَكُونَ مُتَخَاصِمِين. وَبِمَا أَنَّ هَذَا الأَمرَ عَظِيمٌ جِدًّا، فَإِنَّه يُعْطِي المَشُورَةَ مِنَ الأُمُورِ الحَاضِرَةِ. فَضُعَفَاءُ الإِدْرَاكِ يَسْتَجِيبُونَ للأُمُورِ الحَاضِرَةِ أَكْثَرَ ممَّا يَسْتَجِيبُونَ لأُمُورِ المُسْتَقْبَلِ. فَهَلْ تَقُولُ: «إِنَّ خَصْمَكَ أَقْوَى وَقَدْ أَسَاءَ إِلَيكَ»؟ طَبْعًا، إِنَّه سَيُسِيءُ إِلَيكَ أَكثَرَ إِنْ لَمْ تُنْهِ العَدَاوَةَ، إِذ سَيَحْمِلُكَ عَلَى الذَّهَابِ إِلَى المَحْكَمَةِ. عِنْدَهَا يَكُونُ إِعْطَاؤُهُ المَالَ وَسِيلَةً للحِفَاظِ عَلَى جَسَدِكَ حُرًّا طَلِيقًا. أَمَّا إِذَا أَصْدَرَ القَاضِي حُكْمَه فَإِنَّكَ تُلْقَى في السِّجْنِ وَتَدْفَعُ غَرَامَةً كبيرةً. إِذَا تَجنَّبْتَ المَعْرَكَةَ فَإِنَّكَ ستَحْصِدُ فَائِدَتَين: أَوَّلاً، إِنَّكَ لَنْ تُعَانِيَ المَرَارَةَ. ثَانيًا، سَيَكُونُ ذَلِكَ مِنْ إِنْجَازِكَ وَلَنْ تَفْعَلَ أَيَّ شَيءٍ عُنْوةً. وَلَكِنْ، إِذَا لَمْ تَشَأْ أَنْ تَقْتَنِعَ بِهذَا الكَلامِ، فَإِنَّكَ سَتُسِيءُ إِلَى نَفْسِكَ أَكْثَرَ مِنْ إِسَاءَتِكَ لِخَصْمِك». إنجيلُ متّى، الموعظة ١٦. ١٠.[٢٩]

إِتِّهَامُ الرُّوحِ القُدُس. كروماتيوس: يَعْتَقِدُ الآخَرُون، الَّذِينَ عِنْدَهُم تَفْسِيرٌ أَكْمَلُ بِأَنَّ الخَصْمَ يَجِبُ أَنْ يُفْهَمَ هُنَا أَنَّه الرُّوحُ القُدُسُ خَصْمُ الرَّذَائلِ وَشَهَوَاتِ الجَسَدِ. لذَلِكَ يُشِيرُ الرَّسُولُ إِلَيهِ قَائلاً: «فَمَا يَشْتَهِيه الجَسَدُ يُنَاقِضُ الرُّوحَ، وَمَا يَشْتَهِيهِ الرُّوحُ يُنَاقِضُ الجَسَدَ؛ كُلٌّ مِنْهُمَا يُقَاوِمُ الآخَرَ، حتَّى إِنَّكُم لا تَعْمَلُونَ بِمَا تُرِيدُون».[٣٠]

إِنَّ الرُّوحَ يَرْغَبُ في السَّمَاوِيَّاتِ رَغْبَةً حَقِيقِيَّةً؛ أَمَّا الجَسَدُ فَيَتُوقُ إِلَى الدُّنْيَوِيَّات. الرُّوحُ يَبْتَهِجُ بالعَطَايَا الرُّوحِيَّةِ، أَمَّا الجَسَدُ فَيَنْجَذِبُ إِلَى الرَّذَائلِ الجَسَدِيَّةِ. وَفِي هَذَا يَقُولُ الرُّوحُ: «لا تُحْزِنُوا رُوحَ اللّه القُدُّوس الَّذي بِه خُتِمْتُم لِيَومِ الفِدَاء».[٣١] لذَلِكَ، يُعَلِّمُنَا الرَّبُّ أَلاّ نَسْتَمِعَ إِلَى عَدُوِّ الخَطِيئَةِ

(٢٨) SCG 1.14: 85
(٢٩) GP 75: 252; FNPN 1 01: 311
(٣٠) غلاطية ٥: ١٧.
(٣١) أفسس ٤: ٣٠.

وَالضَّلالِ البَشَرِيِّ، مُتَمَسِّكِينَ بِمَا هُوَ بَارٌّ وَقُدُّوسٌ. يَجِبُ أَنْ نُطِيعَهُ فِي كُلِّ الأُمُورِ فِيمَا نَكُونُ مَعَهُ فِي الطَّرِيقِ، فِي مَوْكِبِ هَذِهِ الحَيَاةِ الحَاضِرَةِ. سَيَكُونُ لَنَا، بِفِعْلِنَا هَذَا، سَلامٌ وَشِرْكَةٌ أَبَدِيَّةٌ مَعَهُ. موعِظَةٌ حول متّى ٢٢. ٣. ١- ٢.[٣٢]

لا تَتَأَخَّرْ فِي المُسَالَمَةِ. كَاتِبٌ مَجْهُولٌ: يُسْرِعُ الرَّبُّ، لِنُسْرِعَ نَحْنُ إِلَى مُصَادَقَةِ أَعْدَائِنَا مَا دُمْنَا أَحْيَاء. هَذِهِ الحَيَاةُ المُشْتَرَكَةُ بَيْنَ جَمِيعِ البَشَرِ هِيَ جَسَدِيَّةٌ وَعَابِرَةٌ يَمُرُّ فِيهَا الخَيْرُ وَالشَّرُّ. يَعْرِفُ اللهُ الخَطَرَ إِذَا كَانَ أَحَدُ الأَعْدَاءِ سَيَمُوتُ قَبْلَ أَنْ يَتَسَالَمُوا. فَلَوْ أَرَادُوا المُصَالَحَةَ لَعَجِزُوا عَنْ ذَلِكَ، لأَنَّ المَوْتَ قَدْ فَرَّقَهم. إِنْ لَمْ تُسَالِمْ فِي هَذِهِ الحَيَاةِ خَصْمَكَ الَّذِي أَوْرَثْتَه غَمًّا، وَفَارَقْتَ الحَيَاةَ وَوَقَفْتَ أَمَامَ المَسِيحِ القَاضِي، فَإِنَّه سَيَحْكُمُ عَلَيْكَ فِي مَحْكَمَتِهِ بِالذَّنْبِ، وَمِنْ ثَمَّ سَيُسْلِمُكَ القَاضِي إِلَى الحَارِسِ (مَلاكِ العُقُوبَاتِ القَاسِيَةِ)، فَيُرْسِلُكَ الأَخِيرُ إِلَى سِجْنِ جَهَنَّم. لَكِنْ، إِنْ تَصَالَحْتَ مَعَهُ فِي هَذَا العَالَمِ، فَإِنَّكَ سَتَكُونُ مُؤَهَّلاً لأَنْ تَنَالَ العَفْوَ عَنْ عَمَلِكَ الخَطِيرِ، فَقَدْ كُتِبَ: «المَحَبَّةُ تَسْتُرُ كَثِيرًا مِنَ الخَطَايَا».[٣٣] إِذَا مَا اسْتَوْجَبْتَ الدَّيْنُونَةَ وَأُلْقِيتَ فِي السِّجْنِ، فَالعُقُوبَةُ سَتَنْزِلُ بِكَ، لا مِنْ أَجْلِ خَطَايَاكَ الخَطِيرَةِ، بَلْ مِنْ أَجْلِ الكَلامِ البَاطِلِ الَّذِي نَطَقْتَ بِهِ. مَثَلاً، إِنْ قُلْتَ «يَا أَحْمَقُ، "رَاقَا"» لأَيِّ شَخْصٍ، فَإِنَّ خَصْمَكَ سَيُسْلِمُكَ إِلَى القَاضِي، حَتَّى وَإِنْ طَلَبْتَ مِنْهُ قَبُولَ مَعْذِرَتِكَ. يَقُولُ سُلَيْمَانُ: «إِنْ جَاعَ عَدُوُّكَ فَأَطْعِمْهُ خُبْزًا.. فَتَحُطَّ جَمْرًا عَلَى رَأْسِهِ».[٣٤] مَاذَا يَعْنِي «الجَمْرُ» سِوَى أَنَّكَ أَخْضَعْتَهُ لِدَيْنُونَةِ اللهِ؟ إِنْ أَحْسَنَ شَخْصٌ لِعَدُوِّهِ، جَعَلَهُ مَلُومًا أَمَامَ اللهِ. فَمَنْ قَدَّمَ عُذْرَهُ أَوَّلاً لِعَدُوِّهِ جَعَلَهُ مَجْزِيًّا أَمَامَ اللهِ. عَمَلٌ غَيرُ كَامِلٍ حَوْلَ مَتّى، الموعظة ٢.[٣٥]

٥:٢٦ سَتَبْقَى فِي السِّجْنِ

لَنْ تَخْرُجَ مِنَ السِّجْنِ. جيروم: أُوتِيَ لَنَا، مِمَّا سَبَقَ وَمِمَّا تَلَى، أَنْ نَفْهَمَ أَنَّ رَبَّنَا وَمُخَلِّصَنَا يَحُثُّنَا عَلَى السَّلامِ وَالانْسِجَامِ فِيمَا نَسِيرُ فِي هَذَا العَالَمِ. يَقُولُ الرَّسُولُ: «سَالِمُوا جَمِيعَ النَّاسِ»،[٣٦] وَفِي الآيَةِ المَذْكُورَةِ أَعْلاه قَالَ يَسُوعُ: «وَإِذَا كُنتَ تُقَدِّمُ قُربَانَكَ إِلَى المَذبَحِ وَتَذَكَّرتَ هُنَاكَ أَنَّ لأَخِيكَ

---

[٣٢] LCC 9a: 103

[٣٣] ١ بطرس ٤: ٨.

[٣٤] أمثال ٥: ٢١- ٢٢؛ رومية ١٢: ٢٠.

[٣٥] GP 65: 396

[٣٦] عبرانيين ١٢: ١٤.

شَيئًا عَلَيْكَ»، وَهُنا يَقُولُ: «إِذْهَبْ وَصَالِحْ أَخَاكَ»، و«سَالِمْ عَدُوَك» وَ إِلَى مَا هُنالِكَ..... ثُمَّ يَأْمُرُنا قَائلاً: «أَحِبُّوا أَعْداءَكُم، بَارِكُوا لاعنِيكُم، صَلُّوا لأَجْلِ الَّذينَ يَضطَهِدُونكم».[٣٧] وَهذَا وَاضِحٌ مِنَ التَّفْسِيرِ الَّذي يَتْبَعُهُ. أَكْثَرُ النَّاسِ تَخْتَلِطُ عَليهِم فِكْرَةُ الجَسَدِ وَالنَّفْسِ أَوِ النَّفْسِ والرُّوحِ، فَيَتَسَاءَلُونَ: كَيْفَ يُلْقَى الجَسَدُ في السِّجْنِ، إذَا كَانَتِ النَّفْسُ عَلَى خِلافٍ مَعَهُ، لأَنَّ النَّفْسَ وَالجَسَدَ مُتَّحِدَانِ: فَلا يَقْدِرُ الجَسَدُ أَنْ يُقْدِمَ عَلَى شَيءٍ مَا لَمْ يَأْمُرْهُ العَقْلُ؟ وَكَيْفَ يَقْدِرُ الرُّوحُ القُدْسُ السَّاكِنُ فِينَا أَنْ يَتحوَّلَ إلى قَاضِي الجَسَدِ المُقَاوِمِ أَو قَاضِي النَّفْسِ عِنْدَمَا يَكُونُ هُوَ نَفْسُه القَاضِي؟ يَقُولُ بُطْرس في رِسالَتِهِ الأُولى: «عَدُوُّنَا إبلِيس يَجُولُ كَالأَسَدِ المُزَمْجِرِ».[٣٨] وَلِذَلِكَ فَسَّرَ بَعْضُهُم الخَصْمَ بِأَنَّه إِبْلِيس. ثمّ يَسْتَنتِجونَ استِنْتَاجًا غريبًا وَهُوَ أَنَّ المُخَلِّصَ نَصَحَهُم بِضَرُورَةِ التَّلَطُّفِ بِإِبْلِيس عَدُوِّنا والمُنْتَقِمِ مِنَّا. وَيَجِبُ أَلاَّ نَجْعَلَه يَتَأَلَّمُ مِنْ أَجْلِنَا– مَعَ أَنَّه يَدْفَعُنا إِلَى الشَّرِّ نَحْنُ الخَاطِئينَ بِإِرَادَتِنا – بِمُوَافَقَتِنَا عَلَى أَنْ يَنَالَ المُشَاغِبُ العِقَابَ. فَيَقُولُونَ إِنَّ كُلَّ قِدِّيسٍ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ مُحْسِنًا لِخَصْمِهِ الشَّيْطَانِيّ فَلا يَجْعَلُه يُعَانِي العَذَابَ بِسَبَبِ ذَلِكَ. هكَذَا يَتَهَوَّرُ بَعْضُ النَّاسِ في التَّفكِيرِ أَنَّ هَؤُلاءِ النَّاس يُقِيمُون مِيثَاقًا مَعَ إِبلِيسَ في المَعْمُودِيَّةِ بِقَولِهِم: «أَنا أَتَخَلَّى، يَا إِبْلِيسُ، عَنْ عَظَمَتِكَ وَشُرُورِكَ، فَيَنْغَمِسُ عَالَمُك بِالشَّرِّ». إذَا حَافَظْنَا عَلَى ذَلِكَ المِيثَاق، فَإِنَّنا نُحْسِنُ إلى خصمِنا وَنَجُودُ عَلَيه فَلا نُسْجَنُ. تَفسيرُ متَّى ١. ٥. ٢٥.[٣٩]

جَزَاءُ الخَطِيئَةِ. جيروم: لكِنَّ الرَّبَّ يَقُولُ إذا خَالَفْنَا أَيًّا مِنْ هَذِه الأُمُورِ فَإِنَّنا نُعْطِي إِبْلِيسَ وَعْدًا، وَسَنُسْلَمُ إِلَى القَاضِي وَالحَارِسِ، فَنُسْجَنُ وَلا يُطْلَقُ سَرَاحُنَا حَتَّى نُسَدِدَ الفَلْسَ الأَخِيرَ. في هذِه النُّقْطَةِ، يُقَالُ إِنَّ الأَرْمَلَةَ الفَقِيرَةَ في الإِنْجِيلِ وَضَعَت فَلْسًا في صُنْدُوقِ التَّبَرُّعَاتِ، وَفِي إِنْجِيلٍ آخَرَ يُقَالُ أَلْقَتْ فَلْسَين. لا تَنَاقُضَ هُنَا، فَنَقْدٌ وَاحِدٌ يُسَاوِي فَلْسَين. لذلِكَ هَذا مَا يَقُولُه: لَنْ تَخْرُجَ مِنَ السِّجْنِ حَتَّى تَدْفَعَ جُزْءًا عَنْ أَصْغَرِ خَطَايَاكَ. تفسيرُ متَّى ١. ٥. ٢٥.[٤٠]

الفَلْسُ الأَخِيرُ. أوغسطين: لَكِنْ، فِي مَا يَتَعَلَّقُ بِدَفْعِ الفَلْسِ الأَخِيرِ، فَإِنَّ التَّعْبِيرَ يُمْكِنُ أَنْ يُفْهَمَ بِشَكْلٍ مَعْقُولٍ وَكَأَنَّه يَعْني أَنْ

[٣٧] متَّى ٥: ٤٤.
[٣٨] ١ بطرس ٥: ٨.
[٣٩] LCC 03-92:77
[٤٠] LCC 03:77

لا شيءَ يُتْرَكُ مِنْ دُونِ عِقَابٍ– في كلامِنَا العَادِيِّ نَسْتَعْمِلُ تَعْبِيرَ «حتَّى الحُثَالَة» لنُعْلِنَ أَنَّ الشَّيءَ يُسْتَهْلَكُ بكَامِلِهِ بحيْثُ لا يُتْرَكُ مِنْه شَيءٌ أو يُمْكِنُ فَهْمُهُ بمَعْنَى أَنَّ الخَطَايَا الدُّنيويَّة يُشَارُ إليها بالرُّبعِ الأَخيرِ أو أنَّ الأرضَ هِيَ الجُزءُ الرَّابعُ أو الأَخيرُ مِنْ عَنَاصِرِ هَذَا العَالمِ المُمَيَّزَة. هَذَا يفْتَرِضُ أَنَّك تَبْدَأُ مِنَ السَّمَاوَاتِ، وَتَعُدُّ الهَواءَ ثَانِيًا، وَالمَاءَ ثَالِثًا وَالأَرْضَ رَابِعًا. لِهَذَا السَّببِ يُمْكِنُ فَهْمُ التَّعْبِيرِ «حَتَّى تُوفيَ الفَلْس الأَخِير» بأَنْ تُكَفِّر عن الخَطَايَا الدُّنْيَوِيَّة. فَالخَاطِئُ قَدْ سَمِعَ أَيضًا القَوْلَ «أَنْتَ تُرَابٌ، وَإِلى التُّرَابِ تَعُودُ».[٤١] الموعظَةُ عَلَى الجبَلِ ١. ٢. ٣٠.[٤٢]

[٤١] تكوين ٣: ١٩.

[٤٢] LP 43: 3421-44; CF 11: 74-84

٥: ٢٧-٣٢ المَثَلانِ الثَّانِي وَالثَّالِثُ: الشَّهْوَةُ وَالزِّنَى وَالطَّلاقُ

[٢٧] وسمِعتُمْ أنَّه قِيلَ للأقدمين: لا تزْنِ. [٢٨] أمَّا أنا فأقولُ لكُم: مَنْ نظَرَ إلى امرأةٍ لِيَشتهيهَا، زَنَى بِها في قلبِهِ. [٢٩] فإذا كانت عَينُكَ اليُمنَى سببَ عثْرةٍ لك، فاقلَعْها وألْقِها عنكَ، لأنَّهُ خيرٌ لكَ أنْ يَهلَكَ عُضوٌ مِنْ أعضائِكَ ولا يُلقَى جسَدُكَ كُلُّهُ في جهَنَّمَ. [٣٠] وإذا كانت يدُكَ اليُمنَى سببَ عثْرةٍ لك، فاقطَعْها وألْقِها عنكَ، لأنَّهُ خيرٌ لكَ أنْ يهلكَ عُضوٌ مِنْ أعضائِكَ ولا يُلقَى جسَدُكَ كُلُّه في جهَنَّمَ.

[٣١] وقِيلَ أيضًا: مَنْ طَلَّقَ امرأتَهُ، فلْيُعطِها كِتابَ طَلاقٍ. [٣٢] أمَّا أنا فأقولُ لكُم: مَنْ طلَّقَ امرأتَهُ إلاَّ لعلَّةِ الزِّنَى يجعلُها تزْني، ومَنْ تزوَّجَ مُطلَّقةً زنَى.

نَظْرَةٌ عَامَّةٌ: الحفيظَة[1] هِيَ أُمُّ القَتْل، وَالشَّهْوَةُ هِيَ أُمُّ الزِّنى (كَاتِبٌ مَجْهُولٌ، كروماتيوس): النَّفْسُ خُلِقَت لِتَكُونَ لَهَا سُلْطَةٌ، وَتَالِياً تَكُونُ حُرَّةً. إنَّها تَسْتَطِيعُ تَجَنُّبَ الغَضَبِ، إذَا شَاءَتْ ذَلِكَ، وَتَجَنُّبَ الشَّهْوَةِ، إذَا شَاءَتْ ذَلِكَ. فَاللهُ لا يُوجِّهُ أَوَامِرَهُ إلَى الجَسَدِ وَكَأنَّه مُنْفَصِلٌ عَنِ النَّفسِ (كَاتِبٌ مَجْهُولٌ). عِندمَا يُثِيرُ المَرْءُ في ذاتِهِ لَهِيبَ الشَّهْوةِ، وَإِنْ كَانَ مَا يَشْتَهِيهِ غَائِبًا، يَبْعَثُ بِاسْتِمْرَارٍ صُوَرًا لأعْمَالٍ مَحْظُورَةٍ (الذَّهَبِيُّ الفَم). لا تَكُونُ أَعْضَاءُ الجَسَدِ بِحَدِّ ذَاتِها مَوْضِعَ التَّأدِيبِ، إنَّما يَكُونُ الحَافِزُ الطَّوْعِيُّ والإرَادَةُ أَسَاسَين لِدَافِعِ الإرَادَةِ (هيلاريون). فَمَا هُوَ صَالِحٌ فِينَا قَدْ يَتَحَوَّلُ بِسُرْعَةٍ إلَى شَرٍّ (جيروم). وَبِمَا أَنَّ العَينَ، مَثَلاً، تَرْمُزُ إلَى الأُسْقُفِ غَيرِ المُسْتَحِقِّ الَّذي يُصْبِحُ بِإيمَانِهِ الزَّرِيِّ سَبَبَ عِثَارٍ في الكَنِيسَةِ، فَالمَسِيحُ يَنْصَحُنَا أَنْ نَقْلَعَهُ، خِشيَةَ أَنْ يُصْبِحَ النَّاسُ مَسْؤُولِينَ عَنْ خَطَايَاه (كروماتيوس). مِنَ الشَّائِعِ أَنْ نُشَبِّهَ اليَدَ اليُمْنَى بِإرَادَةِ النَّفْسِ وَنُشَبِّهَ اليَدَ اليُسْرَى بِإرَادَةِ الجَسَدِ (كَاتِبٌ مَجْهُولٌ). إذَا كَانَ مُرْشِدُكَ الرُّوحِيُّ أَو كَاهِنُكَ أَو يَدُكَ اليُمْنَى حَجَرَ عِثَارٍ أو سَبَبًا لِلشَّرِّ، فَاقْطَعْ عَلاقَتَكَ بِهِ (أوغسطين). عَلَى المَرْءِ أَنْ يَتَجنَّبَ مَا يَظُنُّهُ ضَرُورِيًّا إذَا كَانَ شَيءٌ مُؤْذٍ يُنْذِرُ بِالحُدُوثِ (أبوليناريوس). يَأْمُرُ الرَّبُّ بِأَنْ يَكُونَ الزَّوَاجُ الطَّاهِرُ مَحْفُوظًا بِشَرِيعَةٍ غَيرِ قَابِلَةٍ لِلانحِلالِ، مُظْهِرًا أَنَّ شَرِيعَةَ الزَّوَاجِ سَنَّها اللهُ نَفْسُهُ أَوَّلاً (كروماتيوس). عَلَى المَسِيحِيِّ أَلاَّ يُدنِّسَ نَفْسَه وأَلاَّ يُعْطِيَ الآخرينَ فُرْصَةً لِيُدنِّسُوا أَنفُسَهُم (كَاتِبٌ مَجْهُولٌ). إنَّ الرَّجُلَ الَّذي يُطَلِّقُ زَوْجَتَه يَجْعَلُها زَانيةً (الذَّهَبيُّ الفَم، ثيودور أُسقف هيراقلية). إنَّها تَبْقَى جَسَدَه، لأنَّهما جَسَدٌ وَاحِدٌ (ثيودور المبسوستيّ).

٥:٢٧-٢٨ لا تَقْرَبوا الزِّنى

الزِّنَى. الذَّهَبيُّ الفَم: لَمْ يَقُلْ فَقَطْ: «كُلُّ مَن يَشْتَهي»، لأنَّ المرءَ قَدْ يَشْتَهِي حَتَّى لَوْ كَانَ مُنْقَطِعًا في الجِبَالِ، بَلْ: «كُلُّ مَنْ يَنْظُر... لِيَشْتَهِيَ» مُفَكِّرًا في الشَّهْوَةِ في ذَاتِهِ؛ فَيَسْمَحُ، مِن دُونِ أَيِّ إكْرَاهٍ، لِلحَيَوانِ المُتَوحِّشِ بِالدُّخُولِ إلَى أَفْكَارِهِ عِنْدَمَا تَكُونُ هَادِئَةً. لَمْ يَعُدْ دُخُولُهُ آتيًا مِنَ الطَّبِيعَةِ بَلْ مِنْ رَغْبَةٍ في المَلَذَّاتِ. هَذَا مَا تَنْهَى عَنهُ أَسْفَارُ العَهْدِ القَدِيمِ مُنْذُ البَدءِ فَتَقُولُ: «لا تَنْظُرْ إلَى حَسْنَاءَ تَخُصُّ غَيْرَك»،[2] لِئَلاَّ يَقُولَ

---

[1] أي الغضب.

[2] يشوع بن سيراخ ٩: ٨.

أحدٌ: «مَاذا إذا نَظَرْتُ ولَمْ أقعْ في شَرَكِها»؟ إنَّه يُعاقِبُ النَّظر، لئلاّ تسقُطَ يَوْمًا في الخطيئةِ وأَنْتَ تجْتَرِئُ عليْها بِلا خَوْفٍ. قدْ يُقالُ: «مَاذا إذا نَظَرْتُ واشتَهَيْتُ حقًّا ولَمْ أرْتكِبْ شرًّا»؟، في هذه الحالةِ تكُونُ بينَ الزُّناةِ. فالمُشرِّعُ أعْلَنَ ذلِكَ، وعليْكَ ألاَّ تكُونَ فُضوليًّا. بنَظرِكَ هكذا مرَّةً ومرَّتَين وثلاثَ مرَّاتٍ قد تكُونُ قادِرًا علَى التَّمالُكِ. لكِنْ، إنْ كُنْتَ تفعَلُ هذا باستِمْرارٍ، تكُونُ وكأَنَّكَ توقِدُ أتُونًا، فَستَقَعُ في الشَّرَكِ حتْمًا. طَبيعَتُكَ الإنْسانيَّةُ لا تَخْتَلِفُ عَن طبيعةِ الآخَرينَ. عِندمَا نَرى ولَدًا يحْمِلُ مُدْيَةً نَصفَعُهُ ونَمْنَعُهُ مِنْ حمْلِها ثانيةً، مَعَ أنَّنا لا نَراهُ جَريحًا. واللهُ يُحرِّمُ علَيْكَ النَّظرَ الفاسِقَ حتَّى قبْلَ الفِعْلِ، خِشيةَ أنْ تَسقُطَ فيهِ. فَمَا يشْعِلُ اللَّهيبَ مرَّةً- وإنْ كانَتِ المرْأةُ الَّتي نَظرَ إليها غائِبَةً- يُشكِّلُ في نفْسِه دائمًا صُورًا مُخْزيَةً، ومِنْها يَستمِرُّ، غالِبًا، حتَّى يَصِلَ إلى الفِعْلِ. لهَذا السَّبَبِ يُبْعِدُ المَسِيحُ حتَّى ذلِكَ العِناقَ الَّذي في القلْبِ وحْدَه. إنجيلُ متَّى، الموعظة ١٧. ٢.[٣]

وَقودُ الزِّنى. كروماتيوس: بمَا أنَّ الزِّنى خطِيئةٌ كُبْرى، فَقدْ حرَّم الشَّهْوةَ الَّتي هِي وَقودُ الزِّنى ليقْتَلِعَها، خِشْيةَ أنْ يتَدنَّسَ ضَميرُنا. استِنَادًا إلى كَلامِ القِدِّيسِ يعقوبَ في رِسالَتِه، «الشَّهْوةُ إذَا حَبِلَتْ ولَدَتِ الخطِيئةَ، والخطِيئةُ إذَا اقتُرِفَتْ ولَدَتِ الموتَ».[٤] والرُّوحُ القُدُسُ يُكلِّمُ داودَ فيقُولُ: «طُوبَى لِمَن يُمْسِكُ صِغارَكَ ويَضْرِبُ بِهمُ الصَّخْرَةَ».[٥] أي أنَّ الإنْسانَ المُبارَكَ والإنْجيليَّ الحقَّ يَستأْصِلُ الشَّهْوَةَ ورَغْبَةَ الجسَدِ المُنْبَثِقَتَين مِن الضَّعْفِ الإنْسانيِّ. إنَّه يفْعَلُ ذلِكَ مُنْذُ البدْءِ، وقبْلَ أنْ تَنْمُوَ الشَّهْوَةُ، بالإيمانِ الَّذي يُوْصَفُ فيه المَسِيحُ بأنَّه الصَّخْرَةُ.[٦] موعِظةٌ حولَ متَّى ٢٣. ١. ٦-٧.[٧]

أمْرُ اللهِ يتَّجِهُ إلى النَّفْسِ الرَّاغِبَةِ. كاتِبٌ مَجْهُولٌ: الَّذين يهْتمُّون قَليلاً بأنْفُسِهِم لا يَنظُرُون بشكْلٍ كافٍ إلَى قُلُوبِهِم. إنَّهم لا يَعُدُّون الغَضَبَ علَى جيرانِهم بِلا سَببٍ خطِيئةً، ولا يَظُنُّونَ اشتِهاءَ المرْأةِ الَّتي تنْتمِي إلَى رَجُلٍ آخَرَ خطِيئةً مَا دامُوا لا يرْوُون شَهوتَهُم. لكِنَّ هذَا الأمْرَ خطِيئةٌ عُظْمَى حتَّى بينَ خائِفي اللهِ والمُرْتَفِعي القَلْبِ. إنَّها لخَطِيئةٌ عظِيمَةٌ أمامَ اللهِ النَّاظِرِ

---

[٣] GP 57: 256; NPNF 1 10: 116-17

[٤] يعقوب ١: ١٥.

[٥] مزمور ١٣٧: ٩ (١٣٦: ٩).

[٦] أنظر ١ كورنثس ١٠: ٤.

[٧] CCL 9a:305

إلَى أعْمَالِ المرءِ وإلَى قَلْبِهِ. في كُنْهِ هَذِهِ الوَصيَةِ لا تُلْغَى الشَّريعَةُ، بَلْ تُتمَّمُ، وبِدُونِها لا يُمْكِنُ العَملُ بوَصيَّةِ الرَّبِّ.

يَنْشَأُ كلُّ فِعْلِ الزِّنَى مِنَ الشَّهْوَةِ. فَكَيْفَ يُمْكِنُ كَبْحُ الزِّنى تحْتَ وَصِيَّةِ الشَّريعَةِ مَا لَمْ يُقْضَ عَلَى الشَّهْوَةِ في المَهْدِ تَحْتَ وَصِيَّةِ المَسِيحِ؟ إنَّ الحَفِيظَةَ هِيَ أُمُّ القَتْلِ، وَالشَّهْوَةَ أُمُّ الزِّنَى. مِنْ هُنَا كَانَ أَنَّ مَن غَضِبَ عَلَى أَخِيهِ بلا سَبَبٍ قَتَلَه في قَلْبِه، مَعْ أَنَّه لَم يَقْتُلْه في الحَقِيقَةِ. إنَّه قَتْلٌ في عَيْنَيِ اللهِ الَّذي يَنْظُرُ إلَى النِّيَّةِ أَكْثَرَ مِمَّا يَنظُرُ إلَى العَمَلِ.

فَمَن اشْتَهَى امْرَأةَ غَيرِه زَنَى بها في قَلْبِه، مَعْ أنَّه لم تَكُنْ له عَلاقَةٌ بِها لسَبَبٍ أَو لآخَر. إنَّه زَنَى أَمَامَ اللهِ النَّاظِرِ إلَى الإرادةِ أكثَرَ مِنهُ إلَى الفِعْلِ. إنَّ فِعْلَ الزِّنَى العَلَنيّ لَمْ يَحْدُثْ، لكِنَّ إرادَةَ الشَّهوةِ مَوْجُودَةٌ. الَّذينَ يَجْهَلُونَ السِّرَّ العَمِيقَ للطَّبِيعَةِ البَشَرِيَّةِ يُجْمِعُونَ عَلَى أنَّ كلَّ طَبيعَةٍ دُنيويَّةٍ خَاضِعَةٌ للأَهْوَاءِ. مَا مِنْ أَحدٍ، حتَّى لَوْ كَانَ قِدِّيسًا، يَقدِرُ عَلى أَنْ يَصُونَ نَفْسَه عَنْ تَجْرِبَتَي الغَضَبِ وَالشَّهْوَة. وَمَعَ ذلِكَ يَتَصَوَّرُ النَّاسُ أنَّ المَسِيحَ يَأْمُرُنا بتَحْقِيقِ مَا يَسْتَحِيلُ عَلَيْنَا تَحقيقُهُ نَاصِبًا لَنا فَخًّا لِيَجْعَلَنا مُعَابِينَ. فَمَنْ أمَرَ بتَحْقِيقِ المُسْتَحِيلِ زَرَعَ زَرْعًا مُنَاسِبًا للاسْتِيَاءِ وَوَضَعَ أَسَاسًا للدَّيْنُونَةِ.

هَذا يَقُودُنا إلَى التَّفْكِيرِ في انقِسَامٍ بَينَ مَشِيئَتَي النَّفْسِ والجَسَدِ. فِينَا طَبيعَتَانِ: الجَسَدُ والنَّفْسُ. وهكَذَا يُمْكِنُنا القَولُ إنَّ فِينَا غَضَبَينِ: غَضَبَ النَّفْسِ وَغَضَبَ الجَسَدِ. وَبِشَكْلٍ مُمَاثِلٍ نَتَكلَّمُ عَلَى شَهْوَةِ النَّفْسِ وَعلَى شَهْوَةِ الجَسَدِ. قد يُضطَرُّ الجَسَدُ إلَى أَنْ يَغْضَبَ وَأَنْ تُلْهِبَهُ الشَّهْوَةُ، رَغْمًا عَنْ إرادَتِه، لأَنَّه لم يُخْلَقْ لتكُونَ لَهُ سُلْطَتُه الخَاصَّة. إنَّه لَيْسَ تَحْتَ سُلْطَتِهِ الخَاصَّةِ وَكأَنَّها خُلِقَت فِيه، بَلْ تَحْتَ شَريعَةِ الخَطِيئَةِ. لَقَدْ بِيعَ الجَسَدُ إلَى عُبُوديَّةِ الخَطِيئَةِ. لأَجْلِ هَذا يَقُولُ الرَّسُولُ: «إنَّ نُزُوعَ الجَسَدِ تَمرُّدٌ عَلَى اللهِ فَلا يَخْضَعُ لشَرِيعَةِ اللهِ، بَلْ لا يَسْتَطِيعُ ذلك».[^8] لَكِنَّ النَّفْسَ خُلِقَتْ لتَكُونَ لَهَا سُلْطَتُها الخَاصَّةُ وفقَ شَريعَةِ بِرِّ اللهِ. لذلِكَ، تَسْتَطِيعُ النَّفْسُ أَنْ لا تَغْضَبَ، إذا خُيِّرَت، وَأَنْ لا تَشْتَهِيَ إذَا شَاءَت. هَذَا مَا يَحْدُثُ لَنَا عِنْدَمَا نَغْضَبُ وَنُحِسُّ بالشَّبَقِ، وَنَكُونُ مُتَضَايقِينَ مِنْ أَنفُسِنَا وَمُسْرِعِينَ إلَى كَبْتِ غَضَبِنا أَو شَهْوَتِنَا. الوَاضِحُ أَنَّ جَسَدَنا، لا نَفْسَنَا، يَتَوَقَّدُ غَيْظًا وَيَتَحَرَّقُ. وَلكِنْ إذَا اكتَفَيْنا بذَلِكَ

[^8]: رومية ٨: ٧.

وَأَطْلَقْنا لأَيِّ غضَبٍ أَو شَهْوَةِ العَنَانَ فَإِنَّنا نَشْعُرُ أَنَّ أَنْفُسَنا كَذلِكَ تَسْتَشِيطُ غَضَبًا وَتَتَحرَّقُ في الوَقْتِ عينه، كَمَا يَحْدُثُ للجَسَد. لذَلِكَ، بِمَا أَنَّ الله يَعْرِفُ أَنَّ طَبيعَةَ الجَسَدِ غَيرُ خَاضِعَةٍ لَه، فَإِنَّه لا يَغْضَبُ وَلا يُشِيرُ عَلَى الجَسَدِ بِأَمْرٍ. فَأَيُّ بَصِيرٍ عَاقِلٍ، رَغْمَ نَوايَاه الجَيِّدَةِ يُكْرِهُ العَاجِزَ عَلَى أَنْ يَخْضَعَ لِمَا يَصدُر مِن أَوَامِر؟ بالأَحْرَى، إِنَّ الله يَتَحدَّثُ إِلَى النَّفْسِ القَادِرَةِ عَلَى طَاعَتِه في كُلِّ شَيءٍ، رَغْمَ الجَسَدِ الغَاضِبِ المتَحرِّق بالشَّهْوةِ، لأَنَّها قَادِرَةٌ على أَنْ تَتُوبَ إِلى عِفَّتِها وَأَنْ لا تَتأَكَّلَها الشَّهْوَةُ. عَمَلٌ غيرُ كَامِلٍ حَولَ متّى، الموعظة ١٢.[٩]

٥:٢٩ إِقْلَعْ أَسْبَابَ الخَطِيئَةِ

سَبَبُ الخَطِيئَة. هيلاريون: كُلَّمَا ازدَادَتْ دَرجَةُ البَرَاءَةِ، أَصْبَحَ الإِيمَانُ أَكْثَرَ تَقدُّمًا. فَالنُّصْحُ يُجْزَى لَنَا أَنْ نَكُونَ أَحْرَارًا لا مِنْ أَخْطَائِنَا، فَحَسْب، بَلْ مِمَّا يُؤَثِّرُ فِينَا مِنَ الخَارِجِ. أَولَيسَ بِسَبَبِ الخَطِيئَةِ أُدِينَتِ الأَعْضَاءُ الجَسَدِيَّةُ بالدَّرجَةِ الأُولَى؟ العَيْنُ اليُمْنَى لَيْسَتْ أَقَلَّ شَرًّا مِنَ العَيْنِ اليُسْرَى. لا مَعْنَى لِتَأْدِيبِ القَدَمِ الجَاهِلَةِ لِلشَّهْوَةِ الجِنْسِيَّةِ وَلا مُبَرِّرَ لِمُعَاقَبَتِهَا. فَأَعْضَاؤُنا يَخْتَلِفُ وَاحِدُها عَنِ الآخَرِ عِلمًا بِأَنَّنا جَسَدٌ وَاحِدٌ. وَهُنَا يُجْزَى لَنَا النُّصْحُ أَنْ نُقْلِعَ عَنِ العِشْقِ الجَامِحِ وَالصَّدَاقَةِ الَّتي تَدفَعُنَا إِلَى الإِثم. إِنَّنَا سَنكُونُ مُعَافِين حَتَّى لَوْ خَسِرنَا أَحَدَ الأَعْضَاءِ، إذا كَان أَحَدُها، كَالعَيْنِ أَو القَدَم، مَثَلاً، يُهَيِّجُ إِذَا كَانت إِحْدَاهَا تُهَيِّجُ فِينَا مَا يَدفَعُنَا إِلَى جَهَنَّم. إِقْتِلاعُ العُضْوِ يَكُونُ مُفِيدًا إِذَا كَانَ القَلْبُ (وَالكَلامُ هُنَا رَمْزِيٌّ) قَدِ اقتُلِعَ. أَمَّا إِذَا لَمْ تَتَغيَّرْ بُغْيَةُ القَلْبِ فَاقْتِلاعُ العُضْوِ لا يُجْدِي نَفْعًا. إنجيلُ متّى ٤. ٢١.[١٠]

فَحْوَى المُبَالَغَة. أبوليناريوس: يَتَكَلَّمُ عَلَى أَعْضَاءِ الجَسَدِ مُتَكَلِّفًا البَلاغَةَ. لا دَاعِي للمَرءِ أَنْ يَقْتَلِعَ أَعْضَاءَه، بَلْ أَنْ يُمِيتَها، فَتَعجزُ عَنْ فِعْلِ الخَطِيئَةِ كَمَا قَالَ الرَّسُولُ،[١١] وَأَلاَّ يَستَثْنِيَ الضَّرُوريَّاتِ إِذَا أَنْذَرَتْهُ بِحُدوثِ الشَّرِّ. المقطع ٢٣.[١٢]

تَشْبيهُ العَيْن. جيروم: بِمَا أَنَّ يَسُوعَ تَكلَّم مِنْ قَبْلُ على اشتِهَاءِ المَرْأَةِ، فَإِنَّه يُشيرُ حَقًّا إِلَى فِكْرٍ إِذَا جَمَحَ أَو إِلَى عَينٍ إِذَا عَتَت. بِاليَدِ اليُمْنَى وَبِأَعْضَاءِ الجَسَدِ الأُخْرَى يُشِيرُ إِلَى انطِلاقِ الإِرَادَةِ وَالعَوَاطِفِ. إِنَّ مَا نُفَكِّرُ فِيهِ

---

[٩] GP 65: 396-49

[١٠] CS 452: 041

[١١] أنظر كولوسيّ ٣: ٥؛ ١ كورنثس ٩: ٢٧.

[١٢] KGKM 8

نَفْعَلَه. فَلْنَكُنْ مُتَيَقِّظِينَ لئلاَّ يَتَحوَّلَ أَفْضَلُ شَيْءٍ فِينَا إِلَى رَذِيلَةٍ. إِذَا كَانَتْ عَينُكَ اليُمْنَى وَيَدُكَ اليُمْنَى سَبَبَيْ عِثَارٍ، أَفَلا يَنْطَبِقُ هَذَا عَلَى الأَعْضَاءِ اليُسْرَى أَيضًا! إِذَا كَانَتْ نَفْسُكَ تَبدأُ بالسُّقُوطِ، أَفَلاَ يَكُونُ سُقُوطُ الجَسَدِ أَعْظَمَ، لِنُزُوعِهِ إِلَى الخَطِيئَةِ. بِتَعْبِيرٍ آخَرَ، هُنَاكَ فِي العَيْنِ اليُمْنَى وفِي يُمْنَى الإِخْوَةِ وَالزَّوجَةِ والأَوْلاَدِ وَالأَنْسِبَاءِ وَالجِيرانِ إِشَارَةٌ إِلَى الحِسِّ. إِذَا أَدْرَكْنَا أَنَّ العَينَ تُعِيقُنَا عَنْ تَأَمُّلِ النُّورِ الحَقِيقِيِّ، يَحْسُنُ بِنَا اقْتِلاعُهَا، وإِلاَّ هَلَكْنَا... لِذَلِكَ قِيلَ عَنْ كُلِّ رَئِيسِ كَهَنَةٍ كَرَّسَ نَفْسَهُ لِعِبَادَةِ اللهِ إِنَّ عليه أَنْ يَحْذَرَ مِنْ أَنْ «يَتَنَجَّسَ بِسَبَبِ أُمٍّ وأَبٍ وَأَوْلادٍ».[١٣] فَمُيُولُه كُلُّهَا يَجِبُ أَنْ تُكَرَّسَ لِعِبَادَةِ الخَالِقِ. تفسيرُ متّى ١. ٥. ٢٩.[١٤]

خَلْعُ الأُسْقُفِ غَيرِ المُسْتَحِقِّ. كروماتيوس: لَكِنْ، بِمَا أَنَّ الجَسَدَ قَدْ ذُكِرَ، فَإِنَّهُ يُفْهَمُ، حَسَبَ الأُصُولِ، فَهْمًا أَوْضَحَ عبر جَسَدِ الكَنِيسَةِ. فِي هَذَا الجَسَدِ هُنَاكَ العَينُ- العُضْوُ النَّفِيسُ- الدَّالَّةُ عَلَى الأُسْقُفِ الَّذِي يُنِيرُ الجَسَدَ الكَامِلَ بِنُورٍ وَصِيَّةٍ مُقَدَّسَةٍ. مِنْ هُنَا تُفْهَمُ هَذِه الآيَةُ فَهْمًا صَحِيحًا: «فَإِذَا كَانَتْ عَينُكَ اليُمْنَى سَبَبَ عَثْرَةٍ لَكَ، فَاقْلَعْهَا وَأَلْقِهَا عَنكَ، لأَنَّهُ خَيرٌ لَكَ أَنْ يَهْلِكَ عُضْوٌ مِنْ أَعْضَائِكَ وَلا يُلْقَى جَسَدُكَ كُلُّهُ فِي جَهَنَّم». إِذَا كَانَ هَذَا النَّوعُ مِنَ العُيُون -وَهُوَ يَرمُزُ إِلَى الأُسْقُفِ- بِإِيمَانِه الوَاهِنِ وَبِمُعَامَلَتِهِ الدَّنِيئَةِ يُصْبِحُ سَبَبَ عَثْرَةٍ لِلكَنِيسَةِ، فَالمَسِيحُ يُوصِي بِأَنْ يُقْتَلَعَ، خِشْيَةَ أَنْ يُحْسَبَ النَّاسُ مَسْؤُولِينَ عَنْ خَطَايَاه. لَقَدْ كُتِبَ «أَنَّ قَلِيلاً مِنَ الخمِيرِ يُخَمِّرُ العَجِينَ كُلَّه».[١٥] وَأَيْضًا: «أَزِيلُوا الفَاسِدَ مِنْ بَيْنِكُم».[١٦] وَبِاليَدِ يُشِيرُ إِلَى الكَاهِنِ الَّذِي بِإِيمَانِهِ الوَاهِنِ أَو بِنَمَطِ حَيَاتِه يُصْبِحُ سَبَبَ عَثْرَةٍ لِشَعْبِ اللهِ. فَيَأْمُرُنا الرَّبُّ بِأَنْ نَقْطَعَه أَيْ أَنْ نُزِيلَه لِئَلاَّ تَتَدَنَّسَ الكَنِيسَةُ كُلُّهَا بِخَطِيئَتِهِ. فَالكَنِيسَةُ، بِحَسَبِ الرَّسُولِ، يَجِبُ أَنْ تَكُونَ مُقَدَّسَةً وَبِلا عَيْبٍ. موعظةٌ حول متّى ٢٣. ٣. ١- ٢.[١٧]

٥:٣٠ هَلاك عُضْوٍ خَلاصٌ لِلجَسَدِ كُلِّه

رَفْضُ المُشِيرِ السَّيِّءِ. أوغسطين: في هَذَا السُّؤالِ، إِنِّي لا أَقْدِرُ على أَنْ أُفَكِّرَ في مَثَلٍ أَكْثَرَ مُلاءَمَةً مِنْ ذَلِكَ الصَّدِيقِ المَحْبُوبِ جِدًّا.

---

[١٣] لاويّين ٢١: ١١.
[١٤] LCC 77:13-23.
[١٥] ١ كورنثس ٥: ٦.
[١٦] أنظر ١ كورنثس ٥: ١٣.
[١٧] LCC a9:603-7.

إنَّ مَنْ نُحِبُّه حُبًّا مُتَّقِدًا نُسَمِّيه عُضْوًا. وَقَدْ نُسَمِّي هَذَا العُضوَ مُشِيرًا، لأَنَّه عَيْنٌ تُرِينَا الطَّرِيقَ. وبِمَا أَنّه عَنِ اليَمِينِ فَإِنَّنا نُسَمِّيهِ مُشِيرًا في المَسَائِلِ الإِلَهِيَّةِ. بِهَذِه الطَّرِيقَةِ يَكُونُ الصَدِيقُ عَنِ اليَسَارِ مُشِيرًا، لَكِنْ في المَسَائِلِ الدُّنيَوِيَّةِ، المُتَعَلِّقَةِ بِحَاجَاتِ الجَسَدِ. وَمَعَ ذَلِكَ، مِنَ النَّافِلِ أَنْ نَتَحَدَّث عَنْهُ مَا دَامَ سَبَبًا للعَثْرةِ، لأَنَّه لا يُسْتَثْنَى حتَّى الَّذي عَنِ اليَمِينِ. لَكِنَّ المُشِيرَ في المَسائِلِ الإِلَهِيَّةِ هُو في الحَقِيقَةِ حَجَرُ عَثْرَةٍ، إِذَا حَاوَلَ، تَحْتَ مَظْهَرِ الدِّينِ وَالعَقِيدَةِ، أَنْ يَقُودَنا إِلَى نِحْلَةٍ مُهْلِكةٍ. فَلْتُفْهَمِ اليَدُ اليُمْنَى وَكَأَنَّها مُعَاوِنَةٌ مَحْبُوبَةٌ وَخَادِمَةٌ في الأَعمالِ الإِلَهِيَّةِ. فَكَمَا أَنَّ التَّأَمُّلَ يُرمَزُ إِلَيهِ بِلَفْظَةِ العَينِ، فَالعَمَلُ يُرْمَزُ إِلَيهِ بِلَفْظَةِ اليدِ. بِهذِه الطَّرِيقَةِ تُشِيرُ اليَدُ اليُسْرَى إِلَى الأَعْمَالِ الضَّرُورِيَّةِ لِهَذِهِ الحَياةِ وَلِهذا الجَسَدِ. الموعظةُ على الجبلِ ١. ١٣. ٣٨.[18]

فَكِّرْ فِي اليَدِ اليُمْنَى وَكَأَنَّها إِرادَةُ النَّفس. كَاتِبٌ مَجْهُولٌ: أَعْتَقِدُ أَنَّ هَذِه الأَعْضَاءَ كُلَّها (العَيْنَ واليدَ وَالرِّجْلَ) تُشِيرُ إِلَى النَّفْسِ، كَمَا أَشَرْنَا سَابِقًا. فَيَتَكَلَّمُ عَلَى النَّفْسِ وَكَأَنَّها عَيْنٌ، أي فِكْرٌ تَكُونُ النَّفْسُ مُبْصِرَةً عبره؛ عَنْ هَذَا يَقُولُ في مَكَانٍ آخر: «إِنْ كَانَتْ عَيْنُكَ سَلِيمَةً، كَانَ جَسَدُكَ كُلُّهُ نَيِّرًا».[19] هَذِهِ العَينُ الجَسَدِيَّةُ لَيْسَتْ عَيْنًا بِدُونِ النَّفْسِ. إِنَّها مِرآةٌ لِتِلْكَ العَينِ الدَّاخِلِيَّةِ: العَقْلِ. إِنَّ للجِسْمِ عَقْلاً وَرُوحًا، وَفْقَ قَولِ الرَّسُولِ في عَقْلِ النَّفس: «فَهَا أَنا عَبْدٌ بِالعَقْلِ لِشَرِيعَةِ اللهِ وَعَبْدٌ بِالجَسَدِ لِشَرِيعَةِ الخَطِيئةِ».[20] لِذلِكَ، أَنَا بِنَفْسِي أَخْدُمُ شَرِيعَةَ اللهِ وبِجَسَدي شَرِيعَةَ الخَطِيئَةِ». وَعَنْ عَقْلِ الجَسدِ يَقُولُ: «إِنَّه مُنْتَفِخٌ مِنَ الكِبْرِياءِ بِتَفْكِيرِهِ البَشَرِيِّ، وَغيرُ مُتَمَسِّكٍ بِالرَّأْسِ».[21] كَذَلِكَ الأَمْرُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى اليَدِ أَوِ الرِّجْلِ. إِنَّه يُفَكِّرُ في اليَدِ اليُمْنَى لِكَوْنِها إِرادَةَ الرُّوحِ، وَفي اليَدِ اليُسْرَى لِكَوْنِها إِرادةَ الجَسدِ. هَذِهِ اليَدُ الجَسَدِيَّةُ لَيْسَتْ يَدًا وَاقِعِيَّةً، إِنَّما هِيَ عُضْوُ تِلْكَ اليَدِ. فَمَا لَمْ تُحرِّكْها الإِرادَةُ، سَوَاءٌ نَحْوَ الخَيْرِ أَو نَحْوَ الشَّرِّ، فَإِنَّها لا تَتَحَرَّكُ أَبَدًا. هَكَذا، تَكُونُ اليَدُ اليُمْنَى إِرادَةَ النَّفْسِ، وَتَكُونُ اليَدُ اليُسْرَى إِرَادَةَ الجَسدِ. يُشارُ إِلَى أَجْزاءِ النَّفْسِ بِأَنَّها «اليَمِينُ» وَإِلَى أَعْضَاءِ الجَسَدِ بِأَنَّها «اليَسَارُ». خُلِقَتِ النَّفْسُ بِسُلْطَةٍ خَاصَّةٍ تُمَكِّنُها مِنَ المَيلِ إِلَى الخَيرِ أَو إِلَى الشَّرِّ. خُلِقَتْ تَحْتَ شَرِيعَةِ الخَيْرِ لِتَرَى مَا هُوَ

[18] LP 43:8421; CF 11:75
[19] متى ٦: ٢٢.
[20] رومية ٧: ٢٥.
[21] كولوسيّ ٢: ١٨- ١٩.

صَحِيحٌ، وَتَتَصرَّفَ وَتَمْشِي في ضَوئِهِ. يُشَارُ إلَى أَجْزَاءِ الجَسَدِ بِأَنَّها «اليَسَارُ»، وَلَمْ يُوهَبِ الجَسَدُ سُلْطَةً لِيَخْتَارَ بَينَ الخيرِ وَالشَّرِّ. قَدْ مَالَ إلَى الشَّرِّ تَحْتَ شَريعَةِ الخَطِيئَةِ، لِذلِكَ لا يَقْدِرُ على أَنْ يَرَى مَا هُوَ صَحِيحٌ أَو يَسْمَعَهُ أَو يَفْعَلَهُ. لِذَا، يُشَارُ إلى القِدِّيسينَ كُلِّهِم وَكَأَنَّهُم «يَمِينٌ» وَإِلَى الخَاطِئِينَ وَكَأَنَّهُم «يَسارٌ». عَمَلٌ غيرُ كَامِلٍ حول متّى، الموعظة ١٢.[٢٢]

٥:٣١ طَلاقُ الزَّوْجَةِ

مَا جَمَعَهُ الله لا يُفَرِّقُه إنْسَانٌ. كرومَاتيوس: في كُلِّ شَيءٍ يُصْلِحُ رَبُّنا وَمُخَلِّصُنا عَدَالَةَ العَالَمِ نَحْوَ الأَفْضَلِ. أَبَاحَ مُوسَى، مُنْذُ زَمَنٍ، الطَّلاقَ لِلْيَهُودِ الَّذِينَ كَانُوا يَحْيَونَ حَيَاةً فَاسِقَةً وَيُشْبِعُونَ لَذَّتَهم. هَذَا مَا اقْتَضَتْهُ الظُّرُوفُ الرَّاهِنَةُ آنذاكَ، لَيسَ بِنَاءً عَلَى نِظَامِ الشَّرِيعَةِ، بَلْ بِنَاءً عَلَى مُتَطَلِّبَاتِ لَذَّةٍ جَامِحَةٍ عِنْدَ شَعْبٍ دُنْيَوِيٍّ عَاجِزٍ عَنِ الحِفَاظِ عَلَى بِرِّ الشَّرِيعَةِ وَفْقَ مَقَايِيسَ صَارِمَةٍ.

أُجِيزَ هَذَا التَّسَامُحُ اسْتِنَادًا إلَى مَا قَالَه الرَّبُّ نَفْسُهُ في رَدِّهِ عَلَى الصَّدُّوقِيِّينَ المُتَسَائِلِينَ. سَأَلُوه لِمَاذَا سَمَحَ مُوسَى بِإِعْطَاءِ كِتَابِ طَلاقٍ، فَأَجَابَهُم: «مِنْ أَجْلِ قَسَاوَةِ قُلُوبِكُم أَجَازَ لَكُمْ مُوسَى أَنْ تُطَلِّقُوا نِسَاءَكُم. وَلَمْ يَكُنِ الأَمرُ مُنْذُ البَدْءِ هَكَذَا».[٢٣] وَالآنَ، لِسَبَبٍ مُسْتَصْوَبٍ يَسْتَعِيدُ رَبُّنا وَمُخَلِّصُنا رُسُومَ شَرِيعَتِه الأَصْلِيَّةِ وَيُحَرِّمُ إِعْطَاءَ كِتَابِ طَلاقٍ. وَيَأْمُرُ بِأَنْ يَكُونَ الزَّوَاجُ طَاهِرًا مَحْفُوظًا بِشَرِيعَةٍ لا تُفْصَمُ عُرَاهَا، مُظْهِرًا أَنَّ شَرِيعَةَ الزَّوَاجِ سَنَّهَا الله نَفْسُه، إِذْ قَالَ: «فَمَا جَمَعَه الله لا يُفَرِّقنَّه إنْسَانٌ». موعظةٌ حَولَ متّى ٢٤. ١. ١- ٣.[٢٤]

أَرْبَعَةُ أَعْمَالِ ظُلْمٍ تُقْتَرفُ مَعًا في الطَّلاقِ. كَاتِبٌ مَجْهُولٌ: لَمَّا تَحَدَّثَ عَمَّن يَغْضَبُ بلا سَبَبٍ وَعَمَّن يَنْغَمِسُ في الشَّهْوَةِ، قَدَّمَ بِمَهَارَةٍ وَصِيَّةَ طَلاقِ الزَّوجَةِ. إِذَا استَوْجَبَ الدَّينُونَةَ مَنْ يُغْضِبُ أَخَاهُ بِلا سَبَبٍ، فَكَيْفَ لا يَسْتَوجِبُ الدَّينُونَةَ مَنْ يَكْرَهُ امْرأَتَه وَيُطَلِّقُها مِنْ دُونِ سَبَبِ الزِّنَى؟ لَكِنَّكَ تَقُولُ: «زَوجَتِي كَثِيرَةُ الأَخْطَاءِ». فَمَاذَا إِذًا؟ هَلْ أَنتَ بِدُونِ خَطَأٍ؟ فَإِنْ كَانَ عَلَيْنَا أَنْ نَحْمِلَ ضَعْفَ الغُرَبَاءِ وَفْقَ مَا يَقُولُه الرَّسولُ: «لِيَحْمِلْ بَعْضُكم أَثْقَالَ بَعْضٍ وبِذَلِكَ تُتِمُّونَ العَمَلَ بِشَرِيعَةِ الله»،[٢٥] أَلا يَجمُلُ بِنَا أَنْ

---

(٢٢) GP 596:65

(٢٣) متّى ١٩: ٨.

(٢٤) LCC 903:a9

(٢٥) غلاطية ٦: ٢.

نَحْمِلَ أثقالَ زوجاتِنا؟ إذا نظَرَ المرْءُ إلى امرأَةٍ ليشْتَهيَها، يزني معَها في قلْبه. كيْفَ لا يُعَدُّ مَنْ طَلَّقَ امرأَتَه، وكانَ سبَبًا لارتِكابِها الزِّنى، مَسْؤولاً عَنْ زِناها، إذْ تَرْتَكِبُ الفَحْشاءَ مَعْ غيره وَهُوَ يرتَكِبُها مَعَها؟ على المسيحِيِّ أنْ يَبْقى طاهِرًا وألاّ يَكُونَ سبَبَ عَثْرةٍ للآخرين، وإلاّ أُضِيفَ إثْمُهُم إلى إثْمِ مَنْ هُوَ سَبَبٌ لخطيئةِ الآخَرينَ. إنَّ كُلَّ مَنْ يُعْطِي كِتَابَ طَلاقٍ استِنادًا إلَى الشَّريعَةِ يرْتَكِبُ أرْبعَ مَظالِمَ في الوَقْتِ عينه: أوَّلاً، فقدِ ارتكَبَ بالنِّسْبةِ إلَى اللهِ قتْلاً. ثانيًا، طلَّقَ امرأَةً لَمْ تَرْتكِبِ الزِّنى. ثالثًا، جَعَلَ مِنْها زانيةً. رابعًا، إذا استرْجَعها إلَى بَيْتِه، لا تَزُولُ عَنهُ خَطِيئَةُ الزِّنى. هَذِهِ المَظالِمُ لا تُرْتَكَبُ عِندَما تُحْفَظُ وصِيَّةُ المَسيح. عمَلٌ غيرُ كامِلٍ حَولَ متّى، الموعظة ١٢.[٢٦]

٥: ٣٢ تَعْرِيضُ المَرأَةِ للزِّنَى

يَجْعَلُها تَزْني. الذَّهبيُّ الفَم: كَيْفَ يُطَلِّقُ امرأَتَهُ المَعرُوفُ بأنَّهُ الوَدِيعُ وَصانِعُ السَّلامِ وَالمِسْكِينُ في الرُّوحِ وَالرَّحِيمُ؟ وَكَيْفَ يتَغرَّبُ رَجلُ الصُّلْحِ عَنْ خاصَّتِه؟ لا هَذا فَحسْب، بَلْ يُخَفِّفُ الشَّريعةَ فَيستَثْني أمْرًا واحِدًا قائلاً: «إلاّ لِعِلَّةِ الزِّنى»؛ المَسْأَلَةُ تَعُودُ إلَى النُّقْطَةِ ذاتِها. فلَو أمَرَ أنْ يُبْقِيَها في البَيْتِ، مَعَ أنَّها دَنَّسَتْ نَفْسَها مَعْ كثيرين، لَجَعَلَ المسْألَة تنْتَهِي بالزِّنى أيْضًا. ألا ترى أنَّ هَذِه الأقْوالَ تتَّفِقُ مَعْ ما حدَث مِنْ قبْلُ؟ فمَنْ نظَرَ بعَيْنَيْن عفِيفتَين إلى امرأَةٍ لا يرْتكِبُ الزِّنَى، وَمَنْ لَمْ يرْتكِبِ الزِّنى لا يَحقُّ لَهُ أنْ يُطلِّقَ زوْجتَهُ. وبعْدَ هذا يُصِرُّ عَلَى المَسْألَةِ بدُون تَحفُّظٍ، ويَبْنِي هَذا الخَوْفَ كَحِصْنٍ، دَافِعًا الزَّوْجَ إلَى خَطرٍ أعْظمَ إنْ طلَّقَ زَوْجتَهُ، إذْ إنَّه يجْعَلُهُ مَسْؤولاً عَنْ زِناها. إنجيلُ متَّى، الموعظة ١٧. ٤.[٢٧]

إبْطالُ الزَّواج. ثيودور أسقف هيراقلية: يُعَلِّمُ بوُضُوحٍ، عبر هذِه الأُمُورِ، أنَّ الطَّلاقَ لَيْسَ مَيْلاً غَيْرَ مَنْطِقيٍّ في عَيْنَي اللهِ. بالأحْرَى، إنَّ العَمَلَ الرَّدِيءَ لا يُحَلُّ بالشَّريعَةِ. فتَعْليمُ المسيحِ بأكْمَلِه يحْكُمُ عَلَى الأُمورِ استِنادًا إلَى نِيَّةِ المَرءِ. المقطع ٣٤.[٢٨]

تَبْقَى جَسَدَه. ثيودور المبسوستيّ: رَبطَ كَلامَهُ عَلَى الطَّلاقِ بالزِّنَى، لأنَّ الرِّجالَ الَّذين يَتَخلَّون عَنْ زَوْجاتِهم رَغْبَةً مِنْهُم في

(٢٦) PG 56:697

(٢٧) PG 57:260; NPNF 1 10:119

(٢٨) MKGK 66

الاتِّصَالِ الجِنْسيِّ بغيرِهِنَّ يَرْتَكِبُونَ الزِّنَى. وَالشَّيءُ عينه يَنْطَبِقُ عَلَى النِّسَاءِ. هَكَذَا لا يُسْمَحُ للمُطلَّقَةِ أَنْ تَتَزَوَّجَ ثَانِيَةً. فَالرَّجُلُ الَّذي تَعِيشُ مَعَهُ يَجِبُ أَنْ يُؤَدِّيَ غَرَامَةَ الزَّانِي. وَإِن انْفَصَلَتْ عَنْ زَوجِهَا ظَاهِرِيًّا تَبْقَى في الحقيقةِ جَسَدَه. في البَدْءِ، جَمَعَهُمَا اللّهُ وَجَعَلَهُمَا «جَسَدًا وَاحِدًا».[٢٩] لِهَذَا السَّبَبِ، لا يُبَاحُ لِلرَّجُلِ أَنْ يَتَزَوَّجَ امرَأَةً أُخْرَى. المقطع ٣٣.[٣٠]

(٢٩) تكوين ٢: ٢٤.
(٣٠) KGKM 701

٥:٣٣-٤٨ الأَمْثَالُ الرَّابِعُ وَالخَامِسُ وَالسَّادِسُ: حَلْفُ اليَمِينِ وَالانْتِقَامُ وَالمَحَبَّةُ

٣٣ وسَمِعْتُمْ أنَّهُ قِيلَ للأقدمين: لا تَحنثْ، بل أَوفِ للرَّبِّ بإيمانك. ٣٤ أمّا أنا فأقولُ لكُم: لا تَحلِفوا مُطلَقًا، لا بالسَّماءِ لأنَّها عرشُ اللهِ، ٣٥ ولا بالأرضِ لأنَّها موطِىءُ قدَمَيْهِ، ولا بأُورَشليمَ لأنَّها مدينةُ المَلِكِ العظيم. ٣٦ ولا تَحلِفْ برأسِكَ، لأنَّكَ لا تقدِرُ أنْ تَجعلَ شَعْرةً واحدةً مِنهُ بيضاءَ أو سوداءَ. ٣٧ فليكُنْ كلامُكُم: «نَعَمْ نَعَمْ» و «لا لا»، وما زادَ على ذلِكَ فهوَ مِنَ الشِّرِّير.

٣٨ «سَمِعْتُمْ أنَّهُ قِيلَ: عَينٌ بِعَينٍ وسِنٌّ بِسِنٍّ. ٣٩ أمّا أنا فأقولُ لكُم: لا تُقاوِموا الشرِّيرَ. مَنْ لطَمَكَ على خَدِّكَ الأيمنِ، فحَوِّلْ لَه الآخَرَ. ٤٠ ومَنْ أرادَ أنْ يُخاصِمَكَ ليأخُذَ قميصَكَ، فاترُكْ لَه رِداءَكَ أيضًا. ٤١ ومَنْ سخَّرَكَ أنْ تَمشيَ معَهُ ميلاً واحدًا، فامشِ معَهُ مِيلَيْنِ. ٤٢ مَنْ سألَكَ فأعطِهِ، ومَنْ أرادَ أنْ يقترِضَ مِنكَ فلا ترُدَّهُ خائبًا.

٤٣ «سَمِعتُم أنَّهُ قِيلَ: أحِبَّ قريبَكَ وأبغِضْ عَدُوَّكَ. ٤٤ أمّا أنا فأقولُ لكُم: أحِبّوا أعداءَكُم، باركوا مَنْ يَلْعَنُكم، وأحسنوا إلى مَنْ يُبْغِضُكم وصَلُّوا لأجلِ من يُعنّتكُم ويضْطَهِدكُم، ٤٥ فتكونوا أبناءَ أبيكُمُ الَّذي في السَّماواتِ. فهوَ يُطلِعُ شَمْسَهُ على الأشرارِ

والصَّالحِينَ، ويُمطِرُ على الأبرارِ والظَّالمِينَ. [٤٦]فإنْ كُنتُم تُحِبُّونَ من يُحِبُّكُم، فأيُّ أجرٍ لكم؟ أوَلَيس جُباةُ الضَّرائِب يعملون ذلك؟ [٤٧]وإنْ كنتُم لا تُسلِّمونَ إلاّ على إخوتِكُم، فأيَّ زيادةٍ عمِلتُم؟ أوَلَيس جُباةُ الضَّرائِب يعملون ذلك؟ [٤٨]فكونوا أنتُم كاملِينَ، كما أنَّ أباكُمُ السَّماويَّ كامِلٌ.

نَظْرَةٌ عَامَّةٌ: تَأْمُرُ الشَّرِيعَةُ بِأَلاَّ يَحْلِفَ المرءُ بِالبَاطِلِ، في حين أنَّ الإنجيلَ يأْمُرُه بألاَّ يَحْلِفَ إطْلاقًا (كروماتيوس). إنَّ الذين يحْيَونَ ببَساطةِ حيَاة الإيمانِ لا يَحْتاجُونَ إلى حَلْفِ اليَمِينِ (هيلاريون). إذا اعتقدَ خُصُومُكم أنَّكُم تُقْسِمُونَ صِدقًا، فإنَّهم لنْ يُرْغِمُوكم أبدًا على القَسَمِ (كَاتِبٌ مَجْهُولٌ). لا تُقِمْ وثنًا مَخْلُوقًا بِقَسَمِكَ مِنْ بَعْضِ المَخْلُوقَاتِ (كيرلُّس الإسكندري). مَنْ أقْسَمَ بعَناصِرَ دُنْيَوِيَّةٍ أشارَ إشارَةً ضِمْنِيَّةً إلَى مُبْدِعِها (كروماتيوس). أُنْسُبْ كُلَّ المَجْدِ إلَى الله (الذَّهبيُّ الفم).

إذا انطلَقْنا مِنْ أَمرِ الشَّرِيعَةِ نَرُدُّ كَيْدَ الجَمِيعِ إلَى نَحْرِنا ونَكُونُ كُلُّنا أشْرارًا، وبذَلِكَ يَتَداعَى أَسَاسُ الشَّرِيعَةِ (كَاتِبٌ مَجْهُولٌ). إنَّنا نُقَاوِمُ الشَّرَّ بإخْضَاعِ أَنْفُسِنَا للأَلَمِ بَاطِلاً (كروماتيوس). يَأْمَلُ الرَّبُّ أَنْ يَخْتَبِرَ بهذِهِ التَّحَدِّياتِ رَجاءَ إيمَانِنا المُمْتَدَّ إلَى الأَزَلِيَّةِ، فيَكونُ تَحمُّلُ إصابَةٍ خَفِيَّةٍ شَهادَةً لدَيْنُونَتِنا الآتيةِ (هيلاريون). إنَّ تَحْوِيلَ الخدِّ الآخَرِ يَزْرَعُ الشَّكَّ في الَّذين لا يَفْهَمُونَ بَراهِينَ الإيمَانِ (أوريجنُس). إنْ أَقَامَ المُجرِّبُ دَعْوةً عَلَيْنا لِيَخْتَبِرَ إيمَانَنا رَاغِبًا في أَنْ يَبْتَزَّ مِنَّا مَا لَنا، فَالرَّبُّ يَأْمُرُنا بألاَّ نُقدِّمَ طوعًا لَيْسَ فَقَط مَا يَطْلُبُه مِنَّا ذَلِكَ الشَّخصُ ظُلْمًا، بلْ مَا لا يَطلُبُه مِنَّا المجرِّبُ (كروماتيوس). أُهْرُبْ، مِثْلَ يُوسفَ، بدُونِ لبَاسِكَ لتتَّشِحَ بعَدالةٍ أَسْمَى (كَاتِبٌ مَجْهُولٌ). إنَّكَ ستَنْتَصِرُ مُتَحَرِّرًا مِنَ الأَهْوَاءِ الجَائِرَةِ بامْتِلاكِكَ كُلَّ مَا هُوَ مُشْتَرَكٌ وبالمَشْي مَعَهُ مِيلاً ثانيًا بسَبَبِ رَحْمَتِكَ (الذَّهبيُّ الفم).

إنَّ المَشْيَ مَعَ الآخَرِ مِيلَين ذو مَعْنَى رُوحِيّ: المَشْيُ مَعَ المُؤمِنِ بالآبِ مِيلاً وَاحِدًا يَجْعَلُكَ صَبُورًا مَعَه في المَشْيِ مِيلاً ثانيًا للإيمَانِ بالابْنِ وَالرُّوحِ (كروماتيوس). رُبَّما يُجرَّبُ الغَنِيُّ بالأَلمِ الجَسَدِيِّ أكثرَ مِنْ أنْ يُجرَّبَ ويُخْتَبَرَ في سَخائه المَادِّيِّ (كَاتِبٌ مَجْهُولٌ). أَعْطُوا مَجَّانًا مَا أَخَذْتُمُوه مَجَّانًا (جيروم). يقُولُ يَسُوعُ أَحْسِنوا إلَى المُحْتَاجِ سَواءٌ كَانَ صَدِيقًا أو عَدُوًّا، مُؤمِنًا أو غَيرَ مُؤمِنٍ (ثيودور أسقف هيراقلية).

أَوْصَانَا المَسِيحُ أَنْ نُحِبَّ أَعْدَاءَنَا، لا مِنْ أَجْلِهِم فَحَسْب، بَلْ مِنْ أَجْلِنا بالدَّرَجَةِ الأُولَى: لا لأَنَّ الأَعْدَاءَ يَسْتَحقُّونَ مَحَبَّتَنا بَلْ لأَنَّه لا يَلِيقُ بِنَا أَنْ نَكْرَهَ أَيَّ إِنْسَانٍ (كَاتِبٌ مَجْهُولٌ).

لا يُوصِينَا المَسِيحُ بتَحْقِيق مَا نَعْجَزُ عَنِ القِيَامِ بِهِ (ثيودور أُسقف هيراقلية). إِنْ كُنْتَ تَكْرَهُ عَدُوَّكَ، تُؤذِي ذَاتَكَ في الرّوحِ أَكثرَ ممَّا تُؤذِيه هو في الجسَدِ (كَاتِبٌ مَجهولٌ). التَّبَنِّي يُشيرُ إِلَى خَاصِّيَّةِ دَعْوتِنَا لنَيْلِ الميراثِ الأَبَديِّ كَورَثَةٍ مَعَ المَسِيحِ بالتَّجْدِيدِ الرُّوحِيِّ (أوغسطين). إِنَّ مَنْ يُحِبُّ عَدُوًّا لا يُحِبُّه مِنْ أَجلِنا، بَلْ مِنْ أَجْلِ اللّه؛ فَإِنَّ لذَلِكَ الشَّخْصِ ثَروةً عَظِيمَةً (كَاتِبٌ مَجهولٌ).

إِنَّ المَعْنَى الرُّوحِيَّ للشَّمْسِ بكَونِها تَكْشِفُ عَنِ الحَقِّ يَتَّصِلُ بالمَعْنَى الحَرفِيِّ للشَّمْسِ كَنُورٍ. والمَعْنَى الرُّوحيُّ للمَطَرِ بكَونِه يَرْوِي الجَمِيعَ بتَعْلِيمِ الحَقِّ يَتَّصِلُ بالمَعْنَى الحَرفِيِّ للمَطَرِ كمُنْعِشٍ (أوغسطين). يَرْضَى اللّه بأَنْ يَتَنَعَّمَ الأَثَمَةُ بحَسَنَاتِه رَغْمَ عَدَمِ استِحْقَاقِهِم، ولا يرضى بأَنْ يَسْلُبَ الأَبْرَارُ حَسَنَاتِه بخلافِ مَا يَسْتَحِقُّونَهُ (كَاتِبٌ مَجْهُولٌ). نَحْنُ مَدْعُوُّونَ إِلى أَنْ نَكونَ نَمَاذِجَ للصَّالِحِينَ والأَشْرَارِ في اقتِدَائنا بالمَسِيحِ الَّذي يَجْعَلُ الشَّمْسَ تُشرِقُ والمَطَرَ يَنْزِلُ بالمَعْمُودِيَّةِ وبِأَسْرَارِ الرُّوحِ (هيلاريون).

٥:٣٣ لا تَحْنَثْ

لا يَحْتَاجُ الإِيمَانُ إِلَى الحلفِ باليَمِينِ.

هيلاريون: تَأْمُرُ الشَّرِيعَةُ بمُعَاقَبَةِ مَنْ يَحْنَثُ بيَمِينِه، لأَنَّ القَسَمَ يُخْضِعُ الشَّهادَةَ البَاطِلَةَ للتَّوْبِيخِ... لَكِنَّ الإِيمَانَ يُبْطِلُ ضَرُورَةَ استِخْدَامِ اليَمِينِ، وَيَبْنِي الحَقَّ كَأَسَاسٍ للتَّعَامُلِ في حَيَاتِنا. حِينَ يُخْضَعُ الخِدَاعُ للتَّوبِيخِ، يَقْتَرِنُ الإِيمَانُ بالبَسَاطَةِ في الكَلامِ والسَّمْعِ. . . لذَلِكَ لا يَحْتَاجُ الَّذِينَ يَحيونَ في بَسَاطَةِ الإِيمَانِ إِلَى حَلْفِ اليَمِينِ. مَعَ أُنَاسٍ كَأُولَئِكَ، مَا هُوَ يكُونُ دَائما هُوَ، وَمَا لَيْسَ هُوَ لَيْسَ هُوَ. لهذَا السَّبَبِ، يكُونُ دَائمًا كَلامُهُم كُلُّه وَعَمَلُهُم كُلُّه صَادِقًا. في متّى ٤. ٢٣.[1]

شَهَادَةُ زُورٍ تَنْبَثِقُ عَنِ الحلْفِ باليَمِينِ.

كَاتِبٌ مَجْهُولٌ: هُنَا، الوَصِيَّةُ الرَّابِعَةُ تُعْتَبَرُ الصُّغْرى مِنْ قِبَلِ المُعْتَدِّينَ بِأَنْفُسِهِم وَالظَّانِّينَ أَنَّ القَسَمَ الصَّادِقَ لَيْسَ خَطِيئَةً وَأَنَّ وَصِيَّةَ الشَّرِيعَةِ لا تَحْتَلُّ مَقَامَهَا بدُونِه. يَتَعَسَّرُ إِيقَافُ القَسَمِ البَاطِلِ، مَا دَامَ القَسَمُ عينه غيرَ مُحَرَّمٍ، لأَنَّ الحِنْثَ يَنْتُجُ من الحَلْفِ باليَمِين. فمَا مِنْ أَحَدٍ يُكْثِرُ مِنَ القَسمِ إِلاَّ ويَحنَثُ أَحْيَانًا. لذَلِكَ يُحَذِّرُنا سُليمَانُ قَائلاً:

---

[1] CS 241:452

«لا تُعوِّدْ فمكَ على حلفِ اليمين، لأنَّ فيه مصائب كثيرة».[٢] فمَن اعتاد كثْرة الكلامِ يُضطرُّ إلى التلفُّظِ بما لا يليقُ... ومن اعتادَ القسَمَ في مُناسَباتٍ مؤاتيةٍ يُضطرُّ، بفِعْلِ العادةِ، إلى أنْ يُقْسِمَ مُرْغَمًا في مسائلَ نافلةٍ. والآنَ، شأننا مع أيَّةِ عادةٍ، عِنْدما نُريدُ فِعْلَ شيءٍ، نفْعلُه؛ وعِنْدما لا نُريدُ فِعْله، نُحْجِمُ عنْه. يُعلِّمُنا سُليمانُ أنَّ دينونةَ اللهِ ستحِلُّ بمَنْ يُقْسِمُ: «مَنْ يحْلِفْ كثيرًا يَمْتلئْ شرًّا، ولا يُفارق العِقابُ أهلَ بيتِه».[٣] إذا كانَ العِقابُ لا يُفارقُ الذين يُكْثِرون القَسَم، فكيْفَ يُفارقُ الذين يُقْسِمون أحْيانًا؟ أَخْبِرْني، يا صديقي، ماذا تربحُ بقَسَمِك؟ فإذا اعتقدَ خصْمُك أنّك تقْسِمُ بالحقِّ، فلَنْ يُكْرِهَكَ أبدًا على القسمِ. لكِنْ، بما أنَّه يظُنُّ أنَّكَ قدْ تحْنَثُ فهو يُكرِهُكَ على القَسَمِ. عملٌ غيرُ كاملٍ حولَ متّى، الموعظة ١٢.[٤]

٣٤:٥ لا تحلِفوا مُطلقًا، لا بالسَّماءِ لأنَّها عرْشُ اللهِ

القَسَمُ غيرُ لائقٍ. كروماتيوس: بنِعْمةِ العقيدةِ الإنْجيليَّةِ، اكتسبَتْ شريعةُ موسى ميزتَها. فالشَّريعةُ تأمُرُ بألاّ يَحْلِفَ المرءُ باطِلاً، أمَّا في الإنْجيلِ فيَجِبُ بألاّ يَحْلِفَ مُطْلقًا. فمِنَ اللائقِ بالرُّوحِ القُدُسِ أن يأمُرَ بذلِكَ على لسانِ سُليمانَ لمَّا قالَ: «لا تُعوِّدْ فمكَ على حلْفِ اليمينِ».[٥] ويقولُ: «العَبْدُ الَّذي يُؤدَّبُ لا يَرْتدِعُ عنِ الجَسَدِ. ومَنْ يَحْلِفْ، ولو قامَ بعَمَلِه، لا يَتطهَّرْ مِنَ الخطيئةِ». لذلِكَ لا يليقُ بنا أنْ نحْلِفَ يمينًا. ما حاجتُنا إلى القسمِ إذا كانَ لا يُسْمَحُ لنا بالكذِبِ، وإذا كانَ مِنَ الواجبِ أنْ يكونَ كلامُنا صادِقًا موثوقًا بحيثُ يُعْتَبَرُ قسَمًا؟ إنَّ اللهَ يُحرِّمُ اللهُ علَيْنا أنْ نَحْنثَ وأنْ نَحْلِفَ، لئلاَّ نظْهرَ أنَّنا لا نقولُ الحقَّ إلاَّ إذا أقْسمْنا (في حِينِ أنَّه يجِبُ علَيْنا أنْ نكونَ صادقين في كُلِّ كلمةٍ مِنْ كلماتِنا). إنَّنا نظُنُّ أنَّ الكذِبَ مقْبولٌ عِنْدما لا نَحْلِفُ يمينًا، أمَّا غايةُ حلْفِ اليمينِ فهي: منْ حلَفَ يَمينًا يُقْسِمُ بأنَّ ما يقولُه هُوَ حقٌّ. لذلِكَ لا يُريدُ الرَّبُّ أنْ توجَدَ ثُغْرةٌ بينَ يَمينِنا وكلامِنا العاديِّ. كما أنَّه لا وُجودَ للشَّكِّ في الحلْفِ باليَمينِ، هكذا يَجِبُ أنْ لا يكُونَ هُناكَ كذِبٌ في كلامِنا. فالحِنْثُ والكذِبُ يُعاقِبُ المرءَ علَيْهما بالدَّينونةِ الإلهيَّةِ، فالكِتابُ يقولُ: «اللِّسانُ الكاذِبُ يقْتُلُ

[٢] يشوع بن سيراخ ٢٣: ٩.
[٣] يشوع بن سيراخ ٢٣: ٩.
[٤] 796:65 GP
[٥] يشوع بن سيراخ ٢٣: ٩.

الرُّوح».[٦] فمَن تكلَّمَ بالحقِّ أقْسَمَ، كَمَا جَاءَ في الكِتَابِ: «الشَّاهِدُ الأَمينُ لا يَكْذِبُ».[٧] مَوْعِظَةٌ حوْلَ متّى ٢٤. ٢. ٢- ٤.[٨]

٥:٣٥ لا تَحْلِفُوا بالأَرْض

لا تُؤَلِّهُوا الخَلِيقَةَ. كيرلّس الإسْكندريّ: يُحَرِّمُ يَسُوعُ عَلَيْنَا أَنْ نَحْلِفَ بالسَّمَاوَاتِ أَوْ بالأَرْضِ، لئلاَّ نُعْطِي الخَلِيقَة كَرَامَةً أسْمَى مِمَّا للْخَلِيقَةِ فنُؤَلِّهُهَا. فَالَّذين يُقْسِمُونَ، يقُولُ الكِتَابُ، «إنَّما يُقْسِمُونَ بمَنْ هُوَ أَعْظَمُ مِنهُم»، كَمَا قَالَ الرَّسُولُ.[٩] ويُحَرِّمُ أيضًا القَسمَ بأُورشَليم، لأَنَّ أُورشَليم الأَرْضِيَّة رَمْزٌ لأُورشَليمَ العُلْويَّة، واللّه يُقْسِمُ بنَفْسِه فقَطْ، أي بمَجْدِه.[١٠] وبِمَا أنّه مِنْ غيرِ المَعْقُولِ أنْ نَتَشبَّهَ باللّه، فَنَحْنُ نَمْتَنِعُ عَنِ القَسَمِ بأَنْفُسِنا أو بمقامِنَا، لأَنَّنَا لَسْنَا أَحْرَارًا مِثْلَ اللّه، لَكِنَّنَا خَاضِعُونَ لسُلْطَتِه. المقطع ٦٣.[١١]

٥:٣٦ لا تَحْلِفُوا برُؤوسِكُم

لا تَحْلِفُوا بالعَنَاصِرِ الأَرْضِيَّة. كروماتيوس: إنَّ كَلامَ الرَّبِّ الَّذي يُحَرِّمُ عَلَيْنَا القَسَمَ بهَذِه العَنَاصِرِ المُخْتَلِفَةِ يَسْتَدعِي إيضَاحًا مُضَاعفًا.

أَوَّلاً، أَرَادَ أَنْ يَنْهَانَا عَنِ القَسَمِ وَعَن اتِّبَاعِ تَقَالِيدِ الضَّلالِ البَشَريِّ، خِشْيَةَ أَنْ نُضْفِيَ، عبر قَسَمِنَا بهَذِه العَنَاصِرِ، شَرَفَ التَّكْرِيمِ الإلَهيِّ عَلَى المَخْلُوقِ أو أَنْ نَعْتَقِدَ أَنَّ للمَرءِ حَصَانَةً في الحَلْفِ بَاطِلاً إنْ أَقْسَمَ بعَنَاصِرِ العَالَمِ.... ويُمْكِنُ شَرْحُها أيضًا بهَذِه الطَّرِيقَةِ: عِنْدَمَا يَحْلِفُ أَحَدٌ بالسَّمَاءِ وَبالأَرْضِ، يَحْلِفُ بصَانعِ السَّماءِ وَالأَرْضِ، كَمَا يقولُ الرَّبُّ نَفْسُه في مَوْضِعٍ آخر: «مَنْ يَحْلِفْ بالمَذبَحِ يَحلِفْ به وبكُلِّ مَا عليهِ، وَمَنْ يَحلِفْ بالهَيكَلِ يَحلِفْ به وباللّه السَّاكنِ فيه».[١٢] وَيُتَابعُ يَسوعُ قَائِلاً: «ولاَ بأورَشليم لأَنَّها مَدينَةُ المَلِكِ العَظِيم»، أَعْني رَمْزَ جَسَدِ المَسِيحِ، أي الكَنِيسَة السَّمَاويَّة الرُّوحيَّة. ويَقُولُ: «لا تحْلِفْ برأْسِكَ»، لأَنَّه بحَسَبِ الرَّسُولِ: «المَسِيحُ هُوَ رَأْسُ كُلِّ إنْسَانٍ».[١٣] لذَلِكَ فإنَّ مَنْ يُقْسِمُ بهَذِه الأُمورِ يُشيرُ إِلَى خَالِقِها وَمُبْدِعِهَا. مَوعِظَةٌ حَولَ

---

[٦] حكمة ١: ١١.

[٧] أمثال ١٤: ٥.

[٨] LCC 11-013:a9

[٩] عبرانيّين ٦: ١٦ «والنَّاسُ يُقْسِمُونَ بمَنْ هُوَ أَعْظَمُ مِنهُم، وَالقَسَمُ تَثْبِيتٌ لأَقْوَالِهِم».

[١٠] عبرانيّين ٦: ١٣؛ أنظر إشعيا ٤٥: ٢٣؛ إرميا ٢٢: ٥.

[١١] KGKM 271

[١٢] متّى ٢٣: ٢٠- ٢٢.

[١٣] ١ كورنثس ١١: ٣.

متّى ٢٤. ٣. ١- ٤.[١٤]

٣٧:٥ فَلْيَكُنْ كَلامُكُم: «نَعَمْ نَعَمْ» و «لا لا»

النَّعَمُ البَسِيطَةُ أو اللاّ. الذَّهَبِيُّ الفم: هُنَا أيضًا حَرَّمَ عَلَى المَرْءِ أَنْ يُقْسِمَ بِرَأْسِهِ: فِي هَـذَا القَسَمِ يَعْبُدُ المَرْءُ نَفْسَهُ. أَمَّا المَسِيحُ فَأَرْجَعَ المَجْدَ كُلَّه إِلَى الله، دَالاًّ عَلَى أَنَّكَ لَسْتَ سَيِّدَ نَفْسِكَ، وَتَالِيًا لَسْتَ سَيِّدَ القسم بِرَأْسِكَ. إذا لَمْ يَكُنْ هُنَاك مَنْ يُقَدِّمُ وَلَده لآخَر، فَكَمْ بِالأَحْرَى يَرْفُضُ الله أَنْ يَتَخَلَّى عَنْ عَمَلِهِ. وَرَغْم أَنَّه رَأْسُك، فَهُوَ مُلْكُ غيرك. هَيْهَاتِ لَكَ أَنْ تَكُونَ سَيِّدًا عَلَيْه؛ فَأَنْتَ غيرُ قَادِرٍ عَلَى فِعْلِ أَقلِّ الأَشْيَاءِ بِه.

أَلَمْ يَقُلْ: لا تَقْدِرُ أَنْ تُنْبِتَ شَعْرَةً واحِدَةً، أَوْ أَنْ تُغَيِّرَ نوعيَّتَهَا.

مَاذا يَزِيدُ عَلَى النَّعمِ وَاللاّ؟ إِنَّهُ القَسَمُ لا الحِنْث. الحِنْثُ يَعْتَرِفُ بِخَطِئِهِ، وَمَا مِنْ ضَرُورَةٍ للاعْتِرافِ بِأَنَّه مِنَ الشّرير، وَبِأَنَّه لَيْس زَائِدًا، بَلْ غَرِيمٌ: الزَّائدُ هُو مَا تَجَاوَزَ الفَرْضَ، وَهُوَ القَسَمُ.

قَدْ يُقَالُ: أَوَلَيس القَسمُ مِن الشرِّير؟ وَإِذا كَانَ مِنَ الشِّرِّير فَكَيْفَ كَانَ شَرِيعَةَ الله؟ حَسَنًا سَتَقُولُونَ الأَمْرَ عَيْنَه فِي طَلاقِ المَرْأَةِ: كَيْفَ يُعْتَبَرُ الآن زِنى، وَقَدْ كَانَ مَسْمُوحًا بِهِ مِنْ قَبْلُ؟ الوَصَايَا الَّتي صَدَرت آنذاك كَانَت مُتعلِّقةً بِضَعْفِ الَّذين كَانُوا يَتلقَّون الشَّرائِعَ. كَمَا أَنَّ التَّلَعْثُمَ لا يَلِيقُ بِالفَيْلَسُوف، هَكَذا لا تَلِيقُ بِالله رائِحَةُ المُحْرَقَاتِ. وَعَلَى هَذا الغِرارِ يُظَنُّ أَنَّ الطَّلاقَ زِنى، وأَنَّ القَسَمَ مِنَ الشّرِّير. أَمَّا الآنَ فقد قَدَّمَ مَبادِئَ الفَضِيلَةِ. لَوْ كَانَتْ هَذِه الأُمُورُ مُنْذُ البَدءِ شَرائِعَ الشِّرِّير، لَمَا أَدَّتْ إِلَى صَلاحٍ عَظِيمٍ كَهَذَا. حَقًّا لَوْ لَمْ تَكُنِ الوصَايا سَابِقَةً بِالدَّرجَةِ الأُولَى لَمَا قُبِلَتِ الآنَ بِهَذِهِ السُهُولَةِ. لا تَسْأَلُوا عَنْ مَنَافِعِهَا الآن، لأَنَّ ضَرُورَتَهَا انقضت، لَكِنَّها كَانَت ضَرورِيَّةً في زَمَانِهَا. إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَحْفَظَهَا، تُظْهِرُ لَكَ الآنَ فَضِيلَتَها. فَهِي تَفْضَحُ عُيوبَنَا. وَبِمَا تَكْشِفُهُ مِنْ أَخْطَاءٍ تُصْبِحُ مَوْضِعَ إِعْجَابٍ. لأَنَّها، لَوْ لَمْ تُغَذِّنا وَتُعِدَّنا لِتَقَبُّلِ الوَصَايَا العُظْمَى، لَمَا ظَهَرَتْ أَنَّها صَالِحَةٌ.

هَكَذَا يَقُولُ السَّيِّدُ المَسِيحُ عنها إِنَّها مِنَ الشِّرِّير، لا لِيُشِيرَ إِلَى أَنَّ الشَّرِيعَةَ القَدِيمَةَ هِيَ مِنَ الشِّرِّير، بَلْ لِكَي يُبْعِدَ النَّاسَ عن فقرِهِمُ القديم بِكُلِّ جِدٍّ.

إِنَّها شَبِيهَةٌ بِثَدْيِ المَرْأَةِ، فَعِنْدَمَا يُنْهِي مَهمَّتَه يَنْطَلِقُ الطِّفْلُ إِلَى مَائِدَةٍ أَكْمَل. فَيَبْدُو

[١٤] LCC 9a:113- 21

بَعْدَ ذلِكَ أَنَّه لا نَفْعَ مِنْه. عِنْدَمَا يُدْرِكُ الوَالِدان ضَرُورَةَ فَطْمِ الطِّفْلِ يَخْدَعَانِه بِآلافِ المظاهِرِ الكاذِبَةِ. وَالكَثِيرُون لا يكْتَفُون بالتَّلاعُبِ بالكلامِ بلْ يَسْتَخْدِمُونَ أَدويةً مُرّةً، لكي يكْبُتُوا رَغْبَةَ الطِّفْلِ عِنْدمَا لا يَنْجَعُ الكَلامَ. وبهذه الأَسَالِيبِ تُطْفَأُ الشَّهْوَةُ. هكَذَا يقُولُ لهُمُ المَسِيحُ إنَّ الشَّرائِعَ القديمةَ هِي مِن الشِّرِّير، لا ليُظْهِرَ لهُم أَنَّ الشَّريعَةَ القَدِيمة هِيَ مِنْ إبلِيس، بَلْ ليَحْمِلَهُم، بالغلوِّ، عَلَى الإقْلاعِ عَنِ الدَّنَاءةِ القَدِيمَةِ. إنجيلُ متَّى، الموعظة ١٧. ٥ – ٦.[١٥]

٥:٣٨ عَيْنٌ بِعَيْنٍ

لا تُقاوِمُوا الشِّرِّيرَ. كاتِبٌ مَجْهولٌ: إنَّ الشَّريعَةَ الَّتي تقُولُ «عَيْنٌ بِعَيْنٍ وَسِنٌّ بِسِنٍّ» تقُومُ على هذه القَاعِدَةِ: يَتَجنَّبُ المرءُ أذى قَرِيبِه عنْ خَوفٍ وَهلَعٍ. وبذلِكَ يتمُّ تَصوُّرُ أنَّ الإِنسَانَ الشِّرِّيرَ غَيْرُ مَوْجُودٍ. لَكِنْ، وَيْلٌ للعَالَمِ بِسَبَبِ عثَرَاتِه! مَا دُمْنَا نَعِيشُ في عَالَمٍ يتَحَكَّمُ فِيه إبْلِيس، فالنَّمَّامُونَ والمُقَاتِلُونَ والمُضْطَهِدُونَ هُمُ الغَالِبِيَّةُ بالضَّرُورَةِ. فَإذا ابتَدَأْنا، وَفْقَ مَا تَأْمُرُ به الشَّرِيعَةُ، بِأَنْ نُقاوِمَ الشَّرَّ بالشَّرِّ، ونَحْنُ أشْرَارٌ، فَإِنَّ أَسَاسَ الشَّريعَةِ يَتقوَّضُ، ومَا هِيَ النَّتِيجَةُ؟ حِينَ أَرادتِ الشَّرِيعَةُ أَنْ تُحَوِّلَ الشَّرَّ إلَى خيْرٍ، حوَّلتْ أَيضًا الخَيْرَ إلَى شَرٍّ. لَكِنْ، إذَا كُنَّا نَتْبَعُ أَمْرَ المَسِيحِ، ولا نُقَاوِمُ الشَّرَّ، لا يَتَضرَّرُ الأَشْرَارُ، وَالخيرُ يبْقَى خيرًا. وَهكَذَا، بأَمْرِ المسيحِ، يتِمّ أَمرُ الشَّريعةِ أيضًا. مَنْ يُتِمّ أَمرَ الشَّريعةِ لا يُتمّ أمْرَ المَسِيحِ؛ أَمَّا مَنْ يُتِمّ أمرَ المَسِيحِ فيُتِمّ أَمرَ الشَّريعَةِ في الوَقْتِ عينِه. عَمَلٌ غيرُ كامِلٍ حول متَّى، الموعظة ١٢.[١٦]

٥:٣٩ حوِّلْ لَه الخَدَّ الآخر

تَقْدِيمُ الخَدِّ الآخر. أوريجنّس: مَا قالَهُ يَسُوعُ عَنْ تَحْوِيلِ الخدِّ الآخرِ لا ينْحَصِرُ بطُولِ الأَناة. إنَّ إهانَةَ الآخرِ بضَرْبِه أمْرٌ مُخَالِفٌ للطَّبيعةِ. فلنْ يُقَاوِمَ كُلُّ مَنْ «كَانَ مُسْتَعِدًّا للاعتِذارِ» أَمامَ كُلِّ آثمٍ بِنَاءً عَلَى «الإِيمَانِ الَّذي فِيه»:[١٧] مَنْ صَفَعَ الآخرَ علَى الخَدِّ الأيمنِ – خِلافًا للعَقائِدِ الرُّوحِيَّةِ – قدَّمَ لَه المُؤمِنُ كُلَّ مَا هُوَ خُلُقِيٌّ، فَيكُفُّ عَن اتِّهامِه، وَيتَقَدَّمُ في الأُمُورِ الإلَهِيَّةِ مُعْثِرًا الَّذِينَ لا يَفْهَمُونَ كَلِمَةَ الإيمَانِ. المقطع ١٠٨.[١٨]

---

(١٥) GP 75:162-26; NPNF 1 10:120-21

(١٦) GP 56:699

(١٧) ١ بطرس ٣: ١٥.

(١٨) SCG 1.14:60

تَحَمُّلُ الأَذى الخَفيّ شَهادَةٌ عَلَى الدَّيْنُونَةِ المُسْتَقْبلَة. هيلاريون: يَشاءُ الرَّبُّ أَنْ يَمْتَدَّ رَجاءُ إيمانِنا إلَى الأَبديَّةِ، بحَيْثُ يكُونُ تَحَمُّلُ الأَذى الخفيِّ شَهادةً على دَيْنُونَتِنا المُسْتَقْبلَةِ. فالشَّريعَةُ كانَتْ تُوَلِّدُ في نُفُوسِ اليَهُودِ غيرِ المُؤمنِين الخِيفَةَ، وتُهَدِّدُهُم بردِّ الأَذَى علَى الرَّغْبَةِ في الأَذَى. لَكِنَّ الإيمانَ لا يُبيحُ لَنَا أَنْ نمتعِضَ مِنْ أَيِّ ضررٍ يَحُلُّ بنَا، وَلا يُرَغِّبُنَا في الانْتِقَامِ. . . فحُكْمُ اللَّهِ أَعْظَمُ مُؤاسَاةٍ للَّذين لَحِقَ بِهِم الضَّررُ؛ العُقُوبَةُ مُرعِبَةٌ أَكْثَرَ مِنْ مُقَاوَمَةِ الشَّرِّ. لذلِكَ لا يَدْعُونا الإنْجِيلُ إلى الابْتِعادِ عَنِ المَسَاوِئِ فَحَسب، بلْ إلى الابْتِعَادِ عَنِ الرَّغْبَةِ في الثَّأرِ. إذا تَلَقَّيْنَا صَفْعَةً على أحدِ الخَدَّيْنِ، فَعَلَينا أَنْ نُقَدِّمَ الخدَّ الآخرَ. . . فَالرَّبُّ الَّذي يُرافِقُنا في رِحْلَتِنا يُقَدِّمُ خَدَّيه للَّطمِ ومَنْكِبَيهِ للجَلْدِ وَيَزْدَادُ مَجْدُهُ أَلَقًا. متّى ٤. ٢٥.[١٩]

لا تُقَاوِمُوا الشِّرِّير. الذَّهبيُّ الفَم: لِهَذا أَضَافَ: «أَمَّا أَنا فَأَقولُ لَكُم: لا تُقَاوِمُوا الشِّرِّيرَ»، لَمْ يَقُلْ لا تُقَاوِموا أَخَاكُم «بَل «الشِّرِّيرَ»، دَالاًّ عَلَى أَنَّ النَّاسَ يَجْتَرِئونَ على القِيَامِ بذَلِكَ لأَنَّ الشِّرِّيرَ يُحَرِّكُهُم؛ وبِهَذِه الطَّرِيقَةِ يُخَفِّفُ السَّيِّدُ مِنْ حِدَّةِ غَضَبِنا عَلَى المُعْتَدِي ويُزيلُه، إذ يُنحي باللَّوم عَلَى إبْلِيس. قد يَسأَلُ بَعْضُهم: «أَلا يَنْبَغِي إِذًا أَنْ نُقَاوِمَ الشِّرِّيرَ»؟، بَلَى إنَّهُ واجِبٌ، لَكِنْ لا بِهَذِه الطَّرِيقَةِ؛ فقد عَلَّمَنَا السَّيِّدُ أَنَّه بتَحَمُّلِنَا الظُّلمَ نَفُوزُ عَلَى إبلِيس، فالنَّارُ لا تُخْمَدُ بالنَّارِ، بَلْ تُخْمَدُ النَّارُ بالماءِ. إنجيلُ متّى، الموعظة ١٨. ١.[٢٠]

٥:٤٠ أُتْرُكْ لَه رِداءَك وَثَوْبَك

تَخَلَّصْ مِنْ كُلِّ دَعْوى قَضَائِيَّة. كروماتيوس: بالإضَافَةِ إلى تَحَمُّلِ الأَذى المَادِّيِّ، يُرِيدُنا الرَّبُّ أَنْ نَزْدَرِيَ أُمُورَ هَذا العَالَمِ وَأَنْ نَبتَعِدَ عَنْ كُلِّ دَعْوى أو خِصَامٍ قَضائِيٍّ. إذا حَدَثَ أَنَّ نَمَّامًا أو مُحْتَالاً ادَّعَى عَلَيْنا ليَمْتَحِنَ إيمانَنا ويَستَولِي عَلَى مَا لَنا، فَالرَّبُّ يَأْمُرُنا بأَلاّ نُقَدِّم لهُ طَوعًا، لَيْسَ فقط مَا يَسْعَى إِلَيه ظُلْمًا فَحَسب، بَلْ مَا لَمْ يَطْلُبْه أَيضًا. مَوْعِظَةٌ حولَ متّى ٢٤. ٢. ١.[٢١]

هَرَبُ يوسُف. كَاتِبٌ مَجْهُولٌ: كَمَا أَنَّ يُوسُفَ تَرَكَ ثوبَه بيَدِ العَاهِرَةِ وَفر بلِبَاسٍ أَفْضَل، هَكَذا ارمِ لبَاسَكَ في يَدَيِ النَّمَامِ وَفِرَّ بِرِداءِ الحقِّ الأَفْضَل.[٢٢] إِذا لَمْ تَفْعَلْ مَا فَعَلَ يوسفُ

---

[١٩] CS 64-441:452

[٢٠] GP 562:75; FNPN 1 421:01

[٢١] LCC 513:a9

[٢٢] هَرَبَ يُوسفُ مِن زَوجَةِ فُوطيفار الفَاحِشَةِ. (أنظر تكوين ٣٩: ٦– ٢٣).

وَلمْ تُصَمِّمْ عَلَى استرجَاعِ مَلابسِ الجَسَدِ، تَفْقِدُ لِباسَ النَّفْسِ الأكثرَ نفاسًا. إذا رآكَ غيرُ المُؤمنِ، أنتَ المسيحِيَّ، تُقَاوِمُ الأذى بأَذىً أَسْوأَ مِنْهُ بطرائقَ دُنيويّةٍ، وتَنْهَمِرُ على لِصٍّ عَديمِ الشَّريعةِ بأَحْكَامٍ أَرْضِيَّةٍ إلَى دَرجَةِ دَمَارِ نفْسِكَ، فكَيْفَ تَتَوقَّعُ أنْ يُؤمِنَ بحَقيقةِ رَجَاءِ الملَكُوتِ السَّمَاويِّ الَّذي يُبَشِّرُ به المَسيحِيُّونَ؟ وعلَى الَّذينَ يَرْجُونَ الأُمُورَ السَّماويّةَ أَنْ يَزْدروا الأَرْضيَّاتِ. إنِّي أَشُكُّ في أنَّ الَّذينَ يَتعلَّقُونَ بالأُمُورِ الدُّنيويّةِ يُؤمِنون إيمانًا صَادِقًا بالوُعودِ السَّماويّةِ. عَمَلٌ غيرُ كَامِلٍ حولَ متّى، الموعظة ١٢.[٢٣]

٤١:٥ فَامشِ مَعَه مِيلَيْنِ

المَيلُ الثَّاني. الذَّهبيُّ الفم: أمَا رأيتَ قِمَّةَ مَحبَّةِ الحِكمَةِ؟ بَعْدَ أنْ تُعطيَ عدوَّكَ قَمِيصَكَ ورِداءَكَ، وقَدْ أَصرَّ عَلَى إِخْضَاعِ جَسدِكَ العَاري إلى الشَّقاءِ والآلامِ، لا تُمانِعْه، يَقولُ يَسوعُ. فَهُوَ يُريدنا أنْ نُشْرِكَ المُحْتَاجِينَ والَّذينَ يُهينُونَنا في كُلِّ مَا نَمْلِكُ، سَواءٌ في أَجْسَادِنا أو أَموالِنَا. فالأَخِيرُ يأتي مِنَ الرُّجُولَةِ، والأوَّلُ يأتي مِنْ مَحبَّةِ البَشرِ. لذَلِكَ قَالَ: «مَنْ سَخَّرَكَ أنْ تَمْشِي معَهُ مِيلاً واحِدًا، امْشِ معهُ مِيلَيْنِ». فَهُو يَرْفَعُكَ إلَى مَقَامٍ أعْلَى ويأْمُرُكَ بأنْ تُظْهرَ نُبْلاً. إذا كانَتِ الأُمُورُ الَّتي تَحدَّثَ عَنْها في البَدْءِ أَقلَّ أَهمِّيَّةً، فَمَا أَعْظمَ البَرَكَاتِ الَّتي تَنْتَظِرُ الَّذين يَعْمَلُونَ بهَذِه الوَصَايا ومَا أَسْمَى مَا يَصيرونَ إلَيه قبْلَ استِلامِهِمُ المُكَافآت. إنَّكَ تَصِلُ إلى اللاَّهوى وأَنتَ في جَسَدٍ بشريٍّ ذِي أَهْوَاءٍ. إنجيلُ متَّى، الموعظة ١٨. ٣.[٢٤]

التَّفْسيرُ التَّبْشِيريُّ للمِيلِ الثَّاني. كروماتيوس: يعْتَقِدُ بَعْضهم أنَّ هَذِه الآيَةَ: «مَنْ سَخَّرَكَ أنْ تَمْشِيَ معَهُ مِيلاً وَاحِدًا، امْشِ مَعَهُ مِيلَيْنِ» تُفْهَمُ فَهْمًا رُوحِيًّا على هَذا النَّحْوِ: إذَا ذَكَرَ غَيْرُ المُؤمنِ أو غَيْرُ المتَّبعِ مَعْرِفَةَ الحَقِّ اللهَ الأَحَدَ الآبَ، المُؤسِّسَ كُلَّ شَيءٍ، وكَأَنَّه يَصِلُ إِلَيهِ عبر الشَّريعةِ، اذْهَبْ مَعَهُ مِيلاً ثَانيًا. فَبَعْدَ اعترافِه باللهِ الآبِ، قُدْهُ، بطَريقِ الحَقِّ، إلَى الاعْترافِ بالابْنِ والرُّوحِ القُدُسِ، مُثْبِتًا بوُضُوحٍ أنَّ المُؤمِنَ لا يُؤمِنُ بالآبِ فقَط، بَلْ بالابنِ والرُّوحِ القُدُسِ أَيضًا. موعِظَةٌ حَولَ متّى ٢٥. ٣. ٢.[٢٥]

٤٢:٥ وَمَنْ أَرادَ أَنْ يَقْتَرِضَ مِنكَ فَلا تَرُدَّهُ خَائبًا

مَجَّانًا أَعْطُوا. جيروم: إذا كُنَّا نَعْتَقِدُ أنَّ مَا

[٢٣] 007:65 GP

[٢٤] 62-521 :01 1 FNPN ;862 :75 GP

[٢٥] 613 :a9 LCC

عَلَّمه عن الإحْسَان هُو هَذَا فَقط، فَهُنَاك فُقَراءُ عَدِيدُون لا يَنْطَبِقُ عَلَيهِم هَذَا التَّعْلِيم. الأَغْنِياءُ قَادِرون على أَنْ يُعْطُوا بِاسْتِمْرار إنْ كانُوا يجودُون بسَخَاءٍ دَائِمًا. لذَلِكَ أُعْطِي التَّعْلِيمُ عن الإسْعَاف إلَى الرُّسُل في سَبِيل الخَيْر: الَّذين أَخَذُوا مَجَّانًا يَجِبُ أَنْ يُعْطُوا مَجَّانًا.[٢٦] مالٌ مِنْ هَذَا النَّوعِ لا يَنْقُصُ أَبدًا. كُلَّمَا أُعْطِي ازدَادَ، فَالينْبُوعُ يُرَوِّي الحُقُول، لَكِنَّه لا يجِفُّ أَبَدًا. تفسيرُ متّى ١. ٥. ٢. ٤٢.[٢٧]

التَّقْيِيدُ عَلَى العَطَاءِ غَيْرِ المسؤول. ثيودور أُسْقُف هيراقلية: لَمَّا أَعْطَانَا الشَّرَائِع لنَمْتَحِن غَايَتَهَا امتِحَانًا دَقِيقًا لَمْ يَضَعْهَا بدُون إثْبَات. فَهُوَ لا يَأْمُرُنا بِأَنْ نُعْطِي جمِيع منْ يسْأَلُنا بدُونِ استِثْنَاءٍ، إذْ يَسْتَحِيلُ على المرْءِ أنْ يَجُودَ عَلَى الآخَرِينَ بمَا لا يَملِكُهُ. ولا يُعلِّمُنَا، إنْ كُنَّا نَمْلِكُ الكَثِير، أنْ نُعْطِيَ منْ يسْأَلُنا بدَافِعٍ شرِّيرٍ، لأَنَّ الإحْسَان يَذْهَبُ عندئذٍ إلَى مَا هُوَ شرِّيرٌ، مِثْلَ المرءِ الَّذي يُحْسِنُ عَلَى العاهِرِ وَالفَاسِقِ وَهُما لا يحْتَاجان إلَى ذَلِكَ، فيزَوِّدُ الفِسْقَ بالوَقُود. لِماذا قِيل فِي مَا يتعلَّقُ بالرُّسُل: «فيُلْقُونه عِنْدَ أَقْدام الرُّسُل ليُوزِّعُوه عَلَى كُلٍّ مِنْهُم عَلَى قَدرِ حَاجَتِه»؟[٢٨] هَذَا يَشْهَدُ أنَّهم لَمْ يُعْطُوا السَّائِلِينَ لمُجَرَّدِ طَلَبِهِم، بَلْ أَعَالُوا الآخَرِين عَلَى قَدْرِ الحَاجَة. لا تَنْسَ الآيَة الَّتِي تَقُولُ: «رَضِيَ اللّٰه عَلَى الإنْسَان بِمَا عِنْدَه، لا بِمَا لَيسَ عِنْدَه».[٢٩] والآيَة التي تلِيها «لا أَعْنِي أَنْ تَكُونُوا في عُسْرٍ ليكُون غَيرُكُم في يُسْرٍ».[٣٠] المقطع ٣٧.[٣١]

الغَنِيُّ وَالفَقِيرُ. كَاتِبٌ مَجْهُولٌ: كُلُّ هذِه الأوامِرِ تُلائِمُ الفَقِيرَ. لَكِنْ، مَنْ يُحطِّمُ أَسْنَان الغَنِيِّ وَالقَوِيِّ؟ لا يُحَطِّمنَّ الغنِيُّ أَسْنَان الفَقِير! مَن يُحَاوِلُ أَنْ يَسْرِقَ رِداءَ الغَنِيِّ وَالقَوِيِّ بالأَكَاذِيبِ؟ لا يَسْرِقَنَّ الغَنِيُّ رِداءَ الفَقِيرِ بالأَكَاذِيبِ! مَنْ يُكْرِهُ الغَنِيَّ وَالقَوِيَّ عَلَى الخِدْمَةِ؟ لا يُكْرِهَنَّ الغَنِيُّ الفَقِيرَ عَلَى الخِدمَةِ! في تِلْكَ الحَالَةِ، يكُونُ الغَنِيُّ عَقِيمًا. كَيْفَ يُمْكِنُ للمَرْءِ أَنْ يُتِمَّ بِرَّ الشَّرِيعَةِ والنِّعْمَةِ ليُصْبِحَ خَادِمًا كَامِلًا للّٰه؟ كَيْفَ؟ ليُحْسِن عَلَى كُلِّ مَنْ يَطْلُبُ مِنْه قَرْضًا. الشَّرِيعَةُ تَأْمُرُ بِأَلاَّ تَأْخُذَ شَيئًا مِنَ الآخَرِ، حَتَّى لو أنَّكَ تَسْتَرِدُّ مَا لَكَ. أَمَّا النِّعْمَةُ فتَأْمُرُ لَيْسَ فقط بِأَلاَّ تَأْخُذَ مِنَ الآخَرِ بَلْ بِأَنْ تَمْنَح مَا لَكَ. لذَلِكَ مَنْ مَنَحَ قَرْضًا أَتمَّ الشَّرِيعَةَ والنِّعْمَةَ. وَمَنْ أَعْطَى مَجَّانًا، هَلْ يَأْخُذُ مَا

---

[٢٦] أنظر متّى ١٠: ٨.

[٢٧] LCC 77: 43

[٢٨] أعمال ٤: ٣٥.

[٢٩] ٢ كورنثوس ٨: ١٢.

[٣٠] ٢ كورنثوس ٨: ١٣.

[٣١] KGKM 66-76

للآخرِ؟ لذلِك لا يُمْكِنُ للغنيِّ أَنْ يُخْتَبَر أَو أَنْ يُمْتَحَنَ عبر المُعَانَاة الجَسَدِيَّةِ. فَمَا مِنْ أَحَدٍ يُسَبِّبُ لَه الأَذَى؛ بالأَحْرَى، إِنَّه بِسَخَائِه يُخْتَبَرُ وَيُمْتَحَنُ. عَمَلٌ غيرُ كَامِلٍ حَولَ متّى، الموعظة ١٢.[٣٢]

٥:٤٣ بُغْضُ العدوِّ

الشَّريعَةُ القَدِيمَةُ. ثيودور أسقف هيراقلية يقولُ: أَحْسِنْ إِلَى كُلِّ مُحْتَاجٍ، سَوَاءٌ كَانَ صَدِيقًا أَو عَدُوًّا، مُؤمِنًا أَو غيرَ مُؤمِنٍ. اليَهودُ يَبْتَغُونَ مُجَازَاةَ الأَصْدِقَاءِ فَقَطْ. لِهَذَا السَّبَبِ، لَمَّا سَأَلوا الرَّبَّ بِإِلْحَاحٍ أَنْ يَشْفِيَ ابنَ عَامِلِ المَلِكِ قَالُوا: «إِنَّه يَستَحِقُّ أَنْ تَمْنَحَه ذَلِكَ، لأَنَّه هُوَ الَّذي بَنَى لَنَا المَجْمَعَ».[٣٣] المقطع ٣٨.[٣٤]

إِنَّكَ تُمَزِّقُ نَفْسَكَ بِالكُرهِ. كَاتِبٌ مَجْهُولٌ: قَدْ رَأَيْنَا كيفَ يُولَدُ القَتْلُ مِنَ الغضَبِ وَيُولَدُ الزِّنَى من الشَّهْوَةِ. هَكَذَا تَقْضِي مَحَبَّةُ الصَّدَاقَةِ على بُغْضِ العَدوِّ. إِذَا رَأَيْتَ إِنسَانًا مُعَادِيًا لكَ، لَكِنْ بَعْدَ زَمَنٍ يَسِيرٍ غَيَّرَ رَأْيَه تُجَاهَكَ عبر إِحْسَانِكَ، فَإِنَّك تُحِبُّه كَصَدِيقٍ. فَالمَسِيحُ أَمَرَ بِهَذا لا لأَعْدَائِنَا فَحَسْب، بَلْ بِالدَّرجَةِ الأُولَى لَنَا: لا لأَنَّ أَعدَاءَنَا يَحُقُّ لَهُم أَنْ يُحِبَّهُمُ الآخَرونَ، بَلْ لأَنَّه لا يَحُقُّ لَنَا أَنْ نَكُونَ حَاقِدِينَ عَلَى أَحَدٍ. فَالبُغْضُ وَلِيدُ الأَمَاكِنِ المُظْلِمَةِ. حَيْثُمَا يَسْكُنُ، يُلَطِّخُ سَلامَةَ العَقْلِ. لذَلِكَ لا يَأْمُرُنَا المَسِيحُ بِأَنْ نُحِبَّ أَعْدَاءَنَا لِلاعْتِنَاءِ بِهِم فَحَسْب، بَلْ لِنَنْتَزِعَ مِنْ أَنْفُسِنَا كُلَّ مَا هُوَ سَيِّئٌ لَنَا أَيضًا. الشَّرِيعَةُ المُوسَوِيَّةُ لا تَتَكَلَّمُ عَلَى إِيذَاءِ العَدوِّ جَسَدِيًّا، بَلْ عَلَى كُرْهِه. فَإِذَا كُنْتَ تَكْرَهُه، فَإِنَّك تُؤذِي نَفْسَكَ في الرُّوحِ أَكثَرَ مِمَّا تُؤذِيه هُوَ في الجَسَدِ. فَقَدْ لا تُؤذِيهِ بِكُرْهِكَ إِيَّاه، لَكِنَّكَ بِالتَّأْكِيدِ تُمَزِّقُ نَفْسَكَ. إِذَا أَحْسَنْتَ إِلَى عَدُوِّكَ، تُنْقِذُ نَفْسَكَ. وَإِذَا كُنتَ لَطِيفًا مَعَهُ، تَنْفَعُ نَفْسَكَ أَكثَرَ مِمَّا تَنْفَعُه. عَمَلٌ غيرُ كَامِلٍ حَولَ متّى الموعظة ١٣.[٣٥]

٥:٤٤ أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُم وَصَلُّوا مِنْ أَجْلِهِم

لا يَأْمُرُنَا المَسِيحُ بِمَا لا يُمْكِنُ. ثيودور أسقف هيراقلية: تَسمُو شَرِيعَةُ الرَّبِّ عَلَى شَرِيعَةِ الطَّبِيعَةِ وَعَلَى شَرِيعَةِ مُوسَى الإِلَهِيَّةِ. «مَا لا يُمْكِنُ عِنْدَ النَّاسِ، مُمْكِنٌ عِنْدَ

---

[٣٢] GP 65: 107
[٣٣] لوقا ٧: ٤– ٥.
[٣٤] KGKM 76
[٣٥] GP 65: 207

الله».[٣٦] فالمسيحُ لا يَسُنُّ الشَّرائعَ المُسْتَحِيلَةَ، كما أَثْبَتَ استفانونس ذَلِكَ في أَثْنَاءِ استِشْهادِهِ، لَمَّا جَثَا وَصَلَّى مِنْ أَجْلِ الَّذينَ كانُوا يرجُمُونَه. وَبولسُ صَلَّى مِنْ أَجْلِ اليَهُودِ الَّذينَ عانَى عَلَى أَيدِيهم الشَّدائِدَ. هَذا ما يُثبِتُ أَنَّ هَذِه الأُمُور، عَلَى قِلَّتِها، مُمْكِنَةٌ وَتَحدُث. بِالنِّسْبَةِ إِلى مُعْظَمِ النَّاسِ تَبْدو صَعْبَةَ التَّحْقِيقِ، لأَنَّهم لا يَسْعَونَ إِلَى بُلُوغِ قِمَّةِ الفضيلَةِ. المقطع ٤٠.[٣٧]

صَلُّوا مِنْ أَجْلِ الَّذين يضْطَهدونَكم. الذَّهبيُّ الفَم: لَمْ يَأْمُرْنا يَسوعُ بِأَنْ نُحِبَّ فَقَطْ، بَلْ بِأَنْ نُصَلِّيَ أَيضًا. أَلا تَرَى كَمْ خُطْوَةً ارتقى بِنَا، وَكَيْفَ وَضَعَنا في قِمَّةِ الفَضِيلَةِ ذاتِها؟ لاحِظُوا وأَنْتُم تُحْصُونَها مُنْذُ البَدْءِ. الخُطْوَةُ الأُولَى: لا تَبْدَأْ بِالظُّلْمِ؛ الثَّانيَةُ: بَعْدَ أَنْ بَدَأْتَ صُنْ نَفْسَكَ مِنَ الثَّأْرِ؛ الثَّالِثَةُ: لا تُنْزِلْ بِمَن يُغيظُكَ مَا تُعانيه أَنتَ مِنْه، بَلْ كُنْ هادِئًا؛ الرَّابِعَة: قَدِّمْ نَفْسَكَ لِلأَلَمِ الَّذي تُقاسِيهِ ظُلْمًا؛ الخامِسَةُ: قَدِّمْ أَيضًا لِلآثِمِ أَكْثَرَ مِمَّا يَطْلُبُه مِنْكَ؛ السَّادِسَةُ: لا تَكْرَهِ الَّذي يَفْعَلُ هَذا؛ السَّابِعَةُ: أَحِبَّه؛ الثَّامِنَةُ: أَحْسِنْ إِلَيهِ أَيضًا؛ التَّاسِعَة: تَضَرَّعْ إِلَى الله مِنْ أَجْلِه. أَمَا رَأَيْتَ سُمُوَّ الفَلْسَفَةِ؟ لِذَلِكَ مَجِيدَةٌ هِي مُكافَأَتُهُ. تَفْسِير متّى، الموعظة ١٨. ٤.[٣٨]

٥: ٤٥ لِتَصِيرُوا بَنِي أَبِيكُم

الشَّرُّ والخَيْرُ. ثيودور أسقف هيراقلية: إِنَّ المُقْتَدِيَ بالله وبالمَسِيحِ يَجْعَلُ شَمْسَ كَلِمَتِهِ وَسُطُوعَ بِرِّه مُشْرِقًا عَلَى الأَخْيارِ والأَشْرارِ، فَيُنْزِلُ المَطَرَ مِن فَمِه عَلَى الأَبْرارِ والخاطِئينَ بِتَدْبيرٍ مِنه. المقطع ٤٢.[٣٩]

شُرَكاءُ فِي المِيراثِ مَعَ المَسِيحِ بِالتَّبَنِّي. أوغسطين: يَجِبُ فَهْمُ مَا يَتْبَعُ ذَلِكَ، أَي أَنَّ «تَصِيروا بَني أَبِيكُمُ الَّذي في السَّماوات»، عبر إِطارِ ما يَقُولُهُ يُوحَنَّا في كَلامِه: «فَأَعْطَاهُم سُلْطَانًا أَنْ يَصِيرُوا أَبْنَاءَ الله».[٤٠] هُنَاكَ وَاحِدٌ، هو ابنُ الله بِالطَّبِيعَةِ، مُنَزَّهٌ عَنِ الخَطِيئَةِ. إِنَّنا قَدِ استَلَمْنا سُلْطانًا أَنْ نُصْبِحَ أَبْنَاءَه مَا دُمْنا نُتِمُّ الوَصَايا الَّتي أَعْطانا إِيَّاها الابنُ. «التَّبَنِّي» هِيَ اللَّفْظَةُ الَّتي استَخْدَمَها الرَّسُولُ لِيُشِيرَ بِها إِلَى مِيزَةِ دَعْوَتِنا إِلَى المِيراثِ الأَبديِّ لِنَكُونَ وَرَثَةً مَعَ المَسِيحِ. بِالتَّجْدِيدِ الرُّوحِيِّ نُصْبِحُ أَبنَاءَه بِالتَّبَنِّي في مَلَكُوتِ الله، لا كَغُرَباءَ، بَلْ كَخَلائقِهِ وَذُرِّيَّتِه. المَوْعِظَةُ على الجبَلِ ١.

[٣٦] لوقا ١٨: ٢٧.
[٣٧] 86 KGKM
[٣٨] 621:01 1 FNPN ;962:75 GP
[٣٩] 86 KGKM
[٤٠] يوحنا ١: ١٢.

٢٣. ٧٨.[٤١]

الـتـّفْـسِيرُ الـرُّوحـيُّ لـلـشَّـمْـس وَالمطَر.

أوغسطين: بمـا أنَّه يَدْعُونـا إلَى التَّبَنِّي عبر الابنِ الأَوْحَدِ نَفْسِه، فَإنَّه يَدْعُونـا إلَى التَّشَبُّهِ بـهِ. كمـا أضـافَ الرَّبُّ نَفْسُه قـائِلاً: «فَـهُوَ يُـطْلِـعُ شمْـسَهُ عَلَى الأَشْرَارِ وَالصَّـالِحِينَ، ويُـمْـطِرُ عـلـى الأَبْـرَارِ وَالـظَّـالمينَ». لَـفْـظَة «شَـمْـسَـه» لا تَـعْـنـي الشَّمْسَ المَرَئـيَّـةَ بـأَعْـيُـنٍ جَسَديَّةٍ، بلْ تعْنِي حِكْمَتَه، كمَا تُشِيرُ إلِيها الـعِـبَـاراتُ الـتَّـالِـيَةُ– «لأَنَّـهـا ضِـيَـاءُ الـنُّورِ الأَبَدِيِّ».[٤٢] و«شَـمْـسُ الـبِرِّ أَشْرَقَتْ عَلَيَّ»، وَ«سـيُـشْـرِقُ نُـورُ بِـرِّهِ عَـلَـى خَـائِـفِـي اسـم اللَّه»[٤٣]– لذلِكَ يَجِبُ أَنْ تَفْهَمَ المطَرَ بـأنَّه يَرْوِي تَعْلِيمَ الحقِّ، لأَنَّ تَعْلِيمَهُ صَارَ جَلِيًّا لـلـصَّـالِحين والأَشْرارِ. وَلَـكِـنَّـكَ تُـفَـضِّـلُ أَنْ تَفْهَمَها كشَمْسٍ جَلِيَّةٍ للأَعيُنِ الجَسَديَّةِ عِنْدَ الحَيَـوانِ وَالإِنْـسَـانِ، وَأَنْ تَـفْـهَـمَ المطَرَ الَّذي يُنْبِتُ الفَاكِهَةَ الَّتي أَعْطَانَـا إِيَّاهـا اللهُ لكَمَالِ الجَسَدِ. أَعْتَقِدُ أَنَّ هَذا هُوَ بِالتَّأْكِيدِ المعْنَى الأَكْثَرُ احْـتِـمَـالاً، لأَنَّ «الشَّمسَ» الأُخْرى لا تُشْرِقُ إِلاَّ على الصَّالِحِينَ وَالقِدِّيسين، وَهذَا مَا يَنْدُبُهُ الأَشْرَارُ في الكِتَابِ المُسَمَّى حِكْمَةَ سُلَيْمَان: «نُورُ الحَقِّ مَا أَضَـاءَ لَنَـا».[٤٤] وَالمطَرُ الرُّوحِيُّ يُنْعِشُ الصَّالِحِين فَقَطْ، لأَنَّ الكَرْمَ يَدُلُّ عَلَى الأَشْرَارِ الَّذينَ قِيلَ عَنْهُم: «وَأُوصِي الغُيومَ أَنْ لا تُمْطِرَ عَلَيهِ».[٤٥] الموعِظَةُ عَلَى الجبَلِ ١. ٢٣. ٧٩.[٤٦]

عَـدَمُ افـتِـرَاق مَـصِـيرِ الأَبْـرَارِ وَالأَشْـرَارِ.

كَـاتِبٌ مَـجْـهُولٌ: صَـاغَ قَـوْلَـهُ بِعِـنَـايـةٍ فَقَالَ: «عَـلَـى الأَبْـرَارِ وَالـظَّـالِـمينَ»، وَلَـيْـس «عَلَى الـظَّـالِـمِينَ وَالأَبْـرار» لأَنَّ الله يَضَعُ كُلَّ الخَيْرَاتِ عَلَى الأَرْض، لا بِسَبَبِ الجَمِيعِ، إِنَّمَا بِسَبَبِ بَعْضِ الأَبْرَارِ. يَسُرُّهُ أَنْ يَتَمَتَّعَ الأَشْرَارُ بِنِعَمِـه رَغْمَ عَدَمِ استِحْقَـاقِهِم أَكثرَ مِنْ أَنْ يُجَرِّدَ الأَبْرَارَ مِنْ نِعَمِه، رَغْمَ استِحْقَـاقِهِم إِيَّـاهـا. كَذَلِكَ، عِـنْـدَمَـا يَـغْضَبُ الرَّبُّ عَلَى الأَشْـرَارِ لا يُـنْـزِلُ عُـقُـوبَـتَـه بـالأَبْـرارِ، بَـلْ بـالأَشْرَارِ؛ مَعْ ذَلِكَ تَبْلُغُ الأَبْرَارَ بِقَدْرِ ما تَبْلُغُ الأَشْرَارَ. وَكَـمَـا أَنَّـه لا يَـفْـصُـلُ الأَشْرارَ عَنِ الأَبْرَارِ في أَوْقَاتِ الرَّخَاءِ، هَكَذَا لا يَفْصُلُ الأَبرارَ عَنِ الأَشْرَارِ في الأَوْقَاتِ العَصِيبَةِ. فَفِي الرَّخَاءِ لا يَفْصُلُ الأَشْرَارَ عَنِ الأَبْرَارِ، خِشْيَةَ أَنْ يُدْرِكُوا، وَهُم مُنْفَصِلُون، أَنَّهم يَـائِسُونَ مُـلْـقَـونَ أَسْفَل. وَكَذَلِكَ لا يَفْصُلُ الأَبْرَارَ عَنِ الأَشْرَارِ في الأَوقَاتِ العَصِيبَةِ،

---

[٤١] LP 43: 8621; CF 11: 501-6
[٤٢] حكمة ٧: ٢٧.
[٤٣] ملاخي ٤: ٢.
[٤٤] حكمة ٥: ٦.
[٤٥] إشعيا ٥: ٦.
[٤٦] LP 43: 8621-96; CF 11: 601-7

خِشْيَةَ أَنْ يُدْرِكُوا، وَهُم مُنْفَصِلُون، أَنَّهم مُخْتَارون فيَتَبَجَّحون. وَعَلَيهِ، فَالرَّخَاءُ لا يَنْفَعُ الأشْرار، بل يَضُرُّهم، وكَذَلِكَ فالضِّيقُ لا يَضُرُّ الأبرار، بَلْ يَنْفَعُهم. عَمَلٌ غيرُ كاملٍ حول متّى، الموعظة ١٣.[٤٧]

٥: ٤٦-٤٧ أيُّ أَجْرٍ لكُم؟

كَمَالُ مَحَبَّةِ العَدوّ. كَاتِبٌ مَجْهُولٌ: مَنْ أَحَبَّ أَصْدِقَاءَه، إنَّما أَحَبَّهم مِنْ أَجْلِ ذاتِه، لا مِنْ أَجْلِ الله. ولِذَلِكَ لا يَكْتَنِزُ لِنَفْسِه. فالتَّحابُّ ذاته يُفْرِحُه. أَمَّا مَنْ أَحَبَّ عَدُوَّه، إنَّما أحبَّه لا مِنْ أَجْلِ ذاتِه، بَلْ مِنْ أَجلِ الله. لذلِكَ يكتنِزُ لنفْسِه كَنْزًا عَظِيمًا، لأَنَّه يُقَاوِمُ غرائِزه. فحَيْثُ يَزْرَعُ الزَّارِعُ زَرْعَه هُناك يَحْصِدُ ثمره. «فَكُونُوا أَنتُم كَامِلِين، كَما أَنَّ أَباكُمُ السَّماويَّ كامِلٌ». مَنْ يُحِبُّ صَدِيقَه لا يُخْطِئ، إنَّما لا يَعْمَلُ بالبِرّ. نِصْفُ الخيرِ يكونُ في الهَرَبِ مِنَ الشَّرّ لا في السَّعْي إلى الخيرِ. الكَمَالُ لَيْسَ في الهَرَبِ مِنَ الشَّرِّ فحَسْب، بَلْ في عَمَلِ الخَيْرِ. لِذَلِكَ قَالَ «فَكُونُوا أنتُم كامِلِين»، لتُحِبُّوا أَصْدِقاءَكُم بسَبَبِ تجنُّبِ الشَّرِّ وتُحِبُّوا أَعْداءَكُم لاقْتِنَاءِ البِرِّ. الفِعْلُ الأوَّلُ يُحَرِّرُنا مِنَ العُقُوبَةِ، والثَّاني يَقُودُنا إلَى المَجْدِ. مُمَثِّلُ الله لا يكونُ كامِلاً إلاَّ إذا شَابَهَ الله بعَمَلِه. عَمَلٌ غيرُ كاملٍ حَولَ متّى، الموعظة ١٣.[٤٨]

٥: ٤٨ فَكُونُوا أَنتُم كَامِلِينَ كَمَا أَنَّ أَبَاكُمُ السَّمَاوِيَّ كَامِلٌ

كُلُّ الأُمورِ تَكْمُلُ بِالخَيْرِ. هيلاريون: يَنْتَهي مَتَّى إلى القَول: «إنَّ كُلَّ الأُمُورِ تَكمُلُ بالخَيْر». كَانَتِ الشَّرِيعَةُ تَأْمُرُ بمَحبَّةِ القريبِ وتُبيحُ بُغْضَ العَدُوّ. أمَّا الإيمانُ فيتَطَلَّبُ الاعْتِنَاءَ بالأَعْداءِ. فقَضَى عَلَى نَزْعتِنا إلى العُنْفِ وحَثَّنا عَلَى تحمُّلِ مَصَاعِبِ الحياةِ بهُدُوءٍ. الإيمانُ لا يَكْبَحُ الغَضَبَ عَنِ الانتقامِ فَقَط، بلْ يُطْفِئُهُ بمَحبَّةِ المُعْتَدي. أَنْ تُحِبَّ الَّذينَ يُحِبُّونك بَشَرِيٌّ، وأَنْ تَعْتَني بمن يعْتَني بِكَ عَادِيٌّ. لذَلِكَ يَدعُونا المسيحُ إلى حَيَاةِ وَرَثَةِ الله، لِنَكُونَ نماذِجَ للأبْرارِ والأشْرارِ في مُحَاكَاةِ المَسيح. يَجُودُ بشَمْسِهِ وبمَطَرِهِ عبر مَجيئه في المَعْمُودِيَّةِ وبأَسْرارِ الرُّوح. هَكَذَا قَدْ أَعَدَّنا للحَياةِ الكامِلَةِ عبر تَنَاغُمِ الخيرِ العَامّ، لأنَّه يَجِبُ أنْ نَقْتَدِيَ بأبينا الكَامِلِ في السَّماوات. في متّى ٤. ٢٧.[٤٩]

---

(٤٧) GP 65:307-4

(٤٨) GP 65:307

(٤٩) CS 452:641-84

شَـرِيـعَـةُ الإنجيــلِ هــي المَحَـبَّـةُ. كروماتيوس: أرَانَا الرَّبُّ أنَّنَا عَاجِزُونَ عَنِ القِيَامِ بِالعَمَلِ الصَّالِحِ الَّذي للمَحَبَّةِ الكَامِلَةِ، إِذَا كُنَّا نُحِبُّ فقط الذين نَعْرِفُ أَنَّهم يُبَادِلونَنَا المحبَّةَ المُشْتَركَةَ. نَحْنُ نَعْرِفُ أَنَّ مَحَبَّةً مِنْ هَذا النَّوعِ هي مُشْتَرِكَةٌ حَتَّى بَينَ غَيرِ المؤمِنِينَ والخَاطِئِين. لذَلِكَ يُرِيدُنا الرَّبُّ أَنْ نَتَفوَّقَ عَلَى الشَّرِيعَةِ المُشْتَرِكَةِ للمَحَبَّةِ الإنْسَانيَّةِ عبر شَرِيعَةِ مَحَبَّةِ الإنْجِيل، لنُظْهِرَ دِفءَ مَحبَّتِنا لا لأُولَئِكَ الَّذينَ يُحبُّونَنَا فَقَط، بَلْ لأَعْدَائنا أَيضًا. . . . هَكَذَا نَكُونُ مِثَالاً للتَّقْوَى الحَقِيقِيَّةِ ولِصَلاحِ أَبِينَا. موعظة حَولَ متَّى ٢١. ٢. ١.[٥٠]

[٥٠] LCC 9a: 023

٦:١-٤ التَّصَدُّقُ عَلَى المُحتَاجِينَ

إيَّاكُمْ أَنْ تتصدَّقوا أمامَ النَّاسِ ليُشاهِدوكُم، وإلاَّ فلا أجرَ لكُم عِندَ أبيكُمُ الَّذي في السَّماواتِ. [٢]فإذا تصدَّقتَ، فلا تَنْفُخْ أمامكَ في البوقِ مِثلَما يَعمَلُ المُراؤونَ في المجامعِ والشوارعِ حتى يُمجِّدَهُمُ النَّاسُ. الحقَّ أقولُ لكُم: هؤلاءِ أخَذوا أجرَهُم. [٣]أمَّا أنتَ، فإذا تصدَّقتَ فلا تَعلمْ شِمالُكَ ما تعمَلُ يمينُكَ، [٤]حتى تكونَ صدقتكَ في الخِفْيَةِ، وأبوكَ الذي يرى في الخِفيَةِ هوَ يُكافِئُكَ علانيةً.

نَظْرَةٌ عَامَّةٌ: بِمَا أَنَّ الأَثَرَةَ وَالفَضِيلَةَ تَخْتَلِفَانِ كُلَّ الاختِلافِ، فَلا يُمْكِنُ لهُمَا أَنْ تُوْجَدَا بِسَعَادَةٍ في النَّفْسِ (أوريجنس). قَدْ تُعْطَى الصَّدَقَةُ ليُشَاهِدَهَا النَّاسُ أو لا، وَفي الحَالَتَينِ النِّيَّةُ تُقَرِّرُ ذَلِكَ (الذَّهَبِيُّ الفَم). إِذَا عَمِلَ المَرْءُ ليُشَاهِدَه النَّاسُ لا يَفْشَلُ في أَنْ يَرَوه فَحَسْب، بَلْ لا يُلاقِي سِوى عَطْفٍ قَلِيلٍ عَلَى الأَرْضِ (كَاتِبٌ مَجْهُولٌ). يَجِبُ أَنْ لا نُذِيعَ مَا نَفْعَلُهُ، لأَنَّه لَيْسَ مِنْ سِمَةِ العَقْلِ الخَاشِعِ أَنْ نَقُومَ بِأَيِّ عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِ اللهِ تَوَقُّعًا لنَيلِ الثَّنَاءِ البَشَرِيِّ (كروماتيوس). إِنَّ الَّذِين يَقُومُونَ بعَمَلِ الإِحْسَانِ عَلَى مَرأَى مِنَ الآخَرِينَ يَكُونُونَ كَأَنَّهم أَبواقٌ لصَلاحِهِم (كَاتِبٌ مَجْهُولٌ). السَّعْيُ إِلَى الفَوزِ

بالثَّناءِ الإنْسانيِّ يَتِمُّ بنَيلِ تِلْكَ المُكافَأةَ الَّتي يطْلُبُها مِنْ أُناسٍ آخَرين (هيلاريون). يَجبُ أنْ يكُونَ عَطاؤُك الهادِئُ مَخْفيًّا على الأيْدي المِعْطاءةِ (الذَّهبيُّ الفَم). لا تَجْعَلِ اليَد اليُمْنى تعْرِفُ مَا تعْمَلُه اليدُ اليُسْرى في التَّصدُّق (الذَّهبيُّ الفَم). كُلُّ مَا هُوَ صَالحٌ يُصْبحُ سارًّا أكثر عِنْدَما نُخْفِيهِ نَحْنُ، لَكِنَّ اللّه يُعْلِنُهُ (كاتِبٌ مَجْهُولٌ). إنَّ مَنْ يَعْمَلُ البِرَّ لا يَحْتاجُ إلى أنْ يَمْدَحَهُ النَّاسُ (أوغسطين).

٦: ١ إيَّاكُمْ أَن تَتَصَدَّقوا عَلَنًا

كَما يُخالِفُ النَّارُ الماءَ كَذلِكَ تُخالِفُ الأثَرةُ الفَضِيلَةَ. أوريجنس: كَما يَتَخاصَمُ الماءُ والنَّارُ دائمًا، فَهُما لا يُمْكِنُ أنْ يجْتَمِعا، هكذا يَتَخاصَمُ المَجْدُ الباطِلُ والفَضيلَةُ، فَهمُا لا يُمْكِنُ أنْ يَجْتَمِعا في النَّفس الواحِدَةِ. فَعَلَينا أنْ نُبْعِدَ المَجْدَ الباطِل عنْ أنْفُسِنا، وأنْ نَتَمسَّكَ بِوصايا المَسِيحِ. المقطعُ ١١٤.[1]

التَّقْوى الكاذِبَةُ تَبْتَغي أَنْ تُرى. الذَّهبيُّ الفَم: لمَّا قال: «إيَّاكُمْ أَنْ تَتصَدَّقوا أمامَ النَّاس» أضافَ: «ليُشاهِدوكُم». يَبْدُو أنَّ الأمر عينه قيلَ ثانيةً، لَكِنْ إذا تنبَّهَ المرءُ يَجِدُه مُخْتلِفًا، أيْ ذا أمَانٍ عَظِيمٍ وحِرْصٍ واهْتِمامٍ لا يُوصَف. يُمْكِنُ لِلمُتَصدِّقِ أنْ يَصْنَعَ الإحسَانَ أمَامَ النَّاسِ لا ليَراهُ النَّاس، ويُمْكِنُ أيضًا لِمَن لا يَصْنَعُه أمَامَ النَّاسِ أنْ يَصْنَعَه ليَراهُ النَّاسُ. النِّيَّةُ هِيَ الَّتي يُعاقِبُ علَيْها المرْءُ أو يُجَازى، لا الحَدَث. إنجيلُ متّى، الموعظة ١٩. ٢.[2]

عَدَمُ الاهْتِمامِ بالوَقْتيَّات. هيلاريون: يُزيلُ السَّيِّدُ عَنِ المَشْغُوفينَ برَجاءِ المُسْتَقْبَلِ كُلَّ اهتِمَامٍ بالوَقْتيَّاتِ ويأْمُرُهُم بألاّ يَسْعَوا إلى نَيْلِ حُظْوَةِ الآخَرينَ بعَرْضِ فَضائِلِهِم أوِ التَّفاخُرِ الدِّينيِّ بالإكْثارِ مِنْ إقامَةِ الصَّلَواتِ العَلَنيَّةِ. بالأحْرَى، إنَّ ثَمَرَ الأعْمَالِ الصَّالِحَةِ يُحْصَرُ في مَعْرِفَةِ الإيمان، لأنَّ السَّعْيَ إلى المَديحِ الإنْسانيِّ سيَتَلَقَّى المُكافأةَ المُبْتَغاةَ مِنَ النَّاسِ، في حين أنَّ التَّوقَ إلى الحُصُولِ على رِضى اللّه هُوَ مُكافأةٌ يبتغيها المرءُ بِصَبْرٍ. في متّى ٤. ٢٨.[3]

لا مُكافأةَ لكَ مِنْ أبيكَ. كاتِبٌ مَجْهُولٌ: أنتَ يا مَنْ لَمْ تُقَدِّمْ شَيْئًا إلى اللّه، ماذَا تتوقَّعُ أنْ تَسْتَلِمَ مِنْهُ؟ كُلُّ مَا يُفْعَلُ باسْمِ اللّه يُعْطَى لَه ليَتَسلَّمَه. وكُلُّ ما يُفْعَلُ ليُشاهِدَه الآخَرُونَ يَذْهَبُ مَعَ الرِّيح. . . . هل الثَّناءُ البَشَريُّ سِوَى هَزيمِ الرِّيحِ؟ . . . فالَّذين

[1] 16 :1.14 SCG

[2] 131 :01 1 FNPN ;472 :75 GP

[3] 841 :452 CS

يَقُومُونَ بِعَمَلٍ لِيَمْدَحَهُمُ الآخَرونَ تَذْهَبُ جُهُودهُم سُدى. ما هِي الحِكْمَةُ مِنْ وَراءِ تَقْدِيمِ عَرْضٍ وكَلامٍ فارِغ؟ إنَّ الَّذِينَ يَفْعَلُونَ ذَلِكَ يَتَجاهَلُونَ مُكافَأةَ الله لهم مُتَوانِينَ إِلى الأَبَدِ في الأُمُورِ السَّماوِيَّةِ، مُؤْثِرِينَ عَلَيها كَلامًا بَشَرِيًّا زائِلاً. أَنْ لا نَفْعَلَ شَيْئًا أفضَلُ مِنْ أَنْ نَفْعَله لِيرانا النَّاسُ. فَالَّذِينَ لا يَفْعَلُونَ شَيئًا، رَغْمَ أَنَّهم لا يَلِجُونَ السَّماواتِ، لا يُبَدِّدونَ عَلَى الأَقلِّ شَيئًا عَلَى الأَرْضِ. أَمَّا الَّذين يَقُومُونَ بِعَمَلٍ لِيَراهُمُ النَّاسُ فلا يَلِجُون السَّماواتِ، وَيُتْلِفُونَ مَا عَلَى الأَرْضِ. عَمَلٌ غيرُ كامِلٍ حَولَ متّى، الموعظة ١٣.[٤]

٦:٢ لا تَنْفُخْ أَمامَكَ في البُوق

كروماتيوس: عَلَّمَنا يَسُوعُ، مِنْ قَبْلُ، أَنَّ عَمَلَ البِرِّ لا يُعْمَلُ إِرْضاءً للبَشَرِ، بَلْ مِنْ أَجْلِ الله. والآن يُعَلِّمُنا أيضًا ألاّ نَنْفُخَ في البُوقِ عِنْدَما نَقُومُ بِعَمَلِ البِرِّ. وهكذا يَجِبُ أَلاّ نُذِيعَ مَا نَفْعَلُه، لأَنَّه لَيْسَ مِنْ سِمَةِ العَقْلِ الخَاشِعِ أَنْ نَفْعَلَ أيَّ عَمَلٍ مِنْ أَعْمالِ الله تَوَقُّعًا لمجْدٍ نَنالُهُ مِنَ البَشَرِ. تَرَى أَنَّ كَثِيرين مِنَ النَّاسِ يُحْسِنُونَ إِلى الفُقَراءِ لِيَحْصِدُوا مِنْ مُبَادَرَتِهم المدِيحَ البَشَرِيَّ وَيحُوزُوا الشُّهْرَةَ مِنْ مُعَاصِرِيهِم. الرَّبُّ يُظْهِرُ أَنَّهم نَالُوا مُكَافَأَةَ عَمَلِهم في هَذا الدَّهرِ، لأَنهُم، مَا دامُوا يَطْلُبُونَ مَجْدَ هذا الدَّهْرِ، يَخْسَرونَ مُكَافَأَةَ الوَعْدِ المُقْبِلِ. موعظةٌ حول متّى ٢٦. ٢. ٤.[٥]

نَفْخُ المَرْءِ في البُوقِ عَنْ صَلاحِه. كَاتِبٌ مَجْهُولٌ: كُلُّ عَمَلٍ أَو قَوْلٍ يَتَباهَى فِيهِ المَرْءُ بِأَعْمَالِه الصَّالِحَةِ يُشْبِه البُوقَ. راقِبْ مَنْ يَقُومُ بِعَمَلِ البِرِّ عِنْدَما يَرَى شَخْصًا مَا حَاضِرًا، وَيَمْتَنِعُ عَنْ عَمَلِ البِرِّ عِنْدَمَا لا يكُونُ هُنَاكَ أَحَدٌ. إِنَّه يُشْبِهُ البُوقَ، لأَنَّه، عبر هَذَا العَمَلِ، يُذِيعُ مفَاخِرَه. أُنْظُر كَذَلِكَ إِلَى مَنْ يَقُومُ بِعَمَلِ البِرِّ عِنْدَمَا يَطْلُبُ مِنْهُ شَخْصٌ مَا أَنْ يَفْعَلَه، لَكِنَّه لا يَفْعَلُه عِنْدَما لا يَسْأَلُه أَحَدٌ. هَذِهِ العَادَةُ السَيِّئَةُ هِيَ بُوقٌ. أُنْظُرْ أَيضًا إِلَى مَنْ يُعْطِي شَيئًا ذَا قِيمَةٍ إِلى شَخْصٍ مِنَ الطَّبَقَةِ العُلْيَا، إِذَا رَأَى مَنْ يُبادِلُه العَطَاءَ، في حِينِ أَنَّه لا يُعْطِي شَيئًا إِلَى الوَضِيعِ وَالفَقِيرِ. هَذا بُوقٌ آخر، حَتَّى لَوْ قَامَ بِعَمَلِه سِرِّيًا، لأَنَّه يفعَلُ ذَلِكَ لِيَبْدُوَ أَنَّه مُسْتَحِقٌّ المَدِيحِ (أَوّلاً، لأَنَّه فَعَلَهُ؛ ثَانيًا، لأَنه فَعَلَه سِرًّا). فَالإِخْفَاءُ ذاته هُوَ نَفْخٌ بِالبُوقِ عَنْ صَلاحِه. مَهْمَا فَعَلَ هَذا الرَّجُلُ، نَتِيجَةً لبروزِه أَو لِرَغْبَةٍ في البُروزِ . . . يُعْتَبَرُ بُوقًا. فَعَمَلُ البِرِّ عينه،

[٤] GP 65: 607

[٥] LCC 9a: 123

بالرَّغم مِنْ أنَّه حدث حقًا، نفخ بُوق. ليْسَ المكانُ أو الفِعْلُ، إنَّما النِّيَّةُ هي الَّتي يجِبُ أنْ تبْقى مكْتُومةً. عملٌ غيرُ كاملٍ حول متَّى، الموعظة ١٣.[٦]

٣:٦ شِمَالُكَ وَيَمِينُكَ

اليَدَانِ غيرُ المادِّيَّتَين. الذَّهبيُّ الفم. لا يُلْمِعُ هُنا إلى اليدين المادِّيَّتين، إنَّما يصُوغُ الأمْرَ بالمُبالغةِ. يقُولُ: «إذا كان في مُكْنتِكَ أنْ تبْقَى غيْر عارفٍ عطاءك، فلْيكُنْ هذا هدفك. وإذا كان في مكْنتِك أنْ تُخْفِي عطاءك عن اليدين اللَّتين تخْدُمُ بِهِما فافْعلْ». لقدْ أمرنا، هنا، بأنْ نُخْفِيهُ عن الجميعِ وليْس فقط، كما يقولُ البعضُ، عن مذْمُومِي الصِّفاتِ. إنجيلُ متَّى، الموعظة ١٩. ٢.[٧]

التَّصدُّقُ ليْسَ للافْتِخَار. كروماتيوس: هُنا لا يتكلَّمُ الرَّبُّ حرْفيًا على يدي الجسدِ البشريِّ. فهاتان اليدان لا تُدْركان شيْئًا لأنَّهما لا تمْلكان حاسَّة البصرِ أو اللُّغة. عِبارةُ «عنِ اليمِينِ» تدُلُّ على الأعْمالِ البارَّةِ، وعِبارةُ «عنِ الشِّمالِ» تدُلُّ على الأعْمالِ الشِّرِّيرةِ أو الأشْرارِ. هكذا نحْنُ نقْرأُ في كِتابِ الممالِكِ أنَّ «اليدَ» تدُلُّ على الشَّعْبِ عِنْدما يقُولُ: «ألَيْس لي عشْرُ أيادٍ في إسْرائيل؟».[٨] أيْ عشْرةُ أسْباطٍ في إسْرائيل. لذلِكَ، تعْنِي عِبارةُ «عنِ اليمِينِ» الأبْرارَ وعِبارةُ «عنِ الشِّمالِ» الأشْرارَ، وفْقًا لِما قالهُ سُليْمان: «يعْترِفُ الرَّبُّ بالجماعاتِ المُخْتلِفةِ الَّتي عنِ اليمِينِ؛ أمَّا المُنْحرِفُون فهُم عنِ الشِّمالِ».[٩] يُوضِحُ الرَّبُّ معْنى «اليمِينِ» ومعنى «اليسارِ» في الإنْجِيل عِنْدما يُعْلِنُ أنَّ الأبْرارَ يُوضعُون عن اليمِينِ، والأشْرار عن اليسارِ.[١٠] ما يتِمُّ تحْقِيقُهُ وفْقَ تعْلِيمِ الرَّبِّ هُو ألاَّ تعْرفَ اليدُ اليُمْنى ما تفْعلُهُ اليدُ اليُسْرى. ولِكي نتصرَّفَ تصرُّفًا دِينيًّا وإيمانيًّا علَيْنا ألاَّ نتباهى على مرأى مِنَ الأثمةِ وغيرِ المُؤمِنينَ. موعظةٌ حولَ متَّى ٢٦. ٥. ٢- ٤.[١١]

٤:٦ حتَّى تَكُونَ صَدَقَتُكَ فِي الخِفْيَةِ

التَّصدُّقُ في الخِفْيَةِ. أوغسطين: المُرائيُّ هُو الَّذي يدَّعِي خِلافَ ما هُو علَيْه، إنْ في الكنِيسةِ أوْ في المُجْتمعِ. فهُو لا يُحافِظُ على صِفاتِهِ الخاصَّةِ، لأنَّه ينْظُرُ إلى الفوزِ

[٦] GP 65: 707
[٧] GP 75: 572; FNPN 1 01: 131
[٨] ٢ صمونيل ١٩: ٤٤.
[٩] أنظر جامعة ١٠: ٢؛ أمثال ٤: ٢٧.
[١٠] متَّى ٢٥: ٣٣.
[١١] CCL 9a: 223

بالمديح البشريّ كمكافأةٍ له. المدّعون يتلقّون هذا الثّناء، فيما يخدعون الّذين يظهرون لهم أنّهم صالحون متلقّين المديح منهم. لكنّهم لا يتلقّون مكافأةً من الله الفاحص القلوب، تأنيبًا لخداعهم. يقول إنّهم تلقّوا أجرهم[١٢] من بشر. بل يسمعون من الله: «ابتعدوا عنّي يا فاعلي الإثم. فإنّكم تنطقون باسمي، لكن لا تقومون بأعمالي».[١٣] إنّ الّذين يحسنون إلى الآخرين، للحصول على المجد من البشر، يصلون إلى مبتغاهم.. على من عمل البرّ ألاّ يسعى إلى ثناء الآخرين. أمّا نحن فعلينا أن نتبع الّذين يعملون البرّ، فيحصل على المنفعة أولئك الّذين يتمثّلون بمن يمدحونه. الموعظة على الجبل ٢. ٢. ٥.[١٤]

سيعلن الله الأعمال الصّالحة في الوقت المناسب. كاتبٌ مجهولٌ: أنظر، إنّه يعني المكان السّرّيّ للقلب أكثر من الموقع. فالرّبّ يسكن في أعماق قلبك، لا في مكانٍ مخفيٍّ. تذكّر أنّه لا يشاء أن نعمل في الخفية حتّى تكون أعمالنا غير مرئيّة. ففي مكانٍ آخر يقول: «فليضئ نوركم أمام النّاس، ليروا أعمالكم الصّالحة، فيمجّدوا أباكم الّذي في السّماوات».[١٥] فالرّبّ نفسه سيعلنها في الوقت المناسب. كلّ ما هو صالحٌ يصبح أكثر إرضاءً عندما يكون خافيًا عنّا، ومعلنًا من الله. إذا آثرت التّشاوف، فالّذين يمدحونك قلّة، والّذين يفهمونك قلّةٌ، حتّى لو ظهرت متواضعًا. فالّذين يفهمون الواقع يفترون عليك بدلاً من أن يمدحوك. من ناحيةٍ أخرى، إذا كشف الله عن إحساناتك، فما من أحدٍ يجد خطأً في ذلك، باستثناء الشّرّير الّذي يستاء من الإنسان الصّالح. لا يتجاهل الله العمل الصّالح الذي يقوم به الإنسان الصّالح في الخفية، إنّما يجعل إنسانًا كهذا معروفًا في هذا الدّهر وموضوع فخرٍ في المستقبل، لأنّ المجد هو من الله. عملٌ غير كاملٍ حول متّى، الموعظة ١٣.[١٦]

---

[١٢] متّى ٦: ٣.

[١٣] متّى ٧: ٢١- ٢٣.

[١٤] 53:6 1 FNPN ;27-1721:43 LP

[١٥] متّى ٥: ١٦.

[١٦] 807:65 GP

٦: ٥-٨ مبادئ الصَّلاة

٥ وإذا صلّيتُمْ، فلا تكونوا مِثلَ المُرائينَ، فإنّهم يُحِبُّونَ الصَّلاةَ قائمينَ في المَجامِعِ وزوايا الساحاتِ لِيَظهروا للنّاسِ. الحقّ أقولُ لكُم: هؤلاءِ أخذوا أجرَهُم. ٦ أمّا أنتَ، فإذا صلّيتَ فادخُلْ حُجْرتَكَ وأغلِقْ بابَها وصَلِّ لأبيكَ الّذي في الخُفْيَةِ، وأبوكَ الّذي يرى في الخُفْيَةِ هوَ يُكافِئُكَ علانيةً.

٧ ولا تُرَدِّدوا الكلامَ عبثًا في صلواتِكُم مِثلَ الوثنيّينَ، فإنّهم يظُنُّونَ أنّهم إذا أكثروا الكلامَ يُستجابُ لهم. ٨ لا تتشبَّهوا بهم، لأنَّ أباكُم يعرِفُ ما تَحتاجونَ إليهِ قبلَ أنْ تسألوهُ.

نَظْرَةٌ عامَّةٌ: عِندمَا تُقِيمُ الصَّلاةَ، ضَعْ جَانِبًا كُلَّ اضطِرَابٍ، كأنَّك انضمَمْتَ إلَى جَوْقَاتِ المَلائِكَةِ وَصِرْتَ مَع السّيرافيم مُرنِّمًا (الذَّهَبيُّ الفَم). وحَالمَا تَتفوَّهُ بالصَّلاةِ الخَالِصَةِ فَالمَلائِكَةُ يَحمِلونَها في أيديهم ويُحْضِرونها أمامَ الله (كَاتِبٌ مَجْهُولٌ). مَن تضَرَّعَ بحرارةٍ يُشاهِدُ مَنْ لَه وَحْدَه السُّلْطَانُ عَلَى استِجَابَةِ الصَّلاةِ، مُتخلِّيًا عَنْ كُلِّ طَلَبٍ آخَر (الذَّهَبيُّ الفَم). أمَّا مُعَاقَبَةُ المُنَافِقِينَ فتَأْتي مِمَّن يَرغَبون في تَسلُّمِها (الذَّهَبيُّ الفَم). إنَّهم يَبِيعُونَ شَكلاً مِنَ الدِّين فَارِغًا، ويَشْتَرونَ كَلِمَةً مِنَ الثَّناءِ فَارِغَةً (كَاتِبٌ مَجْهولٌ). لا يُصَلُّونَ إلَى الكَائِنَاتِ البَشَرِيَّةِ بَلْ إلَى اللهِ الحَاضِرِ في كُلِّ مَكَانٍ، الَّذي يَسْمَعُ قَبْلَ أَنْ يَتَكَلَّمُوا ويَعرِفُ أَسْرَارَ القلبِ (الذَّهَبيُّ الفَم). فَحنَّةُ ودانيالُ وكورنيليوس ويونان هُمْ نَمَاذِجُ إنْجيليَّةٌ أَوَّليَّةٌ للَّذين يُتمِّمُونَ رُسُومَ تَعْلِيمِ الإنْجِيلِ، ويُصَلُّون خِفْيَةً فَيَسْمَعُهُم الرَّبُّ (كروماتيوس). عِنْدَمَا تُصَلِّي النَّفسُ تَدْخُلُ المَرْكَزَ الدَّاخِليَّ للذَّاتِ. فَهي لا تُفكِّر في أيِّ شيءٍ آخَرَ سِوَى الصَّلاةِ وَسِوى مَنْ تُصلّي إليهِ، فتُغْلِقُ مَدْخَلَ الحَواسِّ الجَسَديَّةِ، وتُقْفِلُ الأَبوابَ عَلَى الأَفْكَارِ وَالاهتِمَامَاتِ الخَارِجيَّةِ (كَاتِبٌ مَجْهُولٌ). إنَّنا نُصلّي إلى اللهِ لا لِنأْمُرَهُ، بَلْ لِنَطْلُبَ مِنْه بحَرارَةٍ، ولنَتَّضِعَ مُتَذكِّرين خَطَايَانَا (الذَّهَبيُّ الفَم). الكَهَنَةُ الوَثَنيُّون يَصرِفونَ السَّاعَاتِ الطَّويلةَ

في استدعاءِ مَنْ لَيْسَ لَهم آذانٌ للسَّمْعِ (كَاتِبٌ مَجْهُولٌ). إنَّنا مدعوُّون وَمَدْفوعُون إلَى أَنْ نكونَ أُمَنَاءَ أَمامَ اللهِ فِي مَا يَخُصُّ حَاجَاتِنَا المُلِحَّةَ (الذَّهبيُّ الفَم). إنَّ جَابِيَ الضَّرائبِ التَّائبَ، لَمَّا طَلَبَ غُفْرَانًا لخطاياه، خَرَجَ مَبرورًا أكثر مِنَ الفَرِّيسيِّ المُتَبَجِّحِ المِكْثَارِ (كروماتيوس). إنَّنا لا نُصلِّي إلَى اللهِ لنَأْمُرَهُ بإِعْطَائِنا مَا نُريدُه، بَلْ كَيْما بِرِضاهُ يَجُودَ عَلَيْنَا بِمَا نَحْتَاجُ إليه (كَاتِبٌ مَجْهولٌ).

٦:٥ وَإذا صَلَّيتُمْ

صلُّوا مع الملائكةِ. الذَّهَبيُّ الفَم: أَظْهِروا إذًا تَهَيُّبًا عَظيمًا وَأَنْتُم تَدْخُلون قَصْرًا للمَلِكِ في السَّمَاوَاتِ لا عَلَى الأَرْضِ. إنَّكُم انضَمَمْتُم إلَى جَوْقَاتِ المَلائِكَةِ، وَأَنْتُم تَشْتَرِكونَ مَع رُؤَسَاءِ المَلائِكَةِ، وَتُرَنِّمُونَ مَعَ السِّيرافِيم. كُلُّ هَذِه الطُّغَمَاتِ تَرتيبُهَا عَظِيمٌ جِدًّا وَهِيَ تُرَنِّمُ بِرَهْبَةٍ عَظِيمَةٍ أَلحانًا صوفيَّةً، وَتِلْكَ التَّراتِيلَ المُرَنَّمةَ إلَى اللهِ مَلِكِ الجَميعِ. عِنْدَمَا تَرْفَعُونَ الصَّلاةَ انضمُّوا إلَى تِلْكَ الطُّغمَاتِ وَاحرصُوا عَلَى تَرْتِيبِها الصُّوفيِّ. إنَّكُم لا تَرْفَعُونَ الصَّلاةَ إلَى البَشَرِ، بَلْ إلَى اللهِ الحَاضِرِ في كُلِّ مَكَانٍ، الَّذي يَسْمَعُ قَبْلَ أَنْ تَتكلَّمُوا، وَيَعْرِفُ سَرَائِرَ العَقْلِ. إذا صَلَّيتُم هكَذا فَعظِيمٌ الأَجْرُ الَّذي ستَنَالُونَه. «وَأَبُوكَ الَّذي يَرَى في الخِفْيَةِ هوَ يُكافِئُكَ علانيَّةً». لَمْ يَقُلْ «يَمْنَحُكَ الأَجرَ»، بَلْ قَالَ «يُكافِئُكَ»؛ لأَنَّه جَعَلَ نَفْسَه مَدِينًا لَكَ، فَكَرَّمَكَ بشَرَفٍ عظِيمٍ. وَلأَنَّه هُوَ نَفْسَهُ غَيْرُ مَنْظُورٍ، يَجْعَلُ صَلاتَكَ غَيْرَ مَنْظُورَةٍ أَيضًا. إنْجِيلُ مَتَّى، الموعظة ١٩. ٣.[١]

غَادَرَ خَالِي الوِفَاضِ. الذَّهَبيُّ الفَم: يَدَّعِي المُرَاؤونَ أَنَّهم يُصَلُّون إلَى اللهِ، لَكِنَّهم في الوَاقِعِ يَتَطَلَّعُونَ إلَى النَّاسِ مُرتَدِينَ مِنَ الأَزيَاءِ مَا يُضْحِكُ لا مَا يُوحِي بالتَّقْوَى. مَنْ صَمَّمَ عَلَى أَنْ يَرْفَعَ التَّضَرُّعَ، تَناسى الجميع ونَظَرَ إلَى الرَّبِّ القَادِرِ وَحْدَهُ عَلَى أَنْ يَسْتَجِيبَ لطَلَبِه. لَكِنْ، إنْ تَخَلَّيتَ عَن اللهِ وَسَرَّحْتَ نَظَرَكَ فِي كُلِّ شَيءٍ، فَإنَّكَ تُغادِرُ خَالِيَ الوِفَاضِ. إنجيلُ متَّى، الموعظة ١٩. ٢.[٢]

إفتَحُوا كُنُوزَ الصَّلاةِ. كَاتِبٌ مَجْهُولٌ: إنَّ حَديثَنَا هُوَ عَنِ الصَّلاةِ الَّتي تَرْفَعُها النَّفْسُ وحدها إلَى اللهِ مِنْ أَعْمَاقِها. إنَّها نَوعٌ مِنْ ثَرْوَةٍ رُوحِيَّةٍ. فَكُلُّ أَعْمَالِ البِرِّ التي يَصْنَعُها المَرْءُ إنَّمَا يَقومُ بِهَا قَدْرَ طَاقَتِهِ ويَفْعَلُها بِمَشَقَّةٍ قَدْرَ مَا يَسْتَطِيعُ. يُقيمُ الصَّلاةَ وَفْقَ

(١) GP 75:277; NPNF 1 10:133
(٢) GP 75:276; NPNF 1 10:132

إيمانِه ويُقدِّمُ مِنْ كَنْزِ إيمانِه. هَلْ تُرِيدُ أَنْ تَعْرِفَ كَمْ تكونُ الصَّلاةُ نَفِيسَةً؟ مَا مِنْ عَمَلٍ خَارِجيٍّ مِنْ أَعْمَالِ البِرِّ يُقارَنُ بالبَخُورِ. الصَّلاةُ وَحْدَها تُوازِنُ بَيْنَهُما. يَظْهَرُ في رُؤيا يُوحنَّا مَلاكٌ عَظِيمٌ جاءَ يَحْمِلُ مِبْخَرَةً فيها بَخُورٌ زَكِيُّ الرَّائِحَةِ ويقِفُ عِنْدَ المَذْبَحِ فَسَمِعَ هَذا القَولَ: «هَذِه هِيَ صَلَواتُ القِدِّيسين».[٣] فَكَمَا أَنَّ البَخُورَ المَمْزُوجَ جَيِّدًا يُبْهِجُ المُتعَبِّدَ، هَكَذا تَحْلو صَلاةُ البَارِّ عِندَ اللهِ. فَهلْ تَرْغَبُ في أَنْ تَعْرِفَ فَاعِلِيَّتَها؟ حَالَما تَخْرُجُ مِنَ الفَمِ، يحْمِلُها الملائِكَةُ بأيْدِيهم ويرفَعُونَها إِلى اللهِ، كَمَا قَالَ رَئِيسُ الملائِكةِ إلى طُوبيَّا: «كُنتُ أَنا أَرْفَعُ صَلاتَكَ إِلى اللهِ».[٤] عَمَلٌ غيرُ كامِلٍ حَوْلَ متّى، الموعظة ١٣.[٥]

أَخَذَ المُرَاؤونَ أَجْرَهُم. الذَّهَبيُّ الفَم. لَمْ يَقُلْ يسوعُ «إنَّهم لَنْ يَأْخُذوا أَجْرَهُم» إنمَّا قَالَ «أَخَذُوا أَجْرَهم»، أي إنَّهم يَأْخُذونَ أَجْرًا مِمَّن يرْغَبُونَ في أَنْ يَنالُوه مِنْهُم. فَاللهُ لا يَشاءُ ذلِكَ، لأَنَّه يَرْغَبُ في أَنْ يَهَبَ البَشَرَ مُكَافَأَةً مِنْهُ: أَمَّا الَّذين يبْتَغُون المُكافَأَةَ مِنْ بَشَرٍ، فلا يُمْكِنُ أَنْ يَتلقَّوا مُكافَأَةً أُخْرَى مِمَّن لَمْ يَصْنَعْ شيئًا. إِنْجِيلُ متّى، الموعظة ١٩. ٢.[٦]

البَيْعُ وَالشِّرَاءُ. كَاتِبٌ مجْهُولٌ: حَيْثُمَا يَزْرَعِ المرءُ زَرْعَهُ يَحْصِدْه؛ وَمَا يَزْرَعْهُ يحْصِدْه. المُرَاؤون يُصَلُّونَ بِسَبَبِ الآخرِينَ، لا بِسَبَبِ اللهِ. هَكَذا يَمْدَحُهُمُ الآخَرون لا الله. يُصَلُّونَ بِخِداعٍ، والحقُّ أَنَّهُم لا يُصَلُّونَ. يُمْدَحونَ بِمُراوغةٍ، لأَنَّهم لا يَستحِقُّونَ المدِيحَ. يَبِيعُونَ شَكلِيَّاتِ الدِّينِ الفارغة، ويَشْتَرون لِقاءَها كِلمَةَ ثَناءٍ فَارِغَةً. فكَمَا أَنَّ صَلاةَ هَؤلاءِ النَّاسِ لا تُرْضِي اللهَ، هَكَذا فَإِنَّ مَدِيحَ الآخَرِينَ لهُم لا يُزَيِّنُهم. إِنَّ مَا يُصَاغُ في كَلامٍ يَبْقَى كَلامًا يَتَدَفَّقُ مِنَ الأَفْواهِ. وَعِنْدَ انْتِهَاءِ الكَلامِ، تَنْتَهِي مَعَهُ الفَائِدَةُ الَّتي تُجْنَى مِنْه. عملٌ غيرُ كاملٍ حول متّى، الموعظة ١٣.[٧]

٦:٦ إِذَا صَلَّيتُم

حُجْرَةُ نَومِ قُلوبِنا. هيلاريون: يَطْلُبُ الرَّبُّ مِنَّا أَنْ نُصَلِّيَ وبابُ حُجْرَةِ نَومِنا مُغْلَقٌ، كَمَا كَانَ، ويعلِّمُنا أَنْ نُقِيمَ صَلاتَنَا في كُلِّ مَكَانٍ. كَانَ القِدِّيسونَ يُقِيمُونَ صَلَواتِهم عَلَى مَشْهَدٍ مِنَ الحيوانَاتِ المُتَوحِّشَةِ، وفِي

---

[٣] رؤيا ٨: ٣؛ ٥: ٨.
[٤] طوبيّا ١٢: ١٢.
[٥] PG 56:708-9
[٦] PG 57:276; NPNF 1 10:132
[٧] PG 56:709

السُّجُون، وَفي وَسْطِ اللَّهِيبِ، وَفي أَعْمَاقِ البَحْرِ وَفِي جَوْفِ الحيَوان. يَحُثُّنا الله عَلَى أَلاّ نَدْخُلَ عُزْلَةَ بيُوتِنَا، بَلْ أَنْ نَدْخُلَ حُجْرَةَ نَومِ قُلُوبِنَا. نَحْنُ نُصَلِّي إِلَى الله عِنْدَمَا تَكُونُ حُجْرَةُ عُقُولِنَا مُغْلَقَةً، لا بِكَثْرَةِ الكَلامِ بَلْ بِضَمِيرِنَا، فَالعَمَلُ يَعْلُو عَلَى كَلامِ المُتَكَلِّمِين. في متّى ٥. ١.[٨]

دُخُولُ الحُجْرَةِ الدَّاخِلِيَّة. أوغسطين: أُدْخُلْ إِلَى حُجْرَتِكَ الدَّاخِلِيَّةِ. لا تَتْرُك البَابَ مُشَرَّعًا لِمَن يُوَسْوِسُ بصَخَبِه، فَمِنْه تَدْخُلُ الأُمُورُ النَّجِسَةُ وَتُهاجِمُ جَوَارِحَنَا. الموعظةُ على الجبَلِ ٢. ٣. ٢.[٩]

تَطْهِيرُ القَلْبِ. أوغسطين: تَتَربَّعُ خَارِجَ الغُرْفَةِ الدَّاخِلِيَّةِ كُلُّ الأُمُورِ الوَقْتِيَّةِ والمَرْئِيَّةِ، وتَدُقُّ البَابَ؛ وَعَبْرَ حَواسِّنا الجَسَدِيَّةِ تُثِيرُ الصَّخَبَ لِتَقْطَعَ صَلاتَنَا وتَغْزُوهَا بِحَشْدٍ مِنَ الأَشْبَاحِ البَاطِلَةِ. لذَلِكَ عَلَينا أَنْ نُغْلِقَ البَابَ دُونَهَا. وَهكَذَا تُقَاوِمُ حَوَاسُّ الجَسَدِ لِتَسْتَقِيمَ رُوحُ الصَّلاةِ مُرْتَفِعَةً إِلَى الآبِ. هَذَا مَا يَحْدُثُ في أَعْمَاقِ القَلْبِ، حَيْثُ تُقَدَّمُ الصَّلاةُ للآبِ في الخِفْيَةِ. هُنَاكَ «أَبوكَ الَّذي يَرَى في الخِفْيَةِ هوَ يُكافِئُكَ». هَذِه خَاتِمَةٌ مُلائِمَةٌ لِمَشُورَةٍ صَالِحَةٍ، لا تَدْعُونَا إِلَى الصَّلاةِ فَحَسْب، بَلْ تُرينا كَيفَ نُصَلِّي، لا تَدْعُونَا إِلَى الإِحْسَانِ فَحَسَب، بَلْ تُرِينَا الرُّوحَ الصَّحِيحَةَ لِفِعْلِه. يَأْمُرُنا بِأَنْ نُطَهِّرَ القَلْبَ. مَا مِنْ شَيءٍ يُطَهِّرُ القَلْبَ سِوَى السَّعْي، بِنِيَّةٍ مُخْلِصَةٍ غَيرِ مُتَشَتِّتَةٍ، إِلَى الحَياةِ الأَبَدِيَّةِ انطلاقًا مِنْ مَحَبَّةٍ خَالِصَةٍ للحِكْمَةِ وَحْدَهَا. الموعظةُ عَلَى الجبَلِ ٢. ٣. ١١.[١٠]

مَنْعُ الاهْتِمَامَاتِ الخَارِجِيَّةِ مِنَ الدُّخُولِ. كَاتِبٌ مَجْهُولٌ: تُفْهَمُ هَذِهِ الأُمُورُ بِطَرِيقَةٍ فضلى بِالمَعْنَى الرُّوحِيِّ، لأَنَّ الكَلامَ كَانَ عَلَى النَّفْسِ. «الحُجْرَةُ» هِيَ القَلْبُ، أَو العَقْلُ الدَّاخِلِيُّ الرُّوحِيُّ. فقد كُتِبَ: «مَا تَتكلَّمُونَ بِهِ في قُلُوبِكُم تَنَدَّمُوا عَلَيهِ في الخِفْيَةِ».[١١] المَدْخَلُ هُوَ الحَاسَّةُ الجَسَدِيَّةُ الخَارِجِيَّةُ الَّتي عبرها يدخُلُ النَّفْسَ كُلُّ مَا هُوَ صَالِحٌ وَشِرِّيرٌ. وَهكَذَا في نَشِيدِ الأَنشَادِ تَتَكلَّمُ الحِكْمَةُ في شَخْصِ الكَنِيسَةِ فَتَقُولُ: «هَا حَبِيبَتي تَدُقُّ عَلَى البَابِ: إِفْتَحِي لِي، يَا أُخْتِي، يَا عَزِيزَتي».[١٢] المَسِيحُ يَطْرُقُ بَابَ المَسِيحِيِّ، فَيَدْخُلُ القَلْبَ سَوَاءٌ عبر الكُتُبِ المُقَدَّسَةِ أَو عبر الأَفْكَارِ الصَّالِحَةِ. مَنْ يَتَسلَّمْهَا يَفْتَحْ لَه المَسِيحُ نَفْسُه. وَمَنْ يُقْصِيهَا عَنْه يُغْلِقِ البَابَ عَلَى نفسِهِ. لِهَذَا يَأْمُرُ يَسوعُ بِأَنْ تَبْلُغَ النَّفسُ الفَهمَ الدَّاخِلِيَّ عِنْدَمَا تُصَلِّي، لِئَلاَّ تُفكِّرَ في غَيرِ مَا تُصَلِّي مِنْ أَجْلِهِ وَمَنْ تُصَلِّي إِلَيه. هَكَذَا تُغْلِقُ مَدْخَلَ

حَـاسَّـتِـهـا الجَسَـديَّـةِ، لِـتَـمْـنَـعَ الأَفْـكَـارَ وَالاهتِمَامَاتِ الخَارِجيَّةَ مِن دخولِها. عَمَلٌ غيرُ كَامِلٍ حَوْلَ متَّى، الموعظة ,١٣.[13]

أَمـثِـلَـةٌ عَـن الصَّـلاةِ في الخَفْـيَـةِ. كـرومـاتـيـوس: نَـجِـدُ في كُـتُـبِ المَمَـالِـكِ {المُلُوكِ} أنَّ الـقِـدِّيسَـة حـنَّـة أتمتْ رُسُومَ تَعْلِيمِ الإنجيلِ. فِيمَا كَانَتْ تُصلّي في قَلْبِهَا وَعَلَى مَرْأَى مِنَ الله، و من دُونِ أَنْ تَتَفوَّهَ بكَلِمَةٍ، عَبّرتْ عَنْ رَغْبَتِها في صَلَواتِها. في الحَالِ استحَقّتْ أَنْ يَستمِعَ لَها الرَّبُّ. هَكَذا استَجَابَ الـرَّبُّ لِدانيـالَ، الَّذي صَلَّى في الخِفيـةِ مَعْ الفِتْيَةِ الثَلاثَةِ، لِيَفْهَمَ تَفْسِيرَ حُلْمِه وَأَسْرارَ الرُّؤيا. وكورنيليوس، قَبْلَ أَنْ يَتَعَلَّمَ رُسُومَ الإنْجيلِ، صَلَّى في الخِفْيَـةِ صَلاةً صَادِقَـةً في غُرْفَتِـه فكَـانَ أَهـلاً لأَنْ يَسْمَعَ صَوْتَ المَلاكِ وَهوَ يَتكلَّمُ. مَاذا نَقُولُ عَنْ يُونَانَ؟! أُوصِدَ عَلَيْهِ في جَوْفِ الحُوتِ لا في حُجْرَتِه، فَاستَحَقَّ أَنْ تُسْمَعَ صَلاتُهُ مِنْ أَعْمَاقِ البَحْرِ وَمِنْ جَوفِ حَيَوانٍ ضَخْمٍ، فَنَجَا حَيًّا سَلِيمًا؟[14] موعظةٌ حَولَ متَّى ٢٧. ١. ٤- ٥.[15]

الوَثَنِيُّون أَنَّهم قَادِرُونَ عَلَى الحُصُولِ بِيُسْرٍ مِنَ الرَّبِّ عَلَى مَا يَطْلُبُونَه بكَثْرَةِ الكَلامِ، أَمَّا الرَّبُّ فَلا يَتَوَقَّعُ مِنَّا ذَلِكَ. يُرِيدُنَا أَنْ نَرْفَعَ صَلَواتِنا لا في إِطَالَةِ الكَلامِ، بَلْ في إِيمَانٍ يَنْبُعُ مِنَ القَلْبِ. إنَّنا، بِفِعْلِنا هَذا، نَنَالُ استِحْقَاقَ البِرِّ منه. الحقُّ أَنَّه يَعْرِفُ مَا نَحتاجُ إِلَيه؛ إِنَّه قَبْلَ أَنْ نَتَكَلَّمَ يَعِي كُلَّ مَا نَطْلُبُه مِنْه. موعظةٌ حولَ متَّى ٢٧. ٢. ١- ٢.[16]

الكَهَنَةُ الوَثَنِيُّون يَسْتَدعُونَ أَوْثَانًا لا تَسْمَعُ. كَاتِبٌ مَجْهُولٌ: فَلْنَنْظُرْ إِلَى الآلِهَةِ الَّتي يُصَلِّي الوَثَنِيُّونَ لَهَا، حَتَّى نَفْهَمَ كَيْفَ لا نُصَلِّي. إِنَّهم يُصَلُّونَ إِلَى الشَّيَاطِينِ، الَّذينَ قَد يَسْمَعُونَ، إِنَّما لا يَقْدِرونَ على أَنْ يُصْغُوا إِلَيهم. فَالشَّيَاطِينُ عَاجِزُونَ عَنْ إِنْزَالِ الشَّرِّ بِالنَّاسِ، مَا لَمْ يُجِزْه الله لَهُم. يُصَلِّي الوَثَنِيُّون إِلَى مُلُوكٍ أَمْوَاتٍ، أَمْثَالِ جُوبِيتر وعُطَارد وَغيرِهِمَا، الَّذين تَكُونُ جَرَائِمُهُمْ

٦:٧ لا تُرَدِّدوا الكَلامَ تَرْدَادًا

تَجَنَّبُوا كَثْرَةَ الكَلامِ. كروماتيوس: يَظُنُّ

(٨) CS 051:452

(٩) LP 43:4721; NPNF 1 6:73

(١٠) LP 43:4721; NPNF 1 6:73

(١١) مزمور ٤: ٤.

(١٢) نشيد الأنشاد ٥: ٢.

(١٣) GP 65:907-01

(١٤) يونان ٢: ١- ١١.

(١٥) LCC 9a:323-26

(١٦) LCC 9a:326

مَعْرُوفَةً أَكْثَرَ مِنْ أَسْمَائِهِم. إِنَّهم عَاجِزون عَنْ إِسْعَافِ النَّاسِ بحَاجَتِهم، حتَّى لو كَانُوا لا يزالون أَحْيَاءً. فَالوثنيُّون يُصلُّون إِلَى أَوْثَانٍ عَدِيمَةِ الحِسِّ، لا تَسْمَعُ وتَالِياً لا تَسْتَجِيبُ. يُمْضِي كَهَنَتُهم وَقْتًا طويلاً وَهُمْ يَسْتَدْعُون مَنْ لا يَسْمَعُ. فلمَّا استدْعى كَهَنَةُ البَعْلِ إلهَهُم مُقَدِّمين له الأضَاحِي، قَالَ لَهُم إيليَّا سَاخِرًا: «اصرُخُوا، اصرُخُوا بصَوتٍ أَعْلَى فرُبَّما كَانَ إِلَهُكُم غَارِقًا في النَّوم».[١٧] وَمَن يُطِلْ صَلاتَه بكَثْرَةِ الكلامِ يكُنْ وكَأنَّه يلُومُ اللهَ علَى غرَقِهِ في النَّوم. عَمَلٌ غيرُ كاملٍ حَولَ متّى، الموعظة ١٣.[١٨]

كَيْفَ نُصَلِّي. الذَّهَبِيُّ الفم: سَنَّ السَّيِّدُ نفْسُهُ شَرِيعَةَ تَضَرُّعِ الجَمِيعِ إِلَيهِ بِلا انقِطَاعٍ، كالأَرْمَلَةِ الَّتي فَازَتْ علَى القَاضِي الفظِّ الخشِنِ الجَانِبِ بمُداومتِهَا علَى الصَّلاةِ،[١٩] وَكَصَديقٍ يَمْضِي في نِصْفِ اللَّيْلِ ليُوقِظَ النَّائِمَ مِنْ فِراشِهِ، لا مِنْ أَجْلِ صَدَاقتِهِ، بَلْ مِنْ أَجْلِ الحاجةِ.[٢٠] إِنَّ يسوعَ لا يَأْمُرُنا بأَنْ نَضَعَ صَلاةً من آلافِ المَقَاطِعِ، لنَأْتِيَ إِلَيهِ بِهَا وَنُردِّدَهَا تَرْدَادًا. فَهُوَ أشَارَ إِلَى ذَلِكَ ضِمْنًا في قَوْلِهِ: «يظنُّون أنَّهم إذا أَكْثَروا الكَلامَ يُسْتَجَابُ لهم». «لأنَّ أَبَاكُم يعْرِفُ مَا تَحْتَاجُونَ إِلَيهِ». قَدْ يَسْأَلُ بَعْضُهُم: إِذَا كَانَ يَعْلَمُ مَا نَحْتَاجُ إِلَيهِ، فَمَا حَاجَتُنَا إِلَى الصَّلاةِ؟ إِنَّكَ تُصلِّي لا لتُخْبِرَهُ بِمَا تَحْتَاجُ إِلَيهِ، بَلْ لتَتَضَرَّعَ إِلَيهِ وَتَصيرَ حَمِيمًا مَعَهُ بمُداومَتِكَ علَى التَّضرُّعِ؛ فتكُون مُتواضِعًا مُتذكِّرًا خطايَاكَ. إنجيلُ متّى، الموعظة ١٩. ٤.[٢١]

الصَّلاةُ البَسِيطَةُ وَالصَّلاةُ المُفْرِطَةُ في الكَلامِ. كرومَاتيوس: إِنَّ مَثَلَ الفرِّيسيِّ وَجَابِي الضَّرائبِ يُعطِينا فِكرَةً وَاضِحَةً عَنِ المسافةِ بينَ الصَّلاةِ البَسِيطَةِ المُتَواضِعَةِ وَكَثْرَةِ الكَلامِ في الصَّلاةِ. فَصَلاةُ الفرِّيسيِّ المُتَفَاخِرِ المِهْذَارِ رُفِضَت. أَمَّا صَلاةُ جَابِي الضَّرائبِ التَّائبِ المُتواضِعِ فكَانَتْ لغُفْرَانِ خطاياه، فَخَرَجَ مَبْرورًا أَكثرَ مِنَ الفرِّيسيِّ الصَّلِفِ. في هَذا نَجِدُ أَنَّ مَا كُتِبَ قد تَمَّ: «صَلاةُ المُتَواضِعِ تَخْتَرِقُ الغُيومَ»،[٢٢] وتَصِلُ إِلَى اللهِ الَّذي يُقْبِلُ بسمْعِهِ علَى صَلاةِ مَنْ يُصلِّي. موعظةٌ حول متّى ٢٧. ٢. ٣.[٢٣]

---

[١٧] ١ ممالك (ملوك) ١٨: ٢٧.

[١٨] GP 56:710

[١٩] أنظر لوقا ١٨: ١– ٨.

[٢٠] انظر لوقا ١١: ٥.

[٢١] GP 57:278; NPNF 1 10:133

[٢٢] يشوع بن سيراخ ٣٥: ٢١.

[٢٣] CCL 9a:326- 27

٦:٨ لأنَّ أباكُم يَعرِفُ ما تَحتاجونَ إليهِ قَبْلَ أنْ تَسأَلُوه. كاتِبٌ مَجْهولٌ: يَعْرِفُ أبوكُم مَا تَحْتَاجُونَ إليهِ قَبْلَ أنْ تَسْأَلُوه. إذا كَانَ اللهُ يَعْرِفُ مَا نُريدُه قَبْلَ الوَقْتِ، فَنحْنُ نُقِيمُ الصَّلاةَ لا لنَطْلُبَ إلى اللهِ مَا نَرْغَبُ فيه، بَلْ ليُعْطِيَنَا كَفَافَنَا مِمَّا يَتَفَضَّلُ عَلينا بِهِ. فاللهُ يُسْتَرْضَى وَلا يُلَقَّنُ؛ أَمَّا الصَّلاةُ الطَّويلَةُ فَلَيْست ضَروريَّةً عِنْدَه، إنَّما الإرَادَةُ الصَّالِحَةُ. عَمَلٌ غيرُ كَامِلٍ حَولَ مَتَّى، الموعظة ١٣.[٢٤]

(٢٤) GP 11-017:65

٦:٩–١٥ الصَّلاةُ الرَّبَّانيَّةُ

٩فصلُّوا أنتُم هكذا:
أبانا الَّذي في السَّماواتِ،
ليتَقدَّسِ اسمُكَ
١٠ليأتِ ملَكوتُكَ
لتكُنْ مشيئتُكَ
كَمَا في السَّماءِ كذلكَ علَى الأرضِ.
١١خُبزَنا الجَوهريَّ أعطِنا اليوم،
١٢واترُكْ لنا ما علينا
كما نترُكُ نَحنُ لِمن لنا عليه،
١٣ولا تُدخِلْنا في التَّجرِبَةِ،
لكنْ نجِّنا مِنَ الشِّرِّيرِ، لأنَّ لكَ المُلكَ والقُدرةَ والمَجدَ إلى الأبدِ، آمين.
١٤فإنْ كُنتُم تغفِرونَ لِلنّاسِ زلاّتِهم، يَغفِرُ لكُم أبوكُمُ السَّماويُّ زلاّتِكم. ١٥وإنْ كُنتُم لا تَغفِرونَ لِلنّاسِ زلاّتِهِم، لا يَغفِرُ لكُم أبوكُم زلاّتِكُم.

نَظْرَةٌ عَامَّةٌ: أَنْ نُخَاطِبَ اللهَ كَأَبٍ هُوَ امتِيَازٌ لإِيمَانِنَا بِالابْنِ (ترتليان، أُوريجنّس)، هُوَ امتيَازٌ نَتَسلَّمُه وَنَتَعلَّمُه مِنْ أُمٍّ وَلَدَتْ فِينَا الإِيمَانَ، أَعْنِي الكَنِيسَةَ (ترتليان). لا نَتَصوَّر السَّمَاءَ مَكَانًا بَسِيطًا، كَأَنَّ الطُّيورَ أَقْرَبُ إِلى اللهِ مِنَّا نحنُ (أوغسطين). إِنَّنا بِقَولِنَا «أَبَانَا الَّذي في السَّمَاوَاتِ» نَعْبُدُ اللهَ ونُعبِّرُ عَنْ إِيمَانِنَا في وَقْتٍ وَاحِدٍ (ترتليان). شَاءَ اللهُ أَنْ يُدْعَى أَبًا، لِيُعْطِيَنا ثِقَةً كُبْرَى في البَحْثِ عَنْه (كَاتِبٌ مَجْهُولٌ). فَاللهُ القُدُّوسُ وَحدَه لا يَتَقَدَّسُ بِصَلاتِنَا؛ بِالأَحْرَى، نَحْنُ نَتَوسَّلُ إِلَى اسمِهِ القُدّوسِ لِيُقَدِّسَنا كُلَّ يومٍ (كبريانوس). أَنْ نُصَلِّيَ لِيَتقدَّسَ اسمُه هُو أَنْ نُصَلِّيَ لِنَتَمَكَّنَ من العَيْشِ بِلا عَيْبٍ فَيَتَمَجَّدُ اللهُ فِينا كُلِّنا (الذَّهَبيُّ الفَم).

إِنَّ الَّذين يُصَلُّون مِنْ أَجْلِ مَجيءِ مَلَكُوتِ اللهِ، إِنَّما يُصَلُّونَ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَكُونَ مَلَكُوتُ اللهِ رَاسِخًا في أَنفُسِهِم (أوريجنّس)، لِيَسُودَ اللهُ فِينَا (كبريانوس). يَحْيَا مُواطِنو هَذَا المَلَكُوتِ فِيهِ مُنْذُ الآنَ، في مَدِينَةٍ مُنَظَّمَةٍ جِدًّا حَيْثُ يَحكُمُ اللهُ (أوريجنّس). في حَضْرَةِ اللهِ يَتَسَاوَى الجَمِيعُ، سَواءٌ كَانَ المَرْءُ مَلِكًا أَو فَقِيرًا (الذَّهبيُّ الفَم). المَسِيحُ هُوَ مَلَكُوتُ اللهِ، الَّذي نَتَشَوَّقُ إِلَى ظُهُورِ مَجِيئِهِ السَّرِيعِ إِلَينا (كبريانوس). مَعَ أَنَّ مَلَكُوتَ اللهِ قَائِمٌ عَلَى الأَرْضِ مُنْذُ الآنَ، فَأُولَئِكَ الَّذِينَ يَجْهَلُونَه لا يَعْتَرِفُونَ بِهِ (أوغسطين). جَوهَرِيًّا اللهُ رَبٌّ في طَبيعَتِه، لَكِنْ لا يُجْبِرُنا عَلَى طَاعَتِه. إِنَّهُ لا يَسُودُ عَلَى كُلِّ شَيءٍ بِشَكْلٍ قَسْرِيٍّ. لَيْسَ جَمِيعُ البَشَرِ في مَلَكُوتِه، لأَنَّهم لا يَعملونَ جَمِيعُهم بِمَشيئَتِه (كَاتِبٌ مَجْهُولٌ). إِنَّ الصَّلاةَ مِنْ أَجْلِ إِتْمَامِ مَشِيئَةِ اللهِ لا تَعْنِي أَنَّ أَيَّ امرِئٍ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَكُونَ حَجَرَ عثرَةٍ أَمَامَ تَحْقِيقِ إِرَادَةِ الرَّبِّ، أَو أَنَّه يَحْتَاجُ إِلَى صَلاتِنا لِيُتِمَّ مَشيئَتَه (ترتليان). مَعَ أَنَّ المَرْءَ يَعْجَزُ عَنْ عَمَلِ الخَيرِ بدُونِ مُسَاعَدةِ اللهِ، فَاللهُ نَفْسُه لا يَشَاءُ فِعْلَ الخَيرِ في النَّاسِ مَا لَم يؤَازِروهُ في فِعْلِه (كَاتِبٌ مَجْهُولٌ).

إِنَّنا نُصلِّي من أَجلِ أَنْ يُعْطَى لَنَا خُبْزُنا اليَوْمِيّ. هَذا يَعْنِي أَنَّنا نَتَنَاوَلُ يَومِيًّا القُرْبَانَ المقدَّسَ كَطَعامِ الخَلاصِ حَتَّى لا نَنْفَصِلَ عَنْ جَسَدِ المَسِيحِ بِالخَطِيئَةِ (كبريانوس).

عِنْدَمَا نَتَنَاوَلُ الخُبْزَ اليَومِيَّ نُصْبِحُ مُشَارِكِينَ في الطَّبيعَةِ الإِلهيَّةِ (أوريجنّس). هَذَا هُوَ الخُبْزُ اليَوميُّ الَّذي يُغَذِّي جَوهَرَ نَاسُوتِنَا (أوريجنّس). وَالخُبْزُ اليَوميُّ يُعْطَى لَنَا كَفَافًا لِيَومٍ وَاحِدٍ (الذَّهبيُّ الفَم). لكنَّ هَذَا

الخُبْزَ الجوهَري (maar) يدُلُّ كذَلِكَ عَلَى الخُبْز «الَّذي للغدِ» أي للأبديَّةِ؛ إنَّ قيمتَه لا تتضاءَلُ ليُصبحَ كأيِّ خُبْزٍ عادِيٍّ (جيروم). بِمَا أنَّنا نُخْطِئ يوميًّا، عَلَيْنَا أنْ نَطْلُبَ غُفْرانَ الخَطَايا يوميًّا (كبريانوس). إنْ كَانَتِ المَعْمُوديَّةُ تَغْفِرُ كُلَّ خَطِيئَةٍ، فَنَحْنُ نُواصِلُ الصَّلاةَ مِنْ أَجْلِ غُفْرانِ الخَطَايَا المُقْتَرَفَةِ بَعْدَ المَعْمُوديَّةِ (الذَّهبيُّ الفَم). لَنْ يُغفرَ لَنَا مَا لَم نَغْفِرْ نحْنُ للآخرينَ أوَّلاً (أوغسطين، كَاتِب مَجْهُولٌ). الشَّرُّ لا يَأْتي مِنْ مَشِيئَةِ الله في الخَلِيقَةِ، إنَّما مِنْ حُرِّيَّةِ اختيارِ المَخْلُوقَاتِ (الذَّهبيُّ الفَم). إنَّنا لا نُصَلِّي مِنْ أَجْلِ غُفْرانِ خَطَايَانَا القَدِيمَةِ فَحَسْب، بَلْ مِنْ أَجْلِ تَجَنُّبِ الخَطَايَا الجَدِيدَة (ترتليان). نحْنُ عندما نغْفِرُ أَشْبَهُ بالله أكثرَ مِنَّا أيِّ وَقتٍ آخَر (الذَّهبيُّ الفَم). صَلاةُ الغُفْرانِ هَذِه هِي للمُؤمِنِينَ الَّذينَ يَدْعُونَ الله أبًا، ويكْتَشِفُونَ غُفْرانًا يَوْميًّا ضِمْنَ التَّربِيَةِ المُغَذِّيَةِ الَّتي للكَنِيسَةِ (الذَّهبيُّ الفَم). تَفْتَرِضُ الطِّلْبَةُ أنْ نَكُونَ مُسْتَعِدِّينَ لمُسَامَحَةِ كُلِّ مَنْ يَطْلُبُ المُسَامَحَةَ. نُريدُ أنْ يَغْفِرَ أبونَا الجوَّادُ لَنَا لنَغفِرَ نحنُ لمن يَطلُبُ الغُفرانَ منَّا (أوغسطين). مَنْ قَالَ إنَّه يَغْفِرُ، لَكِنَّه لا يَغْفِرُ فِعْلاً، لَنْ يُغْفَرَ لَه (كَاتِبٌ مَجْهولٌ). العَهْدُ الحَاسِمُ مع الله مُتَضَمَّنٌ في غُفْرانِه لَنَا، لذَلِكَ كَانَ هَامًّا أَنْ نُتِمَّ كُلَّ الطِّلْباتِ السَّابِقَةِ (أوغسطين).

لَمْ يَكُنْ إبْلِيسُ شرِّيرًا بطَبِيعَتِه، لأَنَّ الشَّرَّ لا يَنْشَأُ مِنْ أَيَّةِ طَبِيعَةٍ خَلَقَها الله، إنَّما مِمَّا أُضيفَ إلَى الطَّبيعَةِ عِبرَ الاختِيَارِ (الذَّهبيُّ الفَم). إنَّ الطِّلْبَةَ المُوجَزَةَ للنَّجَاةِ مِنَ الشرِّيرِ تُلَخِّصُ كُلَّ طِلْبَاتِنا لله و تَضُمُّها (كبريانوس). الطِّلْبَاتُ الثَّلاث الأُولى تَنتَمِي إلَى الحيَاةِ الأَبَديَّةِ: تَقْديسُ اسمِ الله، الصَّلاةُ مِنْ أَجْلِ مَجيءِ المَلَكُوتِ وإتمَامُ مَشِيئَةِ الله (أوغسطين). أَمَّا الطِّلْبَاتُ الأَرْبع الأُخْرَى فتَنْتَمِي إلَى الحيَاةِ الوَقْتِيَّةِ: الخُبْزُ اليَوْميُّ، غُفْرَانُ الخَطَايَا، وَالنَّجَاةُ مِنَ الشرِّيرِ (أوغسطين).

٦:٩ الدُّنوُّ مِنْ أَبِينَا السَّماويِّ

إظْهَارُ الإيمَان. ترتليان: تَبْدَأُ الصَّلاةُ بالشَّهَادَةِ لإيمَانِنَا بالله، وللعمَلِ بِهِ عِنْدَمَا نَقُولُ: «أَبَانَا الَّذي في السَّمَاوات». بذَلِكَ نَحْنُ نَعْبُدُ الله وَيُرَى إيمَانُنَا، وَهذِه المُنَادَاةُ لله هي المِيزَةُ. إنَّه مكْتُوبٌ: «أَمَّا الَّذينَ يُؤمِنُونَ باسمِهِ فَأَعْطَاهُم سُلْطَانًا أَنْ يُدْعَوا أَبنَاءَ الله»[1]. في الصَّلاة ٢. ١.[2]

[1] يوحنّا ١: ١٢.

[2] LCC 1:852; CF 04:951; ANF 3:682

الكَنيسَةُ هي أُمّ الإيمان. ترتليان: تَكَلَّمَ رَبُّنا كَثِيرًا عَلَى اللهِ كَأَبٍ. وَعَلَّمَنا أَنْ لا نَدْعُوَ أَحَدًا عَلَى الأَرْضِ أَبًا، لأَنَّ لَنَا أَبًا وَاحِدًا في السَّمَاوَاتِ.[٣] لذَلِكَ، عِنْدَمَا نُصَلِّي إِلَى الآبِ، فَإِنَّنا نَعْمَلُ بِهذِهِ الوَصِيَّةِ. طُوبَى لِلَّذِينَ يَعْرِفُونَ أَبَاهُم! تَذَكَّرْ تَوْبِيخَ إِسْرائيل، عِنْدَمَا يَدعُو الرُّوحُ السَّمَاءَ وَالأَرْضَ إِلَى الإِصْغَاءِ، فَيَقُولُ: «وَلَدتُ البَنِينَ وَلَكِنَّهم لَمْ يَعْرِفُونِي».[٤] إِنَّنا في مُنَادَاتِنَا لَهُ كَأَبٍ نُسَمِّيه أَيضًا الله، لِنَضُمَّ بِلَفْظَةٍ وَاحِدَةٍ الحُبَّ والقُدْرَةَ. في مُنَادَاةِ الآبِ، تَتمُّ مُنَادَاةُ الابنِ أَيضًا، لأَنَّ المَسِيحَ قَالَ: «أَنا وَالآبُ وَاحِدٌ». وَلا نَتَغَاضَى عَنِ الكَنِيسَةِ الأُمِّ، لأَنَّ الأُمَّ مَعْرُوفَةٌ في الابنِ وَالآبِ، فَفِي الكَنِيسَةِ نَتَعَلَّمُ مَعْنَى لَفْظَتَيِ «الابن» و «الآبِ». في الصَّلاةِ ٢، ٢- ٦.[٥]

إمتِيَازُ مُنَادَاةِ اللهِ أَبًا. أوريجنّس: استِنَادًا إِلَى الرَّسُولِ: «إِنَّ الوَارِثَ، مَا دَامَ قَاصِرًا، لا فَرْقَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ العَبْدِ، مَعَ أَنَّه يَمْلِكُ كُلَّ شَيءٍ. لَكِنَّه يَبْقَى في حُكْمِ الأَوصِياءِ وَالوُكَلاءِ إِلَى الوَقْتِ الَّذي حَدَّدَه أَبُوه».[٦] عِندَمَا كَانَ مِلءُ الزَّمَانِ[٧] حَلَّ يَسُوعُ المَسِيحُ بَيْنَنَا. إِنَّ الَّذِين يَتوقونَ إِلَيهِ يَحْظَونَ بِالتَّبَنِّي. يُعَلِّمُ بولسُ قَائِلاً : «لَمْ تَتَلَقَّوا روحَ العُبُودِيَّة لِلمَخَافَةِ، بَلْ رُوحَ التَّبَنِّي الَّذي بِه نُنَادِي: «أَيُّها الآبُ، أَبَانا!»»[٨] في الصلاةِ» ٢٢. ٢.[٩]

الدُّنُوُّ مِنَ اللهِ بِثِقَةٍ عَظِيمَةٍ. كَاتِبٌ مَجْهُولٌ: يَشَاءُ اللهُ أَنْ يُسَمَّى أَبًا أَكْثَرَ مِنَ الرَّبِّ، لِيُعْطِيَنا ثِقَةً عَظِيمَةً في البَحْثِ عَنْهُ وَأَمَلاً عَظِيمًا في التَّوسُّلِ إِلَيهِ. فَالعَبِيدُ لا يَطْلُبونَ دَائِمًا مَا يَرْغَبُونَ فِيهِ وَلا يَبتَغُونَ دَائِمًا بِضَمِيرٍ صَالحٍ كُلَّ مَا هُوَ حَقٌّ. وَكَثِيرًا مَا لا يُفَكِّرونَ في مَنْفَعَةِ سَيِّدِهِم، بَلْ في مَنْفَعَتِهِمُ الخَاصَّةِ. لِذَلِكَ لا يَسْتَحِقُّونَ دَائمًا أَنْ يُسْمَعَ لَهُم. لَكِنَّ الأَبنَاءَ يَرفَعُونَ التَّضَرُّعَ دَائمًا، لأَنَّهم يَبْحَثُونَ بِضَمِيرٍ نَقِيٍّ عَمَّا هُوَ صَالِحٌ... لِذَلِكَ يَستَحِقُّونَ دَائمًا أَنْ يُسْمَعَ لَهُم. إِذَا آمَنْتَ بِأَنَّكَ ابنٌ للهِ، فَاطلُبْ مَا هُوَ نَافِعٌ لَكَ أَنْ تَسْتَلِمَه وَمَا يَنْبَغي أَنْ يَمْنَحَه لَكَ. وَلَكِنْ، إِنْ كُنْتَ تَطْلُبُ منه دَائمًا الأُمُورَ المَادِيَّةَ وَالجَسَدِيَّةَ فَإِنَّكَ تَضَعُ نَفْسَكَ في مَأْزَقٍ صَعْبٍ. كَيفَ يُفِيدُكَ مَا لا تَمْلِكُهُ، وَهُوَ الَّذي يَحُثُّكَ في كُلِّ مَكَانٍ على أَنْ تَزْدَرِيَ مَا تَمْلِكُ؟ عَمَلٌ نَاقِصٌ حول متّى، الموعظة ١٤.[١٠]

---

[٣] متّى ٢٣: ٩.
[٤] إشعيا ١: ٢.
[٥] LCC 1: 258; CF 40: 159- 60; ANF 3: 682
[٦] غلاطية ٤: ٢.
[٧] غلاطية ٤: ٤.
[٨] رومية ٨: ١٥.
[٩] SCG 3: 347; ACW 19: 73-74
[١٠] PG 56: 711

مَحْدُودِيَّة المَجَازِ المَكَانِيّ: أوغسطين: فلْيَسْتَعْمِلْ الشَّعْبُ الجَدِيدُ المدعُوُّ إلى الميراثِ الأبديِّ كلِمَةَ العَهْدِ الجَدِيدِ بحرِّيَّة قائلاً: «أبانَا الَّذي في السَّمَاوَاتِ» حَيْثُ تسُودُ قداسَتُه وَعدَالَتُه. فَاللّه لا يُمْكِنُ حصْرُه مكانيًّا. ..لا تُفكِّرُوا في السَّماوَاتِ مكانيًّا، كأنَّ الطُّيورَ أقْرَبُ إلى اللّه منَّا. لمْ يكْتُبْ أنَّ «الرَّبَّ أقْرَبُ مِنْ طِوالِ القَامَةِ» أو «أقْرَبُ مِنَ السَّاكِنينَ عَلَى التِّلالِ» لأنَّه مكْتُوبٌ: «الرَّبُّ قَرِيبٌ مِنْ مُنْكَسِري القُلُوبِ ويُخلِّصُ المُنْسَحِقِينَ في الرُّوحِ»،[11] أي، قَرِيبٌ مِنَ المُتواضِعِينَ. الموعظةُ على الجبَلِ ٢. ٥. ١٧.[12]

في السَّمَاءِ يَتِمُّ التَّغَلُّبُ عَلَى كُلِّ الشُّرُورِ. الذَّهَبيُّ الفَم: بِهَذا يُقْصِي العَدَاوَةَ، ويقْمَعُ الكِبرِيَاءَ، ويطْرُدُ الحَسَدَ، وَيُدخِلُ أُمَّ كُلِّ النِّعَمِ أيضًا ألا وَهِيَ المحبَّةُ، ويُقْصِي خلَلَ الأُمُورِ البَشَرِيَّةِ، ويُظْهِرُ مِقْدارَ مَا تَصِلُ إليهِ المُساواة في الكرامَةِ بينَ الملِكِ وَالفقِيرِ. إنَّنا نُشارِكُ في الأُمُورِ السَّامِيَةِ وَالضَّرُورِيَّةِ. إنجيل متّى، الموعظة ١٩. ٤.[13]

لا يُصْبِحُ اللّه قُدُّوسًا عَلَى نَحْوٍ تَدْرِيجِيٍّ. كبريانوس: إنَّنا نُصَلِّي «ليتقدَّس اسمُكَ» لا لأنَّنا نرْغَبُ في أنْ نَجْعَلَ اللّه قُدُّوسًا بصَلَواتِنَا، بَلْ ليَتَقَدَّسَ اسمُهُ فِينَا. لَكِنْ مَنْ يَجْعَلُ اللّه قُدُّوسًا، إذا كَانَتْ قَدَاسَتُه لا تُقَارَنُ؟ لقَدْ أمرَنا بأَنْ «كُونُوا قِدِّيسِينَ، لأنِّي أنَا قُدُّوسٌ».[14] فَنَسْأَلُ ونَتَضَرَّعُ أَنْ نُتَابِعَ نَحْنُ المُقَدَّسِينَ بالمعْمُودِيَّةِ مَا قَدْ بَدأنا بِهِ. وَهَذَا مَا نُصَلِّي مِنْ أجلِهِ يوميًّا، لأنَّنا نَحْتَاجُ إلى التَّقديسِ اليوميِّ، فَنَغْسِلُ، نَحْنُ الَّذينَ نَسْقُطُ كُلَّ يومٍ، خَطَايَانَا بتَقْدِيسِنَا المُسْتَمِرِّ. موعظةٌ حول الصلاةِ الرَّبَّانيّة ١٢.[15]

تَمْجِيدُ اسمِهِ. الذَّهَبيُّ الفَم: قَالَ يَسُوعُ سَابِقًا: «هَكَذَا فَلْيُضِئْ نُورُكُم قُدَّامَ النَّاسِ ليُشَاهِدُوا أَعْمَالَكُمْ الصَّالِحَة ويُمَجِّدُوا أباكُمْ الَّذي في السَّمَاوَاتِ»،[16] تمَامًا كمَا تُمَجِّدُه السِّيرافِيم قَائِلَةً: «قُدُّوسٌ، قُدُّوسٌ، قُدُّوسٌ».[17] هَكَذا يَعْنِي الفِعلُ «ليتقدَّس» «ليَتَمَجَّد»، الحقُّ أنَّه يَقُولُ: «أَهِّلْنا لنَحْيَا حَيَاةً طَاهِرةً جِدًّا، ليُمَجِّدَكَ الجَمِيعُ مِنْ خِلالِنَا». إنَّهُ يُشيدُ إلى مَحبَّةِ الحِكْمَةِ لكي نُقَدِّمَ للجمِيعِ حَياةً لا عَيْبَ فِيهَا بحَيثُ إنَّ

---

[11] مزمور ٣٤: ١٨؛ ٣٣: ١٨.
[12] 601:5 WCA ;**93:6 1 FNPN ;77-6721:43 LP
[13] 431:01 1 FNPN ;872:75 GP
[14] ١ بطرس ١: ١٦؛ أنظر لاويّين ٢٠: ٧.
[15] 054:5 FNA ;69:a3 LCC
[16] متّى ٥: ١٦.
[17] إشعيا ٦: ٣؛ رويا ٤: ٨.

كُلَّ مَنْ يَرانا يُمَجِّدُ الله تَمْجِيدًا لائقًا. إنجيلُ متّى، الموعظة ١٩. ٤.[١٨]

١٠:٦ مَلَكُوتُ اللهِ وَمَشِيئَتُه

الله يَسُودُ النَّفسَ النَّاضِجَةَ. أوريجنّس: إنَّ مَلَكُوتَ الله، وَفْقَ كَلِمَةِ رَبِّنا وَمُخَلِّصِنا، «لا يَأْتِي عَلَى وَجْهٍ يُرَاقَبُ. وَلا يُقال: هَا هُوذَا هُنَا، أَو هَا هُوذا هُنَاكَ. فَهَا إنَّ مَلَكُوتَ الله فِيكُم».[١٩] (الكَلِمَةُ قَرِيبَةٌ مِنَّا جِدًّا،[٢٠] فَهِي في أَفْوَاهِنَا وَفِي قُلُوبِنَا). الوَاضِحُ أَنَّ المُتَضَرِّعَ مِنْ أَجْلِ مَجِيءِ مَلَكُوتِ اللهِ يَتَوَسَّلُ تَوَسُّلاً مُبَارَكًا من أجل أَنْ يكُونَ المَلَكُوتُ رَاسِخًا فِيه، فيَحْمِلُ ثَمَرًا وَيكُونُ كَامِلاً فيهِ. كُلُّ قِدِّيسٍ يكونُ الله مَلِكًا عَلَيْهِ، هُوَ مُطِيعٌ لِشَرائِعِ الله الرُّوحِيَّةِ، وَمُقِيمٌ في هَذَا المَلَكُوتِ وَكَأَنَّه في مَدِينَةٍ مُنَظَّمَةٍ جِدًّا. الله حَاضِرٌ فيه، فَيَمْلِكُ المَسِيحُ مَعَ الآبِ عَلَى النَّفْسِ الكَامِلَةِ طِبْقًا لِمَا قِيلَ فَنَتَذَكَّرُ أَنَّنا «نَأْتِي إِلَيه فَنَجْعَلُ لَنَا عِنْدَه مُقامًا».[٢١] في الصَّلاةِ ٢٥. ١.[٢٢]

المَلَكُوتُ هُوَ مَجِيءُ المَسِيحِ. كبريانوس: إِنَّنا نَطْلُبُ أَنْ يَأْتِيَ المَلَكُوتُ إِلَيْنَا، وَنُصَلِّي من أَجلِ أَنْ يَتَقَدَّسَ اسمُه فِينَا. لَكِنْ مَتَى كَانَ الله غَيرَ حَاكِمٍ؟ أَو مَتَى بَدَأَ ذَلِكَ المَلَكُوتُ مَعْ مَنْ كَانَ وَهُوَ كَائِنٌ وَسَيكُونُ؟ وَهُنَا نَرْفَعُ الصَّلاةَ لِيَأْتِيَ المَلَكُوتُ الَّذي وَعَدَنَا بِه الله، وَاقتَنَيْنَاهُ بِدَمِ المَسِيحِ وَآلامِهِ، وَلِنَمْلِكَ نحنُ الخَاضِعِينَ لَه في هَذَا العَالَمِ مَعَ المَسِيحِ حِينَ يَحْكُمُ. هَذَا مَا وَعَدَ بِه هُوَ نَفْسُه قَائِلاً: «تَعَالَوا، يَا مَنْ بَارَكَهُم أَبِي، رِثُوا المَلَكُوتَ المُعَدَّ لَكُمْ مُنْذُ إِنْشَاءِ العَالَمِ».[٢٣] إِنَّ المَسِيحَ نَفْسَهُ، أَيُّهَا الإِخْوَةُ الأَحِبَّاءُ، هُوَ مَلَكُوتُ الله، الَّذي نَرْغَبُ في مَجِيئِهِ يومًا فيومًا، وَنَتَشَوَّقُ إِلَى ظُهُورِه لَنَا سَرِيعًا. وَبِمَا أَنَّه هُوَ القِيَامَةُ، وَبِمَا أَنَّنَا نَقُومُ في المَسِيحِ، هَكَذَا يُفْهَمُ مَلَكُوتُ الله أَنَّه هُوَ نَفْسُه لأَنَّنَا بِه سَنَمْلِكُ. موعظةٌ حَولَ الصَّلاةِ الرَّبَّانِيَّةِ، ١٣.[٢٤]

فَلْيَظْهَرِ المَلَكُوتُ ظُهُورًا كُلِّيًّا. أوغسطين: بِقَوْلِهِ «لِيَأْتِ مَلَكُوتُكَ» يَجِبُ أَلاّ نَظُنَّ وكَأَنَّ الله لا يَمْلِكُ الآنَ. لَكِنَّ البَعْضَ قَدْ يَظُنُّ ظَنًّا غَرِيبًا أَنَّ الفِعْلَ «لِيَأْتِ» يَتَضَمَّنُ «مَجِيئَه لِلمَرَّةِ الأُولَى عَلَى الأَرْضِ» وَكَأَنَّ الله لَمْ يَكُنْ مَلِكًا عَلَى الأَرضِ! أو أَنَّه لَمْ يَحْكُم دَائِمًا

(١٨) GP 75:279; NPNF 1 10:134

(١٩) لوقا ١٧: ٢٠- ٢١.

(٢٠) تثنية ٣٠: ١٤.

(٢١) يوحنّا ١٤: ٢٣.

(٢٢) SCG 3:356-57; ACW 19:84- 85

(٢٣) متّى ٢٥: ٣٤.

(٢٤) LCC 3a:97; ANF 5:450-51

عَلَى الأَرْضِ مُنْذُ إِنشاءِ هذَا العَالَمِ! الفِعْلُ «ليَأْتِ» يُفْهَم بمَعْنَى «ظُهُورِه للبَشريَّةِ». كَمَا أَنَّ النُّورَ الحَاضِرَ غَائِبٌ عَن العُمْيَانِ أَو عَن الَّذين أَغْمَضُوا عيونَهُم، هكَذَا يَكُونُ مَلَكُوتُ اللهِ، الَّذي لا يُفَارِقُ الأَرْضَ أَبدًا، غَائبًا عن الَّذينَ لا يَعْرِفونَ شيئًا عَنْهُ. لكنْ، لا يُسْمَحُ لأَحدٍ أَنْ يَجْهَلَ مَلَكُوتَ الله عِنْدَمَا يَأْتي الابنُ الأَوْحَدُ مِنَ السَّمَاواتِ. عِنْدَهَا سَيَرَاهُ الجَمِيعُ عَيَانًا، إِذْ يَأْتي المَسيحُ ليَدينَ الأَحْيَاءَ وَالأَمواتَ. الموعظةُ على الجبلِ ٢. ٦. ٢٠.[٢٥]

لَيْسَ الجَمِيعُ هُمْ فِي مَلَكُوتِ اللهِ. كَاتِبٌ مَجْهُولٌ: يُسَمَّى مَلَكُوتُ اللهِ الثَّوابَ وَالعِقَابَ: فَالأَبرارُ يُثيبُهُمُ اللهُ مُكَافَأَةً لبِرِّهِم، أَمَّا الخَطَأَة فيُعَاقِبُهم على مَعَاصِيهِم. يُسَمَّى القِدِّيسونَ أَيضًا مَلَكُوتَ اللهِ، إِذ كُتِبَ: «فَيَجْمَعُونَ مِنْ مَلَكُوتِهِ كُلَّ الزّوَانِ»،[٢٦] أَيْ مِنَ الجَمَاعَةِ المَسيحِيَّةِ. يُسَمَّى مَلَكُوتُ اللهِ أَيضًا بِرًّا، كَمَا قِيلَ: «إِنَّ مَلَكُوتَ اللهِ سَيُنْزَعُ مِنكُم وَيُعْطَى لأُمَّةٍ تَجْعَلُه يُخْرِجُ ثَمَرًا».[٢٧] لهَذِه الأُمُورِ تَفْسِيرٌ وَاحِدٌ. التَّمَلُّكُ عَلَى القَوْمِ شَيءٌ وَسِيَادَتُهم شَيءٌ آخَر. إِفْهَمْ أَنَّ اللهَ مَلِكٌ في طَبِيعَتِهِ، لَكِنَّه لا يَسُودُ كُلَّ شَيءٍ. لَيْسَ كُلُّ الشَّعْبِ مَلَكُوتَه، لأَنَّهم لا يَعْمَلُون كُلُّهُم بمَشِيئَتِه. فَاللهُ لا يكونُ مَلِكًا عَلَى الأَشْرَارِ، لَكِنْ إِبليسُ هُوَ مَلِكُهُم لأَنَّهم يَأْتَمِرونَ بأَوامِرِه. عَمَلٌ نَاقِصٌ حول متّى، الموعظة ١٤.[٢٨]

مَا إِذَا كَانَ اللهُ بِحَاجَةٍ إِلى صَلاتِنا لِيُتِمَّ مَشِيئَتَه. ترتليان: عِنْدَمَا نُصَلِّي: «لتَكُنْ مَشِيئَتُكَ كَمَا في السَّمَاءِ كَذَلِكَ عَلَى الأَرضِ» لا نُشِيرُ إِلَى أَنَّ المَرْءَ قَادِرٌ عَلَى كَبحِ إِرَادَةِ الله ، أَو أَنَّ اللهَ يَحْتَاجُ إِلَى صَلَواتِنَا لِيُتَمِّمَ مَشِيئَتَه. بالأَحْرَى إِنَّنا نُصَلِّي مِن أَجلِ أَنْ تَكُونَ مَشِيئَتُهُ تَامَّةً فِينَا. تَأَمَّلْ في السَّمَاءِ وفي الأَرْضِ: إِنَّهما صُورَتا نُفُوسِنَا بِرُوحٍ وَجَسَدٍ. مَعْنَى الصَّلاةِ هُوَ أَنْ تَكُونَ مَشِيئَتُه فِينَا (كَروحٍ وَجَسَدٍ، كَسَمَاءٍ وَأَرْضٍ) في الأَرْضِ كَمَا في السَّمَاءِ. وَالآنَ مَاذا يَشَاءُ اللهُ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ نَسِيرَ في طُرُقِه؟ نَسْأَلُهُ إِذًا أَنْ يَجُودَ عَلَيْنَا بِقُدْرَةِ مَشيئتِهِ وَبأَهلِيَّةِ القِيَامِ بها، لِنَخْلُصَ في السَّمَاءِ وَعَلَى الأَرْضِ. مُنْتَهَى مَا يُرِيدُهُ هُوَ خَلاصُ الَّذين تَبَنَّاهُم. في الصَّلاة ٤. ١- ٢.[٢٩]

---

[٢٥] 04:6 1 FNPN ;901:5 WCA ;8721:43 LP

[٢٦] متّى ١٣: ٤١.

[٢٧] متّى ٢١: ٤٣.

[٢٨] 117:65 GP

[٢٩] 286:3 FNA ;26 -161:04 CF ;952:1 LCC

ليَعْمَلَ الكلُّ بمَشيئةِ الله. أوغسطين: إنَّنا نُصلِّي من أجلِ أَنْ تتمَّ إرادةُ الله في الأبرارِ والأشرارِ. وهذا يُفْهَمُ بطريقتَين: أوّلاً، علَيْنَا أَنْ نُصلِّيَ حتَّى لأَعْدائِنا. فماذا نُسمِّي الَّذين يَنْشُرون الاسمَ المسيحيَّ الجامعَ، رغْمَ مُقَاومةِ أَعْدائِهِم؟ هَذِه الصَّلاةُ، «لِتَكُنْ مَشِيئتُكَ كمَا في السَّمَاءِ كذَلِكَ علَى الأَرضِ»، تبْتَغي أَنْ تنْقلَ المعْنَى التَّالي: كمَا يفْعلُ الأَبْرارُ إرادتَك فلْيفْعلْها الأشْرارُ أيضًا فيَهْتدُوا. ثانيًا، تفْسيرُ الآيةِ «لتكُنْ مَشِيئَتُكَ كمَا في السَّماءِ كذلِكَ علَى الأَرضِ» يُفْهَمُ كتوسُّلٍ ليُثِيبَ كُلَّ امرئٍ كأَبْرارِه. وهَذا يتُمُّ في الدَّينُونةِ الأَخِيرَةِ، عِنْدما تُفْرَزُ النِّعاجُ عَنِ الجِداءِ. الموعظةُ عَلَى الجبلِ ٢. ٦. ٢٢.[٣٠]

الصَّلاحُ الإِنْسانيُّ يتَحقَّقُ بمُساعدةِ الله فقط. كاتبٌ مَجْهُولٌ: لاحِظ كيْفَ تكلَّمَ يسوعُ ببلاغةٍ. لمْ يقُلْ: «أبانا، ليَتقدَّس اسمُكَ فِينا، ليأْتِ ملَكُوتُكَ علَيْنَا، لتكُنْ مَشِيئتُكَ فِينا»، خشْيةَ أنْ يَظْهرَ الله أنَّه يُقدِّسُ نفْسَهُ بينَ الشَّعْبِ أو يُريدُ أنْ يحْمِلَ ملَكُوتهُ إلَى الَّذين يُريدُهُم أو يُتمِّمَ مَشِيئَتَهُ بينَ مُريدِيهِ؛ فبذَلِك يُظْهِرُ الله انحِيازًا نحْوَ أَقْوامٍ مُعيَّنةٍ. ولمْ يقُلْ: «لنُقدِّس اسمَكَ، ولنَتقبَّلْ ملَكُوتَكَ، ولنَعْمَلْ بمَشِيئتِكَ في السَّماءِ وعلَى الأَرضِ»، خشْيةَ أنْ يَظْهرَ وكأَنَّه يطْلُبُ من النَّاسِ أَن يُقدِّسوا اسمَهُ أَو يتقبَّلُوا ملَكُوتَهُ أَو يعْمَلُوا بمشِيئَتِه. بالأَحرى، إنَّه تكلَّمَ بلُطْفٍ وبشكْلٍ غيرِ شخْصِيٍّ؛ قَالَ: «ليتقدَّسْ، ليأْتِ، لتكُنْ» ليُظْهِرَ ضرُورةَ عملِ اللهِ والإِنْسانِ. فالنَّاسُ يعْتَبِرونَ الله ضروريًّا لِعمَلِ البرِّ والله يعْتَبِرُ الإِرادَةَ الإِنْسانِيَّةَ ضروريَّةً لِلعَمَلِ عينِه. فالنَّاسُ يعْجزون عنْ فِعْلِ الخيرِ بدُونِ مُساعدَةِ اللهِ، واللهِ لا يشاءُ فِعْلَ الخيرِ في النَّاسِ ما لَمْ يُوافِقوه علَى ذَلِكَ. عمَلٌ ناقِصٌ حولَ متَّى، الموعظة ١٤.[٣١]

٦:١١ طلَبُ الخُبْزِ الجَوْهَريِّ

الخُبْزُ الَّذي يغذِّي جوْهَريًّا ناسُوتَنا الحقِيقيَّ. أوريجنّس: بمَا أَنَّ بعْضَهُم يُفسِّرُ هَذِه الآيةَ بأَنَّها صَلاةٌ للحُصولِ علَى الخُبْزِ المادِّيِّ يترتَّبُ علَينا أَنْ نُفنِّدَ تفسيرَهُم وأَنْ نُثْبِتَ الحقَّ في ما يخُصُّ الخُبْزَ الجوهَريَّ epiousios. علَينا أَنْ نسأَلهم كيْفَ يُمكِنُ لِمَنْ أَمرَنا بطلَبِ النِّعَمِ العظِيمةِ والسَّماويَّةِ أَنْ يُوصِينا بأَنْ نطْلُبَ إِلى الآبِ أَنْ يهبَنا ما هُوَ وضِيعٌ وأَرْضِيٌّ، وكأَنَّه نَسِيَ ما علَّمَهُم

---

(٣٠) LP 43:9721; CF 11:031**; NPNF 1 6:14; WCA 5:011, 51:3, 64

(٣١) GP 65: 217

إيّاه. فالخبْز المُعْطى لجسَدنا ليْس سمَاويًّا والتِماسُهُ ليْس مِنَ العَظائِم.

أمّا، نحْنُ الّذين نتْبَعُ المُعلّمَ نفسَه الّذي يُعلِّمُنا عَنِ الخبْزِ فسنُعالِجُ المسْألة بوُضوح. في إنْجيلِ يُوحنّا يقولُ يسوعُ للّذين أتوا إلى كفرْناحُوم يطلبُونه: «الحقّ الحقَّ أقُولُ لكُم: أنتُم تطلُبونني، لا لأنّكُم رأيتُم الآيَاتِ، بَلْ لأنّكم أكلْتُمُ الخُبْزَ وشبِعْتُم».[٣٢] فمَنْ أكلَ الخُبْزَ الّذي باركَه يَسُوعُ وشَبعَ يَسْعَى إلَى إدْرَاكِ ابنِ اللهِ علَى نَحْوٍ أدقَّ ويُسْرِعُ إليهِ. مِنْ هُنا كَانَتْ وَصيّتُهُ الرّائِعَةُ: «لا تعْمَلُوا للطّعامِ الفانِي، بل اعملُوا للطّعامِ الّذي يَبقَى فيصِير حيَاةً أبديّةً ذاكَ الّذي يهَبُهُ لكُمُ ابنُ اللّه»[٣٣] . . . «الخُبْزُ الحقِيقيُّ» هُوَ الّذي يُغذّي الإنسَانَ الحقِيقيَّ المخْلُوقَ علَى صُورةِ اللّه، فيكُونُ علَى مِثالِ اللّه . في الصلاة ٢٧. ٢.[٣٤]

القُرْبانُ اليَوميُّ اتّحادٌ بالمَسِيح. كبريانوس: إنَّ عبارةَ «الخُبْزُ اليوميُّ» قدْ تُفْهَم فهْمًا رُوحيًّا وبَسِيطًا، لأنَّ المعْنيَيْنِ كلَيْهِما يُساعِدانِنا على فَهْمِ الخلاص. المَسِيحُ هُوَ خُبْزُ الحيَاةِ؛ وهَذا الخُبْزُ ليْسَ خُبْزَ الجَمِيعِ، إنّما خُبْزُنا. وكمَا نقُولُ «أبانا»، لأنّهُ هُوَ أبُو الّذين يَفْهمُونَ ويُؤمِنُونَ، كذلِكَ نقُولُ «خُبْزَنا»، لأنَّ المسِيحَ هُوَ خُبْزُنا نَحْنُ الّذين نلمَسُ جسَده. نَطلُبُ الآنَ أنْ يُعْطى لنَا هذا الخُبْزُ في هذا اليَوم، خِشْيةَ أنْ نُفْصَلَ عَنْ جَسَدِ المَسِيحِ نحْنُ الّذين في المَسِيحِ ونتَناولَ القُربانَ يَوميًّا كطَعامٍ للخَلاص، وذلِكَ بسَببِ إثمٍ كبيرٍ يَمْنَعُنا مِنْ تنَاوُلِ الخُبْزِ السّماويِّ. لقد قال: «أنا الخُبْزُ الحيُّ الّذي نزَلَ مِنَ السّماءِ؛ مَنْ أكَلَ هذَا الخبزَ يحْيَا إلى الأبدِ. والخُبزُ الّذي أُعْطِيهِ أنا هُوَ جَسَدي أبذُلُهُ مِنْ أجلِ حيَاةِ العَالَم».[٣٥] موعظةٌ حول الصلاةِ الربّانيّةِ ١٨.[٣٦]

خُبْزُ الأزَليّة. جيروم: في الإنجيل، اللّفْظةُ الّتي يَعني بها العِبْرانيُّون الخُبْزَ الجَوهَريَّ هي maar. وهي تَعْني «الغد»، فيكُونُ مَعْنَى الآيةِ: «أعْطِنَا اليَوْمَ خُبْزَنا الّذي للغَدِ، أي للمُسْتَقْبَل». نَقْدِرُ على أنْ نَفْهَمَ أيضًا الخُبْزَ الجوهَريَّ بمَعْنًى آخَرَ: الخُبْزُ الّذي يَسْمُو علَى كُلِّ مَادّةٍ ويَتَجاوَزُ كُلَّ الكَائِنَات. تفسِيرُ متّى ١. ٦. ٢.[٣٧]

---

[٣٢] يوحنا ٦: ٢٦.
[٣٣] يوحنا ٦: ٢٧.
[٣٤] SCG 3:363-46; WCA 91:29-39
[٣٥] يوحنا ٦: ٥١.
[٣٦] LCC 3a:101; FNA 5:254
[٣٧] LCC 77:73

الخُبزُ اليَوْمِيُّ الكَفَافُ. الذَّهَبيُّ الفَم: مَا هُوَ خُبْزُنا الجَوْهَريُّ؟ إنَّه خُبْزٌ ليَوم وَاحِدٍ. فَلأَنَّهُ قَالَ: «لتكُنْ مَشِيئَتُكَ كَمَا فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ عَلَى الأَرْضِ»، وَكَانَ يُخَاطِبُ المُرْتَبِطِينَ بِالجَسَدِ الخَاضِعِينَ لضَرُورَةِ الطَّبِيعَةِ، العَاجِزِينَ عَنْ إدْرَاكِ اللاهَوَى الخَاصِّ بالمَلائِكَةِ: إنَّه مِنْ جِهَةٍ يَأْمُرُنَا بِأَنْ نكُونَ مُشَابِهِينَ للطُّغْمَاتِ المَلائِكِيَّةِ، وَبِأَنْ نُتِمَّ مَا يُتِمُّونَهُ، وَمِنْ جِهَةٍ أُخْرَى يَتَنَازَلُ أَيضًا لوَهَنِ طَبيعَتِنا. يَقولُ أُريدُ الكَمَالَ فِي التَّصَرُّفِ بكَونِهِ عَظِيمًا، لا انعِتَاقًا مِن الأَهْوَاءِ؛ فَلا يُسمَحُ بِطُغيَانِ الطَّبِيعَةِ البَشَرِيَّةِ: لأَنَّها تَتَطَلَّبُ طَعَامًا يَقُومُ بِأَوَدِهَا». لَكِنْ أُنَاشِدُكُم أَنْ تَنْظُروا كَيفَ يكْثُرُ مَا هُوَ رُوحِيٌّ حَتَّى فِي الجَسَدِيَّاتِ. لا مِنْ أَجْلِ المَالِ، وَلا مِنْ أَجْلِ العَيْشِ الرَّغِيدِ، وَلا مِنْ أَجْلِ المَلابِسِ الثَّمِينَةِ، وَلا مِنْ أَجْلِ أَيٍّ مِنَ الأُمورِ المُمَاثِلَةِ الأُخرى، إنَّمَا مِنْ أَجْلِ الخُبْزِ وَحْدَهُ قد أَمَرَنا بِأَنْ نُقِيمَ الصَّلاةَ، وَمِنْ أَجْلِ خُبْزِنَا اليَومِيِّ بحيثُ «لا يَهُمُّنا أَمرَ الغدِ».[٣٨] إنجيلُ متَّى، الموعظة ١٩. ٥.[٣٩]

١٢:٦ الصَّفحُ عَنِ الذُّنُوبِ وَالمُذْنِبينَ

طَلَبُ الغُفْرانِ يوميًا. كبريانوس: كَمْ هُوَ ضَرُورِيٌّ وَحَسَنٌ وَمُلائِمٌ لَنَا أَنْ نُذَكَّرَ بِأَنَّنا خَاطِئُونَ وَكَمْ يَنْبَغِي أَنْ نَطْلُبَ غُفْرَانَ خَطَايَانَا. وَفِيمَا نَطْلُبُ الغُفْرَانَ مِنَ اللهِ، يَجِبُ أَنْ تَبْقَى عُقُولُنا مُدْرِكَةً تِلْكَ الخَطَايَا، خِشْيَةَ أَنْ يُصْبِحَ المرءُ مِنَّا رَاضِيًا عَنْ نَفْسِهِ وَيُلاقِيَ مَصِيرَ الإِطْرَاءِ الذَّاتِيِّ.لِذا يَعلَمُ المَرءُ أَنَّه يُخْطِئُ يوميًّا ويُذَكَّرُ بذلكَ، فِيمَا يُوصِيهِ الله أَنْ يَطْلُب غُفْرانَ خَطَايَانَا. هَكَذَا يَنْصَحُنَا يُوحنَّا فِي رِسَالَتِهِ: «إِذَا زَعَمْنَا أَنَّنَا بلا خَطِيئَةٍ خَدَعْنَا أَنْفُسَنَا وَلَم نَكُنْ عَلَى الحقِّ. وَإِذَا اعتَرَفْنَا بِخَطَايَانَا فَإِنَّه أَمِينٌ عَادِلٌ يَغْفِرُ لَنَا خَطَايَانَا ويُطَهِّرُنا مِنْ كُلِّ إِثمٍ»[٤٠] في رِسَالَتِه هَذِه صِلَةٌ ثُنَائِيَّةٌ: يَجِبُ أَنْ نَطْلُبَ غُفْرَانًا لخَطَايَانَا وَنَنَالُ الغُفْرَانَ عِنْدَما نَطلُبُه. فَضْلاً عَنْ ذَلِكَ، قَالَ إِنَّ الرَّبَّ أَمين يَغفِرِ الخَطَايَا وَيبر بِوَعْدِهِ، فَهُوَ الَّذي عَلَّمَنا أَنْ نَطْلُبَ الغُفْرَانَ عَنْ إِثمِنا وَخَطَايَانَا وَوَعَدنا بِالرَّحمَةِ الأَبَوِيَّةِ وَالمُسَامَحَةِ. وَبِكُلِّ جَلاءٍ سَنَّ شَرِيعَةً تَرْبُطُنَا بِشَرْطٍ وَضَمَانٍ أَكِيدَين. سَيُغْفَرُ لإِثمِنا كَمَا نَغْفِرُ لِمَن يُسِيءُ إِلَيْنَا، عَالِمِينَ أَننا لا نَسْتَطِيعُ الحُصُولَ عَلَى غُفْرانِ خَطَايَانَا مَا لَم نَغْفِرْ بِالمُقَابِلِ، للَّذين يُسيئُونَ إِلَيْنَا. في هَذَا المِضْمَارِ يَقُولُ

[٣٨] متَّى ٦: ٣٤.

[٣٩] PG 57:280; NPNF 1 10:135

[٤٠] ١ يوحنَّا ١: ٨– ٩.

في مكَانٍ آخر: «وبِمَا تكِيلُونَ يُكَالُ لَكُم».[٤١] وَالعَبْدُ الَّذي أَعْفَاهُ الرَّبُّ مِنْ دين، رفَضَ أَنْ يَغْفِرَ لعَبْدٍ مِنْ أَهلِهِ، فَزُجَّ في السِّجْنِ وَخَسِرَ مَا أَعْفَاهُ الرَّبُّ منه.[٤٢] مَوْعِظَةٌ على الصَّلاةِ الربّانيَّة ٢٢- ٢٣.[٤٣]

إقَامَةُ الصَّلاةِ يَوْمِيًّا مِنْ أَجلِ الغُفْرَان. الذَّهَبيُّ الفَم: إِذَا كَانَتْ هَذِه الصَّلاةُ مُخَصَّصةً للمُؤمِنين، المُقِيمِينَ الصَّلاةَ والطَّالِبِينَ غُفْرَانَ خَطَايَاهُم، فَمِنَ الوَاضِحِ أَنَّ مَفعُولَ التَّوبَةِ لا يَزالُ عَلَى زَخمِهِ حَتَّى بَعْدَ حَوْضِ المَعْمُودِيَّةِ. لَقَدْ سَنَّ لنا شَرِيعَةَ الصَّلاةِ، وَأَرَادَ أَنْ يُظْهِرَ أَنَّ ذَلِكَ الأَمْرَ مُمْكِنٌ. وأَمَرَنا بأَنْ نَتَذَكَّر خَطَايَانَا وبأَنْ نَسْأَلَ الغُفْرَانَ عن آثامِنَا، وَعَلَّمَنَا نَيلَ الغُفْرَان، وَمَهَّدَ لَنَا الطَّريقَ. أَظْهَرَ بوُضُوحٍ أَنَّ إِثْمَنَا يُمْكِنُ غَسْلُهُ بَعْدَ حَوضِ المَعْمُوديَّةِ فَسَنَّ لنا شَرِيعَةَ التَّوسُّلِ. يَحُثُّنَا عَلَى أَنْ نَتَذَكَّرَ خَطَايَانَا وَأَنْ نَكُونَ مُعْتَدلين؛ وَأَشَارَ علينَا بأَنْ نَغْفِرَ للآخَرِينَ ونعتِقَ أَنفُسَنَا مِنْ كُلِّ هَوَى حَقُودٍ. وَعَدَنَا بالغُفْرَانِ وَوَضَعَ أَمَامَنَا الرَّجَاءَ الصَّالِحَ وَعَلَّمَنَا أَنْ نُحِبَّ الحِكْمَةَ في مَحَبَّةِ الله للبَشَرِ الَّتي لا تُوصَفُ. إنجيلُ متَّى، الموعِظَةُ ١٩. ٥.[٤٤]

سَامِحِ الطَّالِبِينَ مِنْكَ الغُفْرَانَ. أوغسطين: بالتَّأكِيدِ إِنَّها مُقَايَضَةٌ يُحْسَبُ لَهَا حِسَابٌ عِنْدَمَا نَقُولُ: «أترُك لَنَا مَا عَلَيْنَا، كَمَا نَترُكُ نَحنُ لِمَنْ لَنَا عَلَيه». نَحْنُ وَاثِقُونَ بأَنَّنا نَنْتَهِك تِلْكَ القَاعِدَةَ إِذَا كُنَّا لا نَغْفِرُ للطَّالِبِينَ الغُفْرَانَ منّا...عَلَينَا أَنْ نَغفِرَ كُلَّ الخَطَايَا المُقْتَرَفَةِ ضِدَّنا إِذَا أَرَدْنَا أَنْ يَصْفَحَ لنا الآبُ عَمَّا اقتَرَفْنَاه. الموعظةُ عَلَى الجبل ٢. ٨. ٢٩.[٤٥]

لن تَتَفَوَّقَ عَلَى اللهِ في ذَكَائِكَ. كَاتِبٌ مَجْهُولٌ: بأَيَّةِ ثِقَةٍ يُصَلِّي ذَاك الذي يُضْمِرُ العِدَاءَ لِمَن أَسَاءَ إِلَيهِ؟ إنَّه يَكْذِبُ عِنْدَمَا يُصلِّي قَائِلاً «أَنا أَغْفِرُ»، إذ إنَّه لا يَغْفِرُ. لذا لا يَغْفِرُ لَه المَولَى عِنْدَمَا يَطْلُبُ مِنه الغُفْرَانَ. وإِذَا صَلَّى المُسَاءُ إِلَيه وفي نيَّتِهِ أَنْ لا يَغفِرَ لِمَن أَسَاءَ إِلَيه، فكيفَ تَتَصوَّر أَنْ تَكُونَ صَلاةُ مَنْ لَمْ يَمْسَسْه الآخَرونَ بأَذًى، بَلْ كَانَ هُوَ المُسِيءَ للآخَرِينَ وَالظَّالِمَ إيّاهم؟ مَن يَمتَنِعُ في صَلاتِهِ عَن مُسَامَحَةِ مَنْ أَسَاءَ إِلَيهِ يَحسنُ بِهِ أَن لا يَتلوَ الصَّلاةَ الرَّبَّانِيَّةَ. أَوَّلاً مَنْ لا يُصَلِّي كَمَا أَمَرَه المَسِيح لا يكونُ تِلْمِيذًا للمَسِيحِ؛ ثَانيًا، الآبُ لا يَسْتَجِيبُ

[٤١] متّى ٧: ٢.
[٤٢] متّى ١٨: ٢٣- ٣٥.
[٤٣] LCC 3a:104; CF 36:146-47; ANF 5:453
[٤٤] PG 57:280-81; NPNF 10:135-36
[٤٥] PL 34:1282; CF 11:137-38

صَلاة لَمْ يُوص بِهَا الابنُ.. قد تَتْلو الصَّلاةَ، لَكِنَّك لَنْ تتفوَّق عَلَى الله في ذَكائِكَ وَلَنْ تخدعه. إنَّه لا يَغْفِرُ لَكَ مَا لم تَغْفِرْ أنتَ أوَّلاً للآخرينَ. عملٌ ناقصٌ حول متى، الموعظة ١٤.[٤٦]

٦: ١٣ النَّجَاةُ مِنَ الشِّرِّير

تجب مُقَاوَمَةُ الخَطَايَا الجَدِيدة. ترتليان: لِنُكَمِّلْ تِلاوةَ الصَلاةِ (الربَّانيَّةِ) الرَّائعَةِ التَّنسيق. فَالمَسِيحُ أَضَافَ أَنَّه يَجِبُ أَنْ لا نَتَضَرَّعَ مِنْ أَجلِ غُفْرانِ خَطَايَانَا فَحَسْب، بَلْ مِنْ أَجْلِ مُقَاوَمَةِ الخطَايَا كُلَّ المُقَاوَمَة: «لا تُدْخِلْنا في التَّجْرِبَةِ»، أي لا تَدَعِ المُجرِّبَ يُضِلُّك. حَاشَا أَنْ يَكُونَ الله هُوَ المُجَرِّبَ، وَكَأنَّه يجهَلُ إيمَانَ المرءِ أو كأنَّه يرغَبُ في إِزْعَاجِه! الضَّعْفُ والحِقْدُ ميزتَانِ مِن مِيزَاتِ إبليس. أَمَرَ الله إبراهيمَ بأَنْ يُصْعِدَ ابنَهُ مُحْرَقَةً لا ليَمْتَحِنَ إيمانَه، بَلْ ليُثَبِّتَه. بذَلِك بيَّنَ أهميَّةَ مَا علَّمَه فِي مَا بَعْدُ بألاَّ يُحِبَّ المَرْءُ أَحِبَّاءَه أكثرَ مِنَ الله. . . لَقَدْ وقَعَ التَّلاميذُ في تَجْرِبَةِ التَّخَلِّي عَنْ رَبِّهم فَاسْتَرْسَلُوا في النَّوم بَدَلاً مِنَ الصَّلاةِ. من هُنَا كَانتِ الآيةُ «لا تُدْخِلْنا في التَّجربَةِ» تُوازِنُ «نَجِّنَا مِنَ الشِّرِّيرِ». في الصَّلاةِ ٨. ١-٣، ٥-٦.[٤٧]

مَا إذَا كَانَ إبْلِيسُ شِرِّيرًا بِطَبيعَتِه. الذَّهَبِيُّ الفَم: هُنَا يَدْعُو السَّيِّدُ إبْلِيسَ «الشِّرِّير»، آمِرًا إيَّانَا بأَنْ نَشُنَّ عَلَيهِ حَربًا لا هَوَادَةَ فِيهَا، وَمُشِيرًا إِلَى أَنَّ إبلِيس لَيْسَ شِرِّيرًا بطبيعَتِهِ. فَالشَّرُّ لا يَنْشَأُ مِنْ الطَّبيعَةِ المَخْلُوقَةِ، بَلْ مِمَّا أُضِيفَ إليها باختِيارِنَا. دُعِي إبْلِيسُ هكذا بصُورةٍ بارِزةٍ، بسَبَبِ عِظَم شَرِّه، وَلأَنَّه يَشُنُّ علينا حَربًا لا هَوادَةَ فِيهَا. لهَذا لَمْ يَقُلْ «نجِّنَا مِنَ الأَشْرَارِ»، بَلْ «نَجِّنَا مِنَ الشِّرِّيرِ». إنجيلُ متَّى، الموعظة ١٩. ٦.[٤٨]

تَلْخِيصُ كُلِّ الطَّلْبَاتِ السَّابِقَة. كبريانوس: بَعْد هَذِه الأُمُورِ كُلِّها، هُنَاكَ في خَاتِمَةِ الصَّلاةِ آيَةٌ قَصيرَةٌ تُلَخِّصُ كُلَّ طِلْبَتِنَا وَصَلاتِنَا بإيجازٍ مُعجِزٍ. في نهايةِ الصَّلاةِ نقُولُ: «لكنْ نَجِّنَا من الشرِّير» فَنَفْهَمُ أَنَّ هَذِه الآيَةَ تُشِير إِلَى العِداءِ الَّذي يَشُنُّه العَدُوُّ عَلَيْنَا في هَذَا العَالَم. هُنَاكَ حِمَايَةٌ ثَابِتَةٌ وَصَادِقَةٌ ضِدَّ كُلِّ هَذَا العِداءِ إِذَا أَنْقَذَنا الله، وَمَدَّ لَنَا يَدَ العَونِ كَمَا نُصَلِّي وَنَتَضَرَّعُ. عِنْدَمَا نَقُولُ «نَجِّنَا مِنَ الشِّرِّير» لا يَبْقَى لَنَا شَيءٌ آخرُ نَطْلُبُه. عِنْدَمَا نَطْلُب إلى الله أَنْ

(٤٦) GP 65:417

(٤٧) LCC 1:262; CF 04:661-76

(٤٨) GP 75:282; FNPN 1 01:631

يحْمِينا مِنَ الشِّرِّير، نَكُونُ، في حِمَاه آمِنِينَ سَالِمِينَ مِنْ كُلِّ أعْمَالِ إبْلِيسَ وَالعَالَمِ. فَأَيُّ خوفٍ يَعْتَرِي المرْءَ في العَالَمِ إذَا كانَ اللهُ عونًا لَه؟ مواعظُ في الصَّلاةِ الربَّانيَّة ٢٧.[٤٩]

الاستعْدَادُ للغُفْران. الذَّهَبِيُّ الفَم: مَا مِنْ شَيءٍ يَجْعلُنَا نُشْبِهُ اللهَ سِوى استعْدَادِنا لمُسَامَحَةِ الأَشْرَارِ وَالأَثمَةِ. فَاللهُ «يُشْرِقُ شَمْسَه عَلَى الأَبْرَارِ وَالأَشْرَارِ».[٥٠] لِهَذَا السَّبَبِ يَأْمُرنا أيضًا في كُلِّ آياتِه أنْ نَجْعَلَ صَلَواتِنا مُشْتَركَةً قَائِلاً: «أبَانا»، و «لتكُنْ مَشِيئَتُكَ كَمَا في السَّمَاءِ كذلِكَ على الأَرضِ»، و«خُبْزَنا الجوهَرِيَّ أعْطِنا اليَوم... واغْفِرْ لنَا»، و«لا تُدْخِلْنَا في التَّجْرِبَةِ» و«نجِّنَا» آمرًا في كُلِّ مكَانٍ بأَنْ نَسْتَعْمِلَ صِيغةَ الجمعِ هَذِه لكَي لا يَكُونَ فِينَا أيُّ أثَرٍ للغَضبِ على قَرِيبِنا.

مَا أَشدَّ العِقَابَ الَّذي يَستَحِقُّه الَّذين، بَعْدَ كُلِّ هَذَا، لا يَغْفِرونَ، بلْ يَتَضرَّعونَ إلَى اللهِ طَلبًا للثَّأْرِ مِنْ أعْدَائِهم. وَبِفِعْلِهِم هَذا يَطْعَنُونَ الشَّرِيعَةَ في الصَّمِيمِ. في الوَقْتِ عينِه يَفْعَلُ المَسِيحُ كُلَّ شَيءٍ ليُعِيقَ تَصَارُعَنَا. المَحبَّةُ هِيَ أَصْلُ كُلِّ صَلاحٍ، والسَّيِّدُ يُزِيلُ كُلَّ مَا يُفْسِدُهَا، وَيَجْمَعُنَا مَعًا، وَيَربطُنا الواحِدَ بالآخرِ. فَمَا مِنْ أَحَدًا، سَواءٌ كانَ أبًا أو أمًّا أو صَدِيقًا أحبَّنَا مِثْلَمَا أحبَّنَا اللهُ الَّذي خَلَقَنَا. إنجيلُ متَّى، الموعظة ١٩. ٧.[٥١]

نَتِيجَةُ مَنْ لا يَغْفِرُ ذَنْبَ أَحَدٍ. أوغسطين: لسنَا ملزمين بأن نَتَقَيَّدَ بكُل أقْوالِ الرَّبِّ الَّتي أَمَرَنَا بِهَا ونحنُ نَرْفَعُ الصَّلاةَ. دعَانا إلَى الصَّفحِ عَنِ الذُّنوبِ، إذ إنَّه يُرِيدُنا أَنْ نَكُونَ رُحَمَاءَ، لنُبعِدَ البُؤسَ. حقًّا، إنَّنا لا نُصلِّي في أيَّةِ طِلْبَةٍ أُخْرَى أنْ نُعاهِدَ الرَّبَّ عَلَى أنْ يَغفِرَ لنا كَمَا نَغْفِرُ نَحْنُ. إذا نَقضْنَا هَذا المِيثَاقَ، تَكُونُ الصَّلاةُ كلُّها غيرَ مُثْمِرَةٍ. قَالَ: «فَإنْ كُنتُم تَغفِرونَ لِلنَّاسِ زَلاَّتِهِم، يَغفِرُ لكُم أبوكُمُ السَّماويُّ زَلاَّتِكُم. وإنْ كُنتُم لا تَغفِرونَ لِلنّاسِ زلاَّتِهِم، لا يَغفِرُ لكُم أبوكُمُ السَّماويُّ زلاَّتِكُم».[٥٢] الموعظةُ على الجبَلِ ٢. ١١. ٣٩.[٥٣]

---

[٤٩] LCC 3a:107; FC 36:150-51

[٥٠] متّى ٥: ٤٥.

[٥١] PG 57:283; NPNF 1 10:137

[٥٢] متّى ٦: ١٤- ١٥.

[٥٣] PL 34:1287; FC 11:148

٦:١٦-٢٣ الصَّومُ، الكُنوزُ في السَّماءِ ونُورُ الجَسَدِ

[١٦]وإذا صُمْتُم، فلا تكونوا عابِسينَ مِثلَ المُرائينَ، يَجعلونَ وجوهَهُم كالِحةً لِيُظهِروا لِلنّاسِ أنَّهُم صائِمونَ. الحقَّ أقولُ لكُم: إنَّهم قد أخذوا أجرَهُم. [١٧]أمّا أنتَ، فإذا صُمتَ فادهنْ رأسَكَ واغسِلْ وجهَكَ، [١٨]حتّى لا تَظهرَ لِلنّاسِ أنَّكَ صائِمٌ، بل لأبيكَ الَّذي في الخُفيةِ، وأبوكَ الَّذي يرى في الخُفْيةِ هوَ يُكافِئُكَ علانيةً.

[١٩]لا تكنِزوا لكُمْ كُنوزًا على الأرضِ، حيَثُ يُفسِدُ السُّوسُ والصَّدأُ، وينقُبُ السارِقون فيَسرِقون. [٢٠]بلِ اكنزُوا لكُم كُنوزًا في السَّماءِ، حيَثُ لا يُفْسِدُ السُّوسُ والصَّدأُ، ولا ينقُبُ السارِقون ولا يَسرِقون. [٢١]فحيَثُ يكونُ كَنزُكَ يكونُ قَلبُكَ.

[٢٢]سِراجُ الجسدِ هوَ العَينُ. فإنْ كانَت عَينُكَ سَليمَةً، كانَ جسَدُكَ كُلُّهُ نيِّرًا. [٢٣]وإنْ كانَت عَينُكَ شرّيرةً، كانَ جسَدُكَ كُلُّهُ مُظلِمًا. فإذا كانَ النُّورُ الَّذي فيكَ ظَلامًا، فيا لَهُ مِنْ ظلامٍ!

نَظْرَةٌ عامَّةٌ: تَقودُنا المَوعِظَةُ عَلَى الجبَلِ تَدريجيًّا إلَى مَسَائلَ مُلِحَّةٍ جِدًّا. فَالفَقْرُ الطَّوعِيُّ لا يُمْكِنُ التَّعامُلُ مَعَهُ قَبْلَ أَنْ تُعالَجَ الكِبْرِياءُ (الذَّهبيُّ الفَم). وَالكِبرِياءُ لا تَظْهَرُ في أُبَّهَةِ الثَّروةِ الدُّنيويَّةِ فَحَسب، بَلْ في المُسُوحِ أيضًا، حَيثُ تَكُونُ أَكثَرَ خَطَرًا، لأَنَّها تَكُونُ خِداعًا تَحْتَ سِتارِ خِدْمَةِ اللهِ (أوغسطين). يَتَنافَسُ بَعْضُ المَسيحيِّينَ مَعَ المُرائين في جَعْلِ وُجُوهِهم كالِحَةً وَهُم يَصُومُونَ. إنَّهم يُحْسِنُونَ صُنْعًا لو يَصومُونَ في الخُفْيَةِ (الذَّهبيُّ الفَم). لذَلِكَ وَجِّهُوا ثَروَتَكُم وَقَلْبَكُم إلَى مَا يَدُومُ إلَى الأَبدِ لا إلَى ما يَتَلاشَى (أوغسطين).

كلُّ مَا قالَهُ الرَّبُّ عَنِ الصَّلاةِ والصَومِ يُعِدُّ الطَّريقَ لازدِراءِ الثَّرواتِ المادِّيَّةِ (الذَّهبيُّ الفَم). بَعْضُ الثَّرواتِ يُفْسِدُ. فَكُلُّ ما مُزِجَ بمادَّةٍ مُلَوَّثَةٍ تَدنَّسَ، مَعْ أَنَّ طَبيعَتَه لَيْسَت دَنيئةً في جَوْهَرِها. ثَبِّتْ ثَرْوَتَكَ وَقَلْبَكَ عَلَى

مَا يَدُومُ (أوغسطين). نَحرِصُ في صِحَّةِ الجَسدِ عَلَى أَنْ تُبْقِي العَينَ صَحِيحَةً، كَذَلِكَ مِنْ هَذَا المُنطَلَقِ عَلَينا أَنْ نُبْقِيَ صَوتَ العَقْلِ سَلِيمًا بِالنِّسبَةِ إلى النَّفْس. العَقْلُ يُنِيرُ النَّفْس، كَمَا تُنِيرُ العَينُ الجَسَدَ. فَعِندَمَا تُصَابُ العَينُ بِالعَمَى، تَضْعُفُ قُدرَةُ الأَعْضَاءِ الأُخْرَى. وعِندَمَا يَفْسُدُ العَقْلُ تُصْبِحُ النَّفْسُ مُعرَّضَةً لشُرورٍ لا عَدَّ لَها (الذَّهبيُّ الفَم). عِبَارَةُ «جَسدُكَ كُلُّه» تُشيرُ إِلَى تَوبيخِ الرَّبِّ لَنَا وَإِلَى أَمْرِه بِأَنْ نُميتَه (أوغسطين). يُسمِّي المَالَ ربًّا، لا بِسَبَبِ طَبِيعَةِ المَالِ، بَلْ بِسَبَبِ بَلاهَةِ الَّذِين يَسْجُدُون لَه (الذَّهبيُّ الفَم).

تُدمِي مَحبَّةُ المَالِ مَرْكَزَ حَيويّتِكَ، أَي نفسَكَ، حَيَاتَكَ ذاتَها، وقَد تَقْضِي عَلَى خَلاصِكَ. بعِنَايَةِ اللّه يَنْتَهي كُلُّ ما يُقْلِقُنا (الذَّهبيُّ الفَم). إِنَّ مَلَكُوتَ اللّه هُوَ غَايَةُ ما نَبْحَثُ عنه. عِنْدَمَا تَقُومُ بِأَيِّ عَمَلٍ صالحٍ، فَكِّرْ في نَتِيجَتِهِ الأَبديّةِ ولا تَنْتَبِهْ إِلَى الوَقْتيَّاتِ (أوغسطين). فَقِيمَةُ الحَياةِ الجوهَريَّةِ تَتَزايلُ أَمَامَهَا الحقِيقَةُ المَادِّيَّةُ أَو المُوقّتةُ. إِنَّ الرَّبَّ يُظْهِرُ مَا أَعْظَم قِيمَةَ الوُجُودِ الشَّخْصيِّ (الذَّهبيُّ الفَم). هُنَاكَ اختِلافٌ بين صَلاحٍ يُبْحَث عَنْهُ كَغَايَةٍ وَقِيمَةٍ تُرى كَوَسِيلَةٍ. إِذَا كَانتِ النِّيَّةُ طَاهِرَةً تَكُونُ كُلُّ أَعْمَالِنَا صَالِحَةً عَلَى نَحْوٍ لا يُخْذَلُ، لأَنَّها تَعْمَلُ بِالانسِجَام مَعْ تِلكَ النِّيَّةِ. طَهِّرْ نيّةَ قَلْبِكَ من كُلِّ رِياءٍ، وابْحَثْ عن الرَّبِّ بِبَسَاطَةِ القَلْبِ (أوغسطين).

٦: ١٦ لا تَجْعَلُوا وُجُوهَكُم كَالِحَةً

لا تَظْهَروا كَالحِي الوَجهِ. الذَّهبيُّ الفَم: يُسْتَحْسَنُ أَنْ نَتَنَهَّدَ هُنَا بِصَوْتٍ عَالٍ وَنَنْتَحِبَ بِمَرَارَةٍ، لأَنَّنا لا نُحَاكِي المُرَائين فَحَسْب، بَلْ نَتَفَوَّقُ عَلَيْهِم. إِنّي أَعْرِفُ الكَثيرِين ممَّن يَصُومُون وَيَتَفَاخَرُون، ويُهْمِلون الصَّوْمَ وَاضِعِينَ أَقْنِعَته وَمُتَّشِحِينَ بِعُذْرٍ أَقْبَحَ مِنْ خَطِيئَتِهم.

إِنَّهم يَقُولُونَ: «أَنَا أَفْعَلُ هَذَا، لكي لا أَكونَ حَجَرَ عَثْرَةٍ لِلعَدِيدِينَ». مَاذَا تَقُولُ؟ هُنَاكَ شَرِيعَةٌ إِلَهيَّةٌ تَأْمُرُ بِالصَّومِ، وأَنْتَ تَتَكلَّمُ عَلَى العَثْرَةِ؟ هَلْ تَظُنُّ أَنَّكَ بِحِفْظِكَ الصَّومَ تُعْثِرُ النَّاسَ، وَيتَجَاوزكَ الصَّومَ مُتَظَاهِرًا بِالصَّومِ تُخَلِّصُهم من العَثْرةِ؟ هَلْ هُنَاكَ أَسوأُ مِنْ هَذِه الحَمَاقَةِ؟ لمَاذا لا تَكُفُّ عَنْ أَنْ تَكُونَ أَسوأَ مِنَ المُرائينَ أَنْفُسِهم مُضاعِفًا رِيَاءَكَ؟ عِنْدَمَا تَتَأَمَّلُ فَدَاحَةَ هَذَا الشَّرِّ الكَبير، أَلا تَخْجَلُ مِنْ قُوَّةِ هَذِهِ الكَلِمَةِ؟

PG 57:285-87; NPNF 1 10:140 [1]

إنجيلُ متّى، الموعظة ٢٠. ١.[١]

الفقْرُ الطَّوعيُّ. الذَّهبيُّ الفم. بعْدَ أنْ أقْصى السَّيِّدُ مَرضَ المجْدِ الباطِل، تناوَلَ في حديثِهِ الفقْرَ الطَّوعيَّ في الوقْتِ المُناسِب. فَلا شَيءَ يدفَعُ النَّاسَ إلى الولَع بالمالِ مِثْلَ الولَعِ بالمَجْدِ الباطِل. هذَا ما يَحُثُّ الَّذينَ لَهُم جَماعَةٌ مِنَ العَبيدِ وَفريقٌ مِنَ الخِصْيان، وَأحْصِنةٌ مُزيَّنَةٌ بالذَّهَب، وَموائِدُ فِضِّيَّةٌ وَغيرُها مِمَّا يَضيقُ بي تعدادُهُ. هَذِه الأُمورُ تَزيدُ في سَخافَتِهِم. فَهِي لا تُشْبِعُ حاجَتَهُم وَلا تَزيدُ لَذَّتَهُم. إنَّهم يَتباهَون أمامَ الآخَرين. إنجيلُ متّى، الموعظة ٢٠. ٢.[٢]

٦:١٧-١٨ أبوكَ الَّذي يَرَى صومَك

التَّظاهُرُ بالخِدْمَةِ المُقَدَّسة. أوغسطين: الكِبْرياءُ لا تظْهَرُ في أُبَّهَةِ الثَّرْوةِ الدُّنيويَّةِ فَحسب، بَلْ في المُسوحِ أيضًا، حيْثُ تَكونُ أكْثَرَ خطرًا، إذْ هي خِداعٌ تَحْتَ ذَريعَةِ خِدْمَةِ الله. عِنْدَما ينْبَهِرُ المَرْءُ بالتَّبرُّجِ المُفْرِطِ وَبِرداءِ الجَسَدِ أو بأيَّةِ أُبَّهةٍ أُخْرى يَفضَحُ نَفسَهُ بأنَّه مُولَعٌ بالتَّفاخُر. هَذا المرءُ لا يَخْدَعُ أحدًا بمظْهرٍ خارِجيٍّ تَعافُهُ القَداسَةُ. لكِنْ إذَا أثارَ هذا المرءُ، بقَذارَتِه ورثاثَتِه، انتِباهَ الآخَرين لأُسلوبِ اعتِرافِهِ بالمَسيحيَّةِ، فَاعِلاً ذلِكَ باختِيارِه، مِنْ غيرِ تَصنُّعٍ يُقرِّرُ عِندئذٍ، ما إذا كانَ ما يَراهُ صادِرًا عَن مِصداقيَّةٍ لا عَن تشاوفٍ مُبَطَّن. لقد حذَّرنا الرَّبُّ إلى الاحْتِراسِ مِن الذِّئابِ في لِباسِ النِّعاج: «مِنْ ثِمارِهِم تعْرِفونَهم». تَجارِبُ مِن هَذا النَّوعِ أو ومِنْ نوعٍ آخَرَ تَجْعَلُ هَؤلاءِ النَّاس يَخْسَرون مِيزةَ ما رَبِحُوهُ عبر لِباسِهِم أو يُنْكِرون سَعْيَهم إلى ما اكتَسَبُوهُ منه. وَهِي تَكْشِفُ حتمًا ما إذا كانت حالَتُهُم حالَةَ ذِئبٍ في لِباسِ النَّعْجَةِ أو حالَةَ نَعْجَةٍ حقيقِيَّة... عَلى المَسيحيِّ ألاَّ يُحاوِلَ أنْ يَسُرَّ أعينَ الآخَرينَ بِزينَةٍ غيرِ ضروريَّة، لأَنَّ المدَّعين يَفْتَرِضونَ في أغلبِ الأَحْيانِ أنَّ الزِّيَّ الهزيلَ تتطلَّبُه الضَّرورةُ وتفْرِضُه مِنْ أجلِ خِداعِ الَّذينَ هُم أقلُّ وعيًا. الموعظةُ على الجبل ٢. ١٢. ٤١.[٣]

٦:١٩ لا تَكْنِزوا لَكُم كُنوزًا عَلَى الأَرض

تَحْضيرُ السَّامعِ للحديثِ عن الغِنَى. الذَّهبيُّ الفم: قالَ أعْلاه إنَّه يَجِبُ أنْ نُوسِعَ للآخَرينَ كَنَفَ الرَّحمة. يُشيرُ هُنا إلَى عَظَمَةِ الرَّحْمَةِ الَّتي يَجِبُ أنْ نُظْهِرَها عِنْدَما يَقُولُ:

(٢) PG 57: 288-89; NPNF 1 10: 141-42

(٣) PL 34: 1287; FC 11: 149-50

«لا تكْنِزوا لكُم كنُوزًا». كانَ مِن العَسيرِ على السَّامِعين أنْ يُدْخِل في بدءِ المَوْعِظةِ حَديثَهُ كُلَّهُ عَنِ ازدِراءِ المالِ دَفْعةً واحِدةً، بسَببِ طُغْيانِ الهَوى. إنَّه يُجزِّئُ حَديثَه إلى مَقاطِعَ صَغِيرةٍ، فَبعْدَ أنْ حَرَّرَ أذهانَ السَّامِعينَ، يُقدِّمُه هُنَا ليكُونَ حَسَنَ القَبُولِ. إنجيلُ متّى، الموعظة ٢٠. ٢.[٤]

الكُنُوزُ الَّتي تَفْسُدُ. أوغسطين: إذا فَعَلَ أيُّ امرِئٍ شيئًا عَلى الأرضِ بنِيَّةِ الكَسْبِ الدُّنيويِّ أي أنْ يكُونَ القَلْبُ مُرْتبِطًا بالأرْضِيَّاتِ، فَكَيْفَ يَتطهَّرُ القَلْبُ إذا كانَ مُتمرِّغًا في الطِّينِ؟ مِنْ ناحِيَةٍ أُخْرى، إذا كانَ مُثبَّتًا في السَّماواتِ فَوْقَ فيكُونُ طاهِرًا، فَمَا هُوَ سماويٌّ يكُونُ طاهِرًا. فكُلُّ ما مُزِجَ بمَادَّةٍ مُلوَّثَةٍ تدنَّس، مَعْ أنَّ طَبيعتَه لَيْسَت دَنِيئةً في جَوْهرِهَا. فالذَّهبُ، على سَبيلِ المِثَالِ، يمْذُقُ إذا مُزِجَ بفِضَّةٍ نَقِيَّةٍ. هكَذَا تتدَنَّسُ نَفْسُنَا برَغْبتِنَا في الأرْضِيَّاتِ، مَعَ أنَّ الأرْضَ ذاتَها نَقِيَّةٌ في نَوْعِها ورُتْبَتِها. الموعظةُ على الجَبَلِ، ٢. ١٣. ٤٤.[٥]

٦:٢٠ كُنُوزٌ في السَّماوَاتِ

كُنُوز تَبْقَى. أوغسطين: لا نظُنَّنَّ أنَّ لفْظَةَ السَّماءِ تَعْني في هَذا المَوْقِعِ عَالمَ الأجْسامِ السَّماويَّةِ، ولفْظَةَ الأرْضِ تَتضمَّنُ كُلَّ جسْمٍ، لأنَّه يَجِبُ عَلى المَرْءِ أنْ يتَرفَّعَ عَنِ العَالمِ كُلِّهِ عِنْدما يكْنِزُ كُنُوزًا في السَّماوَاتِ. إذَا الإشَارَةُ هُنَا إلى السَّماوَاتِ الَّتي قَالَ عَنْها الكِتَابُ: «إنَّما السَّماواتُ سَماوَاتُ الرَّبِّ».[٦] لذَلِكَ وَجِّهُوا ثَرْوَتَكُم وَقلْبَكُم إلى ما يَدُومُ إلى الأبَدِ لا إلى مَا يَزولُ. «لأنَّ السَّماءَ وَالأرْض سَتَزُولانِ». الموعظةُ على الجبل ٢. ١٣. ٤٤.[٧]

٦:٢٢-٢٣ النُّورُ وَالظَّلامُ

العَقْلُ للنَّفْس هُوَ كالعَيْنِ للجَسَدِ. الذَّهَبيُّ الفَم: إنَّ المسِيحَ يُوصِلُنَا بحَديثِهِ إلى الحِسِّيَّاتِ. إنَّه تَكلَّمَ عَلى العَقْلِ وكأنَّه مَسْجُونٌ ومُسْتَعْبَدٌ. وبمَا أنَّ الكَثيرِينَ لا يُدْرِكُون ذَلِك يُوجِّهُ كَلامَهُ إلى العيْنِ وإلى دُرُوسٍ مُسْتَقاةٍ مِن أُمُورٍ خَارِجيَّةٍ مَوْضُوعَةٍ أمامَ أعيُنِنا، ليَصِلَ الآخَرُونَ عبرها إلى مَعْرِفَتِها. يَقولُ إذا كُنْتَ لا تَعْرِفُ ما هُوَ مُؤْذٍ للعَقْلِ فَعَلَيْكَ أنْ تَتعَلَّمَهُ مِنَ الجَسَديَّاتِ. فمِثْلَما هِيَ العَيْنُ للجَسَدِ هكَذَا هُوَ العَقْلُ

---

[٤] GP 57: 289; NPNF 1 10: 142

[٥] PL 34: 1289; FC 11: 152-53

[٦] مزمور ١١٥: ١٦ (١١٣: ١٦).

[٧] PL 34: 1289; FC 11: 153

[٨] GP 57: 290-91; NPNF 1 10:143

يُظْهِرُ بوضوحٍ الاختلافَ بينَ الوسيلةِ وَالغايةِ. فغايَتُنا الأخيرةُ هِيَ ملكوتُ اللهِ وبرُّه (أوغسطين). عِنْدَمَا تشتدُّ حاجَتُنا إلَى الطَّعَامِ وَاللِّباسِ، فالآبُ يُؤَمِّنُها لَنَا، لأنَّه يَعْرِفُ متَى نَحْتَاجُ إليْهِما (أوغسطين).

٦:٢٤ اللهُ وَالمَالُ

خِدْمَةُ سَيِّدين. الذَّهَبيُّ الفَم: يُسَمِّي المَسيحُ المالَ هُنَا «سَيِّدًا» لا بسببِ طَبيعَتِهِ الذَّاتيَّةِ، إنَّما بسببِ تعاسَةِ الَّذينَ يَنْحَنُون لنيرِهِ. ويَدْعُو البَطْنَ «إلهًا» لا لشرَفِ هذَا السَّيِّدِ، إنَّما لتَعَاسَةِ الَّذينَ استُعْبِدوا لَه. إنَّه أسوأُ كُلِّ العُقوباتِ، فَهُو جزاءٌ كَافٍ قبْلَ عِقابِ كُلِّ مَنْ يَقَعُ في شَرَكِه. فمَا أتْعَسَ المُدانينَ من أمْثَالِ الَّذينَ يَتَخلَّونَ عَنِ اللهِ رَبِّهِم وعن الحُكمِ الهادِئِ ليَتَسلَّطَ عَلَيْهِمُ المَالُ وَالبطنُ تَسلُّطًا مُؤلِمًا فيُصيبُهُم الأذَى مِنْ جرَّاءِ ذلِكَ! فَضَرَرُه كَبيرٌ جِدًّا، مِنْ مُحَاكَماتٍ وَمُضَايقَاتٍ ومُخَاصَمَاتٍ وَالآمٍ وَانْقِصَامٍ في النَّفْسِ! وَأكْثَرُ الأُمُورِ إيلامًا هو سُقُوطُ المرءِ مِنْ أعَالِي دَرجَاتِ البَرَكَاتِ، أي مِنْ أنْ يكُونَ خَادِمًا لله. إنجيلُ متّى، الموعظة ٢١. ٢.[١]

التَّطَهُّر مِنَ الرِّياءِ. أوغسطين: «إنَّه يلزَمُ الوَاحِدَ ويزْدَري الآخرَ». لا يَقُولُ إنَّ المرءَ يكْرَهُ الآخَرَ، لأنَّه قلَّمَا يكْرَهُ ضَميرُ المرءِ اللهَ. لَكِنَّ الإنْسَانَ قد يَنْبُذُ اللهَ – أي لا يَخَافُ اللهَ، بَلْ يُسَلِّمُ بصلاحِهِ. مِنْ هَذِهِ الثِّقَةِ المُعَذَّبةِ وَالمتهاونة يُذَكِّرُنا الرُّوحُ القُدُسُ عِنْدَمَا يقولُ بلِسَانِ النَّبيِّ: «يَا ابني، لا تَزِدْ خَطِيئةً علَى خَطِيئةٍ؛ وَلا تَقُلْ، «رَحْمَةُ الرَّبِّ عَظِيمَةٌ».[٢] لاحِظْ مَا يَقُولُه بُولسُ: «ألا تُدْرِكُ أنَّ اللهَ يُريدُ بِرَأْفَتِهِ أنْ يَقُودَكَ إلَى التَّوبةِ؟».[٣] هَلْ مِنْ رَحْمَةٍ أعظَمَ مِنْ رَحْمَةِ مَنْ يَصْفَحُ عَنِ الجَمِيعِ، إذَا اهتدَوا إليهِ؟ إنَّه يَجْعَلُ الزَّيتُونَ البرِّيَّ مُشْتَرِكًا بسَمْنِ شَجَرةِ الزَّيتُونِ الأصْليَّةِ. وهَلْ مِنْ صَرَامَةٍ أعظَمَ مِن صَرامَةِ الَّذي لمْ يُوفِّرِ الفُرُوعَ الطَّبيعِيَّةَ، بَلْ قَطَعَها بسَبَبِ عَدَمِ الإيمَانِ؟[٤] إنَّ مَنْ يَرْغَبُ في أنْ يُحِبَّ اللهَ وأنْ يَحْتَرِسَ مِنَ الإسَاءَةِ إلَيهِ يَتوجَّبُ علَيهِ أنْ يُطَهِّرَ قلْبَه مِنْ كُلِّ رِياءٍ. بِهذِهِ الطَّريقَةِ «يُفَكِّرُ في الرَّبِّ في الصَّلاحِ ويَبْحَثُ عَنْهُ في بَسَاطَةِ القَلْبِ».[٥] الموعظةُ عَلَى الجبَلِ ٢. ١٤. ٤٨.[٦]

---

[١] 741 :01 1 FNPN ;692 :75 GP

[٢] سيراخ ٥: ٥– ٦.

[٣] رومية ٢: ٤.

[٤] رومية ١١: ١٧– ٢٢.

[٥] حكمة ١: ١.

[٦] 651 :11 CF ;19-092 1 :43 LP

٦:٢٥ لا تَهْتَمُّوا

لا تَهْتَمُّوا لحَيَاتكم. الذَّهبيُّ الفم: لاحِظْ أنَّه لَم يقُل الآنَ «لا تَهْتمُّوا لحياتِكم» فحسْب، بلْ أضافَ السَّبَب، وهكذا أمرَهُم بذلِكَ. وبَعْدَ أنْ قَالَ: «لا تَسْتَطِيعُونَ أنْ تَخْدُمُوا اللهَ وَالمَال»، أضَافَ: «لِذَلِكَ أقُولُ لَكُمْ لا تَهْتَمُّوا». فَلأيِّ سَبَبٍ؟ لِلضَّرَرِ غيرِ الموْصُوفِ. فالضَّررُ الَّذي يَحُلُّ بِكُمْ لا يكُونُ في المالِ وَحْدَه، فالجُرْحُ بالأحْرَى هُوَ في أجْزَاءِ الحيَاةِ المُهِمَّةِ. وفي هذا يكُونُ دَمارُ خلاصِكُم مُقصِيًا إيَّاكُم عَن اللهِ خَالِقكُم وَالمُعْتني بِكُم وَالمُحِبِّ إيَّاكُم. «لذلِكَ أقُولُ لَكُم: لا تَهْتَمُّوا لِحيَاتِكُم». فَبَعْدَ أنْ أظْهَرَ الضَّرَرَ الَّذي لا يُوصَفُ كَثَّفَ وَصَايَاه. لا يَأْمُرُنا بأنْ نَزْدَري ما نَمْلِكُ فَحسْب، بلْ يَمْنَعُنا مِنْ أنْ نَهْتَمَّ بطَعَامِنا الضَّرُورِيِّ قائلاً: «لا تَهْتَمُّوا لأنْفُسِكم بمَا تَأْكُلونَ»، لا لأنَّ النَّفْسَ تَحْتَاجُ إلى الطَّعام، - فَهِي لا جَسَدَ لها - بلْ لأنَّهُ لا يُمكِنُها أنْ تَحْتَمِلَ البَقَاءَ في الجَسَدِ بدُونِ أنْ يُقَاتَ الجسَدُ. مَوْعِظة حَوْلَ متّى، الموعظةُ ٢١. ٢.[٧]

٦:٢٦ طُيُورُ السَّماء

الأَهَمُّ وَالأَقَلُّ أَهَمِيَّة. أوغسطين: هذِه الأَمْثِلَةُ يَجِبُ ألاّ تُفسَّرَ وكأنَّها مَجَازٌ. يَجِبُ ألاّ نَسْتَفْسِرَ عَنِ المَعْنَى المَجَازيِّ لِطُيُورِ السَّماءِ أو لِزَنْبَقِ الحَقْلِ. فَهذِه الأَمْثِلَةُ تُقَدَّمُ لكي يُشارَ مِنَ الأُمُورِ الأَقَلِّ أهمِّيَّةً إلى الأُمورِ الأكثرِ أهمِّيَّة. الموعظةُ على الجَبَلِ ٢. ١٥. ٥٢.[٨]

٦:٢٧-٣٠ زَنَابِقُ الحَقْل

عِنَايَةُ اللهِ وَاهْتِمَامَاتُنَا. الذَّهبيُّ الفم: أَوَرَأيْتَ كَيْفَ يُوضِحُ يَسُوعُ مَا كَانَ غامِضًا بِمُقارَنَتِه إيّاهُ بِمَا هُوَ بَدَهِيٌّ؟ «وَمَنْ مِنْكُمْ إذا اهتمَّ يَقْدِرُ أنْ يَزِيدَ عَلَى قَامَتِهِ ذِرَاعًا وَاحِدَةً؟». وَهَلْ تَسْتَطِيعُ أنْ تُضِيفَ زمَنًا إلى حياتِكَ عبر الاهْتِمامِ بِها؟ مِنَ الواضِحِ أنَّه لَيْسَ اجتِهَادُنا وإنَّما عِنَايَةُ اللهِ هِيَ الَّتي تُحْدِثُ كُلَّ شيءٍ، حتَّى عِنْدَمَا نَبْدُو أنَّنَا الفَاعِلُونَ. فَلو تَخَلَّى اللهُ عَنَّا، فَمَا مِنْ عِنَايَةٍ أو اهتِمامٍ أو تَعَبٍ أو أيِّ شيءٍ آخَرَ يُوصِلُ إلى أيِّ شَيءٍ، لَكِنْ سَتَزُولُ كُلُّ الأشْياءِ تمامًا. إنجيلُ متّى، موعظة ٢١. ٣.[٩]

قيمةُ الحيَاةِ. الذَّهَبيُّ الفَم: بَعْدَ أنْ أوْجَدَ الزَّنَابِقَ، لا يُسَمِّيها زَنَابِقَ، بلْ «عُشْبَ

[٧] PG 57:296-97; NPNF 1 10:148

[٨] PL 34:1291-92; FC 11:159

[٩] PG 57:298; NPNF 1 10:149

الحقْل».[١٠] لَمْ يكُنْ مُكْتَفِيًا حَتَّى بِهَذَا الاسم، فَأَضَافَ حَالَةً أُخْرَى مِنَ الأُمُورِ الدُّنيا قَائِلاً «مَا يُوجَدُ اليوم». وَلَمْ يَقُلْ «الَّذِي لا يُوجَدُ غَدًا» بَلْ قَالَ بِصَلابَةٍ أَشَدَّ: «وَيُطْرَحُ في التَّنُّورِ». وَلَمْ يَقُلْ: «يُلْبِسُهُ» فَحَسْب، بَلْ «يُلْبِسُه هكَذَا». أَوَرَأَيتَ كَيفَ يُكْثِرُ في كُلِّ مَكَانٍ مِنَ المُبَالَغَةِ وَالتَّشْدِيدِ؟ كَانَ يَفْعَلُ هَذَا كَي يُبكِّتَهم. لِهَذَا أَضَافَ قَائِلاً: «فَكَمْ أَنْتُم أَوْلَى مِنهُ بِأَنْ يُلْبِسَكُم». فَالتَّشْدِيدُ هو عَلَى «أَنْتُم» لِيُلْمِعَ إِلَى كَرَامَةِ الجِنْسِ البَشَرِيِّ وَأَهَمِّيَّتِهِ؛ كَمَا لَو قَالَ: «أَنْتُمُ الَّذِينَ مَنَحَهُمُ اللهُ نَفْسًا، وَجَبَلَ لَهُمْ جَسَدًا، وَخَلَقَ مِنْ أَجْلِكُم كُلَّ مَا يُرَى، وَأَرْسَلَ الأَنبِيَاءَ وَسَنَّ الشَّرِيعَةَ، وَعَمِلَ الأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ الَّتِي لا عَدَّ لَهَا: الَّذِينَ مِنْ أَجْلِكُم وَهَبَ ابنَه الأَوحَدَ». إِنجِيلُ متّى، الموعظة ٢٢. ١.[١١]

التَّوَازُنُ بينَ النَّصِيحَةِ وَالتَّوبِيخ. الذَّهَبِيُّ الفَم: وَبعدَ أَنْ أَوْضَحَ السَّيِّدُ بُرهَانَه شَرَعَ في تَوبِيخِهِم قَائِلاً: «يَا قَلِيلِي الإِيمَان». هَذِه هِيَ صِفَةُ المُشِيرِ الحَكِيم: إِنَّه لا يُنْذِرُ فَحَسْب، بَلْ يُوَبِّخُ أَيضًا لِيُنَبِّهَ النَّاسَ إِلَى القُوَّةِ المُقْنِعَةِ لِكَلامِهِ. إِنجِيلُ متّى، الموعظة ٢٢. ١.[١٢]

٦:٣١-٣٣ فَاطلُبوا أَوّلاً مَلَكُوتَ الله وَبِرَّه

الوَسِيلَةُ وَالغَايَةُ. أوغسطين: أَوّلاً يُوضِحُ أَنَّ هَذِهِ الأُمُورَ لا تُطْلَبُ كَمَا لَوْ أَنَّهَا بَرَكَةٌ نَعمَلُ مِنْ أَجْلِهَا الأَعمَالَ الصَّالِحَةَ، بَلْ لأَنَّها ضَرُورَةٌ. يَقُولُ يَسُوعُ: «اطْلُبوا أَوَّلاً مَلَكُوتَ اللهِ وَبِرَّه، وَهَذَا كلُّه يزَادُ لَكُم». في هَذِه الآيَةِ يُظْهِرُ بِوُضُوحِ الاختِلافَ بَينَ صَلاحٍ يُبْحَثُ عَنْهُ كَغَايَةٍ وضَرُورَةٍ تُسْتَخْدَمُ كَوَسِيلَةٍ. هَدَفُنَا النِّهَائِيُّ هُوَ مَلَكُوتُ اللهِ وَبِرُّه. مِن هُنَا عَلَيْنَا أَنْ نَسْعَى إِلَى هَذَا الصَّلاحِ وَنُوجِّه هَدَفَنَا إِلَيه. لَكِنْ، بِمَا أَنَّنا نَشُنُّ حَربًا [رُوحِيَّةً] في هَذِهِ الحَيَاةِ لِبُلُوغِ ذَلِكَ المَلَكُوتِ... يَقُولُ: «وَهَذَا كلُّه يزَادُ لَكُم. فَاطلُبوا أَوَّلاً مَلَكُوتَ الله وَبِرَّه». المَوعِظَةُ عَلَى الجبلِ ٢. ١٦. ٥٣.[١٣]

اطلُبُوا أَوّلاً. أوغسطين: لَمَّا قَالَ اطلُبوا أَوَّلاً مَلَكُوتَ الله أَشَارَ بِوُضُوحٍ إِلَى أَنَّ طَلَبَ الأُمُورِ الأُخْرَى يَأْتِي بَعْدَ ذَلِكَ –لا بِمَعْنَى طَلَبِها في وَقْتٍ لاحِقٍ، بَلْ لأَنَّها ذَاتُ أَهَمِّيَّةٍ ثَانَوِيَّةٍ. فَمَا نَطْلُبُهُ أَوَّلاً هُوَ الصَّلاحُ، وَمَا

[١٠] متّى ٦: ٣٠.
[١١] 051 :01 1 FNPN ;992 :75 GP
[١٢] 15-051 :01 1 FNPN ;003-992 :75 GP
[١٣] 06-951 :11 CF ;2921 :43 LP

نَطلبُه بَعْدَ ذَلِكَ هُوَ مَا نَحْتَاجُ إليهِ. لكِنَّ طَلَبَ مَا نَحْتَاجُ إليهِ يتِمُّ في سَبيلِ تَحْقيقِ الخيرِ. الموعِظَةَ عَلَى الجبَلِ ٢. ١٦. ٥٣.[١٤]

٣٤:٦ يَكْفِي كُلَّ يومٍ شَرُّه

لا تَهْتَمُّوا بالوَقْتِيَّات. أوغسطين: بقَلْبٍ وَاحِدٍ يَجِبُ أَنْ نَعْمَلَ الخيرَ لكُلِّ البَشَرِ مِنْ أَجْلِ مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ. وَفِي عَمَلِ الخيرِ يجدرُ بِنَا أَلاّ نُفَكِّرَ في المُكَافَآتِ الوَقتيَّةِ قَصْرًا أو بالعَلاقَةِ مَعَ مَلَكُوتِ اللهِ. إنَّه يَسْتَعْمِلُ كلِمَةَ الغدِ بالعَوْدَةِ إِلَى الحَاجَاتِ الوَقْتِيَّةِ قَائلاً: «لا تُفَكِّرُوا في الغدِ»[١٥] لأَنَّ هَذِه اللَّفْظَةَ لَمْ تُسْتَخْدَمْ إلا في إطَارِ الوَقْتِ، حَيْثُ المُسْتَقْبَلُ يَخلُفُ المَاضِي. لذَلِكَ، عِنْدَمَا نَقُومُ بأَيِّ عَمَلٍ صَالِحٍ، فَلْنُفَكِّرْ في الأُمُورِ الأَزَليَّةِ، وَلا نَهْتَمَّ بالأُمُورِ الوَقْتِيَّةِ. فَلَنْ تَكُونَ أَعْمَالُنا صَالِحَةً فَحَسْب، بَلْ كَامِلَةً. يَقُولُ: «للغدِ مَتَاعِبُ كثيرةٌ» ... فالأُمُورُ الوَقْتِيَّةُ لا تَحْمِلُ مَعَهَا إِلاَّ الاضطِرَابَ. الموعِظَةُ عَلَى الجبَلِ ٢. ١٦٧. ٥٦.[١٦]

[١٤] 061:11 CF ;2921:43 LP

[١٥] متى ٦: ٣٤.

[١٦] 56-461:11 CF ;4921:43 LP

١:٧-٦ عَدَمُ إِدَانَةِ الآخَرِينَ

[١] لا تَدينوا لِئلاَّ تُدانُوا. [٢] فإنَّكُم بالدينونةِ التي تَدينون بِها تُدانون، وبالكيل الذي تكيلونَ بِهِ يُكالُ لكُم. [٣] لماذا تَنظُرُ إلى القَذى في عَينِ أخيكَ، ولا تُبالي بالخَشَبَةِ في عَينِكَ؟ [٤] بل كيفَ تقولُ لأخيكَ: دَعْني أُخرجُ القَذى مِنْ عَينِكَ، وها إنَّ في عينِكَ خشبةً؟ [٥] يا مُرائي، أخْرِجِ الخشَبَةَ مِنْ عَينِكَ أوَّلاً، حتى تُبصِرَ جيِّدًا فتُخرِجَ القَذى مِنْ عَينِ أخيكَ.

[٦] لا تُعطُوا الكِلابَ ما هوَ مقدَّسٌ، ولا ترمُوا دُرَرَكُم إلى الخنازيرِ، لِئلاَّ تَدُوسَها بأرجُلِها ثم ترتدَّ إليكُم فتُمزِّقَكُم.

نَظْرَةٌ عامَّةٌ: بَعْضُ الخَطَايَا يدينُ الآخَرِينَ، وبَعضُهَا يبْقَى خَفِيًّا حتَّى اليومِ الأَخيرِ. إنَّنا نُحْسِنُ الصُّنْعَ عِنْدَمَا لا نَحكُمُ علَى الآخَرِينَ بسَبَبِ أُمورٍ خَفِيَّةٍ، بل نُرجِيءُ الحكمَ إلَى أنْ يَجِيءَ الرَّبُّ فيُخْرِجَ مَا في الظَّلامِ إلَى النُّورِ (أوغسطين). لا يُحَرِّم يَسُوغُ عَلَيْنَا أنْ نُجَرِّمَ الآخَرِينَ، إنَّما يأمُرُنا بأنْ نُخْرِجَ الخَشَبَةَ مِنْ أَعْيُنِنَا أَوَّلاً، قَبلَ أَنْ نُحَاوِلَ تَرتيبَ أُمورِ الآخَرِينَ (الذَّهبيُّ الفم). إنَّه مِنَ الخطَلِ أنْ يَنصَحَ المرءُ الآخَرِينَ قَبلَ أنْ يتَفَحَّصَ مَا يَعتَوِرُهُ مِنَ الخَطَايَا (أوغسطين). كُنْ حَرِيصًا علَى ألاَّ تُلقِيَ مَا هُوَ نَفِيس إلَى الَّذِين يَنقضُّون عَلَيهِ كالكِلابِ الجَائِعَةِ ويُمَزِّقُونَه. أنْ يَبْحَثَ المرءُ عمَّا هُوَ خَفِيٌّ أَفْضَلُ مِنْ أنْ يُهَاجِمَ مَا هُوَ مُعْلَنٌ أو يَحْتَقِرَهُ، أو يكُونَ كالخَنَازِيرِ الَّتي تَدُوسُ الحقَّ بأَرْجُلِها (أوغسطين).

٧: ١-٢ لا تَدِينُوا

التَّسَرُّعُ في الإِدَانَةِ. أوغسطين: هذا هُوَ فَحْوَى مَا يقُولُهُ في آيَةٍ أُخْرَى: «لا تَدِينُوا أَحدًا قَبلَ الأَوانِ، حتَّى يَجِيءَ الرَّبُّ الَّذي يُنِيرُ مَا خَفِيَ في الظُّلُمَاتِ، وَيكْشِفُ سَرَائِرَ القُلُوبِ، وعندئِذٍ يَنَالُ كُلُّ واحِدٍ مِنَ اللهِ مَا يَستَحِقُّهُ مِنَ الثَّنَاء».[1] نَظرًا إلَى أنَّ بَعْض الأَعْمَالِ غيرُ مُمَيَّزَةٍ، ولا نَعْرِفُ بأَيَّةِ نِيَّةٍ تُفْعَلُ، فالحُكْمُ عَلَيْها فيهِ طَيْشٌ وإدانَتُها فيها نَزَقٌ. دَيْنُونَةُ هذِهِ الأَعْمَالِ تأْتِي عِنْدَمَا «يُنِيرُ الرَّبُّ ما خَفِي في الظُّلُمَاتِ، ويكْشِفُ سَرائِرَ القُلُوبِ». وَفِي آيةٍ أُخْرى يقُولُ الرَّسُولُ نَفْسُهُ أيضًا: «بَعْضُ الخطَايَا يبْدو وَاضِحًا قَبْلَ القَضَاءِ، وبَعْضُها لا يبْدو وَاضِحًا إلاَّ بعْدَ القَضَاء».[2] عِنْدَمَا يكُونُ وَاضِحًا بأَيَّةِ نِيَّةٍ فُعِلَتْ، يُسَمِّيها خَطَايَا وَاضِحَةً، وَهذِه الخطَايَا تَسْبِقُ القَضَاء. هَذَا يَعني أنَّ القَضَاءَ يَتْبَعُها، ولَنْ تأْتيَ حُكْمًا مُتَهَوِّرًا. لَكِنَّ الخطَايَا الخفِيَّةَ تأْتي بَعْدَ القَضَاءِ، إذ إنَّها عَلَى غِرَارِ الأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ لَنْ تبْقَى خَفِيَّةً ...، وَهذا مَا أَكَّدَهُ الرَّسُول في قَولِهِ: «وَكَذلِكَ الأَعْمَالُ الصَّالِحَةُ تَبْدو وَاضِحَةً، كَمَا أنَّ غيرَ الصَّالِحَةِ لا يُمْكِنُ أنْ تَبْقَى خَفِيَّةً».[3] فلْيَكُنْ حُكْمُنا عَلَى الأُمُورِ الوَاضِحَةِ، ولْنَتْرُك الحُكْمَ عَلَى الأُمُورِ الخفِيَّةِ إلَى اللهِ. فَإذا مَا كَانَتِ الأَعْمَالُ ذاتُها صَالِحَةً أو غيرَ صَالِحَةٍ فإنَّها لا تَبْقَى خَفِيَّةً عِنْدَمَا يَحِينُ مَوعِدُ إعْلانِها. الموعظةُ عَلَى الجبَلِ ٢. ١٨. ٦٠.[4]

[1] ١ كورنثوس ٤: ٥.
[2] أنظر ١ تيموثاوس ٥: ٢٤.
[3] ١ تيموثاوس ٥: ٢٥.
[4] PL 34:1297; CF 11:170-71

٧: ٣-٥ الخَشَبَةُ وَالقَذَى. الذَّهبيُّ الفَم: هُنَا يَشاءُ الرَّبُّ أَنْ يُشير إِلَى غَضَبِهِ العَظِيمِ عَلَى الَّذينَ يَفْعَلُونَ هذِهِ الأُمُور. هكَذَا يُشيرُ، في كُلِّ مَكَانٍ، إِلَى أَنَّ الخَطِيئَةَ عَظِيمَةٌ وَأَنَّ قِصَاصها وَالغَضَبَ عَلَيْها وَخيمَان. يَبْدأُ بتوبيخ مَنْ كَانَ يَطلُبُ المئَةَ دِينَارٍ: «أَيُّها العَبْدُ الشِّرِّيرُ، إِنِّي أَعْفَيْتُكَ مِنْ دَيْنِكَ كُلِّه».[٥] وَيقُولُ هُنَا: «يا مُرائِي» لأَنَّ دَيْنُونَةً كَهذِهِ لا تَأْتي نَتيجَةَ العِنَايَةِ بالدَّيْن، بَلْ نَتيجَةَ كُرْهِ البَشَرِ. مَتَى يَضَع المَرْءُ قِنَاع مَحَبَّةِ البَشَرِ عَلى وَجهِهِ يَصْنَعُ شَرّا عَظِيمًا، ويَنْهالُ بالتُّهَمِ والانتقادَاتِ العَدِيدَةِ عَلى أَقْرَبِ النَّاسِ إِليهِ، مُنتَحِلاً رُتْبَةَ مُعَلِّمٍ، في وَقْتٍ لا يَسْتَحِقُّ فيهِ أَنْ يَكُونَ في رُتْبَةِ تِلْمِيذٍ. لِذَا دَعَاهُ السَّيِّدُ «يا مُرائِي» «أَخرِجِ الخشَبَةَ أَوَّلاً مِنْ عَيْنِكَ».

أَمَا رَأَيتُم كَيفَ أَنَّ السَّيِّدَ لا يَمْنَعُ الإِدَانَةَ، بَلْ يُوصِي بإِخْرَاجِ الخَشَبَةِ مِنْ «عَيْنِكَ» أَوَّلاً، وَبَعدَ ذَلِكَ يُجِيزُ لَكَ أَنْ تُقَوِّمَ اعوجَاجَ الآخَرين؟ إِنَّ كُلَّ وَاحِدٍ يَعْرِفُ أَعْمَالَه بِشَكْلٍ أَفْضَل مِنَ الذي يَعْرِفُ بِهِ أَعْمَالَ الآخَرينَ، ويُحِبُّ نَفْسَهُ أَكثرَ مِمَّا يُحِبُّ قَرِيبَه. فَإِنْ كُنْتَ تَقُومُ بِذَلِكَ انطِلاقًا مِنَ اهتِمَامِكَ بِهِ، فَأُنَاشِدُكَ أَنْ تَهْتَمَّ بنَفْسِكَ أَوَّلاً، حَيْثُ تَكُونُ الخَطِيئَةُ أَوْضَحَ وَأَعْظَم مَعًا. إِنجِيلُ مَتّى، الموعظة ٢٣. ٢.[٦]

رُؤيَةُ القَذَى فِي عَيْنِ الآخَرِ. أوغسطين: لَفْظَةُ «المُرائِي» هُنَا في مَوضِعِهَا مِنَ الكَلام. فَإِنْكَارُ الشَّر مَسْأَلَةٌ تَتَعَلَّقُ بالأَبْرَارِ ذَوي السَّرائرِ الطَّاهِرَةِ. عِنْدَمَا يَنْغَمِسُ الأَشْرَارُ في الرِّياءِ، فَإِنَّهم يَتَلَبَّسُونَ شَخْصِيَّةَ الآخَرِين، مُخْفِينَ ذَوَاتِهِم الحَقِيقِيَّةَ خَلْفَ قِنَاعٍ، ومُتَحَجِّبِين بوُجُوهٍ مُسْتَعَارَةٍ. فَلَفْظَةُ «المُرائي» تَدُلُّ فِعْلاً عَلَى المُتَبَجِّحِ. وَهكَذَا يَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نَتَجَنَّبَ تِلْكَ الطَّبَقَةَ المُتَطَفِّلَةَ مِنَ المُتبَجِّحِينَ الَّذينَ يَدَّعُونَ التَّخَلِّي عَنْ كُلِّ أَنْوَاعِ الشَّرِّ وَيتَغَنَّونَ بأَنَّ مُبتَغَاهُم أَدَاءُ النُّصْحِ. وفي فِعلِهِم هَذَا يَنطَوُونَ عَلَى الخُبْثِ.

كُلَّما اضطَرَّتْنَا الضَّرُورَةُ إِلَى تَوبِيخِ الآخَرِ أَو تَبْكِيتِهِ، عَلَيْنَا أَنْ نُقْدِمَ عَلَى ذَلِكَ بتقوى وَحِيطَةٍ. قبلَ كُلِّ شيءٍ، علينا أَنْ نَتَحقَّقَ مِن أَنَّنَا لَمْ نرتَكِبْ نَحنُ الخَطِيئَةَ الَّتي نَراهَا في الآخَرِ ونَتَيقَّن مِن أَنَّنا تَغَلَّبنا عَلَى مِثْلِهَا حديثًا. فَإِذا لَمْ نَرْتَكِبْ خَطِيئَةً كَالَّتي ارتَكَبَها الغيرُ، فلْنَتذَكَّرْ أَنَّنا بَشَرٌ مُعَرَّضُونَ لارتِكَابِ مِثلِها. لَكِنْ، إِذَا ارتَكَبْنَاهَا ثُمَّ تَخلَّصْنا مِنْها، فَلْنَتَذَكَّرْ ضَعْفَنا المُشْتَرَكَ، فتَقُودَنَا الرَّحْمَةُ، لا الكَرَاهِيَّةُ، إِلَى إِسْدَاءِ

[٥] متّى ١٨: ٣٢.

[٦] GP 57:309-10; NPNF 1 10:158

النُّصْحِ أَو التَّوبيخِ. بهَذِه الطَّريقَةِ، إذَا جَعَلَ النُّصْحُ مَنْ نَنصَحُهُ أَحْسَنَ أَو أَسْوَأَ (لأَنَّ النَّتِيجَةَ لا يُمْكِنُ التنبُّؤ بِهَا)، فَنَحْنُ نَكُونُ في مَأْمَنٍ عبر نَفَاذِ البَصَرِ. لَكِنْ، إذَا مَا وُجِدنَا بَعْدَ إعمَالِ الرَّويَّةِ نُخْطِئُ خَطَأً مَنْ نُوبِّخُه، فَلنَمتَنِعْ عَنْ تَقويمِهِ وَتَوبِيخِهِ. وفي هَذِهِ الحَالَةِ نَتَحَسَّرُ عَلَى خَطِيئَتِنا وَنَسْتَمِيلُ الآخَرَ لِيَكُونَ اهتِمَامُهُ مُمَاثِلاً، بِدُونِ أَنْ نَسأَلَه الإِذْعَانَ لإرشَادِنَا. المَوعِظَةُ على الجَبَلِ ٢. ١٩. ٦٤.[٧]

٧: ٦ الدُّرَرُ أَمَامَ الخَنَازِيرِ

عَدَمُ الاسْتِعْدَادِ لِتَقَبُّلِ التَّعْلِيمِ الإِلَهِيِّ.
أوغسطين: في هَذِهِ الوَصِيَّةِ يُحَرِّمُ عَلَيْنَا أَنْ نَرمِيَ بِشَيءٍ مُقَدَّسٍ لِلكِلابِ أَو أَنْ نَطْرَحَ اللآلِئَ أَمَامَ الخَنَازِيرِ. عَلَيْنَا أَنْ نَجهَدَ في إدْرَاكِ مَعَانِي هَذِهِ الكَلِمَاتِ: المُقَدَّس، اللآلِئ، الكِلاب، الخَنَازِير. المُقَدَّسُ هُوَ مَا يَكُونُ تَدْنِيسُهُ أَو تَمْزِيقُهُ عَمَلاً آثِمًا. فَأَيَّةُ مُحَاوَلَةٍ عَقِيمَةٍ لِلقِيامِ بِذَلِكَ تَصِمُ المَرْءَ بِجُرْمِ عَدَمِ التَّقْوَى، عِلْمًا أَنَّ المُقَدَّس يَبْقَى بِطَبِيعَتِهِ مَصُونًا وَغَيرَ فَاسِدٍ. الدُّرَرُ تَعْنِي كُلَّ مَا هُوَ رُوحِيٌّ وَجَدِيرٌ بِالإِجْلالِ. لأَنَّ هَذِهِ الأُمُورَ تَبْقَى هَاجِعَةً في الخُفْيَةِ، وَكَأَنَّها نَابِعَةٌ مِنَ العُمْقِ. فَهِيَ مَوْجُودَةٌ في تَضَاعِيفِ المَجَازِ وَكَأَنَّها صَدَفَةٌ أَو مَحَارَةٌ فُتِحَتِ الآنَ. الوَاضِحُ أَنَّ الشَّيءَ ذاته يُمْكِنُ أَنْ يُسَمَّى مُقَدَّسًا وَدُرَّة. يُسَمَّى مُقَدَّسًا لأَنَّ تَمزِيقَهُ مَحظُورٌ، وَدُرَّة لأَنَّه لا يُعقَلُ أَنْ يُحْتَقَر. كُلُّ امرِئٍ يُحَاوِلُ تَمْزِيقَ مَا يَبْتَغِي أَلاَّ يَبْقَى سَلِيمًا، وَيَحْتَقِرُ مَا يَحْسَبُهُ عَدِيمَ القِيمَةِ، وَكَأَنَّه أَدْنَى مِنْهُ. فَمَا يُحْتَقَرُ يُقَالُ عَنْهُ إِنّه مَدُوسٌ بِالأَقدَامِ. أنتَ تَعْرِفُ أَنَّ الكِلابَ تَنْقَضُّ بِجُنُونٍ على مَا تَنْقَضُّ عَلَيْهِ لِتَمزِيقِهِ، غَيرَ تَارِكَةٍ أَيَّ شَيءٍ سَلِيمًا. لِذَلِكَ يَقُولُ الرَّبُّ: «لا تُعْطُوا الكِلابَ مَا هُوَ مُقَدَّسٌ». فَمَعَ أَنَّ المُقَدَّسَ نَفْسَه يُمْكِنُ تَمْزِيقُه أَو تَحْطِيمُهُ و يَبْقَى صَحِيحًا وَسَلِيمًا، غَيرَ أَنَّ رَغْبَةَ الَّذين يُقَاوِمُونَ الحَقَّ بِعُنْفٍ قَوِيٍّ وَمَرَارَةٍ لا تَتَحَقَّقُ. يَفْعَلُونَ كُلَّ مَا في وِسْعِهِم لِتَدْمِيرِ مَا هُوَ مُقَدَّسٌ، وَكَأَنَّ تَدْمِيرَه مُمْكِنٌ. رَغْم أَنَّ الخَنَازِيرَ–بِخِلافِ الكِلابِ–لا تَنْقَضُّ عَلَى الشَّيءِ عَضًّا بِالنَّوَاجِذِ– فَهِيَ تُتْلِفُه دَوْسًا بِأَرجُلِها– مَعَ ذلكَ «لا تَرمُوا دُرَرَكُم إِلَى الخَنَازِيرِ، خِشيَةَ أَنْ تَدُوسَها بِأَرجُلِها وَ أَنْ تَرْتَدَّ مِنْ ثَمَّ عليكم فتمزِّقكُم». هَكَذَا نَفْهَمُ حقًّا أَنّ لَفْظَتَي (كِلاب وَخَنَازِير) تُستَخدَمَانِ لِلدَّلالَةِ عَلَى مَنْ يُهاجِمُ الحَقَّ وَيُقَاوِمُهُ.

---

[٧] LP 43:8921-99; CF 11:471-57

إنَّ يَسوعَ يقولُ «خِشيَةَ أَنْ تَرْتَدَّ عليكُم فتُمزِّقَكُم» ولا يقولُ، «لئلا ترْتدَّ فتُمزِّقَ اللآلِئَ». ذلكَ أنَّها عِنْدَما تَدُوسُ بأرْجُلِها الدُّرَر، حتَّى عِنْدَما ترتدُّ لدَى سَماعِها شيئًا أَبْعَد، تَقْطَعُ رِجْلَ مَنْ ألقَى الدُّرَرَ الَّتي داسَتْها. طَبْعًا، لَنْ يَكونَ سَهْلاً إيجادُ أَيِّ شَيءٍ يُرْضِي الَّذي يَدُوسُ الدُّرَرَ. مَن يَسْتَطيعُ إرْضاءَ الَّذي يَحْتَقِرُ الحقَّ الإلهيَّ المُعْلَنَ مُقَابِلَ مِثْلِ هَذا الثَّمَنِ العظيمِ؟ لكنِّي لا أرى كَيْفَ يُحاوِلُ أيُّ امرِئٍ أن يُعلِّم شَعْبًا كَهَذا ولا يَتَمَزَّقُ تَذمُّرًا واشمِئزَازًا، لأَنَّ الكِلابَ والخَنَازيرَ حيَوانَاتٌ غيرُ طاهِرَةٍ. لذلِكَ خَلِيقٌ بِنَا أَنْ نَكُونَ حَريصِينَ ولا نُعْلِنَ أيَّ شَيءٍ إلَى مَنْ لا يَقْدِرُ على احتمالِهِ، إذ إنّه لأفْضَلُ أَنْ يَبْحَثَ المرءُ عمَّا هُوَ خَفِيٌّ مِنْ أَنْ يَنْقُضَ علَى مَا هُوَ مُعْلَنٌ. بدافِعٍ من حِقدٍ أو ازدِراءٍ يَرفُضُ النَّاسُ أَنْ يَقْبَلوا حقَائِقَ لها أَهمِّيَّةٌ واضِحَة. لهَذا السَّبَبِ يُدْعَى البَعْضُ كِلابًا، ولِسَبَبٍ آخَر يُدْعَى البَعْضُ الآخَرُ خنَازيرَ. الموعظةُ على الجبَلِ ٢. ٢٠. ٦٨- ٦٩.[٨]

[٨] LP 43:1300; FC 11:177-78

٧:٧-١٢ الله يستجيبُ لصَلواتِنا

[٧] إسألُوا تُعطَوا، أُطلُبوا تَجِدوا، إقرَعوا البابَ يُفتحْ لكُم. [٨] لأنَّ كلَّ مَن يَسألُ يَنالُ، ومَنْ يَطلُبُ يَجِدُ، ومَنْ يَقرعْ يُفتَحْ لَه. [٩] أيُّ إنسانٍ مِنكُم إذا سألَهُ ابنُهُ خُبزًا أعطاهُ حَجَرًا، [١٠] أو سألَهُ سَمكَةً أعطاهُ حيَّةً؟ [١١] فإذا كُنتُم أنتُمُ الأشرارَ تَعرفونَ كيفَ تُعطُونَ العَطايا الصالحةَ لأبنائِكُم، فما أولى أباكُمُ الَّذي في السَّماواتِ بأنْ يُعطِيَ الصالحاتِ للَّذينَ يَسألونَه؟

[١٢] فكُلُّ ما أردتُم أنْ يَفعَلَهُ النَّاسُ لَكُم، افعَلوه أنتُم لَهم. هذِهِ هيَ الشَّريعةُ والأنبياء.

نَظْرَةٌ عَامَّةٌ: لا يُفْتَحُ البَابُ إلاَّ لِمَن يَقْرَعُ سَائلاً مُتَضَرِّعًا (أوغسطين). إنَّ قَرْعَ البَابِ هُوَ الاقتِرابُ مِنَ اللهِ بقُوَّةٍ وَشَوقٍ (الذَّهبيُّ الفَم). بِمَا أَنَّنَا نَحْنُ الأشْرَارَ نَعْرِفُ كَيْفَ نُعْطِي العطَايَا الصَّالِحَةَ لأبنَائِنَا، فَاللهُ الفَائِقُ الصَّلاحِ يَعْرِفُ تَمَامَ المعْرِفَةِ كَيْفَ يَهَبُنَا العَطَايَا الصَّالِحَةَ عِنْدَمَا نَسْأَلُهُ كَأَبنَاءٍ لَه (أوغسطين). بِمَا أَنَّكم تَعْرِفُونَ كَيْفَ تُرِيدُونَ الآخَرِينَ أَنْ يُعَامِلُوكُم، يَسهُلُ عَلَيكُم أَنْ تُعَامِلُوهُم (الذَّهَبيُّ الفَم). هَذِهِ الطَّرِيقَةُ في التَّعْبِيرِ عَنْ نَموذَجِ الحَيَاةِ المَسِيحِيَّةِ لا تُنَاقِضُ الطَّرائِقَ الأُخْرَى في التَّعْبِيرِ عمَّا يَشمُلُ مَحبَّةَ اللهِ وَمحبَّةَ القَرِيبِ معًا. لَيسَ مِنَ العَسِيرِ عَلَى النَّاسِ أَنْ يَخْدِموا شَخْصًا آخرَ بقَلْبٍ إذا أَدَّوْا تِلْكَ الخِدْمَةَ غَيرَ مُتَطلِّعِينَ إِلَى مَنْفَعةٍ مُوقَّتَةٍ. هَذَا مَا يَعجَزُون عَن فِعلِهِ إِنْ لَم تَكُنْ مَحبَّةُ اللهِ دَافِعًا لَهُم (أوغسطين). إذًا تُحَدَّدُ الفَضِيلَةُ وَفْقًا لطَبِيعَتِنَا، إذ إِنَّنا نَعْرِفُ في ذَواتِنا مَا هِيَ وَاجِبَاتُنَا وَإِنَّنا لَنْ نَحْتَمِيَ بِالجَهْلِ أَبدًا (الذَّهبيُّ الفَم).

٧:٧-٨ يَسأَلُ، يَطلُبُ، يَقْرَعُ

سَائلِينَ، طَالبِينَ وَقَارِعِينَ: أوغسطين: عِنْدَمَا يُوصِيهِم أَلاَّ يُعْطُوا لِلكِلابِ مَا هُوَ مُقَدَّسٌ وَأَلاَّ يُعطُوا للخَنَازِيرِ الدُّرَرَ يَطْرَحُ السَّامِعُ سُؤَالاً. وَإِذْ يَتَذَكَّرُ جَهْلَنَا وَضَعْفَنا وَيَسْمَعُ الوَصِيَّةَ القَائِلَةَ أَلاَّ يُعْطِي المرءُ مَا لَم يَتَسلَّمْه، يَتَسَاءَلُ: «مَا هُوَ الشَّيءُ المُقَدَّسُ الَّذي تَنْهَانِي عنْ إعْطَائه للكِلابِ، وَمَا هِيَ الدُّرَرُ الَّتي تُحَذِّرُنِي مِنْ إلقَائِها للخَنَازِير؟ فأَنَا لم أَتَسلَّمْها». وَبِشَكْلٍ لائقٍ تَابَعَ الرَّبُّ قَائِلاً: «إسْأَلُوا تُعْطَوا، أُطلُبوا تَجِدوا، إقْرَعُوا البَابَ يُفتحْ لكُم. فمَن يَسْأَلْ يَنَلْ، ومَنْ يَطلُبْ يَجِدْ، ومَنْ يَقرعْ يُفتَحْ لَه». السُّؤالُ يَتعلَّقُ بنَيلِ الصِّحَّةِ وَقُوَّةِ العَقْلِ عبر الصَّلاةِ، لكَي نُتِمَّ الوَصِيَّةَ الَّتي أُعْطِيَتْ لَنا. الطَّلَبُ يَتعلَّقُ بِالبَحْثِ عَنِ الحقِّ، لأنَّ الحَيَاةَ المُقَدَّسَةَ مُؤَلَّفَةٌ مِنَ العَمَلِ وَالنَّظَرِ. العَمَلُ يَتَطَلَّبُ نَشَاطًا، أَمَّا التَّأمُّلُ فيَتَطَلَّبُ ظُهُورَ الحَقِّ. عبرهما يَسْأَلُ المَرْءُ عَنِ العَمَلِ ويَطْلُبُ النَّظَرَ فيُعْطَى لَه الوَاحِدُ وَيَنعَمُ بالآخَرِ.... إقْرَعوا يُفْتَحْ لَكُم. فَالأُمُورُ الثَّلاثَةُ– السُّؤالُ وَالطَّلَبُ وَالقَرْعُ – يُمْكِنُ إظْهَارُهَا عبر هَذَا المَثَلِ: تَصَوَّرْ أَنَّ المرءَ كَسِيحٌ بسبَبِ ضُعفِ رِجْلَيهِ. فَعلَيهِ أَنْ يُشْفَى أَوّلاً لتَتَقَوَّى رِجْلاهُ فَيَمْشِي. لذَلِكَ يَقُولُ الرَّبُّ: «إسأَلُوا». الموعِظَةُ عَلى الجبل ٢. ٢١. ٧١– ٧٢.[١]

إقْرَعُوا البَابَ يُفْتَحْ لكُم. الذَّهَبيُّ الفَم: لَمْ

---

[١] LP 43: 2031; CF 11: 181-38

يأمُرنا بأنْ نَطْلُبَ وَحَسبُ، بَلْ أنْ نُلِحَّ في الطَّلَبِ إلحاحًا كَبيرًا. هذا هُو مَعْنَى «اطلبُوا». مَنْ يَطْلُبْ يطْرُدْ كُلَّ شيءٍ مِنْ ذِهنِه. فيكُونُ مُهْتَمًّا بمَا يطْلُبُه ولا يبْتَغِي شَيئًا آخرَ. أدْرِكْ مَا أَقُولُه: إنَّهم يبْحَثُون عَنِ الذَّهبِ أوِ العَبيدِ الَّذينَ أضَاعُوهُم. هذَا مَا عَنَاهُ بِالطَّلَبِ. وبِـ«القَرْعِ» أَوْضَحَ أنْ نَقْتَرِبَ مِنْهُ بِجِدٍّ وبِذِهْنٍ مُتَّقِدٍ. لا تَقْنَطْ أيُّها الإنْسَانُ، ولا تُظْهِرْ مِنَ الغَيْرَةِ عَلَى الفَضِيلَةِ أَقلَّ مِمَّا يُظْهِرُ النَّاسُ مِنَ الرَّغْبَةِ في المَالِ. فَقَدْ بَحَثْتَ كَثيرًا عَنْهُ وَلَم تَجِدْهُ. وَرغْمَ أَنَّ لَدَيكَ وَعْدًا بِأَنَّكَ سَتَنالُ مَا تَطْلُبُهُ حَتْمًا، فإنَّكَ عَلَى مَا يَظْهَرُ غَيرُ جَادٍّ. وَإذَا لَمْ تَنَلْهُ في الحَالِ فلا تَيأسْ، إذْ إنَّه لِهَذِهِ الغَايَةِ قَالَ السَّيِّدُ «إقْرعُوا» ليَدُلَّ عَلَى أنَّه إذا لَمْ يُفْتَحِ البَابُ سَرِيعًا، علَيْنَا أنْ نُواظِبَ على قَرْعِهِ. إنجيلُ متّى، الموعظة ٢٣. ٤.[٢]

٩:٧-١١ إعْطَاءُ العَطَايَا الصَّالِحَة

عَطَايَانَا لأولادِنَا وَعَطَايَا اللهِ لَنَا. أوغسطين: لَكِنْ كَيْفَ يُعْطِي الأشْرَارُ عَطَايَا صَالِحَةً؟ إنَّ الخَاطِئِينَ يُسمِّيهِم أشْرَارًا، وَهكَذَا هُمْ عُشَّاقُ هَذَا العَالَمِ. إنَّه طِبْقًا لمَفْهُومِهِم للخَيْرِ تُسمَّى عطَايَاهُم صَالِحَةً. تُسَمَّى صَالِحَةً، لأنَّ الَّذِينَ يُعْطُونَها يعُدُّونَها صَالِحَةً. فَمعَ أنَّ هَذِهِ الأُمُورَ صَالِحَةٌ بتَرْتِيبِ طَبيعَتِها، فَإنَّها وَقْتِيَّةٌ مُرْتَبِطَةٌ بوَهَنِ الحَيَاةِ. فَضْلاً عَنْ ذلِكَ، عِنْدَمَا يُعْطِيهَا إنْسَانٌ شِرِّيرٌ، فَإنَّه لا يُعْطِي مِمَّا لَه: «للرَّبِّ الأرْضُ وكَمَالُهَا ... فَهُوَ صَانِعُ السَّمَاءِ وَالأرْضِ وَالبحْرِ وكُلِّ مَا فيهَا».[٣] فَالأشْرَارُ يَعْرِفُون كَيْفَ يُعْطُونَ مَا يُسْأَلُون. أَفَلَيسَ عَلَيْنَا نَحْنُ أَنْ نَثِقَ بِأَنَّ اللَّه سَيُعْطِينَا العَطَايَا الصَّالِحَةَ عِنْدَمَا نَسْأَلُهُ؟ فَاللّه لَنْ يَخْدَعَنا بإعْطَائِنا شَيئًا وَاحِدًا بَدلاً عَنِ الآخَرِ. فنَحْنُ لا نَخْدَعُ أولادَنَا. وَأَيُّما عطِيَّةٍ صَالِحَةٍ نُعْطِيها فإنَّما نُعطِيهَا مِمَّا للّه لا مِمَّا لَنَا. الموعِظَةُ عَلَى الجَبَلِ ٢. ٢١. ٧٣ .[٤]

١٢:٧ كَيْفَ تُعَامِلُونَ الآخَرِينَ؟

مِثْلَمَا تُرِيدُونَ أَنْ يُعَامِلُوكُم. الذَّهَبِيُّ الفَم: إنَّهُ يَضَعُ خُلاصَةَ كُلِّ شَيءٍ باخْتِصَارٍ، دَالاًّ عَلَى أَنَّ تِلْكَ الفَضِيلَةَ هِي مُوجَزَةٌ وَسهْلَةٌ وَمعْرُوفَةٌ عِندَ الجَمِيعِ. وَلَمْ يَقُلْ «كُلُّ مَا تُرِيدُونَ» فَحَسْب، بَلْ «لذلِكَ كُلُّ مَا تُرِيدُونَ». إِذْ لَمْ يُضِفْ لَفْظَةَ «لِذَلِكَ» عبَثًا، إنَّمَا لِكَوْنِها ذَاتَ مَعْنَى عَمِيقٍ. يَقُولُ السَّيِّدُ: إنْ كُنْتُم

[٢] GP3 75: 213; NPNF 1 10: 160

[٣] مزمور ٢٤: ١؛ ١٤٦: ٦ (٢٣: ١؛ ١٤٥: ٦).

[٤] PL 34: 1303; FC 11: 183-84

تـرْغـبـون في أنْ تـكـون كلمتُكم مسْمُوعةً، إفْعلوا هَذِه الأُمُور مَعْ مَا قُلْتُمُوه. مَا هِي هَذِه الأُمُورُ إذًا؟ «مِثْلمَا تُريدُون أنْ يُعَامِلكُم النَّاسُ». أُنْظُرْ كَيْفَ أظْهَرَ هُنَا أنَّنا نَحْتَاجُ إلَى التَّصرُّفِ الدَّقِيق بالإضَافَةِ إلَى الصَّلاةِ. لَمْ يقُلْ: «عَامِلُوا قَريبكُم، كَمَا تُرِيدُونَ أنْ يُعَامِلَكُم الله»، لئلاَّ تقُول: «كَيْفَ يكُونُ ذَلِكَ مُسْتَطَاعًا؟ هُو الله وأنَا بَشَرٌ». لكِنَّه قَال: «كَمَا تُرِيدُونَ أنْ يُعَامِلَكُم رُفَقَاؤُكُم الخُدَّام، أظْهِرُوا أنْتُم أنفُسكُم ذَلِكَ لقَرِيبِكُم». أيُّ شَيءٍ أسْهَلُ مِنْ هَذَا أو أعْدَلُ؟ عِنْدَئِذٍ يكُونُ المَدْحُ أيضًا عَظِيمًا جِدًّا قَبْلَ المُكَافَآت. «هَذِهِ هِيَ الشَّرِيعَةُ وَالأَنبِيَاء». يَتَّضِحُ مِنْ هُنَا أنَّ الفَضِيلَةَ هِيَ مُطَابِقَةٌ لطَبِيعَتِنَا، وأنَّنا كُلَّنَا نَعْرِفُ وَاجِبَاتِنَا مِنْ تِلْقَاءِ أنفُسِنَا، وأنَّ التَّجَاهُلَ مَرفُوضٌ رَفضًا تَامًّا. إنجيلُ متّى، الموعظة ٢٣. ٥.[٥]

مَا إذَا كَانَتِ الوَصِيَّةُ تَنْطَوي عَلَى مَحَبَّةِ الله ضِمْنًا. أوغسطين: يَقُولُ يَسوعُ في مَكَانٍ آخَرَ إنَّ هُنَاكَ وَصِيَّتَين تَقُوم عَلَيهِمَا الشَّرِيعَةُ وَالأنبِيَاءُ.[٦] هَذِه الوَصِيَّةُ تَبْدُو في الظَّاهِرِ أنَّها تَرْتَبِطُ بمَحَبَّةِ القَرِيبِ... لَكِنَّهُ قَالَ: «لِذَلِكَ عَامِلُوا الآخَرِينَ مِثْلَمَا تُرِيدُونَ أنْ يُعَامِلُوكُم» ليَضُمَّ الوَصِيَّتَينِ إلَى مِثَالٍ وَاحِدٍ، لأنَّه يُفْهَمُ أنَّ كُلَّ امرِئٍ يَرْغَبُ في أنْ يَحظَى بمحبَّةِ الله والبَشَرِ. ...عِنْدَمَا يُطْلَبُ مِنَ المرءِ أنْ يُعَامِلَ الآخَرِينَ مِثْلمَا يُرِيدُ أنْ يُعَامِلُوه، تُعْطَى له ضِمْنًا الوَصِيَّةُ الأُخْرَى: أنْ يُحِبَّ الله وَالقَرِيبَ. ظَاهِرِيًّا قَدْ يَبْدُو أنَّ هَذَا المِثَالَ الأَعْلَى لا يَعْنِي شَيئًا سِوَى «أحْبِبْ قَرِيبَكَ حُبَّكَ لنَفْسِكَ»،[٧] إذْ يَظْهَرُ أنَّه مُتَعَلِّقٌ بالبَشَرِ حَصْرًا، لأنَّه يَقُولُ: «لِذَلِكَ عَامِلُوا الآخَرِينَ مِثْلَمَا تُرِيدُونَ أنْ يُعَامِلُوكُم». لَكِنْ يَجِبُ أنْ نَنْتَبِهَ لمُلاحَظَةٍ أُخْرَى في هَذِه النُّقْطَةِ حَيْثُ يُتَابِعُ يَسوعُ قَائِلاً: «هَذِهِ هِيَ الشَّرِيعَةُ وَالأَنبِيَاءُ»، وَفِي شَأْنِ الوَصِيَّتَينِ المَذْكُورَتَينِ أعْلاهُ لَمْ يَقُلْ «بِهِمَا تَرْتَبِطُ الشَّرِيعَةُ وَالأَنبِيَاءُ» فَحَسْب، بَلْ قَالَ بِهِمَا تَرْتَبِطُ الشَّرِيعَةُ كُلُّهَا وَالأنبِيَاءُ، لأنَّهُما خُلاصَةُ النُّبُوَّة. لكِنَّهُ بحَذْفِهِ لَفْظَةَ «كُلّ» هُنَا، يَبْدُو أنَّهُ يَحْتَفِظُ بمَكَانٍ آخَرَ لوَصِيَّةٍ أُخْرَى-وَصِيَّةِ مَحَبَّةِ الله . في أيِّ حَالٍ، كَانَ التَّعْلِيمُ آنذاكَ مُلائِمًا لمُنَاسَبَةِ إعْطَائِه الوَصَايَا المُرْتَبِطَةِ بإخْلاصِ القَلْبِ. هُنَاكَ سَبَبٌ للخِشيَةِ مِنْ أنْ يكُونَ ثَمَّةَ رِيَاءٌ في قَلْبِ المَرءِ تِجَاهَ الآخَرِ، فَمَسَائِلُ القَلْبِ خَفِيَّةٌ. لَكِنْ، قَلَّمَا نَجِدُ مَنْ يَرضَى عَمَّن

[٥] PG 57 : 314; NPNF 1 10: 161-62

[٦] متّى ٢٢: ٤٠.

[٧] متّى ٢٢: ٣٩.

يُعَامِلُهُ بِرِيَاءٍ. يَسْتَحِيل عَلَى المَرْءِ أَنْ يُؤَدِّيَ خِدْمَةً مُخْلِصَةً إِلَى الآخَرِ مَا لَمْ يَبْتَعِدْ عَنْ أَيَّةِ مَنْفَعَةٍ مُوَقَّتَةٍ مِنه. وَهُو يَعْجَزُ عَنْ فِعْلِ هَذَا مَا لَم تَدْفَعْهُ نِيَّةٌ تَحَدَّثْنَا عَنْهَا، بِشَكْلٍ كَافٍ، عِنْدَمَا تَحَدَّثْنَا عَنْ بَسَاطَةِ العينِ. المَوعِظَةُ على الجبل ٢. ٢٢. ٧٥.[٨]

[٨] LP 43:4031; CF 11:581-68

٧:١٣ – ٢٠ البَابُ الضَّيِّقُ

[١٣]«أُدْخُلُوا مِنَ البابِ الضَّيِّقِ. فإنَّ البابَ واسعٌ والطريقَ المؤدِّيَ إلى الهلاكِ رَحْبٌ، والذين يَسلُكُونَه كثيرون. [١٤]لكِنْ ما أضيقَ البابَ وأصعبَ الطَّريقَ المؤدِّيَ إلى الحياةِ، والَّذين يَهتدونَ إليْهِ قليلون.

[١٥]«إيَّاكُم والأنبياءَ الكَذَّابينَ، فإنَّهم يأْتُونَكُم بِثِيابِ الحُملانِ وهُم في باطِنِهِم ذِئابٌ خاطِفةٌ. [١٦]مِنْ ثِمارِهِم تعرِفُونَهُم. أَيُجنى من الشَّوكِ عِنَبٌ، أو من العُلَّيقِ تِينٌ؟ [١٧]هكذا كُلُّ شَجرَةٍ جيِّدةٍ تَحمِلُ ثَمَرًا جيِّدًا، وكُلُّ شَجرَةٍ رَديئةٍ تَحمِلُ ثَمَرًا رَديئًا. [١٨]فما مِنْ شَجرَةٍ جيِّدةٍ تَحمِلُ ثَمَرًا رَديئًا، وما من شَجرَةٍ رَديئةٍ تَحمِلُ ثَمَرًا جيِّدًا. [١٩]كُلُّ شَجرَةٍ لا تَحمِلُ ثَمَرًا جيِّدًا تُقطَعُ وتُرمَى في النَّارِ. [٢٠]فمِنْ ثِمارِهِم تَعرِفُونَهُم».

نَظْرَةٌ عَامَّةٌ: لَقَدْ نَالَ عَدَدٌ قَلِيلٌ مِنْ بَنِي إِسْرائيلَ الخَلاصَ (أوريجنّس). فَالطَّبِيعَةُ المُوَقَّتَةُ لأَتعَابٍ يُصَادِفُهَا المَرْءُ عَلَى الطَّرِيقِ تُغَايِرُ الطَّبِيعَةَ الأَزَلِيَّةَ لأَكَالِيلِ النَّصْرِ، لِتُشَجِّعَ بِاسْتِمْرَارِ المُسَافِرَ عَلَى الطَّرِيقِ (الذَّهَبِيُّ الفَم). فَالَّذِينَ يَحْتَقِرُونَ النِّيرَ الخَفِيفَ للإيمَانِ يَرَونَ الطَّرِيقَ المُؤَدِّيَ إِلَى الحَيَاةِ مَحْفُوفًا بِالمُتَطَلَّبَاتِ وَالبَابَ ضَيِّقًا (أوغسطين). دَائِمًا يُدَاهِنُ الخَصْمُ القَدِيمُ الإِنْسَانَ فَيُقَدِّمُ خِدَاعَهُ وَكَأَنَّه حَقِيقِيٌّ، لِذَلِكَ يُنَبِّهُ يَسوعُ المُؤمِنِينَ إِلَى تَمييزِ الحَقِّ مِنَ البَاطِلِ، وَقَد أَشَارَ إِلَى ذَلِكَ رَمْزِيًّا بِإِحَالَتِهِ

إيّانا عَلى الذِّئاب. لذلِكَ لا تَنْخدِعُوا بالقِنَاع، بَل انظُروا إلَى ثِمَارِ تَصرُّفِ أُولئِكَ الَّذينَ يَدْخُلُونَ مِنَ الطَّريقِ الضَّيِّق (الذَّهَبيُّ الفَم). يَعْجُزُ الإنسانُ الشِّرِّيرُ عَنِ القِيامِ بأَعْمالٍ صَالِحَةٍ، كما يَعْجُزُ الإنْسَانُ الصَّالِحُ عَنِ القِيامِ بالأَعْمالِ الشِّرِّيرةِ (أوغسطين). يَحْمِي يَسُوعُ المؤمِنينَ مِن أنْ يَضِلُّوا بسُهولَةٍ وَيَرْدَعُ الّذين يَعْمَلُونَ الشَّرَّ (ثيودور المبسوستيّ). الرَّبُّ لا يَقُولُ إنَّ تَوبَةَ الشِّرِّيرِ غَيْرُ مُمْكِنَةٍ أَوْ إنَّ سُقوطَ الصَّالِحِ مُسْتَحيل. لَكِنْ، مَا دامَ المَرْءُ يَعِيشُ في الشَّرِّ، لَنْ يَحْمِلَ الثِّمَارَ الجيِّدَةَ.

٧: ١٣-١٤ الأَبْوَابُ الوَاسِعَةُ وَالضَّيِّقَةُ

النِّيرُ خَفِيفٌ. أوغسطين: لا يَقُولُ هَذا لأَنَّ نِيرَ الرَّبِّ قاسٍ أو حَمْلَهُ ثَقِيلٌ، بَلْ لأَنَّ هُناكَ قِلَّةً رَاغِبَةً في أَن تَضعَ ثِقَتَها كُلَّها في الرَّبِّ القَائِل: «تَعالَوا إليَّ يا جَميعَ المُتْعَبِين وَالمُثْقَلِينَ، وَأَنا أُرِيحُكُم. احمِلُوا نِيري وَتَعَلَّمُوا مِنِّي فَإنِّي وَدِيعٌ مُتَواضِعُ القَلْبِ... لأَنَّ نِيري هَيِّنٌ وَحِمْلِي خَفِيفٌ».[1] لذلِكَ وَقَعَت تَسمِيَةُ الوُدَعاءِ وَمُتَواضِعِي القَلْبِ في مَوضِعِها في بَدءِ هَذِهِ المَوعِظَةِ. هُنَاكَ كَثِيرونَ يَحْتَقِرُونَ هَذَيْنِ النِّيرَ اللَّطِيفَ وَالحِمْلَ الخَفِيفَ، فَالطَّريقُ المُؤدِّي إلَى الحَياةِ مَحْفُوفٌ بِالمُتَطَلِّبَاتِ وَالبابُ ضَيِّقٌ. الموعِظَةُ عَلَى الجبَل ٢. ٢٣. ٧٧.[2]

الطَّريقُ المُؤَدِّي إِلَى الحَيَاةِ. الذَّهَبيُّ الفَم: بَعْدَ ذَلِكَ قَالَ يَسُوعُ: «إنَّ نِيري هَيِّنٌ وَحِمْلِي خَفِيفٌ».[3] فَمَا قَالَهُ مِنْ قَبْلُ يُصَرِّحُ بِهِ هُنَا. كَيْفَ يَقُولُ هُنَا إنَّه ضَيِّقٌ وَعَسِيرٌ. فَإِنِ انتَبَهْتَ بِدِقَّةٍ فَإِنَّه يُظْهِرُ هُنَا أيضًا أَنَّه خَفِيفٌ وَسَهْلٌ وَمُمكِنُ المَنَالِ. قَدْ يُقَالُ: «وَكَيفَ يَكُونُ الطَّرِيقُ الكَرِبُ وَالضَّيِّقُ سَهْلاً»؟ لأَنَّهُ طَرِيقٌ وَبابٌ، كَمَا هُوَ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الآخَرِ طَرِيقٌ وَبَابٌ، رَغْمَ أَنَّه عَرِيضٌ وَرَحْبٌ. لا شَيءَ يَدُومُ، كُلُّ الأَشْيَاءِ في الحَيَاةِ زائِلَةٌ، المُوجِع منها والمُرِيح. إنجيلُ متَّى، الموعظة ٢٣. ٥.[4]

تَاجٌ أَبَدِيٌّ. الذَّهَبيُّ الفَم: بِذَلِكَ لا تَكُونُ أُمُورُ الفَضِيلَةِ سَهْلَةً فَحَسْب، بَلْ تُصْبِحُ نِهَايَتُهَا أَكْثَرَ سُهُولَةً. إنَّ أَتْعَابَنَا وَجُهُودَنَا لا تَزُولُ فَحَسْب، بَل تُؤَدِّي بِنَا إِلَى نِهَايَةٍ طَيِّبَةٍ، وَهَذَا كَافٍ لِتَعْزِيَةِ المُجَاهِدِينَ. أَتْعَابُنَا زَائِلَةٌ وَإِكْلِيلُنَا أَبَدِيٌّ. تَأْتِي أَتْعَابُنَا أَوَّلاً وَتَتبَعُهَا الأَكَالِيلُ، وَتَكُونُ التَّعْزِيَةُ لأَتْعَابِنَا عَظِيمَةً.

---

[1] متّى ١١: ٢٨-٣٠.
[2] LP 43: 1304-5; CF 11: 187-88
[3] متّى ١١: ٣٠.
[4] GP 57:314; NPNF 1 10:162

إنجيلُ متَّى، الموعظة ٢٣. ٥.[٥]

٧: ١٥ الأَنبِيَاءُ الكَذَبَةُ

إيَّاكُم وَالأَنْبِيَاءَ الكَذَبَةَ. الذَّهَبيُّ الفم: يُذَكِّرُهُم بِمَا حَدَثَ لأَجْدَادِهِمُ الَّذِينَ فُتِنُوا بِالأَنْبِيَاءِ الكَذَبَةِ. فَنَحْنُ نُواجِهُ الأَخْطَارَ ذَاتَهَا الَّتِي وَاجَهَهَا النَّاسُ في الأَيَّامِ القَدِيمَةِ. ذكَّرَهُم بِأَجْدَادِهِم لِئَلاَّ يَغْرَقُوا في إِرْبَاكَاتٍ كَثِيرَةٍ وَقَدْ سَمِعُوا أَنَّ الطَّرِيقَ كَرِبٌ وَضَيِّقٌ، وَأَنَّ عَلَيْهِمُ السَّيرَ في طَرِيقٍ مُعَاكِسٍ لِطُرُقِ الكَثِيرِين، وَاقِينَ أَنْفُسَهُم مِنَ الخَنَازِيرِ وَالكِلابِ وَمِمَّا هُوَ أَشَدُّ شرًّا مِن الذِّئَابِ، فَإِنْ أَحْزَانًا كَثِيرَةً وَمَصَاعِبَ عَدِيدَةً كَانَت بِانتِظَارِهِم. يُذَكِّرُهُم بِمَا حَدَثَ في أَيَّامِ آبائهم حتَّى لا يَضْطَرِبوا، مُسْتَعْمِلاً مُصطَلَحَ «الأَنبِيَاءِ الكَذَبَة» إِذْ حَدَثَتْ أُمُورٌ أَمثَالُ هَذِه مِنْ قَبْلُ. يَقُولُ السَّيِّدُ: لا تَضْطَرِبُوا، فَلَنْ يُصِيبَكُم شَيءٌ جَدِيدٌ أَو غَرِيبٌ. أَمَّا إِبْلِيسُ فَيُبْدِلُ دَائمًا الحقَّ كُلَّه بِخِدَاعِه». إنجيلُ متَّى، الموعظةُ ٢٣. ٦.[٦]

ذِئَابٌ فِي ثِيَابِ حُمْلان. الذَّهَبيُّ الفَم: لاحِظُوا أَنَّ هُنَاكَ مَعَ الكِلابِ وَالخَنَازِيرِ نوعًا آخر مِنَ المَكَامِنِ وَالمَكَايد أَخْطَرَ مِن تِلكَ. فَالكِلابُ وَالخَنَازِيرُ لا تُخْفِي طَبيعَتَها. إِنَّها تَظهَرُ على حَقِيقَتِهَا. أَمَّا حَرَكَاتُ الذِّئَابِ فَهِي مَسْتُورَةٌ في الظِّلال. لِهَذَا أَمَرَنَا السَّيِّدُ لا بِأَنْ نَبْتَعِدَ عن الكِلابِ وَالخَنَازِيرِ فَحَسْب، بَلْ بِأَنْ نَأخُذَ حَذَرَنا مِنَ الذِّئَاب، لأَنَّها تَنقَضُّ عَلَى المَرءِ من دُونَ أَنْ يَرَاهَا لِيَتَوقَّاهَا. لِهَذَا يَقُولُ «إِيَّاكُم» جَاعِلاً إِيَّانَا أَكْثَرَ تَنَبُّهًا لِنُمَيِّزَ الحَقَّ مِنَ البَاطِلِ. إنجيلُ متَّى، الموعظة ٢٣. ٦.[٧]

٧: ١٦ أَيُجْنَى مِنَ الشَّوكِ عِنَبٌ، أَو مِنَ العُلَّيقِ تِينٌ؟

مِنْ ثِمَارِهِم. الذَّهَبيُّ الفَم: يَبْدُو لِي هُنَا أَنَّ السَّيِّدَ لا يُشِيرُ في عِبَارَتِهِ «الأَنْبِيَاء الكَذَبَة» إِلَى أَهْلِ النِّحْلَةِ، إِنَّما إِلَى الَّذِين يَحْيَونَ حَيَاةً فَاسِدَةً وَيَلْبَسُونَ في الوَقتِ ذاته قِنَاعَ الفَضِيلَةِ. فَقَدِ اعتَادَ الكَثِيرونَ أَنْ يُسَمُّوهُم مُخَادِعِينَ. لِهَذَا قَالَ «مِنْ ثِمَارِهِم تَعْرِفُونَهُم»، فَرُبَّمَا يَجِدُ المَرءُ بَعْضَ الأَبرارِ يَعِيشُونَ بَينَ أَهْلِ النِّحْلَةِ. أَمَّا بَينَ المُخَادِعِينَ الَّذِينَ ذَكَرْتُهُم فَلا وُجودَ للأَبرارِ. قَدْ يُقَالُ: «مَاذَا إِذَا كَانُوا مُرَائِينَ في هَذِه الأُمُورِ أَيضًا»؟ لَكِنَّ أَمْرَهُم سَيَنكَشِفُ

---

[٥] PG 57:314; NPNF 1 10:162
[٦] PG 57:315; NPNF 1 10:163
[٧] PG 57:315; NPNF 1 10:163

بسُرْعَةٍ. هَذِهِ هِي طَبِيعَة الطَّرِيقِ الَّتي أَمَرَنَا أَنْ نَسِيرَ فيها، إِنَّها طَرِيقٌ مُؤلِمةٌ وَكَرِيةٌ؛ المُرائي لا يَبْذُلُ أَيَّ جُهْدٍ، كُلُّ مَا يفعَلُهُ هو أَنَّهُ يَتَظَاهَرُ. وَسُرعَانَ مَا يُعَاقَبُ. هكَذَا، بِمَا أَنَّ السَّيِّدَ قَالَ «والَّذينَ يَهْتَدُونَ إِلَيْهِ قَلِيلُونَ»، فَإِنَّه يَكْشِفُ ثَانِيَةً عَنِ الَّذينَ لا يَجِدُونَهُ، وَمعَ ذَلِكَ يَتَظَاهَرُونَ بأَنَّهم وَجدُوهُ، مُوصِيًا إيَّانا بأَلاّ نَرَى الَّذينَ يَلْبَسُونَ الأَقْنِعَةَ فَقَط، بَل الَّذِينَ يُواصِلُونَ السَّيرَ في الطَّرِيقِ الضَّيِّقةِ. إنجيلُ متَّى، الموعظةُ ٢٣. ٦.[٨]

٧:١٧ الثَّمَرُ الجَيِّدُ مِنَ الأَشجَارِ الجَيِّدَةِ

الشَّجَرَةُ الجَيِّدَةُ تَحمِلُ ثَمرًا جَيِّدًا، الذَّهَبيُّ الفَم: وَإِنْ كَانَ السَّيِّدُ يَقُولُ الأَمْرَ عينه، فَهذَا لَيْسَ حَشْوًا. وَلِكَي لا تَقُولَ: «إِنَّ الشَجَرَةَ الرَّدِيئَةَ تَحْمِلُ ثِمَارًا رَدِيئَةً، لَكِنَّها تَحْمِلُ ثِمَارًا جَيِّدَةً»- بحيثُ إِنَّكَ تَجِدُ التَّمييزَ بَيْنَهُمَا صَعْبًا- يَقُولُ السَّيِّدُ: لَيْسَ كذلِكَ، لأَنَّها تَحْمِلُ ثِمَارًا رَدِيئَةً فَقَطْ، وَلا تَحْمِلُ ثِمَارًا جَيِّدَةً أَبدًا. كَذَلِكَ يَكُونُ الأَمرُ بالنِّسْبَةِ إِلَى النَّوعِ المُعَاكِسِ لَهُ.

مَاذَا إِذًا: أَمَا يَتَّفِقُ أَنْ يُوجَدَ إِنسَانٌ صَالِحٌ صَارَ شِرِّيرًا وَالعَكْسُ صَحِيحٌ؟ أَمَا تَكُونُ الحَيَاةُ مَلأَى بِهَذِهِ الأَمْثَالِ مِنَ المُتَنَاقِضَاتِ؟ لكِنَّ السَّيِّدَ لا يَقُولُ إِنَّ الشِّرِّيرَ لا يَتَبَدَّلُ، أَو إِنَّ الإِنسَانَ الصَّالِحَ لا يَفْشَلُ؛ إِنَّمَا يَقُولُ إِنَّه ما دَامَ يَعِيشُ في الشَّرِّ فَلا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَحمِلَ ثِمَارًا جَيِّدَةً.

مَاذَا إِذًا؟ أَلَمْ يَحمِلْ داودُ، وَهُوَ صَالِحٌ، ثِمَارًا رَدِيئَةً؟ لَمْ يَبْقَ صَالِحًا، بَلْ تَغَيَّرَ، فَلَو استَمَرَّ عَلَى مَا كَانَ عَلَيهِ لَمَا أَثْمَرَ ثَمرًا جَيّدًا: فَهُوَ حَتْمًا لَمْ يَجْرُؤْ على ارتِكَابِ مَا ارتَكَبَه في أَثْنَاءِ مُمَارَسَتِهِ الفَضِيلَةَ. إنجيلُ متَّى، الموعظة ٢٣. ٧.[٩]

٧:١٨ الأَشْجَارُ الجَيِّدَةُ وَالرَّدِيئَةُ

مَعْرِفَةُ الخِداعِ هو عبر نَتَائجِه. الذَّهَبيُّ الفَم: بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ يَسُدُّ أَفْوَاهَ الَّذِينَ يَشُونَ بالآخَرِينَ، وَيلجُمُ أَفْواهَ كُلِّ المُفْتَرِينَ. فَالكَثِيرونَ يَشْكُونَ في الصَّالِحينَ بسَبَبِ الأَشْرَارِ، لكِنَّ يَسُوعَ، بقَوْلِهِ هذَا، جَرَّدَهُم مِنْ كُلِّ عُذْرٍ. لا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَقولَ إِنِّي خُدِعْتُ، فَهُوَ قَدْ أَعْطَاكُم بدِقَّةٍ طَرِيقَةَ تَمييزِهِم بوَاسِطَةِ أَعْمَالِهِم. وَأَمَرَكُم أَنْ تَسِيروا بنَاءً عَلَى الأَعْمَالِ، وَأَنْ لا تَخْلِطُوا كُلَّ الأُمُورِ خَلْطًا. إنجيلُ متَّى، الموعظة ٢٣. ٧.[١٠]

---

[٨] GP 75: 513-61

[٩] GP 75: 613; NPNF 1 10: 361-46

[١٠] GP 75: 613-71; NPNF 1 10: 164

٧: ١٩ الأَشْجَارُ الرَّدِيئَةُ تُقْطَع

الأَشْجَارُ العَفِنَةُ. ثيودور المبسوستيّ: يَعْتَقِدُ بَعْضُهُم أَنَّ هَذِهِ الأُمُورَ قِيلَتْ بِالعَوْدَةِ إِلَى مُعَلِّمِي النِّحَلِ، وَإِلَى الَّذِينَ يَمْزُجُونَ الكَذِبَ بِالحَقِّ. فَكَمَا أَنَّ المَرْءَ لا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَجْنِيَ ثِمَارًا رَدِيئَةً مِنْ شَجَرَةٍ تُنْتِجُ ثَمَرًا جَيِّدًا، وَأَنْ يَجْنِي عِنَبًا أَو تِينًا مِنْ شَجَرَةٍ تُخْرِجُ شَوكًا، كَذَلِكَ لا تَسْمَعُ كَلامًا جَيِّدًا مِنْ فِكْرٍ شِرِّيرٍ، وَلا تَتَلَقَّى تَعْلِيمًا شِرِّيرًا مِنْ مُعَلِّمٍ وَرِعٍ. إِنَّ يَسُوعَ يَرْدَعُ الَّذِينَ يُعَلِّمُونَ أُمُورًا شِرِّيرَةً لِئَلاَّ يُوقِعُوا الآخَرِينَ فِي الضَّلالَةِ. يَقُولُ: «كُلُّ شَجَرَةٍ لا تَحمِلُ ثَمَرًا جَيِّدًا تُقطَعُ وَتُرمَى فِي النَّارِ». فَكَمَا تُلْقَى الأَشْجَارُ العَقِيمَةُ فِي النَّارِ، كَذَلِكَ يَلْقَى العِقَابَ كُلُّ مَنْ أَطبَقَتْ شَفَتَاهُ عَلَى اللَّعنَةِ. المَقْطَع ٣٨.[١١]

مَا إِذَا كَانَتِ النَّفْسُ تَتَغَيَّرُ نَحْوَ الأَفْضَل أَو الأَسْوَأ. أوغسطين: فِي هَذِهِ النُّقْطَةِ، يَجِبُ عَلَى المَرْءِ أَنْ يَحْتَرِسَ من الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهم يَجِدُونَ فِي هَاتَينِ الشَّجرَتَينِ سَبَبًا للإِيمَانِ بِأَنَّ هُنَاكَ طَبِيعَتَين، وَأَنَّ وَاحِدَةً مِنْهُمَا تَنْتَمِي إِلَى طَبِيعَةِ اللهِ وَالأُخْرَى لا تَنْتَمِي إِلَى اللهِ وَلا تَعْتَمِدُ عَلَيهِ. فَهذَا الضَّلالُ نُوقِشَ مُنَاقَشَةً تَامَّةً فِي كُتُبٍ أُخْرَى، وَإِذَا لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ كَافِيًا فَإِنَّنِي سَأَتَوسَّعُ فِي مُنَاقَشَتِهِ مِنْ بَعْدُ. لَكِنْ، يَجِبُ أَنْ نُظْهِرَ الآنَ أَنَّ هَاتَين الشَّجَرتَين لا تُقَدِّمَانِ حُجَّةً تَدْعَمُ مَا يَدعَمُونَ. قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ، فِي هَذَا التَّشَابُهِ يَتَكَلَّمُ الرَّبُّ عَلَى نَوْعَينِ مِنَ الأَشْخَاصِ. هَذَا وَاضِحٌ جِدًّا عِنْدَ كُلِّ مَنْ يَقْرَأُ الآيَاتِ فِي سِيَاقِ مَا سَبقَها وما تبِعَها، وَيَتَعَجَّبُ مِنْ عَمَى الَّذِينَ يُسِيئُونَ تَفْسِيرَهُ. يُرَكِّزُونَ أَذْهَانَهُم عَلَى قَولِه: «مَا مِنْ شَجرَةٍ جَيِّدَةٍ تَحمِلُ ثَمَرًا رَدِيئًا، وَمَا مِنْ شَجرَةٍ رَدِيئَةٍ تَحمِلُ ثَمرًا جيِّدًا». فَيَظُنُّونَ أَنَّ نَفْسًا شِرِّيرَةً لا يُمْكِنُ أَنْ تَتَغيَّرَ نَحْوَ الأَفْضَلِ، أَوْ أَنَّ نَفْسًا صَالِحَةً لا يُمْكِنُ أَنْ تَتَغَيَّرَ نَحْوَ الأَسْوَأ. وَكَأَنَّهُ، فِي الحَقِيقَةِ، يَقُولُ: «فَمَا مِنْ شَجرَةٍ جيِّدةٍ تَقْدِرُ على أَنْ تُصْبِحَ شَجرَةً رَدِيئَةً، وَمَا مِنْ شَجَرَةٍ رَدِيئَةٍ تَقْدِرُ على أَنْ تُصْبِحَ شَجَرَةً جَيِّدَةً». لَكِنَّ مَا قِيلَ هُوَ هَذَا «فَمَا مِنْ شَجَرَةٍ جَيِّدةٍ تَحمِلُ ثَمَرًا رَدِيئًا، وَمَا مِنْ شَجَرَةٍ رَدِيئَةٍ تَحمِلُ ثَمرًا جيِّدًا». الشَّجَرَةُ هِي، طَبْعًا، النَّفْسُ ذَاتُها –أَي الإِنْسَانُ نَفْسُهُ– وَالثَّمَرُ هُوَ أَعْمَالُ الإِنسَانِ. هَكَذَا لا يَسْتَطِيعُ الإِنسَانُ الرَّدِيءُ أَنْ يَقُومَ بِأَعْمَالٍ جيِّدَةٍ، وَلا يَسْتَطِيعُ إِنسَانٌ جَيِّدٌ أَنْ يَقُومَ بِأَعْمَالٍ رَدِيئَةٍ. المَوعِظَةُ عَلَى الجبَل ٢. ٢٤. ٧٩.[١٢]

---

(١١) 801 KGKM

(١٢) 09-981 :11 CF ;5031 :43 LP

٧:٢١-٢٩ مَنْ سَمِعَ كَلامَهُ وَعَمِلَ بِهِ

٢١ ليس كُلُّ مَنْ يقولُ لي: يا ربُّ، يا ربُّ! يدخُلُ ملكوتَ السَّماواتِ، بل مَنْ يَعملُ بمشيئةِ أبي الَّذي في السَّماواتِ. ٢٢ كثيرون سيقولون لي في ذلك اليومِ: يا ربُّ، يا ربُّ، أما باسمِكَ تنبَّأنا؟ وباسمِكَ طَرَدْنا الشَّياطينَ؟ وباسمِكَ عَمِلنا العجائبَ الكثيرةَ؟ ٢٣ فأقولُ لهُم علنًا: ما عرَفتُكُم قطُّ. ابتعِدوا عنِّي أيُّها الفاسقونَ!

٢٤ «فمَنْ سمِعَ كلامي هذا وعمِلَ به يكونُ مِثْلَ رَجُلٍ عاقِلٍ بنَى بيتَهُ على الصَّخْرِ. ٢٥ فنزَلَ المطَرُ وفاضَتِ السُّيُولُ وهبَّتِ الرِّياحُ وصدَمَت ذلِكَ البيتَ فلم يَسقُطْ، لأنَّ أساسَهُ على الصَّخرِ. ٢٦ ومَنْ سَمِعَ كلامِي هذا وما عمِلَ به يكونُ مِثلَ رَجُلٍ غَبِيٍّ بنَى بيتَهُ على الرَّملِ. ٢٧ فنزَلَ المطَرُ وفاضَتِ السُّيولُ وهبَّتِ الرِّياحُ وصدَمَت ذلِكَ البيتَ فسَقَطَ، وكانَ سُقوطُهُ عَظيمًا».

٢٨ ولمَّا أتمَّ يَسوعُ هذا الكلامَ، تَعَجَّبَتِ الجُموعُ مِنْ تَعليمِه، ٢٩ لأنَّهُ كانَ يُعَلِّمُهُم مِثلَ مَنْ لَهُ سُلطانٌ، لا مِثلَ الكَتَبَةِ.

نظْرَةٌ عامَّةٌ: يُشِيرُ يسُوعُ ضِمْنًا إلَى أنَّ منْ يَعْمَلُ بمَشِيئَةِ أَبيهِ إنَّمَا يَعْمَلُ بمشيئَتِه، فمَا هُنَاكَ مِنْ مَشِيئَةٍ أُخْرَى للابْنِ غيرِ مَشِيئَةِ الآبِ (الذَّهبيُّ الفم). يعْرِفُ اللهُ الَّذِينَ يُحِبُّهُم وَيُحِبُّ الَّذين يُؤمِنُونَ بِهِ بإخْلاصٍ وَيعْمَلُونَ ما يَسُرُّهُ (كيرلُس الإسكندريّ). عِنْدَمَا تَجِيءُ المُؤمِنَ رِيحٌ عَاصِفَةٌ، وَتشتَدُّ عَليْهِ الثَّوراتُ وَالتَّجَارِبُ المُسْتَمِرَّةُ، فَإنَّهُ لا يَهْتَزُّ ولا يَرتَعِشُ (الذَّهَبيُّ الفَم). هَذِهِ هِيَ الطَّرِيقَةُ الَّتي يَبْني بِهَا اللهُ الكَنيسَةَ–عَلَى الصَّخْرِ–بثَباتٍ وَ قُوَّةٍ، لذَلِكَ أَبْوابُ الجَحِيمِ لَنْ تَقْوَى عَلَيْهَا (أُوريجنّس). لا يَسْتَطِيعُ الأَشْرَارُ أَنْ يَدَّعُوا أَنَّ اللهَ سَبَبٌ لشَرِّهِم وَحَمَاقَتِهِم. فَهُم يَفْعَلُونَ فِعْلَ الحمْقَى عِنْدَمَا يَتَخَلَّونَ عَمَّا يُطَابِقُ الطَّبيعَةَ الَّتي خُلِقْنَا فيها (كيرلُس الإسكندريّ). عِنْدَمَا تكَلَّمَ يَسوعُ لَمْ يُشِرْ إلَى شَخْصٍ آخَرَ، إنَّمَا أَظْهَرَ أَنَّ لَه سُلْطَانَ القَرَارِ (الذَّهَبيُّ الفَم).

٧: ٢١ العَمَلُ بِمَشيئَةِ الآبِ الّذي في السَّمَاوَاتِ

مَشيئَةُ الآبِ. الذَّهَبيُّ الفَم: لِمَاذَا لَمْ يَقُلْ «مَنْ يَعْمَلْ بمَشِيئَتي»؟ لأنَّ قَبُولَ ذَلِكَ أَوَّلاً كَانَ مَرْضِيًّا. لَكِنَّ مَا قَالَهُ كَانَ صَعْبًا عَلَيْهِم بِسَبَبِ ضَعْفِهِم، فَأَشَارَ إِلَى الوَاحِدَةِ عَبْرَ الأُخْرَى. وَمِمَّا قَالَهُ إِنَّه لَيْسَتْ هُنَاكَ إِرَادَةٌ للابنِ خَارِجَ إِرَادَةِ الآبِ. يَبْدُو لِي هُنَا أَنَّ السَّيِّدَ يَنْتَقِدُ اليَهُودَ بِصُورَةٍ رَئيسَةٍ، إِذْ رَكَّزُوا كُلَّ شَيءٍ عَلَى التَّعَالِيمِ بِدُونِ الاهتِمَامِ بِالحَيَاةِ. لِهَذَا يُوَبِّخُهُم قَائِلاً: «هَا إِنَّكَ تُدْعَى يَهُودِيًّا وَتَعْتَمِدُ عَلَى الشَّرِيعَةِ وَتُفَاخِرُ بِاللّه وَتَتَشَاوَفُ بِأَنَّكَ تَعْرِفُ مَشِيئَتَه». لَكِنَّكَ لا تُفِيدُ مِنْ هَذَا شَيئًا، لأَنَّكَ لا تَدْعَمُ السِّيرَةَ بِالأَعْمَالِ. إنجيلُ متَّى، الموعظة ٢٤. ١.[1]

٧: ٢٢-٢٣ إبتَعِدوا عَنّي أَيُّها الفَاسِقُونَ!

مَا عَرَفْتُكُم قَطُّ. كيرلُّس الإسكندريّ: هُنَاكَ خَبَرُ الَّذِينَ آمَنُوا، في البَدْءِ، إيمَانًا صَحِيحًا وَتَحَلَّوا بِعَمَلِ الفَضِيلَةِ. فَأَتَوْا بِالآيَاتِ وَطَرَدُوا الشَّيَاطِينَ وَتَنَبَّأُوا. بَعْدَ ذَلِكَ مَالُوا طَوْعًا إِلَى الشَّرِّ بِنَشَاطٍ وَعَبَثٍ. لِهَؤُلاءِ يَقُولُ يَسُوعُ إِنَّهُ لا يَعْرِفُهُم. وَيُجْمِلُهُم بينَ الَّذِينَ لَمْ يَعْرِفْهُم قَطُّ. وإِنَّهُم، لَوْ عَاشُوا في البَدءِ عِيشَةَ التَّقْوَى، لأُدِينُوا في آخِرِ حَيَاتِهِم، لأَنَّهُم مَالُوا إِلى الشَّرِّ. يَعْرِفُ اللّه الَّذِينَ يُحِبُّهُم، وَيُحِبُّ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِهِ بِإِخْلاصٍ وَيَعْمَلُونَ بِمَا يَسُرُّهُ. المقطعُ ٨٨.[2]

٧: ٢٤ البِنَاءُ عَلَى الصَّخْرِ

العَيْشُ بِثَبَاتٍ. الذَّهَبيُّ الفَم: فِيمَا كَانَ المسيحُ يُرَكِّزُ تَعْلِيمَهُ، حَتَّى الآنَ، عَلَى المَلَكُوتِ المُسْتَقْبَلِيِّ، وَعَلَى مُكَافَآتٍ لا تُوصَفُ وَعَلى التَّعْزِيَةِ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، أَظْهَرَ عَظَمَةَ الفَضِيلَةِ في الحَيَاةِ الحَاضِرَةِ، والثَّمَرَ الَّذي تُثْمِرُه. فَمَا هِيَ قُوَّةُ الفَضِيلَةِ إِذًا؟ إِنَّها العَيْشُ بِثَبَاتٍ، فَلا تَتَغَلَّبُ عَلَينَا الشَّدَائِدُ بِسُهُولَةٍ، وَنَسْمُو نَحنُ عَلَى كُلِّ مُضَايِقِينَا. مَاذَا يُعَادِلُ ذَلِكَ الصَّلاحَ؟ اللاَّبِسُ التَّاجَ المُلُوكِيَّ لا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَضمَنَ ذَلِكَ لِنَفْسِهِ، بَلْ مَنْ يَتْبَعُ طَرِيقَ الفَضِيلَةِ. فَهُوَ يَصِلُ إِلَى تَوازُنٍ كَبيرٍ. وَفي أَمْوَاجِ الظُّرُوفِ العَاتِيَةِ يَعْبُرُ وَكَأَنَّه في بَحْرٍ هَادِئٍ. وَهَذَا مُذْهِلٌ. إِنَّ ذَلِكَ لا يَكُونُ في الطَّقْسِ الجَيِّدِ، بَل عِنْدَمَا تَصفَعُ المُؤْمِنَ رِيحٌ عَاصِفَةٌ، وَتَشْتَدُّ عَلَيْهِ الاضطِرَابَاتُ وَتَتَوالَى التَّجَارِبُ، فَإِنَّه لا يَهْتَزُّ ولا يَرتَجِفُ. لَقَدْ قَالَ: «نَزَلَ المَطَرُ

[1] 761 :01 1 FNPN ;123 :75 GP
[2] 081 KGKM

وَفَاضَتِ السُّيولُ وهَبَّتِ الرِّيَاحُ وَصَدَمتْ ذَلِكَ البَيتَ فَلَمْ يَسْقُطْ، لأَنَّ أَسَاسَهُ عَلَى الصَّخرِ». مَجَازِيًّا «المطَرُ» هُنَا وَ «الأَنْهَار» وَ «الرِّيَاحُ» هِيَ الكَوَارِثُ وَالضِّيقَاتُ البَشرِيَّةُ، كالوَقِيعَةِ، وَالمؤَامَراتِ وَالأَحْزَانِ، وَالمِيتَاتِ الفُجَائِيَّةِ، وَفُقدانِ أَهْلِ البَيْتِ، وَمُضَايَقَاتِ الغُربَاءِ، وَكلِّ الشُّرُورِ فِي حَيَاتِنا الَّتي يُمْكِنُ ذِكْرُهَا. يَقُولُ يَسُوعُ إِنَّ نَفْسًا كَهَذِهِ لا تَتَأَثَّرُ بِأَيٍّ مِنْ هَذِهِ الأُمُورِ. وَالسَّبَبُ هُوَ أَنَّ النَّفْسَ مُؤَسَّسَةٌ عَلَى الصَّخْرِ.

وَيَدْعُو الثَّبَاتَ «صَخْرَةً» لأَنَّ أَوَامِرَهُ هِيَ فِي الحَقِيقَةِ أَقْوَى مِنْ كُلِّ صَخْرَةٍ، إِذْ تَضَعُ الإِنسَانَ فَوْقَ أَمْوَاجِ الأُمُورِ البَشَرِيَّةِ كُلِّهَا. فَمَنْ حَفِظَ هَذِهِ الأُمُورَ بِدِقَّةٍ يُقَاوِمُ، لا الَّذِينَ يُزْعِجُونَه فَحَسْب، بَلِ الشَّيَاطِينَ المُتَآمِرِينَ عَلَيْهِ أَيضًا. إنجيلُ متَّى، الموعظة ٢٤. ٢.[٣]

٧: ٢٥ البَيْتُ الصَّلْبُ

الإِضطِهَادَاتُ لا تُحَقِّقُ شَيئًا. أوريجنس. «لا المَوتُ وَلا الحَيَاةُ وَلا المَلائِكَةُ وَلا شَيءٌ بِوسْعِهِ أَنْ يَفْصِلَنَا عَنْ مَحَبَّةِ المَسِيح».[٤] ولا فَيَضَانُ الأَنْهَارِ مِنْ أَرَاضِي مِصْرَ وَأَشورَ يُؤْذِينَا. فَالمُتَضَرِّرُونَ هُم الَّذِينَ بَنَوا بُيُوتَهم عَلَى الرَّمْلِ، وَمَارَسُوا حِكْمَةَ هَذَا الدَّهْرِ. وَالرِّيحُ العَاصِفَةُ هِيَ كَالأَنبِيَاءِ الكَذَبَةِ. هَذِهِ الأَشْيَاءُ كُلُّهَا تَجْتَمِعُ فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ وَتَصْدُمُ البَيْتَ، فَإِنْ كَانَتْ بُيُوتُنَا مَبْنِيَّةً عَلَى الصَّخْرِ فَلا تَتَضَرَّرُ. وَطَرِيقُ الأَفْعَى لا يُوجَدُ عَلَى الصَّخْرِ.[٥] التَّجْرِبَةُ وَالاضطِهَادُ، اللَّذانِ يُصْبِحَانِ فَيَضَانًا، يَصدُمَانِ مَا يَبْدُو أَسَاسُهُ قَوِيًّا. إِنَّه يَسْقُطُ إِنْ لَمْ يَكُنِ المَسِيحُ أَسَاسَهُ وَدِعَامَتَه. أَمَّا الإِنسَانُ الحَكِيمُ حَقًّا فَيَبْنِي بَيْتَهُ «عَلَى الصَّخْرِ». هَذِهِ هِيَ الطَّرِيقُ الَّتِي بَنَى بِهَا الرَّبُّ الكَنِيسَةَ- عَلَى الصَّخْرِ- بِثَبَاتٍ وَقُوَّةٍ. لذَلِكَ أَبْوَابُ الجَحِيمِ لَنْ تَقْوَى عَلَيْهَا.[٦] فَكلُّ الاضطِهَادَاتِ الَّتي تَحُلُّ بِذَلِكَ البَيْتِ لا تُحَقِّقُ مُبتَغَاهَا. فَالبَيْتُ مَبْنِيٌّ عَلَى الصَّخْرِ. المقطع ١٥٣.[٧]

٧: ٢٦ البِنَاءُ عَلَى الرَّمْلِ

العِقَابُ بَدَلَ الفَائِدَةِ. الذَّهَبيُّ الفم: حَسَنًا دَعَا الرَّجُلَ «أَحْمَق». فَمَنْ هُوَ أَكْثَرُ حُمقًا مِمَّن يَبْنِي بَيْتَهُ عَلَى الرَّمْلِ وَيَحْتَمِلُ الأَلَمَ وَيَحْرِمُ نَفْسَهُ الثِّمَارَ وَالرَّاحَةَ مُحْتَمِلاً،

[٣] GP 75: 323; NPNF 1 10: 169
[٤] رومية ٨: ٣٨- ٣٩.
[٥] أمثال ٣٠: ١٩.
[٦] متّى ١٦: ١٨.
[٧] SCG 1.14: 67

عِوضًا عَنْ ذلِكَ، العِقَاب؟ لَقَدِ اتَّضَحَ أَنَّ السَّائِرِينَ وَرَاءَ الشَّرِّ يُجْهِدُونَ أَنْفُسَهُم أَيضًا. فَالخَاطِفُ والزَّانِي والمُفْتَرِي يَكِدُّونَ وَيشْقَونَ كَثيرًا حتَّى يُوصِلُوا شَرَّهم إِلى غايَتِه، لَكِنْ هَيْهَاتَ لَهُم أَنْ يَجْنُوا أَيَّةَ فَائِدَةٍ مِنْ هذِه الجُهُودِ. إنّهم، بالأحْرَى، يَتعرَّضُونَ لِخَسَارةٍ عَظِيمَةٍ. وَهذا مَا أَلمعَ إلَيهِ بُولسُ قَائلاً: «مَنْ زَرعَ في جَسَدِه حَصَدَ مِنَ الجَسَدِ الفَسَادَ».[8] مَنْ هُمُ الَّذينَ يَبْنُونَ عَلَى الرَّمْلِ؟ إِنَّهُمُ المُسْتَسْلِمُونَ للزِّنَى وَالعَهْرِ وَالسُّكْرِ وَالغَضَبِ وَعُيوبٍ مُشِينَةٍ أُخْرَى. إنجيلُ متَّى، الموعظة ٢٤. ٣.[9]

٧: ٢٧ وَكَانَ سُقُوطُهُ عَظِيمًا

جَاءَتِ الفَيَضَانَاتُ. كيرلّس الإسكندريّ: إنَّ العَامِلَ الشَّريعَةَ في مدلولِها الرُّوحِيِّ لا يُشْبِهُ مَن يَبْنِي بَيْتَهُ عَلَى الرَّمْلِ، فَيَسْقُط في وَقْتِ التَّجْرِبَةِ. تُغطِّيهِ الرِّيَاحُ الشِّرِّيرَةُ العَاصِفَةُ، وَتَنفُذُ المِياهُ الهَائِجَةُ إلَى النَّفْسِ. بِسَبَبِ السَّيْلِ المُتَدفِّقِ مِن مُخَالَفَةِ الشَّرِيعَةِ يَهْتَزُّ البَيْتُ فَنَسْتَيْقِظُ ونَعِي الخَطرَ الهَاجِمَ عَلينَا. في النِّهَايَةِ، إنَّهُم حُكَمَاءُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ كَلامَ الرَّبِّ، أَمَّا الَّذِينَ يَصُمُّونَ آذانَهُم يُشْبِهُونَ رَجُلاً أَحْمَقَ. مَنْ مَارَسَ الفَضِيلَةَ استَطَاعَ فِعْلَ كُلِّ شَيءٍ «بالمَسيحِ الَّذي يُقَوِّيه»،[10] فَبِهِ يَتَحقَّقُ كُلُّ شَيءٍ للبَشَرِ. مِنْهُ تَأْتِي الحِكْمَةُ والفَهْمُ وكُلُّ عَمَلٍ صَالِحٍ. الإنسَانُ الشِّرِّيرُ لا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَدَّعِيَ أَنَّ اللهَ سَبَبُ شَرِّهِ وَحَمَاقَتِه. يَحمَقُ المَرءُ عِنْدَمَا يَتَخلَّى عَمَّا تَتَطَلَّبُهُ طَبِيعَةُ الإنسَانِ الأَصْلِيَّةُ وَيَمِيلُ إلَى الانحِرَافِ عَنهَا. المقطع ٨٩.[11]

٧: ٢٨-٢٩ كَانَ يُعَلِّمُهُم مِثْلَ مَنْ لَه سُلْطَانٌ

المَحبَّةُ وَالسُّلْطَةُ. الذَّهَبيُّ الفَم: مِنَ المَنطِقِ أَنْ يَحْزَنُوا لِصُعُوبَةِ أَقْوالِهِ، وَأَنْ يَخْذَرُوا مِنْ رِفْعَةِ أَوامِرِه، فَقَد كَانَتْ قُوَّةُ المُعَلِّمِ عَظِيمَةً، بِحَيْثُ إنَّها تَمَكَّنَتْ مِنَ الكَثيرِينَ، وَتَمَلَّكَهُمُ الإعْجَابُ العَظِيمُ. خَلَبَتْهُم حَلاوَةُ أَقْوالِهِ، فَلَمْ يُفَارِقُوهُ إلَى أَنْ أَنْهَى كَلامَه. بَعْدَ نُزُولِهِ مِنَ الجَبَلِ لَمْ يُفَارِقْهُ السَّامِعُونَ، بَلْ لَحِقُوا بِهِ. عَظِيمَةٌ هِيَ مَحبَّةُ أَقْوالِهِ الَّتي غَرَسَهَا فِيهِم. ذَهِلُوا مِنْ سُلْطَانِه. لَمْ يُحِلْهُم، في مَا قَالَهُ، عَلَى شَخْصٍ آخَر، مِثْلَ النَّبِيِّين إيليّا ومُوسى، فِيمَا قَالَه، بَلْ كَانَ يُشِيرُ إلَى نَفْسِهِ في كُلِّ مَكانٍ كَمَن له سُلْطَانٌ. عِنْدَمَا كَانَ

---

[8] غلاطية ٦: ٨.

[9] GP 57: 325; NPNF 1 10: 170

[10] فيليبي ٤: ١٣.

[11] MKGK 180

يَسُنُّ شَرائِعَهُ كَانَ يُضِيفُ باستِمْرارٍ: «أَمَّا أَنا فَأَقُولُ لكُم».[١٢] وفِي تَذْكِيرِه إيَّاهُم بذلِكَ اليَوم، أَعْلَن عَنْ نَفْسِهِ أَنَّهُ هُوَ الدَّيانُ يُثيبُ ويُعَاقِبُ، وهَذا عَلَى الأَرْجَحِ ما أَزعجَهُم كَثِيرًا. إنجيلُ متَّى، الموعظةُ ٢٥. ١.[١٣]

[١٢] متّى ٥: ٢٢، ٢٨، ٣٢، ٣٤، ٣٩، ٤٤.
[١٣] GP 57: 327; NPNF 1 10: 171-72

٨: ١-٤ شِفاءُ الأَبْرَصِ

١ ولَمّا نزلَ مِنَ الجبَلِ، تَبِعَتْهُ جُموعٌ كَبيرةٌ. ٢ ودَنا مِنهُ أبرَصُ، فسجدَ لَه وقالَ: «يا رَبُّ، إنْ شِئتَ فأنْتَ قادِرٌ على أنْ تُطَهِّرَني». ٣ فمَدَّ يَسوعُ يدَهُ ولَمَسَهُ وقالَ: «أريدُ، فاطهُرْ»! فطَهُرَ مِنْ بَرَصِهِ في الحالِ. ٤ فقالَ لَه يَسوعُ: «إيّاكَ أن تُخبِرَ أحدًا. ولكِنِ اذهَبْ وأَرِ الكاهِنَ نَفسَكَ. ثُمَّ قدِّمِ القُربانَ الّذي أمَرَ بِه موسى، شَهادةً لدَيهِم».

نَظْرَةٌ عامَّةٌ: عَرَفَ الأَبْرَصُ أَنَّ الرَّبَّ، لَو شاءَ، يَقدِرُ عَلى أَنْ يُطَهِّرَه؛ فلَمْ يُؤَنَّبْ على افتِرَاضِهِ. بَلْ على العَكس، إذ إنَّ يَسوعَ أَكَّدَ هَذا الافتِراضَ الخَاصَّ بمَجْدِه وسُلْطَانِهِ اللَّذينِ أَلحَّ إلَيهِما الأَبْرَصُ في سُؤالِهِ (الذَّهَبيُّ الفَم). هُنَا نَحْنُ نَعلَمُ أَنَّ الشَّخْصَ كُلَّهُ تَغَيَّرَ في التَّأمُّلِ، وَالعَمَلِ، وَالسُّلُوك لَمَّا لَمَسَتْهُ الأُمورُ المُقَدَّسَةُ (كيرلّس الإسكندريّ). لَمَّا طَهُرَ الأَبْرَصُ لَمْ يَلْجأْ إِلَى الحُكْمِ الفَرْدِيِّ لإِثْبَاتِ طَهارَتِهِ، بَلْ إلَى عَرْضِ نَفْسِه عَلَى الكَهَنَةِ المَسؤولينَ عَن تأْدِيَةِ الشَّهادَةِ بِأَنَّ يَسوعَ لَمْ يُخالِفِ الشَّرِيعَةَ (الذَّهَبيُّ الفَم).

٨: ١ النُّزُولُ مِنَ الجبَلِ

ولَمَّا نَزَلَ مِنَ الجبَلِ. الذَّهَبيُّ الفَم: وَلَمَّا نَزَلَ مِنَ الجبَلِ، دَنا مِنهُ أَبرَصُ، وَقالَ: «يَا رَبُّ، إنْ شِئْتَ فَأَنْتَ قادِرٌ عَلى أَنْ تُطَهِّرَني». عَظِيمٌ هُوَ فَهْمُ الأَبرَصِ وعَظِيمٌ إيْمانُهُ لَمَّا دَنَا مِنْ يَسوع. لَمْ يُقاطِعِ التَّعْلِيمَ، وَلَمْ يَخْتَرِقِ الجَمْعَ، بَلِ انتَظَرَ الوَقْتَ المُناسِبَ وَدَنَا مِنْهُ «لَمَّا نَزَلَ مِنَ الجبَلِ». إنجيلُ متَّى، الموعظة، ٢٥. ١.[١]

[١] GP 57: 328; NPNF 1 10: 172

٨: ٢ الأَبْرَصُ يَبْتَغِي التَطَهُّر

«يَا رَبِّ، إِنْ شِئتَ فَأَنْتَ قَادِرٌ علَى أَنْ تُطَهِّرَني»: الذَّهَبيُّ الفَم: لَمْ يَتوسَّلْ إِليهِ توسُّلاً عادِيًا، بَلْ حَمِيًّا.[٢] جثَا، كَمَا يقُولُ إنجيليٌّ آخَر، بإِيمَانٍ حَقِيقِيٍّ لائِقٍ بمَجْدِ الرَّبِّ. لَمْ يَقُلْ: «إِنْ طَلَبْتَ ذَلِكَ إِلى اللّه» ولا «إِنْ صَلَّيتَ»، بَلْ «إِنْ شِئْتَ فَأَنْت قَادِرٌ على أَنْ تُطَهِّرَني». لَمْ يَقُلْ «يا رَبِّ طَهِّرني» بَلْ تركَ كُلَّ شَيءٍ لَه، وَاعتمَدَ بشِفَائِه عَلَيهِ، مُعتَرِفًا بِأَنَّ كُلَّ سُلْطَانٍ هُوَ سُلْطَانُه.

قَدْ يَقُولُ قَائِلٌ: «مَاذَا لو كَانَ اعتِقَادُ الأَبْرَصِ خَاطِئًا»؟ هَلْ كَانَ يَلِيقُ بالسَّيِّدِ أَنْ يُخلِّصَهُ مِنْه وَيُوبِّخَهُ وَيُصَحِّحَه. هَلْ فَعَلَ الرَّبُّ ذَلِكَ؟ كلاَّ، إِنَّه، عَلى العَكس، أَثْبَتَ وَأَكَّدَ مَا قِيل. « إِنجيلُ متَّى، الموعظة، ٢٥. ١.[٣]

٨: ٣ الشِّفَاءُ الفَوْرِيُّ

سُلْطَةُ يَسُوع فِي الشِّفَاء. الذَّهَبيُّ الفَم: لَمْ يَقُلِ السَّيِّدُ «اطهُرْ»، إنمَّا قَالَ «أُرِيدُ فَاطهُر» حتَّى لا يَكُونَ التَّعْلِيمُ شَيئًا مِنْ حَدْسِ الأَبْرَص، بَلْ مِن قَرارِ السَّيِّدِ.

لَكِنَّ الرُّسُلَ لَمْ يَفْعَلُوا ذَلِكَ، بَلْ قَالُوا لشَعْبٍ أَخَذَهُ العَجَبُ: «لِمَاذَا تَندهِشُونَ؟ وَلِمَاذَا تُحدِّقُونَ إِلينا؟ أَتُرانا جَعَلْنَاه يَمْشِي بذَاتِ قُوتِنَا أَو سُلْطَانِنَا»؟[٤] رغْمَ أَنَّ الرَّبَّ كَثيرًا مَا يَتَكلَّمُ بتَواضُعٍ كَبيرٍ مُخْفِيًا مَجْدَه، غيرَ أَنَّه يُثْبِتُ هُنا مَا يَقُولُهُ الَّذينَ أَدهَشَهُم سُلْطَانُه. «أُرِيدُ فَاطْهُر». وَرَغْمَ أَنَّه لا يَظْهَرُ أَنَّه قَدْ قَالَ هَذا القَوْلَ في أيِّ مَكَانٍ آخرَ في الآيَاتِ العَظِيمَةِ وَالكَثِيرَةِ الَّتي فَعَلَها، إلاَّ أَنَّه يُضِيفُ: «أُرِيدُ» ليُؤَكِّدَ للشَّعْبِ كُلِّهِ وَللأَبْرَصِ مَا يَتَعلَّقُ بسُلْطَانِه. وَلَمْ يكُنِ الأَمْرُ أَنَّ السَّيِّدَ قَالَ هَذا القَولَ ولَمْ يَفْعَلْهُ؛ إِنَّمَا الفِعْلُ تَلا القَولَ للتوِّ. إنجيلُ متَّى، الموعظة، ٢٥. ١.[٥]

٨: ٤ إذهَبْ إِلَى الكَاهِنِ

التَّثْبيتُ الكَهْنُوتيُّ. الذَّهبيُّ الفَم: هُنَاكَ شَرِيعَةٌ قَدِيمَةٌ تَنُصُّ عَلَى أَنَّ الأَبْرَصَ المُتطهِّرَ لا يكفِيه إِقرَارُه بتَطْهِيرِهِ، بَلْ عَلَيْهِ أَنْ يُرِي نَفْسَهُ للكَاهِنِ وَيُقَدِّمَ البُرْهَانَ لِبَصِيرَتِيهِ، وَالكَاهِنُ لَهُ الحَقُّ أَنْ يُعلِنَهُ طاهِرًا. فَلَوْ لَمْ يَقُلِ الكَاهِنُ إِنَّ الأَبرَصَ قَدْ تَطَهَّرَ لَبَقِيَ خَارِجَ المَحَلَّةِ في عِدادِ غيرِ الطَّاهِرِينَ. إنجيلُ متَّى، الموعظة، ٢٥. ٣.[٦]

---

[٢] متّى ١: ٤٠.
[٣] 271:01 1 FNPN ;823:75 GP
[٤] أعمال ٣: ١٢.
[٥] 271:01 1 FNPN ;823:75 GP
[٦] 371:01 1 FNPN ;033:75 GP

فَلْتَحْكُمِ السُّلُطَاتُ بِذَلِكَ. الذَّهَبِيُّ الفَم: قَالَ يسوعُ: أَرِ نَفْسَكَ لِلْكَاهِنِ وَقَدِّمِ القُرْبَانَ الَّذِي أَمَرَ بِهِ مُوسَى. لا يَقُوْلُ لَهُ «مَا أَمَرْتُ بِهِ»، إِنَّمَا يُحِيلُهُ بِشَكْلٍ مُؤَقَّتٍ عَلَى الشَّرِيعَةِ فَيكُمُّ أَفْوَاهَ اليَهُودِ، لِئَلاَّ يَقُولُوا إِنَّ السَّيِّدَ قَدِ انتَحَلَ صَلاحِيَّاتِ الكَاهِنِ. وَرَغْمَ أَنَّ السَّيِّدَ قَدْ أَتَمَّ العَمَلَ بِنَفْسِه، فَقَدْ أَبَاحَ لِلْكَهَنَةِ التَّصْدِيقَ عَلَيْهِ، وَأَقَامَهُم قُضَاةً لِعَجَائِبِه. فَكَانَ يَقُولُ: إِنِّي بِمَنْأًى عَنْ مُقَاوَمَةِ مُوسَى أَوِ الكَهَنَةِ بِحَيْثُ إِنِّي أَشَرْتُ عَلَى الَّذِينَ أَحْسَنْتُ إِلَيهِم أَنْ يُقَدِّمُوا طَاعَتَهُم لِلْكَهَنَةِ. إِنجيلُ متّى، الموعظة، ٢٥. ٣.[٧]

مَا أَمَرَ مُوسَى بِتَقْدِيمِه. كيرلّس الإسكندريّ: مَاذَا يُفْتَرَضُ بِالأَبْرَصِ أَنْ يُقَدِّمَ تَطْبِيقًا لِلشَّرِيعَةِ؟ «عُصْفُوْرَيْن»،[٨] يَذْبَحُ الكَاهِنُ وَاحِدًا مِنْهُمَا «عَلَى مَاءٍ جَارٍ»، وَيَأْخُذُ «عُودَ الأَرْزِ، وَعُوْدَ القِرْمِزِ وَعُوْدَ الزُّوفَي» وَالعُصْفُورَ الحَيَّ وَيغْمِسُ هَذَا كُلَّهُ «في دَمِ العُصْفُورِ المَذْبُوحِ عَلَى المَاءِ الجَارِي» ثُمَّ يَمْسَحُ «أُذُنَ المُتَطَهِّرِ اليُمْنَى، وَيَدَه وَرِجْلَه».[٩] ثُمَّ يُطْلِقُ العُصْفُورَ الحَيَّ «مِنَ المَدِينَةِ إِلَى الحَقْلِ».[١٠] لاحِظْ، إِذًا، كَيْفَ يُصَوِّرُ لَنَا المَسِيحُ هَذِه الأُمُورَ تَصْوِيرًا كَامِلاً. عبر العُصْفُورِ الحَيِّ تُفْهَمُ العِبَارة «الحَيُّ السَّمَاوِيّ». و عبر العُصْفُورِ المَذْبُوحِ يَجِبُ فَهْمُ دَمِ رَبِّنَا المُتَأَلِّم، الَّذِي نَقُولُ عَنهُ إِنَّه تَأَلَّمَ فِي الجَسَدِ، وَبِالأَحْرَى فِي «جَسَدِهِ الخَاصِّ». خَشَبُ الأَرْزِ لَيْسَ مُعَرَّضًا لِلفَسَادِ. وَجَسَدُ المَسِيحِ غَيرُ قَابِلٍ لِلفَسَادِ، «لَمْ يَرَ فَسَادًا».[١١] يُعَبِّرُ الزُّوفَى عَنْ حَرَارَةِ الرُّوحِ (نَبَاتُ الفِصْفِصَةِ حَارٌ وَمُطَهِّرٌ مِنْ بُرُودَةِ الأَهْوَاءِ)، هَذِه هِيَ فَاعِلِيَّةُ الرُّوحِ القُدُسِ وَقُدْرَتُه. وَيُشِيرُ القِرْمِزُ إِلَى الإِقْرَارِ بِالعَهْدِ الَّذِي عُقِدَ بِالدَّمِ. وَيَدُلُّ المَاءُ الجَارِي عَلَى مَوْهِبَةِ المَعْمُودِيَّةِ المُنْشِئَةِ الحَيَاة... عبر المَعْمُودِيَّةِ يَتَطَهَّرُ كُلُّ مَنْ يَبْرَصُ بِالخَطِيئَةِ. وَيُعَلِّمُنَا إِطْلاقُ العُصْفُورِ الحَيِّ خَارِجَ المَدِينَةِ تَرْكَ هَذَا العَالَم، كَمَا فَعَلَ المَسِيحُ في صُعُودِه إِلَى السَّمَاوَاتِ. أَخَذَ، وَهُوَ عِنْدَ اللهِ الآبِ، يَشْفَعُ بِنَا كُلِّنَا وَيُطَهِّرُنا. وَبِمَسْحِ أُذُنِ الأَبْرَصِ اليُمْنَى وَيَدِهِ وَرِجْلِهِ نَكُوْنُ فِي اللهِ فِي النَّظَرِ وَالعَمَلِ وَنَهْجِ الحَيَاةِ. المَقْطَع ٩٣.[١٢]

المَسِيحُ لا يَتَعَدَّى الشَّرِيعَةَ. الذَّهَبِيُّ الفَم: مَاذَا تَعْنِي عِبَارَةُ «شَهَادَة عِنْدَهُم»؟

[٧] 47-371:01 1 FNPN ;033:75 GP

[٨] لاويّين ١٤: ١– ٧.

[٩] أنظر لاويّين ١٤: ١٤.

[١٠] لاويّين ١٤: ٧.

[١١] أعمال ٢: ٣١.

[١٢] 28-181 KGKM

إِنَّهـا تَـوبِـيـخٌ وَدلِـيـلٌ وَاتِّـهـامٌ إِذا كـانُـوا يَـجْـحَدُون إِحْسانَهُ. وَبِما أَنَّهم قالُوا إِنَّنا نَضْطَهِدُ السَّيِّدَ كَمُخادِعٍ وَدَجَّالٍ وَمُخاصِمٍ لله ومُخالِفٍ لِلشَّرِيعَة، فَإِنَّ السَّيِّدَ يَقُولُ: «إِنَّكُم ستُؤَدُّونَ الشَّهادة لِي في ذَلِكَ الوَقْتِ، مُعتَرِفينَ بِأَنِّي لَسْتُ مُتعدِّيًا الشَّرِيعَة». إِنجيلُ متَّى، الموعظة، ٢٥. ٣.[١٣]

(١٣) PG 57:330; NPNF 1 10:174

٨: ٥-١٣ شِفاءُ غُلامِ قائِدِ المائة

ودخَلَ يَسوعُ كَفَرْناحومَ، فدَنَا منهُ قائدُ مائةٍ وتوسّلَ إليه قائِلاً: [٦]«يا ربُّ، غلامي طَريحُ الفِراشِ في البَيتِ مُقْعَدًا يُعاني من الأوجاعِ أشَدَّها». [٧]فقالَ لَه يَسوعُ: «أنا ذاهِبٌ لأشفِيَهُ». [٨]فأجابَ قائدُ المائةِ: «أنا لا أستحِقُّ، يا ربُّ، أنْ تَدخُلَ تَحتَ سقفِ بَيتي. ولكِنْ قُلْ كَلِمَةً فقط فيُشفى غُلامي. [٩]فأنا إنسانٌ مَرؤوسٌ ولِي جُنودٌ تَحتَ أمري، أقولُ لِهذا: إذهَبْ! فيذهَبُ، ولِلآخَرِ: تَعالَ! فيأتي، ولِغُلامي: إعمَلْ هذا، فيَعْمَلُ». [١٠]فلمَّا سَمِعَ يَسوعُ كلامَهُ أُعجِبَ بِهِ وقالَ لِلَّذينَ يَتبَعونَهُ: «الحقَّ أقولُ لكُم: لم أجِدْ مِثلَ هذا الإيمانِ ولا في إسرائيلَ. [١١]أقولُ لكُم: كثيرونَ مِنَ النَّاسِ سيأتُونَ مِنَ المَشارِقِ والمَغارِبِ ويُجالِسونَ إبراهيمَ وإسحقَ ويعقوبَ في ملَكوتِ السَّماواتِ. [١٢]وأمّا بنو المَلَكوتِ فيُطْرَحُونَ في الظُّلمَةِ البرّانيَّةِ، وهُناكَ البُكاءُ وصَريفُ الأسنانِ». [١٣]وقالَ يَسوعُ لقائدِ المائة: «إذهَبْ، وليَكُنْ لكَ على قَدْرِ إيمانِكَ». فشُفِيَ غُلامُهُ في تِلكَ السّاعةِ.

نَظْرَةٌ عامَّةٌ: لَمْ تكُن غايَةُ الرَّبِّ في الذَّهابِ إِلى بَيْتِ قائِدِ المائَةِ مِنْ أَجْلِ دُخولِهِ البَيْتَ، بَلْ مِنْ أَجْلِ دُخولِهِ قَلْبَ القائِدِ (أوغسطين). فهِمَ قائِدُ المائةِ ما لَمْ تَفْهَمْهُ مَرْتا وهُو أَنَّ يَسُوعَ نَفْسَهُ هُو الَّذي يسْتَجيبُ الصَّلاةَ. فَرِجًا لِغُلامِهِ الشِّفاءَ التَّامَّ (الذَّهبيُّ الفم). لَمْ

تكُنْ مُجَالسَةُ إبراهيمَ مُعدَّةً للَّذين تَسلَّمُوا الشَّريعَةَ والأنبياءَ أوَّلاً، بلْ للَّذِين يَنْتَمُون في الرُّوح إلى بَيْتِ الإيمَان طَوْعًا. إنَّ كُلَّ أمَمِ العَالَم، كمَا تَرى رَمْزِيًّا في قَائِدِ المائَة، ستأْتي وتؤمِنُ إيمانًا عظِيمًا (أوغسطين). فهمَ قَائدُ المائةِ سُلْطَةَ يسوعَ بالقِيَاس إلَى فَهْمِه سُلْطتَه الخَاصَّة في إصدارِ الأوَامرِ إلَى جُنُودِهِ (ثيودور المبسوستي). الإيمَانُ مُعْطَى مِنَ الله، لكِنَّهُ مَوْلُودٌ ومَصُونٌ في حُرِّيَّةٍ يُعْطِيهَا اللهُ للبَشَرِيَّةِ مُشَابِهَةً لَهُ (إيريناوس).

٥:٨ قَائدُ المَائَةِ يَتوسَّلُ إلَى يسوع

قَائدُ المَائَةِ يَتوقَّعُ الشِّفَاء. الذَّهبيُّ الفَم: يقُولُ بَعْضُهُم إنَّ قَائِدَ المَائَةِ قَدَّمَ اعتِذارَه ليَسُوعَ عَن عدَمِ إحْضَارِ غُلامِهِ إليه، فقَالَ: «يَا رَبُّ، غُلامِي طَرِيحُ الفِرَاشِ في البَيتِ مُقْعَدًا يُعَانِي مِنَ الأَوجَاعِ أشَدَّهَا» يكَادُ يدخُلُ النَّزْعَ الأخِيرَ، أو كمَا يَقُولُ لُوقَا: «أشْرَفَ علَى المَوتِ».[1] أمَّا أنَا فأقُولُ : هَذِه سِمَةُ إيمَانٍ عَظِيمٍ، أعْظَمَ بكَثِيرٍ مِنْ إيمَانِ «الَّذِينَ دَلَّوا الكَسِيحَ مِنَ السَّطحِ».[2] فقَائِدُ المَائَةِ عَرَفَ يَقِينًا أنَّ أمرًا واحِدًا يَصْدُرُ عَنْ يَسُوعَ كَافٍ لإنهَاضِ المَرِيضِ. واقتَنَعَ بأنَّ إحْضَارَهُ مَعَهُ غيرُ ضَرُوريٍّ. إنجِيلُ متَّى، الموعظة ٢٦. ١.[3]

٦:٨ يُعَانِي مِنَ الأَوجَاعِ أَشَدَّها

غُلامِي. ثيودور المبسوستيّ: يَسْتَعْمِلُ هُنَا لَفْظَةَ غُلام ليُشِيرَ إلى خَادِمِ بَيْتِهِ. لوقا يُظْهِرُ ذَلِكَ بوضُوحٍ، دَاعيًا إيَّاهُ «خَادِمًا». المقطع ٤١ أ.[4]

٧:٨ أَنَا ذَاهِبٌ إلَى بَيتِكَ

عَرْضُ يَسُوع. الذَّهبيُّ الفَم: مَاذا فَعَلَ يَسُوعُ؟ فَعَلَ مَا لَمْ يَفْعَلْهُ مِنْ قَبْلُ. ففِيمَا كَان يَنْزِلُ دَائِمًا عِندَ رَغْبَةِ سَائِلِيهِ، يَنْبَرِي هُنَا لإصْدَارِ الأوامِرِ. فَلا يَعْرِضُ أنْ يَشْفِيَ الغُلامَ فَحَسْب، بَلْ أنْ يَأْتِيَ إلَى البَيْتِ أيضًا. يَفْعَلُ هَذَا لنَتَعَلَّمَ الفَضِيلَةَ مِنْ قَائِدِ المَائَةِ. فَلَو لَمْ يُقَدِّمِ المَسِيحُ هَذَا العَرْضَ، بَلْ قَالَ: «امضِ فَلْيُشْفَ غُلامُكَ» لَمَا كُنَّا عَرَفْنَا شَيئًا مِنْ هَذِه الأُمُورِ. إنجيلُ متَّى، الموعظة ٢٦. ١.[5]

---

[1] لوقا ٧: ٢.
[2] لوقا ٥: ١٩.
[3] 671 :01 1 FNPN ;333 :75 GP
[4] 901 KGKM
[5] 671 :01 1 FNPN ;333 :75 GP

٨:٨ أنا لا أستحِقُّ، يا ربُّ، أنْ تدخُلَ تَحتَ سَقفِ بَيتي

التَّعْبيرُ عَنْ عَدَمِ استحْقَاقِهِ. أوغسطين: عِنْدمَا تعهَّدَ الرَّبُّ بالذَّهَابِ إلى بيتِ قائدِ المائةِ ليَشفِيَ خادِمَه، أجابَه: «أنا لا أَسْتحِقُّ، يَا ربُّ، أنْ تدخُلَ تحتَ سَقْفِ بيتي. ولكِنْ قُلْ كلِمةً فيُشفَى غُلامِي». وبِمَا أنَّهُ رَأَى نَفْسهُ غيرَ مُسْتَحِقٍّ، فقد ظهَرَ مُستَحِقًّا أنْ يأتِيَ المَسِيحُ لا إلَى بَيْتِهِ فَحَسبُ، بَلْ إلَى قَلبِهِ أيضًا. لو لَمْ يَقْبَلْ في قَلبِهِ الدَّاخِلَ إلَى بَيتِهِ لمَا قالَ هَذا بإيمانٍ عَظِيمٍ وبتواضُعٍ. لا يكُونُ فَرَحُ الرَّبِّ يسوعَ عَظِيمًا إذا دَخلَ إلَى بَيْتِ قائِدِ المائةِ وامتَنَعَ عَليهِ قَلبُهُ. فَسَيِّدُ التَّواضُعِ في القولِ والمِثالِ جلَسَ في بَيتِ سِمْعَانَ الفَرِّيسيِّ المُتَشامِخِ، ومَعَ ذلِكَ أنَّه جلَسَ في البَيتِ إلاّ أنَّه لَمْ يَجْعَلْ هذا الأخِيرُ للمَسِيحِ مكَانًا في قَلبِهِ ليَسنُدَ إليه رَأسَه. الموعظة ٦٢. ١.[٦]

غُلامِي سَيُشفَى. الذَّهبيُّ الفَم: إنَّ مَرتا لَمْ تَقُلْ شيئًا مِنْ هذا القبيلِ بَلْ، عَلَى العَكسِ قالَت: «كُلَّ مَا تَسأَلُ اللهَ يُعْطِيكَ».[٧] هَيْهاتِ لَهَا أَنْ يمتَدِحَها السَّيِّدُ، رغْمَ كونِها قَرِيبةً مِنهُ وعزِيزةً عَلَيْهِ وواحِدةً مِنَ الَّذينَ أَظْهَرُوا لَهُ غَيرةً عظِيمةً، بَلْ إنَّه وبَّخَها وقَوَّمَ كَلامَهَا... يُعلِّمُها يَسوعُ أنَّه لا يَحْتَاجُ إلَى الأخذِ مِنْ آخَر، لَكِنَّه هُوَ نَفْسَهُ يَنبُوعُ الصَّالِحَاتِ: يقُولُ: «أنا هُوَ القِيامَةُ والحَياةُ» أي أنِّي لا أنتَظِرُ أنْ أنالَ قُوَّةً فاعِلَةً، بَلْ أعْمَلُ كُلَّ شيءٍ مِنْ نَفْسِي». إنجيلُ متَّى، الموعظة ٢٦. ٢.[٨]

٩:٨ فَأَنَا إنسَانٌ مَرؤوسٌ

رَجُلٌ تَحتَ سُلطَانٍ. ثيودور المبسوستيّ: إنَّ فِطنَةَ قائدِ المائَةِ كانت في إيمانِهِ بهَذِه الأشْياءِ عَنِ المسيحِ عبر أفْكارِهِ الخاصَّةِ، إذْ يقُولُ: «فأنا أيضًا إنسَانٌ. لكنِّي علَى مَنْ نِلْتُ السُّلطَانَ عَلَيْهِ أنَا سَيِّدٌ». فلَيْسَ غريبًا مِنْ أنْ تكُونَ، وقَدَ تَسلَّمتَ سُلطَانًا مِنَ اللهِ، قادِرًا علَى طَردِ الآلامِ بمُجرَّدِ كَلِمَةٍ». لَمْ يقْتَرِبْ قَائِدُ المَائَةِ مِنْ يَسُوعَ بِصفَتِهِ ابنَ اللهِ ورَبَّ الخَلِيقةِ كُلِّها (فقبْلَ الصَّلبِ لَمْ يكُنْ هذَا الأمرُ مَعْرُوفًا بَعْدُ حتَّى عِندَ التَّلاميذِ). بالأحْرَى، جاءَ إليهِ بصفَتِهِ إنسانًا تَسلَّم، بِسَبَبِ فَضَائِلِهِ، مِنَ اللهِ سُلطَةً تَسمُو عَلَى السُّلطَةِ الإنسانيَّةِ. لذَلِكَ يَقُولُ: «فأنَا أيضًا إنسَانٌ». ولأنَّه قالَ لَهُ «قُلْ كَلِمَةً»– وَهذَا

---

[٦] PL 38:415; NPNF 1 6:298

[٧] يوحنّا ١١: ٢٢.

[٨] PG 57:334-35; NPNF 1 10:177

يَلِيقُ بالله وَحْدَه- أضَافَ أيضًا عِبارَةَ «فأنا أيضًا إنسَانٌ». فَلَيْس مِنَ المُدْهِش، أَنْ تَتسلَّمَ السُّلطَانَ، وَأَنتَ إنسَانٌ مِنَ الله وَتُصبحَ قادِرًا على أَنْ تفعَلَ هذا الشَّيءَ، لأَنّي، وأنا إنسانٌ مِثْلُكَ، تسلَّمْتُ المرؤوسِينَ وَلِي سُلطَانٌ عَلَى إصدارِ الأَوَامِرِ كَمَا أشاءُ. المقطع ٤١ أ.[٩]

٨: ١٠ لَم أَجِدْ مِثلَ هَذَا الإيمَانِ وَلا في إسْرائيلَ

تأثيرُ التَّوقُّعاتِ السَّامِيَةِ. الذَّهبيُّ الفَم: لذلِكَ يُعْجَبُ يَسوعُ بقائِدِ المائةِ. يُفضِّلُهُ على كُلِّ الشَّعْبِ ويُكرِّمُهُ بعَطِيَّةِ الملَكُوتِ. وَيدْعُو الآخرِينَ إلى الاقتداءِ بغَيرتِهِ. إنجيلُ متّى، الموعظة ٢٦. ٢.[١٠]

ولا في إسْرائيلَ. أوغسطين: كَانَ هذا الرَّجُلُ مِنَ الأُمَمِ -فَهُوَ قائدُ المائةِ عِنْدَ الرُّومانِ. فَجُيوشُ الإمْبَراطوريَّةِ الرُّومانيَّةِ كَانَتْ مَوْجُودةً بَينَ الشَّعْبِ اليَهُودِيِّ. فَكَانَ هَذا الرَّجُلُ ضابطاً لفِرقَةٍ مِنَ الجُنْدِ هُنَاكَ، فَهُوَ عِنْدَ الرُّومانِ قِيادِيٌّ لمائَةِ جُنْدِيٍّ. كَانَ مَرؤُوسًا وَرئِيسًا. فكمَرؤُوس كَانَ مُطِيعًا؛ وكَرَئيس كَانَ يُصْدِرُ الأَوامِرَ. . . ومَعَ أَنَّ الرَّبَّ لَمْ يَدْخُلْ جَسَديًّا بَيتَ هذا الرَّجُلِ، إلاّ أَنَّ جَلالَهُ كَانَ حَاضِرًا. فَالرَّبُّ نَفْسُهُ ظَهرَ بجَسَدِهِ بَين شَعْبِ عَهْدِهِ. لَمْ يُولَدْ في بَلَدٍ آخر. مَا تألَّمَ أو مشَى أو عانَى المُعَانَاةَ الإنسانِيَّةَ أَو صَنَعَ المُعْجِزَاتِ في أُمَّةٍ أُخْرَى. لَمْ تَحْدُثْ هَذِه الأَشياءُ بَينَ أُمَمٍ أُخْرَى. ومَعَ ذَلِكَ، عبر قَائِدِ المَائَةِ تَمَّتِ النُّبُوَّةُ الَّتي تَتحدَّثُ عَنْهُ: «أُناسُ لَم أَعْرِفْهُم خَدمُونِي». وَكَيْفَ لا يَعْرِفُهُ قَائِدُ المائَةِ؟ «بآذانٍ مُرهَفَةٍ يَسْمَعُونَنِي».[١١] الموعظة ٦٢. ٢.[١٢]

٨: ١١-١٢ وَيُجَالِسُونَ إبراهِيمَ وَإِسحَقَ وَيَعقوبَ في مَلَكُوتِ السَّماوَاتِ

كَثيرونَ يُجَالِسُونَ إبراهيمَ. أوغسطين: أَوَرأَيتم مَا سمِعتُمُوه في الإنجيلِ أَنَّ مَا هُوَ آتٍ حَاضِرٌ الآنَ. يُثْنِي يَسُوعُ، في كَلامِهِ، على إيمَانِ قَائِدِ المائَةِ، الذي كَانَ مِنَ الغُرَباءِ مِنْ حَيْثُ الجَسدُ وَمِنْ آلِ البَيْتِ مِنْ حَيْثُ القَلْبُ. أقولُ لَكُم «كَثيرُونَ مِنَ النَّاسِ سيأتُونَ مِنَ المشَارِقِ والمَغارِبِ ويُجالِسُون إبراهيمَ وَإسحَقَ وَيعْقُوبَ في مَلَكُوتِ السَّماواتِ. وأمَّا بَنُو الملكوتِ فيُطْرَحُونَ في الظُّلمَةِ البرَّانيَّة». مَن هُمْ أَبنَاءُ المَلَكُوتِ؟ إنَّه يَتكَلَّمُ على شَعْبِ

---

[٩] 01-901 KGKM

[١٠] 771 :01 1 FNPN ;533 :75 GP

[١١] مزمور ١٨: ٤٣- ٤٤ (١٧: ٤٣- ٤٤).

[١٢] 992 :6 1 FNPN ;614 :83 LP

العهْدِ الَّذي تسلَّمَ الشَّريعةَ، والذي إليْهِ أَرسَلَ الأَنبيَاءَ، ولَهُ أُعْطِيَ الهيكَلُ والكَهنَةُ. كَانُوا قدِ احتَفَلُوا بصُوَرِ الأُمُورِ الآتيَةِ. لكِنَّ هذِهِ الأُمُورَ الَّتي يحْتَفِلُونَ بهَا رمْزيًّا لمْ يعْتَرِفُوا بوجُودِهَا عِندمَا تحقَّقَت أَمَامَهُم. إنَّهم لهذَا السَّبَبِ «يُطْرحُونَ في الظُّلمةِ البرَّانيَّةِ حيثُ البُكَاءُ وصَريفُ الأَسْنَانِ».[١٣] يُطْرَحُ اليهودُ خَارِجًا، ويُدْعَى المسِيحيُّون مِنَ المَشَارِقِ والمَغَارِبِ إلى المَائدةِ السَّماويَّةِ ويُجَالِسُونَ إبراهيمَ وإسحَق ويعقُوبَ، فَخُبْزُهُ برٌّ وكَأسُهُ حِكْمَةٌ. موعظة ٦٢. ٦.[١٤]

١٣:٨ شُفِيَ غُلامُه

كَمَا آمنتَ. إيريناوس: لا إكرَاهَ عِندَ اللهِ. رِضَاهُ حَاضِرٌ مَعَهُ دَائمًا. يُسْدِي النَّصيحَةَ الصَّالِحَةَ إلَى البَشَرِ والمَلائكَةِ (وهِي كَائنَاتٌ نَاطِقَةٌ)، الَّذينَ أَعْطَاهُم حُرِّيَّةَ الاختيَارِ، لكَي يمْلكَ ببرِّ الطَّائعِين مَا هُوَ صَالحٌ. إنَّه مُعْطَى مِنَ اللهِ، لكِنَّهُ محْفُوظٌ مِنْ قِبَلِهِم. . . . يمْلِكُ البَشَرُ حُرِّيَّةَ الإِرادَةِ مُنْذُ البَدءِ، واللهُ يمْلكُ حُرِّيَّةَ الإرادَةِ الَّتي خَلَقَتِ البَشَرَ عَلى مِثَالِهَا. يتَلقَّى البَشَرُ دومًا النُّصْحَ بالتَّمسُّكِ بالصَّالحِ والاستِجَابَةِ للهِ. لا بالأَعْمَالِ فَحَسْب، بَلْ بالإيمَانِ أَيضًا صَانَ اللهُ حُرِّيَّةَ الإرادَةِ الإنسَانيَّةِ تحْتَ عِنَايَتِهِ. . . هَذَا مَا يَظْهَرُ مِنْ كَلامِ يسُوعَ إلَى قَائدِ المَائةِ: «إذْهَبْ، وليَكُنْ لَكَ عَلَى قَدْرِ إيمَانِكَ». ضِدَّ النِّحل ٣. ٣٧. ١، ٤–٥.[١٥]

[١٣] متّى ١٨: ١١– ١٢.
[١٤] PL 38: 417; NPNF 1 6:300 (Sermon 12); cf. WSA 3 3:158-59.
[١٥] ANF 1: 518-20.

٨: ١٤–١٧ إتمَامُ النُّبوءَةِ: شِفَاءُ المَرْضَى وطَرْدُ الأَرْوَاحِ النَّجِسَةِ

[١٤]ودخَلَ يَسوعُ إلى بيتِ بُطرُسَ، فرأى حَماةَ بُطرُسَ طَريحةَ الفِراشِ مُصابةً بالحُمَّى. [١٥]فلمَسَ يدَها، ففارَقَتْها الحُمَّى. فقامَتْ وأخَذَتْ تَخدُمُهُ. [١٦]وعِندَ المساءِ، أتَوه بكثيرٍ مِنَ الَّذينَ فيهِم شياطينُ، فأخرَجَ منهم الأرواحَ بكَلِمةٍ، وشفَى جميعَ المَرضى. [١٧]فتَمَّ ما قيلَ على لسانِ النَّبيِّ إشعيا: «أخذَ أسقامَنا وحمَلَ أمراضَنا».

نَظْرَةٌ عَامَّةٌ: دَخلَ يَسوعُ كُوخَ صَيَّادِ السَّمك لِيُظْهِرَ مِقْدارَ الفَضْلِ المَمْنُوحِ لِتِلْمِيذِه (الذَّهبيُّ الفَم). فَواصَلَ شِفاءَ النَّاسِ إِلَى المَساءِ (كيرلّس الإسكندريّ). إنَّ للأَمْراضِ كُلِّها، ولِلموتِ أيضًا، جُذورًا في الخَطِيئَةِ الَّتي كانَ يَسوعُ يَغْفِرُها (الذَّهبيُّ الفَم). وهَذا أَظهَر أَنَّ المَسيحَ أَصبَحَ مَصْدَرَ شِفاءِ البَشَرِ لا في نَشاطِهِ فَحَسب، بَلْ أيضًا في رَغْبَتِه في أَنْ يَتَأَلَّمَ مِنْ أَجْلِنا (أبوليناريوس). كانَ يَسوعُ يُعَلِّمُ تَلاميذه باستِمْرارٍ أَنَّ الخَيرَ العامَّ يَجِبُ أَنْ يُفَضَّلَ عَلَى المَصْلَحةِ الشَّخْصِيَّةِ (الذَّهبيُّ الفَم).

٨: ١٤-١٥ شِفَاءُ حَمَاةِ بُطرس

مَرَضُ حَماةِ بُطْرُس. الذَّهبيُّ الفَم: على رُغْمِ أَنَّ حَماةَ بُطرُسَ كانَتْ طَرِيحةَ الفِراشِ لِحُمَّى شَديدةٍ أصابَتها، فإنَّه لَمْ يُلِحَّ عَلَى السَّيِّدِ في دُخُولِ بَيْتِه، بَلْ انتظَرَه أَوَّلاً لِيُنْهِيَ تَعْلِيمَهُ وَيَشْفِي جَمِيعَ المَرْضَى، ثُمَّ التَمَسَ مِنْهُ ذلِكَ. هكَذا تعلَّمَ بُطرُسُ، مُنْذُ البَدءِ، أَنْ يُفَضِّلَ أُمُورَ الآخَرينَ عَلَى أُمُورِه... لَمْ يُدْخِلْهُ بُطرُس، بَلْ دَخَلَ مِنْ تِلْقاءِ نَفْسِهِ بَيتَه لِيُظْهِرَ مِقْدارَ الفَضْلِ المَمْنُوحِ لِتِلْمِيذِه. عِلاوةً عَلَى ذَلِكَ، أَدْرَكُوا مِنْ أَيِّ نَوْعٍ كانَتْ بُيُوتُ الصَّيادِين. لَمْ يَزْدَرِ بِدُخُولِ أَكْواخِهِم الوَضِيعَةِ، مُعلِّمًا إيّانا بِكُلِّ طَرِيقةٍ أَنْ نَطأَ الكِبرِياءَ. إنجيلُ مَتَّى، الموعظةُ ٢٧. ١.[١]

٨: ١٦ الشِّفَاءُ وَطَرْدُ الأَرواح

في ذَلِكَ المَساء. كيرلّس الإسكندريّ: لِماذا لَمْ يُحْضِرْ أَيٌّ منهم المَرْضَى إِلَيهِ نَهارًا؟ الأَرْجَحُ أَنَّ ذلِكَ حَصَلَ احتِرامًا لِعُلَماءِ الشَّرِيعَةِ والفَرِّيسيِّين، أو لِخَجَلِهِم مِنْ أَمْراضِهِم، مِثل نيقوديموس، أو لأَنَّه لَمْ يَكُنْ هُناكَ مَنْ يَحْمِلُ المَرضَى إليه. المقطع ٩٥.[٢]

٨: ١٧ أَخَذَ أَوْجَاعَنَا وَحَمَلَ أَمْرَاضَنَا

شَفَانا مِنَ الخَطِيئَةِ وَالموت. الذَّهبيُّ الفَم: أَوَرَأَيتَ إِذًا الجَمْعَ المُتَزايِدَ في الإيمان؟ فَحَتَّى عِنْدَما حَانَ الوَقْتُ لِيَنصَرِفوا، تَرَدَّدوا في الرَّحِيلِ، وَلَمْ يَحْسَبُوا تَقْدِيمَ مَرْضاهُم إِلَى السَّيِّدِ في المَساءِ أَمرًا في غَيرِ أَوانِه. لَكِنْ، لاحِظْ كَيفَ أَنَّ الإِنجيليِّين لَمْ يُشِيرُوا إِلَى عَدَدِ الَّذين نالُوا الشِّفاءَ. لَمْ يَذكُرُوهُم واحِدًا واحِدًا، لَمْ يُخْبِرُوا عَنْهُم، بَلْ أَوجَزُوا، بِكَلِمَةٍ واحِدَةٍ، أَنَّه صَنَعَ جَمًّا مِنَ المُعْجِزاتِ لا يُوصَفُ. فَلِئَلاَّ تَقُودَنا عَظَمَةُ المُعْجِزةِ إِلَى الكُفْرِ ثانِيةً بِأَنَّهُ

---

[١] GP 75:343-44; NPNF 1 10:184-85

[٢] MKGK 182-83

كَانَ يَجِبُ عَلَى السَّيِّدِ أَنْ يُعْتِقَ الجمْعَ العَظِيمَ مِنَ النَّاسِ، وَيَشْفِيَهُم مِنْ أَمْرَاضِهِم المُتَنَوِّعَةِ فِي لَحْظَةٍ مِنَ الزَّمَانِ واحِدَةٍ، أَورَدَ الإنجيليُّ قَوْلَ النَّبيِّ لِيشْهَدَ عَلَى مَا يَحْدُث، مُشِيرًا إِلَى وَفرةِ البراهينِ الَّتي لَدَيْنَا مِن الكِتَابِ المُقَدَّس فِي كُلِّ حَالَةٍ. لَيْسَ لَدينَا أَكْثَرُ مِنَ الآيَاتِ ذاتها؛ ويَقُولُ إِنَّ إشعيا أَيضًا قد تَكَلَّمَ عَلَى هَذِهِ الأُمُورِ: «فَحَمَلَ أَحْزَانَنَا وَتَحَمَّلَ أَوْجَاعَنَا».[٣] لَمْ يَقُلْ «تَخَلَّصَ مِنْهَا»، بَلْ «أَخَذَهَا وَحَمَلَهَا»، مَا يَعْنِي لِي أَنَّ النَّبيَّ يَتَكَلَّمُ بالأَحْرَى عَلَى الخَطَايَا بِشَكْلٍ يَتَّفِقُ مَعَ يُوحنَّا القَائِلِ: «هُوذَا حَمَلُ اللهِ الَّذي يَرفَعُ خَطِيئَةَ العَالَمِ».[٤] فَكيفَ يُطَبِّقُ الإنجيليُّ النُّبُوءَةَ هُنَا عَلَى الأَمْرَاضِ؟ هَلْ بِقِراءَةِ النَّصِّ بالمَعْنَى التَّارِيخِيِّ، أَوْ بالتَّدليلِ عَلَى أَنَّ مُعْظَمَ أَمْرَاضِنا تَنْجُمُ عَنْ خَطَايَا النَّفْسِ؟ فَإِذا كَانَ لِلموتِ جُذُورٌ وَأَسَاسٌ في الخَطِيئَةِ، فَلِمَ لا يَصِحُّ أَنْ تَكُونَ غَالِبِيَّةُ أَمراضِنا هِي كَذلِكَ؟ فَمِن هُنَاكَ نَشَأَت آلامُنَا. إنجيلُ مَتَّى، الموعظة ٢٧، ١.[٥]

الإنسَانِيَّةُ تُشْفَى عبر آلامِ يَسوع. أبوليناريوس: في هَذَا القَولِ يُشيرُ إِشعيا إِلَى الصَّليبِ. لَكِنْ، لِمَاذَا استَخْدَمَ الإنجيليُّ هَذا القَوْلَ عِندَمَا أَشارَ إِلَى شِفَائِه المَرْضَى؟ بهذا كَشَفَ أَنَّ المَسِيحَ هُوَ مَصْدَرُ شِفَاءِ البَشَرِ لا فِي عَمَلِهِ فَحَسْب، بَلْ أَيضًا في رَغْبَتِه في أَنْ يَتَأَلَّمَ مِنْ أَجْلِنَا. بالإِهَانَاتِ الَّتي تَحَمَّلَها وَبِمَوتِهِ أَعَدَّ الحَيَاةَ لِكُلِّ البَشَرِ، وانتَصَرَ عَلَى الَّذين كَانُوا يَسعَونَ إِلَى الشَّرِّ. المقطع ٣٧.[٦]

---

[٣] إشعيا ٥٣: ٤.

[٤] يوحنَّا ١: ٢٩.

[٥] PG 57:345; NPNF 1 10:18

[٦] 11 KGKM

٨: ١٨-٢٢ طَبِيعَةُ التَّلمَذَةِ

[١٨] ورأى يَسوعُ جُمهوراً حَولَهُ، فأمرَ تلاميذَهُ بالعُبورِ إلى الشَّاطِئِ المُقابِلِ. [١٩] فدَنا مِنهُ أحدُ مُعلِّمي الشَّريعةِ وقالَ لَه: «يا مُعلِّمُ، أتبَعُكَ أينَما تَذهَبُ». [٢٠] فأجابَهُ يَسوعُ: «للثَّعالِبِ أوجرةٌ، ولِطُيورِ السَّماءِ أوكارٌ، وأمَّا ابنُ الإنسانِ فليس له موضعٌ يُسنِدُ إليه رأسَهُ».
[٢١] وقالَ لَه واحدٌ مِنْ تلاميذِهِ: «يا سيِّدُ، إيذن لي في أن أذهَبَ أوَّلاً وأدفِنَ أبي». [٢٢] فقالَ لَه يَسوعُ: «إتبَعْني ودَعِ المَوتى يَدفِنُوا موتاهُم!»

نَظْرَةٌ عَامَّةٌ: أَعْلَنَ يَسُوعُ لِتَلامِيذِهِ أَسْرَارَ اللهِ المُسْتَقْبَلَةَ بِأَكْثَرَ عُمقًا مِمَّا أَعْلَنَهُ لِلجُمُوعِ بِالأَمْثَالِ (كيرلّس الإسكندريّ). مَكَّنَ سامِعِيهِ مِنْ أَنْ يَرَوا بِوضُوحٍ أَكبَرَ دَوافِعَهُم الَّتي تَتَفاخَر وهِي ضَعِيفَة (الذَّهبيُّ الفم). بمُعْجِزَاتِهِ الهَادِئَةِ عَلَّمَهُم التَّحرُّرَ مِنَ التَّفَاخُرِ (ترتليان والذَّهبيُّ الفَم). الكِبرياءُ تُسرِعُ إِلَى اعتِرافٍ سَابِقٍ لأَوَانِهِ، فِيمَا يَتَبَاطَأُ الضَّعْفُ البَشَرِيُّ في إِنجَازِ العَمَلِ بِدِقَّةٍ (مكسيموس أُسقف تورين). يَجهَدُ الَّذِينَ يُشبِهُونَ الثَّعَالِبَ في إِخْفَاءِ خَطَايَاهُم، فِيمَا تُعْوِزُ الَّذِينَ يَسْرِقُونَ ثِمَارَ الآخَرِينَ نِعْمَةُ الاعتِرافِ (مكسيموس أُسقف تورين). لا يَدِينُ يَسوعُ عَلَنًا الَّذِينَ يَستَجْوِبُونَه بِقَصْدِ إِيذائِهِ، بَلْ يُجِيبُهم عَنْ أَفْكَارِهِم الخَفِيَّةِ، مُفْسِحًا في المَجَالِ أَمَامَهُم لِيُدْرِكُوا أَنَّهُم مَدِينُون (الذَّهبيُّ الفم). إِنَّ عِبَادَةَ اللهِ تَتَطلَّبُ وَضْعَ اللهِ فَوْقَ كُلِّ الاعتِبَاراتِ الَّتي نَظُنُّها غَالِيَةً، بما فِيهَا الرَّوابِطُ العَائِلِيَّة (كيرلّس الإسكندريّ). أَمِيتُوا فِيكُم كُلَّ مَا هُوَ دُنيَوِيٌّ، كَمَا تَقْتَطِعُونَ لَحْمًا مُصَابًا بِالأُكَالِ (أوريجنّس). لَمْ يَأْمُرْ يَسُوعُ بِالنَّيلِ مِنَ الكَرَامَةِ الوَاجِبِ تَقْدِيمُها إِلَى الآبَاءِ، بَل أَشَارَ إِلَى أَنَّه مَا مِنْ شَيءٍ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ أَكثرَ إِلحَاحًا مِمَّا يَتَعَلَّقُ بِمَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ. فَلا تَدَعُوا أَيَّ شَيءٍ يَعْلُو عَلَى سِيَادَةِ السَّمَاءِ الآتِيَةِ (الذَّهبيُّ الفم).

١٨:٨ العُبُورُ إِلَى الشَّاطِئِ المُقَابِلِ

التَّدرُّبُ عَلَى ضَبْطِ النَّفْس. الذَّهبيُّ الفَم: أَورَأَيْتَ مَرَّةً أُخرَى التَّحرُّرَ من الصَّلَفِ! يَقُولُ الإِنجِيلِيُّونَ الآخَرونَ إِنَّ يَسُوعَ أَمَرَ الشَّيَاطِينَ بِأَنْ لا يَقُولُوا مَنْ هُوَ.[1] وَهَذَا الإِنجِيلِيُّ يَقُولُ إِنَّه أَمَرَ الجُمُوعَ بِالانصِرَافِ. بِعَمَلِهِ هَذَا يُدَرِّبُنَا السَّيِّدُ عَلَى ضَبْطِ النَّفْسِ، وَيُهَدِّئُ في الوَقْتِ ذاتِهِ حَسَدَ اليَهُودِ، وَيُعَلِّمُنَا أَلاَّ نَفْعَلَ شَيئًا تَبَجُّحًا. إِنَّ السَّيِّدَ لَمْ يَكُنْ شَافِيًا الأَجْسَادَ فَحَسْبُ، بَلْ النُّفُوسَ أَيضًا، وَمُعَلِّمًا مَحَبَّةَ الحِكْمَةِ بِالإِعْلانِ عَنْ نَفْسِهِ، وَبِشِفَاءِ النَّاسِ مِنْ أَمْرَاضِهِم، وَبِعَدَمِ فِعْلِ أَيِّ شَيءٍ لِلتَّبَاهِي. فَهُم كَانُوا مُلْتَصِقِينَ بِهِ، مُحِبِّينَ لَهُ، مُعْجَبِينَ بِهِ، وَفي شَوقٍ إِلَى التَّطَلُّعِ إِلَيهِ. فَمَنْ يَوَدُّ الابتِعَادَ عَمَّن كَانَ يَصْنَعُ عَجَائِبَ كَهَذِهِ؟ وَمَنْ لا يَتُوقُ إِلَى رُؤيَةِ الوَجْهِ وَحدَهُ وَالفَمِ النَّاطِقِ بِكَلامٍ كَهَذَا؟ إِنجيلُ مَتَّى، الموعظة ٢٧. ٢.[2]

[1] كما في مرقس ١: ٣٤؛ لوقا ٤: ٤١.

[2] GP 57: 343-46; NPNF 1 10: 185-86

الـعُـبُـور إِلَـى حَـيَـاةٍ فِي الـرُّوحِ أَعْـمَـق. كيرلّس الإسكندريّ: يَأْمُرُ التَّلاميذَ وَحْدَهُم بـالعُبُورِ إِلَى الشَّاطِئِ المُقَابِلِ لِئلاَّ تُحْرَمَ الجُمُوعُ المُحْتَشِدَةُ حَوْلَه التَّلاميذ سَمَاعَ تَعَالِيمِه المُنَاسِبَةِ لَهُم. فَقَد أَعْلَنَ لتَلاميذِهِ أَسْرارَ الله المُسْتَقْبَلَةَ بأكثرَ عُمقًا مِمَّا أَعْلَنَه للجُمُوعِ بالأَمْثَال. التَّلاميذُ وَحدهُم تَخلَّوا عَمَّا في أَيدِيهِم وَتَبِعُوه طَلَبًا للتَّعلُّم. فَهُوَ يَـأمُرُهُـم بالـعُبُورِ مِنَ الـوَقـتِيَّـاتِ إِلَى الأَبديَّاتِ، ومِنَ الدُّنيويَّاتِ إِلَى السَّمَاويَّاتِ، ومِنَ الجَسَدِيَّـاتِ إِلَى الـرُّوحِيَّـاتِ. المقطع ٩٧.[٣]

١٩:٨ وَعدَه أَحَدُ مُعلِّمي الشَّريعَةِ قَائلاً لَه: «يا مُعلِّمُ، أَتبعُكَ أَيْنَما تَذهَبُ»

الكَشْفُ عَنِ القَلْبِ. الذَّهبيُّ الفَم: لِهَذا لَمْ يَدِنِ السَّيِّدُ صَرَاحَةَ الَّذينَ يَبْتَغُونَ الشَّرَّ، بَلْ كَانَ يَرُدُّ عَلَى ارتِيَابِهِم، تَارِكًا الأَمْرَ لَهُم وَحدَهُم لِيُدرِكُوا تَوبِيخَهُ... لَمْ تَكُنْ هَذِه كَلِمَاتِ مَنْ يَتَهَرَّبُ مِنْ عَالِمِ الشَّريعة، بَلْ جَاءَت كَلِمَاتُه لِيُسَفِّهِ رَأيَه السَّقِيمَ، فِيما يُعْطِيهِ، لَو شَاءَ ذَاكَ، أَمَلَ اتبَاعِهِ. وَلِكَي تَعْلَمَ شَرَّ عَالِمِ الشَّريعَةِ لَمْ يَقُلْ «أَنا مُسْتَعِدٌّ لاتِّبَاعِكَ» لَمَّا سَمِعَ هَذِهِ الأُمُورَ وَصَارَت ثَابِتَةً. لَقَد فَعَلَ المَسِيحُ هَذا بِوُضُوحٍ فِي أَمَاكِنَ أُخْرَى عِدَّة. إِنجِيلُ مَتَّى، الموعظة ٢٧. ٢.[٤]

الاعـتِـرَافُ السَّابِـقُ لأَوانِـه. مكسيموس أسقف تورين: كَانَ إِعْلانُ أَحَدِ عُلَمَاءِ الشَّريعَةِ فَورِيًّا، لَكِنَّهُ كَانَ صَلِفًا. فَكَانَ الرَّبُّ عَلَى وَشْكِ أَنْ تَنزِلَ بِه الآلامُ، وأَنْ يَنزِلَ إِلَى الجَحِيمِ وَأَنْ يصعَدَ إِلَى السَّمَاءِ. هَلِ الضَّعْفُ الإِنسَانِيُّ يُعينُهُ عَلَى اللَّحَاقِ بِهِ «حَيثُمَا ذَهَبَ»؟ هَذا افتِرَاضٌ أَكْثَرُ حَمَاقَةً مِنَ الاعتِرَافِ الدِّينِيِّ. بَعْدَ ذَلِكَ يَقُولُ الرَّبُّ للرَّسُولِ بطرس، لَمَّا ادَّعى أَنَّه يَتْبَعُ المُخَلِّصَ مَهمَا تَفَاقَمَتِ الظُّروفُ: «حَيثُ أَنَا ذَاهِبٌ لا تَقْدِرُ الآن على أَنْ تَتْبَعَني».[٥] وَلَمَّا أَصَرَّ بطرسُ قَائلاً في عِنادٍ إِنَّ المَوْتَ لَنْ يَفْصِلَهُ عَن يَسُوع، سَمِعَ أَنَّه سَيُنْكِرُ الرَّبَّ ثَلاثَ مَرَّاتٍ. في هَذا تَوبِيخٌ لِكِبريائِهِ. إِنَّ مَنْ وَعَدَ، في أَثنَاءِ اعتِرَافِهِ بالمَسِيحِ، بِأَنَّهُ لَنْ يَنْفَصِلَ عَنهُ حَتَّى الموت، أَنكَرَه عِندَمَا وَاجَهَتهُ الجَارِيَةُ بِسُؤَالٍ بَسِيطٍ كُلَّ البَسَاطَةِ. الموعظة ٤١. ٣.[٦]

---

[٣] 381 KGKM
[٤] GP 75:643-74; NPNF 1 10:186
[٥] يوحنّا ١٣: ٣٦.
[٦] CCL 32:165; ACW 50:102

٢٠:٨ لَيسَ لَهُ مَوْضِعٌ يُسنِدُ إِلَيهِ رَأْسَه

اتِّبَاعُ نَمُوذَجِ تَواضُعِ الرَّبِّ. ترتليان: كَانَ يُوسُفُ وَدَانيالُ عَبْدَين، لكنَّكَ أَنتَ لَستَ عَبْدًا لأَحَدٍ، أَنتَ عَبْدٌ فَقَطْ لِلْمَسِيحِ الَّذي حَرَّرَكَ مِنْ أَسْرِ العَالَمِ. فَالوَاجِبُ يَقضِي بِأَنْ تَقْتَدِيَ بِنَمُوذَجِ الرَّبِّ. فَهُوَ مَشَى مُتَوَاضِعًا وَمَغْمُورًا، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ بَيْتٌ. «وَأَمَّا ابنُ الإِنسَانِ فَلَيْسَ لَهُ مَوضِعٌ يُسنِدُ إِلَيهِ رَأْسَه».[٧] لم يكُنْ مُتَأَنِّقًا في لِبَاسِه. أَلَمْ يَقُلْ: «وَالَّذينَ يَلْبَسونَ الثِّيَابَ النَّاعِمَةَ هُمْ في قُصُورِ المُلُوكِ...»[٨] ما مَارَسَ الضَّغطَ على أَتْبَاعِهِ... وَقُصَارَى القَوْلِ أَنَّه ابتَعَدَ، وَهُوَ يَعي مَلَكُوتَهُ، عَنِ الَّذينَ أَرَادُوا أَنْ يُقِيمُوه مَلِكًا. في عبادةِ الأَصنام ١٨. ٤-٥.[٩]

العَيشُ كَالثَّعْلَبِ. مكسيموس أُسقف تورين: إِنَّ كُلَّ مَسِيحِيٍّ رَاغِبٍ في أَنْ يُخْفِيَ خَطَايَاهُ يُشبِهُ، داخِلِيًّا، الثَّعْلَبَ. فَكَمَا أَنَّ الثَّعلَبَ يَعِيشُ في مكَانٍ خَفِيٍّ بِسَبَبِ خِدَاعِهِ، هَكَذَا يُخْفِي الآثِمُ ذاتَه في وَكْرِه صَامِتًا لِمَعْرِفَتِهِ بِخَطَايَاه. وَكَمَا أَنَّ الثَّعْلَبَ لا يَجْرُؤُ عَلَى كَشْفِ خِدَاعِ أَعْمَالِهِ بَينَ النَّاسِ، هَكَذا يَخْجَلُ الخَاطِئُ مِنَ الاعتِرَافِ بِشُرُورِ حَيَاتِهِ في الكَنِيسَةِ. مَنْ نَصَبَ فَخًّا لِجَارِهِ كَانَ ثَعْلَبًا، لأَنَّه يسعَى كُلَّ يَومٍ إِلَى قَضْمِ أَمْلاكِ الآخَرِينَ وَسَرِقَةِ ثِمَارِهِم وَالتِهَامِ حَيَوانَاتِهِم -مَا هُوَ مَأْلُوفٌ في أَيَّامِنا- وَالقَبْضِ عَلَى الخَنَازِيرِ كَالذِّئَابِ، لا عَلَى الدَّجَاجِ فَقَط، كَمَا تَفْعَلُ الثَّعَالِبُ. باستِطَاعَةِ هذا الإِنسانِ أَنْ يَعِيشَ مِنْ عَمَلِهِ، غَيرَ أَنَّهُ يُفَضِّلُ الاختِطَافَ كَحَيَوانٍ شَرِسٍ مُفتَرِسٍ. الموعظة ٤١. ٤.[١٠]

٢١:٨ وَاحِدٌ مِنْ تَلامِيذِهِ يَسأَلُهُ أَنْ يَدفِنَ أَبَاهُ

وَضْعُ اللهِ أَوَّلاً قَبْلَ العَائِلَةِ. كيرلّس الإِسكندريّ: سؤالُنا هَل نُقَدِّمُ إِكرَامَ اللهِ عَلَى إِكْرَامِ الأَبَوين. عِندَما يَتَعَارَضَان، عَلَى المرءِ أَنْ يَتَمَسَّك بِالوَاحِدِ وَيرذُلَ الآخَرَ،[١١] لاسِيَّما إذا كَانَ إِكْرَامُ الآبَاء يَحُولُ دونَ إِرضَاءِ اللهِ. الأَوَّلِيَّةُ هِيَ لِتَمْجِيدِ اللهِ لِنَقِيَ أَنفُسَنَا مِن مَسلَكِيَّةِ قَايين. إِنَّهُ قَدَّمَ الأُمُورَ الثَّانَوِيَّةَ لله. لَقَد حَرَّمَتِ الشَّرِيعَةُ القَدِيمَةُ عَلَى الكَهَنَةِ الاقتِرَابَ مِنْ مَيْتٍ وَالاهتِمَامَ بِخِدمَةِ عَائِلاتِهِم، كَمَا قَضَتْ بِعَدَمِ الرُّضوخِ

---

(٧) لوقا ٩: ٥٨؛ متّى ٨: ٢٠.

(٨) متّى ١١: ٨؛ لوقا ٧: ٢٥.

(٩) CCL 2:1119; ANF 3:72-73.

(١٠) CCL 23:166; ACW 50:103

(١١) أنظر متّى ٦: ٢٤.

لتعاطفٍ جسديٍّ.[١٢] وبتعاليم الشّريعةِ كانت الظِّلالُ، أمّا المسيحُ فقد علَّمَ بوضوحٍ أنَّ الرَّاغبَ في خدمةِ اللهِ يجبُ ألاَّ يدعَ أيَّ نسبٍ يُصْبحُ ذريعةً لانشغالِه عنْ أنْ يكونَ معَ المسيحِ. فمِنْ أجلِ فائدةِ الَّذين كانوا يصْحَبُونه، تغاضى المسيحُ نفْسُهُ حتّى عنْ أمِّه وإخْوته قائلاً: «مَنْ أمِّي، ومَنْ إخْوتي؟» و«هذه هي أمِّي».[١٣] المقطع ٩٨.[١٤]

٨:٢٢ «إتبعْني ودعِ الموتى يدْفِنُوا موتاهُم!»

أميتُوا ما هوَ أرضيٌّ فيكم. أوريجنّس: تُشيرُ الآيةُ «دعِ الموتى يدْفِنُوا موتاهُم!» إلى عدمِ إضاعةِ الوقْتِ في الأُمورِ الزَّائلةِ. «أميتُوا إذًا أعْضاءَكُم الَّتي في الأرضِ بما فيها مِنْ زِنَى ودَعارةٍ وشهْوةٍ وهوًى وطمعٍ وهُوَ عِبادةُ الأصْنام».[١٥] هذهِ الأُمورُ هي ميْتةٌ. فاطْرَحْها عنْكَ واقطعْها كأنّك تقتطِعُ، حِرصًا على سلامةِ الجسمِ، لحْمًا مُصابًا بالأُكالِ. أفلا تسْمعُونَ القوْلَ: «دَعِ الموتى يدْفِنُوا موتاهُم!».[١٦] لكِنْ يبْدُو الأمْرُ لبعْضِهِم شاذًّا ومتُناقِضًا، إذْ لا يسْمَحُ المُخلِّصُ للتِّلميذِ بأنْ يدفنَ أباهُ. يبْدُو مثلُ هذا التَّصرُّفِ غيرَ إنسانيٍّ. لكِنَّ يسوعَ لا يَمْنعُ النَّاسَ مِنْ دفْنِ الميْتِ فعلاً، إنَّه، بالأحْرَى، يُقدِّمُ على هذا العملِ التَّبْشيرَ بملَكُوتِ السَّماواتِ الَّذي يُحيي كُلَّ إنسانٍ.[١٧] أمَّا بالنِّسبةِ إلى دفْنِ الجسدِ، فكانَ هُناكَ كثيرون قادِرينَ على القيامِ بهذا العمَلِ. المقطع ١٦١.[١٨]

الأُمورُ الأوَّليَّةُ تأتي أوَّلاً. الذَّهبيُّ الفَم: أورأيتَ الفَرْقَ؟ كيْفَ يقولُ أحدُهُم قولاً مُشينًا «سأتْبعُكَ أينما تذْهبُ»، لكِنَّ الآخرَ، مَعَ أنَّه طلبَ فِعْلَ شيءٍ مُقدَّسٍ، قالَ «إئذنْ لي». ومعْ ذلكَ لمْ يأْذَنْ لهُ، بلْ قالَ: «إتبعْني ودعِ الموتى يدْفِنُوا موتاهُم. أمَّا أنتَ فاتبعْني». كانَ السَّيِّدُ ينْظُرُ إلى النِّيَّةِ. قد يَسْأَلُ سائلٌ لماذا لمْ يأْذنْ لهُ؟ فمِنْ ناحيةٍ، هؤلاءِ أتمُّوا ذلكَ الواجِبَ، والميْتُ دُفِنَ؛ ومِنْ ناحيةٍ أُخْرَى، لمْ يكُنْ لائقًا بهذا الإنْسانِ أنْ يُحْرَمَ الأُمورَ الأكثرَ ضَرُورةً.... قد يَسْأَلُ أحدُهُم: ألَمْ يكُنْ عدمُ حُضُوره دفْنَ أبيهِ مُنْتهى العُقُوقِ؟ إذا فعلَ ذلكَ إهْمالاً كانَ ناكِرًا للجميلِ، أمَّا إذا لمْ ينقطِعْ عن عملِ

[١٢] لاويّين ٢١: ١١.
[١٣] متّى ١٢: ٤٨، ٥٠.
[١٤] KGKM 48-381
[١٥] كولوسّي ٣: ٥.
[١٦] متّى ٨: ٢٢.
[١٧] لوقا ٩: ٦٠
[١٨] SCG 08:1.14

أَكْثرَ أهميَّةً فإنَّ تغيُّبه يُعتبَرُ مُنْتَهى نُكْرانِ الجَمِيلِ. فيَسُوعُ منعَهُ لا ليُهمِلَ واجِبَ الإكرامِ للوالِدين، بَلْ ليُفهِمَه أنَّه مَا مِن شَيءٍ أَكثرُ أهميَّةً وأَلَحُّ ضَرُورةً مِن السَّماويَّات، وأنَّه علَينا أنْ نَلْتصِقَ بهَا بكُلِّ اجتِهادٍ، وألاَّ نُؤجِّلَها ولَوْ لوَقْتٍ قَصِيرٍ، على رَغْمِ أنَّ انهِماكَنا أَساسِيٌّ ومُلِحٌّ جِدًّا. إنجيلُ متَّى، الموعظة ٢٧. ٣.[١٩]

[١٩] PG 57:347-48; NPNF 1 10:187

٨:٢٣–٢٧ تَهْدِئَةُ العَاصِفَةِ

وركِبَ القارِبَ، فتبِعَهُ تلاميذُهُ. [٢٤]وهبَّتْ عاصِفةٌ شديدةٌ في البَحرِ حتى غمَرتِ الأمواجُ القارِبَ. أمَّا هُوَ فكَانَ نائمًا. [٢٥]فدَنا مِنهُ تلاميذُهُ وأيقَظوهُ وقالوا لَه: «نجِّنا يا ربُّ، فنحنُ نَهلِكُ!» [٢٦]فأجابَهُم يَسوعُ: «ما لكُمْ خائِفينَ، يا قليلي الإيمانِ؟» ثُمَّ قامَ وانتَهرَ الرِّياحَ والبحرَ، فحدَثَ هُدوءٌ تامٌّ. [٢٧]فتعَجَّبَ النّاسُ وقالوا: «مَنْ هذا حتى تُطيعَهُ الرِّياحُ والبحرُ؟»

نَظْرَةٌ عامَّةٌ: أخذَ يَسُوعُ مَعَهُ الَّذِينَ كَانَ يُعلِّمُهُم ليكونُوا نُصَراءَ الإنجيلِ، ولِيُدرِّبَهُم عَلَى مُقاوَمَةِ اليَأْسِ (الذَّهَبِيُّ الفَم). بَقِيَ يَسوعُ نائمًا في القارِبِ حتَّى اشتِدادِ العَاصِفَةِ، عِندَهَا تُختَبَرُ مَهارَةُ المَلاَّحِ (كروماتيوس). استَنجَدَ التَّلاميذُ الخائِفُونَ بسَيِّدِ العَناصِرِ كُلِّها (كروماتيوس). نَامَ ليَمتَحِنَ خَوفَهُم. أَجازَ هُبُوبَ العَاصِفَةِ ليَفْهَمُوا أنَّه مُخلِّصُهُم. نومُهُ دَلَّ عَلَى أنَّه كَانَ إنسانًا. أمَّا تَهدِئتُه البَحْرَ فأَعلَنَتْ أنَّه الله (الذَّهَبِيُّ الفَم). اليَوْمَ يُهَدِّئُ المَسِيحُ الأَمْوَاجَ الَّتي تُحِيطُ بسَفِينَةِ الكَنِيسَةِ، ليُشِيرَ بكُلِّ تأكِيدٍ إلى أنَّه سيَتَغَلَّبُ عَلَى الأَزْمَةِ الَّتي تُهَدِّدُ تارِيخَ الإنسَانِ السَّاقِطِ بالتَّحطِيمِ (بطرس خريسولوغس).

٨:٢٣ وركِبَ القارِبَ

تَدْرِيبُهُم عَلَى مُقَاوَمَةِ اليَأْسِ. الذَّهَبِيُّ

الفم: لَمْ يأخُذْ يَسوع معه تلاميذه عبثًا أو جزافًا، بَلْ ليَجْعلَهُم شُهُودَ عيانٍ علَى مُعجزَةٍ كانَتْ علَى وَشْكِ الحدُوث. فكأفْضَل مُدرِّبٍ كانَ يُمرِّنهم للوصُولِ إلى هدفَين معًا: ألاَّ يَرْتَعِبُوا في الشَّدائِدِ، وأنْ يُقلِعُوا عَنْ كِبْرِهِم. ولئلاَّ يَذهبَ بِهِم التِّيهُ كثيرًا صَرَفَ الجُمُوع وأبْقَاهُم قَريبينَ مِنهُ وسمَحَ للأمْواجِ بأنْ تتقاذفهُم. وبذلكَ مَرَّنَهُم ودَرَّبَهُم علَى احتمَالِ التَّجارِبِ بشَجاعَةٍ. كانَتِ العجائبُ السَّابقَةُ عَظيمةً، أمَّا في هَذِه فَقد حدثَ أيضًا تَدْريبٌ ليْسَ بالقَليل، وكانَتْ آيةً مُشابِهةً للآياتِ القديمةِ. لهذا السَّببِ كانَ السَّيِّدُ يأخُذُ تلاميذه وحْدَهُم معَهُ. فعِنْدما كانَ هُناك ظُهُورٌ للعجائبِ كانَ يأذنُ للنَّاس بأنْ يَحْضُرُوا؛ أمَّا عِنْدما كانَتِ التَّجاربُ والمَخاوفُ تتكاثفُ، فقَدْ دأَبَ علَى أنْ يأْخُذَ معَهُ الَّذينَ يُدرِّبُهم ليكُونُوا أبْطالَ العَالَمِ كُلِّه. إنجيلُ متَّى، الموعظة ٢٨. ١.[1]

٨:٢٤ هُبُوبُ العَاصِفَة

اشتِدَادُ العَاصِفةِ يَمْتَحِنُ مَهارَةَ المَلاَّح. بطرس خريسولوغس: حَتى البَحْرُ ظَهْرهُ المُهْتَاجُ للمسيحِ ليَمْشيَ عليْه. تحوَّلتْ قِممُ البَحْرِ إلى سَهْلٍ لأنَّ السَّيِّدَ ضَبطَ هيجَانَهُ وقَيَّدَ أمْواجهُ العَاتِيةَ، فأمسَى صَلْدًا كالصَّخْرِ، ليَسْتطِيعَ المَشيَ عليه عِبرَ مَجْرى المِياهِ. لِمَاذا هاجَ البَحْرُ جِدًّا، واهْتزَّ وعنُفَ، وكَأنَّهُ يُهدِّدُ خالِقَهُ؟ ولِمَاذا ظَهرَ المسيحُ نَفْسُه، العارِفُ بالمُسْتَقْبلِ، وكأنَّه غيرُ مُدْرِكٍ الحاضِرَ بحَيْثُ إنَّه لَمْ يُعِرِ العاصِفَةَ الشَّديدةَ اهتمامًا، ولَم يَكتَرِثْ بلحْظةِ ارتِفاعِها ووَقْتِ شِدَّتِها؟ فيما كانَ الجميعُ مُسْتَيْقِظِين كَانَ هو وحدَه مُسْتغرقًا في النَّومِ غيرَ عابئٍ بما يهَدِّدُه ويهدِّدُ أعِزَّاءه. لماذا؟ لا تَخْتَبِرُ السَّماءُ السَّاكنَةُ، يا إخْوتي، مَهارَةَ المَلاَّحِ، بَل العَاصِفَةُ. عِنْدَمَا يكُونُ النَّسيمُ لطيفًا، فإنَّ أقلَّ المَلاَّحِين مُمارَسَةً يَستطيعُونَ أنْ يُديروا السَّفِينةَ. لكنْ في أثْناءِ هُبُوبِ الرِّياحِ العَاصِفَةِ، فإنَّنا نرْغَبُ في أمْهرِ المَلاَّحِين. الموعظة ٢٠. ١.[2]

لِمَاذا يَنَامُ؟ الذَّهَبيُّ الفم: ينامُ السَّيِّدُ ليُعْطِي مَجالاً لجُبْنِ التَّلاميذِ، وليجْعَلَ إحْسَاسَهم بما كَانَ سيحْدُثُ واضِحًا... سَمَحَ بهُبُوبِ العَاصِفَةِ ليَحْصُلوا بنجَاتِهم علَى إحْسَاسٍ بالإحْسَانِ أفْضَل. إنجيلُ متَّى، الموعظة ٢٨. ١.[3]

---

[1] PG 57:349-50; NPNF 1 10:189

[2] CCL 24:116-17; FC 17:61-62

[3] PG 57:351; NPNF 1 10:190

٨:٢٥ فنحنُ نَهلِكُ!

سَيِّدُ العَناصِر. بطرس خريسولوغس: لَقَد فَشِلَتْ جُهُودُ التَّلاميذِ كَمَلاَّحِينَ على قدرِ مَا رَأَوا ذلِكَ. فَالبَحْرُ صَبَّ جَامَ غضَبِه علَيهِم، وَالأَمْواجُ كَادت تَبتَلِعُهم. فَهدَّدتهُم الرِّياح العَاصِفَةُ بِالفَنَاءِ. رَكَضُوا خَائِفين نَحْوَ مَلاَّحِ العَالَمِ، حَاكِمِ الكَوْن، وَسَيِّدِ العَناصِرِ. وَتَوسَّلُوا إِلَيهِ بِأَنْ يُهَدِّئَ الأَمْوَاجَ العَاتِيَةَ، وَيُبْعِدَ الخَطَرَ، وَيُنْقِذَهُم مِنْ حَالَةِ اليَأسِ المُسيطِرَةِ عَلَيهِم. الموعظة ٢٠. ١.[٤]

٨:٢٦ يسوعُ يَنْتَهِرُ عَناصِرَ الكونِ

مَا لَكُمْ خَائِفِينَ. الذَّهَبِيُّ الفَم: لَمْ يَفْعَلِ السَّيِّدُ هَذا بِحُضُورِ الجُمُوعِ، لِئَلاَّ يُدَانَ تَلامِيذُهُ عَلَى قِلَّةِ إِيمَانِهِم، لكنه أَخَذَهُم عَلَى انفِرَادٍ وَأَدَّبَهم. وَقَبْلَ انتِهَاءِ عَاصِفَةِ المَاءِ أَنهَى عَاصِفَةَ نُفُوسِهِم مُوبِّخًا إِيَّاهُم وَقَائِلاً: «مَا لَكُمْ خَائِفِينَ، يَا قَلِيلي الإِيمَانِ»؟ عَلَّمَهُم أَنَّ خَوْفَ النَّاسِ يَحْدُثُ لِضَعْفِ الذِّهْنِ لا لاقتِرَابِ التَّجَارِبِ. لَكِنْ إِذَا قَالَ أَحَدُهُم إِنَّ الاقتِرَابَ مِنَ السَّيِّدِ وَإِيقَاظَه لَمْ يَنْشَأْ عَنْ خَوفٍ أَو قِلَّة إِيمَانٍ، فَإِنَّنِي أَقُولُ هَذَا: إِنَّ ذَلِكَ الشَّيءَ ذاته كَانَ عَلامَةً استِثنَائِيَّةً تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَدَيهِم الاقتِنَاعُ الصَّحِيحُ بِهِ. فَلَقَدْ عَرَفُوا قُدْرَتَه عِندَمَا انتهَرَ البَحْرَ لَمَّا أُوقِظَ، أَمَّا أَنَّه كَانَ قَادِرًا عَلَى فِعْلِ هَذَا، حتَّى وَهُوَ نَائِمٌ، فَهَذَا مَا كَانُوا يَجهَلونَهُ. وَلِمَ تَتَعَجَّبُونَ مِنْ أَنَّ أَمْرَهم كَانَ هكَذَا، إِذْ كَانَ إِيمَانُهُم لا يَزَالُ مُتَزعزِعًا، حتَّى بَعْدَ مُعْجِزاتٍ أُخرَى كَثِيرَة. كثيرًا مَا أَنَّبَهُم السَّيِّدُ بِقَوْلِهِ إِنَّكم، حتَّى هَذه السَّاعَة، لا تَفْهَمُون. إنجيلُ مَتَّى، الموعظة ٢٨. ١.[٥]

يَا قَلِيلِي الإِيمَان؟ كيرلّس الإِسكَندَري: قَوْلُهُم «نَجِّنَا» يَمْتَدِحُ إِيمَانَهُم. أَمَّا قَوْلُهُم «نَحْنُ نَهلِكُ» فَيتَّهِمُ الرَّاجِينَ أَنْ يُبْحِرُوا مَعَ المَسِيحِ أَثْنَاءَ الخَطَر بِقِلَّةِ الإِيمَانِ. لَمْ يَكُونُوا فَاقِدِي الإِيمَانِ، بَلْ كَانُوا «قَلِيلِي الإِيمَانِ»، لأَنَّهم لَمْ يَتَشَجَّعُوا بِوُجُودِ المَسِيحِ مَعَهُم، وَالخَطَر يُحدِقُ بِهِم. المقطع ٩٩.[٦]

هُدُوءٌ تَامٌّ: بطرس خريسولوغس: يَرْكَبُ المَسِيحُ سَفِينَةَ كَنِيسَتِهِ، وَهُوَ دَائِمًا مُسْتَعِدٌّ لِتَهْدِئَةِ أَمْوَاجِ العَالَمِ. وَبِإِبْحَارٍ آمِنٍ يَقُودُ المُؤمِنِينَ بِهِ إِلَى الوَطَنِ السَّمَاوِيِّ، وَيَجْعَلُ خَلائِقَهُ مُشَارِكِينَ فِي نَاسُوتِهِ وَمُوَاطِنِينَ فِي أَرْضِهِ. المسيحُ لا يَحْتَاجُ إِلَى السَّفِينَةِ، أَمَّا السَّفِينَةُ فَتحتَاجُ إِلَى المَسِيحِ. تَعجَزُ سَفِينَةَ

---

(٤) LCC 42: 117; CF 17: 62

(٥) GP 57: 351; NPNF 1 10: 190

(٦) KGKM 184

الكَنِيسَةِ، بدُونِ القَائدِ السَّمَاويِّ، عَنْ أَنْ تَخُوضَ غِمَارَ بَحْرِ العَالَمِ، فَبِهِ تَصِلُ، على رَغْمِ كُلِّ الأَخطَارِ وَالعَرَاقِيلِ، إِلَى المِينَاءِ السَّمَاوِيِّ. المواعظ ٥٠. ٢.[٧]

٨:٢٧ فَتَعَجَّبَ النَّاسُ

مَنْ هُوَ هَذَا؟ الذَّهَبيُّ الفَم: كَيْفَ أَدْرَكُوا أَنَّه إِنْسَانٌ؟ أَوَّلاً مِنْ مَظْهَرِهِ، مِنْ نَومِهِ، وَمِنِ استخدامِهِ القَارِبَ. ولِذلِكَ وَقَعُوا في حَيْرَةٍ قَائلين: «مَنْ هُوَ هذَا؟» فَبَيْنَمَا أَظْهَرَهُ نومُه وَمَظْهَرُه إنسَانًا، أَعْلَنَهُ البَحْرُ وَائتمارُهُ بِأَمرِهِ أَنَّه اللّه. إنجيلُ متَّى، الموعظة ٢٨. ١.[٨]

حتَّى الرِّيَاحُ تُطِيعُهُ. بطرس خريسولوغس: بِأَمْرِهِ فَقَط سَيْطَرَ عَلَى البَحْرِ، وَكَبَحَ الرِّيَاحَ، وَأَلجَمَ الزَّوابِعَ، وأَعَادَ الهُدُوءَ. فَالَّذِينَ كَانُوا يَمخُرُونَ البَحْرَ بِسُفُنِهِم أَدْرَكُوا وَآمَنُوا وَاعْتَرَفُوا بِأَنَّه هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيءٍ. الموعظة ٢٠. ١.[٩]

(٧) LCC 42: 2 77-87

(٨) GP 75: 153-25; NPNF 1 10: 190

(٩) CCL 24: 117; FC 17: 62

٨:٢٨-٣٤ ممسوسُ الجرجسيّين

[٢٨]ولمّا وصَلَ إلى الشّاطئِ المُقابِلِ في ناحيةِ الجرجسيّينَ استقبَلَهُ رَجُلانِ مَمسوسَانِ خرَجا مِنَ المَقابِرِ. وكانا شَرِسَيْنِ جدًّا، حتى إنَّ أحدًا لم يَكُنْ يَستَطِيعُ أن يمُرَّ مِنْ تِلكَ الطَّريقِ. [٢٩]فأخذا يَصيحانِ: «ما لنا ولكَ، يا يسوعُ ابنُ اللهِ؟ أجئتَ إلى هُنا لِتُعذِّبَنا قَبلَ الأوانِ»؟

[٣٠]وكانَ يَرعَى علَى مَسَافَةٍ مِنهما قطيعٌ كبيرٌ مِنَ الخنازيرِ، [٣١]فتوسَّلَ الشّياطينُ إليه بقولِهِم: «إنْ طرَدْتَنا، فإيْذَنْ لنا في الذَّهَابِ إلى قطيعِ الخنازيرِ». [٣٢]فقالَ لَهُم: «اذهبوا!» فخرَجُوا ودَخَلُوا في الخنازيرِ، فاندفَعَ القطيعُ كُلُّهُ مِنَ المُنحَدَرِ إلى البحرِ وهَلَكَ في الماءِ. [٣٣]فهرَبَ الرُّعاةُ إلى المدينةِ وأخبَروا بما حدَثَ وبما جرَى للممسوسَين. [٣٤]فخرَجَ أهلُ المدينةِ كُلُّهُم إلى يَسوعَ. ولمّا رأَوْهُ طلَبوا إليهِ أنْ يرحَلَ عَنْ تُخُومِهِم.

نَظْرَةٌ عامَّةٌ: إنَّ المَمْسُوسَين وَقَعا في أَسْرِ الوَثَنِيَّةِ. فلقدْ كانا يَسكُنَان بَعِيدًا عَنِ الجَماعَةِ المُصلِّيةِ (كروماتيوس). أَعْلَنَت الشَّياطِينُ أنَّ ابنَ اللهِ جاءَ في وَقتٍ غَيرِ مُناسِبٍ (كيرلّس الإسكندريّ). ولَمَّا تَساقطَتْ مِنَ السَّماءِ تلقَّتِ الأَمْرَ بالدُّخُولِ في الخنَازِيرِ (بطرس خريسولوغس) الَّتي كانت مَسْكِنًا مُهَيَّأً لها (كروماتيوس). دَخلَت الشَّياطِينُ في الخنازِيرِ لتُظْهِرَ وَحشِيَّتَها في مُهاجَمَةِ البَشرِ الَّذين، بِشرِّهم، أَجَازُوا لَها أَنْ تَقْتَحِمَ الحرِّيَّةَ الإنسانِيَّةَ (بطرس خريسولوغس). طلَبُوا إلى يَسُوعَ أَنْ يَرْحَلَ عَنْ دِيارِهم، إذْ عَرفُوا أنَّهم كانُوا غَيرَ مُستحِقِّينَ حُضُورَهُ (جيروم). الرُّوحُ القُدُسُ لا يَدخُلُ نفْسًا مُنْحرِفَةً أَو يَسْكُنُ في جَسَدٍ مُستَعْبَدٍ للخَطِيئةِ (كروماتيوس).

٨:٢٨-٢٩ خَرَجَ المَمْسُوسَانِ مِنَ القُبُورِ

الجَانِبُ الآخَرُ. كروماتيوس: يَجِبُ فَهْمُ «الجَانِبِ الآخَرِ» بمعْناه البَسِيطِ. استنادًا إلى تَفسِيرٍ مَجَازِيٍّ، علَينا أنْ نُدرِكَ أنَّه كانَ للمَمْسُوسَينِ اللَّذين لقيا الرَّبَّ في أَرضِ الجرجسِيِّين، الَّتي هِيَ أَرْضُ الوَثَنِيِّينَ، مَا يكشِفُ عَنْ أنَّهُما مِنْ سُلالَةِ حَامٍ ويافِثَ، ابنَي نُوحٍ، المُتَمَيِّزَين عَنِ الشَّعْبِ اليَهُودِيِّ المُستَمِدِّ أَصلَهُ مِنْ سَامٍ الابنِ البِكْرِ لنُوحٍ. أَو يُفْهَمانِ وَكَأَنَّهما يُمَثِّلانِ كُلَّ الَّذين أَسَرَهُم إبليسُ في ضَلالِ الوَثَنِيَّةِ. فَكَانا مُثْقَلَين بسَلاسِلِ آثامِهِم وقُيودِ خطاياهُم. لَمْ يَقْطُنَا في مَدِينَةٍ بَينَ جَماعَةِ العَهْدِ حَيثُ كَانَتِ شرائعُ اللهِ ووَصَاياه سارِيةَ المَفْعُولِ، بَلْ كَانَا يَسكُنَانِ القُبُورَ ويَعْبُدانِ الأَوْثَانَ ويُكَرِّمَانِ ذِكْرَيَاتِ المُلُوكِ وصُوَرَ الأَمْوَاتِ. موعظةٌ حول متّى ٤٣. ٣.[١]

فَأَخَذَا يَصِيحَانِ. كيرلّس الإسكندريّ. كَانَتِ الطَّبِيعَةُ الإلهيَّةُ للابنِ الأَوْحَدِ تُحْرِقُ الشَّياطِينَ بلَهِيبِ نارٍ آكِلَةٍ. وكانَ المَسِيحُ يقْطعُ الطَّريقَ عَلَى أَعْنَفِ الشَّياطين، ويُبْطِلُ استِبْدادَ إبليس. أَمَّا الشَّياطِينُ فقالُوا «جِئتَ قبلَ الأَوانِ»، لأَنَّهم عَرَفُوا مِن قَوْلِ الكِتَابِ أنَّ المَسِيحَ سيَأتِي وَسيَدِينُهُم. فَأَشارُوا إِلَى أنَّ التَّجَسُّدَ حَدَثَ في غيرِ وقتِه، قَائِلِينَ إنَّه جَاءَ قَبْلَ الأَوانِ. لَيسَ عجبًا أَنْ يكُونُوا أَشْرارًا، وَأَنْ يجترئوا عَلى أنْ يقُولُوا هَذا. وَعلى رَغْمٍ مِن أَنَّهم عرفُوا أنَّهم سيُعاقَبُونَ، فقدْ كانُوا يقُولُونَ، بغَطْرَسَةٍ، «مَا لنَا وَلكَ؟» هُمْ يَعْرِفُونَ أَنَّ القاضِيَ الأَخِيرَ سيُصَفِّي

---

[١] LCC 8-704:a9

الحِسَابَ مَعَهُم، لأَنَّهم كَانُوا قَدْ خَالَفُوا وَصَايَاه. المقطع ١٠١.[٢]

تَوَسُّلُ إبليس. الذَّهَبيُّ الفَم: قَالَتِ الشَّيَاطِينُ: «أَجِئتَ إلى هُنَا لِتُعذِّبَنَا قَبلَ الأوان»؟ إنَّهم لا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يُنْكِرُوا أَنَّهم خطِئوا، لكِنَّهم يَأبونَ أَنْ يُعَاقَبوا قَبْلَ الأَوَان. ضَبَطَهُم السَّيِّدُ وَهُم يَرتَكِبُونَ كُلَّ مَا يُخَالِفُ الشَّرِيعَةَ وَيُشَوِّهُ الخَلِيقَةَ، فَخَشُوا أَنْ يُنزِلَ بِهِم العِقَابَ قَبلَ الموعِدِ المُعَيَّن، لِهَذَا التَمَسُوا إِليهِ وَسَأَلُوهُ. فَالَّذِينَ لَمْ يَحْتَمِلُوا حَتَّى قُيُودَ الحَدِيدِ جَاؤُوا مُقَيَّدِينَ، وَالَّذِينَ كَانُوا يَطُوفُونَ الجِبَالَ انطَلَقُوا إِلَى السَّهْلِ، وَالَّذِينَ كَانُوا يُعِيقُونَ الآخَرِينَ جَمِيعًا عَنِ العُبُورِ تَوَقَّفُوا لَدَى رُؤيَتِهِم السَّيِّدَ يَسُدُّ عَلَيْهِم الطَّرِيقَ. إنجيلُ متَّى، الموعظة ٢٨. ٢.[٣]

٨:٣٠ قَطِيعُ الخَنَازِير

عَلَى مَسَافَة. كروماتيوس: ترمزُ الخَنَازِيرُ الَّتِي دَخَلَتْ فِيهَا الشَّيَاطِينُ الشَّعْبَ الكَافِرَ النَّجِسَ الَّذِي يَرْعَى على مَقْرُبَةٍ مِنَ البَحْرِ، وَيَعِيشُ وَفْقَ خَطَايَا العَالَم. هَكَذَا أَظْهَرَتِ الخَنَازِيرُ ذاتها أَنَّها مَسْكَنٌ مُهَيَّأٌ للشَّيَاطِين. لَقَدْ عَاشَ هَذَا الشَّعْبُ قُرْبَ هَذَا البَحْرِ الدُّنْيَوِيِّ مُنْغَمِسًا في الضَّلالِ وفي الشَّهَوَاتِ القَاتِلَة. لذلِكَ كَانَ سَهْلاً أَنْ تَتَغلَّبَ عليه الشَّيَاطِينُ. مَوعِظَةٌ حَولَ مَتَّى ٤٣. ٥.[٤]

٨:٣١ الشَّيَاطِينُ تَتَمَلَّكُ عَلَى الخَنَازِير

مِنَ السَّمَاءِ إِلَى قُبُورِ القَذَارَة. بطرس خريسولوغس. يَطْلُبُ العَبِيدُ مُعَامَلَةً مُهِينَةً تُنَاسِبُ وَضْعَهُم: «أَرْسِلْنَا إِلَى قَطِيعِ الخَنَازِير» تَتَوَسَّلُ القَذَارَةُ أَنْ تُرْسَلَ مِنَ القُبُورِ إِلَى الخَنَازِيرِ، مِنْ غَيرِ أَنْ تُفَكِّرَ في التَّخَلُّصِ مِنْ رَائِحَتِهَا النَّتِنَة. «أَرْسِلْنا إِلَى قَطِيعِ الخَنَازِير». بَعْدَ أَنْ سَقَطَتْ مِنَ السَّمَاءِ، طَلَبَتِ القَذَارَةَ. وَبَعْدَ أَنْ عَاشَت في العَالَمِ العُلْوِيِّ، بَحَثَت عَنْ مُسْتَنْقَعِ الخنازير. «أَرْسِلْنَا إِلى قَطِيعِ الخَنَازِير». قَطِيعٌ يُرسَلُ إِلَى قَطِيعٍ، فَتَحْضُرُ عُصْبَةُ الشَّيَاطِين. يَتَحَمَّلُ رَجُلانِ مَا لَمْ يَستَطِعْ أَنْ يَتَحَمَّلَهُ قَطِيعٌ مِنَ الخَنَازِير. المواعظ ١٦. ٧.[٥]

٨:٣٢ هَلاكُ القَطِيع

لِمَاذَا دَخَلَتِ الشَّيَاطِينُ الخَنَازِيرَ. بطرس خريسولوغس. قَالَ لَهُم: «إذهَبوا!» لم تُسَلِّمْ

---

[٢] 58-481 KGKM

[٣] 191:01 1 FNPN ;35-253:75 GP

[٤] 804:a9 LCC

[٥] 101:42 LCC

حَيَوانَاتٌ كَريهةُ الرَّائحَةِ نُزولاً عِند رغبَةِ الشَّيَاطِينَ، بَلْ بسببِ شراستِها في مُهاجَمَةِ البَشَرِ. فَهِي تسْعَى سَعْيًا حَثِيثًا إِلَى تدْمِيرِ كُلِّ مَا يعْمَلُ ويتَحرَّكُ ويحْيا، وتبْتَغِي مَوْتَ النَّاسِ. فَهِي تَدَّخِرُ مُخَاصَمتَهَا القَدِيمَةَ وَضَغِينَتَهَا للبَشَرِ بِغَضَبٍ جَامِحٍ. فَالشَّيَاطِينُ لا تَسْتَسلِمُ بِسُهُولَةٍ مَا لَمْ تُؤخَذْ غِلابًا. فَهِي تُؤذِي بمَا تُؤْمَرُ أَنْ تَفْعَلَه. لِذَلِكَ أُسْلِمَت حَيَوانَاتٌ كَريهَةُ الرَّائحَةِ إيضاحًا للشَّيَاطِينِ بالسَمَاحِ لَهَا بالدُّخُولِ في الخَنَازِيرِ، لا في البَشَرِ. أَمَّا نحنُ فَبآثامِنَا نُمَكِّنُها مِنْ أَنْ تُصِيبَنا بالأذَى. لَكِنْ بقُدْرَةِ إيمَانِنَا نَدُوسُ أَعْنَاقَها، فَتُصْبِحُ خَاضِعَةً لَنَا تَحْتَ أَقْدَامِ المَسِيحِ المُنْتَصِرِ. المواعظ ١٦. ٨.[٦]

٣٣:٨ فَأَخْبَرَ الرُّعَاةُ بِمَا حَدَثَ

هَرَبُ الوثَنِيِّين. كروماتيوس: هَرَبَ الرُّعَاةُ أَمَامَ مَرْأَى القُدْرَةِ الإلَهِيَّةِ، وأَخْبَرُوا بِمَا حَدَثَ. فَتَوسَّلَ الشَّعبُ إِلَى الرَّبِّ أَنْ يَرْحَلَ عَنْ دِيَارِهِم. هَذا يرمُزُ إِلَى قَادةِ اليَهُودِ أو إِلَى كَهَنَةِ الأَوْثَانِ الَّذينَ كَانُوا يَبُثُّونَ ضَلالَهُم في شَعْبٍ كَافِرٍ، دَنِسٍ، وَيُطْعِمُونَهُم مِثْلَ الخَنَازِير إِلَى المَوتِ الأَبدِيِّ. موعظة حول متَّى ٤٣. ٥.[٧]

رَحِيلُ تَعْلِيمِ أَهلِ النِّحْلَةِ. كروماتيوس: قَد يُفْهَمُ هذا بطَرِيقَةٍ أُخْرَى، لأَنَّ هُنَاكَ مَعَانِيَ رُوحِيَّةً مُتَعَدِّدَةً، أَعْنِي أَنَّنا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَنْظُرَ إِلَى هَذَين المَمْسُوسَين بالمَعْنَى الوَاسِعِ وَكَأَنَّهُما شَعْبَان (وَثَنِيَّان) (كَمَا أَشَرْنَا سَابِقًا) تَحَرَّرا، بالكَلِمَةِ وَبِنِعمَةِ المَسِيحِ، مِنْ رِبَاطِ الشَّيَاطِينِ. قَدْ نُفَسِّرُ أَهْلَ النِّحْلَةِ بِمَعْنَى الخَنَازِيرِ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ جَمَاعَةِ المُؤمِنِينَ، وعَرَفُوا أَنَّهم قد رَحَلُوا. في هَذِه الحَالَةِ يَكُونُ الرُّعَاةُ زُعَمَاءَ أَهْلِ النِّحْلَةِ وَمُعَلِّمِي البَاطِل، الَّذينَ يُغَذُّونَ الخَنَازِيرَ الهَرَاطِقَةَ بِغذاءٍ دَنِسٍ قَذِرٍ مَمْلُوءٍ بالتَّعَالِيمِ السَّيِّئَةِ. يُغَذُّونَهم بالموتِ لا بالحَيَاةِ. هَؤلاءِ المُعَلِّمُونَ العُصَاةُ لا يُغَذُّونَهُم بالخُبْزِ السَّمَاوِيِّ ولا بِغِذاءِ الحَيَاةِ النَّافِعَةِ، إِنَّمَا بأَكْثَرِ التَّعَالِيمِ البَاطِلَةِ إِفْكًا وَكَذِبًا. موعظة حَوْل متَّى، ٤٣. ٦.[٨]

٣٤:٨ طَلَبُوا إِلَيهِ أَنْ يَرحَلَ عَنْ دِيارِهِم

غَيرُ مُسْتَحِقِّينَ لِحُضُورِ الرَّبِّ. جيروم: يَرجُونَهُ أَنْ يَرْحَلَ عَنْ دِيارِهِم، لا تَكَبُّرًا

---

(٦) LCC 42: 101

(٧) LCC 9a: 804-9

(٨) LCC 9a: 904

مِنهُم (إذ آمنَ الكثيرون) بَلْ تَواضُعًا. فَحكَمُوا عَلَى أنفُسِهم بأنَّهُمْ غيرُ مُستحِقّين حضُورَ الرَّبِّ، كَمَا حَدَثَ لِبُطرس الَّذي، بَعْدَ أَنْ أَصَابُوا سَمكًا كَثيرًا، جثَا علَى رُكبتَيهِ وَقالَ: «ابتَعِدْ عَنِّي، فإنَّني إنسانٌ خاطِئ». تَفسِيرُ متَّى، ٨.١. ٣٤.[٩]

تَوسَّلُوا إلَى الرَّبِّ بأَنْ يَرْحَلَ عَنهُم. كروماتيوس: إنَّ المدينَةَ الَّتي أَتوا مِنهَا لِيُلاقُوا الرَّبَّ، طالِبينَ مِنهُ أَنْ يَرحَلَ عَنْ دِيارِهِم، تُمثِّلُ المجْمَعَ اليَهودِيَّ الَّذي لَمْ يَشَأْ أَنْ يَتقبَّلَ الرَّبَّ وَمُخَلِّص الجنس البَشريِّ بَعْدَ مُعايَنةِ قُدْرَتِه الإلهيَّةِ. لذَلِكَ رَجعَ إلى مَدينَتِه، لأَنَّ المَجْمعَ رفَضَهُ، فَجاءَ إلَى كَنيسَتِهِ الَّتي تُسمَّى حَقًّا مَدينَةَ المَسيحِ. فَلمَّا رَآه الجرجسيُّون توسَّلُوا إليهِ أَنْ يَرحَلَ عَن دِيارِهِم. هُناكَ أَيضًا بَينَنا مَنْ هُم مِثلُهُم. فلِعَدمِ إيمانِهِم يَضطرُّون الرَّبَّ وَمُخلِّصَ العَالَمِ إلَى أَنْ يُغادِرَ قُلُوبَهُم، كَمَا جاءَ في الكِتَابِ المُقدَّس: «الرُّوحُ القُدُسُ لا يَدخُلُ نفْسًا مَاكِرةً ولا يَحُل بِجَسَدٍ تَسْتَعبِدُه الخَطِيئَةُ».[١٠] إنجيل متَّى، ٤٣. ٧.[١١]

---

(٩) 35:77 LCC

(١٠) حكمة ١: ٤.

(١١) 01-904:a9 LCC

٩:١-٨ يَسُوعُ يَشفِي كَسِيحًا

[١] فركِبَ يَسوعُ القارِبَ وعَبَرَ البُحيرَةَ راجعًا إلى مدينتِه. [٢] فجاءَهُ بعضُ النّاسِ بِكَسيحٍ مُلقًى على سَريرٍ. فلمّا رأى يَسوعُ إيمانَهُم قالَ لِلكَسيحِ: «تَشجَّعْ يا ابني، مَغفورَةٌ لكَ خَطاياكَ». [٣] فقالَ بَعضُ مُعلِّمي الشَّريعةِ في أنفُسِهِم: «إنَّ هذا لَيُجدِّفُ!». [٤] ورأى يَسوعُ أفكارَهُم، فقالَ: «لماذا تُفكِّرونَ السُّوءَ في قُلوبِكُم؟ [٥] أيُّما أيسرُ؟ أنْ يُقالَ: مغفورَةٌ لكَ خَطاياكَ، أمْ أنْ يُقالَ: قُمْ وامشِ؟ [٦] فلكي تعلموا أنَّ ابنَ الإنسانِ لهُ سُلطانٌ على الأرضِ ليَغفِرَ الخطايا» – قالَ لِلكَسيحِ: «قُمْ واحمِلْ سَريرَكَ واذهَبْ إلى بيتِكَ». [٧] فقامَ وذهَبَ إلى بيتِه. [٨] فلمّا شاهدَتِ الجموعُ ما جرى، تعجبوا ومَجّدوا اللهَ الّذي أعطى البشرَ مِثلَ هذا السُّلطانِ.

نَظْرَةٌ عَامَّةٌ: كَانَتِ النَّاصِرَةُ مَدينةَ يَسوعَ (جيروم)، وَمَعَ أَنَّهُ كَانَ رَبَّ العَالَمِ وَمُخَلِّصَهُ، فَالنَّاسُ الَّذينَ كَانَ يُسَاعِدُهُم فَضَّلُوا أَنْ يَرْحَلَ عَنْ دِيارِهِم (كروماتيوس). يُشيرُ شِفَاءُ الجَسَدِ إِلَى مَا وَرَاءَ ذَاتِه، أَي إِلَى شِفَاءِ النَّفْسِ (الذَّهَبِيُّ الفَم). أَثْنَى المَسيحُ عَلَى إِيمَانِ أَصْدِقَاءِ الكَسيحِ، لا عَلَى إِيمَانِ الكَسيحِ (جيروم). لا يَهدُرُ الطَّبيبُ وَقْتَه في تَحْقِيقِ رَغَبَاتٍ فَارِغَةٍ لِشَخْصٍ مُصَابٍ بِالهَذَيَان، بَلْ يُقبِلُ بِسَمْعِهِ عَلَى أَصْدِقَاءِ المَريض (بطرس خريسولوغس). لَقَد مَنَحَ يسوعُ غُفْرَانَ الخطَايَا وَأَظْهَرَ ثَمَّةَ قُدْرَتَه عَلَى إِعَادَةِ الصِّحَّةِ. بِحَمْلِ الكَسيحِ سَرِيرَه أَوْضَحَ المَسيحُ أَنَّ الجَسَدَ شُفِيَ مِنَ المَرَضِ وَالمُعَانَاةِ. أَخِيرًا، بِرُجُوعِ الكَسيحِ إِلَى بَيْتِهِ أَظْهَرَ يَسوعُ أَنَّ المُؤمِنينَ يَجِبُ أَنْ يُعَادَ لَهُم الطَّريقُ إِلَى الفِرْدَوْسِ (هيلاريون). إِنَّ مَنْ لَهُ السُّلطَانُ عَلَى غُفْرَانِ الخَطَايَا يَعْرِفُ وَحْدَه مَعْرِفَةً أَكِيدَةً مَا إِذَا كَانَت خَطَايَا الكَسيحِ قَدْ غُفِرَت (جيروم). وَبِالعِزَّةِ وَالقُدْرَةِ اللَّتين أَدْرَك بِهِمَا يَسوعُ أَفْكَارَ عُلَمَاءِ الشَّرِيعَةِ، صَفَحَ عَنْ خَطَايَا النَّاسِ (جيروم). بَيَّنَ المَسيحُ هُنَا أَنَّه هُوَ اللهُ الحَقُّ وَأَنَّه مُسَاوٍ لِمَن وَلَدَهُ (الذَّهَبِيُّ الفَم، وهيلاريون). فَخَطَايَا آدمَ غُفِرَتْ في المَسيحِ (هيلاريون).

٩: ١ رَجَعَ يَسوعُ إِلَى مَدينَتِهِ

مَدينَتُه. جيروم: يَجِبُ أَنْ نَفْهَمَ مَدِينَتَه على أَنَّهَا لَيْسَت سِوَى النَّاصِرَةِ، لِذَلِكَ سُمِّيَ نَاصِرِيًّا. تفسيرُ متَّى ١. ٩. ٢.[١]

نُفَضِّلُ أَنْ يَرْحَلَ عَنَّا. كروماتيوس: لَمَّا رَآه الجرجسيُّون تَوَسَّلُوا إِلَيهِ بِأَنْ يَرْحَلَ عَن دِيَارِهِم. هُنَاكَ أُنَاسٌ أَيضًا بَينَنَا مِثْلُهُم. فَلِعَدَمِ إِيمَانِهِم يَضطَرُّونَ الرَّبَّ وَمُخَلِّصَ العَالَمِ إِلَى أَنْ يُغَادِرَ نُفُوسَهُم، كَمَا جَاءَ في الكِتَابِ المُقدَّس: «الرُّوحُ القُدُسُ لا يَدْخُلُ نَفْسًا مَاكِرَةً وَلا يَحُلُّ بِجَسَدٍ تَسْتَعبِدُه الخَطِيئَة».[٢] إنجيلُ متَّى، ٤٣. ٧.[٣]

٩: ٢ فَجَاءَهُ بَعضُ النَّاسِ بِكَسيحٍ مُلقًى عَلَى سَرِيرٍ

إِيمَانُ أَصْدِقَاءِ الكَسيحِ. جيروم: جَاءَهُ بَعْضُ النَّاس، كَمَا قُلْنَا سَابِقًا، بِكَسيحٍ ثَانٍ مُلْقًى عَلَى سَرِيرٍ، لأَنَّه كَانَ عَاجِزًا عَنِ الدُّخول. «وَلَمَّا رَأَى يَسوع» إِيمَانَ أَصدِقَاءِ الكَسيحِ الَّذين أَتَوا بِه، لا إِيمَانَ الكَسيحِ، قَال لَه، «تَشَجَّعْ يَا ابني، مَغْفُورَةٌ لَكَ خَطَايَاك».

---

[١] LCC 45:77

[٢] حكمة ١: ٤.

[٣] LCC 01-904:a9

يا لَلتَّواضُعِ العَجيبِ! يُسمِّي هذا الكَسيحَ الذَّليلَ الواهِنَ ذا الأعْضاءِ المُفكَّكةِ «ابنًا» فيمَا لَمْ يَنْحَنِ الكَهَنَةُ للَمْسِه. إنَّه ابنٌ حقًّا، لأنَّ خطاياه قد غُفِرَت. مَجازيًّا، تَمْثُلُ النَّفْس القائِمَةُ في جَسَدِها مَعَ كُلِّ قُوَّةِ أعْضائِها أمامَ الرَّبِّ الطَّبيبِ لنَيْلِ الشِّفاءِ. إذا شُفِيَتِ النَّفْسُ برَحْمَتِه فإنَّها تَسْتَمِدُّ قُوَّةً تُمكِّنُها مِن حَمْلِ السَّريرِ. تفسيرُ متَّى ١. ٩. ٢.[٤]

رَأى يَسوعُ إيمانَهُم. بطرس خريسولوغس. لاحِظُوا هُنَا، يَا إخْوتِي، أنَّ اللّه لا يُحقِّقُ في حَاجَاتِ المُصابينَ بالأمْراضِ المُسْتَعْصِيَةِ. إنَّه لا يَنْتَظِرُ أنْ يَرى إيمانَ الجاهِلِ، أو يَمْتَحِنُ رَغَباتِ المريضِ الرَّعْناءَ. وَمَعَ ذلِكَ لا يَرفُضُ أنْ يُساعِدَ إيمانَ شَخْصٍ آخَرَ، فَيَمْنَحُ بالنِّعْمَةِ كُلَّ مَا يُناسِبُ المشيئَةَ الإلهيَّةَ. حقًّا، يا إخوتي، متى لَبَّى الطَّبيبُ أو استَجابَ لرغَباتِ المَرْضَى، فلأنَّ المَريضَ يَميلُ إلى أنْ يكونَ ذا عقْلٍ مُخالِفٍ لرَغباتِهِ وَمُتَطَلِّباتِه؟ المواعظ ٥٠. ٤.[٥]

مَغْفورَةٌ لكَ خَطاياكَ. هيلاريون: في سَرْدِ حَادِثَةِ الكَسيحِ نَرَى أنَّ بَعْضَ النَّاسِ أتوا بِه ليَشْفِيَه يسوعُ. فَكَانَ كَلامُ يَسوعَ الخَاصُّ بالشِّفَاءِ جَديدًا بالتَّفْكيرِ. فَهُوَ لَمْ يَقُلْ للكَسيحِ «فَلْتُشْفَ»، ولَمْ يَقُلْ له «قُمْ وامشِ»، لَكِنْ قالَ: «تَشَجَّعْ يا ابني، مَغْفورَةٌ لكَ خَطاياكَ». في المَسيحِ غُفِرَتْ كُلُّ خَطايَا آدَم. هُنَا يُؤتَى بمَنْ سَيُشْفَى عَلى يَدِ مَلائِكَةٍ خَادِمَةٍ لَه. وَهُنَا أيضًا يُدْعَى ابنًا، لأنَّه عَمَلُ اللّه الأوَّل، فتُغْفَرُ خَطاياه ويُصْفَحُ عَن مَعاصِيهِ الأُولَى. إنَّنا لا نَقْبَلُ بأنْ يَكونَ الكَسيحُ قد اقتَرَفَ أيَّةَ خَطيئَةٍ أدَّتْ إلَى مَرَضِهِ، لاسيَّمَا أنَّ الرَّبَّ قَالَ في مَكانٍ آخَرَ إنَّ العَمَى مِنَ الوِلادَةِ لم يكُنْ نَتيجَةَ خَطيئَةٍ ارتكَبَها أو خَطيئَةٍ جَنَاها عَلَيهِ أبَواه.[٦] في متَّى ٨. ٥.[٧]

٩:٣-٤ عُلَماءُ الشَّريعَةِ يُشكِّكُونَ في يَسوع

لماذا تُفكِّرونَ السُّوءَ في قُلوبِكُم؟

جيروم: نَقرأُ عِندَ النَّبيِّ كَلامَ اللّه: «أنَا هُوَ المَاحِي مَعاصِيكَ».[٨] فبِمَا أنَّ الفَرِّيسيِّين كَانُوا في تَفْسيرِهِم لكَلامِ اللّه يَدِينُونَ الآخَرينَ، فإنَّهم اتَّهَمُوه بالتَّجْديفِ. لَكِنَّ الرَّبَّ عَرَفَ أفْكَارَهُم وَأظْهَرَ نَفْسَه أنَّه هُوَ اللّه العَارِفُ خَفَايَا القُلُوبِ، فَخَرَجَ عَنْ صَمْتِهِ:

---

(٤) LCC 45:77

(٥) LCC 08-972:42

(٦) أنظرُ يوحنَّا ٩: ١-٣.

(٧) CS 002-891:452

(٨) إشعيا ٤٣: ٢٥.

«بالعِزَّةِ والقُدْرَة أُدْرِك أَفْكَارَكم، فأنا قَادِرٌ عَلَى أنْ أصْفَحَ عَنْ خطَايَا البَشَرِ؛ أَدْرِكُوا مَا تَسَلَّمَه الكَسِيحُ». تفسيرُ متَّى ٩.١.٣.[٩]

مَعْرفَةُ أفْكَارِهم. الذَّهبيُّ الفَم: عبر بَرَاهِينَ كَثِيرَةٍ يَرى المرءُ أَنَّ اللَّه وَحْدَهُ يَعْرِفُ مَا في الذِّهْنِ. وبذلِكَ يُظْهِرُ أنَّه هُوَ اللَّه حقًا وأَنَّهُ مُسَاوٍ لِمَن وَلَدَهُ. إنَّه يُظْهِرُ وَيُوضِحُ مَا كَانُوا يُفكِّرون فيه (فَهم لم يَبُوحُوا بِمَا يُفكِّرُونَ فيه خَوْفًا مِنَ الجُمُوعِ) وَهُنَا يُثْبِتُ رِقَّتَه. لِذَلِكَ قَالَ: «لِمَاذَا تُفَكِّرون السُّوءَ في قُلوبِكُم»؟

وَإِذَا كَانَ هُنَاكَ سَبَبٌ لِلانزعَاجِ فَذَلِكَ مَا شَعَرَ بِهِ الكَسِيحُ المُتألِّم، إذْ بَدَا كَأَنَّه كَانَ مَخْدُوعًا، وَكَأَنَّه يَقُولُ: «إنِّي أتيْتُ لأَنَالَ الشِّفَاءَ، وأَنْتَ تُؤَدِّبُ غيري! فَكَيْفَ يَتَّضِحُ لي أَنَّ خَطَايَايَ تُغْفَرُ! لَكِنَّه الآنَ لا يَتلفَّظُ بِشَيءٍ مِنْ هَذَا، بَلْ يُسْلِمُ نَفسَهُ لِسُلْطَةِ الشَّافِي؛ فَبِكَون هَذِه الأُمُورِ نَافِلَةً وَمَوْضِعَ حَسَدٍ، فَإِنَّهُم يَتآمَرونَ عَلَى الإِحسَانَاتِ. لِذَلِكَ يُبَكِّتُهُم جَمِيعًا بِلُطْفٍ، فَيَقُولُ: «إذَا مَا جَحَدتُم كَلامِي الأَوَّل وَظَنَنْتُم أَنَّه تفَاخُرٌ، فَهَا أَنَا أُضِيفُ إِلَى ذَلِكَ شَيْئًا آخرَ وهُوَ: الإِعْلانُ عَمَّا لا يُنْطَقُ بِه» إنجيلُ متَّى، الموعظة ٢٩. ٢.[١٠]

٩:٥ قُوَّةُ غُفْرَانِ الخَطَايَا

قُمْ وامش: جيروم: إنَّ بَينَ القَوْلِ وَالفِعْلِ مَسَافَةً كَبيرةً. وَالغَافِرُ الخَطَايَا يَعْرِفُ وَحْدَه مَا إِذَا كَانَت خَطَايَا الكَسِيحِ قَدْ غُفِرَت. «قُمْ وامش:» يستَطِيعُ مَنْ قَامَ وَمَنْ رَأوه يقُومُ أَنْ يَشْهَدُوا لذلِك. فَهُنَاك سِمَةٌ جَسَدِيَّةٌ تَكْشِفُ عَنْ سِمَةٍ رُوحِيَّةٍ، مَعْ أَنَّ تَأْثِيرَهَا يَضْبُطُ خَطَايَا الجَسَدِ وَالرُّوحِ. فَيُعْطِي لَنَا فَهْمُ الخَطِيئَةِ وَفَهْمُ كَثيرٍ مِنَ الضُّعفِ الجَسدِيِّ الآتي. تُغْفَرُ الخَطَايَا أَوَّلاً لِتُسْتَعَادَ الصِّحَّةُ بإِزَالَةِ مُسَبِّبَاتِ الضُّعف. تفسيرُ متَّى ١. ٩. ٥.[١١]

٩:٦ قُمْ وامشِ

وَاحمِلْ سَرِيرَكَ وَامش. هيلاريون: يَجِبُ أَنْ يُفْهَم أَنَّ السَّيِّدَ كَانَ في جَسَدٍ وَأَنَّه قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَغْفِرَ الخَطَايَا وَيُقِيمَ الجَسَدَ. قَالَ يَسُوعُ: «فَلِكَي تَروا أَنَّ ابنَ الإنسَانِ لَه سُلطَانٌ عَلَى الأَرضِ لِيَغفِرَ الخطايا– قَالَ لِلْكَسِيحِ: «قُمْ واحمِلْ سَرِيرَكَ». كَانَ قَادِرًا على أَنْ يَقُولَ: «قم» فَحَسْب، وَلَكِنْ لَمَّا كَانَ

---

(٩) CCL 77:54

(١٠) GP 75:953-06; NPNF1 10:196-97

(١١) CCL 77:54-55

يترتَّبُ عليهِ أَنْ يَشْرَحَ كُلَّ ما يعْمَلُه، أَضَافَ، «قُمْ واحمِلْ سَرِيرَكَ واذهَبْ إلى بيتِكَ». غَفَرَ لَـه خَطَايَاهُ أَوَّلاً؛ ومِنْ ثَمَّ أَظْهَرَ قُدْرَتَهُ بِإنْهاضِهِ من سَرِيرِه. فالكَسِيحُ بحَمْلِهِ سَرِيرَهُ أَوْضَحَ أَنَّ الأجْسَادَ تَحَرَّرَت مِنَ الوهَنِ والمُعَانَاةِ؛ وأَخِيرًا، برجُوعِهِ إلَى بَيْتِهِ، أَظْهَرَ أَنَّ المُؤمِنينَ يُعْطَونَ طَرِيقَ العودَةِ إلَى الفِرْدَوسِ الَّذي طُرِدَ مِنْهُ آدمُ، جَدُّ البَشَرِ، لمَّا عَصَى وتدنَّسَ بالخَطِيئَةِ. في متَّى ٨. ٧.[١٢]

٩:٧-٨ فلَمَّا شاهَدَت الجُمُوعُ مَا جَرَى، تَعَجَّبُوا وَمَجَّدُوا الله

مَجَّدَت الجُمُوعُ الله. الذَّهبيُّ الفَم: أَورَأَيتَ كيْفَ يُشيرُ السَّيِّدُ إلَى أَنَّه هُوَ خَالِقُ النَّفْسِ والجَسَدِ؟ إنَّه يَشفِي الكسِيحَ في طَبيعَتَيه، وَيجْعَلُ غيرَ المَنْظُورِ بالمَنْظُورِ وَاضِحًا، على رَغْمِ أَنَّه مَازَالَ يَدِبُّ عَلَى الأَرْضِ. لَمَّا رَأَى الجَمْعُ ذَلِكَ تَعَجَّبوا وَمَجَّدوا اللهَ الَّذي يُعْطِي سُلْطَانًا كهَذَا للبَشَرِ... لَمْ يُبكِّتْهُم، بَل وَاصَلَ أَعْمَالَهُ ليُنْهِضَهُم وَيسمو بأَفْكَارِهِم. في ذَلِكَ الوقْتِ، لَمْ يكُنْ مِنْ تَوافِهِ الأمورِ أَنْ يُظَنَّ أَنَّ يَسُوعَ أَعْظَمُ مِنْ جَمِيعِ البَشَرِ وَأَنَّه جَاءَ مِنْ عِنْدِ اللهِ. لو ثَبتَت هَذِه الأُمورُ عِندَهم لَعرَفُوا -لو تقصَّوهَا- أَنَّه ابنُ اللهِ. لَكِنَّهُم لَمْ يفعَلُوا، لذلِكَ لَمْ يكُونُوا قَادِرِينَ على الدُّنوِّ مِنه. إنَّهم قَالُوا ثَانِيةً: «هَذَا الإنسَانُ ليس مِنَ اللهِ» و«كَيْفَ يكُونُ هَذَا الإنسَانُ مِنَ اللهِ؟» وَكَانُوا يُرَدِّدون هَذِهِ الأُمُورَ باستِمْرارٍ. إنجيلُ متَّى، الموعظة ٢٩. ٢.[١٣]

تَعَجُّبُ الجُمُوعِ. هيلاريون: الإعْجَابُ لا الخوفُ كانَ وراءَ إتمامِ هَذَا العَمَلِ. لكنِ الآنَ لا يزَالُ تَرتِيبُ السِّرِّ قَائمًا. وَلأَنَّه أَضَافَ لَمْحَةَ المُسْتَقْبَلِ إلَى حَقِيقَةِ الحَاضِرِ فالجُمُوعُ خَافَت مِنْ كَلامِ الرَّبِّ وَأَعْمَالِه. إنَّه لَشَيءٌ رَهِيبٌ أَنْ يُواجِهَ المرءُ الموتَ بدُونِ غُفْرانِ المَسِيحِ خطَايَاه، إذ إنَّه مَا مِنْ أَحَدٍ يَعُودُ إلَى البَيْتِ الأبديِّ إنْ لَمْ يُمْنَحْ غُفرانَ الخَطَايَا. «وَمَجَّدوا اللهَ الَّذي أَعْطَى البشرَ مِثلَ هَذَا السُّلطَانِ». كُلُّ شَيءٍ مُرَتَّبٌ ترتيبًا لائقًا، وبإزَالَةِ الرُّعبِ يُعْطَى التَّمجِيدُ للهِ عَلَى السُّلطَانِ الَّذي مَنَحَهُ للبَشَرِ. هَذا التَّمْجِيدُ حَقِيقٌ بالمَسِيحِ وَحْدَه، الَّذي كَانَتْ مُشَارَكتُه الآبَ في الجَوْهَرِ طَبِيعِيَّةً. لا عَجَبَ إذا كَانَ قَادِرًا على أَنْ يَفْعَلَ هَذِه الأُمُورَ- لأَنَّ قُدْرَةَ الله ليسَت مَحْدُودَةً، وإلاَّ لجاءَ المَدِيحُ مِمَّن شُفِي لا مِنَ الجُمُوعِ. لكِنَّ سببَ تَمجِيدِ اللهِ هُنَا هُوَ: السُلطَانُ أَعْطَاهُ كَلِمَةً

---

[١٢] CS 202-002:452

[١٣] GP 75:063-16; NPNF 1 10:197

اللّه مِنْ أَجْلِ غُفْرَانِ الخَطَايَا وَقِيامَةِ الأَجْسَادِ وَالعَوْدَةِ إلى السَّمَاوات. في متّى ٨.

٨.(١٤)

(١٤) CS 202:452

٩:٩-١٣ يَسوعُ يَدعُو متَّى

٩ واجتازَ يَسوعُ مِنْ هُناكَ، فرأى رَجُلاً جالِسًا في بَيتِ الجِبايةِ اسمُهُ متّى. فقالَ لَه: «اتْبَعني». فقامَ وتَبِعَهُ. ١٠ وبينَما كان جالسًا إلى المائدةِ في بَيتِ متّى، جاءَ كثيرٌ من جُباةِ الضَّرائبِ والخاطِئينَ وجالَسُوا يَسوعَ وتلاميذَه. ١١ ورأى الفَرِّيسيُّونَ ذلِكَ، فقالوا لتلاميذِهِ: «لِماذا يأكُلُ مُعلِّمُكُم معَ جُباةِ الضَّرائبِ والخاطِئين؟» ١٢ فسَمِعَ يَسوعُ كلامَهُم، فأجابَ: «لا يَحتاجُ الأصِحّاءُ إلى طَبيبٍ، بل المَرضى. ١٣ فاذهَبوا وتعلَّموا ما هو هذا: أُريدُ رَحمةً لا ذبيحةً، لأني لم آتِ لأدعُوَ الصِّدِّيقين، بَل الخاطِئينَ إلى التَّوْبَةِ».

نَظْرَةٌ عَامَّةٌ: تَغيَّرَ مَتَّى فَجْأَةً مِنْ جَابي ضَرائبَ إِلَى رَسُولٍ (جيروم). وَمَع أَنَّه كَانَ مُنْغَمِسًا في المَسَائِلِ الدُّنيويَّةِ، فَقَد اختَارَهُ الرَّبُّ المُطَّلِعُ عَلَى هَوَاجِسِ القُلُوبِ اختيَارًا حُرًّا (كروماتيوس). يَسُوعُ، المطَّلِعُ عَلَى هَوَاجِسِ قُلُوبِنَا، يُدْرِكُ مَتَى يكُونُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا مُسْتَعِدًّا للاستِجَابَةِ لدَعوَتِهِ (الذَّهبيُّ الفَم). لَمَّا قعدَ الجَمْعُ إِلَى المَائِدَةِ ليأْكُلُوا وَهُم يَتَطَارَحُونَ الأَحَاديثَ بفَرَحٍ وسُرُورٍ، هَدَى يَسُوعُ الضَّالَّ، فَغَمَرَه حُضُورُ اللّه الشِّفَافُ (بطرس خريسولوغس). ذَهَبَ الرَّبُّ إِلَى مَأْدُبَةِ الأَثمَةِ لِيُقَدِّمَ غِذاءً رُوحيًّا لمُضِيفِيهِ (جيروم). مَدَّ يَدَ العَوْنِ إِلَى المَرْضَى، لَكِنَّ الَّذين ظَنُّوا أَنَّهم كَانُوا أَصِحَّاءَ لَمْ يَروا أَنَّهم بحَاجَةٍ إِلَى عِلاجٍ. فَشَريعَةُ الذَّبَائحِ الطَّقْسيَّةِ عَجِزَت عَنْ تَقْديمِ العَونِ، لَكِنَّ السَّيِّدَ مَسَحَ بِرَحْمَتِهِ مَا بِهِم مِن عِلَلٍ(هيلاريون). أَقَامَ مَتَّى عِيدًا سَمَاويًّا لجَميعِ الَّذِينَ أَتَوا بإيمَانٍ، مِن جُبَاةِ الضَّرَائِبِ وَالخَاطِئِين، إِلَى مَعْرِفَةِ المَسِيحِ

(كروماتيوس). كطبيبٍ شفى يسوعُ النُّفوس لمَّا وقذها المرض. ربط يسوعُ ذلك بمرض النَّفْس، وكان من الضَّروريّ أنْ يشفي الجميع (الذَّهبيُّ الفم).

٩:٩ اختيارُ متَّى

قاعداً إلى مائدة جابي الضَّرائب. الذَّهبيُّ الفم: لماذا لمْ يدْعُ السَّيِّدُ متَّى في الوقت الَّذي دعا فيه بطرس ويوحنَّا وسائر التَّلاميذ؟ وكما حدث هناك في ذلك الوقت لمَّا علم أنَّ النَّاس سيطيعونه، هكذا دعا متَّى أيضًا لمَّا أثبت أنَّه كان سيُقدِّمُ نفسهُ لله. لهذا اصطاد بطرس ثانيةً بعد القيامة. فالمُطَّلعُ على هواجس القلوب، والعالمُ بخفايا فكر كلِّ بشر، كان يعرفُ أيضًا متى كان سيُطيعُه كلُّ واحدٍ منهم. لهذا لم يدْعُهُ يسوعُ في البدْءِ لمَّا كان قاسيَ القلب، بلْ دعاه لمَّا عرف أنَّه صار أكثر استعْدادًا للطَّاعة، بعْد أنْ سمع عن عجائبه الَّتي لا تُحصى وشهْرته العظيمة.

إنَّه لحقٌّ أنْ ينتشي الإنجيليُّ متَّى بمحبَّة الحِكْمة، إذْ لا يُخْفي حياته السَّابقة، بلْ يضعُ اسمهُ، في حين أنَّ الآخرين أخفوه تحْت لقبٍ آخر.[١] لماذا قال إنَّه كان «جالسًا في بيْت الجباية»؟ ليُشير إلى قوَّة الَّذي دعاهُ، إذْ لمْ يدْعُهُ بعْد أنْ ترك مهْنتهُ المُشينة، بل انتزعهُ منْ بؤرة الشُّرور. إنجيلُ متَّى، الموعظة ٣٠. ١.[٢]

تحوَّل منْ جابي الضَّرائب إلى رسول. جيروم: احترامًا لمتَّى ومُراعاةً له، لم يرغب الإنجيليُّ الآخرُ في أنْ يُناديهُ باسمه الشَّائع، إنَّما قال إنَّه لاويٌّ. فكان يُعْرفُ باسمين وفْق ما أشار إليه سُليمان: «المُدَّعي بارٌّ في أوَّل كلامه». وفي مكانٍ آخر: «أعْلنْ عنْ خطاياك حتَّى تُبرَّر».[٣] يُسمِّي متَّى نفْسه جابي ضرائب ليُظْهر لقُرَّائه أنَّه ما منْ أحدٍ يحقُّ له أنْ ييْأس من الخلاص إذا تغيَّر فجْأةً منْ جابي ضرائب إلى رسول. تفْسيرُ متَّى ١. ٩. ٩.[٤]

لمْ يتأخَّرْ. كروماتيوس: كان الرَّبُّ على وشْك إعْطاء الخلاص لكُلِّ الخاطئين المُؤمنين به، فاختار طوْعًا متَّى الَّذي كان جابي ضرائب منْ قبْلُ. فكانتْ عطيَّةُ إكْرامه لمتَّى مثالاً لخلاصنا. فكُلُّ خاطئٍ يجبُ أنْ يخْتاره الله ليكُون قادرًا على استلام نعْمة الخلاص الأبديِّ، إذا كان المرءُ ذا عقْلٍ دينيٍّ

---

[١] مرقس ٢: ١٤؛ لوقا ٥: ٢٧.
[٢] GP 57: 363-62; NPNF 1 10: 198-99
[٣] متّى ٤٣: ٢٦.
[٤] CCL 77:55

وَقلبٍ مُخْلِص. هكَذا اختارَ الله متَّى طَوْعًا. وَمَعْ أنَّه كَانَ مُنْغَمِسًا في الأُمُورِ الدُّنيويَّةِ، فقد كَانَ مُسْتحِقًّا أنْ يدعُوهُ الرَّبُّ قائلاً «اتبعْنِي»، وَذلِكَ بسببِ صِدْقِ تقواه. فالله، بفضْلِ طبيعَتِهِ الإلهيَّةِ، يعْرِفُ خفايا القُلُوبِ. واستِتباعًا، نعْرِفُ نحنُ أنَّ الرَّبَّ قبِلَ لا بسببِ مركزِه، بلْ بسببِ إيمانِه وإخْلاصِه. وحِينما قالَ لهُ الرَّبُّ «اتبعْنِي» لمْ يترَيَّثْ أو يتباطأْ، إنَّما للحالِ «قامَ وَتبِعَهُ». موعظةٌ حولَ متَّى ٤٥. ١.[٥]

١٠:٩ قعدَ كَثيرٌ مِنْ جُباةِ الضَّرائِبِ وَالخاطِئينَ مَعَ يسوعَ وَتلاميذِه

جاءَ كَثيرٌ مِنْ جُباةِ الضَّرائِبِ. الذَّهبيُّ الفَم: يأْتِي جُباةُ الضَّرائِبِ معًا إلى مَنْ يمْتَهِنُ المِهْنَةَ ذاتها، إذْ دَعاهُم متَّى كُلَّهُم معًا، مُفْتخِرًا بدُخُولِ يسُوع إلى بيتِهِ. كانَ المَسِيحُ يُبادِرُ إلى استِعمالِ كُلِّ نوعٍ مِنْ أنواعِ العِلاجِ، ليسَ فقطْ عِنْدما كان يتحدَّثُ، أو عِنْدمَا كَانَ يشْفِي، أو عِنْدما كان يُوبِّخُ أعْداءَهُ، بلْ أيضًا عِنْدما كانَ يتناوَلُ وجْبته الصَّباحيَّةَ. كَثيرًا مَا كَانَ يُؤدِّبُ العُصَاةَ، مُعلِّمًا إيَّانا أنَّ كُلَّ وَقتٍ وكُلَّ عملٍ قد يُعْطِيانِنا ما يُسْتفادُ مِنهُ. ومَعْ ذلِكَ فكُلُّ ما وُضِعَ أمامَهُم كَانَ مِنْ مالِ الظُّلْمِ والطَّمعِ. لكِنَّ المَسيحَ لَمْ يرْفُضْ المُشارَكَةَ فيهِ، لأنَّ الرِّبحَ النَّاجِمَ عنهُ كَانَ عَظِيمًا جِدًّا، فيَصِيرُ شريكًا في السَّقْفِ والمائِدَةِ مَعَ الَّذين ارتكَبُوا مِثلَ هذِه الآثامِ. هكَذا هُوَ الطَّبِيبُ، فإنْ لَمْ يحْتَمِلْ فسادَ المرضَى لا يُعْتِقْهُم مِن أسقامِهِم.

وَمَعْ ذلِكَ فقد قُلِّدَ الرَّبُّ يسُوعُ قَلائِدَ الخِزْيِ: بالأكْلِ مع متَّى، وفي بَيتِهِ، وَمعِ الكَثيرِ مِنْ جُباةِ الضَّرائِبِ. انظُرْ كَيفَ يُعَيِّرُون السَّيِّدَ على هذا: «ها هُوَ إنسَانٌ أكُولٌ وَشِرِّيبُ خَمْرٍ، ومُحِبٌّ لجُباةِ الضَّرائبِ وَالخاطِئين». إنجيلُ متَّى، الموعظة ٣٠. ٢.[٦]

يسوعُ يُخْفِي عظمَتَه لمَّا قعدَ إلى المائِدَةِ. بطرس خريسولوغس: إنَّ لقعود ليسُوع إلى المائِدَةِ أهمِّيَّةً أكبر عِند متَّى مِنْ مُجرَّدِ تناولِ الطَّعامِ. فيسُوعُ لا يَسْتَمْتِعُ بتنَاوُلِ الطَّعامِ، بَلْ بعَوْدَةِ الخاطِئينَ. دعوَتُهُ تتمُّ عبر تناوُلِ الطَّعامِ والشَّرِكَةِ والمودَّةِ الإنسانيَّةِ، والتَّمتُّعِ بأحاديثِ جُلَسائِه السَّارَّةِ المُتحلِّقينَ حولَ المائِدَةِ. أدْرَكَ أنَّهُم إذا اعترفُوا بأنَّه ديَّانٌ جبَّارٌ تعتريهم مِنْ جَلالِهِ مخافَةٌ شديدَةٌ ويُربكهُم حُضُورُ الرَّبِّ غيرِ المحْجُوبِ (nuda). هكَذا، لمَّا كَانَ الله

---

[٥] 714:a9 LCC

[٦] 002-991:01 1 FNPN ;46-363:75 GP

مَحْجُوبًا بجَسَدٍ إنسانيٍّ تَمكَّنَ مِنَ التَّفاهُمِ مع البَشَرِ. حِرصًا عَلَى إنقاذِ المُذْنِبِ كَانَ يُخْفِي كَوْنَهُ دَيَّانًا. وَصونًا لكَرامَةِ خُدَّامِهِ الأُمنَاءِ كَانَ يُخفِي رُبوبيَّته. وَأَمَامَ مَن كَانَ يَرغَبُ في أَنْ يكُونَ الضَّعِيفُ مُحَاطًا بمَحبَّةِ الوَالدين كَانَ يُخفِي جَلالَه. المواعظ ٢٩: ٤.[٧]

٩:١١ الفَرِّيسيُّونَ يَستَجوبونَ التَّلاميذَ

لمَاذَا يَأكُلُ مَعَ الخَاطِئينَ. هيلاريون: اهتَاجَ اليَهُودُ حَسَدًا لأَنَّ الرَّبَّ كَانَ يُخاطِبُ جُبَاةَ الضَّرائبِ وَالخاطِئين. أَعْلَنَ لَهُم أَنَّ كَلامَ الشَّريعَةِ تَواريهِ عَبَاءَةُ عَدمِ الإيمان. لَقد مَدَّ يَدَ العَوْنِ للمَرْضى وَللمُحتَاجين. لكِنَّ المُؤمِنين كَانُوا أَصِحَّاءَ لا يَحْتَاجُونَ إلَى عِلاجٍ. وَلِيَفْهَمُوا أَنَّ مَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ أتبَاعِهِ كَانَ مُعَافًى فَقَد أَجْزَى لَهُمُ النُّصْحَ حَتَّى يَتَعَلَّمُوا مَعْنَى قَولِهِ: «إنِّي أُرِيدُ رَحْمَةً، لا ذَبيحَةً».[٨] بِتَعْبِيرٍ آخَر، كَانَتِ الشَّرِيعَةُ المُرتَبِطَةُ بطَقْسِ الذَّبَائحِ عَاجِزَةً عَنْ تَقْدِيمِ العَوْنِ، لَكِنَّه مَسَحَ بِرَحْمَتِهِ مَا بِهِم. «لأَنِّي لَمْ آتِ لأَدعُوَ الصِّدِّيقِينَ إلى التَّوْبَةِ بَلِ الخَاطِئينَ». إنَّه أَتَى إلَى الجَمِيعِ. فَلِمَاذَا يَقُولُ يَسُوعُ إنَّه لَمْ يَأْتِ لِيَدعُوَ الصِّدِّيقِين... لأَنَّه لم يَكُنْ تَحتَ الشَّرِيعَةِ صِدِّيقٌ. حَكَمَ عَلَى التَّفَاخُرِ بالشَّرِيعَةِ، لَكِنْ بالذَّبَائحِ المُقَدَّمَةِ لاسترجَاعِ المَرْضَى عَافِيَتَهم، كَانَتْ الرَّحْمَةُ ضَروريَّةً لِكُلِّ مَا أَوصَت بِهِ الشَّرِيعَةُ. إذَا كَانَتِ الشَّرِيعَةُ تَأتِي بالبِرِّ يَنتَفِي غُفْرَانُ الخَطَايَا بالنِّعمَةِ. في متَّى ٩. ٢.[٩]

المَأدُبَةُ السَّمَاوِيَّةُ عِنْدَ متَّى. كروماتيوس: استنادًا إلَى التَّفسِيرِ الصُّوفيِّ أو المَجَازِيِّ يَكُونُ بَيتُ متَّى عَقلَه. دَخَلَهُ المَسِيحُ عبرَ إيمَانِهِ بنِعْمَتِهِ. نَرَى أنَّه قَدْ «قعدَ حقًّا إلَى المَائِدَةِ» هُنَاكَ، لِهَذَا فَإنَّ مَتَّى نَفْسَه يَستَحِقُّ أَنْ يكُونَ كَاتِبَ هَذَا الإنجِيلِ. فبِوَصفِهِ أَعْمَالَ الرَّبِّ وَقُدرَتَه، أَقَامَ وَلِيمَةً سَمَاوِيَّةً لا للرَّبِّ وَتلاميذِه فقط، إنَّمَا أيضًا لِكُلِّ المُؤمِنينَ الَّذين أَتَوا كَجُبَاةِ ضَرَائِبَ وكخَاطِئين، إلَى مَعْرِفَةِ المَسِيحِ. فَاستَحَقُّوا أَنْ يُدْعَوا إلَى هَذِه الوَلِيمَةِ العَظِيمَةِ. في الوَاقِعِ، بَيْتُ متَّى بَدا وكَأَنَّه كَنِيسَةٌ تَضُمُّ جُبَاةَ ضَرَائِبِهَا وَخَاطِئين. لَقد أَشْرَكَ كُلَّ القَادَةِ في وَلِيمَةِ إيمَانِهِ وَتَبْشِيرِهِ الَّتي جَلَسَ إِلَيها الرَّبُّ وَتلاميذُه. موعظةٌ حولَ متَّى ٤٥. ٥.[١٠]

---

[٧] LCC 42: 171
[٨] هوشع ٦: ٦.
[٩] CS 452: 402-6
[١٠] LCC 9a: 024

٩:١٢-١٣ يـدعـو الخـاطـئينَ لا الصِّدِّيقِين

حضُور مآدِبِ الخاطِئين. جيروم: ذَهَبَ الرَّبُّ إلى مأْدُبَةِ الخاطِئينَ لِتُتاحَ لَهُ فُرصَةُ تَعْلِيمِهم وتَقْدِيمِ الغِذاءِ الرُّوحِيِّ لمُضِيفِيه. وإذا كُلَّما خرجَ لحضُورِ مأدبةٍ لا يُقَالُ شَيءٌ عَن زِيارَتِهِ بَل عمَّا فعَلَهُ وعن تعليمِه. هكَذا، نَرَى تواضُعَ الرَّبِّ في مدِّ يَدِهِ إلى الخاطِئينَ وبعد تأثيرهِ في هِدَايَةِ التَّائبين. كان يَقولُ: «أُرِيدُ رَحمَةً لا ذَبِيحَةً»، و«لَمْ آتِ لأَدعُوَ الصِّدِّيقين بَلِ الخاطِئينَ» (مُورِدًا ما شَهِدَ بِهِ النَّبِيُّ) تَحَدَّى عُلَماءَ الشَّريعَةِ والفَرِّيسيِّين الَّذينَ كانوا يَعْتَبِرون أَنفُسَهُم صِدِّيقينَ ومُمَيَّزِينَ عَنْ جُباةِ الضَّرائِبِ والخاطِئين. تفسير متَّى ١. ٩. ١٣.[١١]

[١١] LCC 77: 65

٩:١٤-١٧ سُؤالٌ عَنِ الصَّوم

وجاءَ تلاميذُ يوحنّا إليه وقالوا لَه: «لِماذا نَصومُ نَحنُ والفرِّيسيّونَ كثيرًا، وتلاميذُكَ لا يَصومونَ؟ ١٥فأجابَهُم يَسوعُ: «أيستطيعُ أبناءُ العَريسِ أنْ ينوحُوا، والعَريسُ بَينَهُم؟ لكنْ ستأتي أيامٌ يُرفَعُ فيها العَريسُ مِنْ بَيْنِهِم فيَصومونَ. ١٦ما مِنْ أحَدٍ يضعُ رُقعةً من نسيجٍ خامٍ على ثَوبٍ عتيقٍ، لأنَّها تَنتَزِعُ مِنَ الثَّوبِ على مقدارِها فيَصيرُ الخَرْقُ أسوأ. ١٧ولا يضعونَ خمرًا جَديدةً في زِقاقٍ عَتيقةٍ لِئلاّ تَنشَقَّ الزِّقاقُ فتُراقَ الخمرُ وتَتْلَفَ الزِّقاقُ. بل يضعونَ الخمرَ الجَديدةَ في زِقاقٍ جَديدةٍ، فتَسلَمُ جميعًا».

نَظْرَةٌ عامَّةٌ: عِندَما يكُونُ الصِّيامُ مُفْعَمًا بِكَلامٍ ثَقِيلٍ، ومَعْرُوضًا بِوُجُوهٍ كالِحَةٍ، ومُعْلَنًا بضَلالٍ مُبينٍ ومُتَّبَعًا لإرضاءِ البَشَرِ، لا لإرْضاءِ عَيني الله، لا يكُونُ مُنْسَجِمًا مَع فَرَحِ المَلَكُوتِ الآتي (بُطرس خريسولوغس). لَمْ يَكُنْ سَبَبُ عَدَمِ صِيامِ التَّلامِيذِ هُوَ الشَّراهَةَ، إنَّما تَدبيرَ العِنَايَةِ الإلهيَّةِ الَّتي كانَتْ تَحدُثُ في ذَلِكَ الوَقتِ (الذَّهبيُّ الفَم). قَالَ يَسوعُ إنّ لا حاجَةَ لتَلامِيذِهِ إلى أَنْ يَصُومُوا مَا دَامَ العَرِيسُ مَعَهُم. هَذا يُشيرُ

إلى فرحِ حضُورِه (هيلاريون). بمَا أنَّ يسوعَ كانَ العريسَ المسيانيَّ الَّذي أعْلَنَه يوحنّا المعمدان، فإنَّ أبناءَ العُرس، أي التَّلاميذ، قد تلقَّوا الدَّعوةَ في هذا الوقتِ لمساعدةِ العَريسِ في إقامةِ الاحتِفالاتِ (سفيروس). الثِّيابُ العَتيقةُ والزِّقاقُ تدلُّ على الفرِّيسيِّين وعُلماءِ الشَّريعةِ، في حينِ أنَّ رُقعةَ الثَّوبِ المُنْكمِشةَ والخمْرَ الجديدةَ تدلَّانِ على الإنجيلِ. لا يُمكنُ اليهودِ أنْ يستوعِبوا تعْليمَ يسُوعَ بدونِ تحدِّي نظامِ شريعتِهم بأسْرِه (جيروم). إنَّ قماشَ الشَّريعةِ أصبحَ رثًّا منْ جرَّاءِ الحماسةِ اليهوديّةِ، وبسببِ المدارسِ الفِكريَّةِ وبالأعْمالِ الدّنِسةِ. قماشُ الإنجيلِ لا يتخرَّقُ، فهُوَ بدءُ النَّسيجِ (بطرس خريسولوغس).

٩:١٤ سألهُ تلاميذُ يوحنّا عَنِ الصَّوْمِ

لا حاجةَ لهُم إلى أنْ يصُومُوا في حضْرةِ العَريسِ. هيلاريون: كانَ الفرِّيسيُّونَ وتلاميذُ يُوحنّا يَصومُونَ، وتلاميذُ يسُوعَ يُعفُونَ أنفُسَهُم عن الصَّومِ. وقد شرحَ لهُم يسُوعُ الأسبابَ بطريقةٍ رُوحيَّةٍ، وأخبرَ تلاميذَ يُوحنّا أنّه العريسُ. علَّمَ يُوحنّا أنَّ كُلَّ أملٍ في الحياةِ يكُونُ في المَسيحِ. لكِنَّ الرَّبَّ فيمَا كانَ لا يزالُ يُبشِّرُ، لمْ يقْبلْ تلاميذُ يوحنّا. إلى أنْ جاءَ يُوحنّا كانتِ الكلِمةُ للشَّريعةِ والأنبياءِ، ولو لمْ تنْتهِ الشَّريعةُ لمَا استطاعَ أحَدٌ منهُم أنْ يلتزمَ الإيمانَ بالإنجيلِ. وقولُهُ إنَّ تلاميذَه لا يحْتاجُونَ إلى الصَّومِ ما دامَ العريسُ معَهُم، يُعبِّرُ عنْ فرحِ حضُورِه وعَنِ السِّرِّ المُقدَّسِ لطَعامِه الَّذي يحْتاجُونَ إليهِ في حضُورِه، أيْ وهُمْ يحْمِلُونَ المسِيحَ في ضوءِ العقْلِ. لكنَّهم سيصُومُونَ عِندما يُرْفعُ عنْهُم، كمَا يقُولُ، لأنَّ كُلَّ الَّذينَ لا يُؤمِنُونَ بأنَّ المسيحَ قد قامَ لنْ يتناوَلُوا غِذاءَ الحياةِ. بالإيمانِ بالقيامةِ يتسلَّمُ المرءُ سِرَّ الخُبزِ السَّماويِّ المُقدَّسِ. منْ هُوَ بدُونِ المسيحِ يُنْبذُ ويصُومُ عنْ غِذاءِ الحياةِ. في متّى، ٩. ٣.[١]

لمَاذا لا يصُومُ تلاميذُك؟ الذَّهبيُّ الفَم: يدُلُّ السَّيِّدُ بهذا على أنَّ ما حدثَ سابقًا لا يدلُّ على شَراهةٍ، إنَّما كانَ تدبيرًا عجائبيًّا. وفي الوقْتِ عينِه كانَ السَّيِّدُ يضعُ الأسَاسَ لمَا كانَ سيقُولُهُ عنْ آلامِه. في مُجادلاتِه مع الآخرينَ علَّمَ تلاميذَه، ودرَّبهُم على أنْ يكُونُوا واقفينَ علَى ما سيَبرزُ منْ أُمُورٍ مُرْعِبةٍ. فكانت أقوالُهُ مُرْهِقةً وثقيلةً. وكُلَّما تحدَّثَ بعْدَ ذلكَ أصابَهُم الاضطِرابُ؛ أمَّا ما

(١) CS 602:452

قَالَهُ للآخَرينَ فكَانَ أخفَّ وَطأَةً عَلَيهِم.

ولأنَّ التَّلاميذَ، عَلَى الأرجَحِ، تفَاخَروا لَدَى آلامِ يوحنَّا، فَهُنَا كَبَحَ تيهَهُم. فَلَم يُضِفْ شيئًا عَنْ قيامَتِهِ، إذْ لمْ يكُنِ الوَقْتُ قَدْ حَانَ بَعْدُ. فكَانَ أمرًا طَبِيعيًّا أنْ يُفْتَرَضَ أنَّ السَّيِّدَ إنسانٌ يَنبَغِي أنْ يَموت، أمَّا الأمرُ الآخَرُ (أي قيامَتُه) فكَانَ فَائِقَ الطَّبيعَةِ .إنجيلُ متَّى، الموعظة ٣٠. ٤.[٢]

شَـريـعَـةُ الصَّـومِ وَإرادَتُـه. بُطرس خريسولوغس: مَا هُوَ الجَامِعُ بَينَ تَلاميذِ يُوحنَّا وَالفَرِّيسيِّينَ؟ أَلَيسَ هوَ رِبَاطَ حَسَدِ الَّذينَ فرَّقَهُم التَّأديبُ؟ في هَذِهِ الحَالَةِ يَضِلُّ الحَسَدُ سَبيلَه. فَمِنْ عَادَتِه أنْ يُفرِّقَ النَّاس، لَكِنَّه جَمَعَهُم هُنَا. اليَهُودُ مَا اعتَقَدُوا يومًا أنَّ مُوسَى أقَلُّ مقامًا مِنَ الرَّبِّ، وَتَلاميذُ يُوحنَّا مَا كَانوا عَلَى استِعْدادٍ لِتَفضِيلِ المَسيحِ عَلَى يُوحَنَّا. لذا تذمَّروا مِن جرَّاءِ حِقْدِهِم المُشتَرَك عَلَى المَسيح. لِمَاذَا نَصُومُ نَحنُ وَالفَرِّيسيُّون كَثيرًا، وَتَلاميذُكَ لا يَصُومُون»؟ لِمَاذَا؟ الصَّومُ عِندَكُم هُوَ مَسألَةُ الشَّريعَةِ ولا اختيَارَ فِيهِ. الصَّومُ لا يَعْكُسُ وَجْهَ الصَّائِمِ بَلْ وَجْهَ الآمِرِ بِالصَّوم. فَمَا هِيَ ثِمَارُ الصَّومِ عِندَكُم أنتم الَّذينَ تُكرَهُونَ عَلَى الصَّومِ؟ الموعظة ٣١. ٢.[٣]

سُؤَالٌ عَنِ الصَّومِ. سويروس: وَبَعْدَهَا، دَنَا تَلاميذُ يُوحَنَّا مِن ذَاكَ الَّذي كَانَ يُجَالِسُ جُبَاةَ الضَّرائِبِ وَيَشْفِي مَرضَاهُم، وَسَألُوهُ، «لِمَاذا نَصُومُ نَحنُ وَالفَرِّيسيُّون كَثيرًا، وَتَلاميذُكَ لا يَصومون»؟[٤] أنتَ ترى كَيفَ يُحَرِّضُ الحَسَدُ النَّاسَ ذَوي الأصنَافِ المُتَشَابِهَةِ، وَيَشْحَذُ فِيهِم شَوكَةَ الغَيرَةِ. فَقَد أَثَارَ الفَرِّيسيِّين، الَّذينَ كَانُوا يَتَبَاهَوْنَ كَمُعَلِّمِينَ، عَلَى المُعَلِّمِ، فَقَالُوا: «لِمَاذَا يَأكُلُ مُعَلِّمُكُم مَعَ الخَاطِئينَ وَجُبَاةِ الضَّرائِبِ؟»[٥] وَكَذَلِكَ أَثَارَ تَلاميذَ يُوحَنَّا عَلَى تَلاميذِ المَسيحِ فَقَالُوا: لِمَاذَا لا يَصُومُ تَلاميذُكَ؟ مواعِظُ الكاتدرائيّة، الموعظة ٩٢.[٦]

لا وَقتَ لِلنُّواحِ. سويروس: مِنْ كَلامِ يُوحَنَّا مُعَلِّمِكُم، ذَاكَ الَّذي تَعْتَبِرُونَهُ عَظِيمًا، أُعْطِيكُم جوابًا: تَذَكَّرُوا هَذَا، وَلْيَكُنْ لَكُم رَدًّا عَلَى سُؤَالِكُم: حِينَ كَانَ يُوحَنَّا يَشْهَدُ لِي، كَانَ يَقُولُ: «مَنْ لَه العَرُوسُ فَهُوَ العَرِيسُ».[٧] فَإذَا كُنتُ أنَا العَرِيسَ فَعَلَيكُم ألاَّ تُكَذِّبوا مُعَلِّمَكُم. فَمِنَ المَعْرُوفِ أنَّه عَلَى تَلاميذي،

---

[٢] GP 75:763; FNPN 110:202
[٣] CCL 24:179
[٤] متّى ٩: ١٤.
[٥] متّى ٩: ١١.
[٦] PO 25:33
[٧] يوحنّا ٣: ٢٩.

وهُم أبنَاءُ وَليمةِ العُرس، أنْ يَخدِمُوني عِندَمَا أَقُومُ بتَدبيرِ العُرس، وَعليهِم أنْ يكُونُوا فرِحِينَ مُبتهِجِينَ بالصَّومِ لا حَزَانى، وَلا مُمْسِكِينَ عَنْ أنفُسِهم. فَالصَّومُ يوجِعُ وَيُنهِكُ غيرَ المُهيَّئين تهيئةً كَامِلةً، وَتَلامِيذِي لَيسُوا بكَامِلِينَ في الوَقْتِ الحَاضِرِ. مَوَاعِظُ الكَاتِدْرائيَّة، الموعظة ٩٢.[٨]

٩: ١٦ رُقْعَةٌ مِنْ نَسِيجٍ خَامٍ عَلَى ثَوبٍ عَتِيقٍ

لا تُمزِّق الثَّوبَ بِرُقْعِهِ قَبْلَ الأَوَان. الذَّهبيُّ الفَم: إنَّه يُنْشِئُ ثَانيةً كَلامهُ بأَمْثِلَةٍ مِنَ الحيَاةِ العَامَّة. وَمَا يَقُولُهُ يُشْبِهُ هَذَا: «لَمْ يَصِرِ التَّلامِيذُ أَشِدَّاءَ بَعْد، فَهُم مَا زَالُوا بِحَاجَةٍ كُبْرَى لخَفْضِ الجَنَاحِ لَهُم. لَمْ يَتَجدَّدُوا بالرُّوحِ القُدْسِ بَعْدُ. فيَجِبُ أَلاَّ يَضَعَ المَرءُ أيَّ حِمْلٍ مِنَ الفَرائِضِ عَلى كَوَاهِلِ أَشْخَاصٍ فِي تِلْكَ الحَالَة». قَالَ السَّيِّدُ هَذِه الأَشْيَاءَ وَاضِعًا شَرَائِعَ وَقَوانِينَ لتَلامِيذِه لِيَكُونَ تَعَامُلُهُم مَعَ التَّلامِيذِ الَّذينَ سَيَقْبَلُونَهم مِن أَرْجَاءِ المَسْكُونَةِ تَعَامُلاً لَطِيفًا. إنجيلُ متَّى، الموعظة ٣٠. ٤.[٩]

بَدءُ نَسِيجٍ جَدِيدٍ. بطرس خريسولوغس: يَقُولُ إنَّ قِمَاشَ الشَّرِيعَةِ القَدِيمَةِ أَصْبَحَ رَثًّا مِنْ جَرَّاءِ الغَيرةِ اليَهودِيَّة، فَانفَسَدَتْ لحمَتُهُ وانشَقَّ إلى زُمَرٍ وتَمَزَّق بأَعْمَالٍ دَنِسَةٍ. يُسَمِّي قِمَاشَ الإنجيلِ المُنْكَمِشِ ثَوبًا. وَيُشِيرُ إِلَى القِمَاشِ لا كَمُجَرَّدِ خَرْقٍ، إنَّما كَبَدءٍ لنَسِيجٍ. قَبْلَ كُلِّ شَيءٍ، كَانَ قِمَاشُ ثَوبِ المَسِيحِ المَلَكيِّ مَنْسُوجًا مِنْ صُوفِ حَمَلٍ: «حَمَلُ اللّٰه الَّذي يَحْمِلُ خَطَايَا العَالَم».[١٠] كَانَ اللِّبَاسُ المُلُوكِيُّ عَبَاءَةً مَنْسُوجَةً، لَوْنُها دَمُ آلامِهِ ببَهَاءٍ أُرجُوانيٍّ. مواعظ ٣١. ٤.[١١]

٩: ١٧ خَمْرٌ جَدِيدَةٌ في زِقَاقٍ عَتِيقَةٍ

ضَعُوا الخَمْرَ الجَدِيدَةَ بِزِقَاقٍ جَدِيدَةٍ. جيروم: مَا يَقُولُهُ هُوَ هَذَا: مَا لَمْ يُولَدِ المرءُ وِلادَةً ثَانِيَةً، بِخَلْعِ الإِنسَانِ القَدِيمِ وَلُبْسِ الإِنسَانِ الجَدِيدِ بِآلامِي، لا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَصُومَ صِيَامًا صَحِيحًا وَيَعْمَلَ بِوَصَايَا الإِمْسَاكِ. فَقَد يَخْسَرُ المرءُ بصَرامَتِهِ غيرِ الوَاجِبَةِ الإِيمَانَ الَّذي يَبْدُو أَنَّه يَمْلِكُهُ. أَعْطَى المَسِيحُ مِثَالَين: الثَّوبَ وَالزِّقَاقَ العَتِيقَةَ وَالجَدِيدَةَ. تَدُلُّ الزِّقَاقُ العَتِيقَةُ عَلَى عُلَمَاءِ الشَّرِيعَةِ وَالفَرِّيسيِّين. وَرُقْعَةُ القِمَاشِ

---

[٨] OP 43:52
[٩] GP 763:75; FNPN 1 202:01
[١٠] يوحنَّا ١: ٢٩.
[١١] LCC 081:42

المُنْكَمِش وَالخَمْرُ الجَدِيدَةُ تَدُلاّن عَلَى وَصَايَا الإِنجِيل الَّتي لا يَحْفَظُهَا اليَهُودُ، وبِسَبَبِهِم يَصيرُ التَّمَزُّقُ أسوأ. تَفْسيرُ مَتَّى ١. ٩. ١٧.[١٢]

[١٢] LCC 85:77

٩: ١٨-٢٦ إِحْيَاءُ صَبِيَّةٍ وَشِفَاءُ امرَأَةٍ مُصَابَةٍ بِنَزْفِ الدَّمِ

[١٨] وبينَما هوَ يتكلَّمُ، دَنا مِنهُ رَئيسُ مَجمَعٍ وسجَدَ لَه وقالَ: «الآنَ ماتَتِ ابنَتي. تَعالَ وضَعْ يدَكَ علَيها فتَحيا». [١٩] فقامَ يَسوعُ وتَبِعَهُ معَ تَلاميذِهِ. [٢٠] وإذا امرأةٌ مُصابةٌ بنَزْفِ الدَّمِ مِن اثنَتَي عَشْرَةَ سنةً، تدنو مِنْ خَلْفِ يَسوعَ وتلمسُ طَرَفَ ثوبِهِ، [٢١] لأنَّها قالَت في نَفسِها: «يكفي أنْ ألمُسَ ثوبَهُ فأبْرأ». [٢٢] فالتفَتَ يَسوعُ فرَآها وقالَ: «ثِقي يا ابنَتي، إيمانُكِ شَفاكِ». فبرئتِ المرأةُ مِنْ تِلكَ السّاعَةِ.

[٢٣] ولمّا وصَلَ يَسوعُ إلى بيتِ رئيسِ المجمَعِ رأى الزمّارين والجمعَ في ضَجيجٍ، [٢٤] فقالَ: «أُخرُجوا! فالصَّبيَّةُ لم تمُت، لكنَّها نائمةٌ!» فضَحِكوا مِنه. [٢٥] وبعدَما أَخرَجَ النّاسَ، دخَلَ وأخَذَ بيدِ الصَّبيَّةِ فقامَت. [٢٦] وانتشرَ الخبَرُ في تِلكَ الأرضِ كُلِّها.

نَظْرَةٌ عَامَّةٌ: لاحِظْ كيفَ تَتَشابَكُ القِصَّتَان: الصِّحَّةُ تُسْبَغُ عَلَى المَريضَةِ وَالحَيَاةُ تُعَادِ إِلَى المَيْتَةِ. (هيلاريون). أَمَّا أَنَّ الصَّبِيَّةَ كَانَتْ تَتَنَفَّسُ أَو كَانَتْ مَيتَةً، فَهَذا غيرُ وَاضِحٍ وَهُو مَوضِعُ نِقَاشٍ عِندَ الآبَاءِ (الذَّهَبِيُّ الفَم، بطرس خريسولوغس). اللّه قَادِرٌ على أَنْ يُعِيدَ دِفءَ الحَيَاةِ إِلَى أَطْرَافٍ مُثَلَّجَةٍ قَبَضَهَا المَوتُ بِأَسْرَع مِنْ إِفعَامِ النَّشَاطِ في أَجْسَادٍ تَغُطُّ في النَّومِ (بطرس خريسولوغس). اقتَرَبَتِ المَرأَةُ مِنَ الرَّبِّ لا في بَيتِهَا وَلا في المَدِينَةِ الَّتي أُقْصِيَتْ عَنْهَا، إِنَّمَا لَمَّا كَانَ الرَّبُّ عَابِرًا، بِحَيثُ إِنَّه، وَهُوَ ذَاهِبٌ إِلَى امرَأَةٍ، شَفَى أُخْرَى (جيروم). في المَجْمَعِ اليَهُودِيِّ نُدْرِكُ أَنَّ الرَّئيس كَانَ

صُورَةَ عَنِ الأنبياءِ وَعَنِ الرَّسُولِ بُطرس الَّذي تَمَّتْ عَلَى يَدهِ دَعْوَةُ الأُمَمِ (كروماتيوس). تُشيرُ ابنَةُ رَئيسِ المَجْمَعِ إِلَى الشَّعْبِ اليَهوديِّ، في حِينِ أَنَّ المرأَةَ المُصَابَةَ بنَزْفِ الدَّمِ تُشيرُ إِلَى كَنيسةِ الأُمَمِ (أوغسطين). لَمَّا أَوقَفَ يَسوعُ نَزْفَ المرأَةِ، كَانَ ذَلِكَ عَلامَةً أُخْرَى لمَعْرفَتِهِ بكُلِّ الأُمُورِ. وَضَعَ حدًّا لخَوْفِهَا. لَمْ يُعْطِهَا سَبَبًا ليَخزَهَا ضَمِيرُهَا. جَعَلَ يسوعُ إيمَانَهَا مِثَالاً يُحتَذَى. وبِشَكْلٍ غيرِ مُباشِرٍ وبَّخَ حَاكِمَ المَجْمَعِ عَلَى ما قَالَهُ للمَرْأَةِ (الذَّهَبيُّ الفم). هُنَاكَ مَوَاضِيعُ مُتَشَابِكَةٌ في كُلِّ هَذِهِ القِصَصِ: إلحَاحُ الأَبِ، إيمَانُ المرأَةِ، اجتِمَاعُ الجُمُوعِ في البَيْتِ، صِيَاحُ الأَعْمَيَيْنِ وَإِحْضَارُ المَمْسُوسِ الأَصَمِّ الأَبْكَمِ (هيلاريون).

٩:١٨-١٩ دَنا مِنهُ رَئيسٌ يَهوديٌّ

السَّردُ مُتَشَابِكٌ. هيلاريون: إنَّ صَلَوَاتِ الرَّئيسِ، وَإِيمَانَ المرْأَةِ، وَتَجَمُّعَ النَّاسِ في البَيتِ، وَصِيَاحَ الأَعْمَيَيْنِ، وإحْضَارَ المَمْسُوسِ الأَصَمِّ الأَبْكَمِ... أَحداثٌ مُتَدَاخِلَةٌ. الرَّئيسُ هُنَا هُوَ الشَّريعَةُ. واجبُهُ أَنْ يُصَلِّيَ إِلَى الرَّبِّ مِنْ أَجْلِ النَّاسِ. الشَّريعَةُ أَنبَأَتْ بمَجِيءِ المَسيحِ، كَمَا هُوَ مُتَوقَّعٌ، وهَيَّأَتِ النَّاسَ لذَلِكَ. أَعَادَ المَسيحُ الحَيَاةَ إِلَى الصبيَّةِ الميتَةِ. والآنَ لا نَقْرأُ عَنْ أَيِّ رَئيسٍ أَنَّهُ كَانَ مُؤمِنًا. لذَلِكَ تُعْتَبَرُ شَخْصِيَّةُ هَذَا الرَّئيسِ المُصَلِّي نَمُوذَجًا للشَّريعَةِ. فَالرَّبُّ وَعَدَه بمُسَاعدَتِه، وَبرَّ بما وَعَدَهُ بِه. في متَّى ٩. ٥.[١]

تَعالَ وضَعْ يدكَ عَلَيها. الذَّهَبيُّ الفَم: لقد أَتْبَعَ الرَّبُّ كَلامَهَ بالعَمَلِ، فَكَمَّتْ أَفْوَاهُ الفَرِّيسيِّين. فَالَّذي أَتَى كَانَ رَئيسًا للمَجْمَعِ وَكَانَتْ مُصِيبَتُه مُرعِبَةً. فَالصَّبِيَّةُ ابنَتُهُ الوحِيدَةُ، وهِيَ في نَحْوِ الثَّانِيَةَ عَشْرةَ مِنْ عُمْرِهَا، أَي فِي زَهْرَةِ صِبَاهَا؛ لهَذَا أَقَامَهَا السَّيِّدُ للحَالِ؟ وَإِنْ قَالَ لوقا إِنَّ رِجَالاً جَاؤُوا قَائِلِين: «لا تُتْعِبِ المُعَلِّمَ، قَد مَاتَت».[٢] فَسنَقولُ هَذَا. «إِنها مَاتت الآنَ» كَانَ تَعْبِيرَ مَنْ يَحْدُسُ في الأَمْرِ ابتِدَاءً مِنْ زَمَانِ مَسيرَتِهِ، أَو مِنْ تَفَاقُمِ حُزْنِهِ. عَادَةُ المُحْتَاجِينَ والمَأْلُومِين أَنْ يُبَالِغُوا في وَصْفِ آفاتِهِم، وَأَنْ يضخموا الأُمُورَ، حتَّى يَحظَوا بعَطفِ مَنْ يَتَوسَّلُونَ إِليهم.

لَكِنْ، انظُرْ إِلَى غَلاظَةِ ذِهْنِ رَئيسِ المجْمَعِ: كَيفَ يَطلُبُ إِلى المَسيحِ حُضُورَه إِليهِ وَوَضْعَ يَدِه. وَهَذا دَليلٌ عَلَى أَنَّه تَرَكَ ابْنَتَهُ وَهِيَ

---

[١] CS 802:452

[٢] لوقا ٨: ٤٩.

مَـازَالـت تَـتَـنَـفَّـسُ. هَـذَا مَـا طَـلَـبَـهُ نُـعْـمَـانُ السّريَانيُّ مِنَ النَّبيِّ: «فقلْتُ إِنّه يَخْرُجُ إِلَيَّ وَيقِفُ وَيدعُو باسمِ الرَّبِّ إِلهِهِ، وَيضَعُ يدَه فَوقَ مَوضِعِ البَرَصِ فَيُشفَى الأَبْرَصُ».[٣] فَغِلاظُ الذّهنِ يَحْتَاجُونَ بالطَّبعِ إِلَى رُؤيَةٍ وَإِلَى أُمُورٍ مَحْسُوسَةٍ.إنجيلُ متَّى، الموعظة ٣١. ١.[٤]

٢٠:٩ امرَأَةٌ مُصَابَةٌ بنَزْفِ الدَّمِ

ابـنَـةُ الحَاكِمِ وَالمرَأَةُ المُصَابَةُ بـنَـزْفِ الدَّمِ. جيروم: يَقُولُ لوقا في إنجيلِه إِنَّ ابنَةَ الرَّئيسِ كانت في نَحوِ الثَّانيَة عَشْرَةَ مِنْ عُـمْـرِهَـا. لاحِظْ أَيضًـا أَنَّ هَـذِه المرأَةَ الَّـتِي كَانَت مِنَ الأُمَمِ مَرِضَت، على ما يَدَّعونَ، في مِنطَقَةٍ يَهُودِيَّةٍ. وَأَتَى لوقا على مَرَضِ الصَّبيَّةِ لِلمُقَابَلَةِ بَينَ الوضعَين. فَالمرأَةُ المُصَابَةُ بنَزْفِ الدَّمِ لَمْ تَقْبَلِ الرَّبَّ في بَيْتِها أَو في المَدِينَةِ (لأَنَّـهَـا، بموجَبِ الشَّرِيعَةِ، أُقصِيَت مِنَ المُدُنِ) وَحَدثَ أَنَّ الرَّبَّ كَانَ مارًّا، فَشفَى المرأَةَ في طَريقِهِ إِلَى الصَّبيَّةِ. يَقُولُ الرُّسُلُ في هَذَا الشَّأنِ: « كَانَ يجِبُ أَنْ تُبَلَّغَ كَلِمَةُ اللهِ إِلَيكُم أَوَّلا. أَمَّا وَأَنتُم ترفُضُونَها وَلا تَرَونَ أَنفُسَكُم غيرَ مستحِقِّين لِلحَيَاةِ الأَبدِيَّةِ، فَإِنَّنا نَتوجَّهُ إِلَى الوَثنيِّينَ».[٥] تفسيرُ متَّى ١. ٩. ٢٠.[٦]

٢١:٩ لَمسُ طَرَفَ ثوبِ يَسوع

لَمَسَت هُدْبَ ثوبِه. الذَّهَبيُّ الفَم: لِمَاذَا لَمْ تَدْنُ المرأَةُ النَّازِفَةُ من يسوعَ بجُرْأَةٍ؟ لَبِسَتْ عِطَافَ الْحَيَاءِ بِسَبَبِ مِحْنَتِهَا، فَاعتَبَرَت نَفْسَهَا غير طَاهِرَةٍ. فَالمرأَةُ الطَّامِثُ تَفرُزُهَا الشَّرِيعَةُ كنَجِسَةٍ، فَكَم بالأَولى أَنْ تَظُنَّ أَنَّها مُصَابَةٌ بمَرَضٍ كَهذا يُعْتَبَرُ في حُكْمِ الشَّرِيعَةِ نَجَاسَةً عَظِيمَةً.[٧] لِهذا اعتَكَفَت في بَيتِهَا واعتَزَلَتْ النَّاسَ. لَمْ تَكُنْ هذِهِ المرأَةُ النَّازِفَةُ تَعْتَقِدُ بيَسُوعَ اعتِقَادًا لائِقًا وَصحِيحًا، وَإِلاَّ لَمَا فكَّرَت في أَنْ تَحْتَجِبَ. إنجيلُ متَّى، الموعظة ٣١. ١.[٨]

٢٢:٩ ثِقي يا ابنَتِي، إيمَانُكِ شَفَاكِ

جَعْلُ المرأَةِ مَرْئِيَّةً. الذَّهَبيُّ الفَم: مَاذَا يَفْعَلُ المسيحُ عِندئِذٍ؟ لا يَترُكُهَا مُفرَدَةً، بَلْ يَأتِي بِهَا إِلَى وَسطِ النَّاسِ وَيكشِفُ عَن أَمرِهَا لأَغرَاضٍ كثيرَةٍ. يَقُولُ بَعضُ قُساةِ

[٣] ٢ ممالك (ملوك) ٥: ١١.
[٤] GP 75:369-70; NPNF 1 10:205
[٥] أعمال ١٣: ٤٦.
[٦] CCL 77:59
[٧] لاويّين ١٥: ٢٥.
[٨] GP 75: 371; NPNF 1 10: 205-6

القُلوبِ: «إنَّه يفْعَلُ هَذا مَحبَّةً بالمَجدِ». وَيقُولُون: «لِمَاذا إذا لمْ يَأذنْ لَها بأَنْ تبْقَى مُفرَدةً»؟ مَاذا تقُولُ أيُّها الدَّنِسُ وَالمملُوءُ رجَاسَةً؟! أوَمَنْ يَأمُرُ بالصَّمْتِ وَيحجُبُ عَجَائبَه الَّتي لا حَصْرَ لهَا يكُونُ مُحِبًّا للشُّهرَةِ؟!

لأيَّةِ غَايةٍ يَأتِي يَسُوعُ بالمرأةِ إلَى وَسطِ الجمَاعَةِ إذًا؟ بالدَّرجَةِ الأُولَى، ليُزِيلَ خَوْفهَا، لئلاَّ تكُون، وقد نخسَها ضَميرُهَا، كمَن سَرقتِ العَطيَّةَ ووَقَعتْ في الضِّيقِ؛ بالدَّرجَةِ الثَّانيَةِ، ليُؤدِّبَها لأنَّها فكَّرتْ في التَّخفِّي؛ ثَالِثًا، ليُرِيَ النَّاسَ أجْمَعِين إيمَانَها، فيَحُثَّ الآخرين على الاقتِداءِ بها، إذ لمْ يكُنْ إيقافُه ليَنَابيعِ دَمِها علامةً أُخْرَى لمعْرِفتِه بكُلِّ الأشيَاءِ؛ وَأخيرًا ليُؤدِّبَ، بوَاسِطةِ المرأةِ، رَئِيسَ المجْمعِ الَّذي كادَ شكُّهُ يُوقِعُهُ في التَّهلكَةِ. إنجيلُ متَّى، الموعظة ٣١. ٢.[٩]

السُّخرِيَاتُ تبدُو للعَيَان. هيلاريون: كمَا شُفِيَتِ المرأةُ شُفِيَ جُمهُورُ الخاطِئين. أوَّلاً، مِنَ المُستحَبِّ التَّقيُّدُ بأحكامِ الشَّريعةِ المُتعلِّقَةِ بالطَّهارَةِ. لَكنَّ البُرءَ الكامِلَ أُعِيدَ إلَى الخَاطِئينَ وَجُباةِ الضَّرائِبِ بظُهُورِ المرأةِ. هذِهِ، لمَّا لاقتِ الرَّبَّ وَهُو عَابرٌ، آمنتْ إيمَانًا رَاسِخًا بأنَّها إذا لامَسَتْ ثَوبَهُ سَتُشفَى مِنْ نَزْفِ دَمِها. أسْرعَتْ بإيمَانٍ، وهِيَ لابسَةٌ ثِيابًا رثَّةً مُدنَّسَةً بقَذارَةِ بلْوَاها، لتَلْمُسَ هُدْبَ ثوبِه. في وَسطِ الرُّسُلِ سَعَتْ إلَى لَمْسِ مَوْهِبةِ الرُّوحِ القُدُسِ المُنبثِقَةِ مِنْ جَسَدِ المَسيحِ، فَشُفِيَتْ مِنْ سَاعَتِها... لقَدِ امتَدحَ الرَّبُّ إيمَانَها وَثبَاتَها. إنَّ مَا أُعِدَّ لإسرائيلَ حَظِيتْ بِهِ الأُمَمُ. في متَّى ٩. ٦.[١٠]

كَنِيسَةُ الأُمَمِ تَلمُسُ الرَّبَّ. أوغسطين: تُشيرُ ابنَةُ رَئِيسِ المَجْمَعِ بِرمزٍ إلى الشَّعْبِ اليَهوديِّ، والمرأةُ إلَى كَنِيسَةِ الأُمَمِ. المَسيحُ الرَّبُّ، المولُودُ لليَهُودِ بحَسَبِ الجَسَدِ، قُدِّمَ لليَهُودِ بحَسَبِ الجسَدِ. لكِنَّه أرسَلَ آخرِينَ إلَى الأُمَمِ ولَم يَذهَبْ هُوَ نَفْسُهُ... يقُولُ الرَّسُولُ: «وأنَا أقُولُ لكُم إنَّ المَسِيحَ صَارَ خَادِمَ الخِتَانِ لأجْلِ صِدْقِ اللهِ ليَفِيَ بما وَعَدَ بِهِ الآبَاءَ».[١١] لقَد قِيلَ لإبراهِيمَ «يتَبارَكُ بنَسْلِكَ جَمِيعُ أُمَمِ الأرضِ».[١٢] «أمَّا الأُمَمُ فيُمَجِّدُونَ اللهَ علَى رَحمتِهِ».[١٣] لذَلِكَ أُرسِلَ المَسِيحُ إلَى اليَهُودِ، فَانطلَقَ ليُعِيدَ الحيَاةَ إلَى ابنَةِ رَئِيسِ المجمَعِ. ظَهرت المرأةُ عَلَى مَسْرحِ الأحْداثِ

(٩) GP 75:173-27; NPNF 1 10:206
(١٠) SC 254:210
(١١) رومية ١٥: ٨.
(١٢) تكوين ٢٢: ١٨.
(١٣) رومية ١٥: ٩.

فَنَالَتِ الشِّفَاءَ. نَالَتهُ بِإيمَانِها ... فَالمُخَلِّص قَالَ: «مَنْ لَمَسَني؟».[١٤] المرأَةُ تُشيرُ إِلَى كَنِيسَةِ الأُمَمِ. المواعظ ٦٣ ب.[١٥]

٩:٢٣-٢٤ الصَّبيَّةُ لَمْ تَمُتْ، لَكِنَّها نَائِمَةٌ!

المَوتُ وَالنَّومُ. بطرس خريسولوغس: يَصِلُ المَسِيحُ إِلَى البَيتِ وَيَرَى الصَّبِيَّةَ الّتي تَبْدُو مَيتَةً. وَحتَّى يُحَوِّلَ قُلُوبًا غَيرَ مُؤمِنَةٍ إِلَى مُؤمِنَةٍ، يَقُولُ إِنَّ ابنةَ الرَّئيسِ لَمْ تَمُتْ وَلَكِنَّها نَائِمَة. ظَاهِرِيًّا يَبدو أَنَّ إِقَامَتَهَا مِنَ النَّومِ، مِنْ إِقَامَتِها مِنَ المَوتِ أَيْسَر. لذَلِكَ يَقُولُ: «فَالصَّبِيَّةُ لَمْ تَمُتْ، لكنَّها نائِمةٌ!» عِندَ اللهِ المَوتُ نومٌ، فَاللهُ يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يُعِيدَ المَيتَ إِلَى الحَيَاةِ بِأَسْرَعَ مِنْ أَنْ يُنهِضَ البَشَرَ مِنَ النَّومِ، وَيَقدِرُ عَلَى أَنْ يُعِيدَ الدِّفءَ إِلَى أَطرَافٍ مُثَلَّجَةٍ قَبَضَها المَوتُ، وَيَبعَثَ الحَيَاةَ في الأَجْسَادِ الغَارِقَةِ في النَّومِ. إسمَعْ كَلامَ الرَّسولِ: «في لَحظَةٍ، في طَرفَةِ عَينٍ، يَقُومُ الأَمواتُ».[١٦] وَلأَنَّ الرَّسُولَ المُبَارَكَ كَانَ عَاجِزًا عَنْ أَنْ يُحَدِّدَ سُرعَةَ القِيامَةِ بِكَلامٍ، اختَارَ الأَمثِلَةَ. هَل يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقِيسَ السُّرعَةَ عِندَمَا تَسبِقُ القُدرَةُ الإِلَهِيَّةُ السُّرعَةَ نَفْسَهَا؟ كَيفَ يُدخِلُ الوَقتَ في الصُّورَةِ عِندَمَا يُعْطَى مَا هُوَ أَبَدِيٌّ خَارِجَ الوَقتِ؟ يَنْطَبِقُ الوَقْتُ عَلَى مَا هُوَ مُؤَقَّتٌ، لَكِنَّ الأَزَلِيَّةَ تَتَجَاوزُ الزَّمنَ والمَوَاقيت. المواعظ ٣٤. ٥.[١٧]

٩:٢٥-٢٦ أَخَذَ بِيَدِ الصَّبِيَّةِ فَقَامَتْ

أَخرَجَ الشَّعبَ خَارِجًا. كروماتيوس: الزَّمَّارونَ وَالمُتَفَرِّجونَ الَّذينَ عَلَتْ صَيحَاتُهم سَخِرُوا مِنَ الرَّبِّ لأَنَّه قَالَ: «الصَّبِيَّةُ لَمْ تمُت، لَكِنَّها نَائِمَةٌ!» نَرَى مِثَالاً لرُؤَسَاءِ المَجَامعِ الَّذينَ، لَمَّا سَمِعُوا أَنَّ أَمَلَ الحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ قَد وَعَدَ بِه ابنُ اللهِ الأُمَمَ، هَزِئوا وَازدَرَوا نِعْمَةَ الرَّبِّ العَظِيمَةَ. لَمْ يُصدِرِ الأَمرَ بِإخرَاجِهِم ظُلمًا، بَلْ أَظهَرَ أَنَّ المُشَكِّكينَ وَغَيرَ المُؤمِنينَ يَجِبُ إِقصَاؤُهُم عَن وَعْدِ الحَيَاةِ الأَبدِيَّةِ، أَو عَنَ المَلَكُوتِ عَلَى يَدِ مُنْشِئِ الحَيَاةِ وَرَبِّ المَلَكُوتِ السَّمَاوِيِّ. مواعظ حول متَّى ٤٧. ٧.[١٨]

قَامَتِ الصَّبِيَّةُ. كروماتيوس: في رَئيسِ المَجْمَعِ نَرَى صُورَةَ الأَنبيَاءِ أَو الرُّسُلِ، وَعَلَى الأَخصِّ القِدِّيسَ بطرسَ الَّذي تَمَّت عَلَى يَدَيه

[١٤] مرقس ٥: ٣٠.
[١٥] AM 1:116-21; ASW 3 3:180-81
[١٦] ١ كورنثس ١٥: ٥٢.
[١٧] LCC 42: 198-99
[١٨] LCC 9a: 434

دَعوةُ الأُمَم؛ وَفي الصَّبيَّةِ نَرى كُلَّ الشَّعبِ المُقَدَّسِ الَّذي أَرضَى اللهَ بِبِرِّ الإيمَان، لا بِأَعْمَالِ الشَّريعَةِ.....

فَضلاً عَن ذَلِكَ، وحَتَّى نَفْهَمَ أَنَّ سِرَّ الخَلاصِ كُلَّه قَد أُنبِئَ بِه في هَذِه الفَتَاةِ، فَبَعْدَ أَنْ أُقِيمَت مِن المَوتِ، كَمَا يَقُولُ لُوقَا، أَمَرَ الرَّبُّ أَنْ تُعْطَى طَعَامًا. وتَرتِيبُ إيمَانِنا وَخَلاصِنَا قَد ظَهَرَ هُنَا. عِندَمَا يَتَحَرَّرُ المُؤمِنُ في المَعْمُودِيَّةِ مِنَ المَوتِ الأَبَديِّ، وَيَعُودُ إِلَى الحَيَاةِ مُتَقَبِّلاً عَطِيَّةَ الرُّوحِ القُدْس، فَمِنَ الضَّروريِّ أَنْ يُعْطَى خُبزًا سَمَاويًّا؛ كَمَا قَالَ الرَّبُّ: «إِنْ كُنتُم لا تَأْكُلُونَ جَسَدَ ابنِ الإِنسَانِ وَلا تَشرَبُونَ دَمَه، فَلَن تَكُونَ فِيكُم الحَيَاة».[١٩] الموعِظَةُ حول متَّى ٤٧. ٦-٧.[٢٠]

---

[١٩] يوحنّا ٦: ٥٣.
[٢٠] LCC 9a: 334-43

٩: ٢٧-٣٤ شِفَاءُ الأَعمَيَين وَالأَخرَس

[٢٧] وسارَ يَسوعُ مِنْ هُناكَ، فتَبِعَهُ أعميَانِ يَصيحانِ: «رُحماكَ، يا ابنَ داودَ!» [٢٨] ولمّا دخَلَ البَيتَ، دَنا مِنهُ الأعمَيانِ. فقالَ لهُما يَسوعُ: «أتؤمنانِ بأنِّي قادِرٌ على ذلِكَ؟» فأجابا: «نَعَم، يا ربُّ!» [٢٩] فلمَسَ يَسوعُ أعيُنَهُما وقالَ: «فلْيَكُنْ لكُما حسبَ إيمانِكُما». [٣٠] فانفتَحَتْ أعيُنُهُما. وأنذرَهُما يَسوعُ فقالَ: «إيّاكُما أن يَعلَمَ أحدٌ!» [٣١] ولكنَّهُما خرَجا وشَهَراه في تِلكَ الأرضِ كُلِّها.

[٣٢] وما إنْ خرَجَا حتّى أتَوه بأخرسَ فيهِ شيطانٌ. [٣٣] فلمّا طُرِدَ الشَّيطانُ تكلَّمَ الأخرسُ. فتعَجَّبَ الجُموعُ وقالوا: «لم يظهرْ قطُّ مِثلُ هذا في إسرائيلَ!» [٣٤] ولكنَّ الفرِّيسيِّينَ قالوا: «برئيسِ الشَّياطينِ يطرُدُ الشَّياطينَ!»

نَظْرَةٌ عَامَّةٌ: أَبصَرَ الأَعمَيَان لأَنَّهما آمَنَا؛ لَمْ يُؤمِنَا لأَنَّهما أَبصَرَا (هيلاريون). لَمَّا كانا مَحْرُومَين مِن نُورِ الإيمَانِ وَمَستُورَين بِحِجابِ الشَّرِيعَةِ، كَانَا في ظُلْمَةِ العَمَى، لكِنَّ نَظرهُما أُعِيدَ حَالَمَا أَعْلَنَا إِيمَانَهُما بِابنِ اللّه (كرومَاتيوس). مَا أَظهَرَهُ المَوتُ وَالمرضُ في الحَالاتِ السَّابِقَةِ أَظْهَره العَمَى في هذِه الحَالَةِ (جيروم). لَمَّا كَانَت أَعيُنُهُما ضَرِيرَةً، تَلَقَّيَا الإيمَانَ سَمَاعًا. وَمِنَ الغَرَابَةِ بِمَكانٍ أَنَّ السَّيِّد حَذَّرَهُمَا، بَعْدَ أَنْ استَعَادَا بَصَرَهُمَا، مِن مَغَبَّةِ نَشرِ مَا حَدَثَ. لكِنَّهما نَشرا الكَلِمَةَ في كُلِّ مكَانٍ (الذَّهبيُّ الفَم).

لَيسَ عِندَ المَمْسُوسِ لِسَانٌ حتَّى يَبوحَ بِمَا في نفسِهِ، فَلا وَسِيلَةَ عِندَه ليَتكَلَّمَ بِالأَصَالَةِ عَن نَفْسِهِ، فَأَتَوا بِهِ إلَى يَسُوع. فَكَمَا أَنَّ لِسَانَهُ كَانَ مَربُوطًا، هَكَذَا كَانَت نَفسُهُ (الذَّهبيُّ الفَم). وَكمَا تَلَقَّى الأَعمَيَان النُّور، هكذَا شُفِيَ لِسَانُ ذَلِكَ الإنسَان (جيروم). تَقَعُ المُعجِزَاتُ في تَسلسُلٍ مُدهِشٍ. لقَد طُرِدَ إبليسُ أَوَّلاً، وَحصَلَ الأَعمَيَان عَلَى المَنَافِعِ الجَسَدِيَّة. بِمَعرِفَتِنا اللّه وَاعتِرَافِنا بِقُدرَتِهِ نَطرُدُ الخُرَافَاتِ وَمَا وَلَّدَتهُ في نُفوسِنا مِن حَمَاقَاتٍ، وَنَستَعِيدُ البَصَرَ وَنسمَعُ كَلامَ الشِّفَاءِ (هيلاريون). لَقَد تَابَعَ الفَرِّيسِيُّون الانتِقَاصَ مِنْ قَدْرِ أَعمَالِ يَسوع، مُنَاقِضِين أَنفُسَهُم بِلا خَجَلٍ (الذَّهبيُّ الفَم).

٩:٢٧ أَعمَيَانِ يَطلُبَانِ الرَّحمَة

أَبصَرا لأَنَّهُما آمنا. هيلاريون: في ذَلِكَ الوَقتِ، تَبِعَ أَعمَيَانِ الرَّبَّ لَمَّا كَانَ عَابِرًا مِن هُنَاكَ. لَكِنْ، إذَا كَانَا لا يُبصِرَانِ فَكيفَ عرفَا تحَرُّكَاتِ الرَّبِّ وَعرفَا اسمَه؟ قَالا عَنهُ إنَّه «ابنُ داود» وَ سَأَلاه أَن يُعَافِيَهُمَا. في الأَعمَيَين تَمَّ كُلُّ ما صُوِّرَ سَبقِيًّا. فَابنَةُ رَئِيسِ المَجمَعِ تَبدو كَأَنَّها من هَؤُلاءِ النَّاس، أَي مِنَ الفَرِّيسيِّين وَتَلامِيذِ يوحنَّا، الَّذينَ كَانَت غَايَتُهُم المُشتَرَكة أَنْ يَختبروا الرَّبَّ. هَؤُلاءِ الأَشخَاصُ غَيرُ المَعرُوفِين أُعْطُوا الشَّرِيعَةَ شَهادَةً لِمَن طَلَبُوا مِنه الشِّفَاء. فقد دَلَّتهُم عَلَى أَنَّ مُخَلِّصَهُم في الجَسَدِ كَانَ مِن نَسلِ دَاود. فَأَدخَلَتِ النُّورَ إلَى عُقُولِ الَّذين كَانُوا عُميَانًا بِسَبَبِ خَطَايَاهُم السَّابِقَةِ. لَم يَرَوا المَسِيحَ، لَكِنْ أُخبِروا عَنهُ. فَأَبَانَ لَهُم الرَّبُّ أَنَّ الإيمَانَ لَيسَ نَتِيجَةَ الشِّفَاءِ، بَل أَنَّ الشِّفَاءَ هُوَ نَتِيجَةُ الإيمَان. الأَعميَان لَمْ يُؤمِنَا لأَنَّهما أَبْصَرَا، بَلْ أَبْصَرا لأَنَّهما آمَنا. نَستَخلِصُ مِمَّا تَقَدَّم أَنَّ مَا يُلتَمَسُ يَجِبُ أَنْ يُنسَبَ إلَى الإيمَان، وَأَنَّ الإيمَانَ يَجِبُ أَلاَّ يُمَارَس بِسبَبِ مَا تَمَّ الحُصُولُ عَلَيهِ. إذ آمَنُوا استَرجَعُوا البَصَرَ. لَقَد أَوصَى المُؤمِنِينَ بِأَنْ

يعتَصِمُوا بالصَّمتِ تَارِكِينَ مُهِمَّةَ التَّبشيرِ للتَّلاميذِ. في متَّى ٩. ٩.[١]

مَحرُومَان مِن نُورِ الإيمَان. كروماتيوس: استِنَادًا إِلى تَفسِيرٍ مَجَازِيٍّ، يُعبِّرُ هَذَانِ الأعمَيَانِ عَنِ المَملَكَتَينِ اليَهُودِيَّتَينِ المَقسُومتَين (بَينَ رَحبعَام وَجيرويعَام بَعد مَوتِ سُليمَان). استِنَادًا إِلى تَفسِيرٍ آخَر، يُعْتَبَرُ اليَهُودُ وَالأُمَمُ نُسختَين عَنِ الأعمَيَين. لَكِنَّ هذا التَّشبيه لا يَنطَبقُ على الوَاقِع. فَهَل يُمكِنُ للأُمَمِ، قَبلَ استِنَارَتِهم، أَنْ يُعْلِنُوا أَنَّ المَسيحَ هُو ابنُ داود، وَهُم مَا كَانُوا قَد سَمِعُوا بعدُ بِالشَّرِيعَةِ وَالأَنبياءِ؟ الأَصَحّ أَنَّ الأَعمَيَين عَرَفَا مِنَ الشَّرِيعَةِ وَالأَنبِيَاءِ أَنَّ المَسِيحَ هو ابنُ داود. كَانَا ضَرِيرَين لِعَدَمِ إيمَانِهِما، وَلِفُقدَانِهما تَاليًا القُدرَةَ عَلَى أَن يُشَاهِدَا النُّورَ الحَقِيقيَّ، ابنَ اللهِ الأَوحدَ الَّذي أُنبِئَ بِهِ في الشَّرِيعَةِ وَالأَنبِيَاءِ. وَلَمَّا كَانَا مَحرُومَين نُورَ الإيمَانِ وَعَلَى أَعيُنِهِمَا عِصَابُ الشَّرِيعَةِ، كَانَا في ظُلمَةِ العَمَى، وَهَذَا مَا قَالَهُ الرَّسُولُ المُبَارَكُ: «إِنَّ ذَلِكَ القِنَاعَ لا يَزَالُ إِلى اليَومِ غير مكشُوفٍ عِندَمَا يُقْرَأُ العَهدُ القَدِيمُ وَلا يَنزِعُهُ إِلاَّ المَسِيحُ».[٢] لَكِنَّهُما استَعَادَا نَظَرَهُمَا لَمَّا أَعلَنَا إيمَانَهُمَا بِابنِ اللهِ. إِنَّ مَنْ يُؤمِنُ مِن هَذَينِ الشَّعبَين عَلَيهِ أَنْ يُؤمِنَ بِأَنَّ ابنَ اللهِ جَاءَ لِيُخَلِّصَ الجِنسَ البَشَرِيَّ وَيُشرِقَ عَلَيهِ بِالنُّورِ الحَقِيقِيِّ حَالَمَا يُزَالُ عَنهُم ضَلالُ العَمَى. موعظَةٌ حَول متَّى ٤٨. ٢.[٣]

٩: ٢٨ «أَتُؤمِنَان»

لمَّا دَخَلا البَيتَ. جيروم: بَعد أَنْ سَارَ الرَّبُّ مِن بَيتِ رَئيسِ المَجمَعِ إِلى مَدِينَتِهِ (كَمَا نَقرَأُ أَعلاه) «رَكِبَ القَارِبَ وَعَبَرَ البُحَيْرَةَ رَاجِعًا إِلَى مَدِينَتِهِ».[٤] للحَال صَاحَ الأَعمَيَانِ وَقَالا: «رُحمَاكَ يَا ابنَ دَاود!» لَم يَنَالا الشِّفَاءَ وَهُمَا في الطَّرِيقِ، كَمَا تَوَقَّعَا، بَلْ بَعْدَ أَنْ بَلَغَا بَيتَهُ. اقتَرَبَا منه وَدَخَلا البَيتَ. أَوَّلاً، يَتِمُّ النِّقَاشُ حَولَ إِيمَانِهِم لِيَتَلَقَّوا نُورَ الإيمَانِ الحَقِيقيِّ. عَلامَةٌ أُخرَى تُضَافُ إِلى العَلامَةِ الأُولَى الَّتي أَشرنَا إِلَيهَا في ابنَةِ رَئيسِ المَجْمَعِ وَفي المَرأةِ المُصَابَةِ بِنَزفِ الدَّمِ، بِحيث يَظْهَرُ الموتُ وَالمَرضُ في الحَالَةِ الأُولى، وَالعَمَى في الحَالَةِ الثَّانِيَةِ. كِلاهُمَا كَانَا ضَرِيرَين لمَّا كَانَ الرَّبُّ عَابِرًا إِلَى مَنزِلِهِ. فصرخَا: «رُحمَاكَ، يا ابنَ داود!» وليُجيبَا عَن سُؤَالِ يَسوع» «أَتُؤمِنَان بِأَنِّي

[١] CS 452:212-41

[٢] ٢ كورنثس ٣: ١٥– ١٦.

[٣] LCC 734:a9

[٤] متى ٩: ١.

قَـادِرٌ عَلَـى ذَلِكَ؟» أعلَنَـا قَـائِلَين: «نَـعَم، يَـا رَبُّ»! فَلَـو لَمْ يُـعْلِنَـا ذَلِكَ لَـمَـا نَـالا النُّورَ الحَقِيقِيّ. تفسيرُ متَّى ١. ٩. ٢٧.[٥]

٩:٢٩ فَلْيَكُنْ لَكُما عَلَى قَدْرِ إِيمَانِكُما

يَـسُوعُ يَـسأَلُـهُمَا. الـذَّهَـبِـيُّ الـفَـم: لِمَـا يَصُدُّهُمَا السَّيِّدُ وَهُمَا يَصِيحَانِ؟ لِيُعَلِّمَنَا أَنْ نَرفُضَ المَجْدَ الَّذي يَأتِي مِنَ الجَمْعِ. فَلأَنَّ البَيتَ كَانَ قَرِيبًا تَوجَّهَ بِهِمَا إِلَيه هُنَاكَ لِيَشفِيَهُمَا على انفِرَادٍ. وَهَذَا يَتَّضِحُ مِنْ أَنَّه أَمَرَهُمَا أَلاَّ يُخْبِرا أَحَدًا بِالأَمرِ. إنجيلُ مَتَّى، الموعظةُ ٣٢. ١.[٦]

٩:٣٠ إِيَّاكُما أَنْ يَعلَمَ أَحَدًا!

لا تُخْبِرَا أَحَدًا. الذَّهَبِيُّ الفَم: هَذِهِ التُّهمَةُ المُوجَّهَةُ ضِدَّ اليَهُودِ لَيسَت بِالتَّافِهَةِ. نَالَ هَـذَانِ الـرَّجُلانِ الإِيمَانَ بِـالسَّمَـاعِ فَقَط، إذ إِنَّـهُمَـا كَـانَـا كَفِيفَـي البَـصَر، فِي حِين أَنَّ اليَهُودَ رَأَوا المُعْجِزَاتِ رَأْيَ العَينِ، وَجَعَلَت أَعيُنُهُم تَعجُمُ مَا كَانَ يَحدُثُ، لَكِنَّهُم كَانُوا يَـفْعَلُـونَ الـعَكسَ تَـمَـامًـا. أنـظُرْ إِلَى عَزمِ الكَفِيفَيْنِ فِي صُرَاخِهِمَا وَتَضَرُّعِهِما. إِنَّهُمَا لَـمْ يَقْتَرِبَـا مِنـهُ فَحَسب، بَلْ صَرَخَـا أَيْضًـا بِصَـوتٍ عَـالٍ، سَـائِلَـينَ الـرَّحـمَـةَ، ولا شَيءَ سِوَى الـرَّحمَـةِ. كَـانَـا يَدعُـوَانِـه «ابنَ دَاود»، ظَنًّا مِنـهُمَـا أَنَّ اسمَـهُ مُكَرَّمٌ. إنجيلُ مَتَّى، الموعظةُ ٣٢. ١.[٧]

٩:٣١ خَرَجا ونَشَرَا الخَبَرَ

أَظهَرَا مَا فَعَلَهُ يَسُوعُ. الذَّهَبِيُّ الفَم: لَمْ يَـتَـقَـيَّـدا بِـأَوامِرِ الرَّبِّ، بَل صَـارَا مُبَشِّرِين وَإِنجِيلِـيِّـين، وَعِـنـدَمَـا أُمِرَا بِـأَن يُـخْـفِيَـا مَـا حَدَث، لَمْ يَتَقَيَّدَا بِذَلِكَ. وَإِنْ كَانَ بَيَّنَا أَنَّه قَالَ فِي مَوقِعٍ آخَر: «إِرجِعْ إِلَى بَيتِكَ وَحَدِّثْ بِمَجدِ اللّه»[٨] فَهَذَانِ المَوقِفَانِ لا يَتَعَارَضَانِ، بَل يَتَّفِقَانِ. فَالسَّيِّدُ يُعَلِّمُنَا أَلاَّ نَقُولَ شَيئًا مِنْ أَنفُسِنَـا عَن أَنـفُسِنَـا، وَيَمـنَـعُ النَّـاسَ مِنْ أَنْ يَمْدَحُونَا. أَمَّا إِذَا أُعِيدَ المَجدُ لله فَعِندَئِذٍ لا يَمْنَعُهم، بَل يَأْمُرُهُم بِأَنْ يَفعَلُوا ذَلِكَ. إنجيلُ مَتَّى، الموعظة ٣٢. ١.[٩]

٩:٣٢ جَاءَهُ بَعضُ النَّاسِ بِأَخْرَسَ فِيهِ شَيطَانٌ

مَمسُوسٌ. الذَّهَبِيُّ الفَم: المَرَضُ لَمْ يَكُنْ مِنَ الطَّبِيعَةِ، بَل مِنْ مَكِيدَةِ إِبلِيس؛ لذَا استَنجَدَ

(٥) CCL 77:60- 16

(٦) PG 57:377; NPNF 1 10:210

(٧) PG 57:377; NPNF 1 10:210-11

(٨) لوقا ٨: ٣٩؛ أنظر مرقس ٥: ١٩.

(٩) PG 57:378; NPNF 1 10:211

الأَخْرَسَ بالآخَرينَ ليُقدِّمُوه. فهُوَ لَمْ يستَطِعْ أَنْ يَتوسَّلَ إليهِ ولا أَنْ يتَضرَّع إلى الآخرينَ ليُقدِّمُوه، لكَونهِ أَخْرَس، إذ قيَّدَ إبليسُ لِسَانَه. ومعَ لِسَانِه قُيِّدَت نفسُهُ أيضًا. لهَذا السَّببِ لم يَطْلُبِ السَّيِّدُ مِنهُ إيمانَهُ، بَلْ أبرأَهُ مِن فَورِه. فلمَّا طَردَ يَسوعُ الشَّيطانَ تكلَّمَ الأخْرسُ. فتعَجَّبَ الجُموعُ وقَالُوا: «لَمْ يَظْهرْ قطُّ مِثلُ هَذا في إسرائيلَ!» هَذا ما أَغضَبَ الفرِّيسيِّين أشدَّ الغضَب، إذ أَجمعَ النَّاسُ عَلى تفضيلِهِ عَلَى مَنْ سَبقُوهُ وعَلى مَنْ عَاصَروهُ. فضَّلُوه لا لشِفَائهِ المرضَى فَحَسب، بَلْ أَيْضًا لإبرائِهم ممَّا أثقلَهُم مِن عِلَلٍ لا حَصْرَ لهَا، بسُهُولَةٍ وبسُرعَةٍ فَائقَةٍ. إنجيلُ متَّى، الموعظةُ ٣٢. ١.[١٠]

انحلَّ رِبَاطُ لِسَانِه. جيروم: مَا يُسمَّى في اليُونَانيَّةِ kophos هُوَ الأَصَمُّ أكثرَ ممَّا هُوَ الأَخْرَسُ، لكِنَّ الكِتَابَ المقدَّس يَستَعمِلُ هَذا المُصطَلَحَ ليَدُلَّ عَلَى الأَصَمِّ والأَخرَسِ. رُوحِيًّا، كَمَا يَتلقَّى الأعمَى النُّور، هَكذا يَنْحَلُ رِباطُ لِسَانِ الأَخرسِ فَينطِقُ ويُعْطِي مَجدًا لِمَن رَفضَهُ مِنْ قبلُ. تفسيرُ متَّى ١. ٩. ٣٣.[١١]

٩: ٣٣ لَمْ يَظْهَرْ قطُّ مِثْلُ هَذا في إسرائيلَ!

التَّرتِيبُ الصَّحِيحُ لتَتَابُعِ العَجَائب. هيلاريون: في الأَصَمِّ والأَخرَسِ والمَمسُوسِ بَدَت حَاجَةُ الأُمَمِ المَاسَّةُ إلى الشِّفاءِ الكَامِلِ. ولكَوْنِهِمْ مُحَاطِينَ مِنْ كُلِّ الجَوانِبِ بالسُّوءِ، فقَد لازمَتهم كُلُّ أَنواعِ أَمْرَاضِ الجَسَدِ. في هَذا الاعتِبَارِ يُلاحَظُ التَّرتِيبُ التَّالي: أَوَّلاً، يُطْرَدُ إبلِيسُ، ثُمَّ تَلِي المَنَافِعُ الجَسَدِيَّةُ الأُخْرَى. بمَعْرِفَةِ اللهِ تَضْمَحِلُّ حَمَاقَةُ كُلِّ الخُرافَاتِ، ويُعْطَى البَصَرُ والسَّمْعُ والنُّطقُ الشِّفَاءَ التَّامَّ. فإعلانُ المُبصِرِينَ تَبِعَ إعجَابَهُم بمَا حَدَث: «لَم يَظْهَرْ قطُّ مِثلُ هَذا في إسرائيلَ!» حقًّا، مَنْ لَمْ تُساعِدْهُ الشَّريعَةُ، صَارَ صَحِيحًا بقُدرَةِ الكَلِمَةِ، وتَحَدَّثَ الأَخرَسُ الأَصَمُّ بمَجدِ اللهِ، فأُعْطِيَتِ الأُمَمُ الخَلاصَ إلَى الأُمَمِ. كُلُّ المُدُنِ والقُرَى استَنَارَت بقُدرَةِ المَسيحِ وحُضُورِه، وتَحرَّرَ النَّاسُ مِنْ أَمرَاضِهِم وعَاهَاتِهِم المُزمِنَة. في متَّى ٩: ١٠.[١٢]

---

[١٠] GP 75:378; NPNF 1 10:211

[١١] CCL 77:61-62

[١٢] SC 254:214

٩:٣٤ بـرئـيس الشَّـيـاطِين يَـطـرُدُ الشَّياطِينَ!

تَذَمُّرُ الفَرِّيسيِّين. الذَّهبيُّ الفَم: هَكَذَا كَانَتِ الجُمُوعُ، أمَّا الفَرِّيسيُّونَ فكَانوا عَلَى نقيض ذلِكَ تمامًا. فلَم يَنتَقِصوا مِنَ الأعمالِ فقط، بَل قالوا أيْضًا بكُلِّ وَقاحَةٍ أشياءَ مُخالِفَةً لَها. إنَّ أمرًا كَهَذا لَهُوَ شَرٌّ. فَماذا قالوا؟ «برئيسِ الشَّياطينِ يَطرُدُ الشَّياطِينَ!» مَا أحمَقَ ذلِكَ؟ بالدَّرجَةِ الأُولَى، يَستَحِيلُ عَلَى الشَّياطِينِ، كَمَا يَقُولُ السَّيِّدُ، طَرْدُ الشَّياطين: فَمِن عَادَتِها أنَّها تُصَفِّقُ للشَّيطَانِ، لا أنْ تَقضِيَ عَلَيهِ. لَكِنَّ السَّيِّدَ لَم يَطرُدِ الشَّيَاطِينَ فَقط، بَل أيْضًا طَهَّرَ البُرصَ وأقامَ الأمواتَ ولَجَمَ البَحرَ وَغَفَر الخَطَايَا وَبَشَّرَ بالمَلَكُوتِ وَجاءَ بالنَّاسِ إلَى الآبِ؛ وَهِيَ أُمُورٌ لا يَبتَغيهَا إبلِيسُ، وَيعجِزُ عَن القِيَامِ بِهَا. إنجيلُ متَّى، الموعظة ٣٢. ٢.[١٣]

[١٣] GP 57:378; NPNF 1 10:211-12

٩:٣٥–٣٨ الحَاجَةُ إلَى العُمَّالِ

[٣٥]وطافَ يَسوعُ في جميعِ المُدُنِ والقُرى يُعلِّمُ في المَجامِعِ ويُبشِّرُ بإنجيلِ المَلَكوتِ ويَشفي النَّاسَ مِنْ كُلِّ مَرَضٍ وَداءٍ. [٣٦]ولمَّا رأى الجُموعَ أشفقَ عليهِم، لأنَّهُم كانوا بائسينَ مُشتَّتينَ مِثلَ غنَمٍ لا راعِيَ لها. [٣٧]فقالَ لِتلاميذِهِ: «الحَصادُ كثيرٌ، ولكنَّ العُمَّالَ قَليلونَ. [٣٨]فاطلُبوا مِنْ رَبِّ الحَصادِ أنْ يُرسِلَ عُمّالاً إلى حَصادِهِ».

نَظرَةٌ عامَّةٌ: طَافَ في جَمِيعِ المُدُنِ وَالقُرى وَخطَب في مَجامِعِهِم مُعَلِّمًا إيَّانا أنْ نُجازِيَ المُفترينَ عَلَينا لا بافتِراءاتٍ حَديثَةٍ، بَلْ بفَوائِدَ أعظَم (الذَّهبيُّ الفَم). حَنَّت عَلَيهِم أضلاعُهُ، لأنَّه لَم يَكُنْ هُنَاكَ رَاعٍ يُسَانِدُهُم في حَصَادِ النِّعَمِ الوافِرَةِ الَّتي أعطاهُم إيَّاها الرُّوحُ القُدُسُ. مَهْمَا كَانَ مِقدَارُ المَحصُولِ الَّذي جَمَعَهُ، فَإنَّه يَتكاثَرُ بالأَحرى في إعطَاءِ الثَّمَرِ (هيلاريون). المُؤمِنُونَ المُحتَمَلُونَ كَثِيرونَ، أمَّا القَادَةُ الرَّسُوليُّونَ

المُهيَّؤون جيِّدًا فقليلون (جيروم). إنَّ يَسوعَ نفسَهُ هُو ربُّ الحَصادِ (الذَّهبيُّ الفم).

٩: ٣٥ وطَافَ يَسوعُ يُعلِّمُ ويَشفي

في جميعِ المُدنِ والقرى. الذَّهبيُّ الفَم: بَعْدَ أنْ انهالُوا عَليهِ بالشَّتائمِ والإهَانَاتِ، طَافَ في مُدُنِهِم وقُراهُم مُعلِّمًا في مَجَامِعِهم ومُبَشِّرًا بإنجيلِ الملكُوتِ وشَافِيًا كُلَّ مَرَضٍ ودَاءٍ. حَاشا لَهُ أنْ يُعاقِبَهُم عَلى انعِدامِ حِسِّهم؛ حتَّى إنَّه لم يُوبِّخْهُم، بلْ أظهَرَ وَدَاعتَه وبكَّت افتِراءَهُم عَليهِ. في الوَقتِ ذاتِه كانَ يَنوي، بالآياتِ الَّتي صَنَعَها، أنْ يُطْلِعَهُم على بُرهَانِه بشكلٍ أوضَح، عِندئذٍ يُبكِّتُهُم بأقوالِهِ. لهَذا طَافَ في المُدُنِ، وفي القُرى، وفي مَجَامِعِهِم، مُعلِّمًا إيَّانا أنْ نُجَازِيَ المُفتَرين علينا، لا بافتِراءَاتٍ أُخْرى، بلْ بفوائدَ أعْظَم. فإنْ كُنتَ تُحْسِنُ إلَى خَدمِكَ مِنْ أجلِ اللهِ لا مِنْ أَجلِ البَشرِ، فلا تَكُفَّ عَنِ الإحسَانِ إليهِم مَهمَا فَعلُوا حتَّى يَكُونَ ثَوابُكَ أعظَم؛ لأنَّ الَّذي يَحبِسُ إحسَانَه عَنهُم عِندَ افتِرائِهِم عَلَيهِ، يَدُلُّ على أنَّه مِن أجلِ مَدْحِهِم لا مِن أَجلِ اللهِ يُمَارِسُ فَضِيلَةَ الإحسَان.

لِهَذا السَّبَبِ يُعَلِّمُنا المَسيحُ أنَّه جاءَ مِنْ أجلِ هَذا الصَّلاحِ. لَم يَنتَظِرْ أن يأتِيَ المَرضَى إلَيهِ، بَل سَارَعَ هُوَ بنَفسِهِ إليهِم، حَامِلاً اثنَتَينِ مِن أعظَمِ بَركَاتِه: الأُولى، بِشَارَةُ المَلكُوتِ، الثَّانِيةُ، الشِّفَاءُ التَّامُّ لجَمِيعِ أمراضِهِم. لَمْ يُقْبِلْ إلى مَدينَةٍ وَاحِدَةٍ، وَلَمْ يُسَارِعْ إلَى قَريةٍ وَاحِدَةٍ، بَل طَافَ في كُلِّ مَكَانٍ. إنجيلُ متَّى، الموعظة ٣٢. ٣.[١]

٩: ٣٦ مِثلَ غنَمٍ لا راعِيَ لَهَا

أشفقَ عَلَى الشَّعبِ. هيلاريون: مَا مِن مُحَرِّضٍ أثارَ الجَمعَ، ومَا مِنْ مِحْنَةٍ أو بَلِيَّةٍ أرهَقَتهُم أو أنهكَتهُم. فلِمَاذا يَتحرَّكُ إذًا يَسُوعُ مُشْفِقًا عليهِم؟ مِنَ الوَاضِحِ أنَّ الرَّبَّ أخَذتهُ الشَّفَقةُ على الجَمعِ الَّذي استَحوَذَت عَلَيهِ الرُّوحُ النَّجِسُ ورَزَحَ تَحتَ أثقَالِ الشَّريعَةِ، إذ لَمْ يكُنْ بَينَهُم رَاعٍ يُعِيدُ إليهِم وِصَايَةَ الرُّوحِ القُدسِ. وَفَرت ثَمرَةُ هَذِهِ العَطِيَّةِ وَفْرًا، ومَا كَانَ أحَدٌ قد حَصَدَهَا بَعدُ. فَجُودُ الرُّوحِ يَسُودُ عَلَى الجُمُوعِ المُتَمَسِّكَةِ بِه. مَهمَا كَانَ مِقدارُ مَا يَجمَعُه كُلُّ فَردٍ، فَإنَّه يَزخَرُ بالثِّمارِ. ومَهمَا كَثُر عَددُ الَّذينَ يَخدِمُونَه، فَهُوَ يَأمُرُ تَلاميذَهُ بأن يُصلُّوا إلَى رَبِّ الحَصَادِ لِيُرسِلَ عَددًا وفرًا مِنَ

---

[١] GP 57:378-79; NPNF 1 10:212

الحَصَّادِينَ. فَهُو يُصَلِّي أَنْ يَمنَحَ الله عَدَدًا كَبيرًا مِنَ الحَصَّادِينَ لِيَحصَلُوا عَلى ما أَعدَّته مَوهِبَةُ الرُّوحِ القُدس. بالصَّلاةِ وَالتَّضَرُّعِ يَجُودُ الله عَلَينا بعَطِيَّتِه. في متَّى ١٠. ٢.[٢]

٩: ٣٧ الحَصَادُ وَالعُمَّالُ

العُمَّالُ قَلِيلُونَ. جيروم: الحَصَادُ الكَثِيرُ يَدُلُّ عَلى الجُمُوعِ. وَتَدُلُّ قِلَّةُ العُمَّالِ عَلَى نَدْرِ المُعَلِّمِينَ. يأمُرُهُم بأَنْ يَسأَلُوا رَبَّ الحَصَادِ أَنْ يُرسِلَ عُمَّالاً إِلى حَصَادِه. هَؤُلاءِ هُمُ العُمَّالُ الَّذينَ قَالَ عَنهُم كَاتِبُ المَزامِير: «الَّذينَ يَزرَعُونَ بالدُّمُوعِ يَحصُدُونَ بالتَّرنِيمِ. يَنطَلِقُ بَاكِيًا وَهُوَ يَحمِلُ البَذْرَ، وَيَرجِعُ مُرَنِّمًا وَهُوَ يَحمِلُ حُزَمَه».[٣] وَللتَّوسُّعِ في ذَلِكَ أَقُولُ: الحَصَادُ الكَثِيرُ يُمَثِّلُ كُلَّ الجُمُوعِ المُؤمِنَةِ. العُمَّالُ القَلِيلُونَ يُمَثِّلُونَ الرُّسُلَ وَالمُقتَدِينَ بِهِم وَالمُرسَلِينَ إِلَى الحَصَادِ. تفسيرُ متَّى ١. ٩. ٣٧.[٤]

٩: ٣٨ اُطلُبُوا أَنْ يُرسِلَ عُمَّالاً

رَبُّ الحَصَادِ. الذَّهَبِيُّ الفَم. وَلِيَدُلَّ عَلَى عَظَمَةِ العَطِيَّةِ يَقُولُ «أُطلُبوا إِلَى رَبِّ الحَصَادِ». يُوضِحُ بصُورَةٍ غَيرِ مُبَاشَرَةٍ أَنَّها سُلطَانُهُ الخَاصُّ بِه. فَبَعدَ قَولِهِ: «أُطلُبُوا إِلى رَبِّ الحَصَادِ» فَإِنَّهُ هُوَ نَفسُهُ يَضَعُ عَلَيهِمِ الأَيدِيَ للحَالِ، عِندَمَا لَم يكُونُوا قَد أَقَامُوا أَيَّ صَلاةٍ أَو تَضَرُّعٍ، مُذَكِّرًا إِيَّاهُم بأَقوالٍ يُوحَنَّا عَنِ البَيدَرِ وَعَنِ المَذَارِيِّ وَعَنِ التِّبنِ. يَتَّضِحُ مِن هُنَا أَنَّه هُوَ نَفسُهُ الحَارِثُ، وَرَبُّ الحَصَادِ، وَسَيِّدُ الأَنبِيَاءِ. فَإِنْ كَانَ قَد أَرسَلَهُم لِيَحصُدوا، فَمِنَ الوَاضِحِ أَنَّهُم لا يَحصِدونَ حَصَادًا غَرِيبًا، بَلْ مَا زَرَعَهُ هُوَ نَفسُهُ بالأَنبِيَاءِ. بتَسمِيَةِ خِدمَتِهِم حَصَادًا لا يُشَجِّعُهُم فَحَسْب، بَلْ يَجعَلُهُم أَيضًا قَادِرِينَ عَلَى الخِدمَةِ. إنجيلُ متَّى، الموعظة ٣٢. ١– ٢.[٥]

---

[٢] CS 452:612-81

[٣] مزمور ١٢٦: ٥– ٦ (١٢٥: ٥– ٦).

[٤] LCC 77:36

[٥] GP 57:379-80; NPNF 1 10:213

١٠: ١-٤ إختِيَارُ الاثنَي عَشَر

[١] ودَعا تلاميذَهُ الاثنيَ عشرَ وأعْطاهُم سُلطانًا على الأرواحِ النَّجسَةِ لكي يَطردوها ويَشْفوا كلَّ داءٍ ومرَض. [٢] وهذِهِ أسماءُ الرُّسُلِ الاثني عشرَ: أوَّلُهُم سِمْعانُ المُلَقَّبُ بِطْرُسَ وأخوهُ أندرَاوُسُ، ويَعقوبُ بنُ زَبَدى وأخوهُ يوحنّا، [٣] وفيلُبُّسُ وبَرْتولماوُسُ، وتوما ومتَّى العشارُ، ويَعقوبُ بنُ حَلْفَى ولبَّاوسُ المُلَقَّب تَدّاوس، [٤] وسِمْعانُ القانانيّ،(١) ويَهوذا الإسخَرْيوطيُّ الذي أسلَمَه.

نَظرَةٌ عامَّةٌ: إختارَ يَسوعُ الوُضَعاءَ وَالمرذُولِينَ لحَمْلِ رِسَالَتِهِ. أَربَعَةٌ منهم كَانُوا صَيَّادِي سَمك، اثنَان كَانَا مِنْ جُبَاةِ الضَّرائِبِ، وَاحِدٌ كَانَ خَائنًا (الذَّهَبِيُّ الفَم). وَلَمَّا شَفَى كُلَّ مَرَضٍ وَداءٍ مَنَحَ تَلاميذَهُ القُدْرَةَ عَلَى الشِّفَاءِ (جيروم). وَبَعدَ أَن رَأى التَّلاميذُ الميتَ يَقُومُ مِن بَينِ الأَموَاتِ، وَالبَحرَ يُنْتَهَرُ، وَالشَّياطِينَ تُطرَدُ، وَرِجْلَيِ الكَسِيحِ تَستَعِيدَانِ الحَيَاةَ، وَالخَطَايَا تُغفَرُ، وَالبُرْصَ يَطهُرونَ، وَبَعْدَ أَنْ تَلَقَّوا بُرهَانًا عَلَى قُدرَتِهِ، فِعلاً وَقَولاً، أَرسَلَهُم لِلبِشَارَةِ (الذَّهَبِيُّ الفَم). إنَّ لكَثِيرٍ مِن أَسمَاءِ الرُّسُلِ مَعَانِيَ مُتَعَدِّدَة (جيروم).

١٠: ١ يَسوعُ يَدعُو تَلامِيذَهُ الاثني عَشَر

تَفويضُ التَّلاميذِ. جيروم: إنَّ الرَّبَّ السَّيِّدَ الرَّحِيمَ العَطُوفَ، لا يَضُنُّ عَلَى تَلامِيذِه وَأَتبَاعِهِ بالقُوَّةِ. فَكَمَا أَنَّه شَفَى كُلَّ مَرَضٍ وَدَاءٍ، مَنَحَ رُسُلَهُ القُدْرَةَ عَلَى شِفَاءِ كُلِّ مَرَضٍ وَدَاءٍ. لَكِنْ، هُنَاكَ هُوَّةٌ عَظِيمَةٌ بَينَ الأَخذِ وَالعَطَاءِ، وَبينَ الامتِلاكِ وَالجُودِ. فَمَهمَا يَفْعَلُوا، فَبِقُوَّةِ الرَّبِّ يَفعَلوا، مظْهِرينَ ضَعفَهُم وَقُوَّةَ الرَّبِّ، قَائِلِين: «عَلَى اسمِ يَسوعَ قُمْ وَامش». وَعَلَيهِ، يَجِبُ أَنْ نُشِيرَ إِلَى أَنَّ قُدرَةَ صُنعِ المُعجِزَاتِ تُعْطَى لِلتَّلامَيذِ وَحتَّى لِلتِّلمِيذِ الثَّاني عَشَر. تَفسيرُ متَّى ١. ١٠. ١.(٢)

(١) أو القاني (الوطنيُّ الغيورُ)

(٢) LCC 77: 36

تَحضِيرُ التّلامِيذِ لمَخاطِرَ مُستقبَليّة. الذّهَبيُّ الفَم: إذَا لَم يكُن الرُّوحُ القُدْسُ قد أُعطِيَ بَعدُ، إذ يَقُولُ: «إنَّ الرُّوحَ القُدْسَ لَمْ يكُنْ قَد أُعطِيَ حتّى الآن، لأنَّ يَسُوعَ لَمْ يكُنْ قَد مُجِّدَ بَعدُ»،[٣] فكَيفَ طَرَدُوا الأَرواحَ إذًا؟ بأمْرِهِ وَبسُلطَانِهِ.

إنتَبِهْ أيضًا لحُسْنِ تَوقِيتِ إرْسَالِهِم. أَرسَلَهُم بَعْدَ مُدَّةٍ مِن اتِّبَاعِهِم إيَّاهُ، وَبَعْدَ أَنْ رَأَوا مَيتًا يُقَامُ، وبَحرًا يُنتَهَرُ، وَشَيَاطِينَ تُطْرَدُ، وَكَسِيحًا يُشَدَّدُ، وَخطَايَا تُغفَرُ، وَأَبرَصَ يُطَهَّرُ، فَيكفِيهِم مَا تَلَقَّوْهُ مِن أدِلَّةٍ عَلَى قُدْرَةِ السَّيِّدِ عَمَلاً وَقَولاً. وَلَمْ يُرسِلْهُم إلَى أُمُورٍ خَطِيرَةٍ، إذ لَمْ يكُنْ هُنَاكَ خَطَرٌ في فَلسطِينَ بَعْدُ، كَانَ عَلَيهِم أَن يَصمُدُوا أَمَامَ الافتِرَاءِ. وَقَد أَنبَأَهُم بالمَخَاطِرِ، مُهَيِّئًا إيَّاهُم قَبْلَ أَنْ يُوَاجِهُوهَا، وَجَعَلَهُم يَشعُرُونَ بالصِّرَاعِ مَعَ نُبُوءَاتِهِ المُتَوَاصِلَةِ بِهَذِهِ الأُمُورِ. إنجيلُ متّى ٣٢. ٣.[٤]

١٠:٢-٤ وهذِهِ أَسمَاءُ الرُّسُلِ الاثنَي عَشَرَ

اختِيَارُ صَيَّادِينَ وَضِيعِينَ وَجُبَاةٍ للضَّرائبِ مُحتَقَرِينَ. الذّهَبيُّ الفَم: «وَهَذِهِ أَسمَاءُ الرُّسُلِ الاثني عشَرَ: أَوَّلُهُم سِمْعَانُ المُلَقَّبُ ببُطرُسَ». كَانَ هُنَاكَ سِمعَانُ آخر أيضًا، وَهُوَ القَانَانيّ، وَكَانَ هُنَاكَ سِمعَانُ الإسخريوطيّ وَيهوذَا بنُ يَعقُوب وَيعقُوب بنُ حلفَى وَيَعقُوب بنُ زَبدَى. هُنَا يُصَنِّفُهُم مَرقُس أيضًا بحَسَبِ مَنزِلَتِهِم؛ إذ بَعْدَ زَعِيمَيهِم يُصَنِّفُ أَندراوس. أَمَّا إنجيليُّنَا فيُعَدِّدُهُم بدون تَمييزٍ، أو بالأَحرَى يَضَعُ، حتَّى قَبلَ نَفسِهِ، تُوما الأَدنَى مِنهُ رُتبَةً. لننظُرْ إلَى لائحة الأَسمَاءِ: «أَوَّلُهُم سِمْعانُ المُلَقَّبُ ببُطرُسَ وَأَخوهُ أَندرَاوُسُ». هَذَا مَدحٌ لَيسَ بالقَلِيلِ. سَمَّى الأَوَّلَ لفَضِيلَتِهِ، وَالآخَرَ لشَرَفِ جِنسِهِ المُوافِقِ لطَبعِهِ، «وَيَعقوبُ بنُ زَبدى وَأَخوهُ يوحنّا».

أُنظُرْ كَيفَ يُرَتِّبُهُمَا لا بحسَبِ مَنزِلَتِهِمَا. فَيَبدُو لِي أَنَّ يوحنّا أَعظَمُ، لا مِنَ الآخَرِينَ فحَسْب، بَلْ حتَّى مِن أَخِيهِ. وَلَمَّا قَالَ بَعدَ هَذا:«وفيلُبُّسُ وبَرْتولماوُس»، أَضَافَ: «وَتُومَا وَمتَّى العشار». لا يَفعَلُ لوقا هَكَذَا، بَل يَضَعُ متَّى قَبلَ تُومَا بالتَّرتِيبِ المُعَاكِسِ. ثُمَّ «يَعقوبُ بنُ حَلْفَى». فَكَانَ هُنَاكَ، كَمَا قُلتُ مِنْ قَبلُ، ابنُ زَبدى أيضًا. وَبَعدَ ذِكرِ «لبَّاوس المُلَقَّب تَدَّاوس»، «وَسِمْعَان» الوَطَنيّ الغيور الَّذي يَدعُوهُ أَيضًا القَانانيّ، يَأتِي إلَى الخَائِنِ، لا كَخَصمٍ أو عَدوٍّ، بلْ كَمَن

[٣] يوحنّا ٧: ٣٩.

[٤] GP 75:083; NPNF 1 10:213

يَـكـتُـبُ تـاريـخًـا، هـكـذا ذَكَـرهُ. فـلا يَـقُـولُ «الدَّنِس، الكُلّيّ الدَّنَس»، بل نَسَبهُ إلى مَدينتِه «يَـهـوذا الإسـخَـرْيـوطـيُّ»، لأنَّـه كـانَ هُـنَـاكَ يهوذا آخر وهو لبَّاوس المُلقَّب تدّاوس، الَّذي كَانَ أخًا ليَعقُوب كَمَا يقُولُ لوقا: «يهوّذا أخـو يـعـقـوب»، وَتَـفـاديًـا لـلإشـكـال يَـقُـولُ: «يـهـوذا الإسـخـريـوطـيّ الَّـذي أسْـلَـمَـهُ». وَلا يَخْجَلُ مِن أنْ يَقُولَ: «الَّذي أسلَمَه»، حَاشَا لـلإنـجـيـلـيِّـين أن يُـخـفُـوا مَـا يَـبـدو أنَّـه عَـارٌ. ويَـذكُـرُ أوَّلَـهُـم وَهُـوَ «إنـسَـانٌ عَـديمُ الـعِـلْـمِ عَامّي»، لَكِنْ لنَنظُرْ إلى أين يُرسِلُهم، ولِمَن يقُولُ: «هؤُلاء الاثنا عشرَ أرسَلَهُم يَسُوع»، أيَّ نَـوعٍ مِـنَ الـنَّـاس كَـانَ هـؤُلاء؟ كـانـوا صَيَّادينَ وجُباةَ ضرائب. حقًّا، أربعَةٌ كَانوا صَـيَّـادِيـن، واثـنَـانِ جَـابِـيَـي ضَـرائب مـتَّـى ويعقوب، وَواحِدٌ كان خَائنًا. إنجيلُ متّى، الموعظة ٣٢. ٣.[٥]

المَعْنَـى الخَفـيُّ لـلأَسمَاء. جيروم: مَـنَـحَ المُطَّلِـعُ عَلَـى هَـوَاجِـسِ الـقُـلُـوبِ الـتَّـرتِـيبَ الرَّسُوليَّ وَ استِحقَاقَ كُلِّ وَاحِدٍ منهُم. أوّلُ مَن سُجِّلَ اسمُهُ هُوَ سِمعَانُ المُسمَّى بُطْرُسَ (تَـمـيـيـزًا لَـه عَـن سِـمـعَـان الآخـر المُسَمَّـى القَانَانيَّ نسبةً إلَى قَانَا الجَليلِ حَيثُ حَوَّلَ الرَّبُّ المَاءَ إلى خمرٍ). وَيسمّي يَعقوبَ بنَ زَبَـدى، لأنَّ هُـنَـاكَ يَـعـقُـوبًـا آخَـرَ يَـلِـيـهِ وَهُـوَ يَعقُوبُ بنُ حَلفَى. يَجمَعُ التَّلامِيذَ جَمعًا مُزدوجًا. فَيَجمَعُ بُطرسَ مَعَ أخِيه أندراوسَ مِن حَيثُ الرُّوحُ، لا مِن حَيثُ الجَسدُ فقط؛ وَيَجمَعُ كَذلِكَ يَعقُوبَ ويوحنّا اللّذين تَركَا أبَـاهُـمَـا في الجَسَدِ وَتَـبِـعَـا الأبَ الحَقِيقيَّ؛ وَكَذلِكَ فيلِيبّسَ وبرثلماوس، وتوما ومتَّى جَابِيَي الضَّرائِب. وَلمَّا وَضَعَ الإنجيليُّونَ الآخرون جَدولَ أسمَاءِ التَّلامِيذِ، ذَكَروا متَّى أوَّلاً وَمِن ثَمَّ تُوما، مِن غيرِ أنْ يَذكُرُوا عِبَارَةَ جَابِيَي الضَّرائِبِ، لِئلاَّ يَمتَهِنُوا الإنجيليَّ في ذِكرِ سِيرَتِهِ السَّابِقَةِ. لَكِنْ يَضَعُه متَّى، كَمَا قُلنَا مِنْ قَبلُ، بَعدَ تُوما، وَيُسمِّيه جَابي الضَّرائب: «لَكِنْ حَيثُ كَثُرَتِ الخَطِيئَةُ فَاضَتِ النِّعْمَةُ».[٦]

سمعَانُ القانَانيَ هُوَ الَّذي يُسَمِّيه الإنجيليُّ الآخرُ الغَيُور. في الوَاقِعِ تُفسَّرُ لَفظَةُ قَانَا بمعَنَى «الغيرَة». يَروي تَاريخُ الكَنِيسَةِ أنَّ الرَّسُول تدّاوس أُرْسِلَ إلَى الرُّهَا، إلَى الأبجرِ، في مِنطَقةِ أسروان Osroenac. وَمَن يُسَمِّيه الإنجيليُّ لوقا يَهُوّذا أخَا يَعقوب يُسَمِّيه في مَـكَـانٍ آخَـر لـبَّـاوس، أي «القَلب الصَّغِير»، فَيُشَارُ إلَيهِ بثَلاثَةِ أسمَاء. سمعانُ بُطرس

---

[٥] GP 57: 380-81; NPNF 1 10: 213-14

[٦] رومية ٥: ٢٠.

وَابنَا زَبدي (ابنَا الرَّعدِ) سُمِّيا كَذَلِكَ بسَبَبِ ثَبَاتِهِما وَإِيمَانِهِما العَظِيمِ. وَرُبَّمَا أَخَذَ يَهوَّذا الإِسخَريُوطِيُّ اسمَهُ مِن اسمِ بَلدَتِه أَو مِن اسمِ سِبطِ إِسَخَار. وَفقًا للنّبوءَةِ فَإِنَّه وُلِدَ مُدانًا في نَفسِهِ، لأَنَّ إِسَخَار تَعنِي العِقَابَ، لِتَدُلَّ عَلَى سِعرِ الخَائِنِ. تَفسيرُ متّى ١. ١٠. ٢.[٧]

(٧) LCC 77: 36 -46

١٠: ٥-١٥ يَسُوع يُرسِلُ الاثني عَشَر

[٥] وأرسَلَ يَسوعُ هؤلاءِ الاثنَي عشَرَ وأوْصاهُم قالَ: «لا تَسلكوا طريقًا إلى الوثَنيِّين ولا تَدْخُلوا مدينةً للسامِريِّين، [٦] بَل اذْهَبوا إلى الخِرافِ الضّالَّةِ مِنْ بَني إسرائيلَ، [٧] وبَشِّروا في الطَّريقِ بأنَّ مَلكوتَ السَّماواتِ اقترَبَ. [٨] واشفُوا المَرضى، وأقيمُوا الموتَى، وطَهِّروا البُرْصَ، واطرُدُوا الشَّياطينَ. مجّانًا أخذتُمْ، فمَجّانًا أعْطُوا. [٩] لا تقتنوا نُقودًا مِنْ ذَهَبٍ ولا مِنْ فِضَّةٍ ولا مِنْ نُحاسٍ في زنانيرِكُم، [١٠] ولا مزودًا لِلطَّريقِ ولا ثوبَينِ ولا حِذاءً ولا عصًا، لأنَّ العامِلَ يَستَحِقُّ طعامَهُ. [١١] وأيّةَ مدينةٍ أو قريةٍ دَخَلتُم، فاستَخبِروا عَنِ المُستحِقِّ فيها، وأقيمُوا عِندَهُ إلى أنْ ترحَلوا. [١٢] وإذا دَخلتُم بيتًا فسَلِّموا علَيهِ. [١٣] فإنْ كانَ أهلاً حلَّ سلامُكُم بهِ، وإنْ لم يكُنْ أهلاً فليَرْجِعْ إليكُم سلامُكُم. [١٤] وإذا لم يقبلوكم ولم يستمعوا إلى كلامِكُم، فاخْرُجوا من ذلكَ البيتِ أو تلكَ المدينةِ وانْفُضوا الغُبارَ عَنْ أقدامِكُم. [١٥] ألحقَّ أقولُ لكُم: سيكونُ مَصيرُ سَدومَ وعَمورةَ يومَ الحِسابِ أكثرَ احتِمالاً مِنْ مَصيرِ تِلكَ المدينةِ».

نَظْرَةٌ عَامَّةٌ: أَوصَى يَسُوعُ تَلامِيذَه قَبلَ القِيَامَةِ بِأَلاّ يَقصِدُوا أَرضًا وَثَنِيَّةً، في حِينِ أَوصَاهُم «بِالذَّهَابِ إِلَى كُلِّ العَالَمِ» بَعدَ القِيَامَةِ (جيروم). أُرسِلُوا أَوَّلاً إِلَى خِرَافِ بَيتِ إِسرَائِيلَ الضَّالَّةِ، فَنَهَشَتْهُم الذِّئَابُ وَعَضَّتهُم الأَفَاعِي (هيلاريون). لَقَد شَاءَ يَسوعُ أَنْ يُعْلِنَ عَن مَجِيءِ المَلَكُوتِ إِلَى اليَهُودِ أَوَّلاً، وَمِنْ ثَمَّ إِلَى الأُمَمِ (غريغوريوس

الكبير). إنَّ طاعةَ الرُّسلِ التَّامَّةَ تُظهِرُ عَظمَتَهُم (الذَّهبيُّ الفم). فأَعْمالُهم جعَلَت كَلامَهُم أَكثرَ مِصداقيَّةً (جيروم). ومَهمَا كَانَ الضُّعفُ الَّذي لَحِقَ بجَسَدِ آدمَ مِن جرَّاءِ التِقَائِهِ بإبليس، فَإنَّ يَسُوعَ أَعطَى تلاميذَه سُلطَانًا ليَمحُوا ذَلِكَ الضَّعفَ عبرَ إشْرَاكِهِ إيَّاهُم في قُدرَتِهِ (هيلاريون). فَعَلَينَا أَنْ نَتَخَلَّى عَن كُلِّ شَيءٍ عِندَمَا نَدخُلُ أَرضاً مُقَدَّسَة (جيروم). أَمَّا ثَرواتُ الأَرضِ كُلُّها فَتَضُرُّنا في هَذِه الرِّحلَةِ. ثَوبُ المَسيحِ هُوَ كُلُّ مَا نَحتَاجُ إِلَيهِ (هيلاريون). فَستُعطَونَ طَعَامًا في حِينِهِ عَلَى مِقدَارِ استحقَاقِكُم؛ وَستَكُونُونَ أَهلاً لَه إذَا مَا طَلَبتُم شَيئًا يَفُوقُ حَاجَاتِكُم (الذَّهبيُّ الفم). إسأَلُوا في المَدِينَةِ كُلِّهَا عمَّن هُوَ مُستَحِقٌ، وَأَقِيمُوا عِندَهُ (هيلاريون). يُعلِّمُنَا التَّاريخُ أَنَّ كُلَّ الأَنظِمَةِ السِّيَاسِيَّةِ سَتَتَزَعْزَع، وَتُعَلِّمُنَا أطلالُهَا أَلاَّ تُحَبَّ (غريغوريوس الكبير).

١٠:٥ وأرسَلَ يَسوعُ هؤلاءِ الاثنَي عشَرَ

تَجَنَّبُوا غَيرَ المُستَنيرينَ. هيلاريون: يُحَذِّرُ يَسُوعُ تَلاميذَهُ مِنْ أَلاَّ يَقْصِدُوا طَريقَ الوَثنيِّين، لا لأَنَّهم غَيرُ مُرسَلِين لخَلاصِ الأُمَمِ، بَلْ لِيَتَجَنَّبُوا أَعمالَ الوَثَنيّين الحَمْقَى وَنَمَطَ حَيَاتِهِم. فَمُنِعُوا مِن دُخُولِ مُدنِ السَّامِريِّينَ. لَكِنْ، أَوَلَمْ يَشفِ يَسُوعُ المرأَةَ السَّامرِيَّةَ؟ لَقَد حَذَّرَهُم مِن دُخُولِ مَجَامِعِ أَهلِ النِّحْلَةِ، لأَنَّ النِّحْلَةَ لا تَختَلِفُ بشَيءٍ عَن الحَمَاقَةِ. لِذَلِكَ أُرسِلُوا إِلَى الخِرَافِ الضَّالَّةِ مِن آلِ إِسرَائيل الَّذينَ انقَضُّوا عَلَيهِم بأَنيَابِ الذِّئَابِ وَالأَفَاعِي. لَقَد حَانَ الوَقتُ لتَتَلَقَّى الشَّرِيعَةُ عَطَاءَ الإنجيل. فَكُلَّمَا قَلَّتْ أَعذَارُ إسرَائيلَ لسُلُوكِهِ المُشِين، ازدَادَتْ غِيْرتُه في الإصغَاءِ إِلَى النُّصحِ. في متَّى ١٠. ٣.[1]

لا تَسلُكُوا طَرِيقًا إِلَى الوَثَنِيِّين. جيروم: هَذِه الآيَةُ لا تُخَالِفُ الوَصِيَّةَ الَّتي أُعْطِيَت لاحِقًا: «اذهَبُوا وَتَلمِذُوا كُلَّ الأُمَمِ مُعَمِّدِينَ إِيَّاهُم باسمِ الآبِ وَالابنِ وَالرُّوحِ القُدْس».[2] الوَصِيَّةُ الأُولَى أُعطِيَت قَبلَ القِيَامَةِ، وَالوَصِيَّةُ الثَّانِيَةُ أُعطِيَت بَعدَ القِيَامَةِ. كَانَ مِنَ الضَّرُوريِّ إِعْلانُ مَجِيءِ المَسِيحِ إِلَى اليَهُودِ أَوَّلاً، خِشيَةَ أَن يَكُونَ لَهُم عُذرٌ في قَولِهِم إنَّ الرَّبَّ رَفَضَهُم، لأَنَّه أَرسَلَ الرُّسُلَ إِلَى الأُمَمِ وَالسَّامِرِيّين. وَفقًا للتَّفسِيرِ المَجَازِيِّ، نَحنُ الَّذِينَ نُسَمِّي أَنفُسَنا مَسِيحيِّين نُنْصَحُ بِأَلاَّ نَسلُكَ طَرِيقًا إِلَى الأُمَمِ وَإِلَى أَهلِ النِّحلَةِ، لأَنَّهم غُرَبَاءُ عَنَّا في

---

[1] CS 452: 812

[2] متَّى ٢٨: ١٩.

دِينِهِم وَفي نَهجِ حَياتِهِم. تفسيرُ متَّى ١. ١٠. ٥- ٦.[3]

١٠:٦ اذْهَبُوا إِلَى الخِرافِ الضَّالَّةِ مِنْ بَنِي إِسرَائِيلَ

آل إسرَائيل. غريغوريوسُ الكَبيرُ: أوَليس واضِحًا للجميعِ، أيهُّا الإِخْوةُ الأَحِبَّاءُ، أَنَّ مُخلِّصنا جاءَ إِلى العالَمِ ليُنقِذَ الأُمم؟ كَيف نُفسِّرُ دَعوةَ السَّامريِّين إِلى الإيمانِ، وإِرسالَ التَّلاميذِ للبشارةِ قائلاً: «لا تسلكُوا طَريقًا إِلى الوثنيِّين ولا تَدْخُلوا مدينةً للسَّامريِّين، بَل اذْهَبوا إِلى الخِرافِ الضَّالَّةِ مِنْ بَني إِسرائيل»؟ آثرَ المسيحُ أَنْ يتمَّ أَوَّلاً تَبشيرُ اليهُودِ وحدهم، ومِنْ ثمَّ تَبشيرُ الأُمَم. هذِه النَّتيجةُ الفِعليَّةُ للتَّاريخِ نَستخلِصُها من رَفضِ اليهُودِ الاهتِداءَ، وتحوُّلِ المُبشِّرينَ المُقدَّسينَ إِلى دَعوةِ الأُممِ الغريبةِ. تنكُّرُ اليَهُودِ للدَّعوةِ أَسفرَ عن ازدِيادِ النِّعمةِ على الأُمَمِ. للتَّوضيحِ كانَ هُناكَ في ذلِكَ الوقتِ يَهُودٌ قد تمَّت دَعوتُهُم، وأُممٌ لم تتمَّ دَعوتُهُم. أربعون عظةً إنجيليّة ٤. ١.[4]

١٠:٧ بَشِّروا بِمَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ

بَشِّروا في الطَّريق. الذَّهبيُّ الفم: أَوَرَأَيت عظمةَ خِدمتِه؟ أَوَرأَيت مقامَ الرُّسُلِ؟ لم يُؤمَروا بالتَّحدُّثِ عمَّا هُوَ مَحسُوسٌ، أَو بِمَا تَحدَّثَ بِهِ مُوسى والأنبياءُ مِنْ قَبلُ، بَل عَنْ أُمُورٍ جديدةٍ وغَريبةٍ. فَفي حِينٍ لَمْ يُبشِّرِ السَّابِقُونَ بأُمُورٍ كَهذِه، بلْ بالصَّالِحاتِ في الأَرضِ، بشَّرَ أُولئِكَ بمَلَكُوتِ السَّماواتِ وَبِكُلِّ ما هُوَ هُناكَ.

ولَم يكُونوا أَعْظَمَ ممَّن سبَقَهُم بسببِ هَذا الظَّرفِ فقط، بل بسبَبِ طاعَتِهِم أيضًا: إذ إنَّهم لم يتراجعُوا مثلَ القُدماءِ، بَل استقبلُوا أوامِرَ الرَّبِّ بخُضُوعٍ كمُبشِّرينَ بالملَكُوتِ، ولَمْ يعبأوا بما سمِعُوا من الأَخطارِ والحُرُوبِ والشُّرورِ الَّتي لا تُحتَمَلُ. إنجيلُ متَّى، الموعظة ٣٢. ٤.[5]

مَلَكُوتُ الله اقتَرَبَ. غريغوريوس الكَبيرُ: فَلْنَسْمعْ ما أُمِرَ بهِ المُبشِّرُونَ لَمَّا أُرسِلُوا، إِذ قالَ لهُم يَسُوعُ: «اذهَبُوا وَبَشِّرُوا، لأَنَّ مَلَكُوتَ اللهِ اقترَبَ». لو سكتَ الإِنجِيلُ، أيُّها الإِخوةُ الأَحِبَّاءُ، لأَعْلَنَ العالَمُ الآنَ هذِه الرِّسالةَ... إِنَّ كَلامَ العالَمِ أَطلالٌ. فقدْ سَقطَ العالَمُ مِن مَجدِهِ لَمَّا تَلقَّى العَديدَ مِنَ الضَّرَباتِ. كَشفَ لَنا المسيحُ أَنَّ هُناكَ مَلَكُوتًا آخرَ أمسى قريبًا. فالَّذينَ أَحبُّوا

---

[3] CCL 77:65

[4] PL 76:1089; CS 123* (Homily 17)

[5] PG 57:381; NPNF 1 10:214

العالمَ يمقُتُونَهُ. أطلالُهُ تُعْلِنُ أَنَّهُ لا يُحِبُّ. إذا اهتزَّ بيتُ أحدِهم وتعرَّضَ للخرابِ، يلُوذُ مَن فيهِ بالفرارِ. فمَن أحبَّهُ لمَّا كانَ مُتماسِكًا يَخْرُجُ منهُ بسُرعةٍ فائقةٍ. أمَّا إذا كانَ العالمُ ساقِطًا، ونحنُ عانقناهُ بحُبِّنَا إيَّاه، فإنَّنا نختارُ أَنْ نغْرقَ فيهِ. ما مِن شيءٍ يفصلُنا عن أطلالِهِ لأنَّ محبَّتنا تلزِمُنا بالتَّعلُّقِ بهِ.

عندما يعُمُّ الدَّمارُ يسهُلُ علينا أن نفصلَ عقولَنا عن محبَّةِ العالَمِ. ولكِنْ هذا صعْبٌ جدًّا، لأنَّ التَّلاميذ أُرسِلُوا للتَّبشيرِ بملَكُوتِ السَّماواتِ غيرِ المنظورِ في وقتٍ كانَ المرءُ يرى فيهِ، في كُلِّ مكانٍ، ممالِكَ الأرضِ تزدهرُ. أربعون موعِظة إنجيليَّة ٤. ٢.[٦]

٨:١٠ مجَّانًا أعطُوا

عَطِيَّةُ القُوَّةِ. هيلاريون: كُلُّ قُدرةِ الرَّبِّ أُعطِيَت للتَّلاميذِ! فالَّذينَ كانُوا على صُورةِ اللهِ ومِثالِهِ في آدمَ قد تسلَّمُوا الآنَ صُورةَ المسيحِ الكامِلةَ ومِثالَهُ. لقَد أُعطوا قُوًى لا تختلِفُ عَن قُوى الرَّبِّ. فالَّذينَ كانُوا مُلتصِقِينَ بالأرضيَّاتِ مِنْ قبلُ أصبحُوا الآنَ مُلتصِقِينَ بالسَّماويَّاتِ. إنَّهم يُعلِنُونَ أنَّ ملَكُوتَ السَّماوَاتِ اقترَبَ، وأنَّ صُورةَ اللهِ ومِثالَهُ أصبحا في شركةِ الحقِّ، بحَيثُ إنَّ كُلَّ القدِّيسين الَّذينَ صارُوا ورثةَ السَّماواتِ سَيحكُمُون مَعَ الرَّبِّ. فلْيُبرئوا المرضَى، ولْيُقِيمُوا الأمواتَ، ولْيُطهِّرُوا البُرصَ ولْيَطرُدُوا الشَّياطِينَ. ومَهما لَحِقَ بجسَدِ آدمَ مِنْ ضُعْفٍ جرَّاءَ لِقائِهِ مَعَ إبليس، فالتَّلاميذُ كَانُوا يُزيلُونهُ مِن مُقاسمةِ الرَّبِّ قُدْرتَهُ معَهُ. ولِكَي يحصلُوا على مِثالِ الرَّبِّ وَفقَ نبوءةِ سِفرِ التَّكوينِ، كانُوا يُوصَوْنَ بأَنْ يُعطُوا مجَّانًا ما تلقَّوه مجَّانًا، عملاً بالمبدأ القائِلِ إنَّ كُلَّ عطِيَّةٍ تُوهَبُ مجَّانًا تُوزَّعُ مجَّانًا. في متَّى ١٠. ٤.[٧]

آياتٌ تُثبِتُ الوُعُودَ. جيروم: لئلاَّ يَشُكَّ المرءُ في استِحْقاقِ هؤلاءِ الخشِنِينَ المُتجافِينَ عنِ الفصاحةِ والعِلْمِ والثَّقافةِ، وهُم يَعِدُون بملَكُوتِ السَّماواتِ، فقد أعطاهُم يسُوعُ سُلطانًا ليُبرئوا المرضَى ويُطهِّرُوا البُرصَ ويطرُدُوا الشَّياطِينَ. فهُناكَ آياتٌ تُثبتُ الوُعُودَ. وبِما أنَّ العطايا الرُّوحيَّةَ تتدنَّسُ إذا كانت وسيلةً للمُكافآتِ، فإنَّ يسُوعَ يدِينُ الطَّمعَ قائِلاً: «مجَّانًا أخذتم، مجَّانًا أعطُوا».[٨] فأنا ربُّكم وسيِّدُكم أعطيتُكم هذا مجَّانًا، فعليكُم أنْ تُعطُوه، لئلاَّ

---

[٦] PL 76: 1090; CS 123: 121-22 (Homily 17)

[٧] SC 254: 218-20

[٨] متّى ١٠:٨.

تَفسُدَ نِعمَةُ الإنجيلِ. تَفسيرُ متَّى ١. ١٠. ٧-٨.[٩]

١٠: ٩ لا تَقتَنُوا نُقودًا مِنْ ذَهَبٍ

لا تَحمِلُوا نُقُودًا في زَنَانيرِكُم. جيروم: نَتيجَةً لذَلِكَ أَعطَى هَذَا الأَمرَ للمُبَشِّرينَ بالحَقِّ فَقَالَ لَهُم مِن قَبلُ: «مَجَّانًا أَخَذتُم مَجَّانًا أَعطُوا». إذا أَعلَنُوا حَقًّا أَنَّهُم لا يَتَلَقَّونَ مَالاً، فَامتِلاكُ الذَّهبِ وَالفِضَّةِ وَالنُّقُودِ بَاطِلٌ. فَلَو كَانُوا يَملِكُونَ ذَهبًا وَفِضَّةً لَكَانُوا لا يُبَشِّرونَ في سَبيلِ خَلاصِ البَشَرِ، بَل في سَبيلِ رِبحِهِم المَاليِّ الخَاصِّ. «لا تَحمِلُوا نُقُودًا في زَنَانيرِكُم». مَن تَرفَّعَ عَن اقتِنَاءِ الثَّرواتِ تَرَفَّعَ عَمَّا هُوَ ضَرُوريٌّ للحَيَاةِ. لَقَد عَلَّمَ الرُّسُلُ وَالمُبَشِّرونَ أَنَّ كُلَّ شَيءٍ تُديرُهُ العِنَايَةُ الإلَهيَّةُ، مِن دونِ أَنْ يُعيرُوا أَيَّ اهتِمَامٍ لِمَا يُخَبِّئُهُ الغَدُ. تَفسيرُ متَّى ١. ١٠. ٨.[١٠]

١٠: ١٠ لا تَقتَنُوا مزوَدًا لِلطَّريقِ

لا تَأخُذُوا كِيسًا لِرِحلَتِكُم. هيلاريون: كَانَ مَحظُورًا عَلَى التَّلاميذِ أَنْ يحمِلُوا ذَهبًا أَوِ فِضَّةً أَو نُقُودًا في زَنَانيرِهِم، أَو مِحفَظَةً لِرِحلَتِهِم، أَو أَنْ يَقتَنوا ثَوبَين أَو حِذَاءَين، أَو يَحمِلُوا عِصِيًّا. الفَاعِلُ يَستَحِقُ أَجْرَهُ. أَلا يُسَبِّبُ حَملُ النُّقُودِ في الزَّنَانيرِ حَسَدًا على ما أَعْتَقِدُ؟ وَمَاذَا يَعني الاقتِنَاءُ المُحَرَّمُ مِنَ الذَّهَبِ أَوِ الفِضَّةِ أَوِ النُّقُودِ في زُنَّارِ المَرءِ؟ الزُّنَّارُ هُوَ عُدَّةُ الخِدمَةِ، وَالحِزَامُ يُسَاعِدُ المَرءَ عَلى العَمَلِ بِكَفَاءَةٍ. لذَلِكَ نُحَذِّرُ مِمَّا هُوَ مَادِّيٌّ في خِدمَتِنَا، إذ إنَّ اقتِنَاءَ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ وَالنُّقُودِ غَيرُ ضَروريٍّ لِخِدمَتِنَا الرَّسُوليَّةِ. «لا تَقتَنُوا مِزوَدًا لِلطَّريقِ». تَخَلَّوا عَن أَيِّ اهتِمَامٍ بِالأُمُورِ الدُّنيويَّةِ. كُلُّ ثَرواتِ الأَرضِ مُؤذِيَةٌ. «حَيثُ يَكونُ كَنزُكَ يَكُونُ قَلبُكَ».[١١] «لا تَقْتَنُوا ثَوبَين». فَثَوبُ المَسيحِ هُوَ كُلُّ مَا نَحتَاجُ إليهِ. وَلَكِنْ بِسَبَبِ فَسَادِ عُقُولِنَا، عَلَينا أَلاَّ نَرْتَديَ أَيَّ ثَوبٍ آخَرَ مِنْ أَثوَابِ أَهلِ النِّحلَةِ أَو مِنْ أَثوابِ الشَّريعَةِ، أَو أَن نَنتَعِلَ أَيَّ حِذاءٍ. هَل يَستَطِيعُ البَشَرُ الضُّعَفَاءُ الذَّهَابَ حُفَاةً؟ وَعَلَى الأَرضِ المُقَدَّسَةِ المُغَطَّاةِ بِالأَشوَاكِ وَالأَغصَانِ الشَّائِكَةِ، كَمَا قَالَ اللهُ لموسى،[١٢] نَحنُ مُطَالَبُونَ بِأَنْ نَقِفَ ثَابِتِينَ وَنَحنُ حُفَاةٌ لا حِذَاءَ لَنَا نَنتَعِلُهُ لِرِحلَتِنَا سِوَى مَا تَسَلَّمنَاهُ مِنَ المَسيحِ؛ وَلا «عَصًا في اليَدِ» أَي امتِلاكَ

[٩] LCC 56:77

[١٠] LCC 77: 66

[١١] متّى ٦: ٢١.

[١٢] خروج ٣: ٥.

القُدرةِ الخارجيَّةِ، أو حَمْلَ عصا عن غيرِ استحقاقٍ منْ أصل يسّى. فمهْما كانتْ تلك العَصا فهي ليْسَت عَصا المَسيحِ. بالأحْرَى، نحنُ مُجهَّزُونَ لرحلتِنا في العَالَمِ بأعلى مُستويَاتِ اللُّغةِ، وَالنِّعمَةِ، وَتكَاليفِ السَّفرِ، والمَلابس، والأحذيَةِ، والقُدرَةِ. باتِّباعِنا هَذِهِ التَّوصيَّاتِ سَنكُونُ جَديرينَ بالمُكافَأةِ، أي إنّنا سَنأخُذُ أجْرَ الرَّجاءِ السَّماويِّ عبر العَمَلِ بِهَا. في متَّى ١٠. ٥.[١٣]

لا تقتنُوا عَصًا. جيروم: «وَلا عصًا». لِمَاذا نحتاجُ إلى العَصَا للتوكُّؤِ في حين أنَّ الرَّبَّ هُوَ عونُنَا؟ وبمَا أنَّه أرسَلَ التَّلاميذَ للبشارَةِ مُجرَّدِينَ وَغيرَ مُجهَّزِين، وَكأنَّ المُعلِّمينَ مُصَابُونَ بعُسرٍ، فقد لطَّفَ أوامِرَه بالآيَةِ التَّاليةِ: « إنَّ العَاملَ يسْتحِقُّ طعَامَهُ». قَالَ المَسيحُ اقبلُوا مَا تَحْتاجُونَ إليهِ مِن طعَامٍ وَلِبَاسٍ. انعَكَسَ تَعلِيمُ يَسوعَ عَلى كَلامِ بُولُس: «إذا كَانَ لَدينا قوتٌ وكِسوَةٌ فعَلينا أن نقتَنِعَ بِهِما».[١٤] وفي مكانٍ آخر يقُولُ: «وَليُشَاطِرْ مَنْ يَتلَقَّنُ كلامَ الله مُعلِّمَهُ جَميعَ الخيراتِ».[١٥] يُجنِّبُ المَسيحُ التَّلاميذَ الخوفَ مِنَ المَمسُوسينَ، وَيَجعَلُهُم شُركَاءَ في الخيْراتِ المَادِّيَّةِ، لا بسَبَبِ الجَشَعِ، بل بسَبَبِ الحَاجَةِ. قُلنَا هَذا تَبيَانًا لِلأمُورِ. وَفقًا لتَفسِيرٍ كِتَابيّ آخَر، المُعَلِّمُونَ لا يَملِكُونَ ذَهبًا أو فِضَّةً أو نُقُودًا في زَنَانيرِهِم، لأنَّ الذَّهَبَ غَالِبًا مَا يُشيرُ إلَى الحِسِّ، والفِضَّةَ إلَى الكَلامِ، وَالنُّحَاسَ إلَى الصَّوتِ. لا يُسمَحُ لَنَا بِأن نقبَلَ هَذِه الأمُورَ مِنَ الآخَرِينَ، بَل أنْ نَقتَنِيهَا وَكأنَّها عَطيَّةٌ مِنَ الرَّبِّ. وَلا يُسمَحُ لَنَا بأنْ نَقبَلَ تَعَاليمَ أهلِ النِّحلَةِ وَالفَلاسِفَةِ وَذوي المَذَاهِبِ الكَاذِبَةِ، أو أنْ نكُونَ رَازحِينَ تَحتَ اهتِمَامَاتِ العَالَمِ، أو أنْ نَكُونَ ذوي وَجهَين، أو أنْ تَكُونَ أقدَامُنَا مُقَيَّدَةً بسَلاسِلَ مُمِيتَةٍ. عَلينَا أنْ نَتَجَرَّدَ مِنْ كُلِّ شَيءٍ وَنَحنُ نَسيرُ عَلَى أرضٍ مُقَدَّسَةٍ. فَلَنْ نَملِكَ عَصًا تَتَحوَّلُ إلَى حَيَّةٍ،[١٦] أو نتَّكِلَ عَلَى الجَسَدِ لأيِّ عَونٍ. العَصَا والعُكَّازُ مَصنُوعَانِ مِنَ القَصَبِ، فَإذَا ضَغَطْتَ عَلَى الخَشَبِ قَليلاً يَنكَسِرُ وَتُخْرَقُ يَدُكَ. تَفسيرُ متَّى ١. ١٠. ١٠.[١٧]

اطلبُوا مَا هُوَ ضَرُوريٌّ فقط. الذَّهَبيُّ الفَم: بقَولِي: «إنَّ الفَاعِلَ يَستَحِقُّ طعَامَه»لا أشيرُ إلَى أنَّ الأبوابَ فُتِحَت لَكُم جَمِيعًا. لَكِنَّني أسألُكُم هُنَا أن تَستَعمِلُوا كَثيرًا مِنَ الدِّقَّةِ، فَيَكُونَ هَذَا مُفِيدًا لشُهرَتِكُم وَلإعَالَتِكُم. فَإذَا

[١٣] CS 452: 022-22
[١٤] ١ تيموثاوس ٦: ٨.
[١٥] غلاطية ٦: ٦.
[١٦] خروج ٤: ٣.
[١٧] LCC 77: 66-76

كنتُم مُستحِقّين يُعطيكُمُ الرَّبُّ الطَّعَامَ بكُلِّ الوَسَائِلِ، خُصُوصًا عِندما لا تَطلُبُون شَيئًا يَتجَاوَزُ الضَّرُوريَّاتِ.إنجيلُ متَّى ٣٢. ٥.[١٨]

١١:١٠ استَخبِروا عَنِ المُستحِقِّ فِيهَا

مَن هُوَ المُستحِقّ؟ جيروم: لَمَّا دَخَلَ الرُّسُلُ مَدِينَةً جَدِيدَةً، كَانُوا عَاجِزِينَ عَن مَعرِفَةِ أيِّ نَوعٍ مِنَ النَّاسِ سَيلتَقُون. لذلِكَ يَجِبُ اختِيَارُ المُضِيفِ حَسَبَ سُمعَتِهِ وَحَسَبَ رَأيِ جِيرانِهِ، وإلاّ تَلَطَّخَت كَرامَةُ الرِّسَالَةِ بسُوءِ سُمعَةِ مُتَسلِّمِها. كَانَ عَلَى التَّلاميذِ أنْ يُبَشِّروا الجَمِيعَ، وَالله سَيَختَارُ لَهُم مُضِيفًا وَاحِدًا. تفسيرُ متَّى ١. ١٠. ١١.[١٩]

وَأَقِيمُوا عِندَهُ إلَى أنْ تَرحَلوا. الذَّهبيُّ الفَم: لا يَأمُرُهُم بالبَحثِ عَنِ المُستَحِقِّينَ فَقَط، بَلْ أيضًا بألاَّ يَنتَقِلُوا مِن بَيتٍ إلَى بَيتٍ، لئلاَّ يُحزِنُوا الَّذينَ يَستَقبِلُونَهُم، وَألاَّ يكتَسِبُوا الشَّرَاهَةَ وَالتَّرَاخِي. قَالَ لَهُم بوُضُوحٍ: «وَأقِيمُوا عِندَهُ إلَى أنْ تَرحَلوا». إنجيلُ متَّى، الموعظة ٣٢. ٥.[٢٠]

١٠: ١٢- ١٣ البُيُوتُ المُستَحِقَّةُ وَغَيرُ المُستَحِقَّة. هيلاريون: إنَّ هَذِهِ الأُمُورَ تُربِكُ العَقلَ. إذَا لَم يَقْبَلِ التَّلاميذُ الضِّيَافَةَ إلاَّ إذَا استَخبَرُوا عَنِ المُستَحِقِّ، فَكَيفَ يَكونُ البَيتُ مِنْ بَعدُ غَيرَ مُستَحِقٍّ؟ وَمَاذَا إذَا لَم يَستَمِعِ المُضِيفُ لِكَلامِهِم وَلَمْ يَتَقَبَّلْهُ؟ فَإمَّا أنَّ لا خَوفَ عِندَ ذَلِكَ السَّيِّيءِ النِّيَّةِ، أو إذَا وُجِدَ غَيرَ مُستَحِقٍ، فَلا غَايَةَ لمُشاطَرَتِه مَنزِلَه. وَمَا الفَائِدَةُ مِنَ الاستِقصَاءِ عَنِ المُستَحِقِّ، إذَا طُلِبَ الاحتِرَامُ والمُكَافَأة لمُضِيفٍ غَيرِ مُستَحِقٍّ؟ لَكِنَّ الرَّبَّ يُعَلِّمُهُم ألاَّ يَرغَبُوا في جُزءٍ مِنَ البَيتِ وَألاَّ يَنزِلُوا ضُيوفًا عِندَ الَّذِينَ يَطعَنُونَ في المَسِيحِ أو يَصِمُّونَ آذانَهُم عَن سَمَاعِهِ. في كُلِّ مَدِينَةٍ يَسأَلُونَ عَمَّن هُوَ المُستَحِقُّ في البَيتِ، هَل المَسيحُ وَالكَنِيسَةُ يُقيمَانِ فيه، حتَّى لا يَبرحُوه، هذا إذَا كَانَ البَيتُ مُستَحِقًّا وَالمُضِيفُ حَسَنَ النِّيَّةِ.

تَعَلَّقَ كَثيرٌ مِنَ اليَهُودِ بالشَّرِيعَةِ وَبَقُوا مُلتَصِقِينَ بهَا رَغمَ إيمَانِهِم بالمَسِيحِ وإعجَابِهِم بأعمَالِهِ. وَآخَرونَ استَخبَرُوا بفُضُوليَّتِهِم عَنِ الحُرِّيَّةِ الَّتي في المَسِيحِ، وادَّعَوا أنَّهم كَانُوا يَنتَقِلُونَ مِنَ الشَّرِيعَةِ إلَى الإنجِيلِ. وَآخَرُونَ وَقَعُوا في البِدعَةِ نَتيجَةَ سُوءِ فَهمٍ. فكُلُّ الَّذِينَ يَخدَعُونَ مُستَمِعِيهم وَيُجَامِلُونَهم بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ أو تِلك، يَدَّعُونَ أنَّهم حَصَلُوا عَلَى الحَقِّ الجَامِعِ. نَبَّهَ تَلامِيذَهُ

---

(١٨) GP 75: 383; NPNF 1 10: 215

(١٩) LCC 77: 66-67

(٢٠) GP 75: 383; NPNF 1 10: 215

إلى أنْ يتيَقّنوا من أنَّ المُقِيمَ معَهُم جَدِيرٌ بذلِكَ. ولأنَّ هُنَاكَ سُذَّجًا يُوافِقُونَ علَى أفكَارِ المُضِيفِ بِكَلامٍ مُضَلِّلٍ، فَعَلَى المرءِ أنْ يَستعمِلَ بحذرٍ بيتًا يُسمَّى مُستحِقًا. فالبَيتُ المُستَحِقُّ هُوَ الكَنِيسَةُ المُسمَّاةُ جَامِعَةً. يُرشِدُنَا إلَى إلقَاءِ التَّحِيَّةِ عليه بسَلامٍ، فَيكُونُ السَّلامُ مَنطُوقًا بهِ بدلاً مِنْ أنْ يكُونَ مُعطًى. هَكذَا يُعَلِّمُهُم قَائِلاً: «سَلِّموا عليهِ قَائلينَ سَلامٌ علَى هَذَا البَيتِ». هَكذَا يَحُلُّ سَلامُهُم بالكَلامِ وكَأنَّه إيماءَةُ لُطفٍ. فضلاً عَن ذَلِكَ، قَالَ إنَّ السَّلامَ ذاتَه، الَّذي هُوَ قلبُ المَوَدَّةِ، يَجِبُ ألاّ يصِلَ إلَى ذَلِكَ البَيتِ ما لَم يكُنْ أهلاً لَه. وَإذا كَانَ ذَلِكَ البيتُ غيرَ أهلٍ لذَلِكَ، فَإنَّ سِرَّ السَّلامِ السَّمَاوِيِّ يُحجَبُ عَن أَهْلِهِ. في متَّى ١٠. ٧– ٩.[٢١]

١٠:١٤–١٥ وَإذا لَم يَقبلُوكُم

انْفُضُوا الغُبَارَ عَنْ أَقدَامِكُم. الذَّهَبِيُّ الفَم: كُونُوا السَّبَّاقِينَ في إظهَارِ الاحترَام. بِهَذَا دلَّ السَّيِّدُ علَى أنَّه لَيسَ مُجَرَّدَ سَلامٍ بَل بَرَكَةٌ أيضًا. «فَإذا كَانَ هَذَا البيتُ أهلاً، فَليَحُلَّ سَلامُكُم فيهِ». أمَّا إذا شَتَمَكُم فعِقَابُهُ الأوَّلُ أنَّ سَلامَكُم لا يَحلُّ فيه، وَالثَّاني أنَّه يُقَاسِي مَا قَاسَتهُ سَدوم. «هَل يكُونُ عِقَابُهُم وَقفًا عَلَينَا»؟ سَتَملِكُونَ بُيوتَ المُستَحِقِّينَ. لكِنْ مَاذَا يَعنِي «انفضُوا الغُبَارَ عن أقدَامِكُم»؟ إنَّهُ يَعْنِي أنَّهم لَم يَنَالُوا شَيئًا مِنهُم، وَأنَّ الغُبَارَ شَهَادَةٌ لَهُم عَلَى رِحلَتِهِم الطَّويلَةِ الَّتي قَامُوا بِهَا مِن أَجلِهِم. إنجيلُ متَّى، الموعظة ٣٢. ٥.[٢٢]

[٢١] GP 75: 193; FNPN 1 10: 122

[٢٢] GP 65: 657-75

١٠:١٦–٢٥ تَحذِيرٌ مِنَ الاضطِّهَادِ الآتي

[١٦] ها أنا أُرسِلُكُم مِثلَ الخِرافِ بَينَ الذِّئابِ فكونوا حاذِقينَ كالحيّاتِ، ودُعاءَ كالحَمام. [١٧] ولكن احذروا من النّاسِ، فإنّهم سيُسَلِّمونَكُم إلى المَجالِسِ، ويجلِدونَكُم في مجامِعِهِم، [١٨] وتُسلَمونَ إلى الحُكّامِ والمُلوكِ مِنْ أجلي، لتَشهَدوا عِندَهُم وعِندَ الوثنيِّين. [١٩] فلا تهتمّوا حينَ يُسلِمونَكُم كيفَ أو بماذا تتكلّمونَ، لأنّكُم ستُعطَونَ في

حينِهِ ما تَتكلَّمونَ بِه. [٢٠]فما أنتُمُ المُتكلِّمونَ، بَلْ رُوحُ أبيكُم يَتكَلَّمُ فيكُم. [٢١]سيُسْلِمُ الأخُ أخاهُ إلى الموتِ، والأبُ ابنَهُ، ويتمَرَّدُ الأبناءُ على الآباءِ ويُميتونَهُم، [٢٢]ويُبْغِضُكُم جَميعُ النّاسِ مِنْ أجلِ اسْمي. والّذي يَثْبُتُ إلى النِّهايةِ يَخلُصُ. [٢٣]وإذا اضطَهَدوكُم في مدينةٍ، فاهرُبوا إلى غيرِها. الحقَّ أقولُ لكُم: لن تُنْهُوا تَقصِّيَ مُدُنِ إسرائيلَ كُلِّها حتى يَجيءَ ابنُ الإنسانِ.

[٢٤]لا تِلميذَ أعظَمُ مِنْ مُعلِّمِهِ، ولا خادِمَ أعظَمُ مِنْ سيِّدِهِ. [٢٥]فحَسْبُ التِّلميذِ أنْ يكونَ مِثلَ مُعلِّمِهِ والخادِمِ مِثلَ سيِّدِهِ. إذا سمَّوا ربَّ البَيتِ بَعلَزَبولَ، فما أحراهم بأن يقولوا ذلك في أهلِ بيتِهِ؟

نَظْرَةٌ عَامَّةٌ: يُرسِلُ يَسُوعُ تَلامِيذَه بِلِبَاسٍ وَاحِدٍ، حُفَاةَ الأَقدَامِ، بِلا عَصًا أَو زَادٍ لِيُبرِزَ قُدرتَهُ الَّتي لا تُوصَفُ، ولِيُظهِرَ لُطفَ الخِرافِ بينَ الذِّئابِ (الذَّهَبيُّ الفَم، كَاتِبٌ مَجهُولٌ). مَهمَا كَانَتْ مُرعِبَةَ الأُمُورُ الَّتي يُواجِهُونَهَا، فَقَد أُعطُوا نِعمَةً أَكبَرَ في مُواجَهَتِهَا (الذَّهَبيُّ الفَم). وَحيثُمَا يُصَلِّي التَّلامِيذُ يُضطَهَدونَ عَلَى يَدِ السُّلُطَاتِ المَدَنيَّةِ الَّتي تعتَقِدُ أَنَّها تَخدِمُ الله. فَمَن سَاعَدَهُم عَلَى تَحَمُّلِهَا في وَقتِ السِّلمِ يُسَاعِدُهُم أَكثَرَ عِندَمَا يَشتَدُّ النِّزَاعُ (كَاتِبٌ مَجهُولٌ). لَمَّا شَهِدَ الشُّهَداءُ لِلمَسيحِ أَمامَ السُّلُطَاتِ، وَبَعدَ أَنْ ذَاقُوا عَلَى أَيدي المُضطَّهِدينَ المُتَوحِّشينَ كُلَّ أَلوانِ التَّعذِيبِ، انفَتَحَتِ الطَّريقُ أَمَامَ الوَثَنيِّينَ لِيُؤمِنُوا، مَعَ أَنَّهُم يَبقَونَ مُتَصلِّبينَ في مَواقِفِهِم (هيلاريون).

كَانَ يَسُوعُ يُعِدُّ تَلامِيذَهُ لِمَا سَيَحدُثُ في العَالَمِ بِأَسرِهِ. فَقَد دُرِّبُوا عَلَى نَوعٍ جَديدٍ مِنَ الحَربِ. فَالحُكَّامُ وَالمَحكُومُونَ سَيَغدُرونَ بِهِ (الذَّهَبيُّ الفَم). لا تُفَكِّرْ أَبدًا في أَعمَالٍ مَاضِيَةٍ. فَكِّرْ في مَا سَتُؤدِّي إِلَيهِ تِلكَ الأَعمَال (كَاتِبٌ مَجهُولٌ). فَمَعرِفَةُ مَا سَيَأتي يُسَاعِدُنَا عَلَى اكتِسَابِ القُدرَةِ عَلَى الاحتِمَالِ، لا سِيَّمَا إِذَا كَانَ مِثَالُنَا في التَّحمُّلِ هُوَ الرَّبُّ (هيلاريون). عَلَى المُؤمِنِ أَلاَّ يَخَافَ الاضطِّهَادَ، بَل أَنْ يَبتَعِدَ عَنهُ، كَمَا فَعَلَ التَّلامِيذُ في أُورشَلِيمَ (جيروم). الرِّسَالَةُ المَسيحيَّةُ سَتَنتَقِلُ بِسُرعَةٍ مِنْ إِسرائيلَ إِلَى الأُممِ عَلَى الرَّغمِ مِن

الاضطِهَادِ. عِندَمَا تُعلَنُ هذه الرِّسالةُ إلى كُلِّ الوَثَنيِّين، يَعُودُ الابنُ وَتُستعَادُ إسرائيل (هيلاريون). التِّلميذُ هُوَ كسَيِّدِه بنعمَةِ التَّبنِّي لا بالطَّبيعَةِ (ثيودور المبسوستيّ).

١٠:١٦ فَكُونوا حاذِقينَ كالحيَّاتِ، وُدعاءَ كالحَمام

خِرافٌ بَينَ الذِّئاب. كَاتِبٌ مَجهُولٌ: فَلْنُعمِلِ الرويَّةَ في مَا يَلِي. لِمَاذا قَالَ، مِن جِهَةٍ، «كَالخِرَافِ»، وَمِن جِهَةٍ أُخرَى، لَمْ يَقُلْ «كَالذِّئابِ»، بَل «ذِئابٍ»؟ دَعَا الأَوّلينَ «خِرافًا» لِوَداعَتِهم، إذ هُم بطَبيعَتِهم كَانُوا بَشرًا، لكِنْ كَانوا خِرافًا لِوَدَاعتِهم. وَدَعَا الآخَرينَ «ذِئابًا»، لأَنهم كَانُوا بطَبيعَتِهم بَشرًا، مَع أَنَّهم كَانوا كالذِّئابِ في وَحشِيَّتِهم. لِهَذَا السَّبَبِ، دَعَا الأَوّلينَ «خِرافًا»، لكِنَّه لَمْ يَدْعُ الآخَرينَ «كَالذِّئابِ»، بَلْ «ذِئابًا»، لأَنَّ مَخلُوقَاتِ اللّه، وَقَد تَكُونُ صَالِحَةً، فيها شَرٌّ يَنبَعِثُ مِنَ الجَسدِ. يُسَمَّى المَرءُ حَمَلاً لأَنَّه صَالِحٌ، وَكَالحَمَلِ لأَنّه لَيسَ صَالِحًا كُلِّيًّا. فَمَن لا يَعرِفُ اللّه لا يَكُونُ فيه شَيءٌ صَالِحٌ. هَكَذا يُشَارُ إلَى المَرءِ بِأَنَّه ذِئبٌ، وَلَيسَ «كَالذِّئبِ»، إذ مَا مِن صَلاحٍ فيه، وَلا يَعرِفُ اللّه في ذَاتِه. عَمَلٌ غيرُ كَامِلٍ حَولَ مَتَّى، الموعظة ٢٤.[١]

١٠:١٧ المَحَاكِمِ وَالمَجَامِعُ

وَيَجلِدونَكُم. الذَّهَبيُّ الفَم: يُعِدُّهُم ثانيَةً ليَكُونُوا مُتَيقِّظين، وَيُعطِيهم، حَيث يَكُونُون، القُدرَةَ عَلَى تَحمُّلِ الظُّلمُ، وَيَسمَحُ بِأَنْ يَحُلَّ الظُّلمُ بالآخَرينَ، ليُعَلِّمَنا أَنَّ النَّصرَ هُوَ في تَحمُّلِ الشَّرِّ، وَأَنَّ النُّصُبَ المُتَأَلِّقَةَ قَد أُقيمَت هُنَا. لَم يَقُل قطّ «قَاتِلوا أَنتُم وَقَاوِمُوا الَّذين يَبتَغُونَ الإسَاءَةَ إلَيكُم»، بَل قَالَ «إنَّكُم ستَنتَصِرُونَ عَلَى الأَخطَارِ مَهمَا تَعَاظَمَت». إنجيلُ متَّى، الموعظة ٣٣. ٢.[٢]

١٠:١٨ وَتُساقُونَ إلَى الحُكّامِ

لِتَشْهَدوا عِندَهُم وعِندَ سَائِرِ الشُّعوبِ. الذَّهَبيُّ الفَم: قَد يَقُولُ قَائِلٌ: «كَيفَ إذًا ستُؤمِنُ البَقيَّةُ، وَهِي تَرَى الآبَاءَ يَقتُلُون بسَبَبِنَا أَولادَهُم، وَالإخوَةَ إخوَتَهُم، وَكُلَّ شَيءٍ مُمْتَلِئٌ نَجَاسَةً؟».. أَلا يَطرُدُنَا النَّاسُ مِن كُلِّ جِهَةٍ كَمَا لَو كُنَّا شَيَاطِينَ مُهلِكَة، وَمَلعُونِينَ نَحمِلُ الأَوبئَةَ إلَى العَالَمِ، وَهُم يَرونَ الأَرضَ مُخَضَّبَةً بدِمَاءِ الأَقَارِبِ وَبقَتلَةٍ كَهؤلاء؟ جَميلٌ السَّلامُ الَّذي نُدخِلُهُ بُيوتَ النَّاسِ وَنُعطِيهم إيَّاه... مَاذَا لَو كُنَّا

[١] GP 65: 657-75

[٢] GP 75: 193; NPNF 1 10: 221

أَكثَرَ عددًا ولَيسَ اثني عَشَر فقط؛ لو لَمْ نكُنْ عَامِّيِّين وغَيرَ مُتَعَلِّمينَ، بَل حُكَماءَ ومَهَرةً في البَلاغَةِ، وأَقوياءَ في الكَلامِ، بالأحرى لَو كُنَّا مُلُوكًا ونَملِكُ جُيوشًا وخَزائِنُنا مَلِيئَةٌ بالأَموالِ، فكَيفَ كُنَّا سنَسْتَطيعُ أَنْ نَقوى على إقنَاعِ أَيِّ إنسَانٍ برِسَالَتِنَا ونَحنُ نُشعِلُ الحُرُوبَ الأَهلِيَّةَ، ونُؤَجِّجُ حُروبًا أَهلِيَّةً أُخرَى أَسوأَ مِنهَا بكَثيرٍ؟ كَيفَ سيَأبَهُ بِنَا الآخَرُونَ ونَحنُ نَحتَقِرُ خَلاصَنَا؟

لَكِنَّ الرُّسُلَ ما فَكَّروا في أَيٍّ مِن هَذِه الأُمُورِ، وَلم يقُولُوه، وَلم يُطَالِبُوا أَحدًا بتَفَحُّصِ وَصَايَاه، بَل استَسلَمُوا وَأَطَاعُوا. وَلَم يَكُنْ هَذا مِن فَضِيلَتِهِم فحَسب، بلْ مِن حِكمَةِ مُعَلِّمِهِم أَيضًا. انظُرُوا كَيفَ أَضَافَ إِلَى كُلِّ المَخَاطِرِ تَعزِيَةً، فقَالَ في الذِينَ لَم يَستَقبِلُوهم «ستكُونُ لأَرضِ سدومَ وعَمورةَ يَومَ الدِّينِ حَالَةٌ أَكثرُ احتِمَالاً مِمَّا لتِلكَ المَدِينَةِ». وهكَذا قَالَ هُنَا أَيضًا: «وَتُسَاقُونَ إلَى وُلاةٍ وَمُلُوكٍ»، وأَضَافَ «مِن أَجلِي شَهَادَةً لَهُم وَللأُمَمِ». لَيست هَذِه بالتَّعزِيَةِ الصَّغيرَةِ، أي إِنَّهم سيُكَابدونَ هَذِه الأُمُورَ مِن أَجلِ المَسيحِ، وَمِن أَجْلِ تَوبِيخِ الأُمَمِ. إنجيلُ متَّى، الموعظةُ ٣٣. ٣.[٣]

١٠:١٩ مَاذا تقُولُونَ؟

نَوعٌ جَديدٌ مِنَ الحَربِ. الذَّهَبيُّ الفَم: لكَي يَتَعَلَّمَ التَّلاميذُ أَنَّ شَرِيعَةَ هذه الحَربِ جَديدَةٌ، وَأَنَّ التَّرتِيباتِ الَّتي تَتَطَلَّبُها غَرِيبَةٌ، يُرسِلُهُم يَسُوع عُرَاةً، يُغَطِّي عرِيَهُم ثَوبٌ وَاحِدٌ، وحُفَاةً، وبِلا عَصًا وبِلا زُنَّارٍ أَو مِزوَدٍ، و يَأمُرُهُم بأَن يَعُولَهُم الَّذينَ يَستَقبِلونَهم. لا يتوقَّفُ في كَلامِهِ هُنَا، بَل يَتكَلَّمُ لِيَدُلَّ عَلَى قُدرَتِهِ غَيرِ المَوصُوفَةِ: وَأَنتُم مُنطَلِقُونَ، أَظهِرُوا لُطفَ الحِمْلانِ، رَغمَ أَنَّكم سَتَذهَبُونَ إلى ذِئَابٍ؛ لا إِلَى ذِئَابٍ فَقَط، بَل في مَذْأَبَةٍ. إنجيلُ متَّى، الموعظة ٣٣. ١.[٤]

تُقَدِّمُونَ كَذَبيحَةٍ. كَاتِبٌ مَجهُولٌ: «إِنَّهم سَيُسَلِّمونَكُم إلى المَحَاكِمِ، وَيَجلِدونَكُم في مَجَامِعِهِم»،[٥] وَذَلِكَ، كَمَا يَدَّعُونَ، لمَجدِ اللّه الأَعظَمِ. وَحَيثُ تَكُونُ هُنَاكَ صَلَوَاتٌ وَمَدَائِحُ وَقِراءَاتٌ أَو ذَبَائِح، يُنزِلُونَ بالرُّسُلِ أَشَدَّ العَذَابِ، وَكَأَنَّهم يُقَدِّمُونَ ذَبَائِحَ للّه. وَالحَقُّ أَنَّ آلامَ الرُّسُلِ كَانَت ذَبيحَةً للّه، لا أَجرًا لليَهُودِ، بلْ تَاجًا لَهُم. فَهَذَا يُحَدِّدُ سُقُوطَ اليَهُودِ. عَمَلٌ غَيرُ كَامِلٍ حَولَ متَّى، الموعظة ٢٤.[٦]

---

[٣] PG 57:391; NPNF 1 10:221-22

[٤] PG 57: 389; NPNF 1 10: 219-20

[٥] متَّى ١٠:١٧؛ مرقس ١٣:٩.

[٦] PG 56: 758

١٠:٢٠ الرُّوحُ يَتكلّمُ فيكم

أَبـوكُـم يـتـكَلّـمُ فيكم في كُلِّ عَصرٍ. أوغسطين: حـقًّـا سَـمِـعـنَـا في تِلك القِراءَةِ، «عِندَمَا يُسلِّمونكُم لا تهتمّوا كَيف أو بِمَاذَا تـتكلَّمون، فَمَا أَنتُمُ المُتكلِّمون، بَلْ رُوحُ أَبيكمُ السَّماويِّ يَتكلَّمُ فيكُم». ويقُولُ في مكانٍ آخر: «هَا أَنَا مَعكُم طوالَ الأَيَّام إِلَى نِهايَةِ العَالَم».[٧] هل هذا يَعني أنَّ النَّاسَ الَّذينَ سَمِعُوا كلامَ الرَّبِّ هَذا سيكُونونَ هُنَا حتَّى نِهايَةِ العَالَمِ؟ لَمْ يكُن الرَّبُّ يُشيرُ إِلَى الَّذينَ سَيُغادِرون هَذِه الحَيَاةَ فَحسْبُ، بَل إِلَى الآخَرِينَ أيضًا، بِمَنْ فِيهِم الَّذينَ سيأتون بَعدنا في هَذِه الحَياةِ. رأَى الكلَّ في جَسَدِهِ الواحِدِ. الكَلامُ الَّذي قَالَه: «هَا أَنا مَعَكُم طوالَ الأَيَّامِ إِلَى نِهايَةِ العَالَم» معَهُ أُولئكَ كَمَا سَمِعنَاه نَحنُ أَيضًا. فَإِذَا كُنَّا لَمْ نَسمَعْهُ في عِلمِنَا، فَإنَّنا سَمِعناه في عِلمِهِ السَّبقيِّ. لذلِكَ، فَلْنَعْمَلْ بوصَايا مَن يُرشِدُنَا كَخِرَافٍ آمِنَةٍ بينَ ذِئابٍ. ولْنَكُنْ «وُدَعاءَ كالحَمَام وحَاذِقينَ كالحيَّاتِ».[٨] لنكُنْ وُدَعاءَ كالحَمَامِ لِئلاً نُسيءَ إِلَى أَحدٍ، وحَاذِقينَ كالحيَّاتِ لنتَفادى أَنْ يُؤذِينَا أَحَدٌ. الموعظة ٦٤ أ. ٢.[٩]

فَمَا أَنتُمُ المُتَكلِّمونَ. كَاتِبٌ مَجهُولٌ: لكي يُعزِّيَ الرَّبُّ الرُّسُلَ تَعزِيَةً عَظِيمَةً لَم يَقُلْ «رُوحُ أَبيكُم السَّماويِّ يَتكلَّمُ فِيكُم» بل «يتكلَّم»، أي لَمْ يَقدِروا ولا يَقدِرونَ الآنَ على أَنْ يفعَلوا أَو أَنْ يَتكلَّمُوا بدون رُوحِ اللَّه. كَأَنَّه يقُولُ لَهُم: «أَنتُم تَرونني جائِعًا، وأَنتُم تؤمِنُونَ بأَنَّني أَنَا الخُبزُ السَّماويُّ. تَرونني عَطشَان، وأَنتُم تؤمِنُونَ بأَنَّني أَنَا عينُ ماءٍ يَتفَجَّرُ حياةً أبديَّةً.[١٠] تؤمِنُونَ بي وتُعلِنُونَ بأَنَّني أَنطُقُ بالحقِّ. فَكَيفَ نَفهَمُ بِحِسٍّ إِنسانيٍّ ما نَراهُ بأَعيُنِنا ونُؤمِنُ بشيءٍ آخَرَ ونُعْلِنُ إِيمانَنَا بِهِ؟ فإِذا لَم يكُنْ هُنَاك خَطَرٌ، ونِعمَتي فَاعِلَةٌ فِيك، فكَيفَ لا تزدادُ إِذا حَلَّ الاضطِهادُ؟ مَن ثبَّتَكَ في السَّلامِ سَاعَدَكَ أَكثَرَ في الحَربِ. عَمَلٌ غيرُ كَامِلٍ حَولَ متَّى، الموعظة ٢٤.[١١]

١٠:٢١ يتَمرَّدُ الأَقَارِبُ بَعضُهُم عَلَى البَعْض

يَتَمَرَّدُ الأَبنَاءُ عَلَى آبائِهِم. هيلاريون: يَعُودُ قَولُ الرَّبِّ هَذا بأكمَلِه إِلَى اليهُودِ وإِلَى

---

[٧] متّى ٢٨:٢٠.
[٨] متّى ١٠:١٦.
[٩] AM 1:113-21; ASW 3 3:981.
[١٠] يوحنا ٤:١٤.
[١١] GP 65:957.

أَهل النِّحلَةِ: «سيُسْلِمُ الأخُ أخاهُ إلَى الموتِ، وَالأبُ ابنَهُ، وَيتَمرَّدُ الأَبنَاءُ علَى الآباءِ». سَيكُونُ أَهلُ الأُسرَةِ الوَاحِدَةِ علَى خِلافٍ، أَي بَينَمَا كَانَ الشَّعبُ مُتَّحِدًا مِن قبلُ (وَلَفظَةُ «الشَّعب» تَأتِي تَحتَ اسمِ الآبَاءِ وَالأَقَارِب)، فَإِنَّنا سَنتَعَرَّضُ الآنَ لِعَدَاوَةٍ شَرِسَةٍ. وَسنُسْلَمُ إِلَى حُكَّامٍ أَرضِيِّينَ وَمُلُوكٍ يُحَاوِلُونَ الحُصُولَ عَلَى صَمتِنَا أَو تَعَاوِنِنَا. وَسَنؤدِّي شَهَادَةً لَهُم وَللوَثَنيِّينَ، وَبعدَ تَأدِيَةِ الشَّهَادَةِ لَهُم، لا يكُونُ للمُضطَّهِدِينَ عُذرٌ في أَنَّهم يَجهلُونَ السَّمَاوِيَّات. عِندَمَا هَتَفَ الشُّهَدَاءُ بِالمَسِيحِ تحتَ مَقَارِعِ المُضطَّهِدِينَ العُتَاة، فُتِحَ أَمامَ الوَثَنيِّينَ الطَّرِيقُ للإِيمَانِ بِهِ، مَعَ أَنَّهم مُتَمَادُونَ في العُصيَانِ. في متَّى ١٠. ١٢.[١٢]

سَيَخُونُكَ الَّذِينَ وَثِقْتَ بِهِم. كَاتِبٌ مَجهُولٌ: لذَلِكَ قَالَ لَهُم احذَرُوا النَّاسَ إِذ هُم أَسوأُ الأَشرَارِ. فَلَوْ لَم يَقُلْ ذَلِكَ دَالاًّ عَلَى خَطأِ النَّاسِ، لَكَانَ يكفِي أَن يَقُولَ: «احذَرُوا، لأَنَّهم سَيُسْلِمُونَكُم». «وَلَكِنْ احذَرُوا النَّاسَ» لأَنَّه يُرِيدُ أَنْ يُظهِرَ أَنَّهُم هُم الأَكثَرُ سُوءًا بين كُلِّ النَّاسِ. وَفِعلاً، إِذَا قَارَنتَهُم بِالحَيَوانَاتِ المُتَوحِّشَةِ، لَوجَدْتَهم أَكثَرَ سُوءًا مِنهُم. قَد يُظهِرُ الحَيَوانُ وَحشيَّةً، لَكِنَّ قَسوَتَهُ تَقصُرُ عَنْ وَحشِيَّةِ الإِنسَانِ، لأَنَّ الحَيَوانَ غَيرُ نَاطِقٍ. أَمَّا عِندَمَا يَكُونُ المَرءُ النَّاطِقُ قَاسِيًا كَوَحشٍ لا يَكُونُ مِنَ السُّهُولَةِ تَجَنُّبُ شَرَاسَتِهِ. إِذَا قَارَنتَ الإِنسَانَ بِالأَفعَى تَجِدُه أَسوَأَ مِنهَا. فَمَعَ أَنَّ الأَفعَى سَامَّةٌ فَهِي تَخَافُ النَّاسَ. إِذَا أَخَذَتْهُم عَلَى حِينِ غِرَّةٍ، تَلدَغُهُم، أَمَّا إِذَا عَجِزَتْ عَن ذَلِكَ فَإِنَّها تُولِّي هَارِبَةً. النَّاسُ سَوَامٌّ كَالأَفعَى، لَكِنَّهم لا يَخَافُونَ خَوفَ الأَفعَى. لذَلِكَ، مَا دَامَ للمَرءِ وَقتٌ يَبقَى مُنتَظِرًا مِثلَ الأَفعَى. إِذَا أَلقَى المَرءُ القَبضَ عَلَى فَرِيسَتِهِ انقَضَّ عَلَيهَا انقِضَاضَ حَيَوانٍ مُفتَرِسٍ شَرِسٍ. أَمَّا الأَفعَى فَحَالَمَا تَكُونُ مُهَدَّدَةً تُصبِحُ مُهلِكَةً؛ لَكِنْ إِذَا لَم تُهَدَّدْ تَنسَلُّ مُبتَعِدَةً. أَمَّا النَّاسُ فَإِنَّهم، ولو كَانُوا غير مُهَدَّدِينَ، يَثُورُونَ غَضَبًا، وَيَهتَاجُونَ عَلَى الَّذِينَ لَم يُهَدِّدُوهُم. وَقُصَارَى القَولِ إِنَّ في كُلِّ حَيَوانٍ مُتَوحِّشٍ أَذًى خَاصًّا بِهِ. أَمَّا الإِنسَانُ فَإِنَّه مُستَودَعُ كُلِّ أَنوَاعِ الشُّرُورِ. عَمَلٌ نَاقِصٌ حَولَ متَّى، الموعظة ٢٤.[١٣]

١٠:٢٢ مُبغَضٌ لَكِنَّه يَثبُتُ إِلَى النِّهَايَةِ

يُبغِضُهُ جَمِيعُ النَّاسِ. الذَّهَبِيُّ الفَم: إِنَّ

(١٢) CS 032:452

(١٣) GP 857:65

المَحَاكِمِ ضِدُّنا، وَالمُلُوكَ ضِدُّنا، وَالوُلاةَ وَمَجَامِعَ اليَهُودِ، وَالشُّعُوبَ الأُمَمِيَّةَ، وَالحُكَّامَ وَالمَحكُومِينَ ضِدُّنا. لِذَلِكَ لَمْ يُحَذِّرْهُم الرَّبُّ فَقَط مِنَ الشُّرُورِ الَّتي سَتَحِلُّ بِهِم في فِلَسطِينَ وَحْدَهَا، بَلْ أَنبَأَ أَيضًا بِالحُرُوبِ في كُلِّ أَنحَاءِ العَالَمِ، قَائِلاً: «وَتُسَاقُونَ أَمَامَ وُلاةٍ وَمُلُوكٍ»، دَالاً عَلَى أَنَّه سَيُرسِلُهُم إِلَى الأُمَمِ فِي مَا بَعدُ كَمُبَشِّرِينَ. فَسَتُحَارِبُنَا المَسكُونَةُ، وَيَتَسَلَّحُ ضِدَّنا جَمِيعُ سُكَّانِ الأَرضِ، بِشُعُوبِها وَطُغَاتِها وَمُلُوكِها. إِنجِيلُ متَّى، الموعظة ٣٣. ٣.[١٤]

الثَّبَاتُ إِلَى النِّهَايَةِ. كَاتِبٌ مَجهُولٌ: «وَالَّذي يَثبُتُ إِلَى النِّهايةِ يَخلُصُ». قِيلَت هَذِه الآيَةُ لأَنَّ البَادِئِينَ كَثِيرونَ وَالمُنتَهِينَ قِلَّةٌ. هُنَاكَ دَائِمًا مُتعَةٌ في البَدءِ، لَكِنَّ التَّمَحُّصَ هُوَ في النِّهَايَةِ. فَمَا مِنْ أَحَدٍ يَستَطِيعُ أَنْ يَثبُتَ مَع اللّه حتَّى النِّهَايَةِ مِن دُونِ أَنْ يَكُونَ مُنتَمِيًا إِلَيهِ من طَرِيقِ النِّعمَةِ. يُعْمَلُ كُلُّ شَيءٍ لأَنَّ الجَسَدَ مَائِتٌ. فَالجَسَدُ نَفسُهُ مُؤَقَّتٌ. لَكِنْ مَا يُعمَلُ في سَبِيلِ اللّه أَزَلِيٌّ، لأَنَّ اللّه أَزَلِيٌّ. العَظَمَةُ لا تَكُونُ في بَدءِ شَيءٍ صَالِحٍ، بَل في بُلُوغِ النِّهايَةِ بُلُوغًا صَالِحًا. إِنَّ جَوهَرَ الحَيَاةِ الصَّالِحَةِ هُوَ المَوتُ الصَّالِحُ. القَلبُ الصَّالِحُ يَبلُغُ النِّهَايَةَ. غَالِبًا مَا تَبدَأُ الرَّغبَةُ الجَسَدِيَّةُ بِشَيءٍ صَالِحٍ، لكِنَّها لا تَبلُغُ النِّهَايَةَ إلاَّ بنعمَةِ اللّه. وَالآنَ، بِمَا أَنَّكُم لَجَأتُم إِلَى اللّه وَبَدَأتُم بِأَعمَالِ البِرِّ، فلا تُفكِّروا أَبدًا في أَعمَالِكُمُ المَاضِيَةِ. فَكِّروا في نِهَايَتِكُم. فَالتَّأَمُّلُ في خِدمَتِكُم الصَّالِحَةِ المَاضِيَةِ يَقُودُ إِلَى الكِبرِيَاءِ، لَكِنَّ التَّأَمُّلَ في نِهَايَتِنَا يَقُودُ إِلَى الكَرَامَةِ «وَالَّذي يَثبُتُ إِلَى النِّهايةِ يَخلُصُ». عَمَلٌ غيرُ كَامِلٍ حَولَ مَتَّى، الموعِظَةُ ٢٤.[١٥]

١٠:٢٣ أُهرُبُوا مِنَ الاضطِّهَادِ

انطِلاقُ البِشَارَةِ. هِيلاريون: وَإِذَا اضطَّهَدوكُم في مَدينَةٍ فَاهرُبوا إِلَى غَيرِها. هَذَا يَعنِي أَنَّ رِسَالَتَهُ سَتَتَجَاوَزُ أَوَّلاً حُدُودَ اليَهُودِيَّةِ وَتَدخُلُ بِلادَ اليُونَانِ. وَمِن ثَمَّ يَتَعَرَّضُ الرُّسُلُ للضِّيقِ فَيَتَأَلَّمُونَ في المُدُنِ اليُونَانِيَّةِ. أَخيرًا تَثبُتُ الرِّسَالَةُ بَينَ الوَثَنِيِّينَ. لَقَد رَغِبَ الرَّبُّ في الإِشارَةِ إِلَى أَنَّ الوَثَنِيِّينَ سَيُؤمِنُونَ بِبِشَارَةِ الرُّسُلِ، أَمَّا إِسرَائِيلُ فَلا تُؤمِنُ إِلاَّ حِينَ يَعُودُ. لِهَذَا قَالَ: «لَن تُنْهُوا تَقَصِّيَ مُدُنِ إِسرائيلَ كُلِّها حَتَّى يَجِيءَ ابنُ الإِنسانِ»، أَي بَعدَ اهتِدَاءِ الوَثَنِيِّين. إِسرَائِيلُ سَتُهجَرُ، وَعِندَمَا يَأتِي

[١٤] GP 75:193; NPNF 1 10:221

[١٥] GP 65:760

بمَجدٍ يكتَمِلُ عَدَدُ القدِّيسين ويثبُتُون في الكَنيسَةِ. في متَّى ١٠. ١٤.[١٦]

لا تَخافُوا مِنَ الاضطِّهَادِ. جيروم: يَجِبُ قِراءَةُ هَذا بالعَودَةِ إلَى الوَقتِ الَّذي أُرسِلَ فيه الرُّسلُ للتَّبشِيرِ. فقد قِيلَ لهُم بشكلٍ لائقٍ: «لا تَسلكُوا طريقًا إلَى الوثنيِّين، ولا تدْخُلوا مَدينَةً للسَّامِريِّين»،[١٧] لا لأنَّهم يَخافُون مِنَ الاضطِّهَادِ، بَل ليَتجنَّبُوه. نرَى أنَّ هَذا مَا فعَلَهُ المؤمِنُون في الأيَّامِ الأُولَى. فلمَّا بدأ الاضطِّهادُ في أورشليم، تَشتَّتُوا في كُلِّ اليَهُوديَّةِ. فأصبحَ وقتُ مُحاكمَتِهم مُنطلقًا لنَشرِ البِشارَةِ.

نَستَطِيعُ القَولَ رُوحِيًّا. عِندَما نُضطَّهدُ في مَدينَةٍ–أي في سِفرٍ أو آيَةٍ مِنَ الكِتَابِ المقَدَّسِ–فإنَّنا نَهرُبُ إلَى مَدينَةٍ أُخرى، أي إلَى أسفَارٍ أُخرَى. مَهمَا كَانَ تَهديدُ المُضطَّهِدِ، فإنَّه سيَمثُلُ أمَامَ مِنصَّةِ المُخلِّصِ. لا انتِصارَ لخُصُومِنا قبلَ أن نُتِمَّ نَحنُ ذلِكَ. تفسيرُ متَّى، ١. ١٠. ٢٣.[١٨]

مِن مَدِينَةٍ إلَى أُخرَى. كيرلُّس الإسكَندريّ: يَأمُرُ يَسوعُ تَلامِيذَهُ أن يَهرُبُوا مِن مَدينَةٍ إلَى أُخرَى، وَمِن تِلكَ إلَى غيرِهَا. في قَولِهِ هَذا لا يُعَلِّمُ تَلامِيذَهُ أن يَكُونُوا جُبَناءَ، بَل ألاَّ يُلقُوا بأنفُسِهم في المَخاطِرِ وَيَهلِكوا، فتَحلَّ الخَسارَةُ بالمزمِعِينَ أنْ يُفِيدوا مِن تَعلِيمِهم. المقطع ١٢٠.[١٩]

قَبلَ أن يَأتِيَ ابنُ الإنسَانِ. ثيودور أُسقف هيراقلية: يَقُولُ إنَّ مَجيئَه لا يكُونُ ظُهورًا في نِهايَةِ الحيَاةِ، بَل إرشَادًا رُوحِيًّا وَعونًا للمُضطَّهَدين مِن وَقتٍ إلَى آخَر في سَبيلِ اللّه. المقطع ٦٨.[٢٠]

١٠:٢٤ لا تِلميذَ أَعظَمُ مِنْ مُعلِّمِه

ثيودور المبسوستي: صَحِيحٌ أنَّ لا تِلمِيذَ أعظَمُ مِن مُعلِّمه في طَبيعَتِهِ. فمَن هُوَ شَبيهُه في وَضعِهِ لا يَتفوَّقُ علَيهِ بطَبيعَتِه، لَكِنَّ المُشابَهة تكُونُ الغَايَةَ القُصوَى الَّتي يُمكِنُ أنْ يَبلُغَها. لهذَا يقُولُ يسوعُ إنَّ هُنَاكَ مُعَلِّمًا وَاحِدًا فقَط، وهَذا المُعلِّمُ هُوَ يَسوعُ نَفسُهُ. فالمعلِّمُون بينَ البَشرِ هُم أشبَهُ برُمُوزٍ لِلحَقِّ، بحَيثُ يُعلِّمُ كُلٌّ مِنهُم ما يَقتَبِسُهُ عَنِ الأَصلِ. لذلِكَ يُحرِزُ المرءُ تَقدُّمًا أكثرَ إذا وَطَّنَ النَّفسَ علَى الصَّلاحِ الَّذي أُعطِيَ لَهُ. المَقطَعُ ٥٣.[٢١]

---

[١٦] CS 232:452

[١٧] متَّى ١٠: ٥.

[١٨] LCC 07-96:77

[١٩] KGKM 291

[٢٠] KGKM 57

[٢١] KGKM 411

١٠:٢٥ الخَادِمُ كَالمُعَلِّم

مِثَالُ رَبِّنَا. هيلاريون: إنَّ المعرِفَةَ بِمَا يَأتي بَنَّاءَةٌ لاكتِسابِ التَّسامُحِ، لاسيَّمَا إذَا كَانَت رَغبَتُنَا الشَّخصِيَّةُ في الصَّبرِ قد صِيغت عَلَى مِثَالٍ آخَر. فَربُّنَا، النُّورُ الأَزليُّ وَقَائِدُ كُلِّ المُؤمِنينَ ومُثَبِّتُ الخلُودِ، أَنعَمَ عَلَى تلاميذِه بمُؤاسَاتِه الآلامِ الَّتي سَيَتحمَّلُونها في المُستَقبَلِ. لَقَد تَمَّ هَذَا تَلافيًا لأَنْ يَشعُرَ التِّلمِيذُ بأَنَّه أَعظَمُ مِنْ مُعَلِّمِهِ أَو أَعلَى مِنَ الرَّبِّ، في حين أَنَّه خَادِمٌ. بعضُهُم يُلَقِّبُون رَبَّ البَيتِ، لسُوءِ نيَّتِهم، «إبليس». فَإذا كُنَّا مُشابِهين حَقًّا رَبَّنَا وَظُرُوفَ آلامِه، فَلِمَ يرتكِبُونَ كُلَّ أَنواعِ الأَذَى وَالضَّررِ بِحقِّ أَهلِ بيتِهِ الَّذينَ دَخَلُوا عَالَمَ المَجدِ دُخُولاً أَكمَلَ؟ في متَّى ١٠. ١٥.[٢٢]

تَلقِيبُ السَّيِّدِ ببعْلَ زَبُول. الذَّهَبيُّ الفَم: هَذا مَعنَى مَا يَقُولُهُ: يَكفِي حَقًّا لمؤاساتِكم أَنَّني شَارَكتُكُم، أَنَا مُعَلِّمكم وَسَيِّدكم، في المُعَانَاةِ عينِها؛ أَمَّا إذا كَانَ سَمَاعُكُم كَلامي هَذا يُحزِنُكم فَثِقُوا بأَنَّكم تُعتَقُونَ مِنَ الظُّنُونِ. لماذَا تَحزَنُونَ إذَا دَعوكُم مُشعوذِينَ وَمُضَلِّلِين؟ إنتَظِرُوا قَليلاً، فَجَمِيعُ النَّاسِ سَيُخَاطِبونَكُم كَمُخَلِّصينَ وَمُحسِنِينَ لِلعَالَمِ. الوَقتُ سَيَكشِفُ كُلَّ مَا هُوَ مَحجُوبٌ، وَسَيَدحَضُ تُهَمَهُم الكَاذِبَةَ، وَيَكشِفُ فَضِيلَتَكُم. فَعِندَمَا تَظهَرُونَ عبرَ الأَحدَاثِ مُخَلِّصِينَ، وَمُحسِنِينَ، ومُثبِتِينَ فَضِيلَتَكُم كُلَّهَا، فَلَن يَلتَفِتَ النَّاسُ إلَى كَلامِكم، بَلْ إلى حَقِيقَةِ الأُمُورِ، وَسَيَظهَرُونَ نَمَّامِينَ، أَفَّاكِينَ، مُفترِينَ. أَمَّا أَنتُم فَستَظهَرُونَ أَسطَعَ مِنَ الشَّمسِ. فَالزَّمَانُ يَكشِفُكُم وَيُعلِنُكُم وَيُطلِقُكُم بِصَوتٍ أَوضَحَ مِنَ المِزمَارِ، وَيَجعَلُ جَمِيعَ النَّاسِ شُهُودًا عَلَى فَضِيلَتِكُم. فَلا تَدَعُوا مَا قِيلَ عَنكُم الآنَ يُذِلُّكُم، بَلْ دَعُوا الرَّجَاءَ بِالصَّالِحَاتِ الآتِيَةِ يَرفعكُم. فَمِنَ المُستَحِيلِ أَنْ تَبقَى شُؤُونُكُم خَفِيَّةً. إنجيلُ متَّى، الموعظة ٣٤. ١.[٢٣]

العَلاقَةُ بَينَ السَّيِّدِ وَالخَادِمِ. الذَّهَبيُّ الفَم: أَوَرَأَيتَ كَيفَ يَكشِفُ نَفسَهُ بِأَنَّه سَيِّدُ كُلِّ الأَشيَاءِ وإلهُهَا وَخَالِقُهَا. مَاذَا إذًا؟ مَاذَا يَعنِي: لا تِلمِيذَ أَعظَمُ مِن مُعَلِّمِهِ وَلا عَبدَ أَفضَلُ مِن سَيِّدِهِ؟ مَا دَامَ تِلمِيذًا وَعَبدًا فَهُوَ لَيسَ أَفضَلَ بِحَسَبِ طَبِيعَةِ الكَرَامَةِ. لَكِنْ لا تُكَلِّمْنِي هُنَا عَمَّا يَنقُصُهُ مِنَ الكَرَامَةِ، بَل خُذِ النُّصحَ مِمَّا يَزِيدُ مِن كَرَامَتِهِ. لَم يَقُلِ السَّيِّدُ: «مَا أَحرَاهُم بِأَنْ يَقُولُوا ذَلِكَ في عَبِيدِه»، بَلْ في «أَهلِ بَيتِهِ»، لِيُظهِرَ كَم أَنتُم مُقَرَّبونَ إليهِ. وَقَالَ في مَكَانٍ آخَر: «لا أَدعُوكُم عَبِيدًا بَعد

---

(٢٢) CS 432:452

(٢٣) GP 993:75; FNPN 1 722:01

اليَوم، فَأَنتُم أَحِبَّائي».[٢٤] وَلَم يَقُلْ: إِنْ كَانُوا شَتَمُوا رَبَّ البَيتِ وَافتَرَوا عَلَيهِ، بَلْ يَذكُرُ الشَّتِيمَةَ ذَاتَها وَوَصْمَهُم رَبَّ البَيتِ بِأَنَّه بَعْل زبول. إنجيلُ متَّى، الموعظةُ ١.٣٤.[٢٥]

[٢٤] يوحنّا ١٥: ١٥.

[٢٥] PG 57:398-99; NPNF 1 10:227

١٠:٢٦–٣١ مَنْ يَجِبُ أَنْ تَخَافُوه

٢٦لا تَخافُوا منهُم إذاً. فما مِنْ مَستورٍ إلاّ سَيَنكَشِفُ، ولا مِنْ خفِيٍّ إلاّ سيُعْلَمُ. ٢٧وما أقولُهُ لكُم في الظَّلامِ، قولُوه في النُّورِ. وما يُسَرُّ إليكم في الأُذنِ، نادُوا به على السُّطوحِ. ٢٨لا تخافوا مِمَّن يقتُلونَ الجسَدَ ولا يَستطيعونَ قتلَ النَّفسِ، بَل خافوا مِمَّن يقدِرُ أنْ يُهلِكَ الجسَدَ والنَّفسَ معًا في جهَنَّم. ٢٩أما يُباعُ عُصْفورانِ بدِرْهَمٍ واحدٍ؟ ومعَ ذلِكَ لا يقَعُ واحدٌ منهُما إلى الأرضِ إلاّ بعلمِ أبيكُم. ٣٠أمّا أنتُم فشَعرُ رُؤُوسِكُم نفسُهُ معدودٌ بأجمَعِهِ. ٣١لا تخافوا إذًا، أنتُم أفضَلُ مِنْ عصافيرَ كثيرةٍ.

نَظرَةٌ عَامَّةٌ: عَلينَا أَلاّ نَخَافَ مِن تَهدِيدَاتِ الَّذينَ يَضطَّهِدونَنَا أَوِ الَّذينَ يُتقِنُونَ خِداعَنَا، لأَنَّ يَومَ الدَّينُونَةِ سَيَكشِفُ أَنَّ هذِه التَّهدِيدَاتِ كَانَت فَارِغَةً (هيلاريون). وَعَلَى الرَّغمِ مِن أَنَّ السِّرَّ كَانَ مَخْفِيًّا مُنذُ الدُّهُورِ، فَقَد صَارَ الآنَ مَكشُوفًا لِلجَمِيعِ (كَاتِبٌ مَجهُولٌ). مُقَابِلَ صَوتِ يَسُوع الهَادِئ، سَيُعلِنُ التَّلامِيذُ بِجُرأَةٍ الكَلامَ الَّذي أُعْطُوهُ (الذَّهبِيُّ الفَم). فَمَا قِيلَ مِنْ قَبلُ فِي الظَّلامِ يُعلَنُ الآنَ في النُّورِ (هيلاريون). مَا يُعَلِّمُهُ يَسُوعُ عبر الأَمثَالِ، يُبَشِّرُ بِهِ الرُّسُلُ عَلَنًا (كَاتِبٌ مَجهُولٌ). كَانَ يَسُوعُ مُنضَبِطَ النَّفسِ، يَنظُرُ إِلَى وَقتٍ أَكثَرَ مُلاءمَةً لِمُخَاطَبَةِ الجَمَاهِيرِ (إفسافيوس الحِمصيّ). لا تَحزَنُوا عَلَى المَوتِ بَلْ عَلَى الخَطِيئَةِ (ثيودور المبسوستيّ، أوغسطين). الجَسَدُ بِدُونِ النَّفسِ مَيْتٌ، وَالنَّفسُ بِدُونِ اللهِ مَيْتَةٌ (أوغسطين). تَتِمُّ بَعضُ الأُمُورِ بِإِرَادَةِ اللهِ المُبَاشَرةِ، وَيَتِمُّ البَعضُ الآخَرُ بِمَرضَاتِهِ وَسَمَاحِهِ (أوريجنّس). إِنَّ الأَشخَاصَ الَّذينَ يَبِيعُون

أنفسَهُم لخَطيئةٍ تافهَةٍ يُشبِهُون عُصفُورَين يُبَاعَان بدِرهَم واحِدٍ، فَيستردُّهما الرَّبُّ وَيُخَلِّصُهما (هيلاريون). لا يَقعُ العُصفُورَان بمَعزلٍ عَن إرَادةِ الرَّبِّ الَّذي يبتَغِي منهُمَا أن يُؤدِّيا خِدمَةً مُفِيدَةً (أبوليناريوس). إذا كَانَ اللّه لا يَجهَلُ مَا يَحدُثُ في الخَليقَةِ، وإذا كَانَ يُحبُّنَا حقًّا أكثرَ مِنَ الأبِ البَشريِّ، فعَلَينَا ألاَّ نَخَافَ أو نرهَبَ (الذَّهبيُّ الفَم).

١٠: ٢٦ لا تَخَافُوا

يُعلَنُ في يَومِ الدِّين. هيلاريون: هَذا القَولُ يَعُودُ إلى يَومِ الدِّينِ الَّذي يَكشِفُ ضَميرَ إرَادتِنا المَستُورَ، ويُخرِجُ إلى النُّورِ مَا يبدُو الآنَ خَفيًّا. لذَلِكَ يَحُثُّنا يَسوعُ عَلى ألاّ نَخَافَ مِنْ تَهدِيدَاتِ الَّذينَ يَضطَهِدُونَنا أو يَبرَعُونَ في خِدَاعِنَا، لأنَّ يَومَ الدِّينِ سَيَكشِفُ عَنْ أنَّ هَذِهِ التَّهدِيدَاتِ كَانَت فَارِغَةً. في متَّى ١٠. ١٦.[١]

١٠: ٢٧ يُقَالُ في النُّورِ

مَا تَسمَعُه في الظَّلام. هيلاريون: لا نَأخُذَنَّ هَذَا القَولَ بمَعنَى أنَّ الرَّبَّ اعتَادَ أنْ يُبَشِّرَ في المَسَاءِ وَيُعلِّمَ في الظَّلامِ. إنَّ كُلَّ مَا قَالَهُ هُوَ ظَلامٌ للجَسَدَانِيِّين، وَلَيلٌ لِغَيرِ المُؤمِنِينَ... لذَلِكَ يَأمُرُ بِأنْ يَكُونَ كُلُّ مَا قِيلَ في الظَّلامِ مُبَشَّرًا بِه في النُّورِ. وَمَا قَالَهُ هَمسًا في آذَانِهِم سَيُسمَعُ عَلَى السُّطُوحِ، مِن فَوق على ألسِنَةِ الَّذينَ يُبَشِّرونَ بِهِ. في متَّى ١٠. ١٧.[٢]

مَا تَسمَعُونَهُ هَمْسًا. الذَّهَبيُّ الفَم. عِندَمَا كَانَ يَقُولُ هَذِه الأُمُورَ لَمْ يَكُنْ ظَلامٌ البَتَّة. فَهُوَ لَم يكُنْ يَتَحَدَّثُ إليهِم هَمْسًا في الأُذُنِ؛ لَكِنَّهُ استَعمَلَ المُبَالَغَةَ في الكَلامِ. وَلأنَّه كَانَ يَتَحَدَّثُ مَعَهُم عَلَى انفِرَادٍ، في زَاوِيَةٍ صَغِيرَةٍ في فَلَسطِينَ، قَالَ «في الظَّلامِ» و «هَمسًا في الأُذُنِ»، مُغَايِرًا أُسلُوبَ كَلامِهِ مَعَهُم، وَذَلِكَ في سَبيلِ الجُرأَةِ الَّتي كَانَ سَيَمْنَحُهُم إيَّاهَا لَهُم في مَا بَعدُ. فَيَقُولُ: ليس في مَدينَةٍ وَاحِدَةٍ أو اثنَتَين أو ثَلاث، بَل في المَسكُونَةِ كُلِّها سَتُبَشِّرون، في الأَرضِ وَالبَحرِ، وَفي المَسكُونَةِ وَالقَفْرِ، ولِلوُلاةِ وَالشُّعُوبِ، وَللفَلاسِفَةِ وَالخُطَبَاءِ، سَتُبَشِّرون قَائِلِينَ كُلَّ شَيءٍ بِوَجهٍ مَكشُوفٍ، وَبِرَبَاطَةِ جَأشٍ في الكَلامِ. إنجيلُ متَّى، الموعظة ٣٤. ٢.[٣]

الكَلامُ في الوَقتِ المُلائم. إفسافيوس الحمصيُّ. يَتَساءَلُ المرءُ: «إذا كَانَ التَّكَلُّمُ في النُّورِ حَسَنًا، فَلِمَاذا تَكَلَّمَ الرَّبُّ نَفسُهُ في

---

(١) CS 432:452

(٢) CS 432:452-63

(٣) GP 57:399-400; NPNF 1 10:227- 28

الظَّلام؟ وإذا كَانَ الوَعظُ مِن عَلى السُّطوحِ حسَنًا، فلِمَاذا تكلَّمَ هُوَ نفسُهُ همْسًا في آذانِهم»؟ يصمُتُ هُوَ لأنَّ صمْتَهُ مُناسِبٌ، لَكِنَّهُ يُعلِّمُ تَلاميذَه أَن يُعلِنُوا كَلامَهُ وَيُبشِّروا بِه. لمْ يكُنْ خَائِفًا–بالأحرَى فعَلَ ذَلِكَ أمَامَ أُناسٍ أُمِّيِّينَ ليهَابُوا الرَّبَّ يَسُوعَ. إنَّه يَسوسُ كَلامَهُ بعِنَايَةٍ فَائِقَةٍ، فَتَارَةً يَبقَى صَامِتًا وَطورًا يَتكَلَّمُ بصَراحَةٍ. الموعظة ٢٧. ٣.[٤]

مَا وَراءَ سِرِّ الأمثَالِ. كَاتِبٌ مَجهُولٌ: مَا هُوَ مَعنَى الآيةِ: «ومَا أَقولُهُ لكُم في الظَّلامِ قُولُوهُ في النُّورِ. وَمَا يُقَالُ لكُم هَمْسًا في الأُذُنِ نَادُوا بِه عَلَى السُّطُوحِ»؟ إنَّها تُشيرُ إلَى ظُلمَةِ الشَّعبِ اليَهُوديِّ، كَمَا كُتِبَ عَنهُ في مَكَانٍ آخَرَ: «وَالنُّورُ يُشرِقُ في الظَّلامِ، وَالظَّلامُ لَم يُدرِكْهُ».[٥] «الظَّلامُ» يَعني أنَّهم كَانُوا عَاجِزينَ عَن إدرَاكِ النُّورِ الحَقِيقِيِّ. لَقَد كَانَ الرَّبُّ يُعلِنُ أَنَّ كُلَّ مَا قَالَهُ بَينَ اليَهُودِ سَيُعلَنُ في الكَنيسَةِ. فَالنُّورُ لا يُدرِكُهُ إلاَّ المُؤمِنُونَ. لِذلِكَ قَالَ لِتَلامِيذِه: «بِالأمسِ كُنتُم في الظَّلامِ، وَأَنتُم اليَومَ نُورٌ في الرَّبِّ، فَسيرُوا سِيرَةَ أَبنَاءِ النُّورِ».[٦] «ومَا أَقولُهُ لكُم في الظَّلامِ قُولُوهُ في النُّورِ. وَمَا أَقُولُهُ لَكُم هَمْسًا في الأُذُنِ نَادُوا بِه عَلَى السُّطوحِ. «أَي إنَّ مَا أَقُولُهُ الآنَ في سِرِّ الأَمثَالِ يَجِبُ أَنْ تَعلِنُوهُ مِن بَعدُ». عَمَلٌ نَاقِصٌ حولَ متَّى ٢٥.[٧]

مَا مِن مكَانٍ إلاَّ وَيُعرَفُ فيه المَسيحُ. كَاتِبٌ مَجهُولٌ: وَالآنَ يَكشِفُ لَهُم مَا سَيكُونُ مُستَقبَلُ تَبشِيرِهِم، لأنَّ لِتَبشِيرِهِم نَتَائِجَ عَظِيمَةً. يَقُولُ «هَا أَنَا النُّورُ المَخفِيُّ في الظِّلالِ، اللّه مَستُورٌ في إِنسَانٍ، وَرِفعَتُهُ في تَواضُعِهِ. فَمَع أَنَّ هَذَا السِّرَّ كَانَ مَخفِيًّا مُنذُ الأَزلِ فَإِنَّهُ سَيَتَجلَّى للكُلِّ عبركم، فَتَمَّتِ النُّبُوءَةُ الَّتي قِيلَت عَنِّي: «مِنْ أَقصَى السَّمَاءِ شُروقُهَا وَإِلَى أَقَاصِيهَا دَوَرانُهَا، وَلا شَيءَ يستَتِرُ عَنْ حَرِّهَا»٦٢.[٨] لَيسَ هُنَاكَ مَكَانٌ تَختَفِي فِيهِ الشَّمسُ وَلا يَشعُرُ النَّاسُ فِيهِ بِحَرَارَتِهَا. وَهكَذَا لَيسَ هُنَاكَ مَكَانٌ يَكُونُ فِيهِ المَسِيحُ مَجهُولاً، وَيكُونُ لاهُوتُهُ غَيرَ مَعرُوفٍ. بِهذِه الطَّرِيقَةِ يَنقَسِمُ كُلُّ الجِنسِ البَشَرِيِّ إلَى فَرِيقَينِ: فَرِيقٍ مُؤمِنٍ يَستَحِقُّ التَّتويجَ، وَفَرِيقٍ غَيرِ مُؤمِنٍ، مُدَانٍ، إذ لا عُذرَ لَه في أَنْ يَكُونَ غَيرَ مُؤمِنٍ. عَمَلٌ نَاقِصٌ حَولَ مَتَّى، الموعظة ٢٥.[٩]

---

[٤] 691:72 LSS
[٥] يوحنا ١: ٥.
[٦] أفسس ٥: ٨.
[٧] 167:65 GP
[٨] مزمور ١٩: ٦ (١٨: ٦).
[٩] 067:65 GP

١٠: ٢٨ خافُوا الَّذي يَقدِرُ أَنْ يُهلِكَ الجَسَدَ وَالنَّفسَ

لا تَخافُوا الَّذينَ يَقتلُونَ الجَسَدَ. كاتِبٌ مَجهُولٌ: «لا تخافوا الّذينَ يَقتُلونَ الجَسَد». إنَّ جوهرَ الإنسَانِ لَيس الجَسَدَ بَلِ النَّفس. فَاللّه خَلَقَ النَّفسَ وَحدهَا عَلى صُورَتِهِ وَأَحبَّهَا. وَلأَجلِ النَّفسِ خلقَ العَالَمَ. أَعداؤنَا يَحسِدُونَ النَّفسَ وَيضطَّهِدُونَها. فَلأَجلِ النَّفسِ جاءَ ابنُ اللّه إلى العَالمِ. لكِنَّ الجَسَدَ هُو وِشاحُ النَّفسِ، كمَا يقُولُ الرَّسُولُ: «وَلِذلِكَ نَئِنُّ مُثقَلِينَ مَا دُمنَا في هذِه الخَيمَةِ، لأَنَّنا لا نُريدُ أَنْ نَخلَعَ مَا نَلبَسُ، بَلْ نُريدُ أَنْ نَلبَسَ ذَاكَ فوقَ هذَا حَتَّى تَبتَلِعَ الحَياةُ مَا هُوَ زَائِلٌ فِينَا».[10] فَإِذَا أَتلَفَ المرءُ ثَوبَ شَخصٍ يَرتَديهِ فَوقَ جَسَدِه، فَإِنَّه يَظُنُّ أَنَّه أَنزَلَ بِهِ الأَذى، لَكِنَّه بِالحَقِيقَةِ لا يُؤذِي طَبيعَةَ ضَحيَّتِه. هكَذَا إذَا قَتَلَ غيرُ المُؤمِنينَ الجَسَدَ الَّذي يَرتَديهِ المَرءُ فَوقَ النَّفسِ، تَحزَنُ النَّفسُ مِن جَرَّاءِ القَتلِ، لكِن لا يَحُلُّ ضَرَرٌ بِطَبيعَةِ النَّفسِ. . . . هَلْ يَعني أَنَّ النَفسَ تَمُوتُ؟ أَلَم تُخلَقِ النَّفسُ لِتَكُونَ خَالِدَةً؟ «المَوتُ» لا يَعني أَنَّ الجسدَ وَحدَهُ فَانٍ، بَل الأَلَمُ تَابِعٌ لِلجَسَدِ. هكَذَا يَقُولُ بُولسُ: «لِي فَخرٌ بكُم في رَبِّنَا يَسُوعَ المَسيحِ، أَنِّي أَذُوقُ المَوتَ كُلَّ يَومٍ».[11] وَيَقُولُ يوحنَّا في سِفرِ الرُّؤيَا: «مُبَارَكٌ وَمُقَدَّسٌ هُوَ الَّذي يُشارِكُ في القِيَامَةِ الأُولَى! فَلا سُلطَانَ لِلمَوتِ الثَّاني عَلَيهِ».[12] فَالمَوتُ الثَّاني نَارٌ وَكِبريتٌ. أَنت تَرَى أَنَّه لا يَعنِي بِـ «دَينُونَةِ النَّفس» فَنَاءَهَا، بَل عَذابَها في جهنَّم؛ هذَا هُوَ المَوتُ الثَّاني. عَمَلٌ نَاقِصٌ حَولَ مَتَّى، الموعظة ٢٥.[13]

لا تَبكُوا المَوتَ، بَل الخَطيئَةَ. أوغسطين: إنَّ الإنجِيلَ حياةٌ. أَمَّا عَدَمُ التَّقوى وَالكُفرُ فَهُمَا مَوتُ النَّفسِ. فَإِذَا كَانَتِ النَّفسُ مَائِتَةً فَكَيفَ تَكُونُ خَالِدَةً؟ فَهُنَاكَ دَائمًا حياةٌ في النَّفسِ لا يُمكِنُ القَضَاءُ عَليها أَبدًا. فَكَيفَ تَمُوتُ؟ لا في التَّوقُّفِ عَن أَنْ تَكُونَ حيَّةً، بَلْ في فُقدانِ حيَاتِها الحَقِيقيَّةِ... إعتَبِرْ تَرتِيبَ الكَائِنَاتِ. النَّفسُ هِيَ حَيَاةُ الجَسَدِ. واللّه هُوَ حَيَاةُ النَّفسِ. كَمَا أَنَّ الحَيَاةَ، أَي النَّفسَ حَاضِرَةٌ في الجَسدِ لِئلاَّ يَمُوتَ الجسد، لذلِكَ يَجِبُ أَنْ تَكُونَ حيَاةُ النَّفسِ، أَي اللّه، مَع النَّفسِ لِئَلا تَمُوتَ.

كَيفَ يَمُوتُ الجَسَدُ؟ يَمُوتُ بِمُغَادَرَةِ النَّفسِ. أَقُولُ إنَّه بِمُغَادَرَةِ النَّفسِ يَمُوتُ الجَسَدُ، فَيُصبِحُ جُثَّةً هَامِدَةً. فَمَا كَانَ يَتَمَتَّعُ

[10] ٢ كورنثس ٥: ٤.
[11] ١ كورنثس ١٥: ٣١.
[12] رؤيا ٢٠: ٦.
[13] GP 46-267:65

بالحيويّةِ قبلَ قليلٍ لا يُحتقَرُ. ففيه عِدّة أعضاء، كالعينين والأذنين. لكنَّ هذه الأعضاءَ هي مُجرَّدُ نوافذ للبيتِ؛ لكنَّ قاطنيها هجروها. والَّذينَ يندبونَ الميْتَ يبكون باطلاً قربَ نوافذِ البيتِ. وليسَ مَن يسمعُ... لماذا كانَ الجسَدُ ميتًا؟ لأنَّ النَّفس، أي الحياةَ، قد تركَتهُ. لكِنْ متَى تكونُ النَّفسُ ذاتُها ميْتَةً؟ عِندَما يتركُها اللهُ... هذا ما نعرفُهُ ونتمسَّكُ بهِ تمسُّكًا وثيقًا: الجسَدُ ميْتٌ بدونِ النَّفس، والنَّفسُ ميْتةٌ بدونِ الله. فمَن كانَ بلا اللهِ كانَ ذا نفسٍ ميتةٍ. يا مَن تندبُ الميتَ أُندبِ الخطيئةَ العُظمَى. أُندبْ عدمَ التَّقوى. أُندبْ عدمَ الإيمانِ. الموعظة ٦٥. ٥-٧.[١٤]

الهلاكُ في جهنَّم. ثيودور المبسوستيّ: بلفظَةِ «جهنَّم» أظهرَ يسوعُ أنَّ العذابَ أبديٌّ، مُشيرًا إلَى العِقابِ الَّذي ينتظِرُ الَّذينَ يتلقَّونَ المُجازاةَ.

يُظهِرُ تخيُّرُهُ الألفاظ أنَّ هُناكَ اختلافًا عظيمًا بين الأمرين. يتحدَّثُ هُنا عَن «المحكومينَ بالموتِ»، وهُناكَ عَنِ الهالِكينَ الَّذينَ لا خلاصَ لهُم. المقطع ٥٦.[١٥]

١٠: ٢٩ وُقوعُ العُصفُورِ

إلاَّ بعِلْمِ أبيكُم. أوريجنِّس: هُنا يُشِيرُ يَسُوعُ إلَى عِنَايَتِهِ بكُلِّ شَيءٍ. فَلَفظَةُ «إلاَّ» لا تُشيرُ إلَى الإرادَةِ، بَل إلَى مَعرِفَتِه السَّابِقَةِ. فَبعضُ الأحداثِ يَتِمُّ بحَسَبِ الإرادَةِ، لَكِنَّ البعضَ الآخرَ يَتِمُّ بمَسَرَّتِهِ واستِحسَانِهِ.... وَيظهرُ صَريحًا تفَاصِيلَ عِنَايَتِهِ وَمَعرِفتهِ السَّابِقَةَ للأحداثِ.

رُوحيًّا يقَعُ العُصفُورُ (فَهُوَ يُحلِّقُ عَاليًا عَلَى الدَّوام، إلاَّ عِندَمَا يَهبطُ ليَستَرِيحَ عَلَى الجِبَالَ والغَابَاتِ الَّتي هِي رُمُوزٌ من الكِتَابِ المُقدَّس) عِندَمَا يَطلُبُ مَا هُوَ أسفَلُ فيَسقُطُ أرضًا، في حبَائلِ مَسَاوئِ الجَسَدِ، مُستَسلِمًا «لأهواءٍ مُشينَةٍ»، فيَخسَرُ حُرِّيَّتَه وَشَرَفَهُ. شَخصٌ كهَذا رُفِعَ عَاليًا بالكَلِمَةِ، لَكِنَّ عَقلَهُ مُرتَبطٌ باهتِمَامَاتٍ أرضيَّةٍ. المقطعُ ٢١٢.[١٦]

المَسيحُ يَستَرِدُّ مَا بيعَ. هيلاريون: مَا يُبَاعُ هُوَ الجسَدُ والنَّفسُ. فَبيعُهُما يَتِمُّ بالخَطِيئَةِ، والمَسيحُ يُخَلِّصُهما مِنَ الخَطِيئَةِ، إذ هُوَ مُخَلِّصُ النَّفسِ والجَسَدِ. عِندَمَا يَبِيعُ النَّاسُ أنفُسَهُم لخَطِيئَةٍ تَافِهَةٍ يُشبِهُونَ عُصفُورَين يُبَاعَانِ بدرهَمٍ وَاحِدٍ. لَقَد وُلِدا ليَطِيرا ويَحمِلا إلَى السَّمَاوَاتِ عَلَى أجنِحَةٍ رُوحِيَّةٍ، لَكِنْ تَعتَرِيهِما مُتَعُهما، فيُتَاجِران

(١٤) LP 38:428-30; NPNF 1 6:307

(١٥) MKGK 114-15

(١٦) GCS 41.1:101-2

بِمِثلِ هَذِهِ الأَعمَالِ بِكُلِّ ثَرواتِهِما الأَبَدِيَّةِ مِن أَجلِ تَرَفِهِما المُؤقَّتِ. في متّى ١٠. ١٨.[١٧]

سُقُوطُ العُصفُورِ مَعرُوفٌ عِندَ اللّه. أَبولِيناريوس: لَكِن يَجِبُ أَنْ تعرِفُوا أَنَّ مَا قِيلَ عَنِ العَصَافِيرِ مُبَالَغَةٌ، لأَنَّ العِنَايَةَ بِمَسَائِلَ كَهَذِهِ لا تُحدِثُ عِندَ اللّه فَرقًا، كَمَا قَالَ الرَّسُولُ: «تُرَى هَل يَهتَمُّ اللّه بِالثِّيرَانِ»؟[١٨] مِن أَجلِ البَشَرِ كَانت عِنَايَتُه بِالعَصَافِيرِ المُعطَاةِ لَنَا لِلاستِعمَالِ. «الدِّرهَمُ» رَمزٌ لِمَا لا قِيمَةَ لَهُ. المقطع ٥٥.[١٩]

١٠:٣٠–٣١ أَنتُم أَفضَلُ مِنْ عَصَافِيرَ كَثِيرَةٍ

لا تَخَافُوا. الذَّهَبيُّ الفَم: يقول: «هَل هُنَاكَ مَا هُوَ أَبخَسُ مِنَ العُصفُورَين؟ لَكِنَّهُمَا لا يُمسَكَانِ بِدُونِ عِلمِ اللّه. لا يَقُولُ إِنَّهُمَا يَسقُطَانِ بِموافقَةِ اللّه، فاللّه يُجِلُّ عَن عَمَلٍ كَهَذَا، مَعَ العِلمِ أَنَّهُ لا يَخفَى عَنهُ شَيءٌ مِمَّا يَحدُثُ. فَإِنْ كَانَ لا يَجهَلُ مَا يَحدُثُ، وَيُحِبُّنَا حُبًّا صَادِقًا أَكثَرَ مِن أَيِّ أَبٍ، لِدَرجَةِ أَنَّه قد أَحصَى شُعورَ رؤوسِنا، فَعَلَينَا أَلاَّ نَخَافَ. لَم يَقُلْ إِنَّ اللّه يُحصِي شُعُورَ رُؤوسِنَا إِلاَّ لِيَدُلَّ عَلَى مَعرِفَتِه الدَّقِيقَةِ وَعَلَى عِنَايَتِهِ العَظِيمَةِ بِنَا. فَإِذَا كَانَ عَالِمًا بِكُلِّ مَا يَحدُثُ، وَقَادِرًا عَلَى خَلاصِنا، وَرَاغِبًا فيه، فَلا تَظُنُّوا أَنَّه يَتَغَافَلُ عَنكُم لِتُعَانُوا مَا تُعَانُونَه. فَهُوَ لا يَشَاءُ أَنْ يُعتِقَكُم مِنَ الشَّدَائِدِ، بَل يُشَجِّعُكُم عَلَى الازدِرَاءِ بِهَا، لأَنَّ الازدِرَاءَ بِهَا هُوَ انعِتَاقٌ مِنهَا. «لا تَخَافُوا لأَنَّكُم أَفضَلُ مِنَ عَصَافِيرَ كَثِيرَة». أَمَا تَرَى أَنَّهُ يَعرِفُ هَوَاجِسَ القُلوبِ وَيَعرِفُ أَنَّ الخَوفَ يُسَيطِرُ عَلَيهِم. لِذَلِكَ يَحثُّكُم عَلَى أَنْ لا تَخَافُوا. فَإِنْ سَيطَرَ عَلَيكُم الخَوفُ فَإِنَّما يُسَيطِرُ عَلَى الجُزءِ الأَدنَى مِنكُم، أَي عَلَى جَسَدِكُم. فَإِن لَمْ يَقتُلُوهُ تَأخُذْه الطَبِيعَةُ وَتُبعِدْه في أَيِّ حَالٍ. إِنجيلُ متَّى، الموعظة ٣٤.٢–٣.[٢٠]

[١٧] CS 452:632-83

[١٨] ١ كورنثوس ٩: ٩.

[١٩] KGKM 61

[٢٠] GP 75:004-104; NPNF 1 10:228-29

١٠:٣٢–٤٢ الاعتِرَافُ بِيَسوعَ المَسِيحِ أَو إِنكَارُه

٣٢مَنِ اعترفَ بي أمامَ النّاسِ أعترفُ بِه أمامَ أبي الَّذي في السَّماواتِ. ٣٣ومَنْ أنكَرَني أمامَ النّاسِ أُنكِرُهُ أمامَ أبي الَّذي في السَّماواتِ.

[٣٤] «لا تَظُنّوا أنّي جِئتُ لأُلقي السَّلامَ على الأرضِ، ما جِئتُ لأُلقي سَلامًا بَلْ سَيفًا. [٣٥] جِئتُ لأُفرِّقَ بَينَ المرءِ وأبيهِ، والبِنتِ وأمِّها، والكَنَّةِ وحماتِها. [٣٦] ويكونُ أعداءَ الإنسانِ أهلُ بيتِهِ. [٣٧] مَنْ أحبَّ أباهُ أو أمَّهُ أكثرَ ممّا يُحبُّني، فلا يَستَحِقُّني. ومَنْ أحبَّ ابنَهُ أو بِنتَهُ أكثرَ ممّا يُحبُّني، فلا يَستَحِقُّني. [٣٨] ومَنْ لا يَحمِلْ صليبَهُ ويَتبَعْني، فلا يَستَحِقُّني. [٣٩] مَنْ وجَدَ نفسَهُ يَخسَرُها، ومَنْ خَسِرَ نفسَهُ مِنْ أجلي يَجِدُها.

[٤٠] «مَنْ قَبِلَكُم قَبِلَني، ومَنْ قَبِلَني قَبِلَ الَّذي أرسَلَني. [٤١] مَنْ قَبِلَ نَبيًّا لأنَّهُ نَبيٌّ فَجزاءَ نَبيٍّ يَنالُ. ومَنْ قَبِلَ صدِّيقًا لأنَّهُ صدِّيقٌ فجزاءَ صدِّيقٍ يَنالُ. [٤٢] ومَنْ سَقى أحدَ هؤُلاءِ الصِّغارِ ولَو كأسَ ماءٍ بارِدٍ لأنَّهُ تِلميذ، فأجرُهُ، الحقَّ أقولُ لكُم، لن يَضيعَ».

نظرةٌ عامَّةٌ: ليكُونَ الاعترافُ بي صادِقًا يَجِبُ أَنْ يَخرُجَ مِنَ القَلبِ، لا أَنْ تُتَمتِمَ بِهِ الشِّفاهُ. وإيمَانُ القَلبِ لا يستَحِقُ شيئًا من دُونِ أَنْ تُعلِنَهُ الشِّفاهُ (كَاتِبٌ مَجهُولٌ).

العَالَمُ بأَسرِهِ مُنقَسِمٌ عَلَى ذاتِهِ بسَبَبِ الاختِلافِ عَلَى الإيمَانِ بالمَسيحِ. فالنِّزاعُ الضَّروريُّ يَحدُثُ للقضَاءِ عَلَى سَلامٍ شِرِّيرٍ (جيروم). هَذا هُوَ السَّلامُ: أَنْ يُعَالَجَ السَّرَطانُ باستِئصَالِ الجُزءِ المُصَابِ بِهِ. بِهَذِهِ الطَّريقَةِ يَصُونُ القَائِدُ العَسكَريُّ السَّلامَ: بِكَبتِ الثَّائِرينَ (الذَّهَبيُّ الفَم).

السَّلامُ المُستَمِرُّ وَالحَقيقِيُّ الأَوحَدُ هُوَ في بِرِّ اللهِ (أبوليناريوس). أَحيانًا يَسمَحُ اللهُ بأَنْ يَستَعِرَ بَينَنَا الخِلافُ في حَياتِنا الأرضِيَّةِ للقضَاءِ عَلى وَحدَةٍ شِرِّيرَةٍ (كَاتِبٌ مَجهُولٌ). هُناكَ حَالاتٌ يَكونُ فِيها النِّزاعُ بَينَ المُؤمِنِ وغَيرِ المُؤمِنِ ضَروريًّا (إفسافيوس الحِمصيّ).

أَحبِبْ أَباكَ وَأُمَّكَ وَأَولادَكَ، لَكِنْ فَليَكُنْ حُبُّكَ مُرتَبِطًا بِمَحَبَّةِ اللهِ (جيروم). يَأمُرُ يَسوعُ الآباءَ بأَلاّ يُحاوِلُوا المُستَحِيلَ مُفتَرِضِينَ أَنَّ مَحَبَّتَهُم لأَولادِهِم يُمكِنُ أَنْ تُقارَنَ بِمَحَبَّتِهِم للهِ (الذَّهَبيُّ الفَم). قُلْ لأَبيكَ، «سَأُحِبُّكَ في المَسيحِ، لا بَدَلاً عَنِ المَسيحِ. إنَّكَ سَتَكُونُ مَعِي فِيهِ، لَكِنْ لَنْ أَكُونَ مَعَكَ بِدُونِهِ» (أوغسطين).

أَفضَلُ للمَرءِ أَنْ يَموتَ في سَبيلِ اللهِ وَيَعِيشَ إلَى الأَبَدِ، مِنْ أَنْ يَعِيشَ لأَجلِ مَصَالِحَ

دُنيويَّة عَابِرَة وَيُعَاني بَعدَهَا الموتَ الأبَديَّ (كَاتِبٌ مَجهُولٌ). علينا أَنْ نَحمِلَ صَلِيبنا وَلَو كُنَّا غَيرَ مُستَحِقِّينَ للمَسيح، وَأن نتَألَّمَ، ونَمُوتَ، ونُدفَنَ وَنقُومَ مَعَهُ (هيلاريون). مَا أتعَسَ الَّذين يُحبُّونَ حَيَاتهُم حُبًّا مُفرِطًا! أَنْعِمْ بالَّذين يُقدِّمُون حَيَاتهُم مِنْ أَجْلِ مَحبَّةٍ مُثلَى (الذَّهَبيُّ الفم). يَأتي المَسِيحُ إِلينَا كَوَسِيطٍ مِنْ عِندِ الله (هيلاريون). أيًّا كَانَتِ المُكَافَأَةُ للمُسَافِرِ، فَهِي ستكُونُ لِمَن يَقبَلُ ذلِكَ المُسافِرَ لأَجلِ الله (كَاتِبٌ مَجهُولٌ). مَن قَبِلَ الرُّسُلَ المُبشِّرينَ بالآبِ وَالابنِ وَالرُّوحِ القُدُسِ تَقبَّلَ التَّألُّهَ بمِلئِهِ (ثيودور أسقف هيراقلية). وَمَن استَوعبَ مَعنَى كِتَابَةِ الرَّسُولِ وَلَمْ يُسِئْ فَهمَهَا يَقبَلُ الرَّسُولَ وَالمَسِيحَ مَعًا، المُتكلِّمَ وَالسَّاكِنَ فيه (أوريجنّس).

١٠:٣٢ أعترِفُ به أمامَ أبي الَّذي في السَّماوات

مَن اعترفَ بي. أبوليناريوس: المُكَافَأَةُ فَائِقَةٌ لأنَّها مِن لَدُنِ الله. الاعتِرَافُ بِهِ أَمَامَ النَّاسِ لا يُقَارَنُ بالاعتِرَافِ بِهِ أمَامَ الله... يَجِبُ عَلَى المُؤمِنِ أَنْ يَعترِفَ بالله بقَلبِهِ وَلِسَانِهِ. «فإذَا اعترفتَ بلِسانِكَ بأنَّ يَسوعَ رَبٌّ، وَآمنتَ بقَلبِكَ بأنَّ الله أقَامَهُ مِن بَينِ الأموَاتِ، نِلتَ الخَلاصَ».[1] المقطع ٥٦.[2]

١٠:٣٣ أُنكِرُهُ أمَامَ أبي الَّذي في السَّمَاوَات

مَنْ أَنْكَرَني. الذَّهَبيُّ الفَم: هَكَذَا يَحُثُّهُم السَّيِّدُ لا من طَرِيقِ الصَّالِحَاتِ فقط، بَلْ من طَرِيقِ الأَضدَّادِ أيضًا؛ وينتَهي بالمُحزِنَاتِ. لاحِظْ دِقَّتَه، لم يَقُلْ «يَعتَرِفُ لي» بَلْ «بي»، دَالاًّ عَلَى أَنَّ المُعتَرِفَ لا يَعتَرِفُ بقُوَّةٍ مِنهُ، بَلْ بِمُسَاعَدَةِ النِّعمَةِ مِن عَلُ. لَم يَقُلْ عَنِ الَّذي يُنكِرُه «بي» بل «يُنكِرُني»؛ هَكَذَا يُنكِرُه مَنْ يُنكِرُهُ لأَنَّه حُرِمَ العَطِيَّةَ. قَد يَسأَلُ أحَدُهُم: «لِمَاذا يُلامُ إِذا إِنْ كَانَ مَنْ يُنكِرُه هُوَ مِنَ المَحرومِينَ»؟ أَنْ يَكُونَ مُهمِلاً هُوَ خَطَأُه لا خَطَأُ الله.

لَكِنْ لِمَاذَا لا يرضَى بالإيمَانِ بالفِكرِ وَحدَهُ، بَلْ يطلُبُ أيضًا الاعتِرَافَ بالفَمِ؟ حتَّى يُدرِّبنَا عَلَى الجرأةِ، وَعَلَى مَحبَّةٍ عظمى وَمَيلٍ أقوَى، ليُصعِدَنَا إِلى الأَعَالِي.

لِهَذَا يُخَاطِبُ النَّاسَ أَجمَعِين. وَلا يُطبِّقُ هَذا عَلَى تَلامِيذِه شَخصيًّا فَحَسب، بَلْ عَلَى تَلامِيذِ تَلامِيذِهِ الَّذين يُعِدُّهُم لأَنْ يَكُونُوا

[1] رومية ١٠: ١٠.
[2] 61 KGKM

شُجعَانًا. فَمَن تَعلَّم هَذَا لا يُعلِّمُ بجُرأَةٍ فقط، بَل سَيتَحمَّلُ أيضًا كُلَّ الأَشيَاءِ بسُهُولَةٍ وَنشَاطٍ. هَذَا مَا جَذَبَ الكَثيرينَ إِلَى الرُّسُلِ وَإِلَى الإِيمَانِ بهَذِه الكَلِمَةِ. إنجيلُ متَّى، الموعظةُ ٣٤,٣.[٣]

إيمَانُ القَلبِ وَاعتِرَافُ الشِّفَاهِ. كَاتِبٌ مَجهُولٌ: إنَّهُ لا يَقُولُ: «مَن اعترَفَ بِي في قَلبِهِ»، بَل مَن اعترَفَ بِي أَمَامَ النَّاسِ. إِذَا لَمْ يَعتَرِفْ بِه المَرءُ أَمَامَ النَّاسِ، فَلا جَدوَى مِن أَنْ يُؤْمِنَ بالمَسِيحِ في قَلبِهِ، لأنَّه يَستَحِيلُ عَلَيهِ أَنْ يُؤمِنَ بقَلبِهِ وهُوَ يَكذِبُ بشفَتيهِ. فَأَصلُ الاعتِرَافِ هُوَ إيمَانُ القَلبِ. الاعتِرَافُ هُوَ ثَمرُ الإِيمَانِ. فَمَا دَامَ الأَصلُ حَيًّا فَلا بُدَّ مِنْ أَنْ يُنتِجَ أَغصَانًا وأَورَاقًا وَإِذَا كَانَتِ النَّبتَةُ غَيرَ مُثمِرَةٍ فَإِنَّنا نَعرِفُ بدُونِ أَدنَى شَكٍّ أَنَّ الجَذرَ جَافٌّ في الأَرضِ. بالطَّرِيقَةِ عينِهَا، مَا دَامَ إيمَانُ القَلبِ صَحِيحًا فَإِنَّه يَزرَعُ دَائمًا بذرَ الاعتِرَافِ في الشِّفَاهِ. إِذَا حَبَسْتَ الشَّفتَين عن الاعتِرَافِ بِهِ، فَعَلَيكَ أَنْ تَتَيَقَّنَ أَنَّ إيمَانَ القَلبِ قَد تَلاشَى. يَقُولُ الرَّسُولُ: «فَإِذَا شَهِدْتَ بلِسَانِكَ أَنَّ يَسوعَ رَبٌّ، وَآمَنتَ بجَنَانِكَ بأَنَّ الله أَقَامَهُ مِنْ بَينِ الأَمَوَاتِ، نِلتَ الخَلاصَ».[٤] لا قِيمَةَ للاعتِرَافِ بالشِّفَاهِ بدُونِ إيمَانِ القَلبِ، وَلا قِيمَةَ لإيمَانِ القَلبِ بدُونِ الاعتِرَافِ بِهِ بالشِّفَاهِ. إِذَا نِلتَ مِنَ الإيمَانِ بقَلبِكَ فَائِدَةً بدُونِ الاعتِرَافِ بِهِ أَمَامَ الآخَرِينَ، فَهَل يَنَالُ غَيرُ المُؤمِنِ فَائِدَةً مِنَ الاعتِرَافِ بالمَسِيحِ رِيَاءً، مَعَ أَنَّه لا يُؤمِنُ بقَلبِهِ؟ إِذَا كَانَ اعتِرَافُه بالمَسِيحِ عَن غَيرِ إيمَانٍ لا يُؤَدِّي إِلَى فَائِدَةٍ، فَأَنتَ لا تَنَالُ فَائِدَةً مِنَ الإيمَانِ بدُونِ الاعتِرَافِ. عَمَلٌ غَيرُ كَامِلٍ حَولَ متَّى، الموعظة ٢٥.[٥]

١٠: ٣٤ ما جِئتُ لأُلقِيَ سَلامًا بَلْ سَيفًا

كَيفَ يَتَطَلَّبُ السَّلامُ سَيفًا؟ الذَّهَبِيُّ الفَم: كَيفَ أَمرَهُم الرَّبُّ بأَن يُلقُوا السَّلامَ عَلَى كُلِّ بَيتٍ يَدخُلُونَه؟ وَكَيفَ قَالَتِ المَلائِكَةُ «المَجدُ لله في الأَعَالِي وَعَلَى الأَرضِ السَّلام»؟ وَكَيفَ أَتَى الأَنبيَاءُ جَمِيعُهُم ليُبَشِّروا؟ فَهَذَا هُوَ السَّلامُ حَقًّا: يَقضِي بعَزلِ العَلِيلِ وَفَرزِ المُتَمَرِّدِ. فَتَتَّحِدُ السَّمَاءُ بالأَرضِ. يَحفَظُ الطَّبِيبُ السَّلِيمَ الصَّحِيحَ مِنَ الجَسَدِ ببَترِ الجُزءِ المصَابِ بالمَرَضِ العُضَالُ. كَذَلِكَ يَفصُلُ القَائِدُ الَّذينَ يَتَحَالَفُونَ عَلَى فِعلِ

---

[٣] GP 75:401-2; NPNF 1 10:229

[٤] رومية ١٠: ١٠.

[٥] G 56:766

الشَّرِّ. هكذا حدَثَ أيضًا في برجِ بابل، أبطلَ الصَّالِحُ سلامَهُم الشِّرِّير، فسادَ السَّلامُ. إنجيلُ متَّى، الموعظة ١.٣٥.[٦]

المَعركةُ ضِدَّ السَّلامِ المزيَّف. أبوليناريوس: إنَّ عدمَ اتِّفاقِ غيرِ المؤمنينَ مَع المؤمنينَ يُؤدِّي إلى الخلافِ بينَهُم. ولأنَّهم يظنُّون أنَّ التَّسالُمَ واجبٌ عليهِم يقولون: «لا تحسبُوا أنَّه مِنَ اللائقِ بِكُم أنْ تخلُصوا في جميعِ الأحوالِ إنْ لَمْ تكونوا مُتسالِمين». لا تقبلُوا سلامَ الَّذينَ يُقاومُون سلامَنا. الاتِّفاقُ الوحيدُ هُوَ الَّذي يستنِدُ إلى الله... هذا هُوَ السَّلامُ قبلَ كُلِّ شيءٍ. المقطع ٥٧.[٧]

السَّلامُ الحقيقيُّ ضِدُّ السَّلامِ الفاسِدِ. كاتِبٌ مجهولٌ: هُناكَ سلامٌ صالِحٌ وهُناكَ سلامٌ شرِّيرٌ. هُناكَ سلامٌ صالِحٌ وسطَ شعبٍ صالِحٍ ومؤمِنٍ وبارّ. . يُولدُ الإيمانُ عبر كلِمةِ الله، لكنَّهُ يُعزَّزُ عبر السَّلامِ ويُغذَّى بالمحبَّةِ، يقولُ الرَّسولُ: «الإيمانُ العامِلُ بالمحبَّةِ».[٨] لكنَّ الإيمانَ الخالي مِنَ المحبَّةِ لا يستطيعُ أنْ يُنتِجَ أيَّ ثمرٍ من أثمارِ الأعمالِ الصَّالحةِ. هذا يحدُثُ إذا انفصلَ المؤمنُون بسببِ اختلافاتِهم، أي بسببِ نزاعٍ شرِّيرٍ. قالَ الرَّبُّ: «كُلُّ بيتٍ ينقسِمُ على نفسِهِ لا يثبُتُ».[٩] وإذا انقسمَ الإخوةُ على أنفسِهم يُهلكُون. يقولُ الرَّسولُ: «فإذا كُنتُم تنهشُون وتأكُلُون بعضُكُم بعضًا، فاحذرُوا أنْ لا يُفنِيَ واحِدُكم الآخَرَ».[١٠] مِنْ ناحيةٍ أُخرى، هُناكَ سلامٌ شرِّيرٌ بينَ غيرِ المؤمنينَ والأثمةِ. بينَهُم إثمٌ واحدٌ هو الإجماعُ على الخطيئةِ. إنَّ عدمَ الإيمانِ والإثمَ يُولدانِ بإيحاءٍ مِنْ إبليس، لكنَّهُما يُتَّقَيانِ بالإيمانِ. وإذا ما حدَثَ نزاعٌ بين غيرِ المؤمنِ والآثمِ، فهذا يكُونُ نزاعًا محمُودًا. غيرَ أنَّ السَّلامَ بينَ الصَّالحينَ يُوطِّدُ الإيمانَ والبرَّ، في هجعةِ الشَّكِّ والظُّلمِ. عندما يقعُ النِّزاعُ يغرقُ الإيمانُ والبرُّ، ويطفُو الإثمُ والشَّكُّ. فعندما يحُلُّ السَّلامُ بينَ الأثمةِ، يتوطَّدُ الظُّلمُ والكفرُ، ويبقى الإيمانُ والبرُّ هاجعين. أمَّا عندما يحُلُّ الانسجامُ، فإنَّ الظُّلمَ وعدَمَ الإيمانِ يغرَقانِ ويطفُو الإيمانُ والبرُّ. يُرسِلُ الله الاختلافَ الصَّالحَ إلى الأرضِ ليقضِيَ على الاتِّفاقِ الشِّرِّيرِ. كانَ الجميعُ مُتَّحِدينَ وكأنَّهم يعيشُونَ في بيتِ الكُفرِ الواحِدِ-سواءٌ أكانُوا أبرارًا أمْ أشرارًا،

(٦) GP 75:504; FNPN 1 01:232

(٧) KGKM 71

(٨) غلاطية ٥: ٦.

(٩) متَّى ١٢: ٢٥.

(١٠) غلاطية ٥: ١٥.

لأنَّ بعضَهُم كانُوا غارِقِينَ في الشَّرِّ، ساعِينَ وراءَه، وآخرونَ كانُوا غارِقِينَ فيهِ لجهلِهِم الصَّلاحَ. لكِنَّ اللهَ أَلقَى سَيفَ الاختلافِ بينَهُم؛ وهَذا هُوَ سَيفُ الحقِّ. في هَذا الشَّأنِ يَقُولُ الرَّسُولُ: «إنَّ كَلِمَةَ اللهِ حَيَّةٌ، فاعِلَةٌ، أمضَى مِنْ كُلِّ سَيفٍ ذِي حَدَّين، تَصِلُ في نَفاذِها إلَى مَا بَينَ النَّفسِ والرُّوحِ والأوصالِ ومِخاخِ العِظَامِ، وتَحكُمُ عَلَى خَواطِرِ القَلبِ وأفكَارِهِ».[١١] عَمَلٌ غيرُ كَامِلٍ حولَ متّى، الموعظة ٢٦.[١٢]

١٠:٣٥ التَّفريقُ بَينَ الأَقارِبِ

الإيمانُ قد يُفَرِّقُ بَينَ المَرءِ وأهلِ بَيتِهِ. هيلاريون: عِندَمَا نَتَجَدَّدُ بِماءِ المَعمُودِيَّةِ بقُدرَةِ الكَلِمَةِ، نَنفَصِلُ عَن أَصلِ خَطايَانا ومُنشِئِها، ونَقطَعُ عَن تَعَلُّقِنا الجامِحِ بالأَبِ والأُمِّ، كَما بِسَيفِ اللهِ، ونَنفَصِلُ عَنهُما. وعِندَمَا نَطرَحُ عَنَّا ذَاتَنا السَّابِقَةَ مَعَ خَطاياها وعَدمِ إيمانِها، ونَتَجَدَّدُ بالرُّوحِ في العَقلِ والجَسَدِ، فإنَّنا نَمقُتُ بالضَّرُورَةِ عَاداتِ حَياتِنا القَدِيمَةَ المُتَأَصِّلَةَ فِينا. في متّى ١٠. ٢٤.[١٣]

الكِفَاحُ الضَّرُورِيُّ. إفسافيوس الحِمصيّ: يُعلِنُ الرَّبُّ نَفسَه بالسَّلامِ؛ وهَذا مَا يَحُثُّنا الرَّسُولُ بُولسُ عَلَيهِ قائلاً: «إنَّه سَلامُنا».[١٤] طَبعًا، هَذا يَعنِي سَلامَ الَّذِينَ يُؤمِنُونَ بالمَسِيحِ ويَقبَلُونَهُ. لَكِنْ لِمَاذا لا يُحِلُّ الرَّبُّ السَّلامَ في الأرضِ؟ لأَنَّ الابنَةَ تؤمِنُ ويَبقَى الأَبُ غيرَ مؤمِنٍ، «وأَيُّ شَرِكَةٍ بَينَ المؤمِنِ وغيرِ المؤمِنِ»؟[١٥] إعلانُ السَّلامِ يُسَبِّبُ انقِسامًا. فَينتجُ منه خِصامٌ بَينَ ابنٍ مؤمِنٍ وأَبٍ غيرِ مُؤمِنٍ. السَّلامُ الَّذي أُعلِنَ سَبَّبَ انقِسامًا، انقِسامًا صَالِحًا! لأَنَّنا في السَّلامِ نَنالُ الخَلاصَ. الموعظة ٢٦.[١٦]

١٠:٣٦ ويَكُونُ أَعداءَ الإنسَانِ أهلُ بَيتِه

بَينَ أهلِ بَيتِهِ. جيروم: قَالَ مِن قَبلُ: «ومَا أقولُهُ لكُم في الظَّلامِ، قُولوهُ في النُّورِ. ومَا يُقالُ لَكُم هَمْسًا في الأُذُنِ نادُوا بِهِ عَلَى السُّطوحِ».[١٧] والآنَ يَشرَحُ تِلكَ الآيَةَ بَعدَ هَذا القَولِ. العَالَمُ بأَسرِهِ مُنقَسِمٌ عَلَى عَقيدَةِ الإيمانِ بالمَسِيحِ. كُلُّ بَيتٍ يَضُمُّ مُؤمِنينَ وغَيرَ مُؤمِنينَ. النِّزاعُ بَينَهُم يَقضِي عَلَى

---

[١١] عبرانيين ٤: ١٢.
[١٢] GP 65:767-86
[١٣] CS 452:442-64
[١٤] أفسس ٢: ١٤.
[١٥] ٢ كورنثس ٦: ١٥.
[١٦] LSS 72:881
[١٧] متّى ١٠: ٢٧.

سَلامٍ شِرِّيرٍ. لَقَد كُتِبَ في سِفرِ التَّكوينِ أنَّ اللّه فَعَلَ شَيئًا مُماثِلاً لِشَعبٍ مُتَمَرِّدٍ اندفَعَ مِنَ المَشرِقِ وَهَرَعَ إلى بِناءِ بُرجٍ أرادَ مِنه أنْ يَبلُغَ أعالِي السَّماوَاتِ. فَبَلبَلَ اللّه ألسِنَتَهُم.[١٨] لِذلِكَ يُصَلّي داوُدُ في المَزمورِ قائلاً: «يا رَبّ، شَتِّتْ شُعُوبًا تَسُرُّهم الحُروبُ».[١٩] تَفسيرُ متَّى ١.١٠.٣٤.[٢٠]

١٠: ٣٧ لا يَستَحِقُّني

الوَلاءُ العَائليُّ وَمَحَبَّةُ اللّه. جيروم: قالَ مِن قَبلُ: «ما جِئتُ لأُلقي سَلامًا بَلْ سَيفًا».[٢١] وَأَضافَ أنّه فَرَّق بَينَ المَرءِ وأبيهِ وأُمِّه وأقرِبائِهِ، لكي لا يَضَعَ الوَلاءَ العائِليَّ قَبلَ الدِّينِ. «مَنْ أَحَبَّ أباهُ أو أُمَّهُ أكثرَ ممّا يُحِبُّني فَلا يَسْتَحِقُّني».[٢٢] وَأيضًا نَقرأُ في نَشيدِ الأنشادِ: «إنَّه أسَّسَ المَحبَّةَ فِيَّ».[٢٣] يَجِبُ أنْ نَصُونَ هَذا التَّرتيبَ في كُلِّ عَلاقاتِنا. أَحِبْ أَباكَ وَأُمَّكَ وَأبناءَكَ، شَرطَ ألاَّ يَتَعارَضَ حُبُّك لِلأَهلِ مَع حُبِّكَ للّه، فَيَسْتَحيلُ الحِفاظُ عَلَيهما مَعًا. رَفضُكَ عائِلَتَكَ خَيرٌ مِن رَفضِكَ اللّه. تَفسيرُ متَّى ١. ٣٧.١٠.[٢٤]

مَا إذا كانَت مَحَبَّةُ الأبَوينِ تُقارَنُ بِمَحَبَّةِ اللّه. الذَّهَبيُّ الفَم: قالَ هَذِهِ الأشياءَ لِيُصَيِّرَ الأولادَ أكثَرَ شَجاعَةً، وليَجعَلَ آباءَ المُستقبَلِ أكثرَ صَلابَةً. فَعِندَما يُشاهِدُ الآباءُ أنَّ لِلسَّيِّدِ مَقدِرَةً وقُوَّةً على فَصلِ الأولادِ عَنهُم، يَرتَدُّونَ عن ذلِكَ لأنَّهُم يُجَرِّبُونَ أُمورًا مُستَحيلَةً. مِن هُنَا أنَّ السَّيِّدَ يَتَجاهَلُ الآباءَ وَيتَوجَّهُ بِكلامِهِ إلى الأبنَاءِ، مُدَرِّبًا إيَّاهُم عَلى ألاَّ يُحاوِلُوا تَحقِيقَ المُستَحِيلِ.

وَلِئَلا يَغضَبَ السَّامِعُونَ أو يَحسَبُوهُ أمرًا عَسِيرًا، انظُرْ كَيفَ يُوجِّه كَلامَهُ. فَبَعدَ أنْ قالَ: «مَنْ لا يَكْرَهْ أبًا وأُمًّا» يُضِيفُ «وَحياتَه» يقولُ لِماذا تُكلِّمُني عَلى الوالِدينَ والإخوةِ والأخَواتِ والزَّوجَةِ؟ لا شَيءَ أقرَبُ إلَيكَ أكثَرَ مِن النَّفس. إنْ لَمْ تَكرَه نَفسَكَ، تَلْقَ مَا لا تُحِبّ. إنجيلُ متَّى، المَوعظة ٣٥. ٢.[٢٥]

أَحبِبْ عائِلَتَكَ في المَسيحِ. أُوغسطين: لِيَقُلِ الأَبُ: «أَحبِبْني». وَلْتَقُلِ الأُمُّ: «أَحبِبْني». بالإضافَةِ إلى هَذِهِ الكَلِماتِ أَقُولُ: «أُصمُت». أَلَم يَكُنْ هَذا ما يَطلُبانه حَقًّا؟ ألا يَجِبُ أنْ أُعِيدَ مَا قَد استَلَمتُه؟ يَقُولُ

[١٨] تكوين ١١: ٩.
[١٩] مزمور ٦٨: ٣٠؛ ٦٧: ٣٠.
[٢٠] LCC 77:37-47
[٢١] متّى ١٠: ٣٤.
[٢٢] متّى ١٠: ٣٧.
[٢٣] نشيد الأنشاد ٢: ٤.
[٢٤] LCC 77:47
[٢٥] GP 75:704; NPNF 1 10:233

الأَبُ: «إنَّني أَنجَبتُكَ». وَتقُولُ الأُمُّ: «إنَّني حَمَلتُكَ». يَقُولُ الأَبُ: «إنَّني رَبَّيتُكَ». وَتقُولُ الأُمُّ: «إنَّني عُلتُكَ... لُنجِبْ أبَوينا عَلَى قَولِهِما بِكُلِّ بِرٍّ «أَحبَبنَا»: إنَّني أُحِبُّكُما في المَسِيحِ، لا بَدَلاً عَنه. أَنتُما مَعِي في المَسِيحِ، لَكِنْ لَن أَكُونَ مَعَكُمَا بِدُونِه». فَإذا قَالا:«نَحنُ لا نَهتَمُّ بِالمَسِيحِ»، قُلْ: «أَنَا أَهتَمُّ بِالمَسِيحِ أَكثَرَ مِن اهتِمَامِي بِكُمَا. هَلْ أُطِيعُ مَنْ رَبَّانِي وَأَخسَرُ مَنْ خَلَقَنِي؟ الموعظة ٦٥ أ. ٥.[٢٦]

١٠:٣٨ حَمْلُ الصَّلِيبِ

الاستِعدَادُ لِلمَوتِ. كَاتِبٌ مَجهُولٌ: مَنْ يَحمِلُ صَلِيبَه يَكونُ عَلَى استِعدَادٍ لِتَخَطِّي الصُّعُوبَاتِ، بِمَا في ذَلِكَ المَوتُ في سَبِيلِ اللهِ. يُؤثِرُ العَذَابَ عَلَى التَّخَلِّي عَنِ المَسِيحِ. فَحتَّى لَو لَمْ يُعَانِ أَمرًا عَظِيمًا كَالمَوتِ، فَإنَّه سَينَالُ رَحمَةً. النِّيَّةُ هِيَ الَّتي تُكَافَأُ، لا العَمَل. النِّيَّةُ خَيَارُنَا الحرُّ، لَكِنَّ العَمَلَ يُنجَزُ بِنِعمَةٍ مِن اللهِ. «مَنْ وَجَدَ حَيَاتَه خَسِرَهَا».[٢٧] أَفْضَلُ لِلمَرْءِ أَنْ يَمُوتَ في سَبِيلِ اللهِ وَيَعِيشَ إلَى الأَبَدِ، مِنْ أَنْ يَعِيشَ لأَجلِ مَصَالِحَ دُنيَوِيَّةٍ وَيَموتَ إلَى الأَبَدِ. لَقَد مَاتَ السَّيِّدُ لأَجلِنَا بِمَشِيئَتِه، بِالرَّغمِ مِن أَنَّه كَانَ غَيرَ قَابِلٍ لِلمَوتِ، فَعَلَينَا نَحنُ المَائتِينَ أَنْ نَمُوتَ لأَجلِه، وَإنْ كُنَّا رَاغِبِينَ عَن ذَلِكَ؟ إذَا مَاتَ رَبُّكَ لأَجلِ خُدَّامِهِ بِدُونِ مُكَافَأَةٍ، فَإنَّه مِنَ الإنصَافِ لِلخَادِمِ أَنْ يَمُوتَ لأَجلِ الرَّبِّ وَيُكَافَأَ. عَمَلٌ غَيرُ كَامِلٍ حَولَ متَّى، الموعظة ٢٦.[٢٨]

١٠:٣٩ إيجَادُ الحَيَاةِ وَخِسَارَتُهَا

مَن خَسِرَ حَيَاتَه وَجَدَهَا. هيلاريون: بَعَدَ أَنْ أَمَرَنا الرَّبُّ بِأَنْ نَهجُرَ كُلَّ مَا هُوَ غَالٍ في الحَيَاةِ الأَرضِيَّةِ، أَضَافَ: «مَنْ لا يَحمِلْ صَلِيبَه وَيَتْبَعْنِي لا يَستَحِقُّنِي». إنَّ الَّذِينَ يَنتَمُونَ إلَى المَسِيحِ قَد صَلَبُوا أَجسَادَهُم، وَصَلَبُوا مَعَهَا مُمَارَسَاتِهِم الشَّائِنَةَ وَمَلَذَّاتِهَا. لا نَستَحِقُّ المَسِيحَ إنْ لَمْ نَحمِلْ صَلِيبَنَا. فَبِه نَتَأَلَّمُ وَنَمُوتُ وَنُدفَنُ وَنَقُومُ مَعَهُ. إنَّه فَقَط بِثَبَاتِ الإيمَانِ بِالرُّوحِ سَنَنتَصِرُ في الحَيَاةِ الجَدِيدَةِ الَّتي فِينَا.

«مَنْ وَجَدَ نَفسَهُ يَخسَرُهَا، وَمَنْ خَسِرَ نَفسَهُ مِنْ أَجلِي يَجدُهَا».[٢٩] هَذَا يَعنِي بِوُضُوحٍ أَنَّه عبر قُوَّةِ الكَلِمَةِ وَالابتِعَادِ عَن الرَّذِيلَةِ

---

[٢٦] 002:3 3 ASW ;34:68 BR

[٢٧] متَّى ١٠: ٣٩؛ مرقس ٨: ٣٥؛ يوحنَّا ١٢: ٢٥.

[٢٨] 967:65 GP

[٢٩] متَّى ١٠: ٣٩؛ مرقس ٨: ٣٥؛ يوحنَّا ١٢: ٢٥.

القَدِيمةِ، نَنَالُ رِبحًا رُوحِيًّا في المَوتِ... نَقبَلُ المَوتَ لإصلاحِ حَيَاتِنَا. وَنَصُوغُ أَنفُسَنَا الشِّرِّيرَةَ وَفقَ نَمُوذَجِ صَلِيبِ رَبِّنَا، مُزدَرِينَ الأُمُورَ الحَاضِرَةَ، وَنَعتَرِفُ عَلَنِيًّا بالمَجدِ، حَتَّى ضِدَّ مُضطَّهِدِينا. في متَّى ١٠.٢٥-٢٦.[٣٠]

المَحبَّةُ المُنَاسِبَةُ. الذَّهَبيُّ الفَم: أَوَرَأَيتَ مَا أَعظَمَ الأَذَى الَّذي يَحُلُّ بمَن يُحِبُّ حَيَاتَه حُبًّا مُفرِطًا؟! وَمَا أَعظَمَ النِّعَمَ عَلَى المُزدَرِينَ بالرِّبحِ؟! لَقَد كَانَتِ الأَوَامِرُ ثَقِيلَةً، إذ أَمَرَهُم بأَنْ يَتَخَلَّوا عَنِ الوَالدِينَ وَالأَولادِ وَالطَّبيعَةِ وَالأَقَارِبِ وَالمَسكُونَةِ وَالنَّفسِ ذَاتِها، مُظهِرًا لَهُم أَنَّ الفَائِدَةَ مِنْ ذَلِكَ عَظِيمَةٌ جِدًّا. فَيَقُولُ: «حَاشَا لِهَذِه الإرشَادَاتِ أَنْ تَكُونَ مُؤذِيَةً، إنَّها مُفِيدَةٌ جِدًّا؛ وَالانحِرَافُ عَنهَا يُؤذي...» فَلِمَاذَا تُرِيدُ أَنْ تَزدريَ بنفسِكَ؟ لأَنَّكَ تُحبُّها؟ إزدَرُوا بِهَا فَتَنتَفِعُوا بذَلِكَ، فَبازدِرَائِكُم بِهَا تُحِبُّونَهَا.

لاحِظْ حِكمَتَهُ الإلَهِيَّةَ الَّتي لا تُوصَفُ. فَهو لا يُمَارِسُ هَذَا المَنطِقَ في ما يَتَعَلَّقُ بوَالِدِينَا فَقَط وَبأَولادِنَا، بَل أَيضًا بنَفسِنَا الَّتي هي أَقرَبُ إلينَا مِنَ النَّاسِ أَجمَعينَ. إنجيلُ مَتَّى، الموعظة ٣٥.٢.[٣١]

مَن وَجَدَ حَيَاتَهُ خَسِرَهَا. كيرلّس الإسكندريّ: في قَولِ يَسُوع إنَّ الانفِصَالَ غَيرَ الطَّبيعِيَّ عَنِ الجَسَدِ هُوَ «خِسَارَةُ النَّفس». «مَنْ وَجَدَ نَفسَه»،[٣٢] أَي مَن فَضَّلَ الحَيَاةَ الحَاضِرَةَ هُنَا وَكَأَنَّها رِبحٌ لَهُ، سَيُواجِهُ المَوتَ عِندَمَا يُرسَلُ إلَى دَينُونَةٍ أَبَدِيَّةٍ. المقطع ١٢٨.[٣٣]

١٠:٤٠ مَن قَبِلَكُم

الوَسِيطُ. هيلاريون: «مَنْ قَبِلَ نَبِيًّا لأَنَّهُ نَبِيٌّ، فَجزاءَ نَبِيٍّ يَنالُ».[٣٤] مَنْ قَبِلَ نَبِيًّا قَبِلَ السَّاكِنَ في النَّبيِّ، وَأَصبَحَ مُستَحِقًّا للمُكَافَأَةِ... مَنْ فَعَلَ هَذَا أَصبَحَ بَارًّا لأَنَّهُ يُكَرِّمُ البِرَّ. وَهكَذَا يَتِمُّ الحُصُولُ عَلَى البِرِّ عبر الإيمَانِ، فَتَكُونُ الرَّحمَةُ مِنْ وَاجِبَاتِه. هَذَا ما يَحدُثُ عِندَمَا يقبلُ المَرءُ بَارًّا وَيُصبِحُ هُوَ نَفسُهُ نَبِيًّا ... فَيَنَالُ الشَّرَفَ اللائِقَ بالبَارِ وَبالنَّبيِّ. في متَّى ١٠.٢٨.[٣٥]

١٠:٤١ نَالَ جَزَاءَهُ

نَيلُ جَزَاءِ إنسَانٍ بَارٍّ. أُوريجنّس. إنَّ لِهَذِهِ

---

[٣٠] CS 452:642-84

[٣١] GP 75:704-8; NPNF 1 10:234

[٣٢] متّى ١٠:٣٩؛ مرقس ٨:٣٥؛ يوحنّا ١٢:٢٥.

[٣٣] MKGK 194

[٣٤] متّى ١٠:٤١.

[٣٥] CS 452:250

الآيـة مَـعـنـى روحِيًـا. وَعَـلـى الأَخَـصِّ مَن استَخلَص قَصْدَ كِتابَةِ الرَّسُول، وَلم يُسِئْ فَهمَها، قبلَ الرَّسول وَكذلِكَ المَسِيحَ المُتَكلِّم بِلِسانِهِ وَالسَّاكِنَ فيهِ وَالمُعطِيَ تَعلِيمَهُ لهُ. وَبِمَا أَنَّ فِكرَ اللهِ الأَبويَّ هُوَ في الابنِ أَيضًا، فَمَن قَبِلَ كَلِمَةَ «الحِكمَة»[٣٦] وَكلَّ مَا لِلمَسِيحِ قَبِلَ الله أَبَ كُلِّ شَيءٍ. يُشِيرُ الجُزءُ الأَوَّلُ إشَارَةً روحِيَّةً إلَى العَهدِ الجَديدِ، وَالجزءُ الأَخيرُ إلَى العَهدِ القَديم. وَإذَا آمَنَ المرءُ بِأَنَّ الأَنبِيَاءَ تَحرَّكوا بِالرُّوحِ الإلَهيِّ مُتَكلِّمِينَ بِالحِكمَةِ، لا بِالفَهمِ البَشَريِّ... مَلَكَ الرُّوحَ النَّبَوِيَّةَ وَنَالَ جَزَاءَ نَبيٍّ. وَمَن فَهِمَ البِرَّ وَالإثمَ (سَائِرًا سِيرةَ البِرِّ) قَبِلَ البَارَ، فَلا يَكُونُ ذاكَ المرءُ مُضِيافًا فَحَسب، بَل يَنالُ أَيضًا جَزَاءَ نَبيٍّ. المقطع ٢١٨.[٣٧]

يَقبَلَ البَارَّ. ثيودور أسقف هيراقلية. مَنْ قَبِلَ المُرسَلِينَ كَرَّمَ بِسُرورٍ مُرسِلَهُم وَالعَكسُ بِالعَكْسِ. وَهكذا: مَن قَبِلَ الرُّسُلَ المُبَشِّرِينَ بِالثَّالوثِ قَبِلَ: «مِلءَ اللاَّهوتِ» نَفسَهُ.[٣٨] وَنَعتَقِدُ أَنَّنا نَقبَلُهُم الآنَ قَبولاً رُوحيًّا، إذا قَبِلنَا نَصَائِحَهُم بِرُوحٍ مُنفَتِحٍ. المقطع ٧٢.[٣٩]

قَبُولُ النَّبيِّ المُسَافِر. كَاتِبٌ مَجهُولٌ: بِلَفظَةِ «نَبيٍّ» يَعنِي كُلَّ المُبَشِّرِينَ بِالمَسِيحِ، وَبِلَفظَةِ «صِدِّيق» يَعنِي كُلَّ مَسِيحيٍّ. لَيسَ المُعَلِّمُونَ وَحدَهُم هُم الَّذينَ يَنتَقِلُونَ مِنْ مَدينَةٍ إلَى أُخرَى بِسَبَبِ الاضطِهَادِ، بَلْ كُلُّ المَسِيحِيينَ الكَامِلِينَ المُؤمِنِينَ بِالمَسِيحِ. «لأَنَّه نَبيٌّ» أَي لِكَونِه «نَبيَّ المَسِيحِ». «وَلأَنَّه صِدِّيقٌ» أَيْ خَادِمٌ بَارٌّ لِلمَسِيحِ. ثَمَّةَ شَيئَانِ يَحدُثَانِ مُكَافَأَةً عَلَى هَذا العَمَلِ الصَّالِحِ. فَعَلَيكَ أَنْ تَقبَلَ المَسِيحيَّ لِكَونِهِ مَسِيحيًّا، سَواءٌ أَكَانَ كَاهِنًا أَمْ عَامِّيًّا. لَكِنَّكَ لَنْ تَحصلَ عَلَى مُكَافَأَةِ مَسِيحيٍّ إذا كُنتَ لا تَقبَلُه لِكَونِهِ مَسِيحيًّا، وَلَن تَنَالَ مُكَافَأَةً إذا قَبِلْتَ مَسِيحيًّا وَلم تَقْبَلْه لِكَونِهِ مَسِيحيًّا. فَمَا مَعنَى قَولِهِ «مَنْ قَبِلَ نَبيًّا لأَنَّهُ نَبيٌّ، فَجَزاءَ نَبيٍّ يَنَالُ. وَمَنْ قَبِلَ صِدِّيقًا لأَنَّهُ صِدِّيقٌ، فَجَزاءَ صِدِّيقٍ يَنَالُ»؟ أَي مَهمَا كَانَت مُكَافَأَةُ المُسَافِرِ، فَمَن قَبِلَ ذَلِكَ المُسَافِرَ لأَجلِ اللهِ سَينَالُ المُكَافَأَةَ ذاتَها. المُتَأَلِّمُ مِنْ أَجلِ اللهِ، وَمُعَزِّي الآخَرِينَ مِنْ أَجْلِ اللهِ، هُمَا في عَينِ الخَالِقِ وَاحِدٌ. عَمَلٌ غَيرُ كَامِلٍ حَولَ مَتَّى، الموعظة ٢٦.[٤٠]

---

[٣٦] ١ كورنثوس ٢: ٤؛ ١٢: ٨.
[٣٧] SCG 401:1.14
[٣٨] كولوسّي ٢: ٩.
[٣٩] KGKM 67
[٤٠] GP 077:65

١٠:٤٢ كَأسَ مَاءٍ بَارِدٍ

سَقيُ كَأسِ مَاءٍ بَارِدٍ. هيلاريون: مَا مِنْ عَمَلٍ لِضَميرٍ صَالِحٍ يَكُونُ بَاطِلاً. لَيسَت جَرِيمَةُ المُؤمِنِ أَنْ يَكُونَ إِيمَانُه أَسمَى مِنْ عَدَمِ إِيمَانِ الآخَرِين. فَقَد رَأَى مُسبَقًا أَنَّ هُنَاكَ العَدِيدَ مِمَّن يفتَخِرُونَ بِاسمِ الرُّسُلِ، لَكِنَّ أَعمَالَهُم تَدُلُّ عَلَى عَدَمِ استِحقَاقِهِم. إِنَّهم يَخدَعُونَ وَيكذِبونَ دَائمًا. عِندَمَا نُؤَدِّي لَهُم مَا يَستَحِقُّونَه بِسَبَبِ مَظهَرِهِم الدِّينِيِّ، نَنَالُ مُكَافَأَةً عَلَى عَمَلِنَا. قد يكونونَ أَدنَى النَّاسِ طُرًّا، أَو أَكثَرَهُم خَطِيئَةً -مَا مِنْ شَيءٍ أَصغَرَ مِنَ «الأَدنَى»- وَمَعَ ذَلِكَ عَلَينَا تُجَاهَهُم وَاجِبَاتٌ. هَذِه الوَاجِبَاتُ وَإِنْ كَانَت قَلِيلَةً فَإِنَّها مُفِيدَةٌ، مِنْ مِثلِ إِطفَاءِ عَطَشِهِم بِكَأسِ «مَاءٍ بَارِدٍ». الكَرَامَةُ لا تُعطَى بِسَبَبِ خَطَايَا الفَردِ، بَل بِسَبَبِ وَضعِهِ كَتِلمِيذٍ. إِنَّ الرَّبَّ يمنَحُ المُكَافَأَةَ لإِيمَانٍ يُعطِي، لا إِلَى خِدَاعٍ يَأخُذُ. في متَّى ٢٩.١٠.[٤١]

التَّغَلُّبُ عَلَى المُرَاوَغَة. جيروم: قَالَ يَسُوعُ: «مَنْ قَبِلَكُم قَبِلَنِي». لَكِنْ هُنَاكَ العَدِيدُ مِنَ الأَنبِيَاءِ الكَذَبَةِ وَالمُبَشِّرِينَ الكَذَبَةِ الَّذِينَ يُعِيقُونَ الإِيمَانَ. لِذَلِكَ شَفَى أَيضًا العَثرَةَ هَذه بِقَولِهِ «وَمَنْ قَبِلَ صِدِّيقًا لأَنَّهُ صِدِّيقٌ، فَجَزَاءَ صِدِّيقٍ يَنَالُ». قَد يَعتَرِضُ أَحَدُهُم بِقَولِهِ: «إِنَّ فَقرِي يَمنَعُنِي مِنْ ذَلِكَ. وَعَوَزِي يَحرِمُنِي أَنْ أَكُونَ مُضِيفًا». لَقَد أَزَالَ يَسُوعُ هَذَا العُذرَ... عِندَمَا أَمَرَنَا بِأَنْ نُقَدِّمَ كَأسَ مَاءٍ بَارِدٍ مِنْ أَعمَاقِ قَلبِنَا. قَالَ «(كَأس) مَاءٍ بَارِدٍ» بَدلاً مِنْ «مَاءٍ حَارٍّ» كَي لا يَحتَجَّ أَحَدُنَا بِأَنَّهُ يَصعُبُ عَلَينَا الحُصُولُ عَلَى المَاءِ البَارِدِ بِسَبَبِ فَقرِنَا أَو بِسَبَبِ نَقصِ الوقودِ لِلمَاءِ الحَارِّ. لَقَد أَعطَى الرَّسُولُ، كَمَا أَشَرتُ مِنْ قَبلُ، إِرشَادًا مُمَاثِلاً لأَهلِ غَلاطِيَة قَائلاً: «مَنْ يَتَعَلَّمْ كَلامَ الله فَلْيُشَارِكْ مُعَلِّمَهُ في جَمِيعِ خَيرَاتِهِ».[٤٢] يَحُثُّ تَلامِيذَه عَلَى إِعطَاءِ الخَيرَاتِ لِمُعَلِّمِيهِم، لأَنَّه قَبلَ أَنْ يُعَيِّنَ هَذَا، كَانَ مِنَ المُمكِنِ لأَيِّ شَخصٍ أَنْ يَتَعَلَّلَ بِالفَقرِ وَيَتَجَنَّبَ العَمَلَ بِهَذِه الوَصِيَّةِ. أَزَالَ هَذَا الشَّكَّ لَمَّا قَالَ: «الله لا يُستَهْزَأُ بِهِ، وَمَا يَزرَعُهُ الإِنسَانُ يَحصُدُه».[٤٣] يَقصِدُ بُولسُ: «إِذَا كُنتَ تَتَعَلَّلُ بِالفَقرِ، وَضَمِيرُكَ يُؤَنِّبُكَ بِأَنَّ الحَالَةَ هِيَ غَيرُ ذَلِكَ، فَعُذرُكَ غَيرُ مَقبُولٍ. إِنَّكَ تَستَطِيعُ أَنْ تُخَالِفَ نَصَائِحَه، لَكِنَّه حَذَّرَكَ مِنْ أَنَّكَ سَتَحْصُدُ مَا قَد زَرَعت». تَفسِيرُ متَّى ١.١٠.٤٠-٤٢.[٤٤]

---

(٤١) CS 25-052:452

(٤٢) غلاطية ٦: ٦.

(٤٣) غلاطية ٦: ٧.

(٤٤) LCC 67-57:77

١١:١-١٩ وفاةُ يوحنّا المعمدان؛ حديثُ يَسوعَ عن يوحنّا

[١] ولمّا أتمّ يَسوعُ وصاياه لتلاميذِهِ الاثني عشرَ، خرجَ مِنْ هُناكَ ليُعلِّمَ ويُبَشِّرَ في مُدُنِهم. [٢] وسمعَ يوحنّا وهوَ في السِّجنِ بأعمالِ المَسيحِ، فأرسَلَ إليهِ اثنين من تلاميذِهِ [٣] ليقولا لهُ: «هل أنتَ هوَ الآتي، أو ننتظرُ آخرَ»؟ [٤] فأجابَهُما يَسوعُ: «إرْجعا وأخْبرا يوحنّا بما تَسمَعان وتَنظُران: [٥] العميانُ يُبصرونَ، والعُرجُ يمشونَ، والبُرصُ يُطهَّرونَ، والصمُّ يَسمَعونَ، والمَوتى يقومونَ، والمَساكينُ يُبشَّرون. [٦] وطوبى لمن لا يَجحدُ بي».

[٧] فلمّا انصرَفَ هذان، جعلَ يَسوعُ يقولُ للجُموعِ عَنْ يوحنّا: «ماذا خرَجتُم إلى البرِّيَّةِ تَنظُرونَ؟ أقَصبَةً تَهزُّها الرِّيح؟ [٨] بلْ ماذا خرَجتُم ترَوْن؟ أرَجُلاً يلبَسُ الثِّيابَ النّاعِمةَ؟ هوذا الّذينَ يَلبَسونَ الثِّيابَ النّاعِمةَ هُمْ في قُصورِ المُلوكِ! [٩] أم ماذا خرَجتُم تنظُرونَ؟ أنبيًّا؟ أقولُ لكُم: نعَم، بلْ أفضَلَ مِنْ نَبيٍّ. [١٠] فهو الّذي كُتِبَ عنه: أنا أرسِلُ ملاكي قُدّامَكَ، ليُهيِّئَ سبيلَكَ قدّامَك. [١١] الحقَّ أقولُ لكُم: لم يقُمْ في أولادِ النِّساءِ أعظمُ مِنْ يوحنّا المَعمدانِ، ولكِنَّ الأصغرَ في مَلكوتِ السَّماواتِ أعظمُ مِنهُ. [١٢] فَمِنْ أيّامِ يوحنّا المَعمدانِ إلى اليومِ، مَلكوتُ السَّماواتِ يُؤخذُ مُجاهَدةً، والمُجاهِدونَ يأخذونه عُنوةً. [١٣] فَجَميعُ الأنبِياءِ قد تنبَّأوا، وكذلك الشَّريعةُ، حتّى يوحنّا. [١٤] فإذا شِئتُم أنْ تُصَدِّقوا، فيوحنّا هوَ إيليّا المُنتظَرُ رُجوعُه. [١٥] مَنْ كانَ لَه أُذُنانِ سامعتان، فَلْيَسمَعْ!

[١٦] بمَنْ أُشبِّهُ أبناءَ هذا الجِيلِ؟ هُمْ مِثلُ أولادٍ جالِسينَ في السّاحاتِ يتَصايَحُونَ: [١٧] زمَّرْنا لكُم فلم ترقُصُوا، ونحنا لكُم فلم تَندبوا. [١٨] جاءَ يوحنّا لا يأكُلُ ولا يشربُ فقالوا: فيهِ شيطانٌ. [١٩] وجاءَ ابنُ الإنسانِ يأكُلُ ويَشربُ فقالوا: هذا رجُلٌ أكولٌ وسِكّيرٌ وصَديقٌ لِجُباةِ الضَّرائبِ والخاطِئينَ. لكِنَّ الحِكمةَ زكّاها بنوها».

نَظرَةٌ عامَّةٌ: إنقطَعَ يَسوعُ عَن الرُّسُلِ بَعْدَ أن فوَّضَهُم، إنقطَعَ يَسوعُ عَنهُم، ليُفسِحَ أمامَهُم في المَجالِ ليَفعَلُوا مَا أمَرهُم بِه (الذّهَبيُّ الفم). لمّا كانَ يوحنّا عَلى وَشْكِ أنْ

يُقتَلَ علَى يَدِ هيرودس أَرسَلَ تلاميذَهُ إلَى المَسيحِ، مُلِحًّا عَلَيهِم أَنْ يُؤمِنُوا بِهِ عِندَمَا يُقَابِلُونَهُ (جيروم، هيلاريون). لِمَاذَا أَرسَلَ يوحنّا تلاميذَهُ ليَسأَلُوا المسيحَ عَمَّا كَانَ هُوَ قَادِرًا علَى الإجَابَةِ عَنه (غريغوريوس العظيم)؟ مِنَ الصَّعبِ تَصوُّرُ أَنَّ يوحنّا جَهِلَ أَمرَ المَسيحِ (ثيودور المبسوستيّ). هَلْ كَانَ يوحنّا هُوَ الَّذي سَأَلَ بشَكلٍ دَقيقٍ عَمَّا إذَا كَانَ مُقَرَّرًا أَنْ يَسبِقَ يَسوعَ في الخِدمَةِ في العَالَمِ السُّفلِيّ (غريغوريوس العظيم)؟ مَنْ أَرادَ مَعرِفَةَ المَسيحِ عَلَيهِ أَنْ يَعرِفَه شَخصِيًّا (ثيودور المبسوستيّ).

لَقَد قَدَّم الآباءُ تَفَاسِيرَ رُوحِيَّةً مُتَعَدِّدَةً لهَذَا المَقطَعِ. كَمَا أَعلَنَتِ الشَّرِيعَةُ عَنِ المَسيحِ، مُنبِئَةً بِغُفرَانِ الخَطَايَا وَبِوعدِ مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ، هَكَذَا أَتَمَّ يوحنّا كُلَّ هَذَا العَمَلِ إتمَامًا كَامِلاً. عِندَمَا كَانَ يوحنّا، رمزُ الشَّرِيعَةِ، مُضطَهَدًا في السِّجنِ، أَوْفَدَ رُسُلاً لِيَستَقُوا الأَخبَارَ السَّارَةَ من مَصَادِرِهَا (هيلاريون). لَمْ يُجِبْ يَسُوعُ عَنْ شَيءٍ إجَابَةً مُبَاشرةً في ما يَتَعَلَّقُ بهويَّتِهِ، بَلْ جَعَلَهُم يَكتَشِفُونَهُ عَنْ طَريقِ المُعجِزَاتِ (الذَّهَبيُّ الفَم). أَجَابَ يَسوعُ تَلاميذَ يوحنّا: «طُوبَى لِمَنْ لا يفقدُ إيمَانَهُ بي» (كَاتِبٌ مَجهُولٌ). لَقَد دَافَعَ يَسوعُ عَنْ يوحنّا، مُشيرًا إلَى أَنَّه لَمْ يَرتَدَّ عَنْ إيمَانِهِ، وَلَمْ يَطرَأْ تَغييرٌ عَلَى فِكرِهِ (الذَّهَبيُّ الفَم). تَذَكَّروا أَنَّكُم لَمْ تخرجوا إلَى البَرِّيَّةِ لتَنظُروا قَصَبَةً تَهُزُّهَا الرِّيحُ. كَأَنَّ يوحنّا ضَعِيفُ الإرَادَةِ لا يَستَطِيعُ أَنْ يَتَّخِذَ قَرَارًا بِمَا تَوَقَّعَهُ مِنْ قَبلُ (جيروم). يوحنّا لَمْ يَكُنْ قَصَبَةً تَمِيلُ مَعَ كُلِّ نَسمَةٍ خَفِيفَةٍ، فَيُوافِقَ عَلَى مَا يَسمَعُ وَيُصَدِّقَ الإشَاعَاتِ (غريغوريوس العظيم، كَاتِبٌ مَجهُولٌ). لَقَد شَهِدَ يوحنّا للمَسيحِ، وَلِقَاءَ شَهَادَتِهِ تَلَقَّى مِنَ المَسيحِ أَكثَرَ مِمَّا أَعطَى. مَجَّدَ يوحنّا المَسيحَ وَأَضفَى عَلَيهِ الثَّنَاءَ البَشَرِيَّ؛ لَكِنَّ المَسيحَ أَضفَى عَلَى يوحنّا المَجدَ الإلَهيَّ (كَاتِبٌ مَجهُولٌ). يُوصَفُ يوحنّا بِأَنَّه رَسُولٌ أَو مَلاكٌ (جيروم). مَنْ وَصَلَ وَهُوَ في طَبِيعَتِهِ البَشَرِيَّةِ إلَى القَدَاسَةِ المَلائِكِيَّةِ، وَتَوَصَّلَ بِنِعمَةِ اللهِ إلَى مَا يَسمُو عَلَى طَبِيعَتِهِ، كَانَ مَلائكيًّا. لَقَد كَانَ يوحنّا إنسَانًا وَلَكِنَّهُ دُعِيَ مَلاكًا، وَالمَلاكُ فِيهِ أَعظَمُ مِنْ أَنْ يَكُونَ خُلِقَ مَلاكًا (كَاتِبٌ مَجهُولٌ). لَمَّا قَالَ يسوعُ في يوحنّا إنه أعظَمُ مِنْ نَبِيٍّ، أَشَارَ إلَى أَنَّ عَظَمَةَ يوحنّا نَابِعَةٌ مِن كَونِهِ قَريبًا مِنَ الآتي (الذَّهَبيُّ الفَم). شَهِدَ يوحنّا لِمَنْ وُلِدَ لامرأَةٍ، لَكِنَّه كَانَ مَوجُودًا قَبلَ المَرأَةِ (كَاتِبٌ مَجهُولٌ). قِدِّيسٌ في حَضرَةِ اللهِ في السَّمَاوَاتِ هُوَ أَعظَمُ مِمَّن

هُـوَ في المَعـرَكَـةِ (جيروم). إنّ يـوحـنّـا إذا قُورِنَ بكُلِّ مَولُودِ امرَأَةٍ، يكُونُ هو الأعظَمَ، لَكنّه إذا قُورِنَ بالَّذينَ يُشارِكُونَ في الرُّوحِ في مَلَكُوتِ السَّماوَاتِ، يكُونُ الأَدنَى (ثيودور المبسوستيّ).

المَجدُ الَّذي تَعهَّدَ بِهِ البَطَارِكَةُ إلَى إسرائيلَ، وَأَعلَـنَـهُ الأنـبِـيَـاءُ، وَقَدَّمَـهُ المَسِيحُ، انتَقَل بِـكَـامِلِـهِ إلَـى الأُمم (هـيـلاريـون). يُـواصِلُ بَـعضُـهُـم شَقَّ طَريقِهِم إلَى السَّمـاوَاتِ عبر استِحقَاقِ أَعمَالِهِم (جيروم). لَقَد عَنَى بقَولِهِ إنَّ الشَّعبَ المُجَاهِدَ سَيَسعَى إلَى الحُصُولِ عَلَى المَلَكُوتِ عُنوَةً، فَإنَّه عَنَى أَنَّ التَّقَيُّدَ الشَّرعيَّ بـالقَـانُونِ الـيَـهُـوديّ يُعِيقُ طَريقَ الآخَـريـنَ إلَى الإيمَانِ بـالمَسِيحِ (كيرلّس الإسكندريّ). عِبَارَةُ «أيّام يوحنّا» لا تُفْهَم بشَكلٍ تَسَلسُليٍّ زَمَنيٍّ، بَلْ بحَالَةِ النَّفسِ وهي تَتَأَهَّبُ لسَمَاعِ الكِتَابِ المُقَدَّسِ (أوريجنس). يُسَمَّى يوحنّا المعمَدَانِ إيليَّا لأنَّه جَاءَ بِرُوحِ إيليَّـا وَصَلاحِهِ، وَنَـالَ مِثلَـهُ النِّعمَةَ وَقُدرَةَ الـرُّوحِ الـقُـدُسِ (جيروم، أبـولـيـنـاريـوس، ثـيودور المبسوسـتيّ). كَمَا يَـرقُصُ بَـعضُ الأَطفَـالِ وَكَمَـا يُنشِدُ غَيرُهُـم لَـحنًـا حَزِينًا، هَكَذَا لم يَعرفِ اليَهُودُ أَيَّ مَوقِفٍ يَتَّخِذُونَ. فَلَم يَقْبَلُوا صَرَامَةَ يوحنّا وَلا حُرِّيَّةَ المَسِيحِ (كيرلّس الإسكندريّ، جيروم).

١:١١ تَعلِيمُ التَّلامِيذِ

خَرَجَ مِنْ هُنَاكَ. الذَّهَبيُّ الفَم: انقَطَعَ يَسوعُ عَن رُسُلِهِ بَعدَ أَنْ أَرْسَلَهُم، ليُفسِحَ أَمَامَهُم في المَجَالِ ويَفعَلُوا مَا أَمَرَهُم بِهِ. عِندَمَا كَانَ السَّيِّدُ حَاضِرًا مَعَهُم وَشَافِيًا المَرضَى، مَا مِن أَحَدٍ من النَّاسِ دَنَا مِنهُم. إنجيلُ متَّى، الموعظة ١.٣٦.[1]

٢:١١ أَرسَلَ يوحنّا إلَى يَسوعَ اثنَين مِنْ تَلاميذِهِ

يُمَثِّلُ يوحنّا الشَّرِيعَةَ المُتَمِّمَةَ، وَهُوَ الآنَ سَجِينٌ. هـيـلاريـون: هُنَاكَ مَعْنًى رُوحِيٌّ كَامِلٌ في هَذِهِ الأَعمَالِ الَّتي تَمَّتْ عَلَى يَدَي يوحنّا. هُنَا نَرَى قُدرَةَ يوحنّا الفَعَّالَةَ مُجَسَّدَةً في أَعمَالِهِ، وَنَرَى أَيضًا النِّعمَةَ ظَاهِرَةً فِيهِ، كَمَا أُعلِنَ في النُّبوَّةِ: ارتَفَعَتِ الشَّرِيعَةُ عَالِيًا وَأَخَذَت شَكلَهَا في يوحنّا. الشَّرِيعَةُ أَعلَنَتِ المَسِيحَ، وَأَنبَأَتْ بِـغُـفـرَانِ الخَطَـايَـا، وَوَعَـدَتْ بمَلَـكُـوتِ السَّمَاوَاتِ. أَتَمَّ يوحنّا إتمَامًا كَامِلاً كُلَّ مَا يَمتُّ بِصِلَةٍ إلَى الشَّرِيعَةِ. لَقَد كَانَتِ الشَّرِيعَةُ غَيرَ فَاعِلَةٍ. وَكَانت خَامِدَةً مِنْ جَرَّاءِ خَطَايَا الشَّعبِ، وَمُقَـيَّدَةً بسَلاسِلِ عَادَاتِ الشَّعبِ

---

[1] GP 75:314; NPNF 1 10:238

الآثمـةِ، لِكَي لا يُدرِكَ المسيحُ؛ لَقد كانت (مُمثَّلةً بيوحنّا) مُقيَّدةً بالسَّلاسِلِ وَالسِّجن. لَكِنَّ الشَّريعَةَ (أي يوحنّا) أرسَلتِ البَعضَ ليَستَقصُوا الأخبارَ السَّارَّةَ. بهَذِهِ الطَّريقَةِ يَجبهُ الحقُّ المُنْبَأُ بهِ عَدمَ الإيمان. بهَذا يَعني الجُزءَ مِنَ الشَّريعَةِ الَّذي قيَّده إثمُ الأثمةِ وحَرَّرهُ فَهمُ الأخبارِ السَّارَّةِ المُعبَّرِ عَنها بحُرِّيَّةٍ. في متّى ١١.٢.[٢]

أرسَلَ يوحنّا كَلِمَةً عَلَى يَدِ تَلاميذِهِ.

ثيودور المبسوستيّ: يقُولُ بَعضُهُم: «عِندَما أرسَلَ يوحنّا تَلاميذَه، لَمْ يكُنْ جَاهِلاً وَلَمْ يَبتَغِ تَثقيفَهُم، وهذا ما يَشهَدُ الكِتابُ المُقدَّسُ على صِحَّتِه». كَانَ مَرماهُ أَنْ يُظهِرَ المَسيحَ للحَاضِرينَ. وَمِن حُسْنِ الخُلُقِ عِندَ يُوحنّا أنَّه، لمَّا كَانَ عَلَى وَشْكِ الموتِ والانضِمامِ إِلَى الرَّاحِلينَ، أَرسَلَ وَفدًا ليَستَفسِروا هَل يَسُوع هُوَ الآتي وَمُحَرِّرُ الَّذينَ أمسَكَ بهِم الموتُ، حَتَّى يَتَلقَّوا هُم البِشَارَةَ أيضًا. قَالَ يوحنّا مُشيرًا إِلَى المَسيحِ: «هَا هُوَ حَمَلُ اللهِ الَّذي يَحمِلُ خَطِيئَةَ العَالَمِ».[٣] عَرفَ جَيِّدًا أَنَّ المَسيحَ سَيُقَرِّبُ ذَبيحَةَ آلامِهِ إِلَى اللهِ مِنْ أَجلِ الجَميعِ. لَو خَامَرَ الشَّكُّ يوحنّا بأَنَّ يَسُوعَ لَيسَ المَسيحَ، لجَهِلَ مَا للمَسيحِ. كَانَ يَعرِفُ بِالضَّبطِ الفَائِدَةَ الَّتي يَكتَسِبُهَا البَشَرُ مِنْ إيمَانِهِم بأَنَّ يَسوعَ هُوَ المَسيحُ. لا مَجَالَ للشَّكِّ في أَنَّ يوحنّا كَانَ عَلَى مَعرِفَةٍ كَبيرَةٍ جِدًّا بالمَسيحِ، بحَيثُ إنَّه تَحَدَّثَ كَثيرًا عَنهُ، مُؤَدِّيًا لَهُ الشَّهادَةَ وَالأقوالَ الكَثِيرَةَ؟ يَصعُبُ تَصَوُّرُ أَنَّ يوحنّا جَهِلَ مَا يَتَعَلَّقُ بِالمَسِيحِ، وَارتَابَ في أَمرِهِ، ولِذلِكَ يَرغَبُ الآنَ في التَّعَرُّفِ إِلَيهِ...

وَعَلاوَةً عَلَى ذَلِكَ، إِنَّ الحَيَاةَ الحَاضِرَةَ هِيَ سَانِحَةٌ لِلسُّلُوكِ الحَسَنِ. فَبَعدَ الموتِ هُنَاكَ دَينُونَةٌ وَعِقَابٌ. موتُ المَسيحِ لَمْ يَحُلَّ خَطَايَا كُلِّ المَوتَى. قِيلَ إِنَّ الأبوابَ البرونزِيَّةَ وَالقُضبَانَ الحَديدِيَّةَ قَد تَحَطَّمَت، لأَنَّ جَسَدَ المَسيحِ ظَهَرَ أَوَّلاً غَيرَ مائِتٍ وهَازِمًا الموتَ هُزِم. مَاذا يَعني ذَلِكَ؟ هَلْ كَانَ جَميعُ النَّاسِ قَبلَ مَجيءِ المَسِيحِ أثمَةً؟ كَلاَّ. قَبلَ المَسيحِ كَانَ الابتِعَادُ عَنْ عِبادَةِ الأَصنَامِ، وعِبادَةُ اللهِ الأَحَدِ الحَقِّ، كَافِيَين لِلخَلاصِ. لَكِنِ الآنَ لَمْ يَعُدْ ذَلِكَ كَافِيًا. فَيَجِبُ عَلَينَا أَنْ نَعرِفَ المَسيحَ مَعرِفَةً شَخصِيَّةً. وَيَجِبُ أَلاَّ نَقُولَ «وَفِي الجَحِيمِ مَنْ يَعتَرِفُ بِكَ»، فَلَو تَابَ جَميعُهُم، فَلَنْ يَتَعَزَّوا. المقطع ٥٧.[٤]

[٢] CS 45-252:452

[٣] يوحنّا ١:٢٩.

٣:١١ هلْ أنتَ هوَ الآتي؟

هَلْ نَنتَظِرُ آخَرَ؟ جيروم: يَطْرَحُ يوحنّا هَذَا السُّؤالَ لا لِجَهلِهِ بالمَسيحِ، بَلْ لإرشادِ الَّذينَ يَجهَلُونَهُ وَلِلقَولِ لَهُم، «هَا هُوَ حَمَلُ اللهِ الَّذي يَرفَعُ خَطيئَةَ العَالَم»![٥] يوحنّا سَمِعَ صَوتَ الآبِ قَائلاً، «هَذَا هُوَ ابني الحَبيبُ، الَّذي بِهِ سُرِرْتُ».[٦] إنَّ السُّؤالَ الَّذي طَرَحَهُ يوحنّا يُشبِهُ السُّؤالَ الَّذي طَرَحَهُ المُخَلِّصُ لَمَّا دُفِنَ أَليعازر. أَرادُوا أَنْ يَدلُّوه عَلَى القَبرِ فَقَط، لَكِنَّه أَرادَهُم أَنْ يُؤمِنُوا وَهُم يَرون المَوتَى يَعُودُونَ إِلَى الحَيَاةِ. هَكَذَا، عِندَمَا كَانَ يوحنّا عَلَى وَشْكِ أَنْ يَقتُلَه هيرودوس، أَرسَلَ تَلاميذَهُ إِلى المَسيحِ، لِيَتَعرَّفوا إِلَى آياتِهِ وَقُدرَتِهِ فَيُؤمِنُوا بِه عِندَمَا يَرونَهُ، وَيُخبِروا مُعَلِّمَهُم بهَذَا عِندَمَا يَسأَلُهُم. تفسيرُ متّى ٢. ٣.١١.[٧]

سَابِقٌ لَه في الجَحِيمِ. غريغوريوس العظيم: في الظَّاهِرِ يَبدُو يوحنّا وَكَأَنَّه جَهِلَ المُشَارَ إِليهِ، وَكَأَنَّه لَم يَعرِفْ مَنْ تَنَبَّأَ به وَعَمَّدَه وَأعلَن عَنهُ!

بِاستِطَاعَتِنَا أَنْ نُحَلِّلَ هَذَا السُّؤالَ بِسُرعَةٍ أَكثَرَ إذا تَأَمَّلْنَا في تَوقيتِ الأَحداثِ وَتَرتيبِها. لَمَّا كَانَ يوحنّا وَاقِفًا عَلَى ضَفَّةِ نَهرِ الأُردنِّ، أَعلَنَ أَنَّ هَذَا هُوَ مُخَلِّصُ العَالَمِ. لَكِنْ، لَمَّا أُلقِيَ في السِّجنِ سَأَلَ مَا إِذَا كَانُوا سَيَنتَظِرُونَ مُخَلِّصًا آخَرَ أَو أَنَّه قَد أَتَى. قَالَ هَذَا القَولَ لا لأَنَّه شَكَّ في مَنْ أَعلَنَهُ مُخَلِّصَ العَالَمِ، بَلْ لأَنَّه أَرَادَ أَنْ يَعرِفَ مِنهُ هَل سَيَنزِلُ بِشَخصِهِ إِلَى الجَحِيمِ. يوحنّا سَبَقَ المَسيحَ إِلَى العَالَمِ وَأَعلَنَهُ هُنَاكَ. وَسَيَسبِقُهُ بَعدَ مَوتِهِ إِلَى العَالَمِ الأَسفَلِ. هَذَا مَا تَضَمَّنَهُ سِيَاقُ سُؤالِهِ: «هَلْ أَنتَ هوَ الآتي، أو نَنتَظِرُ آخَر»؟ فَلَو تَكَلَّمَ كَلامًا أَكثَرَ شُمُوليَّةً لَقَالَ: «بِمَا أَنَّه يَلِيقُ بِكَ أَنْ تُولَدَ في سَبيلِ البَشَرِ، أَفَلا يَلِيقُ بِكَ أَنْ تَمُوتَ لأَجلِهِم. لَقَدْ كُنتُ سَابِقًا لِوِلادَتِكَ، وَسَأَكُونُ سَابِقًا لمَوتِكَ. سَأُعلِنُ قُدومَكَ إِلَى العَالَمِ السُّفليِّ كَمَا أَعلَنْتُ مَجيئَكَ عَلَى الأَرضِ». أربَعون عِظَة إِنجيليَّة ٦.١.[٨]

٤:١١-٥ أَجَابَ يَسُوعُ يوحنّا

مَا تَرَاهُ وَتَسمَعُهُ. كَاتِبٌ مَجهُولٌ: وَمِنْ ثَمَّ اعتَبَرَ مَا إِذَا كَانَت كَلِمَاتُهُم مُنسَجِمَةً مَع أَحَاسِيسِهِم. يَبدُو، أَوَّلاً، أَنَّ يوحنّا يَسأَلُ المَسيحَ عبر تَلاميذِهِ: «هَلْ أَنتَ هوَ الآتي، أو

---

(٤) 511 KGKM

(٥) يوحنّا ١: ٢٩.

(٦) متّى ٣: ١٧.

(٧) 77:77 LCC

(٨))5 ylimoH(92-82:321 SC ;69-5901:67 LP

ننتظرُ آخر»؟[٩] في الحقيقةِ كانَ يوحنّا يحثُّ تلاميذَه: «اذهبُوا، انظُروا، وآمِنُوا؛ فهُو ذاكَ الّذي كانَ سيأتِي». وهكذا يظهرُ أوّلاً أنَّ المسيحَ أجابَ يوحنّا قائلاً: «ارْجِعوا وأَخْبِروا يوحنّا بما تسمَعون وترَوْنَ: العُميانُ يُبصِرونَ، والصُّمُّ يسمَعونَ، وطُوبَى لِمَن لا يفقدُ إيمانَهُ بي».[١٠] في الحقيقةِ كانَ يسُوع يقُولُ لتَلاميذِ يوحنّا: «أنظُروا هُنا، وافهَمُوا أنَّ العُميانَ يُبصِرونَ، والصُّمَّ يَسمَعونَ. فإنّكُم ستُطوَّبون إذا كُنتُم لا تجحَدون بي».

ما معنَى «ما تسمَعون وترَوْن»؟ يقُولُ لوقا إنَّ الرَّبَّ عرَفَ أنَّ هؤُلاءَ التّلاميذ آتون مِنْ قِبَلِ يوحنّا. وفِي ذلِكَ الوَقتِ، كانَ يُجهِّزُ ضِيافَةً تَليقُ بكَثْرةِ الضُّيوفِ الصَّالِحِينَ. بهَذِهِ الطَّريقَةِ كَانَ المَسيحُ صامِتًا، تاركًا لأعمَالِه أنْ تدلَّ عليهِ،[١١] لأنَّ الّذينَ شَفاهُم كانُوا يشكُرُونَهُ. قالَ بعضُهُم: «لَمْ يظهَرْ قطُّ مِثلُ هذَا في إسرائيل».[١٢] قالَ آخَرونَ: «افتَقَدَ اللّه شعبَهُ».[١٣] قالَ آخَرونَ: «ومَجَّدُوا اللّهَ الّذي أَعطَى البشَرَ مِثلَ هذَا السُّلطَان».[١٤] استمتَعَتْ أَعينُ تَلاميذِ يوحنّا وآذانُهُم برؤيَةِ عجائِبِ الشِّفاءِ وسَماعِ أصواتِ الّذينَ شكَرُوهُ؛ أو علَى الأَقلّ برُؤْيَةِ العَجائبِ الّتي صنَعَها وسَماعِ تَعليمِهِ، ورُؤيَةِ تَعافي المَرضَى وسَماعِ شَهادَةِ الّذين طُرِدَت مِنهُم الشَّياطِينُ. عمَلٌ غيرُ كامِلٍ حَولَ متَّى، الموعظة ٢٧.[١٥]

١١: ٦ مَنْ لا يفقِدُ إيمانَهُ بي

المَساكِينُ يُبَشَّرون. هيلاريون: أَعلَنَ الرَّبُّ نَفسَهُ في أَعمالِهِ العَجائِبِيَّةِ، فالعُميانُ يُبصِرونَ، والعُرجُ يَمشُونَ، والبُرصُ يُطَهَّرونَ، والصُّمُّ يَسمَعُونَ، والموتَى يَقُومُونَ، والمَساكينُ يُبشَّرون، «طُوبَى لِمَن لا يفقدُ إيمَانَهُ بي». الآنَ، هَلْ حدَثَ أنْ جرَى علَى يدِ المَسيحِ ما أَفقدَ يوحنّا إيمَانَهُ بِهِ ؟ حاشا. يوحنّا نَفسُهُ تابَعَ تعليمَه وعمَلَه كعادتِهِ. لكِنْ علَى المرءِ أنْ يَنظُرَ إلَى مَعنًى أَسمَى وأَقوى وأَكثَرَ مُلاءمَةً. ماذا يعني أنَّ المَساكِينَ يُبَشَّرُونَ؟ المَساكِينُ هُم الّذينَ أَنكَرُوا ذَواتَهم، وحَمَلُوا صَليبَهُ وتَبِعُوه، وكانوا مُتَواضِعينَ بالرُّوحِ. لِمِثلِ هؤُلاءِ أُعِدَّ مَلَكُوتُ السَّماواتِ. ولأنَّ كُلَّ هَذِهِ الالآمِ

---

[٩] متَّى ١١: ٣.
[١٠] متَّى ١١: ٤- ٦.
[١١] لوقا ٧: ٢٠- ٢١.
[١٢] متَّى ٩: ٣٣؛ مرقس ٢: ١٢.
[١٣] لوقا ٧: ١٦.
[١٤] متَّى ٩: ٨.
[١٥] GP 65:277-37

تَجتَمِعُ مَعًا في الرَّبِّ، وَلأَنَّ صَلِيبَهُ سَيَكُونُ عَثرةً لِكَثِيرِينَ، فَقَد أَعلَنَ أَنَّ النَّاسَ سَيُطوَّبونَ إذَا لَمْ يَتَزَعزَعْ إيمَانُهُم بصَلبه وَموتِه ودَفنِه. في متَّى ١١. ٣.[١٦]

طُوبَى لِمَنْ لا يَجحدُ بِيَ. الذَّهَبيُّ الفَم: أَمَّا السَّيِّدُ العَارِفُ- لِكَونِهِ إلهًا- مُبتَغَى يوحنّا مِن إرسَالِهِمَا، فَقَد شَفَى لِلحَالِ العُميَ وَالعُرجَ وَآخَرِينَ كَثِيرِينَ. لم تَكُن غَايَتُه أَنْ يُعَلِّمَ يوحنّا المؤمنَ به، بَلْ أَنْ يُعَلِّمَ الَّذينَ يَشُكُّونَ فيه. وبَعدَ أَنْ شَفَاهُمَا قَالَ لَهُمَا: «إرْجِعا وَأَخْبِرا يوحنّا بِمَا تَسمَعانِ وَتَرَيان: العُمْي يُبصِرونَ، وَالعُرجُ يَمشُونَ، وَالبُرصُ يُطَهَّرونَ، وَالصُّمُّ يَسمَعونَ، والموتى يَقومونَ، والمَساكينُ يُبشَّرونَ». وَأَضَافَ: «وَطُوبَى لِمَنْ لا يفقدُ إيمانَهُ بِي». كَانَ السَّيِّد يَعرِفُ سَرَائِرَهُم وَمَا يَجُولُ في خَواطِرهِم. فَلَو قَالَ: «أَنَا هُو» لأَزعَجَهُم هَذَا القَولُ، كَمَا ذَكرتُ منْ قَبل، وَلَقَالُوا مَا قَالَه اليَهُودُ: «أَنتَ تَشهَدُ لنفسِكَ».[١٧] لذَلِكَ لا يَقُولُ السَّيِّدُ هَذَا القولَ بنَفسِهِ، بَلْ يَترُكُ لَهُم أَنْ يَتَعَلَّمُوا كُلَّ شَيءٍ مِنَ العَجَائِبِ، لِيُزِيلَ الشُّكوكَ مِن أَذهَانِهِم، وَيُوضِحَ تَعلِيمَه كُلَّ الإِيْضَاح. لِهَذَا أَضَافَ خُفيَةً تَوبِيخَهُ لَهُم. فَلأَنَّ الشُّكُوكَ تَنَازَعَتهُم فِيهِ، فَإِنَّه بِتَبيَانِ حَالَتِهِم وبِتَركِهَا لِضَمِيرِهِم وَحدَه، وَبِعَدَمِ استِدعَائِهِ شَاهِدًا عَلَى هَذِه الوَقِيعَةِ، مُستَدعِيًا الَّذينَ عَرَفُوهُ تَمَامًا، فَإِنَّه قَد اجتَذَبهُمَا أَيضًا إِلَى نَفسِهِ أَكثَر بِقَولِهِ: «وَطُوبَى لِمَن لا يفقدُ إيمانَهُ بِي». وبِقَولِهِ هَذَا عَنَاهُم. إنجيلُ متَّى، الموعظة ٣٦. ٢.[١٨]

٧:١١ يَسوعُ يَتَحَدَّثُ عَن يوحنّا

وَلَمَّا انصَرَفُوا. الذَّهَبيُّ الفَم: لِمَاذَا تَحَدَّثَ «عِندَمَا ذَهَبَ هَذان»؟ لئَلاَّ يَبدُوَ مُتَمَلِّقًا الرَّجُلَ. فَالسَّيِّد في تَأدِيبِه الشَّعْبَ لا يُعلِنُ عَن شُكوكِهِم، بَلْ يُحَرِّرُهُم مِنَ الأَفكَارِ الَّتي كَانَت تُزعِجُهُم في قُلوبِهِم، دَالاً عَلَى أَنَّه وَاقِفٌ عَلى سَرَائِرِ جَمِيعِ النَّاسِ. لا يَقُولُ: «لِمَاذا تُفَكِّرُون في الشَّرِّ»؟ كَمَا فَعَلَ مَع اليَهُودِ. فَلَو فَكَّرُوا في هَذَا، في قُلُوبِهِم، لمَا فَكَّرُوا هَكَذا عَنْ شَرٍّ بَلْ عَنْ جَهلٍ بما قِيلَ. لِذَلِكَ لا يُخَاطِبُهم بالتَّوبِيخِ، بَل يُقَوِّمُ تَفكِيرَهُم فَقَط، وَيُدَافِعُ عَن يوحنّا، مُشِيرًا إِلَى أَنَّه لا يَرتَدُّ عَنْ رَأيِهِ السَّابِقِ وَلا يَتَغَيَّرُ؛ فَلَيس هُو عَاجِزَ الرَّأي وَعَاثِرَه، بَلْ سَدِيدُهُ وَنَجِيحُهُ، فَلا يَخُونُ مَا ائتُمِنَ عَلَيهِ. إنجيلُ

---

[١٦] CS 452:452

[١٧] يوحنّا ٨: ١٣.

[١٨] GP 514:75; NPNF 1 10:239-40

متَّى، الموعظة ٣٧.١.[١٩]

ضَعفُ القَصَبَةِ. غريغوريوس الكبير: لَمْ يَتوقَّعْ مُوافقَةً عَلَى هَذَا بَلْ رَفضًا. فَالقَصَبَةُ تَميلُ مَعَ كُلِّ ريحٍ. مَاذَا تُمثِّلُ القَصَبَةُ سِوَى نَفسٍ جَسدانيَّةٍ؟ إنَّها تلتَوي مِن كُلِّ جِهَةٍ مَتَى لمَسَها ثَنَاءٌ أَو افتِرَاءٌ. فَإذا جَاءَت نَسْمَةُ إطرَاءٍ خَفيفَةٌ مِن فَمِ شَخصٍ مَا، تَكُونُ النَّفسُ فَرِحَةً وَفَخُورَةً، وَتَميلُ ميلاً تَامًّا إلَى مَا هُوَ مُبهِجٌ. لَكِنْ إنْ هَبَّتْ عَاصِفَةُ افتِرَاءٍ مِن حَيثُ كَانَت تَأتِي نَسْمَةُ الثَّنَاءِ، فَهي تَميلُ بسُرعَةٍ نَحوَ الجِهَةِ المُقَابلَةِ، أَي نَحوَ غَضَبٍ هَائجٍ. يوحنّا لَم يَكُنْ قَصَبَةً تَهُزُّهَا الرِّيحُ. فَمَا مِنْ مَوقِفٍ سَارٍّ جَعلَهُ مُوافقًا، وَلا مِنْ غَضَبِ إنسَانٍ جَعلَه مُرًّا. أَربعون عظة إنجيليَّة ٦. ٢.[٢٠]

١١:٨ مَاذَا خَرَجتُم تَرَوْنَ؟

الرِّدَاءُ النَّاعِمُ يَنتَمِي إلَى قُصُورِ المُلُوكِ. جيروم: لَو قَصَدَ الرَّبُّ أَنْ يَكُونَ مُعَاديًا ليوحنَّا، كَمَا يَتَصَوَّرُ العَديدُ أَنَّه فَعَلَ في قَولِه «وَطُوبَى لِمَن لا يفقدُ إيمَانَهُ بي»، فَلِمَاذا مَدَحَه أَبلَغَ المدحِ؟ لأَنَّ الجُمُوعَ الحَاضِرَةَ لَمْ تَكُنْ تَعرِفُ مَا رَمَى إليهِ يوحنّا مِنْ سُؤالِه. فَظَنُّوا أَنَّه شَكَّ في المَسِيحِ، عَلى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّه هُوَ نَفسُهُ كَانَ قَد تَنَبَّأَ بِهِ. وَالآنَ يَتَعَلَّمُونَ أَنَّه لَمْ يَسأَلْ بالأَصَالَةِ عَن نَفسِهِ، بَلْ بالأَصَالَةِ عَن تَلامِيذِهِ. «مَاذَا خَرَجتُم إلَى البَرِّيَّةِ تَنظُرونَ»؟ أَقَصَبَةً تَهُزُّهَا الرِّيحُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ؟ أَرَجُلاً ضَعِيفَ الإرَادَةِ غَيرَ قَادِرٍ عَلَى اتِّخَاذِ قَرَارٍ بشَأنِ مَا أُنبئَ بِهِ مِنْ قَبْلُ؟ أَو أَنَّه نُخِسَ بحَسَدِهِ لِي، وَسَعَى في تَبشِيرِهِ إلَى شُهرَةٍ فَارِغَةٍ، أَو ربحٍ مَادِّيٍّ ؟ وَلِمَاذَا يَرغَبُ في القَصفِ واللَّهوِ؟ فَهُوَ يَأكُلُ جَرَادًا وَعَسَلاً بَرِّيًّا. وَهَل يَرغَبُ في ثَروَةٍ للُبسِ المَلابسِ النَّاعِمَةِ؟ فَمَلابسُهُ مَصنُوعَةٌ مِن وَبرِ الجَمَلِ. لَكِنَّ النَّاسَ المُتَمَلِّقِينَ، النَّهِمِينَ، الطَّامِعِينَ بالثَّروَةِ، وَالمُتَنَعِّمِينَ بالتَّرفِ، واللاَّبسينَ الثِّيَابَ النَّاعِمَةَ، يَعيشُونَ في قُصُورِ المُلُوكِ! من يَعِشْ عِيشَةَ التَّقَشُّفِ وَيعِظْ الوَعظَ الصَّارِمَ، يَتَجَنَّبْ قَاعَاتِ المُلُوكِ وَيَبتَعِدْ عَنِ القُصُورِ الفَاخِرَةِ. تفسير متَّى ٢. ١١.٦.[٢١]

رَجُلٌ يَلبَسُ اللِّبَاسَ النَّاعِمَ. كَاتِبٌ مَجهُولٌ: «مَاذَا خَرَجتُم إلَى البَرِّيَّةِ تَنظُرونَ؟ أَرَجُلاً يَلبَسُ الثِّيَابَ النَّاعِمَةَ»؟ فَمُحبُّ العَالَمِ يَتَمتَّعُ بمَلَذَّاتِ ثَرَواتِه. أَلا تَرونَ أَنَّ ثَوبَهُ كَانَ مِنْ وَبرِ الجِمَالِ، وَأَنَّه تَمَنطَقَ بحِزَامٍ مِن

---

[١٩] 342:01 1 FNPN ;914:75 GP

[٢٠])5 ylimoH(*03:321 SC ;6901:76 LP

[٢١] 97-87:77 LCC

جلدٍ؟ وكَانَ غِذاؤه جَرادًا وَعَسلاً بريًّا. هكَذا أَدانَ العَالمَ وثرواتِهِ بشَهادةِ حيَاتِهِ؛ وَبقِيَ صَامِدًا في العَالمِ. إنّه لَم يَدخُل العَالمَ ليَبقى فِيهِ، بَلْ ليَتحَدّى وَثَنِيَّةَ ثَروَاتِه. وُلِدَ في العَالَمِ، لكِنَّهُ ابتَعَدَ عَنْ ثَروَاتِه. وعلى الرَّغمِ مِنْ أنَّه وُلِدَ في العَالَمِ، فَإنّه لَمْ يَبقَ فِيهِ كَآثمٍ، بَلْ حَوَّلَ الأَثمَةَ إلَى صَالِحينَ، وَحَرَّرَهُم مِنَ العَالَمِ. فَفِي هَذا العَالَمِ الشِّرّيرِ مَلَذَّاتٌ عَدِيدَةٌ تُغْرِي بَنِي البَشَرِ. عَمَلٌ نَاقِصٌ حَولَ مَتّى،الموعظة ٢٧.[٢٢]

٩:١١ أكثَرُ مِن نَبيٍّ

مُهِمَّةُ النَّبيِّ. كَاتِبٌ مَجهُولٌ: «نَعَم، أَقُولُ لَكُم، وَأَكثَرَ مِن نَبيٍّ». مُهِمَّةُ النَّبيِّ أَن يَتَنَبَّأَ بِالمَسِيحِ. لَكِنْ، هَلْ كَانَت مُهِمَّةُ النَّبيِّ أَنْ يَعتَرِفَ بِاللّه وَهُوَ في الرَّحِمِ؟ إنَّ مُهِمَّةَ النَّبيِّ هِيَ أَنْ يَتَلَقَّى النُّبوءَةَ لِقَاءَ نَهجِ حَياةٍ قَيِّمٍ وَلِقَاءَ إيمَانٍ. لَكِنْ، هَلْ كَانَت مُهِمَّةُ النَّبيِّ أَنْ يَكُونَ نَبيًّا قَبلَ الحُصُولِ عَلَى أَيَّةِ مُكَافَأَةٍ؟ إنَّ مُهِمَّتَهُ أَنْ يَتَلَقَّى البَرَكَةَ مِنَ اللّه. لَكِنْ، هَلْ كَانَت مُهِمَّتُه أَنْ يُسبِغَ نِعمَةَ المَعمُودِيَّةِ عَلَى اللّه؟ إنَّ مُهِمَّتَه أَنْ يَتَحَدَّثَ عَنِ المَسِيحِ قَبلَ الأَوانِ، وَأَنْ يَقِفَ وَجهًا لِوَجهٍ أَمَامَه وَيُشِيرَ إِلَيهِ بِإِصبَعِهِ؟ مُهِمَّتُهُ أَنْ يَتَنَبَّأَ عَنِ اللّه، بِالأَولَى أَنْ يَجعَلَ اللّه يَتَنَبَّأُ عَنِ النَّبيِّ نَفسِهِ، كَمَا قَالَ: «هَا أَنَا أُرسِلُ مَلاكِي أَمَامَ وَجهِكَ»؟[٢٣]

«فَهُوَ الَّذي قِيلَ عَنهُ بِلِسَانِ النَّبيِّ: أَنَا أُرسِلُ مَلاكِي قُدَّامَكَ، لِيُهَيِّئَ الطَّرِيقَ أَمَامَ وَجهِكَ».[٢٤] يَبدَأُ الآنَ بِإِعلانِ الأَسبَابِ الَّتي جَعَلَت من يوحنّا المُبَارَكِ أَكثَرَ مِنْ نَبيٍّ– فَهُوَ يَستَحِقُّ الثَّنَاءَ مِنْ شَخصٍ كَهَذا. شَهِدَ يوحنّا لِلمَسِيحِ قَائِلاً: «هَا هُوَ حَمَلُ اللّه».[٢٥] لَكِنَّه تَسلَّمَ مِنَ المَسِيحِ أَكثَرَ مِمَّا أَعطَى. فَلَمَّا مَجَّدَ المَسِيحَ مَدَحَهُ أَبلَغَ مَدْحٍ إنسَانيٍّ، لَكِنَّ المَسِيحَ أَضفَى عَلَيهِ المَجدَ الإلَهيَّ. يوحنّا تَحَدَّثَ عَنِ المَسِيحِ كَحَمَلٍ، لَكِنْ، لَمَّا أَنبَأَ المَسِيحُ بِيوحنّا تَحَدَّثَ عَنهُ كَمَلاكٍ. يوحنّا لَمْ يَمْدَحِ المَسِيحَ مَدحًا كَامِلاً، لأَنَّ المَسِيحَ لَمْ يَرفَعْ خَطِيئَةَ العَالَمِ، فَحَسْبُ، بَلْ مَنَحَ أَيضًا الحَيَاةَ الأَبدِيَّةَ لِلعَالَمِ. أَمَّا المَسِيحُ فَقَد رَفَعَ مِنْ شَأنِ يوحنّا أَكثَرَ مِمَّا هو عَلَيهِ؛ كَانَ إنسَانًا، غير أَنَّ المَسِيحَ سَمَّاهُ مَلاكًا. عَمَلٌ نَاقِصٌ حَولَ مَتّى، الموعظة ٢٧.[٢٦]

---

[٢٢] GP 65:377-47

[٢٣] لوقا ٧: ٢٧.

[٢٤] ملاخي ٣: ١.

[٢٥] يوحنّا ١: ٢٩.

[٢٦] GP 65:477

١١:١٠ ملاكُ يُهيِّئُ الطَّريقَ

أُرسِلُ مَلاكِي أَمَامَ وَجهِكَ. جيروم: إنَّ يوحنّا هوَ أعظمُ الأنبياءِ جميعِهِم لأنَّ الأنبياءَ الآخرين أنبأُوا بمَجيءِ المسيحِ، لكِنَّ يوحنّا أشارَ بإصبعِهِ إلى أنّه أتى حقًّا، فقالَ: «هذا هُوَ حَمَلُ اللهِ الّذي يرفعُ خطايا العالَمِ».[٢٧] فهُوَ لمْ يتمتَّعْ بمقامِ نبيٍّ فحسْب، بلْ أيضًا بمقامِ المعمدانِ الّذي عمَّدَ ربَّه. وهذا ما رفعَ مِنْ شأنِهِ. فأتمَّ نُبوَّةَ ملاخِي الّتي يُنبئُ فِيهَا بمَلاكٍ.[٢٨] لقد ضُمَّ يوحنّا إلى مصافِ الملائكةِ، لا بطبيعتِهِ بلْ بعظَمةِ مُهمَّتِه، بإعلانِهِ عَنْ مَجيءِ الرَّبِّ. تفسيرُ متّى ٢. ١١.٩.[٢٩]

كَيفَ يكُونُ يوحنّا أعظم مِن نَبيّ. الذَّهبيُّ الفَم: ولِئلاَّ يقولُوا عِندَ ذلكَ: «فمَاذا إنْ كانَ في ذلكَ الوقتِ إنسانٌ كهذا فِعلاً، وقد تغيَّرَ الآن»؟ إنّه يُضيفُ بعدَ ذلِكَ: الثِّيابَ والسِّجنَ ومن ثَمَّ النُّبوَّةَ. بعدَ أنْ قالَ إنّه أعظَمُ مِن نَبيٍّ، أثبتَ أيضًا في أيِّ شيءٍ هُوَ أعظَم مِن نَبيٍّ. ففِي أيِّ شيءٍ هُوَ أعظَمُ؟ في كَونِهِ قريبًا مِنَ السَّيِّدِ الّذي جاءَ. يقُولُ: «أُرسِلُ مَلاكِي أمَامَ وَجهِكَ»، أي قريبًا مِنكَ. كمَا هِيَ الحالُ مَع الملُوكِ، فالّذين يُواكِبون المركبَةَ يكُونُونَ أكثرَ شُهرةً مِنَ الآخرينَ، هكذا بَدا يوحنّا في حُضُورِهِ قريبًا من مَجيءِ المسيحِ نفسِهِ. إنجيلُ متّى، الموعظة ٢.٣٧.[٣٠]

مَلاكِي يُهيِّئُ الطَّريقَ. كاتِبٌ مَجهُولٌ: إسمَعِ الآنَ وأدرِك مَعنَى ذلِكَ. فلَو لَمْ يكُنْ مِنَ الجُرأةِ قَولُ ذلِكَ، لَمَا دُعِيَ مَلاكًا مَع أنّه إنسانٌ، وذلِكَ بسَبَبِ امتِيازِهِ واستِحقاقِهِ، فهُوَ أعظَمُ مِنْ أنْ يكُونَ مَلاكًا بالاسمِ وبالطَّبيعةِ. إنَّ تسميةَ المَلاكِ مَلاكًا لا تزيدُ مِن شأنِهِ، لأنَّ هذا الاسمَ يُلائِمُ طَبيعتَهُ. لَكِنْ، من المُعجِزِ أنْ ينتقِلَ إنسانٌ بطبيعتِهِ البَشريَّةِ إلى قَداسَةٍ مَلائكيَّةٍ ويتَوصَّلَ بنِعمَةِ اللهِ إلَى مَا هُوَ فوقَ طبيعتِهِ. عَمَلٌ ناقِصٌ حَولَ متّى، الموعظة ٢٧.[٣١]

١١:١١ مَا ظَهَرَ في النَّاسِ أَعظَمُ مِنْ يوحنّا المعمدانِ

أَعظَمُ مَوالِيدِ النِّساءِ. كاتِبٌ مَجهُولٌ: طَبيعِيٌّ أَنْ يكُونَ المرءُ ابنَ امرأَةٍ، أمَّا أَنْ يكُونَ «مَولُودًا لامرأَةٍ» (وَفقَ قصدِ بُولس) فأَمرٌ آخر. كُلُّ ابنُ امرأَةٍ يُولَدُ لَهَا ويرجِعُ

---

[٢٧] يوحنّا ١: ٢٩.

[٢٨] ملاخي ٣: ١.

[٢٩] 97:77 LCC

[٣٠] 442:01 1 FNPN ;12-024:75 GP

[٣١] 477:65 GP

أَصلَهُ إليهَا، وَهي في كُلِّ الأَحوالِ قَبلَه. لَكِنَّ الابنَ الأَوحَدَ «المَولُودَ لامرَأَةٍ»[٣٢] لَمْ يَكُنْ مَولُودًا بالضَّرورَةِ لَهَا. المَسِيحُ، كَمَا نَعرِفُ، كَانَ «مَولودًا لامرَأَةٍ»، لَكِنَّ يوحنّا–الَّذي يَتِمُّ الحَديثُ عَنهُ – هُوَ ابنُ امرأَةٍ. «وُلِدَ المَسِيحُ لامرأَةٍ»، لَكِنَّه كَانَ مَوجُودًا قَبلَها. فَإِنَّ كُلَّ ابنِ امرأَةٍ هُو مَولُودٌ لَهَا، لَكِنْ لَيسَ كُلُّ مَولُودٍ لامرأَةٍ هو ابنَهَا. وَهَكَذَا لَمْ يَقُلْ بُولُسُ إنَّ يَسوعَ كَانَ «بَينَ أَبنَاءِ النِّسَاءِ»، لأَنَّ ذَلِكَ يُصنِّفُه مَع الأَبنَاءِ العاديِّين.

فَضلاً عَن ذَلِكَ، لا يَقُولُ الكِتَابُ المُقَدَّسُ إنَّ يوحنّا كَانَ أَعظَمَ مِنَ القِدِّيسينَ الآخَرِينَ، بل يقولُ «لَمْ يَقُمْ أَحَدٌ أَعظَمُ مِنْ يوحنّا». يَضَعُهُ النَّصُّ في مرتَبةِ الآخَرين، لا أَعلَى مِنهُم. فَالبِرُّ سَامٍ جِدًّا بحيثُ لا يَستَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يكونَ كَامِلاً فِيهِ سِوَى اللّه. إنَّه في حُكمِ اللّه يُمكِنُ رُؤيَةُ كُلِّ قِدِّيسٍ لِكَونِهِ أَعظَمَ أَو أَصغَر. مِنْ هَذَا نَستَنتِجُ أَنَّه إذَا لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ أَعظَمَ مِن يوحنّا، فَإِنَّه هُوَ أَعظَمُهُم أَجمَعِين. عَمَلٌ نَاقِصٌ حَولَ متّى، الموعظة ٢٧.[٣٣]

الأَصغَرُ في المَلَكوت. ثيودور المبسوستيّ: إذَا قُورِنَ يوحنّا بالنَّاسِ الآخَرِينَ استِنَادًا إلَى وِلادَتِهِ لامرأَةٍ، لَوَجَدَ أَنَّه أَعظَمُهُم. كَانَ هو وَحدَهُ مُمتَلِئًا مِنَ الرُّوحِ القُدْسِ في رَحِمِ أُمِّهِ، بِحَيثُ إنَّه «ارتَكَضَ»،[٣٤] فَتَنَبَّأَت أُمُّه، لأَنَّها شَارَكَت في هَذه النِّعمَةِ. لَكِنْ إذَا قُورِنَ يوحنّا بالَّذينَ سَيَشتَرِكُونَ بالرُّوحِ في مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ، يَقُولُ يَسوعُ إنَّهُ سَيَكُونُ الأَصغَرَ فِيهِم. كما قَالَ يَسُوعُ إنَّ يوحنّا سَيُشَارِكُ في مِثلِ هَذِهِ النِّعمَةِ العَظِيمَةِ، مِثلَ الَّذينَ يُولَدُون ثَانِيَةً لِلخُلُودِ بَعدَ قِيَامَةِ يَسوع مِنْ بَينِ الأَموَاتِ، ولا يَذُوقُونَ المَوتَ. آنذاك، سَتَكُونُ نِعمَةُ الرُّوحِ غَزِيرَةً، عَلَى النَّاسِ بحَيثُ إنَّه لا يَسقُطُ في المَوتِ مَنْ شَارَكَ في جُزءٍ مِنها صَغِيرٍ. المقطع ٥٩.[٣٥]

يَخدمُ اللّهَ في السَّمَاوَاتِ. جيروم: «لَكِنَّ الأَصغَرَ في مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ أَعظَمُ مِنهُ». يُفسِّرُ العَدِيدُ مِنهُم هَذِهِ الآيةَ مِنْ حيثُ عَلاقَتُها بالمُخَلِّص، وَكَأَنَّها تَعني أَنَّ الأَصغَرَ سِنًّا هُوَ أَكبرُ قَدْرًا. أَمَّا نَحنُ فَنُفَسِّرُها ببَسَاطَةٍ. في تَقدِيرِنَا أَنَّ كُلَّ قِدِّيسٍ عِندَ اللّه هُوَ أَعظَمُ مِنَ المُجَاهِدِين عَلَى الأَرض. فَالحُصُولُ عَلَى تَاجِ الانتِصَارِ شَيءٌ، وَالقِتَالُ في السَّاحَةِ شَيءٌ آخَر. بَعضُهُم يَرَى أَنَّ المَلاكَ الأَصغَرَ الخَادِمَ للّه في السَّمَاوَاتِ هُوَ أَعظَمُ مِنْ أَيِّ أَعظَمِ إنسَانٍ

[٣٢] غلاطية ٤: ٤.
[٣٣] GP 577:65
[٣٤] لوقا ١: ٤١.
[٣٥] KGKM 611

عَلَى الأَرضِ. تَفسيرُ متَّى ١١.٢.[٣٦]

يَسوعُ هُوَ الملَكُوتُ. أُوريجنّس: إِنَّ ملَكُوتَ السَّمَاوَاتِ هُوَ يَسُوعُ المَسِيحُ نَفسُهُ، الَّذي يَحُثُّ الجمِيعَ عَلَى التَّوبَةِ، وَيَضُمُّهُم إِلَى نَفسِهِ بِالنِّعمَةِ. المقطع ٢٢٦.[٣٧]

١١:١٢ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ يُؤخَذُ مُجَاهَدَةً

مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ. هيلاريون: لَمْ يُؤمِنِ النَّاسُ بيوحنّا المعمَدَان. وَأَعمَالُ المَسِيحِ لَمْ تَكُنْ مَوضِعَ اهتِمَامٍ لَهُم. أَمَّا آلامُهُ عَلَى الصَّليبِ فَقَد كَانَت عثرةً لَهُم. «الآن» النُّبوَّةُ انتهَت. الآنَ قَد تَمَّتِ الشَّرِيعَةُ. الآنَ كُلُّ نُبوَّةٍ قَدِ اكتَمَلَت. الآنَ فَعَلَت رُوحُ إِيليَّا فِعلَها عبر كَلام يوحنَّا. المَسِيحُ يُبَشِّرُ بِهِ لِبَعضِهِم، وَيَعتَرِفُ بِهِ آخَرُونَ. يُولَدُ عِندَ بَعضِهِم، وَيُحِبُّهُ آخَرونَ. شَعبُهُ يرفُضُهُ، فِيمَا يقبَلُه الغُربَاءُ. يَفتَرِي عَلَيهِ شَعبُهُ الخَاصُّ، وَيُعَانِقُهُ أَعداؤهُ. لأَبنَاءِ التَّبَنِّي يُقَدِّمُ مِيراثًا، فِيمَا يَرفُضُه أَبنَاءُ العَائِلَةِ. يُديرُ الأَبنَاءُ ظُهُورَهُم لِلعَهدِ، بينمَا يُقبِلُ عَلَيهِ عَبيدُ البَيتِ. هَذَا مَا يَعنِيه في قَولِهِ: «مَلَكوتُ السَّماواتِ يُؤخَذُ غِلابًا». المَجدُ الَّذي وَعَدَ به إِسَرائيلَ علَى لِسَانِ الآباءِ، وَأَعلَنَهُ الأَنبِيَاءُ، وَقَدَّمَهُ المَسِيحُ، تَمَسَّكت بِه الأُمَمُ وَحَمَلَتهُ بِإِيمَانِها. في متَّى ١١.٧.[٣٨]

١١:١٣ الشَّرِيعَةُ وَالأَنبِيَاءُ

مِنْ أَيَّامِ يوحنَّا إِلَى الآنِ. أوريجنّس: «أَيَّام يوحنّا» وَيَسوعَ كَلامٌ لا يُفهَمُ بِالعَودَةِ إِلَى الزَّمَنِ، بَلْ إِلَى حَالَةِ نَفسِ سَامِعِ الكِتَابِ المُقَدَّسِ. لَفظَةُ «الآن» تُشِيرُ إِشَارةً وَاضِحَةً إِلَى أَيَّامِ يَسوع، وقد أَشَارَ إِلَيهَا كَاتِبُ المزَامِيرِ عَلَى هَذا الشَّكلِ: «البِرُّ في أَيَّامِهِ يُزهِرُ، وَالسَّلامُ يَعُمُّ إِلَى الوَقتِ الَّذي يُرفَعُ فِيه».[٣٩] وَمَنْ كَانَ مُتَعَلِّمًا وَصَلَ إِلَى بَدءِ أَقوالِ يَسُوعَ وَتوغَّلَ فِيهَا ليُبيِّنَ لِلدَّاخِلِينَ أَنَّ الطَّرِيقَ وَعرٌ وَمُنحَدِرٌ. يُؤخَذُ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ غِلابًا. عِبَارَةُ «يُؤخَذُ مُجَاهَدَةً» يَجِبُ أَنْ لا تُفهَمَ فَهمًا إِيجابيًّا، بِلَ سَلبيًّا. المقطع ٢٢٧.[٤٠]

كُلُّ الأَنبِيَاءِ وَالشَّرِيعَةِ. جيروم: هَذا لا يَستَثنِي الأَنبِيَاءَ الَّذينَ أَتَوا بَعدَ يوحنَّا المَعمَدان، لأَنَّنا نَقرأُ في أَعمَالِ الرُّسُلِ أَنَّ أَغَابُوسَ وَبَنَاتِ فِيلِيبُّس العَذَارَى كُنَّ

[٣٦] LCC 08:77

[٣٧] SCG 701:1.14

[٣٨] CS 062:452

[٣٩] مزمور ٧٢ : ٧ (٧١ :٧).

[٤٠] SCG 801:1.14

يَتَنبَّأْن.[٤١] لَكِنْ بِمَا أَنَّ الشَّرِيعَةَ وَأَنبِيَاءَ الكِتَابِ المُقَدَّسِ كَانُوا يَنظُرُونَ إِلَى المُستَقبَلِ، فَإِنَّهُم كَانُوا يَتَنَبَّأُونَ بمجيءِ الرَّبِّ. فَلَمَّا قِيلَ «إِلَى أَنْ جَاءَت أَيَّامُ يوحنّا تَنَبَّأَ الأَنبِيَاءُ وَشَرِيعَةُ مُوسَى»،[٤٢] جُعِلَ مَجِيءُ المَسِيحِ مَعرُوفًا، عَلَى مَا تَرَدَّدت بِهِ أَصداءُ مَن بَشَّروا بِهِ أَنَّهُ آتٍ. تفسيرُ متَّى ٢. ١٣.١١.[٤٣]

هوَ إيليّا المُنتَظَرُ. إنَّه إيليّا. أبوليناريوس: دَعَا يوحنّا إيليّا بسببِ قُدرَةِ إيليّا وَرُوحِهِ. وَبِمَا أَنَّ قولَ يَسوعَ كَانَ غيرَ وَاضِحٍ، فَقَد تَرَكَ فَهمَهُ للقَادِرِينَ عَلَى إدراكِ مَعنَاه. لَكِنَّ المَلاكَ جبرائيلَ قَالَ في يوحنّا: «وَيَسيرُ أَمَامَ اللهِ بِرُوحِ إيليّا وَقُدرَتِهِ»،[٤٤] مُظهِرًا أَنَّه كَانَ إيليّا، من دُونِ أَنْ يَتَحوَّلَ إِلَى إيليّا. مقطع ٦٢-٦٣.[٤٥]

وَضعٌ جَدِيدٌ. ثيودور المبسوستيّ: كَمَا أَنَّ إِيلِيّا سَيَأتِي في نِهَايَةِ الحَيَاةِ الحَاضِرَةِ مُبَشِّرًا بِمَجِيئي الثَّانِي مِنَ السَّمَاوَاتِ، هَكَذَا بَشَّرَ يوحنّا بِمَجِيئي الأَوَّلِ، وَأَنهَى كُلَّ الأُمُورِ القَدِيمَةِ، وَوضَعَ كُلَّ شَيءٍ جَدِيدًا في مَكَانِهِ. المَقطَعُ ٦١.[٤٦]

جَاءَ بِرُوحِ إيليّا. جيروم: يُسَمَّى يوحنّا المَعمَدان إيليّا، لا بمفهومِ عَقِيدَةِ التَّنَاسُخِ (أَو تَقَمُّصِ الأَنفُسِ) الَّتي نَادَى بِهَا فَلاسِفَةُ حَمْقَى وَأَهلُ النِّحلَةِ. يُسمَّى إيليّا استِنَادًا إِلَى مَا جَاءَ في الإِنجيلِ مِن أَنَّه جَاءَ بِرُوحِ إيليّا وَبِرِّه، وَأَنَّه كَانَ يَنعَمُ بنِعمَةِ الرُّوحِ القُدُسِ نَفسِهَا. كَانَ تَقَشُّفُ إيليّا ويوحنّا وَإِمسَاكُهُمَا قَوِيَّين. كِلاهُمَا عَاشَا في الصَّحراءِ. تَنَطَّقَ إيليّا بحِزَامٍ مِنْ جِلدٍ، وَعَلَى وَسطِ يوحنّا كَانَ هُنَاكَ حِزَامٌ مُشَابِهٌ. اضطُرَّ إيليّا إِلَى الفِرَارِ، لأَنَّه اتَّهَمَ أَحَابَ وَإِيزَابِيلَ بارتِكَابِ الإِثمِ. وَقُطِعَ رَأسُ يوحنّا لأَنَّه اتَّهَمَ هيرودوسَ وَهيرودِيَّةَ بِزَوَاجٍ غَيرِ شَرعِيٍّ. وَقَد ذَهَبَ البَعضُ إِلَى أَنَّ يوحنّا دُعِيَ بإيليّا نَظَرًا إِلَى أَنَّ إيليّا سيَتَقَدَّمُ مَجِيءَ المَسِيحِ مُخَلِّصِنَا الثَّاني (استِنَادًا إِلَى مَلاخي) وَسَيُعلِنُ اقتِرَابَ مَجِيءِ الدَّيَّان، هَكَذَا فَعَلَ يوحنّا في المَجِيءِ الأَوَّلِ. تَفسيرُ متَّى ٢. ١١. ١٥.[٤٧]

١١:١٥ أُذُنَانِ سَامِعَتَانِ

فَلْيَسمَعِ الشَّعبُ. الذَّهبيُّ الفَم: لَمْ يَتَوَقَّفْ

---

(٤١) أعمال ٢١: ٨- ١١.

(٤٢) متَّى ١١: ١٣.

(٤٣) LCC 77:08-18

(٤٤) لوقا ١: ١٧.

(٤٥) KGKM 81

(٤٦) KGKM 611

(٤٧) LCC 77:18-28

السَّيِّد عِندَ هَذَا الحدّ، بَلْ تَابعَ قَولَهُ مُظهِرًا مَا يَجِبُ فَهمُهُ في الآيَةِ: «هَذا هُوَ إيليّا المُنتَظَرُ قُدُومُهُ، مَنْ لَه أُذُنَانِ سَامِعَتَانِ فَليَسْمَعْ». لَقَدِ استَعمَلَ السَّيِّدُ هُنَا الأَقوالَ المُتَكَتِّمَةَ لِيَحُثَّ الجُمُوعَ عَلَى التَّسَاؤُل. فَإِنْ لَمْ يَستَيقِظُوا بِهَذَا الأُسلُوبِ، فَبِالأَوْلَى كَثِيرًا أَنَّهُم لَنْ يَستَيقِظُوا وَلَو جَعَلَ كُلَّ شَيءٍ صَرِيحًا وَوَاضِحًا. فيعجزُ أيُّ إِنسانٍ عَنْ أَنْ يَقُولَ شيئًا، وَأَنْ يَجْرُؤَ عَلَى سُؤالِه، وَأَنْ يدنُوَ منه بسهولةٍ. إنَّ الَّذِينَ كَانُوا يَسأَلُونَهُ وَيُجَرِّبُونَه بمَسَائِلَ شَائِعَةٍ، سُدَّت أَفواهُهُم أَلفَ مَرَّة، لَكِنَّهُم استمرُّوا عَلَى غِيِّهِم؛ لا رَغبَةَ لهُم في التَّعَلُّمِ، وإِلاَّ لاستَوضَحُوهُ وَسأَلُوهُ عَنِ الأُمُورِ الضَّرورِيَّةِ؟ إنجيلُ متّى، الموعظة ٣٧.٣.[٤٨]

١١:١٦ أَولادٌ في السَّاحَاتِ

بِمَن أُشبِّهُ هَذَا الجِيلَ؟ جيروم: شُبِّهَ هذا الجيلُ بالأَولادِ الجَالِسِينَ في السَّاحَاتِ وَهُم يَتَصَايَحُونَ: «زمَّرنا لكم فمَا رَقَصْتُم، وندَبْنا لَكُم فمَا بكَيتُم». تَذكُر الكِتَابُ المُقدَّس وَهُوَ يَقُولُ: «بِمَنْ أُشَبِّهُ هَذَا الجِيلَ؟ إِنَّه كَالأَولادِ الجَالِسِينَ في السَّاحَاتِ»، وَمَا يَلِي ذَلِكَ. لم يُسْهِبْ في تفسيرِ هَذَا المَجَاز. لَكِنْ، مَهمَا قُلنَا عَنِ الأَولادِ فَإِنَّهم يُشَبَّهُون «بِهَذَا الجيل». هَؤُلاء الأَولادُ الجَالِسُونَ في السَّاحَاتِ هُم الَّذِين تَحَدَّثَ عَنهُم النَّبِيُّ إشعيا بقَولِهِ: «هَا أَنا وَالأَولادُ الَّذين وَهَبَهُم لِيَ اللّه».[٤٩] وَعَنَاهُم المَزمُورُ الثَّامِنَ عَشَرَ في آيتِهِ: «شَهَادَةُ اللّه أَمِينَةٌ، تُعطِي الحِكمَةَ للأَولادِ».[٥٠] وفي مَزمورٍ آخَرَ يَقُولُ: «مِنْ أَفوَاهِ الأَطفَالِ وَالرُّضَّعِ أَصلَحْتَ تَسبِيحًا».[٥١] جَلَسَ الأَولادُ في السَّاحَاتِ أَو في الأَسوَاقِ agorai، كَمَا وَرَدَ الوَصْفُ في اليُونَانِيَّةِ بِطَرِيقَةٍ أَوضَح، حَيثُ تُعرَضُ البَضَائِعُ الكَثِيرَةُ للبَيعِ. الشَّعبُ اليَهوديُّ أَصمُّوا آذانَهُم عَن سَمَاعِ الأَولادِ وَهُم يَهتِفُون بِأَعلَى صَوتِهِم: «غَنَّينَا لَكُم، فَلَم تَرقُصُوا». نَاشَدْنَاكُم أَنْ تَقُومُوا بِالأَعمَالِ الصَّالِحَةِ عَلَى صَوتِ أَغَانِينَا، وَأَنْ تَرقُصُوا وَنَحنُ نُزَمِّرُ لَكُم، كَمَا رَقَصَ دَاودُ أَمَامَ خَيمَةِ الرَّبِّ، لَكِنَّكُم أَشحتُم بِوجُوهِكُم عَنَّا. «بَكَينَا» وَنَاشَدنَاكُمْ أَنْ تَتُوبُوا، فَلَمْ ترغَبُوا في ذَلِكَ... فَلَيسَ مِنَ العَجَبِ إِذَا ضَلَلْتُم الطَّرِيقَ المُزدَوِجَ للخَلاص، إِذ احتَقَرتُم الفَقرَ وَالثَّروةَ عَلَى حَدٍّ سَواء. فَإِذَا كُنتُم رَاضِينَ

---

[٤٨] GP 75:224; NPNF 1 10:245-46

[٤٩] إشعيا ٨: ١٨.

[٥٠] مزمور ١٩: ٧ (١٨: ٧).

[٥١] مزمور ٨: ٢.

عَنِ الفقرِ فلِمَاذا نَاهَضتُم يوحنّا؟ إذا كُنتُم تَفرَحُونَ بالثَّروةِ فَلِمَ لَمْ يُعجِبْكُم ابنُ الإنسَانِ؟ سَمَّيتُم الأَوَّلَ مَمسُوسًا، وَالثَّانِي أَكُولاً وَشِرِّيبَ خَمرٍ. رَفَضتُم قَبُولَ أَيٍّ مِنَ التَّعلِيمَين، «لَكِنَّ الحِكمَةَ زَكَّاهَا بَنُوهَا» والحِكْمَةُ هِيَ تَدبيرُ اللهِ وَتَعلِيمُهُ. وَأَنَا، مَجدُ اللهِ وَحِكمَةُ اللهِ، تَصَرَّفْتُ تَصرُّفًا صَالِحًا عَلَى يَدِ أَبنَائِي الرُّسُلِ، الَّذِينَ أَطلَعَهُم أَبي عَلَى مَا كَانَ مَخفِيًّا عَنِ الحُكَمَاءِ وَالشَّعبِ السَّدِيدِ الرَّأيِ. تفسيرُ متَّى ٢. ١١.١٦.[٥٢]

١١: ١٧ زَمَّرْنَا لَكُم فَلَم تَرقُصوا

تَنَافُرُ أَصوَاتِ الرَّقصِ وَالبُكَاءِ. كيرلّس الإسكندريّ: كَمَا يَرقُصُ بَعضُ الأَولادِ، وَيَنتَحِبُ بَعضُهُم، وتَكُونُ إرادَتُهُم غَيرَ مُتَوافِقَةٍ، ويَلُومُ أَحَدُهُم الآخَرَ عَلَى التَّنَافُرِ وَالتَّبَايُنِ، هَكَذَا هُم اليَهُودُ: يَرفُضُونَ يوحنّا لِتَصَلُّبِهِ، وَيَسوعَ لِتَسَامُحِهِ، غَيرَ مُتَلَقِّينَ مَنفَعَةً أَبدًا.

كَانَ لائِقًا بِيوحنّا الخَادِمِ المُتَواضِعِ أَنْ يُمِيتَ بِالتَّقَشُّفِ أَهوَاءَ الجَسَدِ، وَأَنْ يُمِيتَ طَوعًا بِالمَسِيحِ القَدِيرِ في اللاَّهُوتِ تَحَرُّكَاتِ الجَسَدِ وَشَرِيعَةَ الجَسَدِ الفِطرِيَّةَ، مِن دونِ الاعتِمَادِ عَلَى الأَلَمِ الزُّهدِيِّ. فِيمَا كَانَ يوحنّا «يُبَشِّرُ بِمَعمُودِيَّةِ التَّوبَةِ»،[٥٣] قَدَّمَ يَسُوعُ نَفسَهُ نَمُوذَجًا لِلَّذِينَ يَبكُونَ وَيَنُوحُونَ، وبَينَمَا كَانَ «يُبَشِّرُ بِمَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ»[٥٤] أَظهَرَ طَوعًا حُرِّيَّةً وَإِشعَاعًا في نَفسِهِ. بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ وَضَعَ يَسُوعُ لِلمُؤمِنِينَ فَرَحًا لا يُنطَقُ بِهِ، وَحَيَاةً مُعْتَقَةً مِنَ الأَلَمِ. فَحَلاوَةُ مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ هِيَ كَالمِزمَارِ. أَمَّا أَلَمُ جَهنَّم فهو لَحنٌ حَزِينٌ. المقطعُ ١٤٢-٤٣.[٥٥]

١١: ١٨-١٩ الحِكمَةُ يُزَكِّيها أَبنَاؤُهَا

الغَايَةُ تَتَمَيَّزُ عَن فِعلِهَا. هيلاريون: «الحِكمَةُ يُزَكِّيها أَبنَاؤُهَا».[٥٦] إنَّ مُقَاوِمِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ يُمَزِّقُونَ السَّمَاوَاتِ نَفسَهَا لِتَبرِيرِ أَنفُسِهِم. عَمَلُ الحِكمَةِ عَادِلٌ، فَقَد نَقَلَت عَطَاءَاتِهَا مِنَ الشَّعبِ العَنِيدِ وَغَيرِ المُؤمِنِ إِلَى شَعبِ العَهدِ المُطِيعِ المُؤمِنِ. مِنَ المُفِيدِ هُنَا أَنْ نَعتَبِرَ فَضِيلَةَ القَولِ «الحِكمَةُ تَزَكَّتْ بِأَعمَالِهَا» كَمَا قَالَهُ يسوعُ عَنْ نَفسِهِ. فَيَسُوعُ هُوَ الحِكمَةُ نَفسُهَا لا بِأَعمَالِهِ بَلْ بِطَبِيعَتِهِ نَفسِهَا. لِكُلِّ شَيءٍ قُدرَةٌ، لَكِنَّ القُدرَةَ

---

[٥٢] LCC 77:28-38
[٥٣] مرقس ١: ٤؛ لوقا ٣: ٣.
[٥٤] متّى ٤: ٢٣؛ ٩: ٣٥؛ ٢٤: ١٤.
[٥٥] KGKM 891
[٥٦] متّى ١١: ١٩؛ أنظر لوقا ٧: ٣٥.

تَظهَرُ في الأَعمَالِ. فَلَيسَ عمَلُ الخيرِ كَالخيرِ عينِه، تمَامًا كَمَا تتَميَّزُ الغَايَةُ عَنِ الفِعلِ الهَادِفِ إِليهَا. في متّى ٩:٩.[٥٧]

جَاءَ يوحنّا وَجَاءَ الابنُ أَيضًا. ثيودور المبسوستيّ: إِنَّ النَّاظِرينَ إِلَى الحقِّ قَبِلُوا قِيَادَةَ يوحنّا وَالمَسيحِ. وَبِالحِكمَةِ تغيَّرت حَيَاتُهُم لِفَائِدَةِ الَّذِين يَرونَ الحقَّ. فَمَن نَشَدَ الحِكمَةَ سَمَّاهُ حِكمَةً. لَمْ يُؤمِنِ اليَهُودُ بِالمَسيحِ من طَريقِ حيَاةِ يوحنّا الصَّائِمَةِ وَالنُّسكِيَّةِ والطَّائِعَةِ، أَو من طَريقِ تَدبيرِ المَسيحِ السَّيِّدِ في حيَاتِهِ. وَمَنْ أَتمَّ كُلَّ شَيءٍ بِحكمَةٍ غيرَ مُهمِلٍ مَا يؤُولُ إِلَى مَنفَعَتِهِم وَخلاصِهِم أَدانُوه. عَجِزوا عَنِ اتِّهَامِهِ بِجُرمٍ، لأَنَّ يَسوعَ أَتمَّ كُلَّ شَيءٍ وَلَمْ يَترُكْ لَهُم وَرَاءَهُ مَا يُبَرِّرُ جُحُودَهُم أَو نُكرَانَ جَمِيلِهِم. المقطعُ ٦٢.[٥٨]

الحِكمَةُ الحَيَّةُ. ثيودور أسقف هيراقلية: لَقَد أَدَانَ يَسُوعَ الَّذينَ آمَنُوا بِأَنَّه هو الحِكمَةُ الحَيَّةُ الجوهَرِيَّةُ الَّتي تُدبِّرُ كُلَّ شَيءٍ بِبِرٍّ. وَمَعَ أَنَّ اليَهُودَ غيرَ المُؤمِنِينَ شَتَمُوه، فَإِنَّهُ لَمْ يَكُفَّ عَن مُخَاطَبَتِهِم بِلُطفٍ، وعَنْ أَن يَدعُوَهُم أَبنَاءَهُ، لِيَتَبَرَّرَ في أَقوالِهِ وَيغلِبَ في مُحَاكَمَتِهِ. المقطع٧٧.[٥٩]

---

(٥٧) CS 262:452

(٥٨) KGKM 711

(٥٩) KGKM 77

١١: ٢٠-٢٤ المُدُنُ غيرُ المُؤمِنَةِ

٢٠وأَخذَ يَسوعُ يُؤنِّبُ المُدُنَ الّتي أجرى فيها أكثرَ مُعجزاتِهِ لأنها لم تتُبْ. ٢١فقالَ: «الويلُ لكِ يا كورزينَ! الويلُ لكِ يا بيتَ صيدا! فلو كانتِ المُعجزاتُ الّتي جرَتْ فيكما جرَتْ في صورَ وصيدا، لَتابَتَا من زمنٍ بعيدٍ بالمسحِ والرَّمادِ. ٢٢لكِنَّني أقولُ لكم: سيكونُ مصيرُ صورَ وصيدا يومَ الحِسابِ أكثرَ احتمالاً من مصيرِكُما. ٢٣وأنتِ يا كفرَناحومُ المُرتَفِعةُ إلَى السَّماءِ سيهُبَطُ بكِ إلَى الجَحيمِ. فَلو جرَى في سَدومَ ما جرَى فيكِ مِنَ المُعجزاتِ، لبَقِيَتْ إلى اليومِ. ٢٤لكِنَّني أقولُ لكُم: سيكونُ مصيرُ سدومَ يومَ الحِسابِ أكثرَ احتِمالاً مِنْ مَصيرِكِ».

نَظرَةٌ عَامَّةٌ: في بَيتَ صَيدا وَكفرنَاحُومَ مَجَّدَ البُكْمُ الرَّبَّ، وَأَبصرَ العُميَانُ، وَسَمِعَ الصُّمُّ، وَمَشَى العُرجُ وَالكُسْحَانُ، وَقَامَ الأَمْوَاتُ، لَكِنَّ مِثلَ هَذِهِ المُعجِزَاتِ العَظِيمَةِ لَمْ تُوصِلْهُم إِلَى الإِيمَانِ الثَّابِتِ (هيلاريون) أَو إِلَى التَّوبَةِ (جيروم). فَهذِهِ المُدُنُ لَمْ تَكُنْ سَيِّئَةً كَالمُدُنِ الأُخرَى فَحَسب، بَلْ كَانَت أَيْضًا أَسوأَ المُدنِ الَّتي وُجِدَت عَلَى وَجهِ الأَرضِ (الذَّهَبيُّ الفَم). بِسَبَبِ هَذِهِ المُعجِزَاتِ قَالَ يَسوعُ إِنَّ كَفرنَاحُومَ ارتَفَعَت إِلَى السَّمَاءِ، لَكِنْ، بِسَبَبِ نَقص إِيمَانِهَا كَانَ سُقُوطُهَا إِلَى الجَحِيمِ رَهِيبًا. فَلَو تَابَت مُدُنٌ أُخرَى كَصور وَصيدا وَسدومَ وَعمورة لَحَدَثَت فِيهَا مُعجِزَاتٌ مُمَاثِلَةٌ (ثيودور أسقف هيراقلية). تَكَلَّمَ يَسوعُ بِقَسوَةٍ مُستَعمِلاً كُلَّ الوَسَائِلِ المُمكِنَةِ لِيُقنِعَهُم بِأَنْ يَتُوبوا (الذَّهَبيُّ الفَم).

١١: ٢٠-٢٢ الوَيلاتُ المُعلَنَةُ لِلمُدُنِ

بَعدَ المُعجِزَاتِ لَم يَتُوبُوا. جيروم: يَرثِي مُخَلِّصُنَا لِحَالِ كورزينَ وَبيتَ صيدا المَدِينَتَينِ في الجَلِيلِ، لأَنَّهُمَا لَمْ تَتُوبَا بَعدَ المُعجِزَاتِ العَظِيمَةِ وَأَعمَالِ البِرِّ. فَإِنَّ لِصُورَ وَصَيدا المَدِينَتَينِ اللَّتَين تَفَشَّت فِيهِمَا الوَثَنِيَّةُ وَآثَامٌ مُشِينَةٌ أَفضَلِيَّةٌ عَلَيهِمَا... كورزينُ وَبيتَ صيدا تَجَاوَزَتَا الشَّرِيعَةَ المَكتُوبَةَ وَالطَّبِيعيَّةَ، وَلَم تَكتَرِثَا بِالمُعجِزَاتِ الَّتي حَدَثَت فيهما. إِذَا سَأَلْنَا: أَينَ كُتِبَ أَنَّ رَبَّنَا صَنَعَ مُعجِزَاتٍ في كورزينَ وَبيتَ صيدا نُجيبُ بِمَا وَرَدَ في الإِنجيل: «وَجَالَ في كُلِّ المُدُنِ وَالقُرَى يَشفِي كُلَّ مَرَضٍ وَدَاءٍ» وَمَا يَلي ذَلِكَ. كَانَت كورزينُ وبيتَ صيدا بَينَ المُدُنِ وَالقُرَى الأُخرَى الَّتي صَنَعَ فيها يسوعُ المُعجِزاتِ. تَفسيرُ متَّى ٢.١١.٢٢.[1]

١١: ٢٣ مَا جَرَى مِنْ مُعجِزَاتٍ

الارتِفَاعُ إِلَى السَّمَاوَاتِ؟ جيروم: هَذَا القَولُ يَعني أَحَدَ أَمرَين: إِمَّا أَنَّكِ سَتَهبِطِين إِلَى الجَحِيمِ، لأَنَّكِ عَارَضْتِ بِغَطرَسَةٍ نُبوَّتي، أَو أَنَّكِ، رَغْمَ حُصُولِكِ عَلَى امتِيَازٍ كَبيرٍ بِارتِفَاعِكِ إِلَى السَّمَاواتِ بِسَبَبِ سَخَائي وَآيَاتي وَأَعمَالِ بِرّي، سَتُعَاقَبينَ أَكثَر، لأَنَّكِ لَمْ تُبَالِي بِالإِيمَانِ بِهَا. تَفسيرُ متَّى ٢.١١. ٢٣.[2]

الهُبُوطُ إِلَى الجَحِيمِ. ثيودور أُسقف هيراقلية: بِمَا أَنَّ الآيَاتِ الَّتي صَنَعَهَا يَسوعُ في كَفرنَاحومَ كَانَت كَثِيرَةً، فَقَدْ كَانَ مِنَ

[1] LCC 48:77

[2] LCC 48:77

الضَّروريِّ أنْ «ترتفِعَ إلى السَّماءِ». لكِنْ، بسببِ سُقوطِها في الإلحادِ «هبطتْ إلى الجحيمِ». قد نتساءَلُ: لماذا لمْ تحدُثْ هذِهِ الآياتُ في سدومَ؟ لأنَّ المسيحَ دبَّرَ لكُلِّ وقتٍ تقْدِمَةً. تجسَّدَ الكلِمَةُ وصنعَ الآياتِ، وأعطى مسؤوليَّاتٍ لكُلِّ جيلٍ حسبَ المُقتضى. صُورُ وصيدا خالفَتا النَّامُوسَ الطَّبيعيَّ. اليَهُودُ عصَوا المَسيحَ وخالفُوا شريعَةَ مُوسَى والأنبياءِ. هذا ما قالهُ يسوعُ بصرامةٍ، ليُلقيَ الضَّوءَ على إثْمِهِمْ بالنِّسبَةِ إلى غيرِهِم. فإذا جرَت هذه الأُمُورُ في صُورَ وصيدا، وفي سَدُومَ وعمُورةَ، وجرَى غيرُها، لكانَ المكانُ قابلاً للتَّغيير. لكِنْ، كما قُلْتُ، إنَّه كشفَ بالمُقارَنةِ شُرورَهُم. المقطع ٧٨.[٣]

١١: ٢٤ في يومِ الحِسابِ

عدمُ إحساسِهم. هيلاريون: تتميَّزُ لعنَةُ العِصْيانِ عَن بَركةِ الطَّاعةِ. كانَ علَى السَّيِّدِ أنْ يُبكِّتَ اليَهُودَ أوَّلاً. فكُفرُهُم بالآياتِ أمسَى واضِحًا. فاليهُودُ يُبكَّتُونَ عبرَ مِثالِ المؤمنينَ الَّذينَ خلَصُوا بالإيمانِ. لكِنَّ هذِهِ المُدُنَ بقِيَت علَى حالتِها وكأنَّ المُعجزاتِ لم تحدُثْ فيها.

في بيتَ صَيدا وفي كفرناحومَ مَجَّدَ البُكمُ الرَّبَّ، وأبصرَ العُميانُ، وسمِعَ الصُّمُّ، ومشَى الكُسْحانُ، وقامَ الأمواتُ، لكِنَّ التَّعجُّبَ من مِثلِ هذِهِ المُعجزاتِ العظيمةِ لَمْ يُولِّدْ إيمانًا في نفوسِهِم. فسماعُهُم عَنِ الأعمالِ وَحْدَها يَجِبُ أنْ يُوصِلَهُم إلى الرَّهبَةِ والإيمانِ. لكِنَّ عدَمَ الاستجابةِ لا يُوجَدُ في الخطايا الصَّغيرةِ لصورَ وصيدا، بَلْ في خطايا سَدُومَ وعمُورةَ العظيمةِ. فلَو كانتْ أعمالُ الفَضيلَةِ المُميَّزةِ قد لامَسَتْهُم لاشتدَّت رغبةُ الإيمانِ عِندَهُم. في متَّى ١١. ١٠.[٤]

هَل الخَطأُ هُو في المُبَشِّرِ؟ جيروم: قد يَستفسِرُ القارئُ الحصيفُ قائلاً: «هَل كانَ مِنَ المَعقُولِ أنْ يُبكِّتَ يسُوعُ صُورَ وصيدا لو تابَتا، ويَمتنِعَ عن صُنعِ مُعجِزاتِه العجيبَةِ؟ إنَّهُما لا تُلامانِ، لأنَّهما لَمْ تُؤْمِنَا أوَّلاً. لكِنَّ إثمَ الصَّمتِ يَحُلُّ بِمن لَمْ يُرِدْ أنْ يُبَشِّرَ الَّذينَ كانوا علَى الأرجَحِ سيتُوبُونَ».

الإجابَةُ عَنْ هذِهِ التُّهمَةِ سهلَةٌ وواضِحَةٌ: نحنُ لا نفقَهُ قراراتِ اللهِ، ولا نعرِفُ أسرارَ أعمالِهِ للتَّدبيرِ الفرديِّ. فكورزينُ وبيتَ صيدا أُدِينَتا لأنَّهُما لَمْ ترغبَا في الإيمانِ بالرَّبِّ حتَّى لمَّا كانَ معَهُما في شخصِهِ. لكِنَّهُ غفرَ لصورَ وصيدا لأنَّهُما آمنتا

---

(٣) KGKM 77-87

(٤) CS 452:462-66

بالرُسُلِ. فَلا تُحَاولوا أَنْ تُعيِّنوا الوَقتَ أَوِ المكَانَ الدَّقِيقَين اللَّذين نَتوقَّعُ فِيهمَا خَلاصَ المؤمِنين. عِنْدَمَا دَخَلَ الرَّبُّ كفرناحومَ المدينَةَ الجَمِيلَةَ، أُدِينَتْ أُورشليمُ المُلحِدَةُ. عَلَى هَذِه المدينَةِ تهَكّمَ حزقيالُ في قولِهِ: «تَزكَّتْ سَدومُ بسَبَبِكِ».[٥] تفسيرُ متّى ٢. ١١. ٢٣.[٦]

أَكثَرُ احتِمَالاً مِنْ سَدوم. الذَّهَبيُّ الفَم: لم يُضِفْ سَدوم إِلَى المُدن الأُخرَى عَشوائيًّا، بَلْ ليَكشِفَ ضَخَامَةَ رِجسِهِم. إِنَّه لَدليلٌ عَظِيمٌ عَلَى شَرٍّ لا سَابِقَةَ لَهُ في الشُّرور، لا بَينَ الَّذينَ وُجِدوا في ذَلِكَ الوَقتِ فَقَطْ بَلْ أَيْضًا بَينَ كُلِّ الأَشرارِ في أَيِّمَا وَقتٍ مَضَى. يُقَارِنُهم بغيرِهِم في مكَان آخَر، وَيَدينُهُم بأَهلِ نينوى وَبمملكَةِ الجَنُوبِ: مُقَارَنَتُهم هُنَاك بالَّذينَ فَعَلُوا الصَّواب، أَمَّا هُنَا فَبالَّذينَ خَطِئوا، وَهو أَمرٌ أَكثَرُ ثِقلاً بكَثير. هَذه الشَّريعَةُ مِنَ الإِدانَةِ عَرَفَهَا حزقيال. قَالَ لأُورشليمَ: «جَعَلْتِ أُختَيكِ أَبَرَّ مِنكِ بسَبَبِ كُلِّ الأَرجَاسِ الَّتي فَعَلتِ».[٧] هَكَذَا يَرغَبُ السَّيِّدُ في التَّريُّثِ فِيهِمَا في العَهدِ القَديمِ، فَلا يَتَوقَّفُ هُنَا في حَديثِه، بَلْ يَجعَلُ مَخَاوِفَهُم أَيضًا أَشَدَّ بقَولِهِ إِنَّهم سَيُقَاسُونَ أَحكَامًا أَقسَى مِمَّا نَزَلَ في أَهلِ صورَ وصيدا من أَحكَامٍ.[٨]

[٥] حزقيال ١٦: ٥٢.
[٦] LCC 58:77
[٧] حزقيال ١٦: ٥١.
[٨] GP 57:424-25; NPNF 1 10:247

١١: ٢٥-٣٠ تَعَالَوا إِلَيَّ وَاستَرِيحُوا

[٢٥] وتكلَّمَ يَسوعُ في ذلِكَ الوَقتِ فقالَ: «أَحمَدُكَ يا أبي، يا ربَّ السَّماءِ والأرضِ، لأنَّكَ أخفَيْتَ عَنِ الحُكَماءِ والفُهَماءِ ما أظْهرتَه للأطفالِ. [٢٦] نعَمْ يا أبي، هذا حَسَنٌ عندكَ.

[٢٧] أبي سَلَّمَنِي كُلَّ شيءٍ. ما مِنْ أحدٍ يعرِفُ الابنَ إلاَّ الآبُ، ولا أحدٌ يعرِفُ الآبَ إلاَّ الابنُ ومَن شاءَ الابنُ أنْ يظْهِرَهُ لهُ.

٢٨تعالَوا إليَّ يا جميعَ المُتعَبين وَالرّازحينَ تَحتَ أثقالِكُم وأنا أُريحكُم. ٢٩إحمِلُوا نِيري وتعلَّموا مِنّي، فأنا وديعٌ مُتواضِعُ القَلْبِ، فتَجِدوا الرّاحةَ لنُفوسِكُم، ٣٠فإنَّ نِيري هَيِّنٌ وحِمْلي خَفيفٌ».

نَظرَةٌ عامَّةٌ: إنَّ لَفْظتَي «السَّمَاء وَالأَرض» تَشمُلان كُلَّ الخَلِيقَةِ (أوغسطين). فَهَدَفُ الآريوسيّين هُوَ تَأْكيدُ أنَّ المَسيحَ هُوَ أدنى مِنَ الآب، لأنَّه أَجمَلَ الشُّكرَ لأَبيهِ. عَنْ هَذا أجَابَ التَّقلِيدُ الرَّسُوليُّ بأنَّه ما مِنْ شَيءٍ يُعِيقُ الابنَ المُتَمَاهِيَ مَع الآبِ عَنْ قَبولِ أَبيهِ وَحَمْدِهِ. فَبِهِ يُخلِّصُ العَالَمَ (كيرلّس الإسكندريّ). هُنَا يُمجِّدُ الابنُ الآبَ، الَّذي رَأى مُسبقًا انتقَالَ الكَلِمَةِ مِنَ اليَهُودِ إلَى الأُمَمِ (أوريجنّس). دَعَا يَسوعُ الفرّيسيِّينَ وَعُلَمَاءَ الشَّريعَةِ حكَمَاءَ، مَعَ أنَّهم لا يَملِكُون الحِكمَةَ، لكِنْ، سَبَبُ حِكمَتِهِم هَو ذَكَاؤُهُم في استِعمَالِ الكَلامِ. دَعَا صَيَّادِي السَّمك، غيرَ البَارِعينَ في الشَّرِّ، إلى أنْ يكُونوا الأَولادَ الَّذينَ كَشَفَ لَهُم كَلِمَتَه (ثيودور أسقف هيراقلية، وأبيفانيوس اللاتينيّ). فَعَلَينا ألاَّ نُحَاوِلَ سَبْرَ أَسرارِ المَشِيئَةِ الإلَهيَّةِ (كَاتِبٌ مَجهُولٌ). لَكِنَّنا نَقدِرُ على أنْ نَعرِفَ الآبَ مِنْ مَعرِفَتِنَا بِالابنِ (هيلاريون). هُنَا يُظهِرُ الابنُ أَنَّ طَبيعتَهُ لا تُوصَفُ وَلا يُنطَقُ بِها، تَمَامًا مِثل طَبيعَةِ الآب. وَحدَها طَبيعَةُ الثَّالوثِ المُقَدَّسةُ تُدرِكُ نَفسَها. الآبُ وحدَه يَعرِفُ ابنَه، وَالابنُ الإلَهِيُّ وَحدَه يُدرِكُ السَّرمَدِيَّ الَّذي وُلِدَ مِنهُ. الرُّوحُ القُدُسُ الإلَهُ وَحدَهُ يُدرِكُ أُمُورَ اللهِ العَميقَةَ في اتِّصَالِهِ المُتَبَادَل مَعَ الآبِ وَالابنِ (كيرلُّس الإسكندريّ، الذَّهبيُّ الفم).

مَاذا نَتَعَلَّمُ مِمَّن نَحمِلُ نِيرَهُ؟ إهبِطْ إلَى العُمقِ، إنزِلْ إلَى الأَسفَلِ، صِرْ مُتَواضِعَ القَلبِ، إبْنِ أُسُسًا رَاسِخَةً للجُودَةِ وَالامتِيَازِ (أوغسطين). لكَونِهِ صَانِعَ كُلِّ شَيءٍ وَرَبَّه، خَاطَبَ اليَهُودَ المُتعَبينَ الَّذينَ لَمْ تَكُن لَهُم القُوَّةُ عَلَى تَحمُّلِ نِيرِ الشَّريعَةِ. تَحَدَّثَ إلى الوَثَنيِّين المُثقَلِين، والَّذين يَقْمَعُهُم مِن إبلِيسُ، وَالرَّازِحين تَحتَ كَثْرَةِ خَطَايَاهُم (إقليمس الإسكندريّ). إنَّه حِمْلٌ سَارٌّ يُقَوِّي الَّذينَ يَحمِلُونَهُ. فَنَحنُ لا نَحمِلُ النِّعمَةَ، بَلِ النِّعمَةُ هِيَ الَّتي تَحْمِلُنَا (كَاتِبٌ مَجهُولٌ).

١١: ٢٥ الأَشيَاءُ المَخْفِيَّةُ عَنِ الحُكَمَاءِ والفُهَمَاءِ

مَا أُعلِنَ لِلوثَنيّين. أُوريجنس: يَحمِدُ يَسوعُ الآبَ ويُمجِّدُه لإحسَانَاتِهِ إليْنَا، وَقَد رَأَى مِنْ قَبلُ انتقَالَ الكَلمَةِ إلى الأُمَمِ بسَبَبِ عِصيَانِ اليَهودِ. ويَشكُرُ يَسوعُ أَبَاهُ، رَبَّ السَّمَاءِ وَالأَرضِ، لاتِّخَاذِهِ صُورةَ عَبدٍ، مُجزِيًا الشُّكرَ للسَّيِّدِ مِنْ أَجلِ عَبيدِهِ. ويَتَحدَّثُ عَنْ مَسرَّةِ الآبِ في إخفَاءِ سِرِّهِ عن إسرائيل... وفي إعلانِ ذَاتِهِ للأُمَمِ القَليلي التَّبصُّرِ. وَبذلِكَ يُظهِرُ أَنَّ اللهَ لَمْ يُغفِلْ أَنْ يُتِمَّ غَايَتَه، وَلَم يَفشَلْ مَجيءُ المَسيحِ في تَحقيقِ غَايَتِهِ المُتوخَّاةِ. فَقَد عَرفَ الرَّبُّ أَنَّها سَتحدُثُ حَقًّا، وَرتَّبَ تَوبَةَ النِّعمَةِ سَلفًا. هُنَا يَبقَى بِرُّ مَسرَّةِ اللهِ صَامِتًا، لَكِنَّه يَظهَرُ في مَكَانٍ آخَرَ. فَمَسرَّتُهُ لَيسَت غَيرَ مَنطِقيَّةٍ. فَالنَّاسُ يَفشَلونَ في إدراكِ مَعرِفَتِها وَحِكمَتِها لا لأيِّ سَبَبٍ سِوَى ضَعفَاتِهِم. المقطع ٢٣٩.[١]

رَبُّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ. أُوغسطين: يَقُولُ يَسُوعُ: «يَا أَبي، رَبَّ السَّمَاءِ وَالأَرضِ...». السَّمَاءُ وَالأَرضُ تَتَضمَّنَانِ كُلَّ الخَليقَةِ. لذَلِكَ يَقولُ أَوَّلُ سِفرٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ المُقدَّسِ: «في البَدءِ خَلَقَ اللهُ السَّماواتِ وَالأَرضَ».[٢] و يَقُولُ سِفرُ المَزَاميرِ «عَوني مِنْ عِندِ الرَّبِّ خَالِقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرضِ».[٣] بلَفظَةِ «السَّمَاوَاتِ» يُفهَمُ كُلُّ مَا فيهَا، وَبلَفظَةِ «الأَرضِ» يُفهَمُ كُلُّ مَا عليهَا. لَقَد ذَكَرَتَا كِلتَاهُمَا من دُونِ أَنْ تُغفلَ أَيَّةٌ منهُما، لأَنَّ مَا هُوَ مَخلوقٌ يَكونُ إمَّا في السَّمَاءِ أَو عَلَى الأَرضِ... كُلَّمَا سُمِعَ في الكِتَابِ المُقدَّسِ القَولُ «سَتَعترِفُونَ بالرَّبِّ» قَرَعَ الكَثيرونَ الصُّدُورَ نَدمًا. ... لَكِنْ لَوْ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ اعتِرَافٌ في الحَمدِ لَمَا قَالَ يَسوعُ «أَعتَرِفُ بكَ، أَيُّهَا الآبُ»، إذ لَمْ تَكُنْ فيهِ خَطيئَةٌ ليَعتَرِفَ بهَا. قِيلَ في سِفرٍ آخَرَ مِنَ الكِتَابِ المُقدَّسِ: «سَتَعتَرِفُ بالرَّبِّ». قُلْ في اعتِرَافِكَ إنَّ «كُلَّ أَعمَالِ الرَّبِّ صَالِحةٌ». هَذَا بالتَّأكيدِ اعتِرَافٌ بالحَمدِ لا بالخَطيئَةِ. الموعظةُ ٦٨. ٢.[٤]

أَشكُرُكَ، أَيُّهَا الآبُ. كيرلُّس الإسكندريّ: يَستَعمِلُ الرَّبُّ يَسوعُ عِبَارَةَ «أَعتَرِفُ بكَ» وَفقًا للعَادَةِ الإنسَانيَّةِ. وبَدلاً مِنْ قَولِهِ «أَعتَرِفُ بكَ» يَقُولُ «أُمَجِّدُكَ». مِن عَادَةِ الكِتَابِ المُقدَّسِ المُوحَى به مِنَ اللهِ أَنْ يَتَّخِذَ

---

[١] morf stnemgarF negirO .fc ;211:1.14 SCG ,103 wehttaM fo lepsoG eht no seiratnemmoC .91 KGKM tnemgarF siranillopA

[٢] تكوين ١: ١.

[٣] مزمور ١٢١: ٢ (١٢٠: ٢).

[٤] 32-222:3 3 ASW ;75-653:1 AM

هذه اللّفظة بهذا المعنى. إنّه مكتوبٌ: «ليعترفَ الشّعبُ، يا ربُّ باسمكَ العظيم، لأنّه مرهوبٌ وقدّوسٌ هو».[٥] وأيضًا، «أعترفُ بكَ، يا ربّ، من كلّ قلبي».[٦] لكنْ، يقولُ الضّالّون في تفكيرهم: «أليس اعترافُ الابن بالآبِ دليلاً على أنّهُ أدنى منهُ»؟ عنْ هذا الاعتراض يقولُ الّذي يعرفُ كيفَ يحافظُ على عقائدِ هذا الحقّ: «أيُّها الأفاضل، ماذا يمنعُ الابنَ المتماهي مَعَ أبيهِ مِنْ قبولِهِ وحمدِهِ، الّذي بهِ يخلصُ كلُّ ما هُوَ تحتَ السّماواتِ؟ إذا كُنتَ تؤمِنُ، بسببِ هذا الاعترافِ، بأنّه أدنى مِنَ الآبِ، فانْظُرْ أيضًا إلى ما يأتي بعدَ ذلِكَ. يعترفُ يسوعُ بأبيهِ ويدعوه الآبَ ربَّ السّماواتِ والأرضِ. لكنّ ابنَ اللهِ الّذي هُوَ حاكِمُ كُلِّ شيءٍ يملكُ مَعَ الرّبِّ وسيّدِ الكُلِّ مِنْ كُلِّ ناحيةٍ، لا كواحدٍ أدنى أو مختلفٍ في الجوهرِ، بلْ كإلهٍ مِنْ إلهٍ. إنّه يكلّلُ بشهرةٍ مساويةٍ، بسببِ أنّه مساوٍ لهُ جوهريًّا في كُلِّ شيءٍ..» المقطعُ ١٤٥.[٧]

النّعمةُ تُعلَنُ للبُسطاءِ في الشّرّ. ثيودور أسقف هيراقلية. هُنا يدعو يسوعُ اليهودَ حكماءَ: هل هذا لأنّهم كانوا مؤتمنينَ على كلامِ اللهِ، أو لأنّهم كانوا فعلةَ الشّرِّ وحكماءَ في فعلِ الشّرّ؟ لكنّه يدعُو التّلاميذَ أطفالاً. دعا الفرّيسيّين وعلماءَ الشّريعةِ حكماءَ مَعَ أنّهم لمْ يمتلكوا الحكمةَ، لكنْ، ما بدا منهُم أنّه حكمةٌ في استعمالِ الكلامِ كانَ لبراعتِهِم. دعا صيّادي السّمكِ، البُسطاءَ في الشّرِّ، أطفالاً. بهذهِ الطّريقةِ انكشفَت نِعمةُ الرّبِّ بوضوحٍ لمّا أعلنَ يسوعُ نفسَهُ لرجالٍ بُسطاءَ. . . يُظهِرُ أنّهم يُشاركُون في إرادةٍ واحدةٍ ويشكُرونَ اللهَ على حُبِّه لنَا في ما نلنَا مِنْ إحساناتِهِ. المقطعُ ٨٠.[٨]

مُعلَنةٌ للأطفالِ. أبيفانيوس اللاّتينيّ: كاشفَ يسوعُ الأطفالَ هذهِ الأمورَ. أيُّ أطفالٍ؟ لا الأطفالُ في السّنِّ، بَل الأطفالُ في الخطيئةِ والشّرّ. بيّنَ لهُم يسوعُ كيفَ يطلُبُونَ نِعَمَ الفِردوسِ والأمورَ المستقبلةَ في ملكُوتِ السّماواتِ، لأنْ هكذا كانَ سارًّا جدًّا في عينَي اللهِ أنّ «كثيرينَ مِنَ النّاسِ سيأتُونَ مِنَ المشارقِ والمغاربِ ليُجالِسوا إبراهيمَ وإسحقَ ويعقوبَ في ملكوتِ السّماواتِ. وأمّا بنُو الملكُوتِ فطرحُوا في الظّلمةِ البرّانيّةِ، حيثُ البُكاءُ وصريفُ

---

[٥] مزمور ٩٩: ٣ (٩٨: ٣).

[٦] مزمور ٩: ١؛ ١١١: ١ (٩: ١؛ ١١٠: ١).

[٧] KGKM 991

[٨] KGKM 97-87

الأسنان».[٩] تفسيرُ الأناجيل٢٦.[١٠]

١١:٢٦ نعم، يا أبي، هذا حسنٌ عندكَ

يَسُرُّ اللّه. كاتِبٌ مَجهُولٌ: لا يقُولُ إنَّ ذلِكَ كانَ يَسُرُّه، بلْ إنّه يشكُرُ الآب، لأنَّ ذلِكَ كانَ يَسُرُّه. أيضًا يَجِبُ ألاّ تُناقِشَ أبدًا تدبيرَ اللّه، في ما حقّقَه في أعمالِه، أو تَستَفسِرَهُ عمّا فعَلَ. مهما كانت مشيئَةُ اللّه في تنظيمِ خَليقتِه، فليكُنْ حمدُ اللّه بُرهانًا لكَ على طبيعَةِ اللّه ذاتِها. اللّه لا يفعَلُ شيئًا مِنْ دُونِ فِكرٍ وبِرّ. لقد خلَقكَ لا مِنْ أجلِ مُناقشَتِه، بَلْ مِنْ أجلِ إكرامِه. فهُو لَم يَشأْ أنْ تكُونَ قاضِيَ أعمالِه، بلْ خادِمًا عامِلاً بأوامِره. إنّه مِنْ مِيزاتِ السَّيِّدِ الصّالِحِ أنْ يُنبِئَ بكُلِّ ما يَتعلَّقُ بفائِدَةِ الخادِمِ. فضلاً عَنْ ذلِكَ، إنّه مِن مِيزاتِ الخادِمِ الصّالِحِ أنْ يَعملَ بأمانَةٍ، وأنْ لا يُناقِشَ أعمالَ السَّيِّدِ. عمَلٌ غيرُ كامِلٍ حولَ متّى، الموعظةُ ٢٨.[١١]

١١:٢٧ ولا أحدَ يَعرِفُ الآبَ إلاَّ الابنُ

كُلُّ شَيءٍ أُعطِيَ لِي مِنْ أبي. جيروم: الآبُ يُودِعُهُ، والابنُ يَتَسلَّمُهُ... كُلُّ شَيءٍ سُلِّمَ إلى الابنِ، لكِنْ، لا يَقصِدُ هُنا السَّماواتِ والأرضَ والعَناصِرَ وكُلَّ الطَّبيعَةِ الّتي خلَقَها اللّه نَفسُهُ وأسَّسها، بلْ يُشيرُ شَخصيًّا إلى النّاسِ الّذينَ يَقتربونَ مِنَ الآبِ بالابنِ والّذينَ كانوا مُتمرِّدين مِنْ قبلُ. تفسيرُ متّى ٢.١١.٢٧.[١٢]

لا أحَدَ يَعرِفُ الآبَ إلاَّ الابنُ. هيلاريون: ولِئلاَّ نفترِضَ أنَّ ما فيهِ هُوَ أدنى مِمّا في اللّه،[١٣] قالَ يسوعُ إنَّ كُلَّ شيءٍ سَلَّمَهُ إليهِ أبُوهُ، فكانَ وحْدَهُ مَعرُوفًا عِندَ أبيهِ، وكانَ أبوهُ مَعرُوفًا عِندَه وحْدَهُ، أو عِندَ مَنْ شاءَ هُوَ أنْ يُعلِنَ لَهُ عَن أبيهِ. بهذا الإعلانِ أظهَرَ يَسوعُ أنَّ الجوهَرَ نفسَهُ الّذي للآبِ والابنِ وُجِدَ في مَعرِفَةِ الواحِدِ للآخرِ. مَنْ عرَفَ الابنَ عرَفَ الآبَ أيضًا في ابنِهِ، لأنَّ الآبَ سلَّمَهُ كُلَّ شيءٍ. وما مِنْ شيءٍ سُلِّمَ إليهِ سِوى ما هُوَ معرُوفٌ عِندَ الآبِ في الابنِ وحدَهُ، وما للآبِ عُرِفَ أنَّه أُعلِنَ في الابنِ وحدَه. في هَذا السِّرِّ للمَعرِفَةِ المُتبادلَةِ يُفهَمُ أنَّ ما هُوَ في الابنِ هُوَ في الآبِ. في متّى ١١.١٢.[١٤]

---

[٩] متّى ١١:٢٥-٣٠.
[١٠] LP Supp 3:865
[١١] PG 56:777
[١٢] CCL 77:86
[١٣] كولوسّي ١:١٥.
[١٤] SC 254:266

الابنُ يُعلِنُ نفسَهُ لِمَن يَشاءُ. الذَّهبيُّ الفَم: يَبدُو للجاهِلِ أنَّ هذا الكَلامَ لا يَتعلَّقُ بِمَا قَد تمَّ مِنْ قبلُ، لكِنَّه يَنسجِمُ مَعَهُ كُلَّ الانسِجَام. فالرَّبُّ يَسُوع بَعْدَ قَولِهِ «كُلُّ شَيءٍ سُلِّمَ إِلَيَّ مِنْ أبي» يُضيفُ: «وَمَا العَجَبُ إنْ كُنتُ أنَا رَبَّ كُلِّ شَيءٍ؟ فَلِيَ امتِيَازٌ أَعظَمُ وَهُوَ مَعرِفَةُ الآبِ، وَأنِّي مِنْ جَوهَرِه نَفسِه». نَعَم، إنَّه يُشيرُ ضِمنًا إِلَى هَذَا لكَونِهِ الأَوحَدَ الَّذي عَرَفَ الآبَ، فيَقُولُ: «لا أَحَدَ يَعرِفُ الآبَ إلاَّ الابنِ».

لاحِظْ في أيِّ وَقتٍ يَقُولُ هَذَا. لَمَّا تَلَقَّى التَّلاميذُ، عبر أعمالِهِ، البُرهَانَ الدَّامِغَ عَلَى قُدرَتِهِ، نَظَرُوا إِليهِ لا كَصَانِعِ العَجَائِبِ فَقط، بَل تَشَدَّدُوا أيضًا بِاسمِهِ بِقُوى عَظِيمَةٍ جِدًّا. وَلأَنَّه قَالَ «أَعلَنْتَها لِلأَطفَال» فَإِنَّه يَدُلُّ عَلَى أنَّ هَذَا الأَمرَ مَرهُونٌ بالسَّيِّدِ. إنجيلُ مَتَّى، الموعظةُ ٣٨.٢.[١٥]

كُلُّ شَيءٍ سُلِّمَ مِنَ الآبِ. كيرلُس الإسكندريّ: مَنْ رَأَى الابنَ الَّذي هُوَ صُورَةُ الآبِ في ذاتِهِ، رأى الآبَ نَفسَهُ. فَالابنُ يَكشِفُ عَنِ الآبِ وكَأَنَّهُ يَظهَرُ في نَمُوذَجِ الآبِ الأَوَّليِّ، مُعلِنًا هَذَا النَّمُوذَج في شَكلِهِ. هَذِهِ الأُمورُ سَتكونُ مَفهُومَةً بِمَا يَلِيقُ باللهِ. قَالَ: «كُلُّ شَيءٍ سُلِّمَ إِليَّ» لكَي يُشَدِّدَ عَلَى أَنَّهُ لَيسَ مِنْ رُتبَةٍ مُختَلِفَةٍ أو أدنَى مِنَ الآبِ. أَضَافَ يَسوعُ هَذَا القَولَ ليُظهِرَ أنَّ طَبيعَتَه لا تُوصَفُ وَلا تُدرَكُ كَطَبِيعَةِ الآبِ، إذ إنَّ الطَّبيعَةَ الإلَهيَّةَ للثَّالُوثِ تُدرِكُ نَفسَهَا. الآبُ وَحْدَهُ يَعرِفُ ابنَهُ، ثَمَرَةَ طَبيعَتِهِ. الابنُ الإلَهيُّ يَعتَرِفُ بِمَن وَلَدَهُ. الرُّوحُ القُدُسُ وَحْدَهُ يَعرِفُ أَعمَاقَ اللهِ، أي فِكرَ الآبِ والابنِ. المقطعُ ٤٨.[١٦]

١١:٢٨-٢٩ رَاحَةٌ لأَنفُسِكم

تَعَلَّمُوا مِنْ وَدَاعَتي. أُوغسطين: عَلَيكُم «أَنْ تَحمِلُوا نِيري، وَتَتَعَلَّمُوا مِنِّي»،(١٧) لا أَنْ تتَعلَّمُوا كَيفَ تُعِيدُونَ تَجدِيدَ نَسيجِ العَالَمِ، ولا كَيفَ تَخلقُونَ كُلَّ مَا يُرَى وَمَا لا يُرَى... تعرِفُونَ أَنَّني «وَديعٌ وَمُتواضِعُ القَلبِ». إِذَا كُنتُم ترغَبُونَ في أَنْ تَرتَفِعُوا عَاليًا، ابدَؤُوا مِنَ البِنيَةِ التَّحتِيَّةِ المُستَويَاتِ. إِذَا كُنتُم تُحَاوِلُونَ أَنْ تَبنُوا صَرحًا عَظِيمًا مُرتَفِعًا، فَإِنَّكُم سَتَبدَؤُونَ بِالأَسَاس. هَذا هُوَ التَّوَاضُعُ. عَظِيمٌ حَجمُ البِنَاءِ الَّذي تَرغَبونَ في تَصميمِهِ أَو تَشْيِيدِهِ. فَكُلَّمَا كَانَ البِنَاءُ شَامِخًا كَانَ الأَسَاسُ أَعمَق. البِنَاءُ يُعْلَى،

---

[١٥] PG 57:430; NPNF 1 10:252

[١٦] MKGK 200

[١٧] متّى ١١:٢٩.

لَكِنَّ الَّذي يَحفِرُ يُعمِّقُ الأَسَاسَ كَثيرًا. فَأَنت تَرى بِنَاءً مُنخَفِضًا قبلَ أَنْ يَعلُوَ، وَتَرى البُرج يَرتَفِعُ فَقَط بَعدَ أَنْ يَكُونَ قَدِ انخَفَضَ. موعظة ٦٩.٢.[١٨]

سَتَجِدونَ رَاحَةً. كيرلُّس الإسكندريّ: مَنْ استَجَابَ إِلَى الدَّعوَةِ، وَاقتَرَبَ من الآمِرِ، نَالَ الرَّاحَةَ. يَقُولُ ابتَعِدُوا عن مَحبَّةِ الخَطِيئَةِ وَمَحَبَّةِ الجَسَدِ. إهتَمُّوا بِفِعْلِ أَفعَالٍ جَدِيرَةٍ بِالثَّنَاءِ. إقتَرِبُوا مِنِّي لكَي تُصبِحُوا شُرَكَاءَ في الطَّبيعَةِ الإِلَهِيَّةِ وَفي الرُّوحِ القُدُس. يَسُوعُ دَعَا الجَمِيعَ، لا شَعبَ إسرائيل فَقَط. وَكَخَالِقِ الكُلِّ وَالرَّبِّ تَكَلَّمَ إِلَى اليَهُودِ المُتعَبِينَ الَّذينَ أَنهَكَهُم حَمْلُ نِيرِ الشَّرِيعَةِ. تكَلَّمَ إِلَى الوَثَنِيِّينَ المُتعَبِينَ، الَّذين يُعَذِّبُهُم إبليسُ وَالرَّازِحِينَ تَحتَ ثِقلِ خَطَايَاهُم. قَالَ: «أَيُّها اليَهُودُ، انحَنُوا أَمَامَ الحَقِّ. إعتَرِفُوا بِحَافِظِكُم وَرَبِّكُم. اقتَنُوا رِبحَ مَجِيئي إِلَيكُم. فَأَنَا حَرَّرْتُكُم مِنْ عُبُودِيَّةِ الشَّرِيعَةِ الَّتي فِيهَا الكَثِيرُ مِنَ التَّعَبِ، وَأَنتُم عَاجِزُونَ عَن إتمَامِهَا بِسُهُولَةٍ، فَتتَرَاكَمُ نَتِيجَةً لِذَلِكَ أَعبَاءٌ عَظِيمَةٌ مِنَ الخَطَايَا على أَنفُسِكُم». المقطع ١٤٩.[١٩]

١١:٣٠ نِيرِي هَيِّنٌ وَحِملي خَفِيفٌ

حِملِي خَفِيفٌ. أبوليناريوس: لِمَاذا سَمَّى «الطَّرِيقَ» «ضَيِّقًا» إذا كَانَ النِّيرُ هَيِّنًا وَالحِملُ ثقِيلاً؟ إِنَّه ضَيِّقٌ عِندَ سَاقِطِ الهِمَّةِ، لأَنَّ أَوَامِرَ الرَّبِّ هَيِّنَةٌ عِندَ الدَّؤوبِ. فَحَتَّى لَو كَانَ فِيهَا تَعَبٌ جَسَدِيٌّ لمدَّةٍ قَصِيرَةٍ، فَالمُغتَذِي بِالآمَالِ الصَّالِحَةِ هُوَ التَّقِيُّ الَّذي يَحمِلُهَا بِسُهُولَةٍ. المقطع ٦٧.[٢٠]

كَيفَ يَختَلِفُ نِيرُ المَسِيحِ عَن نِيرِ مُوسَى. ثيودور المبسوستيّ: كَيفَ يَطلُبُ هُوَ نَفسُهُ دَرَجَةً عَالِيَةً مِنَ الصَّرَامَةِ؟ يُجِيبُ: «لَمْ تَكتَسِبُوا خِبرَةً فِي مَا يَخُصُّني، وَلِهَذَا السَّبَبِ أَنتُم تُفَكِّرُونَ عَلَى هَذَا النَّحْوِ. لَكِنْ، إِذَا حَمَلتُم نِيرِي وَآمَنتُم بِمَا أُعطِيهِ لَكُم، فَإِنَّكُم سَتَجِدونَ فَرقًا كَبيرًا بَينَ مَا هُوَ مِنِّي وَبَينَ مَا هُوَ مِنْ مُوسَى. مِنّي صَبرٌ وَلُطفٌ عَظِيمٌ. وَمعَ أَنِّي رَأَيتُ حَجمَ الخَطَايَا–مِن قَتلٍ وَأَثَرَةٍ وَأُمورٍ مكرُوهَةٍ أَكثَر مِن تِلكَ –فَإِنَّني طَوِيلُ الأَنَاةِ، أَتَحمَّلُ الَّذينَ يَفعَلُونَ هَذِهِ الآثَامَ، مِن دَونِ أَنْ أَحتَقِرَهُم، وَأَنتَظِرُ تَوْبَتَهُم. فَإِذَا تَابُوا وَغَيَّرُوا نَهجَهُم، أَصفَحُ عَنهُم، مُتَغَاضِيًا عَن أَعمَالِهِم السَّابِقَةِ. لَكِنَّ شَرِيعَةَ مُوسَى تَختَلِفُ كُلَّ الاختِلافِ. فَعِندَمَا يُخطِئُ المرءُ تُعَاقِبُه فَورًا. فَهِيَ لا تُقِيمُ وَزنًا لِلتَّوبَةِ، وَلا تَعِدُ بِالغُفرَانِ. أَمَّا أَنَا

[١٨] LP 83:144; NPNF 1 6:315 (Sermon19)

[١٩] MKGK 102

[٢٠] MKGK 91

فأطلبُ النِّيَّةَ، ولا أهتمُّ بما حدَثَ. بالنِّسبَةِ إليَّ، يكفِي أنْ تختارَ النَّفسُ ما هُوَ صالِحٌ بنيَّةٍ طاهِرَةٍ. لكِنَّ الشَّريعَةَ تُنزلُ العُقُوباتِ بسَبَبِ أُمُورٍ تافِهَةٍ، وتُبسِلُ المُخالِفِينَ. نيري لَطِيفٌ بسَببِ الغُفْرانِ، وحِملِي خَفِيفٌ، لأنه لَيسَ مجمُوعَةً مِنَ الشَّرائِعِ والشَّعائِرِ المُتَعَدِّدَةِ، بل هُوَ خَيارُ النَّفسِ». المقطعُ ٦٧.[٢١]

ماذا يجعَلُ النِّيرَ هَيِّنًا. أبيفانيوس اللاَّتينيّ: فليَطْرَحْ كُلُّ مُريدٍ للحَياةِ وَراغِبٍ في الأيَّامِ الصَّالِحَةِ، عَنهُ نِيرَ الإثمِ وَالشَّرِّ. يَقُولُ النَّبيُّ: «لنَكْسِرْ قُيودَهُمَا وَلْنُلق عنَّا نِيرَهُمَا».[٢٢] فَإنْ لَمْ يُلقِ المرءُ عنهُ نِيرَ الشَّرِّ، أي نارَ الشُّرورِ، يَعجَزْ عَنْ أنْ يَحمِلَ نِيرَ المَسيحِ الخَفِيفَ وَاللَّطِيفَ. لكِنْ، إذا كَانَ نِيرُ المَسيحِ لَطِيفًا، خَفِيفًا، فَكَيفَ يَبدُو الدِّينُ المُقدَّسُ قاسِيًا وَمُرًّا عِندَ بَعضِ النَّاسِ؟ إنَّه مُرٌّ عِندَ بَعضِهِم، لأنَّ القَلبَ الَّذي تدنَّسَ برَغَباتٍ دُنيَويَّةٍ لا يَستَطِيعُ أنْ يُحِبَّ الأُمُورَ السَّماويَّةَ. إنَّه لَمْ يَصِلْ إلى المَسيحِ ليَحمِلَ نِيرَهُ وَيتَعَلَّمَ أنَّه لَطِيفٌ وَمُتَواضِعُ القَلبِ.

هَكَذا نُلاحِظُ، أيُّها الأَحِبَّةُ، مِنْ تَعلِيمِ رَبِّنَا، أنَّ مَنْ لا يَكُونُ لَطِيفًا وَمُتَواضِعَ القَلبِ، يَعجَزُ عَنْ حَمْلِ نِيرِ المَسيحِ. تَفسيرُ الأَناجيلِ ٢٦.[٢٣]

النِّعمَةُ تَحمِلُنا. كَاتِبٌ مَجهُولٌ: «نيري هَيِّنٌ وَحِملِي خَفِيفٌ»... يَقُولُ النَّبيُّ عَن أَعباءِ الأَثَمَةِ: «آثَامِي جَاوَزت رَأسِي وَثَقُلَت كَحِملٍ أثقَلَ مِنْ طَاقَتي...»[٢٤] «إحمِلُوا نِيرِي، وَتَعلَّمُوا مِنِّي، فَأَنَا وَدِيعٌ وَمُتَواضِعُ القَلبِ». يَا لَهُ مِنْ حِملٍ خَفِيفٍ يُقَوِّي كُلَّ مَنْ يَحمِلُهُ! أمَّا حِمْلُ السَّادَةِ الدُّنيَويِّينَ فَإِنَّه يُدَمِّرُ تَدرِيجِيًّا قُوَّةَ خَدَمِهِم، لَكِنَّ حِمْلَ المَسيحِ يُسَاعِدُ مَنْ يَحمِلُهُ، لأنَّنا لا نَحمِلُ النِّعمَةَ، بَلِ النِّعمَةُ تَحمِلُنَا. نَحنُ لا نُسَاعِدُ النِّعمَةَ، بَلِ النِّعمَةُ أُعطِيناها لتُسَاعِدَنَا. عَمَلٌ نَاقِصٌ حَولَ مَتَّى، الموعظَةُ ٢٩.[٢٥]

[٢١] 811 KGKM

[٢٢] مزمور ٢: ٣.

[٢٣] 66-568:3 ppuS LP

[٢٤] مزمور ٣٨: ٥ (٣٧: ٥).

[٢٥] 087:65 GP

١٢: ١-٨ سُؤالٌ عَنِ السَّبتِ

[١] وفي تِلكَ الأيّامِ مرَّ يَسوعُ في السَّبتِ بينَ الزُّروعِ، فَجاعَ تلاميذُهُ. فأخَذوا يقطُفونَ

السُّنبُلَ ويأكُلونَ. ٢فلمّا رآهُمُ الفرّيسيّونَ قالوا لِيَسوعَ: «ها إنَّ تلاميذَكَ يَعمَلونَ ما لا يَحِلُّ أنْ يُفعَلَ في السَّبتِ». ٣فأجابَهُم يَسوعُ: «أما قرأتُمْ ما عَمِلَ داودُ حينَ جاعَ هوَ والذين معه؟ ٤كيفَ دخَلَ بَيتَ اللّهِ، وكيفَ أكلُوا خُبزَ القُربانِ، وأكْلُهُ لا يَحِلُّ لَهُ ولا للّذين معه، بل لِلكهَنَةِ وحدَهُم؟ ٥أوَما قرأتُم في الشريعةِ أنَّ الكهنةَ في السَّبتِ يَنتَهِكونَ حُرمَةَ السَّبتِ في الهَيكَلِ،

ولا ذنبَ علَيهِم؟ ٦وأنا أقولُ لكُم: هُنا من هوَ أعظَمُ مِنَ الهَيكَلِ. ٧ولو فَهِمتُمْ مَعنى هذا (القول): أُريدُ رَحمَةً لا ذَبيحةً، لَما حكَمتُم على مَنْ لا ذنبَ علَيهِ. ٨فابنُ الإنسانِ هوَ ربُّ السَّبتِ».

نَظرَةٌ عَامَّةٌ: أُعطِيَ السَّبتُ ليُذَكِّرَ النَّاسَ أَنَّ اللهَ الخَالِقَ استَرَاحَ مِنْ عملِهِ، وَعلَينَا نَحنُ أَنْ نَقتَدِيَ بِهِ (ثيودور أُسقف هيراقلية). لَم يُحَاوِلِ المَسيحُ أَنْ يُبطِلَ السَّبتَ، بَلْ، عَلَى العَكسِ، أَعْطَاهُ أَهمِّيَّةً كُبرَى. حَانَ الوَقتُ لأَنْ يَتَدَرَّبَ كُلُّ امرِئٍ مَعَ المسيحِ عَلَى بُلُوغِ الأَسمَى (الذَّهَبِيُّ الفم، هيلاريون). إِنَّه لَمْ يُخَالِفِ الشَّرِيعَةَ إِلاَّ لسَبَبٍ وَجِيهٍ. أَعطَى دَائِمًا مُبرِّرًا لمُخَالَفَتِهِ. كَانَت غَايَتُه مِنْ قَطفِ السُّنبلِ وَأَكلِهِ في السَّبتِ أَنْ يُغَيِّرَ الشَّرِيعَةَ القَدِيمَةَ، لَكِنْ لَيس عِبْرَ التَّحَدِّي وَالتَّمَرُّدِ (الذَّهَبِيُّ الفم). يَبْقَى الفَرِّيسِيُّونَ هَادِئِينَ عَندَمَا لا يَحدُثُ شيءٌ عَظِيمٌ. لَكِنْ، عِندَمَا يَرَونَ مُعجِزَاتِ الشِّفَاءِ يُهَانُونَ (كيرلُس الإسكندريّ). هُم أَنفُسُهُم انتَهَكُوا السَّبتَ بتَقدِيمِ الذَّبائحِ في الهَيكَلِ أَيَامَ السَّبْتِ (جيروم). كَانت غَايَةُ يَسوعَ أَنْ يُفْهِمَ تَابِعِيْهِ أَنَّ قَطفَ السُّنبُلِ في السَّبتِ لَيسَ خَطِيئَةً. إِنَّ المَسِيحَ وَاضِعَ النَّامُوسِ المَسِيَانِيِّ يَتَجَاوَزُ حُدُودَ الشَّرِيعَةِ. فَالَّذِينَ كَانُوا ذَوِي دَعوَةٍ خَاصَّةٍ عَكَسُوا ذَلِكَ فِي الزَّمَانِ وَالمَكَانِ: دَاخِلَ الهَيكَلِ في السَّبتِ، مِنْ قِبَلِ الكَهَنَةِ (الذَّهَبِيُّ الفم). أَظهَرَ يَسوعُ بوُضُوحٍ أَنَّه هُوَ نَفسُهُ كَانَ الهَيكَلَ (هيلاريون).

١٢: ١ فأَخَذَ تلاميذُه يَقطُفونَ السُّنبُلَ ويأكُلونَ

بينَ الزُّروعِ. هيلاريون: يَجِبُ أَنْ نُشيرَ أَوَّلاً

إلى مطلعِ هذَا الكلامِ: «وفي تلكَ الأيّامِ مرَّ يسوعُ بينَ الزُّروعِ». في هذا الوقتِ شكَرَ يسُوعُ اللهُ الآبَ الَّذي أَعطَى للنَّاسِ خلاصًا. المعنَى ذاته مُقدَّمٌ في مَا حدَثَ مِنْ قبلُ (شكرُهُ)، ومَا حدَثَ مِنْ بعدُ (مُرورُهُ في الزُّروعِ). لاحِظِ العَلاقَاتِ. عِندَمَا تنظُرُ إلَى النَّصِّ نَظرةً رُوحانيَّةً، ترَى أنَّ الأَرضَ هِي العَالمُ، والسَّبتَ هُو يومُ الرَّاحَةِ، والزَّرعَ هُوَ تأثِيرُ مُؤمِني المُستقبَلِ في الحصَادِ. لمَّا خرَجَ إلَى الحقلِ في السَّبتِ، في يومِ الرَّاحةِ تَحتَ شَريعَةِ اللهِ، قدِمَ إلَى هَذا العَالمِ لزِيَارَةِ الحصَادِ، أي الحقلِ الَّذي زرعَهُ الجِنسُ البَشريُّ. وبِمَا أنَّ الجوعَ هُوَ الرَّغبَةُ في إنقاذِ البَشرِ، يُسَارِعُ التَّلاميذُ إلَى قَطفِ السُّنبُلِ، وهُم الشَّعبُ المُقدَّسُ، ليمتلِئَ خلاصًا. لكِنَّ السُّنبُلَ لَمْ يكُنْ ناضِجًا للاستِهلاكِ. الحصَادُ شديدُ الإيمَانِ بالأَحداثِ المُستقبلَةِ. فقُدرَةُ الكَلامِ المُضافَةُ تُكمِلُ السِّرَّ الَّذي يتَضمَّنُ الجُوعَ والكَمالَ. في متَّى ٢.١٢.[1]

كَانَ تلاميذُه جياعًا. الذَّهبيُّ الفَم: لِمَاذا مَرَّ بهم السَّيِّدُ مِنْ هُناكَ، وهُوَ العَارفُ مُسبقًا بكُلِّ شيءٍ؟ أليسَ هذا لأنَّ إرادتَه هي أنْ ينقُضَ السَّبتَ؟ حقًّا كَانَتْ إرادتُهُ هكَذا، إنَّمَا ليسَ ببَساطةٍ: فهُو لمْ ينقُضِ السَّبتَ من دُونِ دَاعٍ، إنَّمَا كَانَ يُقدِّمُ تبريرًا معقُولاً، ليُنهِيَ الشَّريعَةَ مِنْ غيرِ أن يُفزِعَهُم. قدْ أَلغَى مرَّةً السَّبْتَ من دُونِ داعٍ، وذَلِكَ عِندمَا مسَحَ بالطِّينِ عينَ الأعمَى؛ قالَ: «أَبي يَعمَلُ حتَّى الآنَ وأنا أعمَلُ».[2] يفعَلُ السَّيِّدُ هكَذا حتَّى يُمَجِّدَ أَباه ويُخَفِّفَ من عَيبِ اليَهُودِ. ومَا يُهَيِّئُهُ هُنَا هُوَ تقديمُ ضرورةِ الطَّبيعَةِ كَذريعَةٍ؛ مَع أنَّ هَذا لا يُمكِنُ أنْ يكُونَ تبريرًا للخَطَايَا المُعترَفِ بِهَا. إنجيلُ متَّى، الموعظة ٣٩.[3]

٢:١٢ لا يَحِلُّ في السَّبتِ

رأَى الفرِّيسيُّونَ ذلكَ. كيرلُّس الإسكندريّ: يَبقَى الفرِّيسيُّون هادِئِين طَالمَا لا يحدُثُ شيءٌ عَظِيمٌ وبارِزٌ. لكِنْ، عِندَمَا يرَونَ بعضَ النَّاسِ يخلُصونَ يتَضايقُونَ أكثرَ منْ أيِّ شخصٍ آخرَ. هَكَذا هُم أعداءُ خَلاصِ البَشرِ، وجَاهِلُو الكِتَابِ المُقدَّسِ. أعلَنَ إرميا قديمًا أنَّ العَهدَ الجَديدَ يَختَلِفُ عَنِ العَهدِ القَديمِ، ولِذَلِكَ علينا، بكُلِّ تأكِيدٍ، أنْ نَستَعمِلَ الشَّرائعَ الجَديدَةَ لا الشَّرائعَ القَديمَةَ. لَكِنَّ الفَرِّيسيِّينَ أَبَوْا إدراكَ ذَلِكَ، فوَضعُوا أشراكًا للتَّلامِيذِ القدِّيسين وشكَوهُم للمَسيحِ: «هَا

---

[1] CS 072:452
[2] يوحنّا ٥: ١٧.
[3] GP 75:334-43; NPNF 1 10:255

إنَّنا نَرى أنَّ الَّذينَ قَد رَبَّيتَهُم يُخالِفونَ أحكامَ الشَّريعَةِ. فَحِينَ تأمُرُ الشَّريعَةُ الجَميعَ بأَنْ يَستَريحُوا في السَّبتِ، وَأَنْ لا يَقومُوا بأَيِّ عَمَلٍ، فَإِنَّ تَلاميذَكَ يَقطُفُونَ السُّنبُلَ بأَيديهِم». لكِنْ، يا أَيُّها الفرِّيسيُّ، قُلْ لِي، أَلا تَكسِرُ الخبزَ عِندَمَا تُعِدُّ مَائِدَةَ السَّبتِ لنَفسِكَ؟ المقطع ١٥٢.[٤]

١٢: ٣-٤ خُبزُ القُربَانِ

أَكلَ دَاوُدُ خُبزَ القُربَانِ. جيروم: لدَحضِ ادِّعَاءَاتِ الفرِّيسيِّينَ ذَكَرَ التَّاريخُ أَنَّ دَاوُدَ هَرَبَ مِن شَاوُلَ وَجَاءَ إلَى نُوبٍ.[٥] عِندَمَا استَقبَلَهُ أَخِيمَالِكُ الكَاهِنُ طَلَبَ مِنهُ داوُدُ طَعَامًا. وَلَمَّا لَمْ يَكُنْ عِندَ أَخِيمَالِكَ خُبزٌ عَادِيٌّ، أَعطَاهُ خُبزًا مُقَدَّسًا يَحِلُّ أَكلُهُ للكَهَنَةِ وَاللاَّوِيِّينَ وَحْدَهُم. سَأَلَ الكَاهِنُ مَا إذَا استَعَفَّ الشُّبَّانُ عَنْ نِسَائِهِم، فَتَلَقَّى الجَوابَ: إِنَّهُم استَعَفُّوا «مُنذُ البَارِحَةِ وَأَوَّلِ البَارِحَةِ».[٦] لَمْ يَتَرَدَّدْ عِندَهَا أخيمالك في أَنْ يُعطِيَهُم الخُبزَ، لأَنّه ظَنَّ أَنَّ ذَلِكَ هُوَ حَسَنٌ، مُتَذَكِّرًا قَولَ النَّبيِّ «أُرِيدُ رَحمَةً لا ذَبيحَةً».[٧] وَنَظَرًا إلى خَطَرِ الجُوعِ، اختَارَ أَخِيمَالِكُ مُسَاعَدَةَ النَّاسِ عَلَى تَقديمِ الذَّبَائحِ للّه. الضَّحِيَّةُ الَّتي تُرضِي اللّه هِيَ خَلاصُ الإنسَانِ. إِذَا كَانَ دَاوُدُ يُبَرِّرُ بمُخَالَفَةِ الشَّريعَةِ إعطاءَهُ دَاوُدَ خُبزَ التَّقدِمَةِ فَلَمْ يَكُنْ جُوعُ التَّلاميذِ غَيرَ مَقبُولٍ وَجوعُ غَيرِهِم مَقبُولاً؟ لَقَد قَطَفَ التَّلاميذُ المُتَضَوِّرُونَ جُوعًا السُّنبُلَ في السَّبتِ، وأَكَلَ دَاوُدُ خُبزَ اللاَّوِيِّين.... لاحِظْ أَنَّ لا دَاوُدُ ولا الشُّبَّانُ اقتَاتُوا خُبزَ القُربَانِ إلاَّ بَعدَ أَن اعتَرَفُوا بأَنَّهُم استَعَفُّوا عَنْ نِسَائِهِم. تَفسيرُ متَّى ٢.١٤.٤.[٨]

١٢: ٥ الكَهَنَةُ في الهَيكَلِ

كَهَنَةٌ لا لَومَ فِيهِم. الذَّهَبِيُّ الفَم: لا تَقُلْ لِي إِنَّ تَبرِئَةَ المرءِ مِنَ اللَّومِ يَكُونُ بارتِكَابِ الآخَرِ الخَطِيئَةَ عَينَهَا. عِندَمَا لا يَتَعَرَّضُ الفَاعِلُ للَّومِ يَصيرُ الفِعلُ الَّذي أَقدَمَ عَلَيهِ قَاعِدَةً لتَبريرِ الآخَرِينَ.

فَالسَّيِّدُ لَم يَكُنْ رَاضِيًا بذَلِكَ، لذَلِكَ يُضِيفُ مَا هُوَ أَكثَرُ أَهَمِّيَّةً قَائلاً: إِنَّ الفِعلَ لَيسَ خَطِيئَةً عَلَى الإطلاقِ؛ وَهَذَا كَانَ نَصرًا مُبينًا، إذ أَشَارَ إِلَى الشَّريعَةِ الَّتي تُلغِي ذاتها بطَريقَتَين: الأُولَى بوَاسِطَةِ المَكَانِ، الثَّانِيَةُ

[٤] 2-102 KGKM

[٥] ١ صموئيل ٢١: ١- ٩.

[٦] ١ صموئيل ٢١: ٥.

[٧] هوشع ٦:٦.

[٨] 88:77 LCC

بوَاسِطةِ السَّبتِ؛ وعلى الأصحِّ بثلاثِ طرائق، لأنَّ كلاًّ مِنَ العملِ الَّذي تمَّ هُوَ مُضاعَفٌ، وَمعَهُ يَحدُثُ شيءٌ آخر أيضًا، كَونه تمَّ عَلَى يَدِ الكهنَةِ؛ وَمَا هُوَ أهمُّ هُوَ أنَّ الأمر مَا وَرَدَ كَلَوم، إذ يَقُولُ «هُم أبرياء».

أوَرأيتَ كثْرَةَ النِّقاطِ الَّتي ذكرَها السَّيِّدُ؟ ذكَرَ المكانَ قائلاً «في الهيكل»؛ وذكَرَ الأشخاصَ أي «الكهنة»؛ وذكَرَ اليومَ أي «السَّبت». في شأنِ التَّدنيس لمْ يَقُلْ «ينقُضُونَ»، بلْ قالَ مَا هُوَ أشدُّ قُبحًا: «يُدنِّسونَ»، لا لينجُوا مِنَ العقابِ فحسْب، بلْ ليكُونُوا أيْضًا بلا لَوم، إذ يَقُولُ: «هُم أبرياء».

يَقُولُ: لا تَحسبُوا هَذَا مُشابهًا لِمَا حدَث مِنْ قبلُ، فتلكَ الحادِثةُ جرَت مرَّةً واحِدةً، لا عَلَى يَدِ كاهِنٍ، وكَانت نَابعةً مِن ضَرورةٍ؛ لِهَذا استحقُّوا المُسامحَةَ؛ أمَّا هذه فتتِمُّ كلَّ سبتٍ وَعلَى يَدِ الكهنَةِ وَفي الهيكلِ وَحسَبَ الشَّريعَةِ. لِهَذَا فهُم مُعفَون مِنَ التُّهَم شرعًا لا مُسامحَةً. يَقُولُ السَّيِّدُ: لَمْ أقُلْ هذا للَوْمِهم، أو لإعتاقِهم مِن العِلَّةِ تَسامُحًا، بلْ عَمَلاً بمَبادئِ العَدل. تفسيرُ متّى، الموعظة ٢.٣٩.[9]

كَيفَ يُدنِّسُ الكَهنَةُ الهَيكلَ. جيروم: يَقُولُ يَسُوعُ: أنتُم تتَّهِمُونَ تلاميذي زُورًا، لأنَّهُم يقطفُونَ السُّنبُلَ فِيما هُم يَمُرُّونَ في الزُّرُوعِ. إنَّهُم فعَلُوا ذلِكَ لأنَّهُم كانُوا يتضَوَّرون جُوعًا. أمَّا أنتُم فتَستَبيحُونَ السَّبت بتَضحِيَةِ الذَّبائحِ في الهَيكلِ، وأنتُم تنْحَرون العُجُول وتُشعِلُونَ المُحْرَقة على مَوقِدِ النَّارِ. وَبِحسَبِ شَهادَةِ الإنجيلِ الآخَرِ فَأنتُم تَختِنُونَ الأولادَ في السَّبتِ،[10] فيتدنَّسُ السَّبتُ فِيمَا ترغبُونَ في العمَلِ بشَرِيعةٍ وَاحِدَةٍ. إنَّ وَصَايا اللهِ لا تتَعارَضُ. تفسيرُ متّى ٢.١٢.٥.[11]

٦:١٢ أعظَمُ منَ الهَيكل

المَسيحُ هُوَ الهَيكَلُ. هيلاريون: ذكَّرَ المَسيحُ الفَرِّيسيِّين أيضًا بِنُبُوَّةٍ أُخرَى، ليَعلَمُوا أنَّ كلَّ مَا نَطَقَ به من قبلُ تحقَّقَ فِيهِ بالشَّريعَةِ. ذَلِكَ أنَّ الكَهنَةَ في الهَيكلِ نكثُوا السَّبت بلا لَوم، مُظهِرًا بوُضُوحٍ أنَّ يَسوعَ نَفسَهُ كَانَ الهيكَل. فِيه أُعطِيَ الخلاصُ للأُممِ عبر تعليمِ الرُّسُلِ، فِيمَا هَامَ الشَّعبُ المُقيَّدُ بالشَّريعَةِ بلا إيمَانٍ. إنَّه هُوَ نَفسُهُ أعظَمُ مِنَ السَّبتِ. فالإيمَانُ الإنجيلِيُّ

---

[9] 652:01 1 FNPN ;534:75 GP

[10] يوحنّا ٧: ٢٢- ٢٣.

[11] 98:77 LCC

المَعْيُوشُ في المَسيحِ يَعلُو عَلَى الشَّريعَةِ. في متَّى ١٢. ٤.[١٢]

٧:١٢ لا تحكَموا علَى مَنْ لا ذَنْبَ عليهِ

لَو عَرَفتُم. هيلاريون: لكَي يُبيِّنَ أَنَّ ظُهُورَ عَملِهِ توقّعَ كُلَّ قُوَّةِ الأُمُورِ الآتِيَةِ، أضافَ: «إذَا فَهِمْتُم مَا يَعنيهِ القَولُ: «أُريدُ رَحمَةً، لا ذَبيحَةً»، لَمَا حكَمتُم عَلَى البَريءِ». خَلاصُنَا لا يكُونُ في الذَّبيحَةِ، بَلْ في الرَّحمَةِ. لَمَّا صَارَتِ الشَّريعَةُ لاغِيةً أصبَحَ خَلاصُنا مُرتَبِطًا بصَلاحِ اللّه. فَلو فَهِمُوا هَذَا القَولَ لَمَا حكَمُوا عَلَى البَريءِ، وَلَمَا أدَانُوا الرُّسُلَ زُورًا وَحَسَدًا، واتَّهمُوهُم بمُخَالَفَةِ الشَّريعَةِ. لَمَّا تَوَقَّفَتْ مُمَارَسةُ تَقديمِ الذَّبَائحِ أصبَحَت الرَّحمَةُ مَعرُوفَةً بوُضُوحٍ أكبَر. لَو عَرَفُوا هَذَا لَمَا ظَنُّوا أَنَّ رَبَّ السَّبتِ كَانَ مُقيَّدًا بشَريعَةِ السَّبتِ. في متَّى ١٢. ٥.[١٣]

رَحمَةً لا ذَبيحَةً. الذَّهَبيُّ الفم: إنَّ المُؤمِنينَ لَيسُوا كَهنَةً، لَكِنَّهُم أعظَمُ مِن كَهنَةٍ. فَربُّ الهيكَلِ نَفسُهُ حَاضِرٌ هُنَا، الحَقيقَةُ لا الرَّمزُ. لِهَذَا قَالَ: «وَلكِنْ، أَقولُ لَكُم إنَّ هَهُنَا مَنْ هُوَ أعظَمُ مِنَ الهَيكَلِ». رَهيبَةٌ هِيَ الأقوَالُ الَّتي سَمِعُوهَا، وَلَمْ يُعلِّقُوا عَلَيهَا، لأَنَّ خَلاصَ البَشَرِ لَمْ يَكُنْ هَدَفَهُم. قَد يَثقُلُ الحَديثُ عَلَى السَّامِعينَ، غَيرَ أَنَّ السَّيِّدَ يُسْدِلُ للحِينِ سِتَارًا عَلَيهِ، ويُوَجِّهُ كَلامَهُ باتِّجَاهٍ مُتَسَامِحٍ، ويَقُولُ بصَوتٍ مُؤنِّبٍ هَكَذَا: «لَو عَلِمتُم أَنِّي أُريدُ رَحمَةً لا ذَبيحَةً لَمَا حكَمْتُم عَلَى مَنْ لا لَومَ عليهِم». أورَأيتَ كَيفَ يُوَجِّهُ كَلامَهُ باتِّجَاهٍ مُتَسامِحٍ، مُشيرًا إلَى أَنَّ الكَهنَةَ بَعيدُونَ كُلَّ البُعدِ عَنِ التَّسَامُحِ. إنجيلُ متَّى، الموعظةُ ٣٩. ٢.[١٤]

٨:١٢ رَبُّ السَّبتِ

شَريعَةُ السَّبتِ. الذَّهَبيُّ الفَم: «ابنُ الإنسَانِ هُوَ رَبُّ السَّبتِ» هَذَا مَا قَالَه عَن نَفسِهِ. لَكِنَّ مَرقُسَ يَنسِبُ إلَيهِ أنَّه قَالَ هَذَا عَنْ طَبيعَتِنَا المُشتَركَةِ مَعَهُ، إذ قَالَ: «إنَّ السَّبتَ جُعِلَ للإنسَانِ، ولَم يُجعَلِ الإنسَانُ للسَّبتِ».[١٥] لِمَاذَا عُوقِبَ مَنْ كَانَ يَجمَعُ الحَطَبَ (في يَومِ السَّبتِ)؟ لأَنَّ الازدِرَاءَ بالشَّرائِعِ لَو تَمَّ في البَدءِ لتَعَسَّرَ الحفَاظُ عَليهَا بَعدَ ذَلِكَ.
كَانَت للسَّبتِ في البَدءِ فَوَائِدُ كَثيرَةٌ وَعَظِيمَةٌ. إنَّه مثلاً جَعَلَ أَبنَاءَ الشَّريعَةِ مُتَرَفِّقِينَ بأَهْلِ بَيتِهِم وَمُحِبِّينَ للبَشَرِ، وعَلَّمَهُم عِنَايَةَ اللّه

(١٢) 272:452 CS
(١٣) 272:452 CS
(١٤) 75-652:01 1 FNPN ;634:75 GP
(١٥) مرقس ٢: ٢٧.

بَخلقِه، كمَا يَقُولُ حزقيَالُ،[١٦] وَدَرَّبَهُم شيئًا فَشيئًا عَلى الامتِنَاعِ عَنِ الشَّرِّ، وَأَعَدَّهُم للإصغَاءِ للأُمُورِ الرُّوحيَّةِ.

لَو قَالَ وَهُوَ يُعطِي شريعَةَ السَّبتِ «إعمَلُوا أَعمَالَكُمُ الصَّالِحَةَ يومَ السَّبتِ، وَلا تعمَلُوا الأعمَالَ الشِّرِّيرَةَ»، لَمَا كَانَ باستِطَاعتِهِم تَحمُّلُ كلامِهِ. لِهَذَا حَرَّمَ عَلَيهم فِعلَ أَيِّ شيءٍ. فَيَقُولُ: «عَلَيكُم ألاَّ تَفعَلُوا شيئًا عَلَى الإطلاَقِ». لَكنَّهُم لَمْ يَحفَظُوا الشَّريعَةَ حَتَّى مَعَ هَذَا التَّحرِيمِ. أمَّا السَّيِّدُ نَفسُهُ فَفِي إعطَائهِ شريعَةَ السَّبتِ أَلمَعَ إِلَى أَنَّه أَرادَ أَنْ يُبعِدَهُم عَنِ الأَعمَالِ الشِّرِّيرَةِ، فَقَالَ: «لا تعْمَلُوا عَملاً إلاَّ مَا يُعمَلُ للنَّفسِ».[١٧] وَفِي الهَيكَلِ أَيضًا حَدَثَتْ أَشيَاءٌ كَثيرَةٌ بجَهدٍ كَبيرٍ وَتعَبٍ مُضَاعَفٍ. هَكذَا كَانَ السَّيِّدُ يكشِفُ لَهُم الحقَّ بوَاسِطَةِ الظِّلِّ.

سيُطرَحُ السُّؤالُ: هَلْ أَلغَى المَسِيحُ شَيئًا من الأشيَاءِ المُفيدَةِ جِدًّا؟ لا. حَاشَا أَنْ يَفعَلَ ذَلِكَ! إنَّه عَزَّزَهُ بصُورَةٍ كَبيرَةٍ. فَقَد حَانَ الوَقتُ للتَّلاَميذِ كي يَكُونُوا مُدرَّبينَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ بالمَعَايِيرِ الأسمَى. إنجيلُ متَّى، الموعظةُ ٣٩. ٣.[١٨]

لِمَاذَا أُعطِيَ السَّبتُ. ثيودور أُسقف هيراقلية: وَهَكَذَا سَتُدرِكُ أَيضًا أَنَّ مَعرِفَةَ اللهِ ضَرورِيَّةٌ أَكثَر مِنَ الاعتِمَادِ عَلَى رَاحَةِ السَّبتِ الَّتي أُعطِيَت لليَهُودِ لَمَّا اتَّجَهُوا، في مِصرَ، إلَى الوَثَنِيَّةِ. أُعطِيَ السَّبتُ دَحضًا للاعتِقَادِ أَنَّ العَالَمَ غيرُ مَخلُوقٍ وَأَنَّه خَارِجَ دَائرَةِ العِنَايَةِ الإلهيَّةِ. أُعطِيَ السَبْتُ ليُؤمِنُوا بأَنَّ اللهَ هو المُعتَنِي، وَأَنَّه هُوَ نَفسُهُ خَلَقَ العَالَمَ في سِتَّةِ أَيَّامٍ وَفي اليَومِ السَّابعِ استَرَاحَ. أَمَرَهُم بأَنْ يكفُّوا عَنْ أَيِّ عَمَلٍ في السَّبتِ، ليُذَكِّرَهُم بذَلِكَ. تَاليًا، وَبَعدَ أن صَارَ اللهُ مَعرُوفًا عِندَ الجَميعِ أَنَّه خَالِقُ الكَونِ، أَصبحَت شَريعَةُ السَّبتِ نَافِلَةً. فَلَوْ كَانَ هَذَا الكَلامُ نَافِعًا لَطُبِّقَ عَلَى الشَّمسِ وَالقَمَرِ أيضًا لا عَلَى الوُجُودِ الإنسَانيِّ وَحدَهُ، وَلَكَانَتِ الشَّمسُ ذاتها تَوقَّفَتْ عَن إحسَانِهَا إلَينَا في يَومِ السَّبتِ، وَلَكَانَت هَذهِ الوَصيَّةُ أُعطِيَتْ للبَشَرِ مُنذُ إنشَاءِ العَالَمِ. المقطع ٨٤.[١٩]

[١٦] حزقيال ٢٠: ١٩– ٢٠.

[١٧] خروج ١٢: ١٦.

[١٨] 752:01 1 FNPN ;73-634:75 GP

[١٩] 08-97 KGKM

١٢: ٩-١٤ رَجُلٌ يَدُهُ يابسَةٌ

٩وذهَبَ مِنْ هُناكَ فَدَخَل مَجمَعَهُم، ١٠وإذا رَجُلٌ يدُهُ يابسةٌ. فسألُوه قائلين: «أيحِلُّ الشِّفاءُ في السَّبتِ»؟ ومُرادُهم أنْ يَشكوه ١١فأجابَهُم يَسوعُ: «مَنْ مِنكُم لَه خَروفٌ واحدٌ ووقَعَ في حُفرَةٍ يومَ السَّبتِ، لا يُمسِكُهُ ويُخرِجُهُ؟ ١٢والإنسانُ كَمْ هوَ أفضلُ مِنَ الخَروفِ؟ لذلِكَ يَحِلُّ عملُ الخَيرِ في السَّبتِ». ١٣وقالَ يَسوعُ لِلرَّجُلِ: «مُدَّ يدَكَ»! فمَدَّها، فَعادَتْ صَحيحةً مِثلَ اليَدِ الأخرى. ١٤فخَرَجَ الفَرِّيسيُّونَ وتَشاوَرُوا عليه ليُهلِكوه.

نَظرَةٌ عامَّةٌ: تَحدَّى الفَرِّيسيُّون يَسُوع داخِلَ الهيكَل في شَأن رَجُل يَدُهُ يابِسَةٌ. رَمزِيًّا كانُوا يَحمِلُونَ إلى المُخَلِّص عُقمَ أيديهم، لأنَّ اليَدَ اليابسَةَ تَدلُّ عَلى الجَدْبِ وَالعُقم (أوريجنس). كانَت رَغبَةُ يَسُوع في أنْ يَشفِيَ مرارتَهُم أوَّلاً بِمَا قَالَهُ وَفَعَلَهُ قبلَ أنْ يَشفِيَ يَدهُ اليابِسَةَ. لكِنَّ مَرضَهُم بَدا عَسِيرَ المُعالَجَة (الذَّهَبيُّ الفَم). عَادتِ اليَدُ صَحيحَةً كاليَدِ الأُخرى، فأمْسَتْ شَريكَةَ الرُّسُلِ في خِدمَةِ التَّبشِيرِ بالخَلاص (هيلاريون).

١٢: ٩ دُخُولُه المَجمَعَ

عُقمُ أيديهِم. أوريجنس: قَولُهُ «وَذَهَبَ مِنْ هُناكَ» يَدُلُّ عَلى مَا يَلي: عِندَمَا كَانَ يُعاهِدُهُم عَلى عَهدٍ جَديدٍ، وَيُبطِلُ السَّبتَ بِسُلطانِهِ، كَانَ يَذهَبُ إلى مَكانٍ آخَر. لِهَذا السَّبَبِ كانُوا يَتَّهِمُونَهُ مَعَ تَلامِيذِه، في الهَيكَل، لِتَتَفاقَمَ خَطاياهُم. حَمَلُوا إلى المُخَلِّص عُقمَ أيدِيهِم... لَكِنْ مَا هُوَ عَقِيمٌ يُوشِكُ أنْ يُقتَلَع. المقطع ٢٤٩.[1]

١٢: ١٠ أَرادَ الفَرِّيسيُّون أَنْ يَشكُوه.

مَرارَتُهُم عَسِيرَةُ المُعالَجَة. الذَّهَبيُّ الفَم: وَهُنَا يَقُولُ «أعمَلُ الخَيرِ يَحِلُّ في السَّبتِ أَم عَمَلُ الشَّرِّ، أيُّ إنسانٍ مِنكُم يَكُونُ لَهُ خَروفٌ»؟. كَانَ يَسوع يَعرِفُ مَحبَّتَهُم لِلمَالِ وأنَّهُم كَانُوا يُحبُّونَهُ أكثَرَ مِنْ مَحَبَّتِهِم لِلبَشَر. يَقُولُ الإنجِيليُّ إنَّ السَّيِّدَ أدارَ نَظَرَهُ فِيهِم طَارِحًا عَلَيهِم هَذِه الأسئِلَةَ كي

(1) 611:1.14 SCG

يَجذِبَهُم إليهِ، لَكِنَّ حالَهُمْ لَمْ تَتَحسَّنْ. وَرَغمَ أنَّه كانَ يَتَكَلَّمُ هُنا فَقَط، إلاَّ أنَّه شَفى المَرضَى بوَضعِ اليَدِ في حالاتٍ كَثيرَة. لَكِنَّهُم لَمْ يَصيروا في أيٍّ مِن هَذِه الأُمُور وُدَعاء، إذ إنَّ داءَ الصَّلَفِ اشتَدَّ عَليهِم بَعدَ أنْ شَفَى اليابِسَةَ يَدُه. كانت رَغبَةُ السَّيِّدِ أنْ يَشفِيَهُم قَبلَهُ، فَجَرَّبَ طَرائق مِن الشِّفاءِ لا تُحصَى، بِمَا فَعَلَهُ وبِمَا قالَهُ، لَكِنَّ داءَهُم كانَ عُضالاً. لِذلِكَ انبرَى يَعْمَلُ. إنجيلُ متَّى، الموعظة ٤٠ .١.[٢]

١٢: ١١-١٢ يَحِلُّ عَمَلُ الخَيرِ في السَّبتِ

فِعلُ الخَيرِ في السَّبتِ مُباحٌ. الذَّهبيُّ الفَم: مَرَّةً أُخرَى يَشفِي في السَّبتِ، مُبرِّرًا مَا فَعَلَه تَلاميذُهُ. الإنجيليّان الآخَران يَقُولان إنَّهُ «أوقَفَ الرَّجُلَ في الوَسطِ»[٣] وَسَأَلَهُم: «أَعَمَلُ الخَيرِ يَحِلُّ في السَّبتِ»؟ أُنظُرْ إلَى تَحَنُّنِ الرَّبِّ. «لَقَد أوقَفَهُ في الوَسطِ» لِيُخضِعَهُم بالمَنظَر، فَيَكُفُّوا عَنْ شَرِّهِمُ وَيَغلِبَهُم ذَلِكَ المَشهَدُ وَيُحجِمُوا عَنْ طَرائقِهِم الوَحشِيَّةِ خَجَلاً مِنْ هَذا الإنسانِ. لَكِنَّهُم، وَهُم قُساةٌ وكارِهُونَ للبَشَرِ، يَختارُون أنْ يُسيئُوا إلَى مَجدِ المَسيحِ وأنْ لا يَرَوا هَذا الشَّخصَ مُعافَى، مُظهِرينَ شَرَّهُم في كِلتَا الطَّريقَتَينِ، بِمُحارَبَتِهِم المَسيحَ، مِن جِهَةٍ، وَبِمَحبَّةٍ لِلخِصامِ كَبيرَةٍ، مِن جِهَةٍ أُخرَى، لِدَرَجَةِ الازدراءِ بإحسانِهِ للآخَرينَ. يَقُولُ الإنجيليَّان الآخَرانِ إنَّه طَرَحَ عَليهِ السُّؤالَ، أَمَّا متّى فَيَقُولُ إنَّه سُئِلَ. سَأَلُوه قائلينَ: «أَيَحِلُّ الشِّفاءُ في السَّبتِ، لِكَي يَتَّهِمُوه». وَمِنَ المُحتَمَلِ أنَّ الأمرَين حَدَثا مَعًا. فَبِمَا أنَّهُم مَمقُوتُونَ وَعارِفُونَ أنَّه سَيَنبَري لِيَشفِيَه، سَارَعُوا إلَى طَرحِ سُؤالِهِم عَلَيه، ظانِّينَ بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ أنَّهم سَيَثنُونَهُ عَنْ عَزمِهِ. وَلِهَذا سَأَلُوه: «أَيَحِلُّ الشِّفاءُ في السَّبتِ»؟، لا لِيَعرِفُوا مَوقِفَهُ مِنهُم، بَلْ لِيَتَّهِمُوه. وَمَعَ أنَّ شِفاءَهُ الرَّجُلِ كانَ كافِيًا إنْ أرادُوا أنْ يَتَّهِمُوه؛ لَكِنَّهُم رَغِبُوا في الحُصُولِ عَلَى كَلِمَةٍ تُدِينُه، لِيكُونوا مُجَهَّزِينَ بِفَيضٍ مِنَ الحُجَجِ. لَكِنَّ المُحِبَّ البَشَرِ يَفعَلُ هَذا وَيُجِيبُهُم مُعَلِّمًا إيَّاهُم بِوَداعَتِهِ. راذًا الأمرَ كُلَّه إلَيهِم، وَمُظهِرًا وَحشِيَّتَهُم. «وَيُوقِفُ الرَّجُلَ في الوسطِ»[٤] لا خَوفًا مِنهُم، بَلْ مُحاوَلَةً مِنه لِيُنعِمَ عَليهِم بالفائِدَةِ وَلِيُحَرِّكَ الشَّفَقَةَ في قُلُوبِهِم. إنجيلُ متَّى، الموعظة ٤٠ .١.[٥]

١٢: ١٣ عادَتْ يَدُهُ صَحِيحَةً

بَرِئَت يَدُهُ. هيلاريون: يُنسَبُ مِثلُ هَذا

[٢] 06-952:01 1 FNPN ;044:75 GP

[٣] لوقا ٦: ٨.

[٤] لوقا ٦:٨.

[٥] 952:01 1 FNPN ;934:75 GP

الشِّفاءِ إلَى الرَّبِّ حقًّا. بَعدَ رُجُوعِهِ مِنَ الحَقلِ الَّذي حَصَلَ مِنهُ تَلامِيذُهُ عَلَى الحصَادِ، ذَهَبَ إلَى المَجمَعِ لإيجَادِ عُمَّالٍ لحصَادِهِ. لَقد انوَجَدَ الكثيرونَ مِنَ النَّاسِ بَعدَ ذَلِكَ مَعَ التَّلاميذِ. وكثيرونَ مِنهُم نَالُوا الشِّفَاءَ، كَمَا نَالَهُ الرَّجُلُ اليَابِسُ اليَدِ. وَمَعَ ذَلِكَ لَمْ يُؤمِنْ رُؤَسَاءُ المَجَامِعِ بنِعمَةِ الخَلاصِ. مَا كَانَ الرَّجُل يَستَطِيعُ أَنْ يُحرِّكَ يَده. وَكَانَ جَسَدُه شِبهَ مُحطَّم... لذلِكَ أمرَهُ الرَّبُّ بِأَنْ يَمُدَّ يَدَه، فَعَادَت صَحِيحَةً كَالأُخرَى. تَمَّ عِلاجُهُ الكَامِلُ بكَلِمَةٍ مِنَ الشَّافِي كُلَّ مَرضٍ. أُعِيدَتِ اليَدُ إلَى وَضعِهَا الطَّبيعيِّ كَاليَدِ الأُخرَى. وَجُعِلَت شَرِيكَةً في خِدمَةِ التَّلاميذِ لأَدَاءِ وَاجِبِ مَنحِ الخَلاصِ. في متَّى ٧.١٢.[٦]

١٢: ١٤ تَشَاوُرُ الفَرِّيسيِّين

سَعَوا إلَى القَضَاءِ عَلَيهِ. جيروم: الحَسَدُ حَمَلَ الفَرِّيسيِّينَ على نَصبِ الفَخِّ لرَبِّنَا. بِمَ أَسَاءَ للفَرِّيسيِّينَ ليُصمِّمُوا عَلَى قَتلِهِ؟ أَلأَنَّ الرَّجُلَ مَدَّ يَدَهُ؟ مَنْ مِنهم لا يَمُدُّ يَدَه في السَّبتِ وَهُوَ يَحمِلُ طعَامَهُ، أَوْ يُقدِّمُ كَأسَ مَاءٍ للشُّربِ أَو يَقُومُ بالأَعمَالِ الأُخرَى الضَّروريَّةِ للغِذَاءِ؟ فإنْ لم يَكُنْ مَدُّ اليَدِ أَو حَملُ الطَّعَامِ أَو الشَّرابِ، في السَّبتِ جُرمًا، فَلِمَ يَتَّهِمُونَهُ؟ إنَّهُم يُعَاقِبُونَ عَلَى مِثلِ مَا يَأخُذُونَهُ عَلَيهِ، لاسيَّمَا أَنَّ ذَلِكَ البَنَّاءَ لَمْ يَحمِلْ أَيَّ شَيءٍ. كُلُّ مَا فَعَلَهُ أَنَّهُ مَدَّ يَدَهُ بِأَمرٍ مِن رَبِّنَا. تَفسيرُ متَّى ١٤.١٢.٢.[٧]

يُهْلِكُون الآخَرِين هلاكًا. الذَّهَبيُّ الفَم: أَينَ هُمُ الآنَ القَائِلُونَ إنَّه يَجِبُ أَنْ تَجرِيَ الآيَاتُ؟ بِهَذِهِ الأُمُورِ أَشَارَ السَّيِّدُ إلَى أَنَّ النَّفسَ الطَّمُوحَ لَنْ تَقتَنِعَ بالآيَاتِ؛ وَأَوضَحَ أَنَّ تَلامِيذَه تَعَرَّضُوا مِن غَيرِ سَبَبٍ لِلَومِ اليَهودِ. ومَا يَجِبُ مُلاحَظَتُهُ أَنَّهُم كَانُوا يُكوَونَ بِنَارِ الغَضَبِ عند نَيلِ أَقَارِبِهِم إحسَانًا. وَعِندَ مُشَاهَدَتِهِم إنسَانًا يَتخَلَّصُ سَوَاءً مِنَ المَرَضِ أَم الشَّرِّ، كَانُوا يَنهَالُونَ عَلَيهِ، كَالوُحُوشِ الضَّارِيَةِ، بِالشَّتَائِمِ وَاللَّعَنَاتِ. هكَذَا افترَوْا عَلَى يَسُوعَ، لَمَّا كَانَ عَلَى وَشْكِ أَن يُخَلِّصَ الزَّانِيَةَ، وَلَمَّا كَانَ يُؤَاكِلُ جُبَاةَ الضَّرَائِبِ؛ وَالآنَ يَفتَرُونَ عَلَيهِ، لأَنَّهُم شَاهَدُوه يُعِيدُ اليَدَ صَحِيحَةً.[٨]
لَكِنْ، تَأَمَّلْ كَيفَ أَنَّ السَّيِّدَ لا يَكُفُّ عَنِ الاعتِنَاءِ بِالمَرضَى وَعَن تَلطِيفِ حَسَدِهِم. «تَبِعَهُ جُمهُورٌ كَبيرٌ، فشَفَى جَمِيعَ مَرضَاهُم، وأَمَرَهُم بِأَلاَّ يُخبِروا أَحدًا عَنه». كَانَتِ الجُمُوعُ مُعجَبَةً بِهِ وتَتبَعُهُ إلَى كُلِّ مَكَانٍ، أَمَّا اليَهُودُ فلَم يَكُفُّوا عَنْ شَرِّهِم. إنجِيلُ متَّى، المَوعظة ٢.٤٠.[٩]

---

[٦] CS 472:452

[٧] LCC 77:09-19

[٨] متّى ١٢: ٩- ١٤.

[٩] GP 44:75; FNPN 1 01:062

١٢: ١٥-٢١ خادِمُ اللّه المُختار

١٥ فلمّا عَلِمَ يَسوعُ انصرفَ مِنْ هُناكَ. وتبِعَهُ جمهورٌ كبيرٌ، فشفَاهم جميعًا ١٦ وأمَرَهُم بِأنْ لا يُخْبِروا أحدًا عنهُ، ١٧ ليتِمَّ ما قيلَ على لسانِ النَّبيِّ إشعيا:

١٨ «ها هوَ فتايَ الَّذي اختَرتُهُ،

حبيبي الَّذي سُرَّت به نفسي.

سأُفيضُ رُوحي علَيهِ،

فيُبشِّرُ الأمَمَ بالحقِّ.

١٩ لا يُخاصِمُ ولا يَصيحُ،

وفي الشَّوارعِ لا يَسمَعُ أحدٌ صوتَهُ.

٢٠ قصبَةً مَرضوضَةً لا يكسِرُ،

وشُعلةً ذابِلَةً لا يُطفئُ

حتَّى يَسيرَ بالحقِّ إلى النَّصرِ،

٢١ وعلى اسمِهِ رَجاءُ الشُّعوبِ».

نَظْرةٌ عامّةٌ: جَاءَ يَسُوعُ إلَى خِرافِ إسرَائيلَ الضَّالَّةِ، لكِنَّهم أبَوْا أَنْ يقبلُوا بهِ راعِيًا. لَمَّا سمِعَ أَنَّهُم تَشاوَرُوا لِيُهلِكُوهُ انصَرَفَ مِنْ هُنَاكَ، لا خَوفًا مِنْ تَشاوُرِهِم عليه، بَلِ اتِّقاءً لشرِّهِم (أوريجنّس). أمر أنْ تبقَى المُعجِزَةُ سِرًّا، لأَنَّهُ تَفَادَى التَّباهِي والتَّبجُّحَ (هيلاريون). مُخَالَفَةُ المَسيحِ للشَّريعَةِ لَيسَت عِدائيَّةً، فَهُوَ لا يُخَاصِمُ مُعطِيَ الشَّريعَةِ، بَلْ يَسيرُ مَعَهُ في تَدبيرٍ لا يَحِيدُ عَنهُ. الأَنبِيَاءُ أَنبأُوا بسَفَرِهِ وتَرحَالِهِ وبالغايَةِ مِنْ وَراءِ مَا يَقُومُ بِهِ (الذَّهبيُّ الفَم). أَحَبَّ الآبُ يَسُوعَ وبِمَشِيئَتِهِ سُرَّ بِهِ. وَكَانَت رُوحُ الرَّبِّ عَلَيهِ (هيلاريون). عَلَّمَنا مِنْ نَهجِ حَيَاتِهِ أَلاَّ نَتَفَاخَرَ، بَلْ أَنْ نَحيَا حَيَاةً مَلِيئَةً بالاحتِرَامِ وَالأَعمَالِ الفَاضِلَةِ (أبوليناريوس). تَحمَّلَ يَسُوعُ مُعَارِضِيهِ حِرصًا عَلَيهِم مِنَ الهَلاكِ

بسَبَبِ ضَعفِهِم، إلَى أنْ أنجزَ مَهمَّتَهُ الَّتي جَاءَ مِن أجلِهَا (ثيودور أسقف هيراقلية).

١٥:١٢ إنصَرَفَ يَسوعُ مِنْ هُنَاكَ

إدرَاكُ نيَّتِهِم. أوريجنّس: كُلَّما اقتَرَب المَرءُ مِنْ يَسوعَ كَفَّ عَنِ التَّآمُرِ عَلَيهِ. أمَّا المُتآمِرُ عَلَى يَسُوعَ فَلا يَقتَرِبُ مِنهُ، بل يَخرُجُ ويَتَشَاوَرُ عَلَيهِ مَع أمثَالِهِ مِنَ المُتآمِرِين لإهلاكِهِ. فَهُوَ النُّورُ، وَالطَّرِيقُ الصَّالِحَةُ، والحَيَاةُ، وَالكَنزُ، واللُّؤلُؤَةُ، وَالمَحبَّةُ والسَّلامُ. مَنْ حَاوَلَ أَنْ يُهلِكَهُ سُمِّيَ «ابنَ الهَلاك». لَكِنْ، «لَمَّا عَلِمَ يَسوعُ انصَرَفَ مِنْ هُنَاكَ». لم يَبْقَ مَعَ أَبنَاءِ الهَلاكِ. هُم خَسِرُوهُ، أَمَّا نَحنُ الَّذينَ لا نَطلُبُهُ فَقد وَجَدْنَاهُ. هَذَا يُذَكِّرُنَا بِكَلامِ النَّبيِّ: «وُجِدتُ لِمَنْ لا يَطلُبُونَني، وَظَهَرتُ لِمَن لا يَسأَلُونَ عَنِّي».[١] فَهُوَ جَاءَ إلَى الخِرَافِ الضَّالَّةِ مِنْ إسرَائيلَ الَّذينَ نَسُوا رَاعِيَهُم. لذَلِكَ انصَرَفَ يَسوعُ عَنْهُم لا خَوْفًا مِنْ تَآمُرِهِم، لكِن ليُبِيدَ الشَّرَّ. وَلِئَلاَّ يَظُنَّ أَحَدٌ أَنَّهُ انصَرَفَ خَوفًا مِنهُم، فَإنَّه شَفَى جَمِيعَ مَرضَاهُم مُظهِرًا قُدرَتَهُ العَزِيزَةَ. ولِكَونِهِ حَلِيمًا مُتَواضِعًا أَرسَلَهُم مُوصِيًا إيَّاهُم أَلاَّ يُخبِرُوا أَحَدًا عَنهُ. المقطع ٢٥٢.[٢]

١٦:١٢ وَأَمَرَهُم بِأَنْ لا يُخبِرُوا أَحَدًا عَنهُ

لِمَاذَا نَهَاهُم عَنْ كَشفِ أَمرِه. هيلاريون: أَمَرَ الَّذينَ شَفَاهُم بِأَنْ يَصمُتُوا. هَلْ أَمَرَهُم بِأَنْ يَصمُتُوا عَنْ شِفَائِهِ المَرضَى؟ كَلاَّ. فَالخَلاصُ الَّذي أُعطِيَ لِكُلٍّ مِنهُم كَانَ الشَّهَادَةَ عَلَى ذَلِكَ. أَمَرَهُم بِأَنْ يُبقُوا ذَلِكَ سِرًّا تَجَنُّبًا للافتِخَار والاعتِزَازِ. في متَّى ١٢. ٩.[٣]

١٧:١٢ الابنُ يُتِمُّ نُبوءَةَ إشعيا

إنبَاءُ إشعيا بِمَقَاصِدِ المَسِيحِ. الذَّهبيُّ الفَم: يُذَكِّرُهُم السَّيِّدُ، نظرًا لِهَوَسِهِم الغَرِيبِ، بِالنَّبيِّ الَّذي أَنبَأَ بِهَذَا الأَمرِ لئلاَّ يَضطَرِبوا لِمَا يَجري. كَانَت دِقَّةُ الأَنبِيَاءِ عَظِيمَةً جِدًّا، بِحَيثُ لم يُغفِلُوا أَمرًا مِنَ الأُمُورِ، بَلْ أَنبَأُوا بِتَنَقُّلِهِ وَبِالفِكرِ الَّذي كَانَ يَعمَلُ بِه السَّيِّدُ، لِكَي نَتَعَلَّمَ كَيفَ كَانُوا يَتَكَلَّمُونَ بِالرُّوحِ القُدُسِ. فَإِذَا كَانَ التَّعَرُّفُ إلَى مَا في دَاخِلِ الإنسَانِ مُستَحِيلاً، فَكَم يَستَحِيلُ تَعَلُّمُ غَايَةِ المَسِيحِ لَو لَمْ يَكْشِفْهُ الرُّوحُ القُدُسُ. إنجيلُ متَّى، الموعظة ٢.٤٠.[٤]

---

[١] إشعيا ٦٥: ١.

[٢] SCG 711:1.14

[٣] CS 67-472:452

[٤] GP 044:75; FNPN 1 062:01

١٢: ١٨ فتَايَ المُختَارُ

سَأُفِيضُ رُوحِي عَلَيهِ. جيروم: يَقُولُ أُقنُومُ الآبِ بِلِسَانِ النَّبيِّ إشعيا: «سَأُفِيضُ رُوحي عَلَيهِ». إنَّ الرُّوحَ لا يَفِيضُ عَلَى كَلِمَةِ اللهِ وَلا عَلى الابنِ الأَوحَدِ المنبَثِقِ مِنَ الآبِ، لَكِنْ عَلَى مَنْ قِيلَ فِيهِ: «هَذَا هُوَ ابنِي».[٥] تَفسيرُ متَّى ٢.١٢.١٨.[٦]

١٢: ١٩ ولا يَصيحُ. وَفِي الشَّوارِعِ لا يَسمَعُ أَحَدٌ صَوتَهُ. أبولِيناريوس: أُولَئِكَ الَّذِينَ يُعَلِّمُون «في الشَّوارِعِ» لا يَفعَلُونَ هَذا مِنْ أَجلِ المَنفَعَةِ، بَل مِنْ أَجلِ التَّبَاهِي وَالتَّبَجُّحِ. لِذَلِكَ يَضَعُهُم الجَميعُ مَوضِعَ الشَّكِّ وَيَفشَلُونَ في بُلُوغِ هَدَفِ تَعلِيمِهِم. هَذِهِ الأُمُورُ عَلَّمَنَا إِيَّاهَا المُخَلِّصُ، لا بِالكَلِمَةِ وَحدَهَا بَلْ بِنَهجِ حَيَاتِهِ. عَلَّمَنَا أَيضًا أَنْ لا نَصِيحَ وَأَنْ لا نَتَفَاخَرَ وَنُجَاهِرَ بِإنجَازَاتِنا: فَكَمَا أَنَّ أَمثَالَ هَذِهِ الأُمُورِ تَكُونُ مُؤذِيَةً لَنَا، فَمَا يُخَالِفُهَا يَكُونُ نَافِعًا وَمُفِيدًا. المقطعُ ٧١.[٧]

لَنْ يُصَوِّتَ فِي قُوَّةٍ. الذَّهَبِيُّ الفَم: يَمتَدِحُ النَّبِيُّ وَدَاعَةَ الرَّبِّ وَقُدرَتَه غيرَ المَوصُوفَةِ، فَبِهِمَا يَفتَحُ لِلأُمَمِ بَابًا وَاسِعًا؛ إِنَّه يُنبِئُ أَيضًا بِالشُّرورِ الَّتِي سَتَحِلُّ بِاليَهُودِ، وَيُظهِرُ الفِكرَ الوَاحِدَ لَدَى الآبِ والابنِ. فَيَقُولُ: «هَا هُوَ فَتَايَ الَّذي اختَرتُهُ، حَبِيبِيَ الَّذي بِه سُرَّت نَفسِي».[٨] فَإِذَا كَانَ الآبُ قَد اختَارَ المَسِيحَ فَالمَسِيحُ لَمْ يُبطِلِ الشَّرِيعَةَ لِكَونِهِ مُعَادِيًا لَهَا، وَلا لِكَونِهِ عَدُوًّا لِوَاضِعِ الشَّرِيعَةِ، بَلْ كَمَنْ لَهُ الفِكرِ نَفسُهُ وَالأَفعَالِ نَفسُها. يَقُولُ النَّبِيُّ عَن وَدَاعَةِ السَّيِّدِ: «إِنَّهُ لا يُخَاصِمُ وَلا يَصِيحُ»[٩] لأَنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَشفِيَ المَرضَى أَمَامَهُم. لَكِنَّهُ لَمْ يُخَاصِمْهُم. إنجيلُ متَّى، الموعظة ٤٠.٢.[١٠]

١٢: ٢٠-٢١ رَجَاءُ الشُّعُوبِ

وَعَلَى اسمِهِ رَجَاءُ الشُّعوبِ. هيلاريون: وَرغمَ أَنَّ يَسُوعَ شَاءَ أَنْ يَبقَى صَامِتًا عَمَّا يُجَرِّبُه، غَايَةُ كَلامِهِ تَمَّت مِنْ خِلالِ نُبوءَةِ إشعيا. في شَأنِهَا أُذَكِّرُكُم بِمَا يَلِي: كَانَ يَسوعُ مَحبُوبًا مِنَ اللهِ، كَانَ يُرضِي مَشِيئَةَ أَبِيهِ. وَكَانَت رُوحُ الرَّبِّ عَلَيهِ. فَهُوَ يُقِيمُ حُكمَهُ بَينَ الشُّعُوبِ. وَالقَصَبَةُ المَرضُوضَةُ لَمْ تَكُنْ مَكسُورَةً، وَالشُّعلَةُ الذَّابِلَةُ لَمْ تُطفَأْ. هَذَا يَعني أَنَّ أَجسَادَ الشُّعُوبِ المَرضُوضَةَ وَالضَّعِيفَةَ لَمْ تُزهَقْ، بَلْ كَانَت مَصُونَةً مِنَ

[٥] أنظر إشعيا ٤٢: ١.
[٦] LCC 19:77
[٧] KGKM 02
[٨] إشعيا ٤٢: ١.
[٩] إشعيا ٤٢: ٢.
[١٠] GP 75:440- 41; NPNF 1 10:260

أَجلِ الخلاص. اللَّهبُ الضعيفُ المُدخِّنُ في الذُّبالِ لَمْ يُطفأْ. إسرائيلُ لَمْ تُنتزَع رُوحُها عَنْ تاريخِ النِّعمةِ القديمةِ. استِعادةُ النُّورِ تتمُّ في زمنِ التَّوبةِ. لكنَّ ذلكَ كانَ موضُوعًا ضِمنَ ترتِيبٍ وقتٍ مُعيَّنٍ، «حتَّى يَسيرَ بالحقِّ إلى النَّصرِ». ولمَّا تُبادُ قُدرةُ الموتِ، يَأتِي بالدَّينُونةِ عِندَ عودةِ بَهائِهِ إلى الأُممِ الَّذينَ يُؤمِنُونَ باسمِهِ. في متَّى ١٢.١٠.[١١]

تحمَّلَهُم صابرًا. ثيودور أُسقف هيراقلية. إنَّه لَمْ يُخاصِمْ حماقةَ الحُكَّام، ولَمْ يَصرُخْ مُستَفِزًّا إيَّاهُم للغَضبِ ضِدَّه. بالأحرى انصرَفَ بوداعةٍ لئلاَّ يكُونَ دَحضُهُ إيَّاهُم سببًا لهلاكِهِم، إذ إنَّهُم كانُوا ضُعفاءَ النَّفسِ كقَصبةٍ مَرضُوضةٍ «أَو فتيلةٍ مُدخِّنةٍ»، على وَشكِ الانطفاءِ. تحمَّلَهُم صابرًا، لِئلاَّ يَهلكُوا بسَببِ ضَعفِهِم. كانَ مأرَبُهُ إيصالَ الدَّينُونةِ إلى غايَتِها. بهَذا التَّدبيرِ يَهتدي كُلُّ الشُّعُوبِ إلى الإيمانِ. المقطع ٨٥.[١٢]

وَشُعلةً ذابلةً لا يُطفِئ. جيروم: مَنْ لا يمُدّ يدَه إلى الخاطِئِ أَو لا يَحمِل عِبءَ أَخيهِ يكسِرِ القَصبةَ المَرضُوضةَ. مَن احتقَرَ شرارةَ الإيمانِ في الأطفالِ أَخمدَ الشُّعلةَ. المَسيحُ لَمْ يَفعَلْ أَيًّا مِنْ هَذِه الأُمورِ. لَقَد جاءَ لِيُخلِّصَ الهالِكِينَ. تفسيرُ متَّى ٢.١٢.٢٠.[١٣]

قَصبةً مَرضُوضةً لا يَكسِرُ. الذَّهبيُّ الفَم: يَقُولُ مُشيرًا إلى قُدرَتِهِ وإلى ضَعفِهِم معًا: «قَصبةً مَرضُوضةً لا يَكسِرُ». كانَ مِنَ السَّهلِ علَيهِ أَنْ يكسِرَهُم إِربًا إِربًا كالقَصبةِ، لا كالقَصبةِ فحَسْب، بَلْ كالقَصبةِ المَرضُوضةِ أيضًا. «وَشُعلةً ذابلةً لا يُطفِئ». يُبيِّنُ هُنا غضبَهُم المُشتعِل، وقُدرتَه القادِرةَ علَى تهدِئةِ غضبِهِم وعَلى إطفائِهِ بكُلِّ سُهُولةٍ؛ بهَذا أَشارَ إلى لُطفِهِ العَظِيمِ.

ماذا إذًا؟ هَلْ ستَبقى الأُمُورُ علَى حالِها؟ هَل سيَتحمَّلُهُم إلى النِّهايةِ، وهُم يَحِيكُونَ المُؤامَراتِ ضِدَّه ويَحنَقُونَ عَلَيهِ؟ حاشا؛ بعدَ أَنْ يُتمَّ عَمَلَهُ يُنجِزُ الغاياتِ الأُخرى. فهَذا ما أَوضَحَه في قَولِهِ: «حتَّى يَسِيرَ بالحَقِّ إلى النَّصرِ، وعلَى اسمِهِ رَجاءُ الشُّعوبِ».[١٤] وهكَذا يَقُولُ بولسُ أَيضًا: «ونَحنُ مُستعِدُّونَ أَنْ نُعاقِبَ كُلَّ مَعصيةٍ متَى أَصبحَتْ طاعتُكُم كامِلةً».[١٥]

ماذا يَعني: «حتَّى يَسِيرَ بالحَقِّ إلى النَّصرِ»؟[١٦] عِندَما يُتِمُّ تَدبيرَه كُلَّه، يُنزِلُ

---

[١١] CS 672:452

[١٢] KGKM 08

[١٣] LCC 19:77

[١٤] إشعيا ٤٢: ٣- ٤.

[١٥] ٢ كورنثوس ١٠: ٦.

[١٦] إشعيا ٤٢: ٣.

عَلَيهم عِقَابَه، وَيَكُونُ ذلِكَ عِقَابًا تَامًّا. فَيُقَاسُونَ الشَّدَائِدَ، أمَّا نَصْبُهُ التَّذكَارِيُّ فَيَرتفِعُ بمَجدٍ، وَيَنتَصِرُ بأحكَامِهِ، ولا يَترُكُ لَهُم ذَرِيعَةً مُخزِيَةً للإنكَارِ. فإنّه يَعرِفُ أنْ يَقُولَ إنَّ الدَّينُونَةَ هِيَ البِرُّ، إنمَّا لا يَقتَصِرُ تَدبِيرُهُ عَلَى عِقَابِ غَيرِ المُؤمِنِينَ، لَكِنَّهُ سَيَربَحُ لِنَفسِهِ العَالَمَ كُلَّهُ. لِهَذا أضَافَ: «وَعَلَى اسمِهِ رَجَاءُ الشُّعُوبِ».[١٧] وَحَتَّى يُعلِمَنَا النَّبِيُّ أنَّ مَا يَجرِي هُوَ بِحَسَبِ فِكرِ الآبِ مُنذُ البَدءِ، أكَّدَ لنا ذَلِكَ مَعْ مَا حَدَثَ مِنْ قَبلُ، قَائِلاً: «حَبِيبِي الَّذِي سُرَّت بِهِ نَفسِي».[١٨] فَمِنَ الوَاضِحِ أنَّ حَبِيبِي قَامَ بِهَذِهِ الأمُورِ بِالتَّوافُقِ مَعَ فِكرِ المَحبُوبِ. إنجيلُ متَّى، الموعظة ٢.٤٠.[١٩]

(١٧) متَّى ١٢: ٢١.
(١٨) متَّى ١٢: ١٨.
(١٩) GP 75:144; NPNF 1 10:260-61

١٢:٢٢-٣٢ يَسُوعُ وَبَعل زَبُول

٢٢وجاءَ بعضُ النّاسِ إلى يَسوعَ برَجُلٍ أعمى أخرَسَ، فيهِ شَيطانٌ. فشفَاه حتى إنَّ الأعمى الأخرسَ تكلَّمَ وأبصرَ. ٢٣فتعَجَّبَ الجُموعُ كُلُّهُم وقالوا: «أما هذا ابنَ داوُدَ»؟ ٢٤وسَمِعَ الفَرِّيسيُّونَ كلامَهُم، فقالوا: «هوَ يَطرُدُ الشَّياطينَ ببعلَزَبولَ رَئيسِ الشَّياطينِ». ٢٥وعرَفَ يَسوعُ أفكارَهُم، فقالَ لهُم: «كُلُّ مَملكَةٍ تَنقَسِمُ على نفسِها تَخرَبُ، وكُلُّ مدينةٍ أو بيتٍ ينقَسِمُ على نفسِه لا يَثْبُتُ. ٢٦وإنْ كانَ الشَّيطانُ يَطرُدُ الشَّيطانَ، فقد انقسَمَ على نفسِه. فكيفَ تَثبُتُ مملكَتُهُ؟ ٢٧وإنْ كُنتُ أنا أطرُدُ الشَّياطينَ بِبعلَ زَبُولَ، فبِمَنْ يَطرُدُهُ أبناؤكُم؟ لذلِكَ هم يَحكُمونَ علَيكُم. ٢٨وإن كُنتُ أنا بِرُوحِ اللهِ أطرُدُ الشَّياطينَ، فمَلكوتُ اللهِ حَلَّ بَينَكُم. ٢٩كيفَ يَقدِرُ أحَدٌ على أنْ يَدخُلَ بَيتَ رَجُلٍ قَويٍّ ويَسرِقَ أمتِعَتَهُ، إلاّ إذا قيَّدَ هذا الرَّجُلَ القَويَّ أوَّلاً، وحينئذٍ يَنهَبُ بَيتَهُ؟ ٣٠مَنْ لَيس مَعي فهوَ علَيَّ، ومَنْ لا يَجمَعُ مَعي فهوَ يُبدِّدُ. ٣١لذلكَ أقولُ لكُم: كُلُّ خَطيئةٍ وتَجْديفٍ يُغفَرُ لِلنّاسِ، وأمَّا التَّجديفُ على الرُّوحِ القُدُسِ فلَنْ يُغفرَ لهُم. ٣٢ومَنْ

قالَ كلِمةً على ابنِ الإنسانِ يُغفرُ لَه، وأمّا مَنْ قالَ على الرُّوحِ القُدُسِ، فلن يُغفرَ لَه، لا في هذا الدّهرِ ولا في الآتي.

نَظْرَةٌ عَامَّةٌ: إنَّ الأعمى الأخرسَ هُوَ مَنْ ذَهَبَ بَصَرُهُ وَانعقَدَ لِسانُهُ عَنِ الكلامِ. إذا ما نَظرنَا رَمزيًّا إليهِ نَرى أنَّه لَمْ يَعترِفْ بخالِقِهِ وَلَمْ يَشكُرْهُ (كَاتِبٌ مَجهُولٌ). لكِنْ، عِندَ شِفَائِهِ، تَحدَّثَ مُمَجِّدًا اللّهَ بإيمانِهِ، بعدَ أَنْ رأى المَسِيحَ كالنُّورِ اللاَّمعِ في بَصيرَةِ القَلبِ (أبيفانيوس اللاتينيّ). الفَرِّيسِيُّون لَمْ يَكُونوا جاهِلِينَ حَقِيقَةَ ما يَحدُثُ، لَكِنَّهُم نَقَلُوا الكَذِبَ عَنِ المَسيحِ وَنِيَّتُهم الحؤُولُ دُونَ إيمانِ النَّاسِ بِهِ (كَاتِبٌ مَجهُولٌ). إدَّعَوا أَنَّ كُلَّ هذِه القُدرَةِ ضِدَّ الشَّياطِينِ جاءَتْ مِنْ بَعْلَ زَبُول، رَئيسِ الشَّياطِينِ (هيلاريون). إذا كانَتِ التُّهمَةُ أَنَّ يَسوعَ هُوَ شيطَانٌ، فَعِندَها يَكُونُ الشَّيطَانُ هُوَ الَّذي يَطرُدُ الشَّيطَانَ، هَكَذا تَكُونُ التُّهمَةُ بَاطِلَةً. لَمْ يَكُن مُقنِعًا القَولُ إنَّ التَّأَهُّبَ هُوَ عَلَى الأَرجَحِ سَبَبُ السُّقُوطِ (الذَّهَبيُّ الفَم).

يُفهَمُ البَيتُ المُنقَسِمُ عَلَى نَفسِهِ أَنَّه أُورشَليمُ، حَيثُ يُنكِرُ فيها أَهلُ الشَّريعَةِ أَنَّ الشَّريعَةَ تَمَّت في المَسِيحِ (هيلاريون). مَملَكَةُ الشَّيطَانِ لا يُمكِنُ أَنْ تَكُونَ مُنقَسِمَةً عَلَى ذاتِها (أوغسطين). أَمَّا نَحنُ فَعَلَينا أَنْ نَنتَمِيَ إِلَى تلكَ المَملَكَةِ الَّتي يَستَحِيلُ أَنْ تَكُونَ مُنقَسِمَةً عَلَى نَفسِها – أَي المَملَكَةِ السَّماوِيَّةِ وَالأَبَدِيَّةِ، مَدِينَةِ أُورشَلِيمَ الرُّوحَانِيَّةِ، بَيتِ اللّهِ الحَقِّ الَّذي لَنْ تَتَمَكَّنَ أَيَّةُ قُوَّةٍ عِدائِيَّةٍ مِنَ التَّغَلُّبِ عَلَيهِ (كروماتيوس). إذا «كُنتُ أَنا بِإصبَعِ اللّهِ أَطرُدُ الشَّياطِينَ»، فَيُستَدَلُّ مِنْ هذا عَلَى أَنَّ ابنَ اللّهِ قَد ظَهَرَ (الذَّهَبيُّ الفَم، جيروم، كَاتِبٌ مَجهُولٌ) بِقُدرَةِ رُوحِ اللّهِ (أبوليناريوس).

لَقَد أَصبَحَ التَّاريخُ البَشَرِيُّ مُلْكًا للشَّياطِينِ، وَقَد تَسَلَّطَ عَلَيهِ إبليسُ الشِّرِّيرُ رَئيسُ الشَّياطِينِ (ثيودور المبسوستيّ). يُطلِقُ يَسُوعُ عَلَى إبليسَ صِفَةَ «القَوِيّ»، لا لأَنَّهُ كَانَ قَوِيًّا بطَبيعَتِهِ الأَصليَّةِ المَخلُوقَةِ، بَلْ لِتَسَلُّطِهِ عَلَينَا بسَبَبِ تَكَاسُلِنَا في الانبراءِ لَه (كيرلُس الإسكندريّ). لا يُمكِنُ للشَّياطِينِ أَنْ يَسلُبُوا شَيئًا ما دامَ إبليسُ لَمْ يُقهَرْ أَوَّلاً. هَذا ما يَحدُثُ الآنَ: المَسيحُ يُعَطِّلُ فَنَّ إبلِيسَ (الذَّهَبيُّ الفَم). إنَّه مُناسِبٌ لإبليسَ أَنْ يُبَدِّدَ كُلَّ شَيءٍ تَبديدًا كامِلاً، وَمُناسِبٌ للمَسيحِ أَنْ يَجمَعَ كُلَّ شَيءٍ للخَلاصِ. يَتَوَقَّعُ الرَّبُّ

خَرَابَ كُلِّ كَنيسَةٍ تَنقَسِمُ عَلَى نَفْسِهَا بِسَبَبِ البِدَعِ (كروماتيوس). مَنْ لا يَبْنِي مَعَ المَسِيحِ، فَهُوَ لَيسَ مَعَهُ بَلْ عَلَيهِ. للمَرءِ قُدرةٌ عَلَى أَنْ يَعْمَلَ مَعَ المَسِيحِ، لكنَّه يَتَقَاعَسُ عَنِ القِيَامِ بواجِبِهِ (كَاتِبٌ مَجهُولٌ).

الغُفرَانُ يَشمُلُ كُلَّ شَيءٍ باستِثناءِ نُكرَانِ المَسِيحِ. هَذَا هُوَ التَّخلِّي عَنْ طَبيعَةِ رُوحِ الآبِ المُستَقِرَّةِ فيهِ. كُلُّ تَجدِيفٍ عَلَى المَسِيحِ هُوَ تَجدِيفٌ عَلَى اللّهِ، لأَنَّ اللّه هُوَ في المَسِيحِ وَالمَسِيحُ هُوَ في اللّه (هيلاريون، سويروس، الذَّهَبيُّ الفَم). لا يُغفَرُ لِهَذَا التَّجدِيفِ وهو الإِصرَارُ الدَّائِمُ عَلَى عَدمِ التَّوبَةِ أَيْ عَلَى مُقَاوَمَةِ الرُّوحِ القُدُسِ حَتَّى بَعْدَ المَعمُودِيَّةِ (أوغسطين).

١٢: ٢٢ شِفَاءُ أَعْمَى أَخْرَسَ فِيهِ شَيْطَانٌ

هيلاريون: إِنَّ شِفَاءَ الأَعمَى الأَخرَسِ وَالمَمْسُوسِ يَتْبَعُ ذَلِكَ. وَبالرُّغمِ مِنْ قَولِهِ إِنَّ كُلَّ الجُمُوعِ شُفِيَت، فَإِنَّ الشِّفَاءَ الَّذي نَالَهُ المَمسُوسُ الأَعْمَى الأَخْرَسُ لَمْ يَكُنْ لغيرِ عِلَّةٍ، بَلْ كَانَ للوُصُولِ إِلَى الفَهْمِ الوَاضِحِ. إِتَّهَمَ الفَرِّيسيُّونَ الرُّسُلَ باقتِلاعِ سُنبُلِ الحَقْلِ، أَيْ جَمْعِ أُنَاسِ عَصْرِهِم قَبْلَ الأَوانِ. لَكِنَّ الرَّحمَةَ فُضِّلَتْ عَلَى الذَّبيحَةِ. وَذُو اليَدِ اليَابِسَةِ قُدِّمَ لَه في المَجمَعِ فَشَفَاه. وَمَعَ ذَلِكَ لَمْ تُسفِرْ هَذِه الأَعمَالُ عَنْ هَدْيِ إِسرائيلَ، بَلْ إِنَّ الفَرِّيسيِّينَ وَضَعوا مُخَطَّطَ القَتلِ. لِذَلِكَ كَانَ مِنَ الضَّرُوريِّ أَنْ يَحْدُثَ خَلاصُ الأُمَمِ بَعْدَ هَذِهِ الأَحْدَاثِ في شَخْصٍ وَاحِدٍ بِشَكْلٍ مُثِيرٍ تَمَامًا. إِنَّ المَمْسُوسَ الأَعْمَى والأَخْرَسَ أُعِدَّ لِيَكُونَ لائِقًا باللّه، فَيَرَى اللّهَ في المَسِيحِ وَيُمَجِّدُ أَعْمَالَه باعتِرَافِهِ باللّه. اندَهَشَ الجمعُ عِندَ إِتمَامِ هَذَا العَمَلِ. لَكِنَّ حَسَدَ الفَرِّيسيِّينَ ازدَادَ سُوءًا. هَذِهِ الأَعمَالُ العَظِيمَةُ الَّتي قَامَ بِهَا السَّيِّدُ تَفُوقُ ضَعفَهُم البَشَريَّ. رَفضُوا بشكلٍ مُخْزٍ الاعتِرَافَ بِعَمَلِ اللّه، وَغَطَّوه بِجَرِيمَةِ غَدْرِهِم الأَعْظَم. فَعَلُوا هَذَا لِيَقُولُوا إِنَّ كُلَّ قُدرَتِهِ ضِدَّ الشَّيَاطِينِ أُعطِيَت لَه مِنْ بَعْلَ زَبُول رَئِيسِ الشَّيَاطِينِ. فَلَمْ يَستَطِيعُوا أَنْ يَتَصَوَّروا أَنَّهَا كَانَت إِنجَازَاتِ بَشَرٍ. في مَتَّى ١٢.٢.[1]

كَانَ الرَّجُلُ لا يَتَكَلَّمُ وَلا يُبْصِرُ. كَاتِبٌ مَجهُولٌ: كَانَ رَجُلاً أَخْرَسَ أَعمَى لا يَتَكَلَّمُ ولا يُبْصِرُ. لَمْ يَعْتَرِفْ بِخَالِقِهِ وَلَمْ يَشْكُرْهُ. مَا تَمَّ جَلِيًّا في شَخْصٍ وَاحِدٍ هُوَ أَنَّه ذُو أَهَمِّيَّةٍ لِكُلِّ بَشَرٍ. حَقًّا، لَوْ لَمْ يُعْرِضْ عَنِ اليَهُودِيَّةِ لبَقِيَتْ جَمِيعُ الشُّعُوبِ عَمْيَاءَ وَخَرْساء ترزحُ تَحتَ نِيرِ الشَّيطَانِ. عَمَلٌ غَيرُ كَامِلٍ حَولَ

[1] CS 87-672:452

مَتَّى، الموعظةُ ٢٩.[٢]

شَفَى المَسِيحُ بَصرَهُ وَنطقَهُ. أبيفانيوس اللاَّتينيّ: كَانَ سُكَّانُ الشُّعُوبِ عُمْيًا جَالِسِينَ في الظَّلامِ وَفِي ظِلالِ الموتِ. كَانَتْ بَصَائِرُ قُلُوبِهِم عَمْياء، لِذَلِكَ كَانُوا عَاجِزِينَ عَنْ رُؤيَةِ المَسِيحِ. ذَلِكَ لأَنَّهم لَمْ يَعرِفُوا الشَّرِيعَةَ وَلَمْ يَقْدِروا عَلى أَنْ يُمَجِّدُوا اللّه. لَقَد مَسَّهُم الشَّيطَانُ لأَنَّهم، بَعْدَ وَثَنِيَّةٍ عَظِيمَةٍ كَهَذِهِ وَتَوقٍ إِلَى إِبلِيسَ، سَاقَهُمْ الرُّوحُ النَّجِسُ أَسرَى. «وَجَاءَ بَعْضُ النَّاسِ إِلَى يَسوعَ بِرَجُلٍ أَعْمَى أَخْرَسَ، فيهِ شَيطَانٌ». مَن الَّذي جَاءَهُ بِالأَعمَى الأَخْرَسِ سِوَى تَلامِيذِهِ الَّذينَ جَاؤُوا بِالشُّعُوبِ الَّتي كَانَ إِبلِيسُ يَتَخَبَّطُهَا لِيُقَدِّمُوا قُرِبَانًا للّه؟ شَفَاهُ يَسُوعُ عَلَى مرأَى مِنهُم «حَتَّى إِنَّ الأَعْمَى الأَخْرَسَ تَكلَّمَ وَأَبصَرَ». تَكلَّمَ لأَنَّه مَدَحَ اللّه بِالإِيمَانِ. رَأَى المَسِيحَ لأَنَّ نُورًا شَعَّ في بَصِيرَةِ قَلبِهِ. شُفِيَ لأَنَّه، بِتَخَلِّيهِ عَنْ وَثَنِيَّتِهِ المجنُونَةِ وَأَخطَائِهِ المتَعَدِّدَةِ، كَانَ يَخْدِمُ الرَّبَّ بِإِخلاصٍ. تَفسيرُ الأَناجيلِ ٢٤.[٣]

١٢: ٢٣-٢٤ بِأَيَّةِ قُوَّةٍ شُفِيَ الرَّجُلُ؟

دَهِشَ الشَّعبُ. كَاتِبٌ مَجْهُولٌ: كَمْ كَانَ دَقِيقًا في قَوْلِهِ إِنَّهم «تَعَجَّبُوا»، لأَنَّهم لَمْ يَكُونُوا يَعْرِفُونَ يَسُوعَ بَعْدُ. لا يَستَطِيعُ المرءُ أَنْ يُكَوِّنَ رَأيًا عَنْ عَمَلِ آخَرَ مَا لَمْ يَفهَمِ الشَّخصَ القَائِمَ بِالعَمَلِ. عَلَى سَبيلِ المِثَالِ، إِذَا أَنْجَزَ طَالِبٌ لأَحدِ أَسَاتِذَتِهِ عَمَلاً عَظِيمًا نَتَعَجَّبُ لأَنَّ الطَّالِبَ المُوكَلَ إِليهِ أَنْ يُنجِزَ مَهمَّةَ القِيَامِ بِهذا العَمَلِ استَطَاعَ تَحقِيقَ ذَلِكَ. لَكِنْ، لو أَنَّ المُعَلِّمَ نَفسَهُ فَعَلَ ذَلِكَ، لَمَا كُنَّا انْذَهَلنَا مِنْ إِنجَازِهِ. لَكِنْ، مَا هُوَ الإِنجَازُ العَظِيمُ في أَنْ يَعْمَلَ سَيِّدٌ مُدَرَّبٌ عَمَلاً عَظِيمًا؟ هَذَا مَا فَعَلَهُ اللّه، وَهُوَ أَقَلُّ مِنْ قُدرَتِهِ. لِذَلِكَ، عِندَمَا يَفْعَلُ ابنُ اللّهِ مُعْجِزَةً، من المتوقَّعِ أَنْ يُثِيرَ الإِيمَانَ لا الإِعجَابَ. هَلْ تُرِيدُ مَعْرِفَةَ سَبَبِ عَدَمِ اعتِرافِهِم بِه مَعَ أَنَّهُم تَعجَّبُوا؟ إِسْمَعْ مَا يَقُولُونَه: «أَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ هَذَا ابنَ داود»؟ فَلَوِ اعتَرَفُوا بِهِ حَقًّا، لَمَا اكتَفَوا بِالقَوْلِ «أَمَا هَذَا ابنَ داودَ»؟ بَلْ لَكَانُوا قَالُوا «هَذا هُوَ ابنُ داود».

لَمَّا سمِعَ الفَرِّيسِيُّونَ بِهَذَا، قَالُوا: «هُوَ يَطرُدُ الشَّيَاطِينَ بِبَعلَ زَبولَ رَئيسِ الشَّيَاطِين» فَلْنَنْظُرْ إِلَى هَذِهِ الآيَةِ. هَلْ قَالَ الفَرِّيسِيّون هَذَا عَن اقتِنَاعٍ، أَمْ قَالوه احتسابًا؟ سُؤَالٌ أَثَارَهُ الإِنجِيلِيُّ في قَولِهِ «وَسَمِعَ الفَرِّيسِيُّونَ كَلامَهُم، فَقَالُوا». في المَقْطَعِ التَّالِي يُقَالُ مَا

---

[٢] GP 187:65

[٣] LP ppuS 168:3

يَلي: «وَعرفَ يَسوعُ أفكَارَهُم»—ولَمْ يقُلْ: سَمِعَ كلامَهُم. إذًا مَنْ عرفَ مَاذا؟ رُبَّمَا تكلَّمَ بَعضُهُم بصَوتٍ عالٍ، لكِنْ تَكلَّمُوا بأَفكَارٍ شِرِّيرةٍ. كثيرًا مَا يَصِمُ النَّاسُ شخصًا، بغيرِ نِيَّةٍ شِرِّيرةٍ، بما يُشينُهُ لجَهلِهِم أَمرَه. غيرَ أنَّ الفَرِّيسيِّينَ ما كانوا يَجهَلُونَ الأمرَ. تكلَّمُوا زُورًا وبُهتانًا على المَسيحِ بنِيَّةٍ شِرِّيرةٍ حَاطِّينَ مِنْ قَدْرِهِ ليُبْعِدُوا النَّاسَ عَنِ الإيمَانِ بِهِ. رأوا أنَّ الجُمُوعَ تَعجَّبُوا قائلِين، «أَمَا هَذا ابنَ داودَ»؟ كَانَتْ هَذِهِ أَقوالاً تَلِيقُ بالمُؤمِنينَ. هَكَذَا حَاوَلَ الفَرِّيسيُّونَ، الَّذينَ اهتَاجُوا حَسَدًا، أَنْ يَحرمُوا النَّاسَ مِنَ الإيمانِ بيَسُوعَ بَعْدَ أَنْ رَأوا مُعجِزَاتِهِ قَائِلِينَ: «لِمَاذا تُذهَلُونَ ذُهولاً عظيمًا، أيُّها الرِّجَالُ؟ لِمَاذا تَتكلَّمُونَ كَلامًا نَافِلاً، وَتَسألُونَ مَا إذا كَانَ ابنَ داودَ؟ إنَّنا نُصارِحكُم بأنَّ هَذا الرَّجُلَ يَطرُدُ الشَّيَاطِينَ ببَعْلَ زَبُولَ رَئيسِ الشَّيَاطِينَ». قَالُوا هَذا، لا لجَهْلِهِم حَقِيقَةَ الأمرِ. إنَّهُم كانُوا يَعرفُونَ أنَّه لا قُدرَةَ للشَّيطَانِ على صُنعِ مُعجِزَةٍ مِنْ هَذِهِ المُعجِزَاتِ الَّتي تمَّت علَى يَدِ يَسوعَ. عَمَلٌ غيرُ كَامِلٍ حَولَ متَّى، الموعظة ٢٩.[٤]

أدركَ يَسوعُ دوافِعَهُم. كَاتِبٌ مَجهُولٌ: «وَعرفَ يَسُوعُ أَفْكَارَهُم فقَالَ لَهُم». الحقُّ أَنَّ الفَرِّيسيِّين، كَمَا يَتَّضِحُ، لَمْ يَقُولُوا هَذا القَولَ، بَلْ رَاوَدَ فِكرَهُم. أَخفَوا، فَضْلاً عَنْ ذَلِكَ، شَرَّهُم، فَأَيَّ أَذى يُمكِنُهم أَنْ يُلحِقُوا بمَجْدِ المَسِيحِ؟ لا شَيء. فَمَنْ أَضْمَرَ الشَّرَّ دَمَّرَ نَفسَهُ، لا غيرَه. لكِنْ انظُرْ إلى رَحْمَةِ المَسِيحِ. فَلَو قَالَ الفَرِّيسيُّونَ هَذا عَلَنًا وَأَجابَهُم يَسوعُ عَنهُ، لقُلنَا إنَّه هَكَذا استَجَابَ لِكَلامِهِم ليَدْحَضَ شَرَّهُم. والآنَ يَتَّضِحُ أَنَّهُ أَجَابَهُم هَكَذَا لا ليَدْحَضَ شَرَّهُم، بَلْ لِيَشفِيَ ضَمِيرَهُم الجَرِيحَ. كَانَ يَبتَغِي أَنْ يُفهِمَهُم، وَهُوَ يُعَالِجُهُم، أَنَّهُ وَاقِفٌ عَلَى مَا يَجُولُ في أَفكَارِهِم، أَنَّه لَيسَ مُجَرَّدَ إنسانٍ، بَلْ إلَهٌ يَفحَصُ القُلُوبَ. عَمَلٌ غيرُ كَامِلٍ حَولَ متَّى، الموعظة ٢٩.[٥]

الانقِسَامُ الهَدَّامُ في أُورشَلِيم. هيلاريون: تَأتِي الشَّرِيعَةُ مِنْ لَدُنِ اللّهِ. وَوَعْدُ مَلَكُوتِ إسرائيلَ يَأتِي مِنَ الشَّرِيعَةِ، ويَأتِي إعلانُ وِلادَةِ المَسِيحِ وَمَجِيئِه مِنَ الشَّرِيعَةِ أَيضًا. إذَا كَانَت مَمْلَكَةُ الشَّرِيعَةِ مُنْقَسِمَةً عَلَى نَفسِها، تَكونُ بالضَّرورَةِ مَهجُورَةً. كُلُّ قُوَّةٍ

١٢: ٢٥ مَمْلَكَةٌ تَنْقَسِمُ عَلَى نَفْسِهَا

[٤] 187:65 GP

[٥] 187:65 GP

تَتَقلَّصُ مِنْ جرَّاءِ الانقِسَامِ، وَكُلُّ مَمْلَكَةٍ يَسودُهَا الخِصَامُ تَتَدمَّرُ. هَكَذا سَقَطَتْ مَملَكَةُ إسرَائِيل مِنَ الشَّرِيعَةِ لَمَّا عَارَضَ شَعبُ الشَّرِيعَةِ تَحقِيقَ الشَّرِيعَةِ في المَسِيحِ». «كُلُّ مملَكَةٍ تَنقَسِمُ عَلَى نَفسِها تَخربُ، وكلُّ مدينةٍ أو بَيتٍ يَنقَسِمُ عَلَى نَفسِهِ لا يَثْبُت». مَا يَحدُثُ للمَملَكَةِ يَحدُثُ للمَدينَةِ... وَالآنَ بَعدَ أَنْ ثَارَتْ أُورشَليمُ ضِدَّ الرَّبِّ بِجُنُونِ شَعبِهَا وَبَعْدَ أَنْ دَفَعَ جُمهُورُ المُؤمِنِينَ الرُّسُلَ للهَرَبِ، تَداعَت وَتَهَاوَت... فَالانقِسَامُ يُودِي بِأَصحَابِهِ وَبِمَدِينَتِهِم. في متَّى ١٢.١٣-١٤.[٦]

البَيتُ مُنقَسِمٌ. كروماتيوس: أَعلَنَ الرَّبُّ أَنَّ أيَّةَ مَملَكَةٍ أَو مَدينَةٍ أَو بَيتٍ يَنقَسِمُ عَلَى نَفسِهِ لا يَثبُتُ. قِيلَ هَذا بِالنِّسبَةِ إِلَى المَملَكَةِ الَّتي أَقَامَهَا اليَهُودُ أَنفُسُهُم تَحتَ حُكمِ يَربَاعَام، خَادِمِ سُليمان. فَقَد كَانَت مَهجُورَةً قَبلَ أَنْ تَكونَ مُقَسَّمَةً. سَيَفقِدُ اليَهُودُ مَدِينَةَ أُورشَليمَ كُلِّيًّا، الَّتي كَانَتِ السَّامِرَةُ مُعَادِيَةً لَهَا. وَسَيَخسَرونَ هَيكَلَ اللّهِ لإِقَامَتِهِمُ العِجلَ الذَّهَبِيَّ وَلِنَصبِ بَيتِ الأَوثَانِ. بِالأَحْرَى يَجِبُ عَلَيهِم أَنْ يَتبَعُوا تِلكَ المَملَكَةَ الَّتي لا تَقدِرُ عَلَى أَنْ تَكُونَ مُنقَسِمَةً- أَي السَّمَاوِيَّةَ وَالأَبدِيَّةَ، إذ تَبقَى مَدِينَةُ القُدْسِ الرُّوحِيَّةُ دَائِمًا ثَابِتَةً وَرَاسِخَةً. وَمَا مِنْ قُدرَةٍ عِدَائِيَّةٍ سَتَكُونُ قَادِرَةً عَلَى التَّغلُّبِ عَلَى بَيتِ اللّهِ الحَقِيقِيِّ. فَالبيتُ المَحْمِيُّ بِابنِ اللّهِ يَبْقَى آمِنًا تَمَامًا. مَوعِظَةٌ حَولَ متَّى ٤٩.٥.[٧]

١٢: ٢٦ كَيفَ يَثبُتُ الشَّيطَانُ؟

لا تَستَطِيعُ مَملَكَةُ الشَّيطَانِ أَنْ تَثبُتَ أَمَامَ الانقِسَامِ. أوغسطين: أَرَادَ، في قَولِهِ هَذا، أَن يُفْهَمَ مِن اعتِرَافِهِم خَيَارُ عَيشِهِم فِيهِ بِعَدَمِ الإِيمَانِ بِمَمْلَكَةِ الشَّيطَانِ وَبِأَنَّ الشَّيطَانَ لا يَقدِرُ عَلى أَنْ يَثبُتَ إِذا كَانَ مُنقَسِمًا عَلَى نَفسِهِ. لِذَلِكَ دَعُوا الفَرِّيسيِّينَ يَختَارُونَ مَا يَرغَبُونَ فِيهِ. إِذَا كَانَ الشَّيطَانُ لا يَقدِرُ عَلَى أَنْ يَطرُدَ الشَّيطَانَ، فَإِنَّهم عَاجِزونَ عَنْ أَنْ يَقُولُوا شيئًا ضِدَّ الرَّبِّ. لَكِنْ إِذَا كَانَ الشَّيطَانُ قَادِرًا عَلَى طَردِ الشَّيطَانِ، فَلْيَنْظُروا إِلَى أَنفُسِهِم أَكثَر وَلْيَتَخلَّوا عَنْ مَملَكَتِهِ، لأَنَّها لا تَقدِرُ على لأَنْ تَثبُتَ إِذا كَانَت مُنقَسِمَةً عَلَى ذَاتِها. الموعظة ١.٧١.[٨]

التَّضَارُبُ القَائِمُ. الذَّهَبِيُّ الفَم: إِنَّ الحُرُوبَ الخَارِجِيَّةَ لا تَكُونُ مُهْلِكَةً مِثلَ الحُرُوبِ الأَهْلِيَّةِ. هَذا مَا يَحدُثُ للأَجسَادِ؛ وَهَذَا مَا

(٦) CS 452:872-08

(٧) LCC 344:a9

(٨) LP 544:83; FNPN 1 813:6

يـحـدُثُ في كُلِّ الأُمُـورِ؛ لـكِـنَّ السَّـيِّـدَ يـأخُذُ لـلحَـالِ أَمثِلَتَه مِنَ الأُمُورِ المَعرُوفَةِ بصُورَةٍ أَكثَرَ شُيوعًا.

هل يُوجَدُ عَلَى الأَرضِ أَقْوَى مِنَ المَملَكَةِ؟ لا. ورَغـمَ ذَلِـكَ تـتـهـاوى إذا بَلِيَتْ بـالانقسـامِ. وهُـنــاكَ، إذا كـانـت تُـلامُ عَـلَى ثِقلِ الأُمُورِ، وكَأَنَّها تنْهَارُ مِنْ تلقَاءِ ذاتِها، فمَاذا تَقُولُ عَنْ مدينَةٍ، ومَاذا تقُولُ عَنْ بيتٍ؟ هكَذا، سَواءٌ كَانَ الأمرُ صَغِيرًا أو عَظِيمًا، فهُوَ يَفنَى إِذا كَانَ مُنقَسِمًا عَلَى نَفسِهِ. فـإِذا كُنتُ أَملِكُ شَيطَانًا وَبِهِ أَطرُدُ الشَّيَاطِينَ، فَإنَّه يَنشُبُ بَينَ الشَّياطِينِ صِراعٌ يُفتِّتُهُم. فيَقِفُ الوَاحِدُ ضِدَّ الآخَرِ. فَـإِذا وَقَـفَ الـوَاحِـدُ مِـنـهـم ضِـدَّ الآخَرِ، فَإِنَّ قُوَّتَهُم تَهزُلُ وَتُصَابُ بالوَهَنِ. يَقُولُ «فَإِذا كَانَ الشَّيطَانُ يَطرُدُ الشَّيطَانَ»- وَلَـمْ يَـقُـلْ «الشَّـيَـاطِينَ» دَالاًّ عَـلَى تَـوَافُـقِـهِـمْ الكَبيرِ، الوَاحِدِ مَعَ الآخَرِ-فَقَدِ انقَسَمَ عَلَى ذَاتِـهِ». لَـكِـنْ، إِذا انـقَـسَمَ عَلَى ذَاتِهِ ضَعُفَ وَهَـلَـكَ ؛ وَإِذا هَـلَـكَ فَكَيفَ يُمْكِنُهُ أَنْ يَطرُدَ مُنَافِسَهُ؟ أَوَرَأَيتَ مَا أَسخَفَ التُّهمَةَ وَمَا أَتفَهَ حَمَاقَتَهُم وَمَا أَكثَرَ خُصُومَاتِهِم؟ لَمْ يَكُنْ مُقنِعًا القَولُ إِنَّ التَّأَهُّبَ هُوَ عَلَى الأَرجَحِ سَبَبُ السُّقُوطِ. إنجيلُ متَّى، الموعظة ٤١.١.[٩]

١٢: ٢٧ يحكُمُونَ عَلَيكُم

أَنتُم تَنسُبُونَ طَردَ الشَّيَاطِينِ إِلَى بَعْلَ زَبُول. جيروم: إِذا كَانُوا يَطرُدونَ الشَّيَاطِينَ بـاستِدعَاءِ اسمِ اللّه، فَهُوَ يُعْلِنُ بتَسَاؤلٍ ذَكِيٍّ أَنَّـهُ يَـجـدُرُ بـهـم إِعْـلانُ هَـذَا العَمَلِ أَنَّه مِنَ الرُّوحِ القُدُسِ. وَيُتَابِعُ قَولَهُ: «إِذَا كَانَ طَرْدُ أَوْلادِكُمْ (الفَرِّيسيِّين) الشَّيَاطِينَ يُنْسَبُ إِلَى اللّه لا إِلَى الشَّيَاطِينِ، فكَيفَ لا يكُونُ للعَمَلِ ذاتِـهِ السَّـبَـبُ نَفسُـهُ»؟ لِـذَلِكَ «سَـيَـكُـونُـون قُضَاتَكم»، لا بـالسُّلطَةِ بَلْ بـالمُقَارَنَةِ. فَبَينَمَا يَنسُبونَ إِلَى اللّهِ طَردَ الشَّيَاطِينِ، تَنسُبُونَهُ أَنتُم إِلَى بَعْلَ زَبول، رَئيسِ الشَّياطِينِ. لَكِنْ، قِيلَ عَنِ الرُّسُلِ، (فَكِّروا في الأَمرِ مَلِيًّا)، إِنَّهم سَيَكُونُونَ قضَاةَ أَولادِكُم، وَسَيعتَلُونَ اثني عَشَرَ عَرشًا ليَدِينوا أَسْبَاطَ إِسرائيلَ الاثنَي عَشَر. تفسر متّى ٢.١٢.٢٧.[١٠]

بِمَن يَطرُدُهُ أَبنَاؤُكم؟ كَاتِبٌ مَجهُولٌ: سَمَّى يَسوعُ تَلامِيذَهُ رُسُلاً،[١١] وَأَرسَلَهُم لِيُبَشِّرُوا، وَمَـنَـحَـهُـم سُـلْـطَـانًـا عَـلـى الأَرواحِ النَّجِسَةِ لطَرْدِهَا.[١٢] فَـقَـالُـوا لَـهُ وَهُـم مُمْتَلِئونَ مِنَ الإِيمَانِ: «يَا رَبُّ، حتَّى الشَّيَاطِينُ تَخْضَعُ لَنَا

(٩) GP 75:644; NPNF 1 10:264-65

(١٠) CCL 77:92- 93

(١١) متّى ١٠: ٢.

(١٢) متّى ١٠: ٨.

باسمِكَ».[١٣] بـأيِّ اسـمٍ كـانـوا يـطـرُدُون الشَّياطِينَ؟ كانُوا يطرُدونهُم باسمِي قائِلينَ: «باسمِ المَسيحِ يَسوع آمرُكَ أنْ تَخْرُجَ مِنهُ»، هذا صَحِيحٌ لأنّي لا أطرُدُ الشَّياطِينَ باسمِ بَعْلِ زَبُول. كُلُّ مَنْ يطرُدُ الشَّياطِينَ بِبَعْلِ زَبُول لا يُمْكِنُ أنْ يكُونَ اسمُهُ مُرْعِبًا وَمُبَجَّلاً بحيثُ إنَّ الآخَرِينَ يَقدِرونَ على أنْ يَطرُدوا الشَّياطِينَ باسمِهِ. «لذلكَ سَيكُونُون قُضاةَ عَليكُم». «متَى»؟ عِنْدَما يَجلسُونَ على اثنَي عَشَرَ عَرشًا ليَدِينُوا أسْباطَ إسرائيلَ الاثنَي عَشَر»[١٤] فيَقُولُ الفَرِّيسيُّونَ في إدانَتِهِم لِي: «إنَّنـا لا نُؤمِنُ بكَ وَأنتَ تَطرُدُ الشَّياطِينَ، لأنّنا ظَنَنَّا أنّكَ كُنتَ تطرُدُهُم ببَعْلَ زَبُول». أمَّا أبناءُ الإيمانِ فَيُجِيبُونَكُم قائِلِينَ: «لو فَكَّرتُم مليًّا وَرَأيتُم أنَّنا نَطرُدُ الشَّياطِينَ باسمِهِ، فإنَّكُم تُدْرِكُون أنَّ رُوحَ بَعْلَ زبول لَيْست هي الرُّوح إذا استُدْعِيتْ باستِدعائِها تَصنَعُ المُعجِزات». عَمَلٌ غَيرُ كامِلٍ حَولَ متَّى، الموعظة ٣٩.[١٥]

١٢: ٢٨ مَلَكوتُ اللّه حلَّ عَلَيكم

رُوحُ اللّـهِ: أبولينـاريوس: كانَتْ للمَسِيحِ، كـإنسـانٍ الـقُـدْرَةُ في الـرُّوحِ عَـلـى «طَـرْدِ الشَّياطِين»، إذْ كانَ يَمْتَلِكُهَا بشَكْلٍ لا يَتَغَيَّرُ وَفْقَ التَّدبيرِ الإلَهيِّ. وَإذا كانَ فِعْلُ الرُّوحِ هُوَ مَلَكُوتَ اللّهِ، فَعَلَينَا أنْ نُوقِنَ أنَّ الرُّوحَ لَيسَ غَريبًا عَنِ الألُوهَةِ، كَأنَّه أُدْخِلَ مِنَ الخَليقَةِ المُسْتَعْبَدَةِ للإعْدادِ للمَلَكُوتِ الإلَهيِّ. المقطع ٧٢.[١٦]

شَخْصِيًّا لَكُم. الذَّهَبيُّ الفَم: يَقُولُ متَّى: «إذا كُنتُ أنَا برُوحِ اللّهِ أطْرُدُ الشَّياطِينَ...» أمَّا لوقَا فيَقُولُ: «أمَّا إذا كُنتُ بإصبعِ اللّهِ أطرُدُ الشَّياطِينَ...»[١٧] دالاًّ عَلى أنَّ طَرْدَ الشَّياطِينِ هُوَ عَمَلُ القُدْرَةِ العُظْمَى، وَلَيسَ عَمَلَ نِعْمَةٍ عَـارِضَـةٍ. وَيَـقْـصُـدُ السَّيِّدُ أنَّ عَلَـيـهِـم أنْ يَسْتَنْتِجوا مِنْ ذَلِكَ أنَّه هُوَ ابنُ اللّهِ وَأنَّه جَاء حقًّا. هَذَا لَمْ يَقُلْهُ السَّيِّدُ في أيِّ حَالٍ، بَلْ قَالَهُ بصُورَةٍ خَفِيَّةٍ، لئلاَّ يُغيظَهُم. فَألْمَعَ إلَى ذَلِكَ قَائِلاً: «قد حَلَّ مَلَكُوتُ اللّهِ عَليكُم». أوَرَأيت حِكْمَتَه الغَنِيَّةَ؟ فحُضُورُه كَانَ سَاطِعًا بِمَا كَـانُوا يُـوَجِّـهُـونَ بـهِ الـتُّـهـمَـةَ إلَيـهِ. وَحَتَّى يَستَمِيلَهُم، لَمْ يَقُلْ «حَلَّ المَلَكُوتُ» فَحَسْب، بَـلْ أضَـافَ «عَـلَـيْـكُـم» كَمَـا لَو كَـانَ يَـقُـولُ: عَلَيكُم قَد أتَت الصَّالِحَاتُ، فَلِمَاذا تَشعُرُونَ

[١٣] لوقا ١٠: ١٧.
[١٤] متّى ١٩: ٢٨.
[١٥] GP 487:65
[١٦] KGKM 12-02
[١٧] لوقا ١١: ٢٠.

بالاستياءِ منها؟ لماذا تقاومونَ خلاصكُم؟ هذا هُو الوقتُ الذي أنبأَ بهِ الأنبياءُ قديمًا: هذهِ هي علامةُ المجيءِ الّتي رنّموا لها. فهي تمّتْ بالقوّةِ الإلهيّةِ. أنتم تعرفونَ حقًا أنّها قد تمّتْ بالقوّةِ الإلهيّةِ، فالأعمالُ نفسُها تصرُخ. منَ المستحيلِ أنْ يكونَ إبليسُ أقوى الآنَ؛ بلْ أصبحَ بالضّرورةِ ضعيفًا. والضّعيفُ ليسَ باستطاعتهِ أنْ يطردَ الشّيطانَ القويَّ. قالَ هذا مُشيرًا إلى قوّةِ المحبّةِ وضعفِ التّباعُدِ والمُخاصمةِ. إنجيلُ متّى، الموعظة ٤١.٢.٢[١٨]

١٢:٢٩ يُوثقُ الرّجلَ القويَّ

المسيحُ يسودُ على إبليسَ. الذّهبيُّ الفم: أنظُرْ كيفَ يُثبتُ عكسَ ما كانوا يسعَونَ إلى نصبهِ. ففي حينَ كانوا راغبينَ في أنْ يُظهروا أنّه لا يطردُ الشّياطينَ بقدرتهِ الخاصّةِ، فكانَ هُو يُظهرُ أنّه قد قيّدَ بسُلطانهِ الشّياطينَ ورئيسهُم نفسهُ؛ وسادَ عليهِ على مرأى منهُم بقدرتهِ الخاصّةِ. هذا واضحٌ ممّا حدثَ. فإذا كانَ بعلَ زبولُ هُوَ الرّئيسَ وهُمُ التّابعين، فكيفَ يُهزمُونَ ويُجبرُونَ على الخضوعِ ما لمْ يُهزمْ هُوَ أوّلاً؟

يبدُو لي هُنا أنّ قولهُ نبوءةٌ أيضًا. فليست الشّياطينُ هي وحدَها أمتعةَ إبليس، بلِ النّاسُ الّذينَ يعملُونَ بما يأمُرُهُم بهِ. قالَ هذهِ الأشياءَ ليُوضحَ أنّه يُخرجُ الشّياطينَ ويُقصي كُلَّ ضلالٍ منَ العالمِ ويسحقُ شعوذةَ إبليس ويجعلُ كُلَّ ألاعيبهِ فاشلةً. إنجيلُ متّى، الموعظة ٤١.٣[١٩]

دُخولُ بيتِ القويِّ. كيرلّس الإسكندريّ: يدعُو الشّيطانَ قويًا، لا منْ حيثُ طبيعتُهُ المخلُوقةُ، بلْ من حيثُ طُغيانُهُ علينا الّذي اكتسبهُ منْ جرّاءِ توانينا. في الواقعِ يقُولُ: «سأسبيهِ، لا لأنّ البشرَ سُجّدٌ لهُ، بلْ لأنّهُم بتغييرِ قناعتِهم يصِلُونَ إلى الاعترافِ باللّه. فكيفَ يكُونُ مُتحالفًا معي ضدَّ ذاتهِ؟» المقطع ١٥٥.[٢٠]

نهبُ بيتِ إبليس. ثيودور المبسوستيّ: هُنا يُشبّهُ يسُوعُ الأرضَ بالبيتِ والبشرَ بالأواني. فالبشرُ أصبحُوا أوانيَ الشّياطينِ وإبليس، بعدَ أنْ خضعُوا لهُم بوسائلَ شرّيرةٍ. يستحيلُ انتزاعُ ما يُسيطرُ عليهِ الشّياطينُ ما لمْ يتمَّ إضعافُهم أوّلاً وربطُهم بالسّلاسلِ، فلا يعُودُون قادرينَ على

---

(١٨) GP 57:447; NPNF 1 10:265
(١٩) GP 57:448; NPNF 1 10:266
(٢٠) MKGK 202

المحارَبَةِ مِنْ أَجْلِه. المقطعُ ٦٨.[٢١]

١٢: ٣٠ مَنْ لَيسَ مَعَ يَسُوعَ فَهُوَ عليهِ

كروماتيوس: حقًّا يُضيفُ يَسوعُ قائِلاً: «مَنْ لَيسَ مَعي فَهُوَ عليَّ، ومَنْ لا يَجمعُ مَعِي فهوَ يُبدِّد». بِهَذا أَظْهَرَ أَنَّ عَمَلَهُ مُعاكِسٌ لِعَمَلِ إبلِيسَ. فَإبلِيسُ هُوَ عَدُوُّ الخَلاصِ البَشَرِيِّ. إبلِيسُ يُبَدِّدُ ويُدَمِّرُ وَالمسيحُ يَجمَعُ ويُخَلِّصُ. لذَلِكَ مِنَ الوَاضِحِ أَنَّ مَنْ كَانَ ضِدَّ الرَّبِّ يعجزُ عَنْ أَنْ يكُونَ مَعَهُ. فَبالرَّغمِ مِنْ أَنَّ الرَّبَّ يَتَبَرَّأُ مِنْ الفَرِّيسيِّينَ الَّذين رَفضُوا أَنْ يَجْمَعُوا مَعَ المَسِيحِ، وَناصَبُوه العَداوَةَ وَالخُصُومَةَ، يُشِيرُ في كَلامِهِ أيضًا إِلَى المُنشَقِّينَ وَأَهلِ النِّحلَةِ. إنَّهُم يَسْتَنْتِجُونَ استِنتَاجَاتٍ مَغلوطَةً عَنِ الكَنِيسَةِ أَوِ الرَّبِّ عِبرَ تَعَاليمَ ومُعْتَقَداتٍ تَهْدِفُ إِلَى تَمزيقِ جَسَدِ الكَنِيسَةِ غَيرِ الفَاسِدِ وَزَعزَعَةِ وَحدَةِ السَّلامِ وَالإيمَانِ. فَكَانُوا مُتَغافِلِينَ عَنْ كَلامِ سُلَيمَانَ: «مَنْ يَشُقُّ حَطَبًا يُجْرَحْ بِهِ».[٢٢] الَّذينَ يُسَبِّبُونَ الشِّقَاقَ في الكَنِيسَةِ يَتَعَرَّضُونَ للموتِ الأَبدِيِّ. موعظةٌ حَولَ متَّى ٥٠. ٢.[٢٣]

مَنْ لَيسَ مَعِي. كَاتِبٌ مَجْهُولٌ: «مَنْ لَيس مَعي فَهُوَ عليَّ». مَا هِيَ إرَادَةُ إبليسَ؟ إنَّها الشَّرُّ وَحدَه. وَمَا هِيَ إرَادَتِي؟ الصَّلاحُ وَحدَه. أَوَرَأَيتَ أَنِّي لَستُ مَعَ إبلِيسَ وأَنّي عَليهِ؟ فَكَمَا أَنَّ الخَيرَ لَيسَ مَعَ الشَّرِّ، بَلْ هُوَ ضِدُّهُ دَائِمًا، هَكَذَا لا يَكُونَانِ مَعًا، بَلْ يَتَصادَمَانِ بِإرَادَتِهِما وَعَمَلِهِما. إبلِيسُ يَتَكَلَّمُ عَلَى الزِّنَا، أَمَّا أَنَا فَأَتَكَلَّمُ عَلَى النَّقَاءِ. هَكَذا يُشِيحُ بِوَجهِهِ عَنِ النَّقيِّ وَيَجْمَعُ مَعَ الفَاسِقِ، أَمَّا أَنَا فَأُشِيحُ بِوَجهِي عَنِ الفَاسِقِ وَأَجْمَعُ مَعَ النَّقِيِّ. هُوَ يُعَلِّمُ الخِصَامَ، وَأَنَا أُعَلِّمُ السَّلامَ. هُوَ يَجْمَعُ مَعَ المُشَاكِسِ وَالمُزْعِجِ، وَأَنَا أَجْمَعُ مَعَ الحَسَنِ التَّفْكِيرِ وَاللَّطِيفِ. أَوَرَأَيْتَ أَنِّي لا أَجْمَعُ مَعَهُ، لَكِنْ أُبَدِّدُ مَا يَفعَلُهُ. يَقُولُ القَليلَ، لَكِنَّهُ يَجْمَعُ الكَثيرَ. إذَا كَانَ الَّذي لَيسَ مَعي هُوَ عَليَّ فَكَم بِالأَحْرَى يَكُونُ عَلَيَّ مَنْ لَيسَ مَعِي؟ إنَّه لَيسَ مَعِي، لأَنَّهُ لا يَفْعَلُ مَا أَنَا أَفْعَلُهُ. هُوَ عَلَيَّ لأَنَّهُ يَعْمَلُ بِخِلافِ مَا أَعْمَلُهُ.أنا أَبْني، فَمَنْ لا يُسَاعِدُني، حتَّى لَو لَمْ يُدَمِّرْ، لا يَكُونُ مَعِي، بَلْ عَلَيَّ. فَإنْ تَمَكَّنَ مِنْ أَنْ يُدَمِّرَ، يَكُونُ لي عَدوًّا! عَمَلٌ غَيرُ كَامِلٍ حَولَ متَّى، الموعظة ٢٩.[٢٤]

١٢: ٣١ كُلُّ الخَطَايَا تُغْفَرُ إلاَّ وَاحِدة

كُلُّ تَجْدِيفٍ يُغْفَرُ لَهُ إلاَّ. هيلاريون. يَدِينُ

[٢١] 911 KGKM

[٢٢] الجامعة ١٠: ٩.

[٢٣] 74-644:a9 LCC

[٢٤] 687:65 GP

تَفْكِيرَ الفَرِّيسيِّينَ وَأَتْبَاعَ فِكرِهِم إدَانَةً حَتْمِيَّةً. يَعِدُ بغُفْرَان الخَطَايَا كُلِّها وَيُنْكِرُ الغُفْرَانَ عَلَى المُجَدِّفِينَ عَلَى الرُّوحِ. فَمَعَ أَنَّ كَلِمَاتٍ وَأَعْمَالاً أُخْرَى قَد تُسَامَحُ مَجَّانًا، فَلَنْ تَكونَ هُنَاكَ رَحْمَةٌ إذَا أُنكِرَ اللّهُ في المَسيحِ. مَهْمَا اقتَرَفَ المرءُ مِنْ خَطَايَا، فاللّهُ يَمُدُّ إحْسَانَ نُصْحِهِ المُتَكَرِّرِ. كُلُّ أَنْوَاعِ الخَطَايَا يُصْفَحُ عَنْهَا، لَكِنَّ التَّجدِيفَ عَلَى الرُّوحِ القُدْسِ لَنْ يُصْفَحَ عَنْهُ. مَاذَا يَكُونُ خَارِجَ نِطَاقِ الغُفْرَانِ بحيثُ يَتِمُّ نُكرَانُ المَسيحِ أَنَّه مِنَ اللّه؟ التَّخَلّي عَنِ المَسيحِ هُوَ التَّخَلّي عَنْ طَبيعَةِ رُوحِ الآبِ المُقِيمَةِ فِيهِ. فَيَسُوعُ يُتِمُّ كُلَّ عَمَلٍ في رُوحِ اللّهِ، وَهُوَ نَفسُهُ مَلَكُوتُ السَّماواتِ، وَفِيه يُصَالِحُ اللّهُ العَالَمَ مَعَ نَفسِهِ. لذَلِكَ يَهدفُ كُلُّ تَجْدِيفٍ عَلَى المَسِيحِ إلَى التَّجدِيفِ عَلَى اللّهِ، لأَنَّ اللّهَ هُوَ في المَسيحِ وَالمَسيحُ هُوَ في اللّه. في متَّى ١٢.١٧.[٢٥]

التَّجديفُ عَلَى الرُّوحِ القُدْسِ. الذَّهَبيُّ الفَم: مَاذَا يَقولُ الآنَ؟ أُمورًا كَثيرَةً قُلتُمُوهَا ضِدّي خُلاصَتُها أَنّي مُخَادِعٌ وَعدوٌّ للّهِ. هَذِهِ الأُمُورُ أَغْفِرُهَا لَكُمْ عِندَ تَوبَتِكم، وَلا أَطْلُبُ مُعَاقَبَتَكُم؛ أَمَّا التَّجدِيفُ عَلَى الرُّوحِ القُدْسِ فَلَنْ يُغْفَرَ لَكُم؛ حَتَّى للَّذينَ يَتوبُونَ. وَكَيفَ يَصِحُّ هَذَا القَولُ؟ فَحَتَّى هَذَا قَدْ غُفِرَ عِندَ التَّوبَةِ؟ كَثِيرونَ، عَلَى الأَقَلِّ مِنَ الَّذينَ قَالُوا هَذَا القَولَ، آمَنُوا فِي مَا بَعْدُ، وَكُلُّ شَيءٍ غُفِرَ لَهُم. مَا الَّذي يَقُولُهُ إذًا؟ إنَّ هَذِهِ الخَطِيئَةَ، قَبْلَ كُلِّ شَيءٍ، لا تُغْتَفَرُ. لمَاذَا هَكَذَا؟ لأَنَّهم لَمْ يَعرِفُوه حقًّا، وَلَمْ يَعْرِفُوا مَنْ هُوَ، لَكِنَّهُم نَالُوا مِنَ الرُّوحِ خِبرَةً كَافِيَةً. فَالأَنبِيَاءُ أَيضًا قَالُوا بالرُّوحِ كُلَّ مَا قَالُوهُ؛ وَبالفِعْلِ كَانَتْ لَدَى الكُلِّ في العَهْدِ القَدِيمِ فِكرَةٌ كَبيرَةٌ عَنهُ.

مَا يَقُولُهُ السَّيِّدُ هُوَ هَذَا: لَقَد عَثَرتُم بِي بسَبَبِ الجَسَدِ الَّذي أَلبَسُه، أَيُمْكِنُكُم أَنْ تَقولُوا عَنِ الرُّوحِ إنَّنَا نَجْهَلُهُ؟ لِهَذَا لا يُغْفَرُ لَكُم تَجْدِيفُكُم. وَسَتُقَاسُونَ العِقَابَ هُنَا وَفِي مَا بَعْدُ. إنجيلُ متَّى، الموعظةُ ٤١.٣.[٢٦]

سَيُغْفَرُ لَهُم. سويروس: مَهْمَا بَلَغَت حِدَّةُ تَجديفِهِم عَلَى ابنِ البَشَرِ، تعثُّرًا بتَدبيرِهِ البَشَريِّ، يَقُولُ مُخَلِّصُنا إنَّه سيُغْفَرُ لَهُم ذَنبُهم، لأَنَّ لَهُم عُذرًا بعَدَمِ إدراكِهِم سِرَّ تنَازُلِهِ وَتواضُعِهِ إلَى مُستَوى البَشَرِ، وَلِهَذَا قَالَ: «يُغْفَرُ للنَّاسِ»[٢٧] وَلَكِنْ لَيْسَ لَكُم. وَكَانَ يَقُولُ مَثَلاً: إنِّي أَغْفِرُ ذَنْبَ الَّذينَ لا يُدْرِكُونَ عُمْقَ التَّدبيرِ.

---

(٢٥) CS 452:282-48

(٢٦) GP 75: 944; NPNF 1 10:662-76

(٢٧) متَّى ١٢: ٣١.

أمَّا أُولَئِكَ الَّذِينَ كَانُوا يَشتِمُونَ وَيُجَدِّفون عَلَى المُعْجِزاتِ الإلَهِيَّةِ وَالآيَاتِ البَاهِرَةِ الَّتي كَانَ يُتِمُّها، وَيَقُومُ بِهَا بِالرُّوحِ الَّذي فيهِ وَالمُسَاوي لَهُ في الجَوْهَرِ، وَيَقُولُونَ مَثَلاً إنَّه «بِبَعْل زَبُول يُخْرِجُ الشَّيَاطِين»،[٢٨] فَلَنْ يُغْفَرَ لَهُم، يَقُولُ المَسِيحُ. إنَّمَا شَتْمُهُم وتجديفُهُم هو تَجدِيفٌ عَلَى الرُّوحِ القُدُسِ، فَتِلكَ الآيَاتُ وَالمُعْجِزَاتُ أَعْمَالٌ تَلِيقُ بِالإِلَهِ، وَلا مَجَالَ لتقدِيمِ العُذْرِ. مَوَاعِظُ الكتدرائيّة، الموعظة ٩٨.[٢٩]

١٢:٣٢ التَّجْدِيفُ عَلَى الرُّوحِ القُدُسِ

الإصْرَارُ عَلَى الخَطِيئَةِ بَعْدَ المَعْمُودِيَّةِ.

أوغسطين: عِنْدَمَا لا يَكُونُ القَلْبُ نَادِمًا سَادِمًا يَتكَلَّمُ ضِدَّ العَطِيَّةِ الَّتي وُهِبَتْ لَهُ من من دونِ بَدَلٍ. التَّجْدِيفُ عَلَى الرُّوحِ هُوَ عَدَمُ التَّوبَةِ. مِنْ هُنَا كَانَ أَنَّه لا يُغْفَرُ لَهُ لا في هَذَا العَالَمِ وَلا في العَالَمِ الآتِي. إنَّه يَتكَلَّمُ إمَّا في الفِكْرِ أَوِ اللِّسَانِ ضِدَّ الرُّوحِ القُدُسِ الَّذي بِهِ تُغْفَرُ الخَطَايَا في المَعْمُودِيَّةِ.... عَدَمُ التَّوبَةِ يُسَمَّى التَّجْدِيفَ وَالتَّكَلُّمَ ضِدَّ الرُّوحِ القُدُسِ، الَّذي لَنْ يُغْفَرَ أبدًا. وَقَد تَكَلَّمَ ضِدَّه المُبَشِّرُ[٣٠] وَالقَاضِي:[٣١] «تُوبُوا لأَنَّ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ اقتَرَب».[٣٢] فَالرَّبُّ فَتَحَ فَمَهُ للتَّبشير بِالإنجيلِ ضِدَّ مَنْ يَرفُضُ التَّوبَةَ. وضِدَّه أَعلنَ أَنَّ الإنجيلَ سَيُبَشَّرُ بِهِ في العَالَمِ بِأَسْرِهِ؛ إذْ قَالَ للتَّلاميذِ ... إنَّ عَلَى المَسِيحِ أَنْ يَتَأَلَّمَ ويَقُومَ مِنْ بَينِ الأَمواتِ في اليَومِ الثَّالِثِ؛ سَيُبَشَّرُ بِاسمِهِ في كُلِّ الأُمَمِ ابتِدَاءً مِنْ أُورشَلِيمَ[٣٣] للتَّوبَةِ وَغُفْرَانِ الخَطَايَا. أَجَل، إنَّ رَفْضَ التَّوبَةِ لا يُغتَفَرُ في هَذَا الدَّهرِ وَلا في الدَّهرِ الآتي، لأَنَّ التَّوبَةَ تَحصَلُ عَلَى الغُفْرَانِ في هَذَا العَالَمِ لِيكُونَ تَأثِيرُهَا في العَالَمِ الآتي. الموعظة ٧١.١٢.٢٠.[٣٤]

---

[٢٨] متّى ٩: ٣٤.
[٢٩] OP 52:451-55
[٣٠] أي يوحنّا المعمدان.
[٣١] أي يسوعُ المسيح.
[٣٢] متّى ٣: ٢؛ ٤: ١٧.
[٣٣] لوقا ٢٤: ٤٦– ٤٧.
[٣٤] (PL 38:455-56; WSA 3 3:258** ;NPNF 1 6:325 (Sermon 21(

١٢: ٣٣-٣٧ الشَّجَرَةُ وَثَمَرُهَا

[٣٣]إجعلوا الشَّجرةَ جيِّدةً تحمل ثمرًا جيِّدًا. واجعلوا الشَّجرةَ رديئة تحمل ثمرًا رديئًا. فمنَ الثمرِ تُعرفُ الشَّجرةُ. [٣٤]يا أولادَ الأفاعي، كيف يُمكنُكُم أن تقولوا كلامًا صالحًا وأنتم أشرارٌ؟ لأنْ مِنْ فيضِ القلبِ ينطقُ الفمُ. [٣٥]الإنسانُ الصّالحُ مِنْ كنزِهِ الصّالحِ يُخرجُ ما هوَ صالحٌ، والإنسانُ الشِّرّيرُ مِنْ كنزِهِ الشِّرّيرِ يُخرجُ ما هوَ شرّيرٌ.
[٣٦]أقولُ لكُم: كُلُّ كَلِمَةٍ باطلةٍ يقولُها النّاسُ يُحاسَبونَ عليها يومَ الدِّينِ. [٣٧]لأنَّكَ بكلامِكَ تُبرَّرُ وبكلامِكَ تُدانُ.

نَظْرَةٌ عَامَّةٌ: يَحْتَاجُ المرءُ إلى اختبارِ الثَّمرةِ ليَكْتَشِفَ نوعَ الشَّجرةِ. بمَا أنَّ الفرِّيسيّين لَمْ يجدوا خطأً في أعمالِ يسوع، أي في الثَّمر، أطلَقوا الحُكْمَ عَلى الشَّجرةِ نفْسِها. سَمّوه مَمْسُوسًا، وهَذا حُكْمٌ جائِرٌ يَراهُ بوُضوحٍ أيُّ امرئٍ. الشَّجرةُ الجيِّدةُ لا تَحمِلُ ثمرًا رَديئًا (الذَّهبيُّ الفم). في قولِ يَسُوع «اجعلوا الشَّجرةَ رَديئةً تَحمِلُ ثمرًا رديئًا»، لَمْ يُكلِّفْنا القِيامَ بهَذا العمَل، إنَّما نَبَّهنا للتَّحرُّزِ مِنَ الَّذينَ يظُنُّونَ أنَّهم يَسْتَطيعُونَ، رغمَ تَشَبُّثِهم بشرِّهِم، أنْ يَتَكلَّموا أو أنْ يَعمَلوا الأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ (أوغسطين). الشِّرّيرُ لا حقَّ لَهُ في الاستِشهادِ بالكِتَابِ المقدَّس أو بتَحريفِ مَا جاءَ فيهِ. علَينا تقْديمُ حِسَابٍ للّهِ عَنْ كُلِّ كَلِمَةٍ غير مُفيدةٍ، وطائشةٍ وعديمةِ الجدْوى (هيلاريون). يُسَمِّيهم يَسوعُ «أَوْلادَ الأَفَاعِي» لأنَّهم تَباهَوا بأسْلافِهِم ولا فضْلَ لهم بذلِكَ (الذَّهبيُّ الفم).

لَيسَ مُدْهِشًا أنْ يكُونُوا عَاجزينَ عَنْ قَولِ شَيءٍ جَيِّدٍ، فالكلِمَاتُ تتْبَعُ طَبْعَ النَّفْسِ (ثيودور المبسوستيّ). المَنْهَلُ الخفيُّ وراءَ الكلِمَاتِ الشِّرِّيرَةِ هُوَ القلْبُ الفَاسِدُ (الذَّهبيُّ الفم). في يَومِ الحِسَابِ يُقَدِّمُ كُلُّ امرئٍ حِسابًا عن كَلامِه (جيروم، ثيودور أسقف هيراقلية). إنَّ الَّذينَ يَضبطونَ ألسِنَتَهُم لا خوفَ علَيهم مِنَ الدَّينُونَةِ (الذَّهبيُّ الفم).

١٢: ٣٣ فَمِنَ الثَّمَرِ تُعْرَفُ الشَّجَرَةُ

إمَّا أو. هيلاريون: مَا قَالَهُ يَسُوعُ وَهُوَ عَلَى الأَرضِ سَيَتَحَقَّقُ فِي المُستَقبَلِ. فِي الزَّمَنِ الحَاضِرِ يُبكِّتُ قَوْلُهُ اليَهُودَ الَّذِينَ أُتِيحَ لَهُم أَنْ يَروا أَعْمَالَهُ الَّتِي تَفُوقُ قُدْرَةَ البَشَرِ، لَكِنَّهم كَانُوا رَافِضِينَ إِعْلانَهَا كَأَعْمَالِ اللهِ. يَتَوَقَّعُ يَسُوعُ فِي قَولِهِ هَذَا كَثْرَةَ التَّحْرِيفَاتِ المُسْتَقْبَلِيَّةِ للإِيمَانِ، لاسِيَّمَا تحرِيفَاتِ الَّذِينَ يُجَرِّدُونَ الرَّبَّ مِنَ الكَرَامَةِ وَيُنكِرونَ اتِّحَادَهُ بِطَبِيعَةِ الآبِ فَيَسقُطُونَ فِي النِّحْلَةِ. وَيَطُوفُونَ فِي المَيدَانِ عَلَى غَيرِ هُدًى وَسْطَ الَّذِينَ يَتَصَرَّفُونَ بِعُذرِ الجَهْلِ وَكَذَلِكَ وَسْطَ الَّذِينَ يَعِيشُونَ فِي مَعْرِفَةِ الحَقِّ. . . .

مِنْ خِلالِ الحَيَوِيَّةِ المُتَأَصِّلَةِ فِي الشَّجَرَةِ، يَكثُرُ الثَّمَرُ. وَتَكُونُ الشَّجَرَةُ جَيِّدَةً إِذَا كَانَ ثَمَرُهَا جَيِّدًا وَتَكُونُ رَدِيئَةً إِذَا كَانَ ثَمَرُهَا رَدِيئًا. فَمِنَ الثَّمَرِ تُعْرَفُ الشَّجَرَةُ.... فَإِمَّا أَنْ يُهمَلَ المَسِيحُ وَكَأَنَّهُ غَيرُ مُفيدٍ أَوْ أَنْ يُتَمَسَّكَ بِهِ لِفَائِدَةِ ثِمَارِهِ الجَيِّدَةِ. فِي متّى ١٢. ١٨.[١]

مِنَ الثَّمَرِ يُعْرَفُ. الذَّهَبِيُّ الفَم: لِهَذَا لَمْ يَرْمُوا أَعْمَالَهُ بِتُهْمَةٍ، بَلْ كَانُوا يَفْتَرُونَ عَلَى مَنْ يَقُومُ بِهَا. يُشِيرُ السَّيِّدُ إِلَى أَنَّ هَذِهِ الاتِّهَامَاتِ بِمَجمُوعِهَا تخالف كلّ الأَفْكَارِ المُشتَرَكَةِ وَتَسَاوُقِ الأُمُورِ. إِنَّهُ مِنَ العَيْبِ تَفْسِيرُ الأُمُورِ بِخُبْثٍ، وَمِنَ العَارِ تَلفِيقُ تُهَمٍ كَهَذِهِ مُعَاكِسَةٍ لانطِبَاعَاتِ النَّاسِ المُشتَرَكَةِ. أُنظُرْ كَمْ كَانَ مُعْتَقًا مِنَ المُشَاكَسَةِ! لَمْ يَقُلْ «إِجْعَلُوا الشَّجَرَةَ جَيِّدَةً، لأَنَّ الثَّمَرَ جَيِّدٌ أَيضًا»، بَلْ قَالَ، لِيكُمَّ أَفْوَاهَهُم وَيُظْهِرَ حِلْمَهُ وَغَطْرَسَتَهُم: لو أَرَدْتُم أَنْ تَجِدوا عَيبًا فِي أَعْمَالِي، فَأَنَا لا أُمَانِعُ؛ لَكِنْ لا تَأْتُوا بِتُهَمٍ مُتَنَاقِضَةٍ مُتَبَايِنَةٍ. فَهِي تَدِينُهم وَتَرفَعُ السِّتَارَ عَن عُيوبِهِم.

يَقُولُ السَّيِّدُ إِنَّكُم تَأْثَمُونَ عَنْ نَزَقٍ وَتُنَاقِضُونَ أَنفُسَكُم. تَصنِيفُ الشَّجَرَةِ جَيِّدَةً أَو رَدِيئَةً يَظْهَرُ بِالثَّمَرِ، لا الثَّمَرِ بِالشَّجَرَةِ؛ أَمَّا أَنْتُم فَتَعكِسون ذَلِكَ. إِنْ كَانَتِ الشَّجَرَةُ سَبَبَ الثَّمَرِ، فَالثَّمَرُ يُعْرَفُ بِالشَّجَرَةِ. إِنَّ التَّسَاوُقَ يَقْتَضِي إِمَّا أَنْ تَجِدوا عِلَّةً فِي أَعْمَالِنَا أَو أَنْ تَمْتَدِحُوهَا لِنُعْتَقَ فِي أَعْمَالِنَا مِنَ التُّهَمِ، لَكِنَّكُم تَفْعَلُونَ عَكْسَ ذَلِكَ. فَأَنتُم لا تَجِدُونَ عِلَّةً فِي الأَعْمَالِ، الَّتِي هِيَ الثَّمَرُ. فَتُصْدِرُونَ الحُكْمَ المُخَالِفَ عَلَى الشَّجَرَةِ، نَاعِتِينَ إِيَّايَ بِأَنِّي مَمْسُوسٌ، وهذا هُوَ الجُنُونُ المُطبِقُ. مَا قَالَهُ مِنْ قَبْلُ يُشَدِّدُ عَلَيهِ هُنَا أَيضًا: لا تَسْتَطِيعُ الشَّجَرَةُ الجَيِّدَةُ أَنْ تُثْمِرَ ثَمرًا رَدِيئًا، وَلا يُمْكِنُ الرَّدِيئَةَ أَنْ تُثمِرَ ثَمَرًا جَيِّدًا. إِنجِيلُ متَّى، المَوعظة ٤٢. ١.[٢]

---

[١] CS 68-482:452

[٢] GP 75:154; NPNF 1 10:268-69

إجْعَلوا الشَّجرَةَ جيِّدةً. أوغسطين: قَولُه «إجْعَلوا الشَّجرَةَ جيِّدةً وَالثَّمرَ جيِّدًا» لَيسَ نُصْحًا ودِّيًا، بَلْ أَمْرٌ يَستَوجِبُ الخُضُوعَ. وَقَولُه، «إجْعَلُوا الشَّجرَةَ رَدِيئَةً وَالثَّمرَ رَدِيئًا» لَيسَ أمْرًا مُلزِمًا، إنّه تَحْذِيرٌ لاتِّقائِهِ. يُشِيرُ بِهذا إلَى الَّذينَ يَظُنُّونَ أنَّهم يَسْتَطِيعُون، مَعَ أنَّهم أرْدِياءُ، أنْ يَتَكَلَّمُوا كَلامًا جَيِّدًا أوْ أنْ يَعْمَلُوا أَعْمَالاً جَيِّدَةً. يَقُولُ الرَّبُّ يَسوعُ هَذا مَا يَعْجَزُونَ عَنْ فِعْلِهِ. فَعَلَى المَرْءِ أنْ يَتَغيَّرَ أوَّلاً، حَتَّى يُغَيِّرَ أعْمَالَهُ. لَكِنْ، إذَا بَقِيَ المرءُ أَثِيمًا، لا يَقْدِرُ أنْ يَعْمَلَ أعْمَالاً خَيِّرَةً. أمَّا إذا ثَبَتَ في البِرِّ، فَلَنْ يَعْمَلَ أعْمَالاً شِرِّيرَةً. مَواعِظ حَولَ دُروسِ العَهدِ الجَديدِ ٧٢.١.١.[3]

١٢: ٣٤ مِنْ فَيضِ القلبِ يَنطِقُ الفمُ

الشِّرِّيرُ لا يَتَفَوَّهُ بِالصَّلاحِ. هيلاريون: عَلَّمَنَا أنَّ النَّظْرَةَ الفَاسِدَةَ للحَياةِ تَنْشأُ عَنْ طَبيعَةٍ فَاسِدَةٍ. كَمَا عَلَّمَنا أنَّه لا يَخْرُجُ مِنْ مُستَوْدَعٍ شِرِّيرٍ إلاَّ ما هُوَ شِرِّيرٌ. أمَّا نَحْنُ فَعَلَينَا تَأدِيَةُ الحِسَابِ لله مِنْ أَجْلِ كُلِّ كَلِمَةٍ طَائِشَةٍ غَيرِ مُفِيدَةٍ، وَعَدِيمَةِ الجَدْوَى. سَنكُونُ إمَّا مُدَانِينَ أو مَبْرُورِين بِالكَلامِ الَّذي نَتكلَّمُ بِهِ. إنَّنا سَنَتلَقَّى الرَّحْمَةَ أوِ الحُكْمَ استِنَادًا إلَى قَنَاعَاتِنَا الدَّاخِلِيَّةِ في شَأْنِ المَجْدِ السَّمَاوِيِّ. في متّى ١٢.١٩.[4]

يَا أَوْلادَ الأفَاعِي: الذَّهَبيُّ الفَم: يَقُولُ هَا أَنْتُم أَشْجَارٌ رَدِيئَةٌ، لا تَسْتَطِيعُونَ أَنْ تُثْمِروا ثَمَرًا جَيِّدًا. فَأنَا لا أَتعَجَّبُ مِنْ أَنَّكُم تَقُولُونَ هَذِهِ الأقْوالَ. فَقَدْ تَرَبَّيتُم تَربِيَةً سَيِّئَةً، لِكَونِكُم مِنْ أسْلافٍ أَشْرَارٍ، وَاكتَسَبتُم فِكْرًا شِرِّيرًا.

أُنْظُرْ كَيفَ وَضَعَ السَّيِّدُ كُلَّ الشَّكَاوَى بِدِقَّةٍ، بِدُونِ أيِّ مَمْسَكٍ للاعتِرَاضِ: فَفِي ذَلِكَ لَمْ يَقُلْ: كَيفَ تَسْتَطِيعُونَ أَنْ تَتَكَلَّمُوا بِالصَّالِحَاتِ وَأَنتُم أَوْلادُ الأفَاعِي؟ هَذا القَولُ الأخِيرُ هُو لا شَيءَ بِالنِّسبَةِ إلى القَولِ السَّابِقِ: «كَيفَ تَستَطِيعُونَ أَنْ تَتَكَلَّمُوا بِالصَّالِحَاتِ وَأَنتُم أَشْرَارٌ»؟ فَهُوَ يُسَمِّيهِم «أَوْلادَ الأفَاعِي» لأَنَّهُم يُفَاخِرُونَ بِأَسْلافِهِم. وَلِيُظْهِرَ أنَّهُ لا جَدوَى لَهُم مِن هَذِهِ الادِّعَاءَاتِ يُقْصِيهِم عَنْ قَرابَتِهِم بِإبرَاهِيم. إنجيلُ متّى، الموعظة ٤٢.١.[5]

مَيلُ النَّفْس. ثيودور المبسوستيّ: يَقُولُ: «يا أَشَدَّ جَمِيعِ النَّاسِ شَرًّا، إنَّكُم لَمْ تَتَخلَّوا عَنْ شَرِّ الأفَاعِي. مِنَ العَسِيرِ عَلَيكُم أَنْ تَنطِقُوا بِشَيءٍ جَيِّدٍ. فَالكَلامُ يُعَبِّرُ عَنْ مَيلِ

---

[3] PL 38:467; NPNF 1 6:332 (Sermon 22)

[4] CS 254:288

[5] GP 57:451-52; NPNF 1 10:269

النَّفْسِ. فكيفَ تنْطِقُونَ بالأَقْوالِ الصَّالِحَةِ وَقدِ اخترتمُ الشَّرَّ مرَّةً، مُتَّجِهِينَ إِلى مَا هُوَ أَشدُّ شرًّا»؟ المقطع ٧٠.[٦]

١٢: ٣٥ الكُنوزُ الصَّالحةُ والشِّرِّيرَةُ

المصْدرُ هُوَ أَصلُ الأَعْمالِ الشِّرِّيرَةِ. الذَّهبيُّ الفم: الشَّرُّ ينْضحُ مِنَ الدَّاخِلِ وَينْدلقُ مِنَ الفمِ الَّذي يخْرُجُ منه الكلامُ. هكذَا عِنْدمَا تَسْمعُ إِنْسانًا يتكلَّمُ كلامًا شِرِّيرًا، فَلا تَظُنَّنَّ أَنَّ شرًّا كهذا كامِنٌ فِيهِ، كَمَا يظْهرُ مِنْ كَلامِهِ، بَلْ إِنَّهُ غيضٌ مِن فيضٍ، فمَا تَلَفَّظَ بِهِ هُوَ فضلةُ مَا في الدَّاخِلِ. إنجيلُ متَّى، الموعظة ٤٢.١.[٧]

الصَّالحُ وَالشِّرِّيرُ بالاختيارِ. كيرلُّس الإِسكندريّ: عِنْدمَا يتحدَّثُ المسيحُ عَنِ «الكنْزِ» يُشِيرُ إِلَى كَوامِنِ النَّفْسِ لئلاَّ يَقُولَ بَعْضُهم إِنَّ هؤُلاءِ النَّاسَ كانُوا بطبيعتِهِم أَشْرارًا. يُوضِحُ للفرِّيسيِّين: إِنَّه مِنَ المُمْكِنِ للمرءِ أَنْ يكُونَ صالِحًا تارَةً وشِرِّيرًا تارةً أُخرَى قائِلاً: إنَّه مِنْ فَيضِ القلْبِ ينطِقُ الفمُ، وَهذَا مَا ينطبِقُ عَلى الشِّرِّيرِ. المقطع ١٥٨.[٨]

١٢: ٣٦ يُحاسَبُونَ عليهَا

كُلُّ كلِمَةٍ باطِلَةٍ. جيروم: هَذا القَولُ يُلائِمُ مَا قِيلَ مِنْ قَبْلُ، والمَعْنَى هُوَ أَنَّه في يومِ الحِسابِ يؤدِّي كُلّ امرئٍ حِسابًا عَنْ كَلامِهِ. إِذَا كانَتِ الكلِمَةُ الباطِلَةُ الَّتي لا تَبْنِي المُستمِعِينَ تُؤذِي المتكلِّمَ أتتغابَونَ أَيُّها الفرِّيسيّونَ عن أنَّكم ستُؤدُّون حِسابًا علَى انتِقادِكم أعْمالَ الرُّوحِ القُدُسِ وَعلَى قولِكُم إنِّي أطْرُدُ الشَّياطِينَ ببعْلِ زبُول رئيسِ الشَّياطِين؟ الكلِمةُ الباطِلةُ هِيَ الَّتي لا فائِدَةَ منها للمُتكلِّمِ والمُستمِعِ. إنَّنا نتغاضَى عَنِ الأَهمِّ ونَنطقُ بأُمُورٍ طائِشَةٍ ونَقُصُّ رِواياتٍ كأنَّنا زَوجاتٌ طاعِناتٌ في السِّنِّ. فَمَن تَصرَّفَ تَصرُّفَ المُهرِّجِ، وتَحلَّقَ حتَّى بَدا أَقْصَى أَضْراسِهِ مُقهْقِهًا قهْقهاتٍ صاخِبَةً، وتفوَّه بالبَذِيءِ مِنَ الكلامِ سيُحاسَبُ، ليس عَلى كلامٍ باطِلٍ وَخُبثٍ، بَل علَى كلامِ الافتِراءِ أيضًا. تفسيرُ متَّى، ٢.١٢.٣٦.[٩]

١٢: ٣٧ بكلامِكَ يُحكَمُ عليكَ

تُدانُ بكلامِكَ. ثيودور أُسقف هيراقلية: إذَا كَانَ النَّاسُ مسؤُولِين عَنْ كُلِّ كلِمَةٍ باطِلَةٍ تُتَمْتِمُ بِهَا شِفاهُهُم، فمَا أَشَدَّ إدانَةَ الَّذينَ يُجَدِّفُونَ عَلَى رُوحِ ابنِ اللّهِ الأَوحَدِ في يومِ

---

[٦] KGKM 911

[٧] GP 75:254; FNPN 1 01:962

[٨] KGKM 18-28

[٩] LCC 77: 69

الدِّين! يَقُولُ المَسِيحُ: إذا افترى المرءُ على الآخرِ، لَنْ يَهْرُبَ مِنَ الدَّينونة. إذا كانوا سَيُؤَدُّونَ حِسَابًا على كُلِّ كلمةٍ باطلة، فكم يَكُونُ الأمْرُ بالنِّسبةِ إلى العَمَلِ الباطِل. المقاطع ٨٨-٨٩.[١٠]

التيقُّظ في استعمال الكلام. الذَّهبيُّ الفم: أَوَرَأَيْتَ كَمْ تَكُونُ المَحْكَمَةُ غيرَ مُعَادِيَةٍ؟ وَكَمْ تَكُونُ المُحَاسَبَةُ هَادِئَةً؟ سَيُصدِرُ القَاضِي أَحْكَامَه بِنَاءً على مَا قُلتُمُوه أَنتُم لا بِنَاءً عَلَى مَا قَالَهُ آخرُ عنْكُم. فَهُوَ الأَكثَرُ عَدلاً بينَ الجميعِ. فَأَنْتَ سَيِّدُ مَا تَقُولُهُ وَمَا لا تَقُولُه.

لذلِكَ على المُفْتَرِينَ أَنْ يَضطَرِبوا وَيرْتَعِدُوا، لا المُفْتَرَى عَلَيهِم، إِذْ هُم غيرُ مُجْبَرِين على الدِّفَاعِ عَنْ أَنفسِهِم في ما يَخُصُّ مَا نُسِبَ إليهم مِنْ شرور، بل الآخرون مُجْبَرُون على ذلك، لما نطقوا به مِنْ شرّ. وعلى هذا يُعلَّقُ الخطرُ كلُّه. فعلى المُفْتَرى عليهم أنْ يكونوا بِلا همٍّ، لأنَّهم لنْ يُقدِّموا حِسابا على ما افتراهُ الآخرون عليهم؛ أمَّا المُفْتَرُون فعليهم أنْ يضطربُوا ويرتعِدُوا، لأنَّهم سيُجَرُّون أمام مِنْبر الدَّينونة. هذا شَرْكٌ شيْطانيٌّ، وخطيئةٌ لا متعة فيها، بلْ أذى وإساءة.... هكذا يُهْلِكُ المُفْتري نَفْسهُ أوَّلاً: إنَّ منْ يطأُ النَّار كمَن يُحْرِقُ نفسه، ومَنْ يضْرِبُ حجَر الأدمَنْت كمَن يَغِيظُ نفْسَهُ، ومَنْ يرفِسُ المناخِس كمَنْ يُدمِي نفْسَهُ. إنجيلُ متَّى، الموعظة ٤٢. ٢.[١١]

---

[١٠] 18 KGKM

[١١] 072:01 1 FNPN ;354:75 GP

١٢: ٣٨-٤٢ مُعَلِّمو الشَّرِيعَةِ وَالفَرِّيسِيّون يَطْلُبُونَ آيَةً مِنَ السَّمَاوَاتِ

[٣٨]عندئذٍ قالَ لَه بعضُ مُعلِّمي الشَّريعَةِ و الفَرِّيسيِّينَ: «يا مُعلِّمُ، نُريدُ أنْ نرى مِنكَ آيَةً». [٣٩]فأجابَهُم: «جِيلٌ شرِّيرٌ فاسِقٌ يَطلُبُ آيَةً، ولن يُعطى سِوى آيَةِ النبيِّ يونانَ. [٤٠]فكما بَقِيَ يونانُ ثلاثَةَ أيّامٍ وثلاثَ ليالٍ في بَطنِ الحُوتِ، كذلِكَ يَبقى ابنُ الإنسانِ ثلاثَةَ أيّامٍ وثلاثَ ليالٍ في جوفِ الأرضِ. [٤١]أهلُ نينَوى سيَقومونَ يومَ الحِسابِ معَ هذا الجيلِ

ويَحكُمونَ علَيهِ، لأنّهم تابُوا بإنذارِ يونانَ، وهُنا الآنَ أعظَمُ مِنْ يونانَ. [٤٢]ومَلِكَةُ الجَنوبِ ستَقومُ يومَ الحِسابِ معَ هذا الجِيلِ وتَحكُمُ علَيهِ، لأنَّها جاءَتْ مِنْ أقاصي الأرضِ لتَسمَعَ حِكمَةَ سُليمانَ، وهُنا الآنَ أعظَمُ مِنْ سُليمانَ.

نَظْرَةٌ عَامَّةٌ: تَصَوَّرَ الفَرِّيسيُّونَ أَنَّ يَسُوعَ لَمْ يَكُنْ مُسَيطِرًا عَلَى أَهْوَائِهِ، وَأَنَّه تَارَةً كَانَ يَسْتَشيطُ غَضَبًا، وَطَورًا كَانَ يُمَالِقُ (الذَّهَبيُّ الفَم). إنَّ طَلَبَ آيَةٍ مِنِ ابنِ اللّهِ لتَدلَّ عَلَى أُلوهِيَّتِه لَيسَ سِوَى إنْكَارٍ لِكَلامِهِ، وَكَأَنَّ تَكلُّمَهُ عَلَى نَفْسِهِ بَاطِلٌ مَا لَمْ تُسَانِدِ الآيَاتُ كَلامَه (كَاتِبٌ مَجْهُولٌ). إنَّ الَّذينَ يَتُوقُونَ إلَى أَنْ يَعرِفُوا ابنَ اللّهِ مِنْ خِلالِ مُعجِزاتِهِ، لا مِنْ خِلالِ الإيمَانِ، سَيَقَعُونَ في شَرَكِ عَدَمِ إيمَانِهِم، وَيَعثُرونَ بموتِهِ الَّذي هُوَ آيَةُ يُونَان (كَاتِبٌ مَجْهُولٌ). يُشيرُ الدَّفنُ الثُّلاثيُّ الأَيَّامِ إلَى نِهَايَةِ يومِ الجُمُعَةِ، وَيَومِ السَّبتِ بِأَكْمَلِهِ، وَبَدءِ يَومِ الأَحَدِ (ثِيودور أسقف هيراقلية). مَثَّلَ يونَانُ مُسبقًا ابنَ الإنسَانِ (أوغسطين) وَمَثَّلَ أَهْلُ نينوى مُسبَقًا المُؤمِنينَ (كَاتِبٌ مَجْهُولٌ). إنَّ التَّشَابُهَ بَينَ يُونَان وَيَسُوعَ تَنقُصُهُ دِقَّةُ المَلامحِ (الذَّهَبيُّ الفَم، كيرلُّس الإسكندريّ). إنَّ الكَنيسَةَ تُتمِّمُ نَمُوذَجَ مَلِكَةِ الجَنُوبِ، فَلا تُقدِّمُ هَدَايا فَانيةً، بَل تُقَدِّمُ الإيمَانَ، بِخُورَ المَعْرِفَةِ، تَقدِمَةَ القُرْبَانِ، عَرَقَ الفَضَائِلِ، وَدَمَ الشَّهَادَةِ (أوغسطين، وأوريجنّس). وَمَعَ ذَلِكَ فَهُنَاكَ الكَثيرُ مِنَ التَّنَاقُضِ في هَذه المُقَارَنَةِ (كَاتِبٌ مَجْهُولٌ).

١٢: ٣٨ يَسُوعُ يَرفُضُ المُطالِبينَ بِآيَةٍ

تَمَلُّقُ المُعَلِّمِ. الذَّهَبيُّ الفَم: «عِنْدَئِذٍ» مَتَى؟ بَدلاً مِنْ أَنْ يَنْحَنُوا أَمَامَهُ، أَنْ يَتَعَجَّبُوا، أَنْ يَنْدَهِشُوا، أَنْ يَتَرَاجَعُوا، لَمْ يرتَدُّوا عَنْ شَرِّهِم. أُنْظُرْ كيفَ يُراوِغُونَ في كَلامِهِمُ المَمْلُوءِ بِالتَّمَلُّقِ وَالرِّيَاءِ، في جَهدٍ مِنهُم أَنْ يَجْذِبُوه إلَيهِم بتِلكَ الطَّريقَةِ. تَارَةً، وَطَورًا يَتَمَلَّقُونَهُ، تَارَةً يَدْعُونَهُ مَمْسُوسًا، وَتَارَةً أُخْرَى «يَا مُعَلِّم»: كُلُّها تَنْبَعُ مِنْ قَلبٍ شِرِّيرٍ، فَتَتَنَاقَضُ كَلِمَاتُهم.

لِهَذَا يُبَكِّتُهُم السَّيِّدُ تَبْكِيتًا. وَعِندمَا كَانُوا يَسْأَلُونَهُ بِخُشُونَةٍ ويُهينونَهُ؛ وَعِندمَا كَانُوا يَتَمَلَّقُونَهُ تَمَلُّقًا مُشِينًا وَعَنِيفًا، كَانَ يُبَاحِثُهُم بِدَمَاثَةٍ، دَالاً عَلَى أَنَّه مُتَرَفِّعٌ عَنْ كُلِّ هَذِه الأَهْوَاءِ، وَأَنّه لا يَستَطِيرُ غَضَبًا وَلا

يَلينُ بالتَّمَلُّق. تَفسيرُ متَّى، الموعظة ١.٤٣.[١]

إنحِرافُهُم. كاتِبٌ مَجْهولٌ: لَمَّا شَفَى المَمْسُوس، جَدَّفَ بَعْضُ المُتَفَرِّجينَ اليَهُود عَلَى الرَّبِّ قائِلِينَ: «إنَّه يَطرُدُ الشَّياطينَ بِبَعْلَ زَبُولَ رَئيس الشَّياطين». وَجَرَّبَهُ آخَرونَ قائِلِينَ: «يَا مُعلِّمُ، نُريدُ أَنْ نَرى مِنكَ آيَةً». رُبَّما كانَ هذانِ التعبيرانِ مُختَلِفَيْنِ شَكْلاً، إلاَّ انحِرافَهُما عن جادَّةِ الصَّواب مُشْتَرَكٌ. فَأنْ تُنْسَبَ إلَى الشَّيطانِ أعْمَالُ ابنِ اللّهِ هُوَ تَجْدِيفٌ عَلَى ابنِ اللّهِ وعَلَى الرُّوحِ القُدْسِ. وطَلَبُ الآيَةِ مِن ابنِ اللّهِ لِلبُرْهَانِ عَلَى أُلُوهيَّتِهِ هُوَ إهَانَةٌ لَهُ، لأنَّ طَلَبَ مِثْلِ هَذِهِ الآيَةِ لَيسَ سِوَى عِصيانٍ لِما يَنْطِقُ بِهِ، وَكَأَنَّه يَنطِقُ بأكاذِيبَ عَنْ نَفسِهِ، مَا لَمْ يُثَبِّتْ كَلامَهُ بآيَاتٍ عَلَنيَّةٍ. عَمَلٌ غيرُ كَامِلٍ حَولَ متَّى، الموعظة ٣٠.[٢]

نَتُوقُ إلَى مُشَاهَدَةِ آيَةٍ. كيرلّس الإسكندريّ: يَقُولُونَ إنَّ المُعجِزاتِ الَّتي صَنَعَهَا هِيَ مِنَ الشَّيَاطِين، وَكَأنَّهُ يَقُومُ عَلَى الأَرْضِ بأَعْمَالٍ وَهْمِيَّةٍ خَيَالِيَّةٍ. إذًا، إصْنَعْ بِقُدرَتِكَ مُعْجِزَةً مِنَ السَّمَاءِ. فَالإنجِيليُّ الآخَرُ يَقُولُ بوُضُوحٍ: لَقَدْ أَرادُوهُ أَنْ يَصْنَعَ آيَةً مِنَ السَّمَاءِ تَليقُ بقُدْرَتِهِ الإلَهِيَّةِ.[٣] قَالُوا هَذا، وَقد عمِيَت عُقُولُهم، فكأَنَّ يَسُوعَ كَانَ عَاجِزًا عن أَنْ يَفْعَلَ أيَّ شَيءٍ يَلِيقُ باللّه: فَتحُ عَينَي الأَعْمَى وَإقَامَةُ الميتِ وَانتِهَارُ الرِّيحِ وَالبَحْرِ هِيَ مُعْجِزَاتٌ لا تَتِمُّ إلاَّ بقُدْرَةٍ إلَهِيَّةٍ. المقطع ١٦٠.[٤]

١٢: ٣٩ وَلَنْ يُعْطَى سِوى آيَةِ النَّبِيِّ يونانَ

جِيلٌ شِرِّيرٌ فَاسِقٌ. أوريجنِّس: صَارَ ذَلِكَ الجِيلُ شِرِّيرًا. صَارَ فَاسِقًا لأَنَّه هَجَرَ زَوْجَتَهُ الرَّمْزِيَّةَ-الكَلِمَةَ أَو شَرِيعَةَ الحَقِّ-وَاقتَرَنَ بالكَذِبِ. فَالشَّرِيعَةُ الَّتي هِيَ «في أَعْضَاءِ» جَسَدِنَا تُحَارِبُ «شَرِيعَةَ العَقْلِ». فَهُوَ زَانِي النَّفْسِ. وَكُلُّ قُوَّةٍ مُعَاكِسَةٍ، إذَا كَانَ وِصَالُهَا بالنَّفْسِ بِلا إخْلاص-النَّفسُ عَروسُهَا كَلِمَةُ اللّه- تُسَبِّبُ لِلنَّفْسِ الزِّنَى. المقطع ٢٧٤.[٥]

المُطَالَبَةُ بآيَةٍ. كَاتِبٌ مَجْهُولٌ: هَلْ تُريدُ أَنْ تَرَى آيةً؟ أَينَ كُنتَ لمَّا صَرَخَ الشَّيطَانُ الَّذي أَدَّبَتْهُ بالكَلِمَةِ لا بالسَّوطِ، قَائِلاً: «مَا لَنَا وَلَكَ يَا ابنَ اللّهِ؟ أَجِئتَ إلَى هُنا لِتُعذِّبَنا قَبلَ الأَوانِ؟ نَعْرِفُ أَنَّكَ أنتَ ابنُ اللّه».[٦] لَقَد

---

[١] GP 75:457; NPNF 1 10:273
[٢] GP 56:787
[٣] مرقس ٨: ١١؛ لوقا ١١: ١٦؛ متّى ١٦: ١.
[٤] MKGK 204
[٥] GCS 41.1: 123
[٦] متّى ٨: ٢٩.

أَدْرَكَتِ الشَّيَاطِينُ قُدرَتِي، وَأَنتَ أَخفَقْتَ في رؤيَـةِ آيَـةِ أَعْمَـالِي؟ أَيـنَ كُنتَ لَمَّـا صَرَخَ الأَعْمَى الجَالِسُ إِلَى جَانِبِ الطَّرِيقِ قَائِلاً: «رُحْمَـاكَ، يَـا يَـسُوعُ ابـن داود»،[٧] أَعِنِّي لأُبصِرَ؟ عَمَلٌ غيرُ كَامِلٍ حَوْلَ متَّى، الموعظة ٣٠.[٨]

آيَةُ يُونَان. كَاتِبٌ مَجْهُولٌ: مَا هِيَ آيَةُ يُونَانَ؟ إِنَّها عَثرَةُ الصَّلِيبِ. إِنَّ المُجَادِلِينَ بِالعَقْلِ لا يَخلُصُونَ، بَلْ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤمِنُونَ بِالتَّعْلِيمِ الحَقِيقيِّ. فَصَلِيبُ المَسِيحِ هُوَ حَقًّا عَثرَةٌ لِلَّذِينَ يُجَادِلُونَ بِالعَقْلِ، لَكِنَّهُ خَلاصٌ لِلمُؤمِنِينَ. يَشْهَدُ بُولسُ لِهَذا قَائِلاً: «نَحْنُ نُبَشِّرُ بِالمَسِيحِ مَصلُوبًا، وَهَذا عَثرَةٌ لِلـيَهُودِ وَحَمَاقَةٌ فِي نَظَرِ الوَثَنيِّينَ. وَأَمَّا لِلَّذِينَ دَعَاهُمُ اللّهُ مِنَ اليَهُودِ وَاليُونَانيِّينَ، فَالمَسِيحُ هُوَ قُدْرَةُ اللّهِ وَحِكْمَتُه».[٩] لِمَاذا يَطلُبُ اليَهُودُ آيَةً وَيَطلُبُ اليُونَانِيُّونَ حِكْمَةً؟ أَشَارَ اللّهُ إِلَى آيَةِ حَجَرِ العِثَارِ لِليَهُودِ وَاليُونَانِيِّينَ. إِنَّ الَّذِينَ يَرْغَبُونَ فِي أَنْ يَجِدُوا المَسِيحَ بِالحِكْمَةِ لا بِالإِيمَانِ سَيَهلِكُونَ فَوقَ حَجَرِ عَثرَةِ حَمَاقَتِهِم. وَالَّذِينَ يَتُوقُونَ إِلَى مَعْرِفَةِ ابنِ اللّه بِالآيَاتِ لا بِالإِيمَانِ سَيَبْقَونَ فِي شَرَكِ رَفْضِهِم، سَاقِطِينَ عَلَى حَجَرِ عِثَارِ مَوتِهِ. إِنَّهَا لَمْ تَكُنْ أُعْجُوبَةً صَغِيرَةً أَنْ تُسَاوِرَ اليَهُودَ فِكرَةٌ، وَهُم يَنظُرُونَ إِلَى مَوتِ المَسِيحِ، أَنَّه كَانَ مُجَرَّدَ إِنسَانٍ، فِي وَقْتٍ تَرَدَّدَ فِيهِ المَسِيحِيُّونَ... بِسَبَبِ مَوتِهِ، أَنْ يُبَشِّرُوا بِأَنَّه الابنُ الأَوحَدُ، المَصلُوبُ، الَّذِي جَلالُهُ لا يُضَاهَى. عَمَلٌ غَيرُ كَامِلٍ حَوْلَ متَّى، الموعظة ٣٠.[١٠]

١٢:٤٠ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ وَثَلاثَ لَيَالٍ

ثَلاثَةَ أَيَّامٍ وَثَلاثَ لَيَالٍ فِي جَوْفِ الأَرْض. ثيودور أسقف هيراقلية: يَقُولُ المَسِيحُ إِنَّه سَيَبْقَى «ثَلاثَةَ أَيَّامٍ وَثَلاثَ لَيَالٍ فِي جَوفِ الأَرضِ»، مُشِيرًا إِلَى نِهَايَةِ يَومِ الجُمُعَةِ، وَكُلِّ يَومِ السَّبتِ وَبَدءِ يَومِ الأَحَدِ، مُحَافِظًا عَلَى طَرِيقَةِ فَهْمِ النَّاسِ لِبَدءِ اليَومِ وَنِهَايَتِهِ. وَنَحنُ نُقِيمُ ذِكْرَى الأَموَاتِ ثَالِثَ يَومٍ لِوَفَاتِهِم، لا عِندَ إِكمَالِهِم الأَيَّامَ وَاللَّيَالِي الثَّلاثة. لَكِنَّنَا نَعُدُّ اليَومَ الَّذِي مَاتَ فِيهِ المرءُ يَومًا كَامِلاً، بِصَرْفِ النَّظَرِ عَنْ سَاعَةِ وَفَاتِهِ. وَنَعُدُّ يَومًا آخَرَ عِندَمَا نُودِّعُ الرَّاحِلَ بِالتَّرَاتِيلِ عِندَ القَبرِ. إِنَّ الرَّبَّ بِاتِّبَاعِهِ هَذِهِ الطَّرِيقَةِ مِنَ العَدِّ، أَعْلَنَ أَنَّهُ سَيُمضِي ثَلاثَةَ أَيَّامٍ وَثَلاثَ لَيَالٍ فِي جَوْفِ

---

[٧] متّى ٢٠:٣٠.

[٨] GP 65: 887

[٩] ١ كورنثوس ١:٢٣-٢٤.

[١٠] GP 65: 887

الأَرْضِ. وَهَذا نَمُوذَجٌ واضِحٌ عَنْ أَنَّ النِّسوةَ وصَلْنَ إِلى القَبرِ في ذَلِكَ الوَقتِ لِيُتَمِّمنَ ما أَمَرَتِ الشَّريعَةُ بِفِعْلِهِ لِلمَيتِ في اليَومِ الثَّالِثِ. المقطع ٩٠.(١١)

يُونَانُ يَرمُزُ إِلَى ابنِ الإِنسَانِ. أوغسطين: أَشارَ المُخَلِّصُ إِلَى أَنَّ النَّبيَّ يُونَان، الَّذي قُذِفَ في البَحْرِ فَغابَ في بطْنِ الحُوتِ ثُمَّ بَرَزَ في اليَومِ الثَّالِثِ، كانَ رَسْمًا لابنِ الإِنسَانِ الَّذي كان لِيتَألَّمَ ويقُومَ في اليَومِ الثَّالِثِ. يُعَنِّفُ الشَّعْبَ اليَهوديَّ وَيُقَارِنُهُ بأَهلِ نِينَوى، الَّذينَ أُرْسِلَ إِليهِمُ النَّبيُّ يُونَانُ لِيُوبِّخَهُم، فَاسترضَوا غَضَبَ اللهِ بِتَوبَتِهِم وَنالُوا رَحْمَتَهُ. قَالَ يسوعُ: «وَهُنَا الآنَ أَعظَمُ مِنْ يونَان»، مُشِيرًا إِلَى نَفْسِهِ. سَمِعَ أَهْلُ نِينَوى الخادِمَ وَغيَّروا نَهْجَ حَياتِهِم؛ أَمَّا اليَهودُ فَسمِعُوا الرَّبَّ وَلَكِنَّهُم لَمْ يُغَيِّروا نَهْجَ حَياتِهِم، بَلْ قَتَلُوهُ. الموعظة ٧٢ أ ١.(١٢)

الأَنبياءُ أَنْبَأوا بِالمَسِيحِ. كاتِبٌ مَجْهُولٌ: في هَذا التَّشبِيهِ اعتبَرَ المَسِيحُ يُونَانَ نَبِيًّا. إِنَّ المَسيحَ، بِتَشبيهِهِ نَفْسَهُ بِيُونَان، أَثْبَتَ أَنَّهُ ابنُ الله. مَاذا أَعْني بِهَذا؟ لو لَمْ يكُنِ المَسِيحُ قَدْ أَتَى إِلَى العَالَمِ وَأَتَمَّ ما أَنبأَ بِهِ الأَنبياءُ، لمَا قُلنَا عَنهُم إِنَّهم أَنبياء. الَّذينَ يَقُولُونَ إِنَّهُم يُنْبِئُونَ بالمُستَقْبَلِ يُعْتَبَرونَ رائينَ إِذا مَا تَمَّ مَا أَنبأُوا بِهِ. وُلِدَ المَسِيحُ بَعْدَ الأَنبِيَاءِ. قَبْلَ ذَلِكَ، أُعْطِيَ الأَنْبياءُ امتيازًا، وَفي مَا بَعْدُ قَبِلَهُ مِنهُم. لِذَلِكَ أَظْهَرَهُمُ المَسِيحُ أَنبِياءَ بِأَعْمَالِهِم، وَهُم أَظْهَرُوه ابنَ اللَّهِ بِكَلامِهِم. عَمَلٌ غَيرُ كامِلٍ حَولَ مَتَّى، الموعظة ٣٠.(١٣)

١٢: ٤١ أَعْظَمُ مِنْ يُونَان

الفَرْقُ بَينَ يُونَانَ وَيَسُوع. الذَّهَبيُّ الفَم: إِنَّ يُونَانَ كَانَ عَبْدًا، أَمَّا أَنا فَسيِّدٌ. هُوَ خَرجَ مِنَ الحُوتِ، أَمَّا أَنا فَنَهضتُ مِنْ بَينِ الأَمْواتِ. هُوَ أَعْلَنَ عَنِ الخَرابِ، أَمَّا أَنا فَأَتَيتُ لأُبَشِّرَ بِالملَكُوتِ. آمَنَ أَهْلُ نِينَوى بِدُونِ آيةٍ، لَكِنِّي أَتيتُ آياتٍ كَثيرَةً. لَمْ يَسْمَعُوا شَيئًا أَكثَرَ مِنْ تِلكَ الكَلِماتِ، لكِنِّي حَرَّكتُ كُلَّ فِكْرَةٍ لِمَحَبَّةِ الحِكْمَةِ. أَتوا لِيَخْدُمُوا، لَكِنِّي، أَنا السَّيِّدَ وَربَّ الكُلِّ نفسَه، لَمْ آتِ مُتَوعِّدًا وَلَمْ أَطْلُبْ حِسَابًا، بَلْ أَتيتُ حامِلاً الغُفْرانَ. كَانَ أَهْلُ نينوى بَرابِرةً، أَمَّا هَؤُلاءِ فقَد تَحادَثُوا مَعَ رِبَواتٍ مِنَ الأَنبياءِ. بِيُونَان لَمْ يَسبِقْ أَنَّ أَحدًا أَنبَأَ، أَمَّا بي فَالكُلُّ قد أَنبَأُوا؛ كَانَتِ الحقَائِقُ مُطابِقَةً لِكَلِماتِهِم. لَمَّا كَانَ يُونَانُ عَلَى وَشْكِ الانطِلاقِ فَرَّ لِئَلاَّ يَكُونَ مَوْضِعَ

(١١) KGKM 18- 28
(١٢) AM 1:551-65; WSA 3 3:182
(١٣) GP 56:788

سُخْرِيَةٍ؛ أَمَّا أَنَا العَارِفَ بِأَنِّي سَأُصْلَبُ وَيُهْزَأُ بِي فَقَدْ أَتَيتُ. يونَانُ لَمْ يَتَحَمَّلْ تعييرَ الَّذينَ خَلُصُوا، أَمَّا أَنَا فتَحَمَّلْتُ الموتَ المُخزي... كَانَ يونَانُ غَريبًا وَأَجْنَبِيًّا وَمَجْهُولاً، أَمَّا أَنَا فَقَرِيبٌ حَسَبَ الجَسَدِ، وَمِنَ الأَسْلافِ أنفُسِهِم. إنجيلُ متَّى، الموعظة ٤٣. ٢.[١٤]

مَحْدُودِيَّةُ التَّشبيه. كيرلُس الإسكندريّ: إذَا فُهِمَ أَنَّ يُونَانَ رَمْزٌ للمَسِيحِ، فَلا يَنْطَبِقُ هذَا الرَّمزُ عَلَى المَسِيحِ من كُلِّ النَّواحِي– فقَد أُرْسِلَ يونَانُ لِيُبَشِّرَ أَهْلَ نِينَوى، لكِنَّهُ سَعَى إِلَى الهَرَبِ مِنْ أَمَامِ وَجْهِ اللهِ. ويُرَى أَنَّه يَنْفُرُ مِنَ الذَّهَابِ إِلَى الشَّرْقِ. أَمَّا الابنُ فَأَرْسَلَهُ الآبُ لِيُبَشِّرَ الأُمَمَ، لكِنَّه ارتَضَى أَنْ يَقُومَ بِهذِه الخِدمَةِ.

يُنَاشِدُ النَّبيُّ المُبْحِرين مَعَه أَنْ يُلْقُوهُ في البَحْرِ، فَابتَلَعَهُ حُوتٌ عَظِيمٌ، وَبَعْدَ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ خَرَجَ مِنْ جَوْفِهِ وَذَهَبَ إِلَى أَهْلِ نِينَوى وَأَتَمَّ خِدمَتَهُ. لَكِنَّ الحُزْنَ كَظَمَهُ لَمَّا أَشْفَقَ الرَّبُّ عَلَى أَهْلِ نِينَوى. خَضَعَ المَسِيحُ لِلمَوتِ طَوْعًا، وَبَقِيَ في قَلْبِ الأَرْضِ، وَعَادَ إِلَى الحَيَاةِ، وَبَعْدَ ذَلِكَ صَعِدَ إِلَى الجَليلِ وَأَمَرَ بِبَدءِ تَبْشِيرِ الأُمَمِ.

كَمَا يَجْمَعُ النَّحْلُ في الحَقْلِ، عِندَمَا يَنْتَقِلُ مِنْ زَهْرَةٍ إِلَى أُخْرَى، مَا هُوَ نَافِعٌ لِقَفِيرِ النَّحلِ، كذلكَ نَحنُ نَحتَاجُ إِلَى أَنْ نَبْحَثَ في الكُتُبِ المُلْهَمَةِ مِنَ اللّهِ عَمَّا يساعِدُنا على تَفْسِيرِ أَسرَارِ المَسِيحِ وَإتمَامِ شَرْحِ الكَلِمَةِ بِدُونِ لومٍ. المقطع ١٦٢.[١٥]

أَهْلُ نِينَوَى. كَاتِبٌ مَجْهُولٌ: «أَهْلُ نِينَوى سَيَقُومُونَ يومَ الحِسَابِ مَعَ هَذَا الجِيلِ ويَحْكُمُونَ عليهِ». فَهُم قَبِلُوا النَّبيَّ، بَينَمَا رَفَضَ اليَهُودُ المَسِيحَ رَبَّ الأَنبِيَاءِ. وَرَغْمَ أَنَّ نِينَوى لَمْ يُرْشِدْهَا النَّامُوسُ أَوِ الأَنبِيَاءُ وَلَمْ يَحُثَّهَا الرُّسُلُ، فَقَدْ لَجَأَتْ إِلَى الرَّبِّ، وَعَرَفَت خَطَايَاهَا. أَمَّا اليَهُودُ فَقَدِ ارتَوَوا مِنْ كَثْرَةِ وَصَايَا الشَّرِيعَةِ وَأَقْوَالِ الأَنبِيَاءِ، لكِنَّهُمُ ابتَعَدُوا عَنِ الرَّبِّ. أَهْلُ نِينَوَي كَانُوا شَعْبَ إِبلِيسَ فَأَصْبَحُوا، خِلالَ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ، شَعْبَ اللّهِ. وَاليَهُودُ الَّذينَ ظَهَرُوا دَائِمًا أَنَّهُم شَعْبُ اللّهِ، أَصْبَحُوا، في ثَلاثَةِ أَيَّامٍ بَعْدَ صَلْبِ المَسِيحِ، شَعْبَ إِبلِيس. أَهْلُ نِينَوَى، رَغْمَ عَدَمِ مَعْرِفَتِهِم بِهَوِيَّةِ يونَانَ سَمِعُوا أُمُورًا مُدْهِشَةً، فَطَلَبُوا مِنهُ آيَاتٍ وَمُعْجِزَاتٍ لاهتِدَائِهِم، لِيَظْهَرَ بِهَا شَخْصُ المُبَشِّرِ المُستَحِقّ وَحَقُّ كَلامِهِ الأَكِيدِ. لَمْ يَسْمَعُوا شَيئًا مِنهَا وَلَمْ يَرَوا، لَكِنَّهُم خَلُصُوا بِالإِيمَانِ فَقَط. أَمَّا اليَهُودُ فَرَأَوا الطَّبِيعَةَ

[١٤] GP 57:954; NPNF 1 10:274
[١٥] MKGK 205

السَّماويَّة في يسوعَ المسيح تعْمَلُ العَديدَ منَ الآياتِ علَى مرْأى منهم، لكِنَّهُم لَمْ يُصْغُوا إلَيه، بلْ تآمَرُوا علَى قتْلِه. أهلُ نينوى تابُوا ونَدِمُوا بحُزنٍ عظِيمٍ، فنَالُوا غُفْرانَ خَطَاياهُم. لكِنَّ اليَهُودَ أبَوا قبُولَ غُفْرانِ الخَطَايا المُقدَّمِ لهُم، لأنَّهم ظنُّوا أنَّ العَطيَّةَ ودَعْوَةَ المَسيحِ تُقَدَّمانِ مِنْ دُونِ تَوْبةٍ. عَمَلٌ غيرُ كاملٍ حَوْلَ متَّى، الموعظة ٣٠.[١٦]

١٢: ٤٢ أعْظَمُ مِنْ سُلَيْمَان

مِنْ أقَاصِي الأَرْض. أوريجنّس: إنَّ الكَنيسَةَ الَّتي مِنَ الأُمَمِ، الآتيَةَ «مِنْ أقَاصِي الأَرْض»، تَحتلُّ مكَانَ ملِكَةِ الجَنُوبِ. إنَّها لا تُقدِّمُ «هَدَايا فانِيَةً، وفِضَّةً» وتَوابِل، بَلْ تُقَدِّمُ إيمانًا، وبَخُورًا رُوحِيًّا، وعَرَقَ الفَضَائِلِ ودَمَ الشَّهادَةِ. فَبِمِثْلِ هَذِه الهَدَايَا يُسَرُّ سُلَيْمَانُ الحَقِيقِيُّ، أي المَسِيحُ، «سَلامُنَا».[١٧] سُلَيمَانُ أي «المُسَالِم». المقطع ٢٧٧.[١٨]

أَعْظَمُ مِنْ سُلَيمَان. أوغسطين: لَمْ يَكُنْ غَريبًا عَنِ المَسِيحِ أنْ يكُونَ أعْظَمَ مِنْ يُونَانَ، وَأعْظَمَ مِنْ سُلَيمَانَ، فَهُوَ الرَّبُّ وَهُمُ الخُدَّامُ. لَكِنْ مَنْ هُمُ الَّذِينَ يَنظُرُونَ شَزَرًا إِلَى حُضُورِ الرَّبِّ، فِيمَا استَمَعَ الغُرَبَاءُ إِلَى خُدَّامِه؟ الموعظة ٧٢ أ.١.[١٩]

مَلِكَةُ الجَنُوب. كَاتِبٌ مَجْهُولٌ: «وَمَلِكَةُ الجَنوبِ سَتَقومُ يومَ الحِسَابِ مَعَ هَذَا الجيلِ وَتَحْكُمُ عَلَيه». وَرَغْمَ أنَّهَا لَطِيفَةٌ وَامرأةٌ أيضًا، لَمْ يَرْدَعْهَا ضَعفُ جِنسِهَا عَنْ إتْمَامِ رِحلَةٍ طَويلَةٍ جِدًّا. فَرَغْبَتُها في الحُصُولِ عَلَى الحِكمَةِ مَنَحَتْها القُوَّة. لَكِنَّ هَؤُلاءِ الرِّجَالَ وَالكَهَنَة، الَّذينَ كَانَتْ مَهَمَّتُهُم أنْ يُحِبُّوا الحِكْمَةَ، احتَقَرُوا الحِكْمَةَ المَوضُوعَةَ أمَامَ أعْيُنِهِم وَفي أحْضَانِهِم. المَلِكَةُ أسْرَعَتْ إِلَى سُلَيْمَان. هُمُ اعتَزَلوا اللّهَ. هي جَاءَتْ إلَى سليمانَ لتَسْمَعَ كَلامَهُ غَيرَ المُزَخْرَف. وَمَعَ أنَّهُم رَأَوا أعْمَالَ أُلُوهِيَّتِهِ ذَلِكَ اليَوم، فَإنَّهم جَدَّفُوا عَلَيه. وَهِيَ، لَمَّا سَمِعَتْ عَنْ شُهْرَةِ سُلَيمَانَ، رَغِبَت في رؤيَتِه. أمَّا هُم، فَلَمَّا رَأَوا حَقِيقَةَ المَسِيحِ، ابتَعَدُوا عَنهُ. هِيَ حَمَلَت إليهِ العَديدَ مِنَ الهَدَايَا لتَسْمَعَهُ. أمَّا هُم فَلَم يُريدوا تَسَلُّمَ مُكَافَآتِ مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ لِيُؤمِنُوا. عَمَلٌ غَيرُ كَامِلٍ حَولَ مَتَّى، الموعظة ٣٠.[٢٠]

---

[١٦] GP 987:65

[١٧] أفسس ٢: ١٤.

[١٨] SCG 421:1.14

[١٩] AM 65:1; ASW 3 182:3

[٢٠] GP 987:65

١٢:٤٣-٥٠ عَوْدَةُ الرُّوحِ النَّجِس
أُمُّ يَسُوعَ وَإِخْوَتُه

٤٣إذا خرجَ الرّوحُ النّجسُ مِنْ إنسانٍ، هامَ في الصّحارى يَطلُبُ الرّاحةَ فلا يَجِدُها، ٤٤فيقولُ: أرجِعُ إلى بَيتِيَ الّذي خرَجتُ مِنهُ. فيَرجِعُ ويَجِدُهُ خاليًا مكنوسًا مزيّنًا. ٤٥فيَذهَبُ ويَجيءُ بِسبعَةِ أرواحٍ أخبثَ مِنهُ، فتدخُلُ وتَسكُنُ فيهِ. فتكونُ حالُ ذلِكَ الإنسانِ في آخِرِها أسْوأَ مِنْ حالِهِ في أوّلِها. وهكذا يكونُ مَصيرُ هذا الجِيلِ الشّرِّيرِ.

٤٦وبَينَما هو يُكلِّمُ الجُموعَ، إذا أمُّهُ وإخوتُهُ قد وقَفُوا في خارِجِ الدّارِ يَطلُبونَ أن يُكلِّموهُ. ٤٧فقالَ لَهُ أحَدُ الحاضِرينَ: «ها أُمُّكَ وإخوتُكَ واقفونَ في خارِجِ الدّارِ يطلبونَ أنْ يُكلِّموكَ».

٤٨فأجابَ الذي أخبَرَهُ بذلكَ: «مَنْ هيَ أُمّي، ومَنْ هُمْ إخْوَتي»؟ ٤٩وأشارَ بيدِهِ إلى تلاميذِهِ وقالَ: «هؤلاءِ هُمْ أُمّي وإخوَتي. ٥٠لأنَّ مَنْ يعمَلُ بمشيئةِ أبي الّذي في السّماواتِ هوَ أخي وأُختي وأُمّي».

نَظْرَةٌ عَامَّةٌ: مَاذَا يَحْدُثُ عِندَمَا يبتَعِدُ المَرءُ عَنِ الإيمَانِ بِمَا كَانَ يُؤمِنُ بِهِ مِنْ قَبْلُ؟ تَسْكُنُ فِيهِ الشَّيَاطِينُ ثَائِرةً (كيرلّس الإسكندريّ). إنَّ الأَرْوَاحَ الجَيِّدَةَ السَّبْعَةَ هِيَ رُوحُ الحِكْمَةِ وَالفَهْمِ، وَالمَشُورَةِ وَالقُوَّةِ، وَالمَعْرِفَةِ وَالتَّقْوَى الحَقِيقِيَّةِ، وَعِبَادَةِ اللّه. تُقَابِلُهَا الأَرْوَاحُ الشِّرِّيرَةُ السَّبْعَةُ: رُوحُ الحَمَاقَةِ وَالضَّلالِ، رُوحُ التَّهوُّرِ وَالجُبنِ، رُوحُ الجَهْلِ وَعَدَمِ التَّقوى وَرُوحُ الكِبريَاءِ المُخَالِفُ لِخَوفِ اللّه (أوغسطين).

وَمِنْ أَجْلِ تَفْنِيدِ كَلامِ المَسِيحِ يَستَعمِلُ إبلِيسُ بِمَكرٍ أَقَارِبَ المَسِيحِ في الجَسَدِ جَاهِدًا في إبْعَادِ النَّاسِ عَنْ أُلُوهِيَّتِهِ عَنْ طَرِيقِ التَّركِيزِ عَلَيهِم (كَاتِبٌ مَجْهُولٌ). لَمَّا قَالَ

يَسُوعُ: «مَنْ يَعْمَلُ بِمَشِيئَةِ أَبِي الَّذي في السَّماواتِ هو أخي» لَمْ يَتَكَلَّمْ مُزْدرِيًا العَائِلةِ، بلْ بيَّنَ أنّه يُؤثِرُ قَرابَةَ النَّفس عَلَى قَرابَةِ الجَسَدِ (ثيودور المبسوستيّ، غريغوريوس العظيم).

١٢: ٤٣-٤٤ يَطلُبُ الرَّاحَةَ فلا يَجِدُها في الصَّحارى. هيلاريون: الشَّريعَةُ الَّتي أُعْطِيَتْ تطرُدُ الرُّوحَ النَّجِسَ مِنْ قُلُوبِ الَّذينَ اصْطَفَاهُمُ اللهُ، فَتُقْصيهِ وتَصونُ النَّاسَ. خَرجَ الرُّوحُ مِنْ هُنَاكَ وَهامَ بَينَ الأُمَمِ في الصَّحَارَى وَالقِفَارِ، مُغَادِرًا بَيْتَهُ القَديمَ، ليَسْتَقِرَّ في تِلكَ الأَمَاكِنِ حَتَّى يَومِ الدِّينِ... لَكِنْ، لَمَّا غَمَرت نِعْمَةُ اللهِ الأُممَ، تَدَفَّقَت بِمائِها المُطَهِّرِ ينبوعًا حيًّا، فَسدَّت في وجهِ الشِّرِّيرِ كُلَّ الطُّرقِ... فَبَعْدَ أَنْ كَانَ البيتُ مَكْنُوسًا بِحَسَبِ الشَّريعَةِ، وَمُزيَّنًا بِإعْلانِ الأنبياءِ وَمُعَدًّا بمَجيءِ المَسِيحِ، وُجِدَ فَارِغًا. إنَّ خَادِمَ الشَّريعَةِ تَرَكَ- لأنَّ الشَّريعةَ كَانَت سَارِيَةَ المَفْعُولِ إلَى يوحنّا -وَالمُقِيمُونَ هُنَاكَ لَمْ يَتَقَبَّلُوا المَسِيحَ.

لَمْ يكُنْ هُنَاكَ مِنْ مُقِيمٍ في المَسكِنِ، فتُرِكَ بلا حِراسَةٍ. ولاهتِمَامِ الَّذِينَ كَانُوا يَعِيشُونَ هُنَاكَ مِنْ قَبْلُ كَانَ المَكَانُ مكنُوسًا وَمُزيَّنًا لِمَن سَيُقِيمُ فِيهِ. لَقَدْ دَخلَتْ فِيهِ الأَرْوَاحُ السَّبْعَةُ الأَخْبَثُ مِنه- فَعَطَايا النِّعْمَةِ الَّتي قَدَّمَهَا المَسِيحُ وَوَضَعَتْها حِكمَةُ اللّهِ الشَّامِلَةُ الكُلَّ بمَجْدٍ سُبَاعيٍّ الأَضعَافِ.[١] بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ كَانَ تَمَلُّكُ الأَرواحِ الشِّرِّيرَةِ عَلَى قدرِ تَمَلُّكِ النِّعمَةِ. هَكَذَا «تَكُونُ حَالُ الإنسَانِ في آخرِهَا أَسْوَأَ مِنْ حَالِهِ في أَوَّلِها»، لأَنَّ الرُّوحَ غيرَ الطَّاهِرةِ أَخلَتِ البَيْتَ خَوفًا مِنَ الشَّرِيعةِ، لَكِنَّ الشَّرِيعَةَ عَادَت لتَثأَرَ مِنَ الَّذينَ رَفَضُوا النِّعْمَةَ. في متَّى ١٢: ٢٢-٢٣.[٢]

١٢: ٤٥ فَتَكُونُ حَالُ ذلِكَ الإِنسَانِ في آخِرِها أَسْوَأَ مِنْ حَالِهِ في أَوَّلِها

وَيَجِيءُ بِسَبْعَةِ أَرواحٍ أَخْبَثَ مِنه. أوغسطين: يَتِمُّ غُفْرَانُ الخَطَايَا في الأَسْرارِ، فَيُصْبِحُ البَيْتُ نظِيفًا؛ ويكونُ الرُّوحُ القُدُسُ مُقِيمًا فِيهِ. فَالرُّوحُ القُدُسُ يَحُلُّ في مُتَواضِعِي القَلْبِ، فَاللّهُ يَقُولُ: «عَلَى مَنْ يَسْتَقِرُّ رُوحِي»؟ وَعَنِ السُّؤالِ يُجِيبُ: «عَلَى المِسْكِينِ وَالهَادِئِ وَعَلَى مَنْ يَخَافُ كَلِمَتِي».[٣] لذَلِكَ يَحُلُّ الرُّوحُ عَلَيهِ، فَيَمْلأُ

---

[١] لقد أنبأ إشعيا بعطايا الروح الآتية في ١١: ٢-٣.
[٢] CS 292:452
[٣] إشعيا ٦٦: ١.

قَلْبَهُ، ويَحكُمُ المرءَ وَيفْعَلُ فيهِ ويَرْدَعُهُ عَنِ الشَّرِّ، ويُلْهِمُه إلَى عَمَلِ الخَيرِ ويُصْلِحُ البرَّ بالحَلاوَةِ، فيَعْمَلُ خَيرًا بقَلْبٍ بَارٍّ لا خوفًا مِنَ العِقَابِ.

لَكِنْ، حِينَ خَرَجَ مِنْكَ الرُّوحُ النَّجِسُ الَّذي جَعَلَكَ شِرِّيرًا، أَي خَرَجَ مِنْ عَقْلِكَ، وَحِينَ غُفِرَت لكَ خَطَايَاكَ، هَامَ في الصَّحَارَى بَحْثًا عَنْ مكَانٍ يَسْتَريحُ فيه. وَإِذَا لَمْ يَجِدْ أَحَدًا يَرجِعُ إِلَى بَيْتِهِ، فَيَجِدُ بيتَه حَيثُ يكونُ كُلُّ شيءٍ نَظِيفًا وَمُرتَّبًا. ثُمَّ يَأْخُذُ مَعَه سَبْعَةَ أَرواحٍ أُخْرَى أَخْبَثَ مِنهُ فتَكُونُ حَالُ ذَلِكَ الإنْسَانِ في آخِرِهَا أَسوأَ مِنهَا في أَوَّلِهَا. مَاذَا يَعْنِي بـ«سَبْعَةَ أَرواحٍ أُخْرَى»؟ هَلِ الرُّوحُ النَّجِسُ هُوَ سَبْعَةُ أَضْعَافٍ؟ مَاذَا يَقصِدُ بذَلِكَ؟ بالسَّبعةِ يَعْني الفَرِيقَ بأَكْمَلِهِ. خَرَجَ الرُّوحُ كُلُّه، وَرَجِعَ: هَلْ رَجِعَ رُوحٌ وَاحِدٌ؟ مَاذَا يَعْنِي : «يَأْخُذُ مَعَه سَبعَةَ أَرواحٍ أُخْرَى»؟ لَمَّا كُنتَ شِرِّيرًا لَمْ تَملِكْ تِلكَ الأَرْوَاحَ، غَيرَ أَنَّكَ سَتَمْلِكُهَا فَجأَةً عِندَمَا تُصبِحُ صَالِحًا. بالعِنَايَةِ سَبعَةَ أَضْعَافٍ يُودِعُ الرُّوحُ القُدُسُ في عِنَايَتِنَا، لِنَملُكَ «رُوحَ الحِكْمَةِ وَالفَهْمِ، وَالمَشُورَةِ، رُوحَ القُوَّةِ، وَالمَعْرِفَةِ وَالتَّقْوى وَمَخَافَةِ اللّه».[٤] مُقابِلَ الأَرواحِ الجَيِّدَةِ هُنَاكَ الشَّرُّ المُضَاعَفُ سَبعَ مَرَّاتٍ: رُوحُ الحَمَاقَةِ وَالضَّلالِ، رُوحُ التَّهوُّرِ وَالجُبنِ، رُوحُ الجَهْلِ وَعَدمِ التَّقْوَى وَرُوحُ الكِبرِيَاءِ المُخَالِفَةِ لخَوفِ اللهِ. هَذِهِ هِيَ الأَروَاحُ الشِّرِّيرَةُ السَّبعَةُ. فَمَا هِيَ الأَروَاحُ الأُخْرَى السَّبعَةُ الأَخبَثُ مِنهَا؟ الأَروَاحُ الأُخْرَى السَّبعةُ الأَخْبَثُ مِنهَا مَوْجُودَةٌ في الرِّيَاءِ. أَحَدُ الأَرْوَاحِ الشِّرِّيرَةِ هُو رُوحُ الحَمَاقَةِ وَالأَسوأُ مِنهُ ادِّعَاءُ الحِكْمَةِ. وَهُنَاكَ رُوحُ الضَّلالِ، وَالأَخْبَثُ منهُ هُوَ ادِّعَاءُ الحَقِّ. وَهُنَاكَ رُوحُ التَّهوُّرِ وَالشَّرِّ وَالأَسوأُ منهُ هُوَ ادِّعَاءُ المَشُورَةِ. وَهُنَاكَ رُوحُ الجُبنِ، وَالأَسوَأُ مِنهُ هُوَ إِدِّعَاءُ الثَّبَاتِ. وَهُنَاكَ رُوحُ الجَهْلِ الشِّرِّيرِ، وَالأَسوَأُ مِنهُ هُوَ ادِّعَاءُ المَعْرِفَةِ. وَهُنَاكَ الرُوحُ الشِّرِّيرُ لعَدَمِ التَّقْوَى، وَالأَسْوَأُ مِنهُ هُوَ ادِّعَاءُ التَّقْوَى. وَهُنَاكَ رُوحُ الكِبرِيَاءِ الشِّرِّيرُ، وَالأَسْوَأُ مِنهُ، هُو ادِّعَاءُ الخَوفِ. سَبعةُ أَرواحٍ لا تُحتَمَلُ. فَمَنْ يَحتَمِلُ أَرْبَعَةَ عَشَرَ؟ بالضَّرُورَةِ عِندَمَا يُضَافُ زَعْمُ الحَقِّ إِلَى الضَّغِينَةِ، تَكُونُ حَالَ ذَلِكَ الإنسَانِ في آخِرِهَا أَسوأَ مِنْ حَالِه في أَوَّلِهَا. الموعظة ٧٢. أ.[٥]

أَرْوَاحُ الَّذِينَ لا شَرِيعَةَ لَهُم. كيرلّس الإسكندريّ: قَالَ هَذَا لسَبَبٍ مَعْقُولٍ. فَمَتى

---

[٤] إشعيا ١١: ٢-٣.

[٥] AM 1:651-75; ASW 3 3:282-38

تَحرَّرَ المرءُ مِنْ الشُّرورِ، وَفقد رَزانتَهُ، يسقُطُ ويُقاسَى فيهِ نصَبًا ناصِبًا. لهَذَا السَّبَبِ قالَ إنه لا يجدُ الرَّاحةَ، ليُشيرَ إلى أنَّ مَكِيدَةَ الشَّياطِينِ تُحكِمُ السَّيطرَةَ عَلى شَخْصٍ كهَذَا. هُناكَ أَسْبابٌ كثِيرةٌ تدْعُو إلى ضرُورَةِ الرَّزانَةِ، مِنْ بيْنِها أنَّه تألَّمَ، وأُعْتِقَ. وأنَّ التَّهدِيد بعِقَابٍ أسوأ سَيُقْنِعُهُ. لكِنَّ هَذِه الأَسْبابَ لَمْ تَجْعَلْهُم أفْضَلَ.

لَمَّا كَانَ الشَّعبُ في مِصْرَ سَكَنَ الرُّوحُ الشِّرِّيرُ فيه، فعَاشَ كعَبْدٍ للتَّقالِيدِ والشَّرائعِ المِصْريَّةِ وَامتلأ نجاسةً وَدنسًا.

وَلأنَّهم أُعْتِقُوا عَلى يَدِ مُوسَى وَتَسلَّمُوا الشَّريعَةَ لتُرْشِدهُم إلى نُورِ المَعْرِفَةِ الإلهيَّةِ الحَقِيقِيَّةِ، تركَهُم الرُّوحُ النَّجِسُ الشِّرِّيرُ. وَلأنَّهم لَمْ يُؤمِنُوا بالمَسِيحِ عادَ إبلِيسُ فاسْتَقَرَّ فيهم. ولَمَّا وجَدَ قَلْبَهُم فارِغًا مِنْ كُلِّ تقْوَى استوْطَنَ فيهِ. عِنْدَمَا يرَى الرُّوحُ القُدُسُ قَلْبَ المَرءِ يكُفُّ عَنْ كُلِّ نجاسَةٍ، يُقِيمُ فِيهِ وَيَسْكُنُ وَيَسْتريحُ. أمَّا الرُّوحُ النَّجِسُ فيقِيمُ في النُّفُوسِ الَّتي لا شَرِيعَةَ لهَا. المَقْطع ١٦٣.[٦]

١٢: ٤٦-٤٨ مَنْ هُم آلُ بيتِي؟

العَلاقَاتُ العَائِلِيَّةُ. أبوليناريوس: نتعلَّمُ مِنْ يُوحنَّا[٧] أنَّ إخْوَته أنفُسهُم لَمْ يكُونُوا قَدْ آمَنُوا بِهِ، وَنَسْمَعُ مِن مَرقُس أيضًا شيئًا أَكْثَر: جَاءَ ذَووه ليأْخُذوهُ لأنَّ بَعْضَ النَّاسِ قَالُوا: «فقَدَ صَوابَهُ».[٨] وَبِسَبَبِ تَفْكِيرِهِم، لا يَذْكُرُ الرَّبُّ دَائمًا أنَّهم ذَووهُ. بالأحْرَى إنه يُشيرُ عِوضًا مِنْ ذَلِكَ إلى الَّذينَ يُطِيعُونَهُ. كَانَ يُضْفِي عَلَى المُؤمِنِينَ كُلَّ أَسْماءِ القُرْبَى، أي عَلَى الَّذينَ يَضُمُّهُم إلى مَوَدَّةِ طاعَتِهِ. المقطع ٧٥.[٩]

١٢: ٤٩ التَّلامِيذُ إخْوَةُ يَسُوع

أُمِّي وَإِخْوَتِي. كَاتِبٌ مَجْهُولٌ: رَأَى الشَّيطَانُ أنَّ المَسِيحَ أقْنَعَ النَّاسَ أنَّه كانَ ابنَ اللّه. كانَ يَقُولُ: «هَهُنَا أعْظَمُ مِنْ يُونَانَ»،[١٠] «وَهَهُنَا أعْظَمُ مِنْ سُلَيمَانَ».[١١] خَافَ الشَّيطَانُ مِنْ أنْ يَتَخَلَّى عَنهُ الجَمِيعُ إذا اعترَفَ بالَّذي كانَ يُعْتَبَرُ إنسانًا فقط أنَّه ابنُ اللّه. وَلِكَي يَدْحَضَ الشَّيطَانُ كَلامَ المَسِيحِ، استعملَ بمَكْرٍ أقَارِبَ المَسِيحِ في

[٦] 6-502 KGKM

[٧] يوحنّا ٧: ٥.

[٨] مرقس ٣: ٢١.

[٩] 32-22 KGKM

[١٠] متّى ١٢: ٤١.

[١١] متّى ١٢: ٤٢.

الجسد. فسعى، بالتّركيز عليهم، إلى إبْعاد النّاس عنْ ألوهيّة المسيح. تقدّم أحدُ الحاضرين، وهو مُحام عن الشّيطان، وكلّمهُ إنسانيًا بكلام شيْطانيّ، قائلا «ها أمّك وإخْوتك واقفون في خارج الدّار يطلبُون أنْ يُكلّموك». فبدا وكأنّه يقول: «لماذا تتباهى، يَا يسوعُ، كيف نزلْت مِن السّماواتِ، ولكَ جُذُورٌ في الأَرْضِ؟ «هَا أُمُّكَ وإخْوتُكَ واقِفُونَ في خَارِجِ الدَّارِ». أَشَار ضِمْنًا إِلَى أَنَّ مَنْ والدتُه بَشَرٌ لا يُعقَلُ أَنْ يكُونَ ابنَ اللّه. لا تَقْدِرُ أَنْ تُخْفِيَ مَنْ أَظْهَرَتهُ الطَّبيعَةُ. ثُمَّ أَجَالَ يَسوعُ عَينَيهِ في مَنْ يَبْدُو أَنَّه بَشَرٌ، لَكِنَّه كَانَ حَقًّا الشَّيطَان الَّذي تَكَلَّمَ. «مَنْ هِيَ أُمّي، وَمَنْ هُمْ إِخْوَتي»؟ لا أَقَارِبَ لِي في هَذا العَالَمِ، أَنا الخَالِقَ العَالَمَ قَبْلَ تَأْسِيسِهِ. أَنا لا أَعْرِفُ بَداءةً في الجَسَدِ (كَمَا آمَنَ فوتينوس)، أَنَا كُنتُ عِندَ اللّهِ مُنذُ البَدءِ. إنّكَ تَرَى في إِنْسَانًا وَهُوَ رِدَائي، لا طَبيعَتي (الإلهية)».

«وَأَشَارَ بِيدِهِ إِلَى تَلاميذِهِ وَقَالَ: هؤُلاءِ هُمْ أُمّي وَإِخوَتي». ودُونَ أَنْ يَحتَقِرَ وِلادَتهِ أَو يُبدي الخَجَلَ مِنْ تَجَسُّدِهِ الإِنسَانيِّ، أَعْطَى ذَلِكَ الجَوابَ. أَرادَ أَنْ يُظْهِرَ أَنَّ العَلاقَةَ الرُّوحَانِيَّةَ تَسمُو عَلَى العَلاقَةِ الجَسَدِيَّةِ. عَمَلٌ غَيرُ كَامِلٍ حَولَ متَّى، الموعظة ٣٠.[١٢]

١٢: ٥٠ مَشِيئَةُ أَبِي الَّذي في السّماوات

مَنْ يَعْمَلُ بِمَشِيئَةِ أَبِي. ثيودور المبسوستيّ: قَالَ هَذا لا لِيزدَرِيَ أُمَّهُ ولا إِخْوتَهُ، لكِنْ لِيُظْهِرَ أَنَّه يَرْفَعُ مِنْ شَأْنِ قَرابَةِ النَّفْسِ أَكْثَرَ مِنْ قَرابَةِ الجَسَدِ. كَانَ مِنَ الضَّرُورَةِ بِمَكَانٍ أَنْ يَقُولَ هَذَا للَّذين يَظُنّونَ أَنَّه مِنَ الأَهَمِّ لَهُ أَنْ يُخَاطِبَ آلَ بَيتِهِ... قَالَ لِتَلاميذِهِ: «مَنْ أَحَبَّ أَبًا أَو أُمًّا أَكثرَ مِمَّا يُحِبُّنِي فَلا يَسْتَحِقُّنِي».[١٣] هَكَذَا يَرْفَعُ، كَمَا أَظُنُّ، مِنْ شَأْنِ تَلاميذِه أَكثرَ مِمّا يَرفَعُ مِن شَأْنِ «أُمِّهِ وَإِخْوَتِهِ». المقطع ٧١.[١٤]

أُمّي بالإيمَان. غريغوريوس العظيم: إِذَا استَطَاعَ المرءُ أَنْ يُصْبِحَ أَخًا للرَّبِّ بالإيمَانِ، فَعَلَينَا أَنْ نَسْأَلَ كَيفَ يُصْبِحُ المرءُ أُمَّهُ. عَلَينَا أَنْ نُدْرِكَ أَنَّ أَخَ المَسيحِ وأُختَهُ بالإيمَانِ يُصْبِحَانِ بالوَعْظِ أُمَّهُ. إِنَّهُ يُقَدِّمُ الرَّبَّ وَيَضَعُهُ في قُلُوبِ المُستَمِعِينَ. وَيُصْبِحُ أُمَّهُ إِذَا كَانَ بصَوتِه يُولَدُ حُبُّ الرَّبِّ في عَقْلِ قَريبِهِ. أَربعونَ عِظَةً إِنجيليَّة ٣. ٢.[١٥]

---

[١٢] MA 1:162-63; WSA 3 3:287-88

[١٣] متّى ١٠: ٣٧.

[١٤] MKGK 119-20

[١٥] PL 76:1086; CS 123:5-6 (Homily 1)

١٣: ١-٩ مَثَلُ الزَّارِعِ

١وخرَجَ يَسوعُ مِنَ الدّارِ في ذلِكَ اليومِ وجلَسَ بجانبِ البحرِ. ٢فتجمَّعَ حولَه جمهورٌ كبيرٌ، حتّى إنَّهُ صَعِدَ إلى قاربٍ وجلَسَ فيه، وكان الجَمعُ كُلُّهُ واقفًا على الشّاطئِ، ٣فكلَّمَهُم بأمثالٍ على أُمورٍ كثيرةٍ، قالَ: «هوذا الزّارِعُ قد خرَجَ ليزرَعَ. ٤وبَينَما هوَ يزرَعُ، وقَعَ بَعضُ الحَبِّ على جانبِ الطَّريقِ، فجاءَتِ الطُّيورُ وأكَلَتْهُ. ٥ومنه ما وقَعَ على أرضٍ صَخْرِيَّةٍ قليلةِ التُّرابِ، فنَبَتَ في الحالِ لأنَّ تُرابَهُ لم يكنْ عميقًا. ٦فلمّا أشرقَتِ الشَّمسُ احترَقَ، ولم يكُنْ لَه أصلٌ فيَبِسَ. ٧ومنه ما وقَعَ على الشَّوكِ، فطَلَعَ الشَّوكُ وخنقَهُ. ٨ومِنهُ ما وقَعَ على أرضٍ طيِّبةٍ، فأعطى بَعضُهُ مائةً، وبَعضُهُ سِتِّينَ، وبَعضُهُ ثلاثينَ. ٩مَنْ كانَ لَه أُذنانِ تَسْمَعَانِ، فلْيَسمَعْ»!

نَظْرَةٌ عَامَّةٌ: جلَسَ يَسُوعُ بِجَانِبِ بَحْرِ هَذَا العَالَمِ. فَتَجَمَّعَ حَولَهُ جُمْهُورٌ كَبِيرٌ (جيروم)، فَلاَقَوهُ وَجْهًا لوَجْهِ (الذَّهبيُّ الفم) ليَستمعوا إِلَى مَا كَانَ يُكَلِّمُهم بِهِ بِالأَمْثَالِ (هيلاريون). هَكَذَا ظَهرَتْ هُوِيَّةُ المَمْسُوحِ وَاضِحَةً (كيرلّس الإسكندريّ). إنَّه يَمْزُجُ الوَاضِحَ بالغَامِضِ، ليَفْهَمَ السَّامِعونَ أَنَّهم مدعوُّونَ إِلَى مَعْرِفَةِ مَا لا يَفْهَمُونَ (هيلاريون). كَانَ يَسُوعُ في كلامِهِ عَلَى الزَّارِعِ يُشَارِكُ في عَمَلِ الزَّرْعِ (جيروم). لَمْ يَذْهَبْ إِلَى حَيثُ لَمْ يَذْهَبْ مِنْ قَبْلُ، ولَمْ يَهْجُرِ المَكَانَ الَّذي تَرَكَهُ. اللّه حَاضِرٌ في كُلِّ مكَانٍ (كَاتِبٌ مجهولٌ).

إنَّ جَانِبَ الطَّرِيقِ هُوَ الحيَاةُ وَفْقَ هَذَا العَالَمِ، وَهُوَ طَرِيقُ العَارِفِينَ بكُلِّ مَا فِي العَالَمِ وَطريقُ الجَاهِلِينَ مَا لله. الكَلِمَةُ المَزْروعَةُ فِيكَ يَتِمُّ نُمُوُّهَا عَلَى أَفْضَلِ وَجْهٍ، لا تَخْتَنِقُ إذَا أَنْمَيْتَهَا بِإِلْقَاءِ سَمْعِكَ إِلَى الكِتَابِ المُقَدَّسِ وَتقَالِيدِ الآبَاءِ (كَاتِبٌ مَجْهُولٌ). قد يَضْحكُ بَعْضُهم مِنَ الزَّارعِ، لأَنَّه أَلْقَى الزَّرْعَ في أَرضٍ صَخريَّةٍ. يجبُ إِعدادُ النَّفْسِ الحُرَّةِ النَّاطِقَةِ إِعْدَادًا صَحِيحًا لتتقبَّلَ الكَلِمَةَ. فَلَو كَانَ إِعْدادُهَا مُستَحِيلاً، لَمَا قَامَ الزَّارِعُ بزَرْعِ البَذْرِ فِيهَا. أَمَّا إِذَا لَمْ يَتِمَّ تَحْضِيرُهَا،

فَلا يَقعُ الخطأُ عَلَى الزَّارعِ، بَلْ عَلَى النُّفوسِ غيرِ الرَّاغبةِ في التَّغييرِ (الذَّهبيُّ الفم). إنَّ الرَّغْبةَ في اقتِناءِ الثَّروةِ تخْنُقُ الكلِمةَ، وتحُولُ دُونَ إعطائِها الثِّمار (كَاتِبٌ مجهولٌ). ذوُو العقْلِ المُتصلِّبِ لا يتلقَّونَ الزَّرعَ المقدَّس. إنَّهم طَريقٌ تَدُوسُها الأَرْواحُ النَّجِسةُ (كيرلُّس الإسكندريّ).

١:١٣ جلَسَ يسوعُ بجَانبِ البَحْرِ

وخَرجَ مِنَ الدّارِ. أوريجنّس: عِندَما يكُونُ يَسُوعُ مَع الجمُوعِ لا يكُونُ في الدَّارِ، لأَنَّ الجموعَ هي خَارجَ الدَّارِ. تَرْكُهُ للدَّارِ واقترابُه مِن العَاجزينَ عن المَجيءِ إليهِ عَملٌ تُمليهِ مَحبَّتُهُ للبَشرِ. تفْسيرُ متَّى ١.١٠.[١]

وَجْهًا لِوَجْهٍ. الذَّهبيُّ الفَم: لمْ يَجْلِسْ يَسُوعُ بجَانِبِ البَحرِ عبَثًا؛ هذا مَا ألْمَعَ إليهِ الإنجيليُّ. فَدلَّ عَلَى أنَّ سَببَ تَصرُّفِه هذا كَانَ رَغْبَةً مِنْهُ في أنْ يُرتِّبَ سَامِعيهِ تَرْتِيبًا دَقِيقًا، وألاَّ يَدعَ أحدًا وَراءَ ظَهْرِهِ، بَلْ أنْ يَجْعَلَ الكُلَّ وَجهًا لِوَجْهٍ مَعَهُ. إنجيلُ متَّى، الموعظة ٢.٤٤.[٢]

٢:١٣ كَلَّمَ جَمْعًا كَبيرًا

عَلَى بُعْدٍ مِن الكَلِمَةِ. هيلاريون: هُنَاكَ سَبَبٌ لجُلُوسِ الرَّبِّ في القَاربِ، ووقُوفِ الجمُوعِ في الخَارجِ كَأَتْبَاعٍ بُسَطاءَ: كَانَ يُكلِّمُهُم بأَمْثَالٍ، مُشِيرًا إلَى أنَّ الَّذينَ خَارجَ الكَنيسَةِ هم بَعِيدونَ عَنْ إدْراكِ كَلامِهِ الحَقِّ. فَالقَاربُ يرمُزُ إلَى الكَنيسَةِ، والَّذينَ يَظلُّونَ خَارِجًا هُم مُجْدِبُونَ وَعُقَمَاءُ مِثلُ بذرِ الرَّملِ، عَاجِزونَ عَنْ فَهْمِ كَلِمَةِ الحيَاةِ المُقَدَّسةِ وَالمُبَشِّرِ بِها. في متَّى ١.١٣.[٣]

صَعدَ إلَى القَاربِ. جيروم: مَا استَطاعَ النَّاسُ أَنْ يَدخلُوا بَيتَ يَسُوعَ، وَأَنْ يَكُونُوا حَاضِرينَ لمَّا سَمِعَ الرُّسُلُ بالأَسْرَارِ. لذَلِكَ يَخرُجُ الرَّبُّ العَطُوفُ الرَّحِيمُ مِنَ البَيتِ. وَيَجلِسُ بجَانِبِ بَحْرِ هذَا العَالَمِ، فَتتحلَّقُ حولَهُ الجمَاهيرُ لتسمعَ عَلَى الشَّاطِئِ مَا لَمْ يُتَحْ لها سَمَاعُهُ في الدَّاخِلِ. «صَعِدَ إلَى قَارِبٍ وَجلسَ فيهِ، وَكَانَ الجَمعُ كُلُّهُ وَاقِفًا عَلَى الشَّاطئِ». كَانَ يَسُوعُ في القَاربِ وكانت أَمْوَاجُ البَحْرِ تتَقَاذَفُهُ مِنْ هُنَا وَمِنْ هُنَاك. وَبِمَا أَنَّهُ كَانَ مَصُونًا في عَظَمَتِهِ، جَعَلَ القَاربُ يَقْتَربُ مِنَ اليَابِسَةِ. وَلَمَّا أَحسَّ النَّاسُ بالخطَرِ أو بصُعُوبَةٍ لا تُذلَّلُ، وَقَفُوا مُنْذَهِلِينَ عَلَى الشَّاطِئِ لِيَسْمَعُوا كَلامَهُ.

---

[١] 414:9 FNA ;2-1:04 SCG
[٢] 082:01 1 FNPN ;764:75 GP
[٣] 69-492:452 CS

تَفسيرُ متّى ٢.١٣.٢.[٤]

٣:١٣ عَلَّمَهُم بالأَمْثَالِ

كلَّمَهُم بأَمْثَالٍ عَلَى أُمورٍ كَثِيرَةٍ. الذَّهَبيُّ الفَم: «كَلَّمَهُم بأَمْثَالٍ عَلَى أُمُورٍ كَثِيرَةٍ». نَعْلَمُ، مَعْ ذَلِكَ، أَنَّه لَمْ يَفْعَلْ شيئًا كَهَذَا عَلَى الجَبَلِ،[٥] وَلا صَاغَ كَلامَهُ مِنْ أَمْثِلَةٍ كَثيرَةٍ جِدًّا، إِذْ كَانَ هُنَاكَ جَمعٌ فقَط، وَشَعْبٌ فِطْرِيٌّ؛ أَمَّا هُنَا فَيُوجَد عُلَمَاءُ شَرِيعَةٍ وَفَرِّيسيُّون. إنجيلُ متّى، الموعظة ٤٤.٢.[٦]

أَمْثَالٌ مُخْتَلِفَةٌ لِسَامِعِينَ مُخْتَلِفِينَ. جيروم: لَمْ يَكُنِ الجَمْعُ مُوحَّدَ الرَّأْيِ.كَانَتْ لِكُلٍّ مِنهُم إِرَادَةٌ مُخْتَلِفَةٌ. لِذَلِكَ تَحَدَّثَ إِلَيهِم بِأَمْثَالٍ كَثِيرَةٍ، لِيَتَلَقَّوا تَدرِيبًا مُخْتَلِفًا يُنَاسِبُ إِرَادَتَهُمُ المُخْتَلِفَةَ. بِالإِضَافَةِ إِلَى ذَلِكَ لَمْ يُكَلِّمْهُم عَلَى كُلِّ شَيءٍ بِأَمْثَالٍ، بَلْ بِأَسَالِيبَ مُخْتَلِفَةٍ. فَلَو قَالَ لَهُم كُلَّ شَيءٍ بِأَمْثَالٍ، لَعَادَ النَّاسُ مِنْ دُونِ أَنْ يَرسَخَ قَولٌ مِن أَقوَالِهِ فِي نُفُوسِهِم. فَيَسُوعُ يَمْزُجُ مَا هُوَ وَاضِحٌ بِمَا هُوَ غَامِضٌ لِيَجْذِبَهُم، مِنْ خِلالِ مَا يَفْهَمُونَهُ، إِلَى مَعْرِفَةِ مَا لا يَفْهَمُونَهُ. تفسيرُ متّى ٣.١٣.٢.[٧]

تَضَاؤُلُ انتِبَاهِ سَامِعِيهِ. الذَّهَبيُّ الفَم: لَكِنْ لاحِظْ بِأَيِّ نَوعٍ مِنَ الأَمْثِلَةِ يَنطِقُ السَّيِّدُ أَوَّلاً، وَكَيفَ يُنَسِّقُهَا متّى. بِأَيٍّ يَنطِقُ السَّيِّدُ أَوَّلاً إِذًا؟ بِمَا كَانَ قَولُهُ أَكثَرَ ضَرُورَةً، وَبِمَا يَجْعَلُ السَّامِعَ أَكثَرَ انتِبَاهًا. وَبِمَا أَنَّهُ كَانَ مُزْمِعًا أَنْ يُخَاطِبَهُم بِأَقْوَالٍ مُتَكَتِّمَةٍ، أَثَارَ ذِهْنَ السَّامِعِينَ بِالأَمْثِلَةِ أَوَّلاً. إنجيلُ متّى، الموعظة ٤٤.٢.[٨]

الزَّرْعُ بَينَ الجُمُوعِ. جيروم: إِنَّ زَارِعَ كَلِمَةِ اللّهِ خَرَجَ مِنَ الدَّارِ لِيَزْرَعَ البَذْرَ فِي الجُمُوعِ. وهَذَا يَعْنِي أَنَّ ابنَ اللّهِ الآبِ هُوَ الزَّارِعُ المُلْقِي البَذْرَ فِي النَّاسِ بِوَعْظِهِ. لاحِظْ أَنَّ هَذَا هُوَ المَثَلُ الأَوَّلُ الَّذي قُدِّمَ مَعْ تَفْسِيرٍ. فَضْلاً عَنْ ذَلِكَ، كُلَّمَا كَلَّمَ اللّهُ تَلامِيذَهُ وَأَجَابَهُم عَنْ أَسْئِلَتِهِم، زَرَعَ كَلامَهُ الَّذي يُعْطِينَا فَهْمَ مَا قَدْ شَرَحَهُ بِدِقَّةٍ. تفسير متّى ٣.١٣.٢.[٩]

المتنبَّأُ بِهِ يخَاطِبُهُم بالأَمثالِ. كيرلّس الإسكندريّ: لِذلِكَ يَتَكَلَّمُ يَسوعُ بِأَمْثَالٍ، لِيُظْهِرَ بِهَا أَنَّهُ هُوَ مَنْ أَنْبَأَ بِهِ الأَنبِيَاءُ. فَعَنْهُ قَالَ دَاوُدُ: «سَأَفْتَحُ فَمِي بِالأَمثَالِ»،[١٠] وَكَذَلِكَ: «سَيَكُونُ هُنَاكَ رَجُلٌ يُخْفِي كَلامَهُ،

---

[٤] LCC 77:101
[٥] متّى ٥: ١ (الموعظة على الجبل).
[٦] GP 75:764; FNPN 1 10:281
[٧] LCC 77:101-2
[٨] GP 75:764; FNPN 1 10:281
[٩] LCC 77:102
[١٠] مزمور ٧٨: ٢ (٧٧: ٢).

ويُخْفَى وكَأَنَّ أَمْوَاجَ البَحْرِ جَرَفَتهُ».[١١] المقطع ١٦٤.[١٢]

خَرَجَ ليَزْرَعَ. كَاتِبٌ مَجْهُولٌ: «خَرَجَ الزَّارِعُ ليَزْرَعَ»، لا ليَنْتَقِلَ مِنْ مَكَانٍ إلَى آخَرَ فَحَسْب، بَلْ ليَزْرَعَ بخُطَّةٍ مَدرُوسَةٍ. لَمْ يَنْتَقِلْ إلَى مكَانٍ لَمْ يكُنْ فِيهِ مِنْ قَبْلُ، ولَمْ يَهْجُرِ المَكَانَ الَّذي تَرَكَهُ، لأَنَّ اللّهَ هُوَ فِي كُلِّ مَكَانٍ. ...خَرَجَ لأَنَّ اللّهَ حَاضِرٌ حَيثُ يُكَرَّمُ بِرُّه. أَمَّا حَيثُ لا يَكُونُ بِرُّ اللّهِ حَاضِرًا، فَاللّه لا يكُونُ مُرَحَّبًا بهِ. إنَّ الَّذينَ هُمْ في بِرِّه يلْتَئِمُونَ في الدَّاخِلِ، وَالَّذينَ لَيْسُوا في بِرِّه يجتمعونَ في الخَارجِ.... وَبِمَا أَنَّ كُلَّ الأُمَمِ المُزْدَرِيَةِ بِرَّ اللّهِ كَانَتْ تَعِيشُ تَحْتَ قُوَّةِ إبْلِيسَ، خَرَجَ ليَزْرَعَ البِرَّ في العَالَمِ، حَيثُ كَانَ غَائِبًا بسَبَبِ خَطَايَاهُم. «خَرَجَ الزَّارِعُ ليَزْرَعَ». لَمْ يكُنْ كَافِيًا عندَهُ القَولُ «خَرجَ ليَزْرَعَ»، بَلْ أَضَافَ، «خَرَجَ الزَّارِعُ ليَزْرَعَ»، مُشِيرًا إلَى أَنَّهُ لَمْ يكُنْ زَارِعًا حَدِيثَ العَهْدِ وَأَنَّه لَمْ يَقُمْ بِهَذا العَمَلِ للمَرَّةِ الأُولَى. كَانَ مِثلَ اللّهِ في فِعْلِهِ هَذَا. كَانَ يَزْرَعُ دَائِمًا. حَقًّا، مِنْ بَدْءِ الجِنْسِ البَشَرِيِّ كَانَ اللّهُ يَزْرَعُ طَبِيعيًّا بذْرَ المَعْرِفَةِ. زَرَعَ في النَّاسِ عَلَى يَدِ مُوسَى بذْرَ أَحكَامِ الشَّرِيعَةِ. وَلَمَّا تَكَلَّمَ عَلَى لِسَانِ الأَنْبِيَاءِ لَمْ يَزْرَعْ عِلاجَ الأُمُورِ الحَاضِرَةِ فَحَسب، بَلْ مَعْرِفَةَ الأُمُورِ المُستَقْبَلَةِ. في جَسَدٍ بَشَرِيٍّ، وَمِنْ خِلالِ نَفْسِهِ، خَرجَ ليَزْرَعَ وَصَايَاهُ الإلَهِيَّةَ. عَمَلٌ نَاقِصٌ حَولَ مَتَّى، الموعظة ٣١.[١٣]

١٣: ٤ وَقَعَ بَعْضُ الحَبِّ عَلَى جَانِبِ الطَّرِيق

عَلَى جَانِبِ الطَّرِيق. كَاتِبٌ مَجْهُولٌ: «وَقَعَ بَعْضُ الحَبِّ عَلَى جَانِبِ الطَّرِيقِ». مَا هُوَ هَذَا الطَّرِيقُ؟ إنَّه العَالَمُ الَّذي نُولَدُ فِيه وَنَمُرُّ فِيهِ. إنَّه طَرِيقٌ، وَمَحَجَّةٌ وَمَعْبَرٌ لكُلِّ الَّذينَ جَاؤُوا مِنْ لَدُنِ الله وانتَهوا إلَيهِ. قَالَ النَّبيُّ: «أَنَا ضَيفٌ عَابرٌ عِنْدَكَ، وَنَزِيلٌ كَجَمِيعِ آبَائي».[١٤] فَعَابرُ السَّبيلِ لا يَهُمُّهُ في الطَّرِيقِ إلاَّ مَا يَحْتَاجُ إلَيهِ. لذَلِكَ كَانَ عَلَى العَابِرِينَ في العَالَمِ أَنْ لا يَهْتَمُّوا إلاَّ بِمَا يَحْتَاجُونَ إلَيهِ. مَا هُنَاكَ عَلَى جَانِبِ الطَّرِيقِ؟ أُنَاسٌ يَعِيشُونَ وَفْقَ هَذَا العَالَمِ وَيَعْرِفُونَ كُلَّ مَا في العَالَمِ وَلا يَعْرِفُونَ مَا للّهِ. عُقُولُهُم وَشَهَوَاتُهُم تَهْتَمُّ لَيلَ نَهَار بالطَّعَامِ الشَّهِيِّ وَالشَّرابِ الجَيِّدِ وَالاعتِنَاءِ بالجَسَدِ. مِنْ هَذهِ

---

[١١] إشعيا ٣٢: ٢.
[١٢] 602 KGKM
[١٣] 297:65 GP
[١٤] مزمور ٣٩ : ١٢ (٣٨: ١٢).

الأُمُورِ تَنْشَأُ كُلُّ الشُّرورِ. عَمَلٌ غيرُ كامِلٍ حَولَ متَّى، الموعظة ٣١.[١٥]

فَجَاءَتِ الطُّيورُ فَأَكَلَتْهُ. كيرلّس الإسكندريّ: لِنَنْظُرْ مِنْ مِنْظَارٍ واسِعٍ إِلَى مَا يَعْنِي بِالطَّرِيقِ. كُلُّ طَرِيقٍ يَعتورُهُ اليَبسُ والجَفَافُ لأَنَّه يَقَعُ تَحْتَ وَطْأَةِ الجَميعِ. فَلا يَجِدُ أَيُّ نوعٍ مِنَ البَذْرِ عُمْقَ تُربَةٍ كافيًا، بَلْ يَقَعُ عَلَى السَّطْحِ فَتَتَخَاطَفهُ الطُّيورُ. لذَلِكَ لا يَتَلَقَّى مَنْ رَكِبَ فِي هَذَا الأَمْرِ رَأْسَهُ الزَّرعَ الإِلَهِيَّ، بَلْ يُصبِحُ طَرِيقًا تَدُوسُهُ الأَرْوَاحُ النَّجِسَةُ. هَذَا مَا يَعْنِيهِ هُنَا بِـ«طُيورِ السَّمَاءِ». لَفْظَةُ «السَّمَاءِ» هنَا تَعْنِي الهَواء. تَنتَقِلُ فيهِ الأَرْوَاحُ الشِّرِّيرَةُ بَعدَ أَنْ تَستولي عَلَى البَذْرِ الجَيِّدِ وَتقْضِيَ عَلَيهِ. مَا هُوَ البَذْرُ الَّذي يَقَعُ عَلَى الأَرْضِ الصَّخْرِيَّةِ؟ يَرمُزُ إِلَى الَّذينَ يُؤمِنُون عَنْ جَهْلٍ فَلا يُسَدِّدون فِكْرَهُم لِفَهْمِ مِحَكِّ السِّرِّ. فَاتِّقَاؤُهُم للهِ ضَحْلٌ لا أَصْلَ لَهُ. يُمَارِسُونَ شُؤونَ المَسِيحيِّينَ عِندَمَا تَكُونُ الرِّيحُ مُؤَاتِيَةً ليسَ فيها مِحَنُ الشِّتَاءِ. أَمْثَالُ هَؤُلاءِ لَنْ يَصُونُوا إِيمَانَهُم عند اشتِدَادِ الاضطِهَادِ، فَلا تَكُونُ فِيهِ نُفُوسُهُم مُحِبَّةً للكِفَاحِ. المقطع ١٦٨.[١٦]

١٣: ٥-٦ مِنْهُ مَا وَقَعَ عَلَى أَرْضٍ صَخْرِيَّةٍ

على أرْضٍ صَخْرِيّة. كاتِبٌ مَجْهُولٌ: إِنَّ بذْرَ الكلمةِ الواقعَ على الأرْضِ الصَّخْرِيَّةِ تَخْتطفهُ فجْأةً شياطينُ عابرةٌ. قُلْ لِي، خَطأُ مَنْ يكُونُ؟ أخطأُ الشَّياطِينِ الَّذين يَخْتَطِفُونَ البذْرَ فجْأة، أمْ خطأُ الجافِي الطَبْعِ الَّذي لا يَدعُ الكلمة تتغلغلُ في أخاديدِ قلْبه؟ أَعْتقِدُ أَنَّ الخطأ لمْ يكُنْ خطأَ الشَّياطِينِ الخَاطِفَةِ.... لا لومَ عَلَى الشَّيطَانِ القَادِرِ عَلَى دُخُولِ أَعْمَاقِ قَلْبِكَ لِيَخْطَفَ الكَلِمَةَ مِنكَ ضِدَّ إِرَادتِكَ. يَخطَفُ مَا أَهْمَلْتَهُ وَازدَرَيْتَهُ. عَملٌ غَيرُ كَامِلٍ حَولَ متَّى، الموعظة ٣١.[١٧]

يَبِس. كَاتِبٌ مَجْهُولٌ: «وَمِنْهُ مَا وَقَعَ عَلَى أَرْضٍ صَخْرِيَّةٍ قَلِيلَةِ التُّرابِ». إِنَّ للصَّخْرِ صِفَتَينِ طَبيعِيَّتَينِ: المَتَانَةَ وَالصَّلابَةَ. لذلِكَ يُقَالُ عَنِ الرَّجُلِ إِنَّهُ صَخْرٌ سَواءٌ لثَبَاتِ إيمَانِهِ أَو لقَسَاوَةِ قَلْبِهِ. يَقُولُ النَّبِيُّ في هَذَا المَجَالِ: «وَأَنْزَعُ مِنْهُمْ قَلْبَ الحَجَرِ».[١٨] مَا هِيَ إِذًا الأَرْضُ؟ إِنَّها الفِكْرُ الجَسَدِيُّ وَنَفْسُ المُؤمِنِ المُتَعَلِّقِ بِالمَادَّةِ. فَلِلكَثِيرِينَ عَقْلٌ جَيِّدٌ من حَيثُ الطَّبيعَةُ، لَكِنْ لَيسَ للبَعْضِ عَقْلٌ مُؤمِنٌ. عَقْلُهُم هُوَ مِنْ لَدُنِ اللهِ، غيرَ أَنَّ

---

[١٥] 297:65 GP

[١٦] 8-702 KGKM

[١٧] 397:65 GP

[١٨] حزقيال ٣٦: ٢٦.

إرادتهم هم يقرّرونها. هناك أناسٌ، إذا تحدّثت إليهم عن مجد القدّيسين أو عن بركة الملكوت السّماويّ، يفرحون بالاستماع ويبتهجون. وبما أنّهم حكماء بالنّسبة إلى الطّبيعة، يقبلون الكلمة بسرعةٍ... فأنتم يا من لا تسرّون بالتّصدّق ممّا لكم، كيف تستطيعون تحمّل خسارة الأمور المادّيّة عندما تحلّ أيّامٌ صعبةٌ أو اضطهادٌ بسبب كلمة الله؟ إنّكم ستتعثّرون، ولا شكّ، في ذلك. عملٌ غير كاملٍ حول متّى، الموعظة ٣١.[١٩]

١٣: ٧ وقع على الشّوك

كيف تثمر الكلمة. كاتبٌ مجهولٌ: «ومنه ما وقع على الشّوك». أوّلاً، أقول كيف تنمو الكلمة المزروعة فيك، وكيف يخنقها جيرانكم. تنمو بالإصغاء إلى الكتاب المقدّس وتقاليد الآباء إصغاءً دقيقًا. بهذه الطّريقة تقوى كلمة الله فيك، وتنمو وتسرّك. عملٌ غير كاملٍ حول متّى، الموعظة ٣١.[٢٠]

كيف تخنق الكلمة. كاتبٌ مجهولٌ: إنّ السّعي وراء الثّروة لا يتيح لك الذّهاب إلى الكنيسة والاستماع إلى الكتاب المقدّس وتقليد الآباء والتّغذّي بالكلمة الّتي استلمتها. إنّك تقترب بجسدك لا بعقلك. تصغي بأذنيك لا بقلبك. قلبك منهمكٌ في ما تهتمّ به. لا تتيح لك الرّغبة في المال أن تعمل الخير. ... وإذا تعرّضت كلمة الله للخطر، وأنت منكبٌّ على جمع المال أو خائفٌ من خسارة ما لك أو راغبٌ في كسب ما ليس عندك، فأنت لا تجاهر بإيمانك. أما ترى كيف أنّ الاهتمام بالمال والرّغبة فيه يخنقان الكلمة ويعقّمانها فلا تعطي ثمرًا؟ عملٌ غير كاملٍ حول متّى، الموعظة ٣١.[٢١]

١٣: ٨-٩ فأثمر

إختلاف تقبّل الأرض. الذّهبيّ الفم: قد خلص جزءٌ رابعٌ؛ فالأجزاء ليست متساويةً في ما بينها، هنا الفرق عظيمٌ. أمّا وقد قال هذه الأشياء، فإنّه يبدو أنّه حادث النّاس جميعًا بدون حقدٍ.

كما أنّ الزّارع لا يفرّق بين أقسام أرضه، بل يلقي الزّرع من دون أيّ تمييزٍ، هكذا يجود الله بمواهبه على الجميع،[٢٢] لا يفرّق بين

---

[١٩] GP 65:397

[٢٠] GP 65:497

[٢١] GP 65:597

[٢٢] أنظر رومية ٥: ١٥.

الغنيِّ والفقيرِ، أو بينَ الحكيمِ والجاهِلِ، أو بينَ المُجتَهِدِ والكسُولِ، أو بين الشُّجاعِ والجبانِ. يُخاطِبُ الجميعَ ويُتمِّمُ مهمَّتَه بالرَّغْمِ مِن مَعْرِفَتِهِ السَّابِقَةِ لِمَا سَيَحْدُثُ، فَبِوسْعِهِ أَنْ يَقُولَ: «أيُّ شيءٍ يُعْمَلُ للكرمِ، وما عَمِلتُهُ لكَرْمِي؟».[٢٣] كانَ الأنبياءُ يُخاطِبُونَ الشَّعْبَ كَكَرْمَةٍ، فَقالوا: «كانَ لحَبيبي كَرْمٌ»[٢٤] و«نَحْنُ كَرْمٌ نَقَلْتَهُ مِنْ مِصرَ».[٢٥] لكِنَّ السَّيِّدَ تَحدَّثَ عَن البَذْرِ. مَا يُظْهِرُ ذَلِكَ؟ أَنَّ تِلكَ الطَّاعَةَ سَتَكُونَ الآنَ سَريعَةً وأَكْثَرَ سُهُولَةً، وتُعطِي ثِمارَهَا للتَّوِّ. لَكِنْ عِندَمَا تَسْمَعُ: «خَرَجَ الزَّارِعُ ليَزْرَعَ»، لا تَظُنَّنَّ أَنَّ هذا حَشْوُ كَلامٍ، فَكَثِيرًا مَا يَخْرُجُ الزَّارِعُ لِعَمَلٍ آخَرَ، سواءٌ لِيَحْرُثَ، أَوْ لِيَستَأصِلَ الأَعْشَابَ الضَّارَّةَ أو لِيَقْتَلِعَ الأَشْوَاكَ، أو ليُعْنَى بأَمْرٍ مُمَاثِلٍ آخَرَ؛ لَكِنَّهُ في المثَلِ «خَرَجَ...لِيَزْرَعَ».

أَخْبِرْني، لِمَاذا تَلِفَ مُعظَمُ البَذْرِ؟ التَّلَفُ لم يَأْتِ مِنَ الزَّارِعِ، بَلْ مِنَ الأَرضِ الَّتي تقبَّلَتِ البَذْرَ مِنَ النَّفْسِ الَّتي لَمْ تُصْغِ إليهِ.

لاحِظْ أَنَّ يَسُوعَ لا يقُولُ: استَلَمَهُ المُتَهَاوِنُونَ وَأَضَاعُوهُ، أو الأَغْنِيَاءُ وَخنَقُوهُ، أو التَّافِهُونَ وخَانُوهُ؟ لَمْ يَشَأْ أَنْ يُوَبِّخَهُم بقَسْوَةٍ، خِشيَةَ أَنْ يَستَولِيَ عَلَيهِمُ اليَأْسُ، لَكِنَّه يَتْرُكُ التَّوبِيخَ لضَمِيرِ السَّامِعِينَ. لَمْ يَحْدُثْ هَذا للبَذْرِ وَحْدَه، بَلْ للشَّبَكَةِ أيضًا. فَهَذِهِ حَمَلَتِ السَّمَكَ الرَّدِيءَ.

وَلَكِنَّهُ يَقُولُ هَذا المثَلَ مَاسِحًا تَلامِيذَهُ، وَمُعَلِّمًا إِيَّاهُم عَدَمَ الاستِسْلامِ لليَأْسِ حتَّى لو كانَ الضَّالُّونَ أَكثَرَ مِنْ مُتَقَبِّلِي الكَلِمَةِ. إِنَّ طَريقَةَ الرَّبِّ لا تَتوقَّفُ عَنْ زَرْعِ البَذْرِ، وَإِنْ كَانَ يَعْرِفُ سَلَفًا مَا سَيَحْدُثُ.

لَكِنْ كَيْفَ يُعْقَلُ أَنْ نَفْهَمَ أَنَّ الزَّارِعَ زَرَعَ بَينَ الشَّوكِ وَعلَى الأَرْضِ الصَّخْرِيَّةِ وَعَلى جَانِبِ الطَّرِيقِ؟ رُبمَّا لا نَعْقِلُ ذَلِكَ بالنِّسبَةِ إِلَى البَذْرِ والأَرضِ، أَمَّا بالنِّسبَةِ إلى النُّفُوسِ وَالتَّعَالِيمِ فيكُونُ ذَلِكَ مُمْتدَحًا. قَدْ يُسْتَهْزَأُ بالزَّارِعِ لِفِعْلِهِ هَذا، إِذْ لا يُمْكِنُ للصَّخْرِ أَنْ يُصْبِحَ تُرْبَةً صَالِحَةً، وَالطَّرِيقُ لا يُمْكِنُ إِلاَّ أَنْ يَكُونَ طَرِيقًا وَالشَّوكُ لا يُمْكِنُ إِلاَّ أَنْ يَكُونَ شَوْكًا. أَمَّا بالنِّسبَةِ إِلَى الكَائِنَاتِ النَّاطِقَةِ فَالأَمْرُ لَيسَ كَذَلِكَ. فَالأَرْضُ الصَّخْرِيَّةُ قَد تَتَحَوَّلُ إِلَى أَرضٍ مُخْصِبَةٍ، ويُمكِنُ للطَّرِيقِ أَنْ لا تُدَاسَ، فَتُصْبِحُ بِمَنْجى مِنَ العَابِرِينَ، وَتَتَحَوَّلُ إِلَى أَرضٍ صَالِحَةٍ. ويُمْكِنُ للأَشْوَاكِ أَنْ تَخْتَفِيَ فَيَتَمَتَّعُ البَذْرُ بالنُّمُوِّ الكَامِلِ. لَو لَمْ يَكُنِ الأَمرُ كَذَلِكَ لَمَا

[٢٣] إشعيا ٥: ٤.
[٢٤] إشعيا ٥: ١.
[٢٥] مزمور ٨٠: ٩ (٧٩: ٩).

زَرَعَهَا الرَّبُّ. وَإِذَا لَمْ يَحْصَلْ أَيُّ تَغيير في النَّفْس، فَهَذَا لَيسَ خَطَأَ الزَّارِع، بَلْ خَطَأُ الَّذين لا يُريدون أَنْ يَتَغيَّروا. فَهُوَ مِنْ جِهَتِهِ قَدْ أَتَمَّ وَاجِبَه. فَإِنْ خَانُوا مَا نَالُوهُ مِنهُ فَالمُظْهِرُ مَحَبَّةً عَظِيمَةً للبَشَرِ لا عَيبَ فيهِ.

فَهَلاَّ لاحَظْتَ هَذَا، لَيسَ للهَلاكِ طَرِيقٌ وَاحِدٌ، بَلْ هُنَاكَ طُرُقٌ عَدِيدَةٌ مُتَنوِّعَةٌ. فَالَّذينَ يُشْبِهُونَ الطَّريقَ هُمْ أَهلُ السُّوءِ، اللامُبَالونَ وَالمُتَهاوِنُون؛ أَمَّا الَّذينَ عَلَى الصَّخْرِ فَهُمُ الضُّعَفَاءُ. إنجيلُ متّى، الموعظة ٤٤.٥.١.[٢٦]

بَعْضُهُ مَائةً، وَبَعْضُهُ سِتِّين، وَبَعْضُهُ ثَلاثِينَ. كَاتِبٌ مَجْهُولٌ: «وَمِنهُ مَا وَقَعَ عَلَى أَرضٍ طَيِّبَةٍ». الأَرْضُ الطَّيِّبَةُ تُمَثِّلُ الَّذينَ يَعِفُّونَ عَنِ اقتِنَاءِ مَالِ الغِشِّ وَيَعْمَلُونَ الخيرَ عَلَى قَدْرِ اسْتِطَاعَتِهِم، فَيُعْطُونَ مِنَ الثَّمَرِ ثَلاثِينَ. وَإِذَا كَفَرُوا بِكُلِّ مُمْتَلَكَاتِهِم وَكَرَّسُوا حَيَاتَهُم لِخِدْمَةِ اللّهِ، فَإِنَّهُم يُعْطُونَ سِتِّين. وَإِذَا كَانُوا مُصَابِينَ بِوَهَنٍ جَسَدِيٍّ وَاحتَمَلُوه صَابِرِينَ، فَإِنَّهُم يُعْطُونَ مَائةً، وَالأَرضُ في هَذِهِ الحَالاتِ طَيِّبَةٌ.

مَنْ يُعْطِ ثَلاثِينَ، أَيْ مَنْ لا يَفْعَلْ شَرًّا، بَلْ يَعْمَلُ خَيرًا عَلَى قَدْرِ مَا استطاعَ، يُعْطِ حَقًّا ثَلاثِينَ. وَمِنهُم مَنْ لا يُعْطِي شَيئًا. وَمَن يُعْطِ سِتِّينَ لا يَزْدَرِ كُلَّ مُمْتَلَكَاتِهِ، لَكِنَّهُ يَصُومُ بانتِظَامٍ كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِهِ، أَو يَعِيشُ عَفِيفًا، أَو يُعَانِي حِرْمَانًا جَسَدِيًّا. هَذَا يَكُونُ عَطَاؤُهُ سِتِّين. لِذَلِكَ يَقُولُ الرَّبُّ لِتَلامِيذِهِ: عَلَى القَادِرِينَ أَنْ يُعْطُوا سِتِّينَ أَنْ «يَبِيعُوا مَا يَمْلِكُونَ وَيَتَصَدَّقُوا بِهِ».[٢٧] لَكِنَّهُ يُوصِي العَاجِزِينَ عَنْ إعْطَاءِ السِّتِّينَ أَنْ يُعْطُوا ثَلاثِينَ قَائِلاً: «وَمَنْ طَلَبَ مِنكَ شَيئًا فَأَعْطِهِ، وَمَنِ اغتَصَبَ مَا لَكَ فَلا تُطَالِبْهُ بِهِ».[٢٨] كَذَلِكَ، فَالقَادِرُ عَلَى إعْطَاءِ سِتِّينَ يَعجَزُ عَنْ إعْطَاءِ مَائةٍ. مَا أَكْثَرَ القَادِرِينَ عَلَى التَّخَلِّي عَنْ مُمْتَلَكَاتِهِم، وَتَحَمُّلِ خِسَارَتِهَا، وَالعَيْشِ بِالعِفَّةِ، وَمُعَانَاةِ الضِّيقِ الجَسَدِيِّ وَيَجبُنُونَ عَنْ إعْطَاءِ المَائةِ! عَمَلٌ غيرُ كَامِلٍ حولَ متَّى، الموعظة ٣١.[٢٩]

---

[٢٦] FNPN 1 10:281-82*; cf. GLT 2602, 251, 75, 764. 35-85, 864. 21-41, 32- 24

[٢٧] لوقا ١٢: ٣٣.

[٢٨] لوقا ٦: ٣٠.

[٢٩] GP 65:597

١٣: ١٠-١٧ الهدفُ مِنَ الأمْثالِ

١٠ فدَنا مِنهُ تلاميذُهُ وقالوا لَه: «لِماذا تُخاطِبُهُم بالأمثالِ»؟ ١١ فأجابَهُم: «أنتُم أُعطيتُم أنْ تعرِفوا أسرارَ مَلكوتِ السَّماواتِ، وأمّا هُم فلم يُعطَوا ذلك. ١٢ لأنَّ مَنْ كانَ لَه شيءٌ، يُزادُ فيَفيضُ. ومَنْ لا شيءَ لَه، يُؤخَذُ مِنهُ حتّى الَّذي لَه. ١٣ لذلك أنا أُخاطِبُهُم بالأمثالِ لأنَّهُم يَنظُرونَ فلا يُبصِرونَ، ويُصغُونَ فلا يَسمَعونَ ولا يَفهَمونَ. ١٤ ففيهِم تَتِمُّ نُبوءةُ إشعيا:

«إنَّكم تسمعون سَمْعًا ولا تفهَمونَ،
وتنظُرون نظرًا ولا تُبصِرونَ.
١٥ لأنَّ قلبَ هذا الشَّعبِ قد غَلُظَ،
فسَدُّوا آذانَهُم وأَغمَضُوا عُيونَهُم،
لِئلاَّ يُبصِروا بعُيونِهم
ويَسمَعُوا بآذانِهم
ويَفهَموا بقُلوبِهم
ويَتوبُوا فأشفيَهُم».

١٦ وأمّا أنتُمْ فطوبى لعيونِكُم لأنَّها تُبصِرُ ولآذانِكُم لأنها تَسمَعُ. ١٧ الحقَّ أقولُ لكُم: كَثيرُونَ مِنَ الأنبياءِ والصِّدِّيقِينَ تَمنَّوا أنْ يرَوْا ما أنتم تَرَونَ فلم يروا، وأنْ يَسمَعُوا ما أنتم تَسمَعُونَ فلم يسمَعُوا.

نَظْرَةٌ عَامَّةٌ: إنَّ طَبْعَ التَّلاميذِ اللَّطيفَ يُرَى في سُؤَالِهم عَنِ الغَايَةِ مِنَ الأمْثَالِ (الذَّهبيُّ الفَم). كُلُّ النُّفُوسِ النَّاطِقَةِ تُعْطَى فُرْصَةَ التَّمييزِ بَينَ الخَيرِ وَالشَّرِّ. لَكِنْ لَمْ يَتَسَلَّمِ الجَميعُ نِعمَةَ مَعْرِفَةِ أَسْرَارِ المَلَكُوتِ، مَعَ العِلمِ أنَّ الانقِبَاضَ عَنْ إسْعَافِ الآخَرينَ

لَيس خَطأَ اللّهِ، بَلْ خَطأُ الّذين لا يَطلبُونَ أَوْ يَعْمَلُونَ لِيَكُونُوا مُستَعِدِّينَ لِقَبول المَلَكُوتِ (كَاتِبٌ مَجْهُولٌ).

يُقيمُ الرُّوحُ القُدْسُ في قُلُوبِ مُتَقَبِّلي العِلْمِ وَالمُستَعِدِّينَ لَهُ وَيَزِيدُ لَهُم مِنْ عَطايَاه. لَكِنْ عِندَمَا يُهمِلُ المَرءُ وَمِيضَ الضَّوءِ الصَغِير، يُؤخَذُ مِنهُ القَلِيلُ الّذي كَانَ يَمْلِكُهُ (كيرلّس الإسكندريّ). عِندَمَا يَكُونُ النَّاسُ رَاغِبينَ بِحمَاسَةٍ، يَمْنَحُهُم اللّهُ كُلَّ مَا يَحتَاجُونَ إِلَيهِ. لَكِنَّ عَدمَ تَجاوُبِهم يَحرِمُهُم إِحسَانَاتِ اللّهِ. فَمَا يَبْدُو أَنَّهم يَمْلِكُونَهُ يُؤخَذُ مِنهُم. في الواقِعِ لا يَأْخُذُ اللّه مِنهُم شَيئًا سِوَى عَدمِ استِعْدَادِهم لِقَبُولِ عَطَايَاه (الذَّهبيُّ الفم).

فَمَنْ كَانَ عَدِيمَ العَطَاءِ افتقَرَ إِلَى تَسَلُّمِ أَيِّ شَيءٍ (كَاتِبٌ مَجْهُولٌ).

لِيَجْعَلَ غَيرَ المرئيِّ مَرئيًّا، وَلِيَتجنَّبَ لُغَةً جَافِيةً (ثيودور المبسوستيّ). تَكلَّمَ بالأَمْثَالِ لا لأَنَّهم كَانُوا يَنظُرونَ وَلا يُبْصِرونَ (كَاتِبٌ مَجْهُولٌ). إِنَّ المؤمِنَ بالإِنجيلِ يَتَلَقَّى عَطِيَّةً كَامِلَةً، لأَنَّ الإنجيلَ يُغْنِيهِ بِثَمَرٍ جَديدٍ. لَكِنْ مَتَى رَفَضَ يُؤخَذُ مِنهُ مَا رَأَى فِيهِ العَونَ لَه (هيلاريون).

١٣: ١٠ فَدَنا مِنهُ تَلامِيذُهُ وَقَالُوا لَه: «لِماذا تُخَاطِبُهُم بالأَمْثَال»؟

سَأَلَهُ تَلامِيذُه بِلُطْفٍ. الذَّهبيُّ الفَم: إِنَّه لَحَقٌّ وَواجِبٌ أَنْ نُعْجَبَ بالتَّلامِيذِ، كَيفَ كَانُوا رَاغِبينَ في التَّعَلُّمِ، وَقَدْ عَرَفُوا مَتَى يَحسُنُ بِهِم أَنْ يَسْأَلُوا، إِذْ لَمْ يَسْأَلُوا أَمَامَ الكُلِّ. وَيُوضِحُ متَّى هَذا بقَولِهِ: «فَدَنَا مِنهُ تَلامِيذُه». وَحتَّى تَعْلَمُوا أَنَّ هَذَا القَولَ لَيْسَ حَدْسًا، أَضَافَ مَرقُسُ مُوضِحًا ذَلِكَ بِقَولِهِ: «وَلَمَّا اعتَزَلَ الجَمْعَ سَأَلَهُ تَلامِيذُهُ»[١] هَذا مَا كَانَ يَنْبَغِي عَلَى إِخْوَتِهِ وَأُمِّهِ أَنْ يَفْعَلُوهُ، لا أَنْ يُنَادُوهُ إِلَى الخَارِجِ مُتَباهِينَ.

لَكِنْ لاحِظْ وِدَّ (تَلامِيذِه) أَيضًا، كَيفَ رَاعَوْا الآخَرِينَ كَثِيرًا، سَاعِينَ إِلَى خَيرِهِم أَوَّلاً، وَمِنْ ثَمَّ إِلَى خَيرِهِم هُم. قِيلَ: «لِمَاذا تُخَاطِبُهُم بالأَمْثَال؟». لَمْ يَقُولُوا، لِمَاذا تُخَاطِبُنَا بالأَمْثَال؟ وَفي مُنَاسَبَاتٍ أُخْرَى يَظْهَرُ وِدُّهُم للنَّاسِ بِطرائقَ عَدِيدَةٍ، كَقولِهِم لِلمُعَلِّمِ: «إِصْرِفِ الجُمُوعَ»[٢] «أَتَعْلَمُ أَنَّ الفَرِّيسيِّينَ كَانُوا يَعثرونَ بِهَذا»؟.[٣] إنجيلُ متّى، الموعظة ٤٥.١.[٤]

السُّؤَالُ في القَارِبِ. جيروم: قَدْ يُطْرَحُ السُّؤَالُ: كَيفَ جَاءَ التَّلامِيذُ إِلَى يَسُوعَ عِندَمَا

[١] مرقس ٤: ١٠.
[٢] لوقا ٩: ١٢.
[٣] متّى ١٥: ١٢.
[٤] GP 85:174; NPNF 1 10:284

كَانَ جَالِسًا في القَارِبِ؟ يَبدو أَنَّهُم صَعِدُوا إِلَى القارِبِ مَعَهُ قَبْلَ قَلِيلٍ وَوَقَفُوا هُنَاكَ يَسأَلُونَهُ أَنْ يُفَسِّرَ لَهُم المثَلَ. تَفْسيرُ متَّى ٢. ١٣. ١٠.[٥]

١٣: ١١ أَسْرَارُ مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ

المَعْرِفَةُ العَامَّةُ لِلخَيرِ وَالشَّرِّ. كَاتِبٌ مَجْهُولٌ: «أَنْتُمْ أُعْطِيتُم أَنْ تَعرِفُوا أَسْرَارَ مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ». في ضَوءِ هَذِهِ الكَلِمَاتِ يَضَعُ بَعْضُهُمُ اللَّومَ عَلَى اللَّهِ بِسَبَبِ إِهْمَالِهِم قَائِلِينَ: «لَيست خَطِيئَتي أَنْ لا أَعْرِفَ مَا لَمْ يُعْطِنِي اللَّهُ مَعْرِفَتَهُ». إِنَّهُم يَقُولُونَ هذا لا عَنِ اكتِئَابٍ، لأَنَّهُم لا يَفْهَمُونَ شَيئًا عَنِ اللَّهِ. بِالأَحْرَى، إِنَّهُم يَبْحَثُونَ فَقَطْ عَنْ عُذْرٍ عَن خَطَايَاهُم. يَقُولُ المَزْمُورُ عَنْهُم: «لا تُمِلْ قَلبِي إِلَى كَلامِ السُّوءِ، لِيَتَعَلَّلَ بِعِلَلِ الخَطَايَا، فَأُشَارِكَ الَّذِينَ يَفْعَلُونَ الإِثْمَ».[٦] فَلْنَتَكَلَّمْ بِوُضُوحٍ أَكْثَرَ عَلَى هَذِهِ النُّقْطَةِ: كُلُّ فِكْرٍ يَأتي مِنَ الرُّوحِ القُدُسِ هُوَ نِعْمَةٌ مِنْ لَدُنِ اللَّهِ. أَنْ يُعْطِيَ اللَّهُ نِعْمَتَهُ لِكُلِّ البَشَرِ هُوَ شَيءٌ. وَشَيءٌ آخَر أَنْ يُوضِحَ هَذَا بِقَولِهِ إِنَّ النِّعْمَةَ الَّتي يُعْطِيهَا لَيستْ مُعْطَاةً لِكُلِّ البَشَرِ بِغَضِّ النَّظَرِ عَن تَجَاوِبِهِم، بَلْ إِلَى مَنْ هُمْ أَكْثَرُ جَدَارةً، وَإِلَى المُمَيَّزِينَ وَالأَكْفِيَاءِ أَنْ يَكُونُوا مُخْتَارِينَ.

لاحِظْ كَيفَ أَنَّ يَسوعَ يَقُولُ: «أَنْتُمْ أُعْطِيتُم أَنْ تَعْرِفُوا أَسْرَارَ مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ». لَمْ يَقُلْ: «أَنْتُمْ أُعْطِيتُم» في حِينِ أَنَّكُم لا تَعْرِفُونَ الخَيرَ مِنَ الشَّرِّ. فَكُلُّ النُّفُوسِ النَّاطِقَةِ تُعْطَى فُرْصَةً لِمَعْرِفَةِ الخَيرِ مِنَ الشَّرِّ. لَكِنَّ مَعْرِفَةَ أَسْرَارِ المَلَكُوتِ لَمْ تُعْطَ لِلجَمِيعِ. إِنَّهُ لَيسَ خَطَأَ اللَّهِ الَّذي لا يُعْطِي، إِذْ هَذِهِ المَعْرِفَةُ النَّاطِقَةُ مَوجُودَةٌ عِندَ الجَمِيعِ- بَلْ خَطَأَ مَنْ لا يَسأَلُ أَو يُسْرِعُ أَو يَعْمَلُ لِيَكُونَ مُستَعِدًّا لأَنْ يَقْبَلَ المَلَكُوتَ. إِذَا تَابَعْتَ هَذِهِ المَعْرِفَةَ العَامَّةَ لِلخَيرِ وَالشَّرِّ -أَي إِذَا أَحْسَنْتَ استِعْمَالَ مَا تَعْرِفُهُ- تَكُونُ مُستَعِدًّا لِتَلَقِّي مَعْرِفَةِ السِّرِّ. لَكِنْ، إِذَا أَخْفَيتَ في التُّرابِ المَعْرِفَةَ المُعطَاةَ لِتَسُدَّ حَاجَاتِ الطَّبِيعَةِ، فَكَيفَ تَسْتَحِقُّ المَعْرِفَةَ الخَاصَّةَ الَّتي هِيَ مُكَافَأَةٌ لِلإِرَادَةِ الحَسَنَةِ أَو الأَعْمَالِ؟ عَمَلٌ غَيرُ كَامِلٍ حَوْلَ متَّى، الموعظة ٣١.[٧]

١٣: ١٢ يُعْطَى فَيَفِيض

حَسَبَ استِجَابَتِهِم. الذَّهَبِيُّ الفَم: رَغْمَ أَنَّ القَوْلَ مَلِيءٌ بِالغُمُوضِ، فَإِنَّه يَدُلُّ عَلَى

(٥) LCC 301:77

(٦) مزمور ١٤١: ٤؛ ١٤٠: ٤.

(٧) GP 79-697:65

عَدَالَةٍ لا تُوصَفُ. فَمَا يَقُولُهُ السَّيِّدُ هُوَ شَيءٌ كَهَذَا: عِندَمَا يَكُونُ المرءُ نَشيطًا وَمُجْتَهِدًا، يُعْطَى لَهُ كُلُّ شَيءٍ مِنْ جِهَةِ اللّهِ؛ أَمَّا مِنَ النشاطِ والاجتهادِ خَلاءً لا هِمّةَ لَه للمُسَاهَمَةِ بِمَا عِندَه، فَلا تُعْطَى لَهُ عَطَايَا اللّهِ. يَقُولُ السَّيِّدُ: «يُنْتَزَعُ مِنهُ مَا يَظُنُّهُ أَنَّه لَهُ»؛ فَلَيسَ اللّهُ مَن يَأخُذُهُ مِنهُ، لَكِنْ عَدَمُ استِحْقَاقِهِ عَطَايَاهُ.

هَذَا مَا نَفْعَلُهُ، نَحْنُ أيضًا؛ عِندَمَا نَرَى المرءَ غَيرَ مُبَالٍ بِمَا يَسمَعُهُ، وَعِندَمَا نَعجَزُ عَنْ إِقْنَاعِهِ بِأَنْ يُعِيرنَا انتِبَاهَهُ، عَلَينَا أَنْ نَصْمُتَ. إِذْ لَوْ دَاوَمْنَا عَلَى ذَلِكَ فَسَيَتَفَاقَمُ إِهْمَالُهُ. أَمَّا مَنْ يَجْتَهِدُ في التَّعَلُّمِ، فَإِنَّنَا نُرشِدُهُ مُغْدِقِينَ عَلَيهِ الكَثِيرِ. إنجيلُ متَّى، الموعظة ٤٥.١.[٨]

عِندَمَا تُهمَلُ الشُّعْلَةُ. كيرلّس الإسكندريّ: عِنْدَ القَابِلِينَ العِلْمَ وَالمُسْتَعِدِّينَ لقَبُولِهِ يَجْعَلُ الرُّوحُ القُدُسُ مَقَامَهُ، وَيَزِيدُ لَهُم مِنْ عَطَايَاه. لَكِنَّ مُهمِلي الشَّرَارَةِ الضَّوئِيَّةِ الصَّغِيرَةِ، فَالقَلِيلُ الَّذي كَانُوا يملِكُونَهُ يُنْتَزَعُ مِنهُم. هَذَا مَا جَرَى لِبَعْضِ اليَهُودِ الَّذينَ تَسلَّمُوا نُورًا مِنَ الشَّرِيعَةِ، لَكِنَّهُم لَمْ يَنمُوا. وعِندَمَا وَصَلَ الحَقُّ، أَصْبَحُوا كَلِيلِي البَصَرِ؛ فَانتُزِعَ مِنهُم مَا كَانَ لَهُم. المقطع ١٦٥.[٩]

يُنْتَزَعُ مِنهُ حتَّى الَّذي لَهُ. كَاتِبٌ مَجْهُولٌ: يَجُوزُ التَّأكِيدُ أَنَّ مَنْ لَهُ يُزَادُ. لَكِنْ يَسْتَحِيلُ أَنْ يُؤخَذَ شَيءٌ مِمَّن لَيسَ لَه شَيءٌ. كَيفَ نَفْهَمُ هَذَا إذًا؟ إذَا أُخِذَ شَيءٌ مِمَّنْ لَيسَ لَه شَيءٌ، لَيسَ لَهُ أَصلاً شَيءُ، فَمَا يُؤخَذُ مِنهُ؟ عَلَينَا أَنْ نَفْهَمَ هَذَا القَولَ عَلَى هَذَا النَّحوِ. إذَا كَانَ ذو العَقْلِ لا يَفْعَلُ البِرَّ في مَا يَخُصُّ مَجْدَ اللّهِ، بَلْ تُغرِيهِ الدُّنيويَّاتُ، نَقُولُ عَنهُ: لَيْسَ لَه شَيءٌ. ومعَ عِلمِنَا أَنَّه ذُو عَقْلٍ وَصَحِيحُ الرُّؤيَةِ، نَقُولُ عنه إنَّه أَعْمَى. فَهُوَ لَيسَ لَه شَيءٌ، لأَنَّه لا يُقَدِّمُ للّهِ شَيئًا. عَمَلٌ غَيرُ كَامِلٍ حَولَ متَّى، الموعظة ٣١.[١٠]

١٣:١٣ لَمْ يَروا، وَلَمْ يَسْمَعُوا وَلَمْ يَفْهَمُوا

لِمَاذَا أُخَاطِبُهُم بِالأَمْثَالِ. ثيودور المبسوستيّ: كَانَتْ عَادَتُهُ أَنْ يَستَعمِلَ الأَمْثَالَ لأَحَدِ سَبَبَينِ عَلَى الأَقَلِّ: إمَّا لأَنَّه يَتَكَلَّمُ عَلَى أُمُورٍ غَيرِ مَرئيَّةٍ، فيجعلُ بالمَثَلِ غَيرَ المَرئِيِّ مَرئيًّا، عَلَى قَدْرِ المُستَطَاعِ، أَو لِعَدَمِ جَدَارَةِ السَّامِعِينَ عِندَمَا لا يَنْتَفِعُونَ

---

(٨) GP 85:174-72; NPNF 1 10:285

(٩) MKGK 206

(١٠) GP 56:797

ممَّا يُقالُ. وهُناكَ سببٌ ثالثٌ لمُخاطبَتِهم الأمْثالِ. وإذا تحدَّث ليُوبِّخهُم علَى شيءٍ، فقد سعَى مِنْ خِلالِ الأمْثالِ إلَى أنْ يُخفِّفَ مِنْ خُشونةِ توبيخِهِ لأجلِ السَّامعين. فمَثلاً عِندمَا يُورِدُ مثَلَ الكرمةِ يقُولُ: «يقتُلُ هؤلاءِ الأشْرارَ قتلاً ويُسلِّمُ الكرْمَ إلى كرَّامِينَ آخرين».[11] هذا القولُ هَذا عَنِ الفرِّيسيِّينَ تجنَّبَ يسوعُ بوضُوحِ اللُّغةَ الفظَّةَ. المقطعُ ٧٣.[12]

لا يرون. كاتِبٌ مجْهُولٌ: لو قالَ يسُوعُ: «إنِّي سأُخاطِبُهُم بالأمْثالِ لأنَّهُم ينظُرونَ فَلا يُبْصِرونَ» لظنَّ النَّاسُ أنَّ ذلِكَ لمْ يكُنْ خطأَ اليهُودِ العادِمي الفهمِ، بَلْ خطأَ المَسيحِ الَّذي خاطبَهم بطريقةٍ لا يفْهمُونَها. لكِنَّه يقُولُ «أنا أُخاطِبُهُم بالأمْثالِ لأنَّهُم ينظُرونَ فلا يُبْصِرونَ». عليكَ أنْ تفْهمَ أنَّ الخطأَ لمْ يكُنْ خطأَ المَسيحِ الرَّاغِبِ عَنِ التَّكلُّمِ بوضُوحٍ، بَلْ خطأَ الَّذينَ سدُّوا آذانَهُم. إنَّهم لمْ يرَوا أنَّ المَسيحَ كانَ يتَكلَّمُ بأمْثالٍ، فهُم كانوا ينظُرُونَ ولا يُبْصِرونَ. لذلِكَ تحدَّثَ المَسيحُ إليهِم بأمْثالٍ. ها إنَّهم رأوا عجائِبَ مُوسَى. هَلْ كانُوا حقًّا عُميًا؟ لو رأوا لخافُوا بالتَّأكيدِ مِنَ اللّهِ الصَّانعِ العجائِبَ. ها إنَّهُم سَمِعُوا مُعلِّمَ الشَّريعَةِ. هَلْ كانُوا يسْمَعُونَ؟ لَو سَمِعُوا حقًّا لهُ، لعاشُوا بالتَّأكيدِ استِنادًا إلَى الشَّريعَةِ، وآمنُوا بمَنْ أنبأَتْ بهِ الشَّريعةُ. رأَوا العجائِبَ أيضًا، لكِنَّهُم نظرُوا فلَمْ يُبْصِروا حقًّا. فلَو رأَوا لنَالُوا فائِدةً عظِيمةً. إنَّه لأسْهلُ علَى مَنْ يُبصِرُ أنْ يعْرِفَ ما يرَى مِنْ أنْ يفْهمَ مِنَ السَّامِعينَ ما نقلُوا إليهِ. كيفَ حدَثَ أنَّ الَّذينَ سمِعُوا إعْلانَ اللّهِ العَجيبَ لمْ يعْرِفُوه ولَم يرَوه؟ لأنَّ اليهُودَ اعتادُوا أنْ ينْظُروا من دُونِ أنْ يُبْصِروا وأنْ يَستمِعُوا من دونِ أنْ يَسْمَعوا؛ لذلِكَ ضنَّ اللّه عليهِم ببصائِرِ الإيمانِ ليَروا مُعْجزاتِ المَسيحِ الإلهيَّةَ أو ليَسمَعُوا كلامَهُ الحيَّ. عَملٌ غيرُ كاملٍ حولَ متّى، الموعظة ٣١.[13]

١٣: ١٤ يُبْصِرونَ ولا يفْهَمُونَ

تنْظُرونَ نظرًا ولا تفْهمون. الذَّهبيُّ الفَم: وبعدَ هذا، لِئلاَّ يفْتَرِضَ أيُّ امرِئٍ أنَّ كلامَهُ مُجرَّدُ اتِّهامٍ، ولِئلاَّ يقُولَ النَّاسُ إنَّه يُوجِّهُ، كعدُوٍّ، هذِه التُّهمَ ضدَّنا، يُورِدُ السَّيِّدُ ما قِيلَ علَى لِسانِ النَّبيِّ، مُعْلِنًا الحُكْمَ نفْسَهُ، فيقُولُ: «فيهِم تتِمُّ نُبوءةُ إشعيا: «إنَّكم تَسْمَعُونَ سمْعًا ولا تفْهمُونَ، وتنْظُرونَ نظرًا ولا

[11] متّى ٢١: ٤١.
[12] KGKM 021
[13] GP 897:65

تُبصِرونَ». أورأيتَ كيفَ أنَّ النَّبيَّ يَتَّهِمُهم أيضًا بالتُّهْمَةِ نَفْسِها؟ أيضًا إنَّه لَمْ يَقُلْ لا تُبْصِرونَ، بَلْ تنظُرون نظرًا ولا تبصِرونَ»؛ ولَمْ يقُلْ لا تسْمَعونَ، بَلْ «تَسْمَعُونَ سَمْعًا ولا تفهَمُونَ». لهذا فقد خسِروا بسدِّ آذانِهم، وبإطباقِ عُيونِهِم، وبتقسِيَةِ قُلُوبِهِم. لأنَّهم لَمْ يسمَعُوا فحَسْب، بل «ثَقُلَ سَمْعُهُم» أيضًا. يَقُولُ إنَّهم فعَلُوا هَذَا «لِئَلاَّ... يَرجِعُوا فَأَشْفِيَهُم»، وَاصِفًا شَرَّهُم المُتَفَاقِمَ وَارتِدَادَهُم عنه. يقُولُ السَّيِّدُ هَذَا لِيَجْذِبَهم إليهِ وَلِيُنَبِّهَهُم إلى أَنَّهُ إذَا رَجِعوا يَشفِيهِم، فَلا يَقُولُ أحَدُهُم: «أنا أشْكُرُهُ وَهُوَ لَمْ يَشَأْ أَنْ يُبَالِيَ بي؛ فَلَوْ كَرَّمَني لخَضَعْتُ لَهُ». في هَذَا إشَارَةٌ إلى كَيفِيَّةِ المُصَالَحَةِ. هكَذا قِيلَ هُنَا أيضًا «لئلاَّ... يَرجِعوا فَأَشفيهم»، دَالاًّ عَلَى أَنَّ رُجُوعَهُم كَانَ مُمْكِنًا، وَعَلَى أَنَّهم سَيَخلُصونَ إذَا تَابُوا. كَانَ يَفْعَلُ كُلَّ الأَشْيَاءِ لا مِنْ أَجلِ مَجْدِه، بَلْ مِنْ أَجلِ خَلاصِهِم. لَو لَمْ تَكُنْ مَشِيئَتُه أَنْ يَسْمَعوا ويَخلُصوا، لَلَزِمَ الصَّمتَ، وَلَمَا تَكَلَّمَ بِأَمْثَالٍ؛ لكنَّه يَحُثُّهُمُ الآنَ عَلَى الشَّيءِ نَفسِهِ، أي عَلَى التَّكَلُّمِ تَحتَ سِترٍ، «لأنَّ اللّه لا يَشَاءُ مَوْتَ الخَاطِئِ، بَلْ أَنْ يَرجِعَ إليهِ وَيَحيَا».[١٤] إنجيلُ متّى، الموعظة ٤٥.١–٢.[١٥]

١٣: ١٥ غَلُظَت قُلُوبُهُم

صَمُّوا آذانَهُم عَنِ السَّمَاعِ. هيلاريون: يَفْهَمُ المُؤمِنُ أَسْرارَ المَلَكُوتِ، فيُحْرِزُ نَجَاحًا في مَا هُو مُنْغَمِسٌ فيهِ، ويَزدَادُ تَقَدُّمًا. لكنْ يُؤخَذُ مِنهُ ما لا يَكُونُ مُنْغَمِسًا فِيهِ. بِتَعْبِيرٍ آخَرَ، إنَّه يَخْسَرُ الشَّرِيعَةَ بِخَسارَتِهِ إيمَانَهُ. فَتَرَ إِيمَانُ اليَهُودِ فَخَسِرُوا الشَّرِيعَةَ. لِذَلِكَ، يَتَلَقَّى الإيمَانُ الإنجِيلِيُّ عَطِيَّةً كَامِلَةً، لأَنَّ مَا يَأْخُذُهُ المَرءُ عَلَى عَاتِقِهِ يُزَوِّدُهُ بِثَمَرٍ جَدِيدٍ. لَكِنْ إِذَا مَا رَفَضَ العَطِيَّةَ فتَأَيُّدُهُ السَّابِقُ يُؤخَذُ مِنهُ. في متّى ١٣.٢.[١٦]

الرَّافِضُونَ أَنْ يَسْمَعُوا. جيروم: يَشرَحُ لِمَاذا يَنْظُرونَ فلا يُبْصِرونَ ويَسمَعُونَ فَلا يُصْغُونَ. يَقُولُ: «لأَنَّ قَلْبَ هَذَا الشَّعبِ قَد تَحَجَّرَ، فَسَدُّوا آذانَهُم». وَخِشيَةَ أَنْ نَظُنَّ أَنَّ تَحَجُّرَ قَلبِهِم وَسَمْعِهِم طَبيعِيٌّ وَلَيسَ اختِيَارِيًّا، يُشِيرُ يَسُوعُ إِلَى خَطَأِ الإرادَةِ قَائِلاً: «سَدُّوا آذانَهُم وَأَغْمَضوا عُيونَهُم، لِئَلاَّ يُبصِروا بِعُيونِهِم ويَسمَعُوا بِآذانِهِم وَيَفهَمُوا بِقُلوبِهِم وَيَتوبُوا فأَشفِيَهُم».[١٧] لِذَلِكَ هُم

[١٤] حزقيال ١٨: ٢٣.
[١٥] GP 58:274-73; NPNF 1 10:285
[١٦] SC 254:296
[١٧] متّى ١٣: ١٥.

بأَعْيُنٍ مُغْمَضَةٍ غيرُ رَاغِبينَ في أَنْ يفْهَمُوا الحقَّ ويُلِمُّوا بالأَمْثَالِ وَالرُّمُوزِ. تفسير متّى ١٣.٢-١٥.[١٨]

لئلاَّ يَرجِعوا. كيرلّس الإسكندريّ: في قَولِهِ «لئلاَّ يَتُوبُوا فَأَشفيَهُم» يُشِيرُ إِلَى إِصْرَارِهِم عَلَى الرَّفضِ. ... إنَّه يَتَكَلَّمُ بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ لِيُخَلِّصَهُم، وَإِلاَّ لَمَا قَالَ شَيئًا، بَلْ بَقِيَ صَامِتًا. باستِثْنَاءِ أَنْ يَسُوعَ يَفْعَلُ كُلَّ شيءٍ لا مِنْ أَجلِ مَجْدِهِ، بَلْ مِنْ أَجْلِ خَلاصِهِم. المقطع ١٦٦.[١٩]

١٦:١٣ يُبْصِرُون وَيَسْمَعُون

طُوبَى لآذانِكُم. كيرلّس الإسكندريّ: هكذا يُطَوِّبُهُم لأَنَّهُم أَصغُوا إِلَى صَوتِ الابنِ وَاسْتَعَدُّوا لرُؤْيَتِهِ، فَرَأَوا بِبَصِيرَتِهِمُ العَقْلِيَّةِ، مِنْ خِلالِهِ وَفِيهِ، طَبيعَةَ اللّه الآبِ. لِهَذَا كَانَ القِدِّيسُونَ في القَدِيمِ يُحْسَبُون مُؤَهَّلِينَ لِنَيْلِ النِّعَمِ كافَّةً وَرَاغِبِينَ فيها. المقطع ١٦٧.[٢٠]

١٧:١٣ مَا تَمَنَّاهُ الأَنبِيَاءُ

الأَنبِيَاءُ تَمنَّوا أَنْ يَرَوا مَا تُبْصِرون. هيلاريون: إنَّه يُعلِمُ بَرَكَةَ الأَوقَاتِ الرَّسُولِيَّةِ لِمَن كَانَتْ عُيونُهُم وَآذانُهم مُهَيَّأَةً لتنْظُرَ خَلاصَ اللّهِ وَتَسْمَعَهُ. هَؤُلاءِ هُمُ الأَنبِيَاءُ وَالقِدِّيسونَ الَّذين كَانُوا مَشُوقِينَ إِلى أَنْ يَرَوا إتمَامَ الأَوقَـاتِ المُتَـوَقَّـعَـةِ وَيَـسْـمَـعُـوه. فيُشَارِكُونَ في فَرَحِ ذَلِكَ التَّوَقُّعِ المَحْفُوظِ للرُّسُلِ. في متّى ٣.١٣.[٢١]

سَدُّوا آذانَهُم. الذَّهَبِيُّ الفَم: أَوَرَأَيتَ أَنَّ مَا أُعطِيتُم لَمْ يَكُنْ عَنْ اضطِرَارٍ؟ لأَنَّهم ما طُوِّبوا لَوْ لم يكُنِ العَمَلُ عملَهم. فلا تَقُلْ لي إِنَّ هَذَا قد قِيلَ بغُمُوضٍ؛ لأَنَّه كَانَ عَلَيهِم أَنْ يَأْتُوا ويَسْأَلُوهُ كَمَا فَعَلَ التَّلامِيذُ، لَكِنَّهُم لَمْ يَفْعَلُوا، لأَنَّهُم كَانُوا مُهْمِلِين مُتَكَاسِلِينَ؛ فَهَل أَقُولُ إِنَّهُم لَمْ يُرِيدُوا؟ وَكَانُوا يَفْعَلُونَ العَكْسَ تَمَامًا: فَقَد كَانُوا غَيرَ مُؤمِنِينَ وغير مُنْصِتِينَ. كَانُوا مُحَارِبِينَ وَمُتَّخِذِينَ مَواقِفَ عِدَائِيَّةً مُتَشَدِّدَةً من كُلِّ مَا قَالَهُ السَّيِّدُ. لِهَذا يُورِدُ مَا أَنبَأَ بِهِ النَّبِيُّ في قَولِهِ «صَمُّوا آذانَهم عَنِ السَّمَاعِ». لَكِنَّ هَؤُلاءِ التَّلامِيذَ كَانُوا مِن طِينَةٍ أُخرَى. لذا طَوَّبَهُمُ السَّيِّدُ وَطَمْأَنَهم بطَرِيقَةٍ أُخْرَى قَائِلاً: «الحَقَّ أَقُولُ لَكُم: كَثِيرون مِنَ الأَنبِيَاءِ وَالصِّدِّيقِينَ تَمَنَّوا أَنْ يَرَوْا مَا أَنتُم تَرَونَ فَلَم يَروا، وَأَنْ يَسْمَعُوا مَا أَنتُم تَسْمَعُونَ فَلَم يَسْمَعُوا».

هُمْ لَمْ يُصغُوا إِلَى مَجِيئي وَمُعْجِزَاتِي

(١٨) LCC 77:301-4

(١٩) KGKM 702

(٢٠) KGKM 702

(٢١) CS 452:692

وَصَوتي وَتعْليمِي. فَهُنا لا يُفضِّلُهم السَّيِّدُ عَلَى الفَاسِدينَ فَحَسْب، بَلْ عَلَى أَصحَابِ الفَضيلَةِ؛ نَعم، يَقُول إِنَّهم مُطَوَّبونَ أكثرَ مِنْ هَؤُلاء.كَيفَ يكُونُ ذَلِكَ؟ لا هَؤُلاءِ يَرونَ مَا لَمْ يَرَه اليَهُودُ ومَا اشتَهَى أُولئك مُنذُ القِدَمِ أَنْ يَرَوه. فَالقُدَماءُ عَايَنُوا بالإِيمَان، أَمَّا هَؤُلاءِ فَبالعَيَان، وبِوُضُوحٍ أَكبَر.

أَورأَيتَ كيف يَرْبُطُ مرَّةً أُخْرَى التَّدبيرَ القَدِيمَ بالجَدِيدِ، دَالاً عَلَى أَنَّ أُولَئِكَ مُنذُ القِدَمِ لَمْ يعْرِفوا الأُمُورَ الآتِيةَ، بَل اشتَهوهَا؟ فَلَو تَعَلَّقُوا بِغَريبٍ وَخَاصَمُوا اللّه، لَمَا كَانُوا قَد اشتَهَوْهَا أَيضًا. إِنجيلُ متَّى، الموعظة ٢.٤٥.[٢٢]

كَثيرون مِنَ الأَنبياءِ. جيروم: قَدْ يَبدُو أَنَّ مَا قَالَهُ في مكَانٍ آخر يُخَالِفُ ما يَقُولُهُ هُنَا: «رَغِبَ إِبراهِيمُ في أَنْ يَرَى يَومِي. فَأَبْصَرَهُ وابتَهَج».[٢٣] لَمْ يَقُلْ إِنَّ كُلَّ الأَنبياءِ وَالأَبرارِ رَغِبُوا في أَنْ يَرَوا مَا تَرَوْنَه، بَلْ قَالَ كَثِيرون مِنهُم. بَينَ الكَثِيرينَ فَريقٌ يَرَى وَفَريقٌ لا يَرَى... رَآهُ إِبراهِيمُ بِصُورَةٍ بَاهِتَةٍ، كَمَا في مِرآةٍ، لَكِنَّكُم أَنتُم تَمْلِكُونَ الربَّ وتُدرِكُونَه وَتَتَحَاوَرُونَ مَعَهُ بحُرِّيَّةٍ وَتُؤاكِلُونَهُ. تفسيرُ متَّى ٢.١٣.١٧.[٢٤]

[٢٢] GP 85:374-74; NPNF 1 10:285-86
[٢٣] يوحنا ٨: ٥٦.
[٢٤] CCL 77:104

١٣: ١٨-٢٣ يسوع يُفَسِّرُ مَثَلَ الزَّارِعِ

[١٨]فاسمَعُوا أنتُم مَثَلَ الزّارِعِ: [١٩]كلُّ مَنْ يَسمعُ كلمةَ المَلكوتِ ولا يفهمُها، يأتي الشِّرِّيرُ وينتَزِعُ ما زُرِعَ في قلبِهِ: فهذا هوَ الّذي زُرِعَ في جانبِ الطَّريق. [٢٠]أمَّا الّذي زُرِعَ في أرضٍ صخريَّةٍ فهو الّذي يَسمعُ الكلمةَ ويتقبَّلُها في الحالِ فَرِحًا. [٢١]لكِنْ لا جُذورَ لَه في نَفسِهِ، فيكونُ إلى حين. فإذا حدَثَ ضِيقٌ أوِ اضطهادٌ مِنْ أجلِ الكَلِمَةِ، عثَرَ لوَقْتِهِ. [٢٢]وأمّا الّذي زُرِعَ في الشَّوكِ فهو الّذي يَسمعُ الكلمةَ ويكونُ لَه مِنْ هُمومِ هذهِ الدُّنيا ومَحبَّةِ الغِنى ما يَخنُقُ الكلمةَ فلا تُخرِجُ ثمرًا. [٢٣]وأمّا الّذي زُرِعَ في الأرضِ الطيِّبةِ

فَهُوَ مَنْ يَسمعُ الكلمةَ ويفهَمُهُا، فيُثمِرُ ويُعطي بَعضُهُ مائةً، وبعضُهُ سِتِّينَ، وبعضُهُ ثلاثِينَ.

نَظْرَةٌ عَامَّةٌ: إذَا انتُزِع البَذْرُ المَزرُوعُ في الأَرْضِ الصَّلبَةِ، يُوضَعُ بَذرُ العَقْلِ وَتَحتضِنُهُ الذَّاكِرَةُ (أوريجنّس). يرمزُ تَنوُّعُ التُّربةِ إِلَى تَنوُّعِ نُفُوسِ المُؤمِنين (جيروم). وَالمرءُ تَخنُقُهُ هُمُومُ الدُّنيا عِندمَا لا يُجدِّدُ تُربتَه، فَيَتلقَّى الكَلِمَةَ وَلا يُعِيرُها انتِبَاهًا (أوريجنّس). الثَّرَواتُ مُغْرِيةٌ حقًّا، فَهِي تَعِدُ بشَيءٍ وَتُقدِّمُ شَيئًا آخَرَ. في الأَرْضِ الرَّدِيئَةِ هُنَاكَ ثَلاثَةُ مواضِع: جَوانِبُ الطَّرِيقِ، الأَرْضُ الصَّخْرِيَّةُ، والشَّوكُ. وفي الأَرْضِ الطَّيِّبَةِ ثَلاثَةُ أَنْوَاعٍ مِنَ الثَّمَرِ: بَعْضُه يُعْطي مائَةً، وَبَعْضُه سِتِّين، وبَعْضُه ثلاثين (جيروم).

١٣: ١٨-١٩ الطَّرِيقُ وَعدمُ الفَهْمِ

مَا يُزْرَعُ في القَلْبِ. جيروم: «يَنتَزِعُ الشِّرِّيرُ مَا هُوَ مَزْرُوعٌ في قَلْبِهِ». الشِّرِّيرُ يَنْتَزِعُ فَجْأَةً البَذْرَ الجيِّدَ. أَيضًا عَليكُمْ أَنْ تَفْهَمُوا أَنه زُرِعَ في القَلْبِ. فَيَرمزُ تَنوُّعُ التُّربَةِ إِلَى تَنوُّعِ نُفُوسِ المُؤمِنينَ. «فَإِذَا حَدثَ ضِيقٌ أَوِ اضطِهَادٌ مِنْ أَجلِ كَلامِ الملَكُوتِ، عثَرَ لوَقْتِهِ». لاحِظْ مَا قِيلَ: «عَثَرَ لوَقْتِهِ». هُنَاكَ مَسافَةٌ بَينَ مَنْ يُضطهَدُ وَيُضرَبُ وَيُعذَّبُ لِحَملِهِ عَلَى إنكَارِ المَسِيحِ وَبينَ مَنْ يرْتَدُّ في اللَّحظَةِ الَّتي يُواجِهُ فِيهَا الاضطِهادَ فَيَعثُرُ ويَسْتَسْلِمُ. تفسيرُ متّى ٢. ١٣. ١٩-٢١.[١]

١٣: ٢٠-٢١ الأَرْضُ الصَّخْرِيَّةُ وَعَدَمُ الثَّبَاتِ

عَلَى جَانِبِ الطَّرِيقِ. أُوريجنّس: لَمْ يَسْتَعْمِلِ الإِنجِيليُّونَ العِبَارَاتِ نَفْسَها في أَثنَاءِ سَرْدِهِم هَذا المَثَلَ. فَمَتَّى كَتَبَ أَنَّه «الشِّرِّيرُ»، وَمرقُس أَنَّه «الشَّيطَانُ» وَلوقا أَنَّه «إِبليس».[٢] كَذلكَ فَإِنَّ عِبَارَتَي «بِجَانِبِ الطَّرِيقِ» و«في الطَّرِيقِ» لا تَتَمَاثَلان. وَنَلْتَمِسُ الفَرْقَ في قَولِهِ «أَنَا هُوَ الطَّرِيقُ»،[٣] لَكِنَّ الإِنجِيلِيِّينَ الثَّلاثَةَ دَوَّنُوا عِبَارَةَ «بِجَانِبِ الطَّرِيقِ». يَقُولُ كلٌّ مِنْ متَّى

---

[١] 501:77 LCC

[٢] متَّى ١٣: ١٩؛ مرقس ٤: ١٥؛ لوقا ٨: ١٢.

[٣] يوحنَّا ١٤: ٦.

وَمَرقُس، عَلَى نَحوٍ مُمَيَّزٍ، إنَّ الكَلِمَةَ زُرِعَت عَلَى أَرْضٍ صَخْرِيَّةٍ، لا عَلَى «الصَّخرِ».

وَالآنَ كُلُّ مَا هُوَ «بجَانِبِ الطَّرِيقِ» يَنْطَبِقُ عَلَى «الَّذِينَ لا يَفْهَمُونَ». لَكِنْ كُلُّ مَا في الأَرْضِ الطَّيِّبَةِ يَنْطَبِقُ عَلَى «الَّذي يَسْمَعُ الكَلِمَةَ وَيَفْهَمُهَا». رُبَّمَا أَنَّ البَذْرَ الَّذي وَقَعَ عَلَى «الأَرْضِ الصَّخْرِيَّة» و«بَينَ الشَّوكِ» وَقَعَ بَينَ الَّذِينَ لا يَفْهَمُونَ وَبَينَ الَّذِينَ يَفْهَمُونَ. هَذَا حَثٌّ للتَّأَمُّلِ باجتِهَادٍ في المَلَكَةِ العَقْلِيَّةِ. فَإذَا انتُزِع البَذْرُ المَزْرُوعُ مِنَ الَّذي لا يَفْهَمُ، يُوضَعُ وَيُغَطَّى في الأَرْضِ، في الذَّاكِرَةِ، لِيَمُدَّ جُذُورَهُ فَلا يكونُ عَارِيًا أَوْ عُرضَةً لأَنْ تَختَطِفَهُ الأَرواحُ الشِّرِّيرَةُ. المقطع ٢٩١.[٤]

١٣: ٢٢ الشَّوكُ وَهُمُومُ الدُّنيا

التَّمَتُّعُ بالثَّروةِ. أوريجنّس: «إِنَّ خِدَاعَ الغِنَى يَخنُقُ»، وَكَذَلِكَ كَلامُ أَهْلِ النِّحْلَةِ. الأَغْنِيَاءُ كَاذِبُونَ، يَسُودُونَ المِسكِينَ البَارَّ، المِسكِينَ في الكَلامِ وَالعِرْفَانِ، والبَارَّ في الحَيَاةِ. إنَّ «الاهتِمَامَ بجَمِيعِ الكَنَائِسِ» الَّتي يَتَكَلَّمُ عَلَيهَا الرَّسُولُ[٥] يَخْتَلِفُ عَنِ «اهتِمَامِ هذِهِ الدُّنيَا».[٦] يُعَانِي المَرءُ هَذِهِ الاهتِمَامَاتِ الدُّنيويَّةَ عِندَمَا لا يُجدِّدُ تُربتَه، فَيَتَلَقَّى الكَلِمَةَ وَيُهمِلُهَا فَيُنْبِتُ شَوكًا لُعِنَتْ بِهِ الأَرْضُ بِسَبَبِ عِصيَانِ آدمَ الذي سَمِعَ «شَوكًا وَعَوسَجًا تُنْبِتُ لَكَ».[٧] «يكُونُ عَاقِبَتَهَا الحَرِيقُ».[٨] الشَّوكُ لا يُبْذَرُ، بَلْ يَنبُتُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ. إنَّه «يَخنُقُ كَلِمَةَ» اللّهِ بالنِّيَّةِ الخَبِيثَةِ. العَارِفُ يَفْهَمُ وَيَحْمِلُ ثَمرًا. لَكِنْ إذَا بَدَا أَنَّ المرءَ يَفْهَمُ من دُونِ أَنْ يَحْمِلَ ثَمرًا، فَإِنَّه لا يَفْهَمُ. وَإذَا بَدَا أَنَّه يَحْمِلُ ثَمرًا من دُونِ أَنْ يَفْهَمَ، فَإِنَّه لا يَحْمِلُ ثَمرًا. هَذَا يُظْهِرُ تَنَوُّعَ الفَضِيلَةِ: «بَعْضُه يُعْطِي مائَةً، وَبَعْضُه سِتِّينَ، وبعضُه ثلاثينَ». إنَّ صَرَامَةَ الفَضِيلَةِ لا يُظْهِرُهَا الجَمِيعُ بالدَّرَجَةِ نَفْسِهَا. بَعضُهُم يَهْتَمُّ بِهَا بدَرَجَةٍ أَقلّ، وَبَعْضُهُم بدَرَجَةٍ أَكْبَر. المقاطع ٢٩٤-٢٩٥.[٩]

المَزرُوعُ بَينَ الشَّوكِ. جيروم: «وَمَنْ يَسمَعُ كَلامَ المَلَكُوتِ وَلا يُعْطِي ثَمرًا فَهُوَ مَن زُرِعَ في الشَّوكِ: لَه مِنْ هُمومِ هَذِهِ الدُّنيا وَمَحَبَّةِ الغِنَى مَا يَخنُقُ الثَّمرَ فيه». هَذَا يُذَكِّرُنا بمَا قِيلَ لآدم: «سَتَأْكُلُ خُبْزَكَ بَينَ الشَّوكِ وَالعَوسَجِ».[١٠] هَذَا يَعْنِي بشَكْلٍ صُوفِيٍّ أَنَّ

---

[٤] SCG 1.14:921-03

[٥] ٢ كورنثوس ١١: ٢٨.

[٦] أنظر ٢ كورنثوس ٧: ١٠.

[٧] تكوين ٣: ١٨.

[٨] عبرانيّين ٦: ٨.

[٩] SCG 1.14:131-23

[١٠] تكوين ٣: ١٨.

الَّذينَ يَتَهافَتُونَ عَلَى ملذَّاتِ العَالَمِ وَهُمُومِهِ يَأكُلُونَ الخبزَ السَّماويَّ وَالطَّعَامَ الحَقِيقِيَّ بَينَ الشَّوكِ. قَالَ الرَّبُّ باللائقِ مِنَ الكلامِ: «خِدَاعُ الغِنَى يَخنُقُ الثَّمَرَ فيهِ». الغِنَى يُغْرِي حَقًّا، يَعِدُ بشَيءٍ وَيَفْعَلُ شَيئًا آخرَ. الغِنَى مُتَقَلِّبٌ. يُحْمَلُ مِنْ مَكَانٍ إِلَى آخَرَ. مَرَّاتٍ يَهجُرُ المُوسِرِينَ هُجْرَانًا لا يُمْكِنُ التَّنَبُّؤُ بِهِ ومَرَّاتٍ يُتْخِمُ المُعْدَمينَ. الرَّبُّ يَقُولُهَا بالصَّوتِ العَالي: إِنَّه مِنَ الصَّعبِ على الغَنيِّ أَنْ يَدخُلَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ، لأَنَّ الغِنَى يَخنُقُ كَلِمَةَ اللّهِ ويمحو الفَضَائِلَ. تفسيرُ متَّى ٢.١٣.٢٢.[١١]

١٣:٢٣ الأَرْضُ الطَّيِّبَةُ

فَوارِقُ النُّورِ بَينَ الأَبْرارِ. أوريجنّس: عرفَ دَانيَالُ أَنَّ العُقَلاءَ هُم نُورُ العَالَمِ وَأَنَّ لِكُلِّ فَردٍ مِنَ الأَبْرَارِ مجْدًا، فَكَأَنَّهُ يَقُولُ: «يُضِيءُ العُقَلاءُ كضِيَاءِ الأَفْلاكِ في السَّمَاوَاتِ، وَجَمَاعَةُ الأَبْرَارِ تُضِيءُ كَالكَواكِبِ إِلى أَبدِ الآبدينَ».[١٢] وَفِي الآيَةِ: «الشَّمْسُ لَهَا بَهَاءٌ وَالقَمَرُ لَه بَهَاءٌ آخَر، وَالنُّجُومُ لَهَا بَهَاؤُهَا، وَكُلُّ نَجْمٍ يَخْتَلِفُ ببَهَائِهِ عَنِ الآخَرِ. وَهَذِهِ هِيَ الحَالُ في قِيَامَةِ الأَمْوَاتِ»[١٣] يَقُولُ الرَّسُولُ مَا يَقُولُهُ دَانيالُ، مُستَوحِيًا نُبُوءَتَهُ. تَفسيرُ متَّى ١٠.٣.[١٤]

ثَلاثَةُ أَنْوَاعٍ مِنَ النَّتَائِجِ. جيروم: «وَأَمَّا مَنْ يَسمَعُ كَلامَ المَلَكُوتِ وَيَفْهَمُهُ، فَهُوَ المَزْرُوعُ في الأَرْضِ الطَّيِّبَةِ». كَمَا أَنَّ في الأَرضِ الرَّدِيئَةِ ثَلاثَةَ أَوْضَاعٍ مُتَنَوِّعَةٍ (بِجَانِبِ الطَّريقِ، وَعَلَى الأَرضِ الصَّخرِيَّةِ، وَبَينَ الشَّوكِ)، هَكَذَا في الأَرْضِ الطَّيِّبَةِ ثَلاثَةُ أَنواعٍ: بَعضُهُ يُعْطِي مائَةً، وَبَعْضُهُ سِتِّينَ، وَبَعْضُهُ ثلاثينَ. التَغييرُ نَاتِجٌ من الإِرادَةِ، ولا شأنَ للطَّبيعَةِ فيهِ. في غَيرِ المؤمِنِ وَفِي المُؤمِنِ هُنَاكَ القَلْبُ الَّذي يَتَلَقَّى البِذْرَ. يَقُولُ: «فَيَجِيءُ الشِّرِّيرُ وَيَنتَزِعُ مَا هُوَ مَزروعٌ في قَلبِهِ». في الحَالَتَينِ الثَّانيَةِ وَالثَّالِثَةِ، يَقُولُ: «فَهُوَ مَنْ يَسْمَعُ الكَلِمَةَ». في تَفْسِيرِهِ للأَرضِ الطَّيبَةِ، هو مَنْ يَسمَعُ الكَلِمَةَ. أَوّلاً عَلَينا أَنْ نُصغِيَ، ثُمَّ أَنْ نَفهَم؛ وَبَعدَ الفَهْمِ، عَلَينا أَنْ نَحمِلَ فَاكِهَةَ التَّعلِيمِ الجيِّدِ وَنُعْطِي ثَمرًا: مائَةً، وَسِتِّينَ، وَثَلاثينَ. تفسيرُ متَّى ٢.١٣.٢٣.[١٥]

---

[١١] LCC 77:501
[١٢] دانيال ١٢: ٣.
[١٣] ١ كورنثوس ١٥: ٤١- ٤٢.
[١٤] SCG 3:04; FNA 514:9
[١٥] LCC 77:501-6

١٣: ٢٤ – ٣٠ مَثَلُ الزُؤانِ

[٢٤] وضربَ لهُم مَثلاً آخرَ، قال: «يُشبهُ ملكوتُ السَّماواتِ رَجُلاً زرَعَ زَرْعًا جيِّدًا في حقلِهِ. [٢٥] وبينَما النَّاسُ نيامٌ، جاءَ عَدوُّهُ وزرَعَ بينَ القَمحِ زُؤانًا ومضى. [٢٦] فلمّا طلَعَ النَّباتُ وأخرَجَ سُنبُلَه، ظهرَ الزُّؤانُ معَهُ. [٢٧] فجاءَ خدَمُ صاحِبِ الحقلِ وقالوا لَه: «يا سيِّدُ أنتَ زرَعْتَ زَرعًا جيِّدًا في حقلِكَ، فمِنْ أينَ جاءَهُ الزُّؤانُ»؟ [٢٨] فأجابَهُم: «عَدوٌّ فعَلَ هذا». فقالوا لَه: «أتُريدُ أنْ نَذهَبَ لِنَجمَعَهُ»؟ [٢٩] فأجابَ: «لا، لِئلاَّ تَقلَعوا القَمحَ وأنتُم تَجمعونَ الزوُانَ. [٣٠] فاترُكوا القَمحَ يَنمو معَ الزوُانِ إلى يومِ الحَصادِ، فأقولُ للحَصَّادينَ: اجمَعوا الزُّؤانَ أوّلاً واحزِموهُ حِزَمًا لِيُحرَقَ، وأمّا القمحُ فاجمعوهُ إلى مَخزَني».

نَظْرَةٌ عامَّةٌ: إنَّ البَذْرَ الجيِّدَ يُمَثِّلُ أولادَ الملَكُوتِ، لأنَّ الصَّالِحاتِ المَزروعَةَ في النَّفسِ الإنسانيَّةِ هِيَ مِنْ ذُرِّيَّةِ مَلَكُوتِ اللّهِ (أوريجنّس). يَزْرَعُ إبليسُ الزُّؤانَ في الشَّعبِ النَّائِمِ الَّذي لإهمالِهِ يَتَغلَّبُ عليهِ عَدَمُ الصِّدقِ وكأنَّهُ نَوْعٌ مِنَ الخُمُولِ (كروماتيوس). صَاحِبُ البَيتِ أمَرَ خَدَمَهُ أنْ يَصبِروا عَلَى الزُّؤانِ وَأنْ لا يَفصِلُوه عَنِ القَمحِ (أوغسطين). سيَحْدُثُ الفَصْلُ في اليومِ الأخِيرِ (كروماتيوس، أوريجنّس). علينا ألاّ نكُونَ سَريعِينَ في الإدانَةِ. كُلُّ مَا هُوَ مَشكُوكٌ فيهِ يَجبُ أنْ يُترَكَ لحكمِ اللّهِ عِندَما يَأتي في يومِ الحِسَابِ (جيروم). سيَجْمَعُ الملائِكَةُ وَخُدَّامُ الكَلِمَةِ مِنْ مَلَكُوتِ المَسيحِ كُلَّ مَا يُسَبِّبُ عَثرَةً للنُّفُوسِ فَيَنثُرُونَهُ وَيُحْرِقُونَهُ (أوريجنّس).

١٣: ٢٤ زَرْعُ الزَّرعِ الطَّيِّبِ

البَذْرُ الجيِّدُ. أوريجنّس: بالإضافَةِ إلَى مَا قد تَحدَّثْنَا عَنهُ مِنْ قَبلُ، يَحسُنُ بِنَا أنْ نرى في البَذْرِ الجيِّدِ أبْنَاءَ الملَكُوتِ، لأنَّ كُلَّ مَا يُزْرَعُ مِنَ الصَّالِحَاتِ في النَّفْسِ البَشريَّةِ هُوَ مِنْ ذُرِّيَّةِ مَلَكُوتِ اللّهِ. لَقد زرَعَهَا اللّهُ الكَلِمَةُ

الَّذي «كَانَ في البَدءِ مَعَ اللّهِ».[١] فَالكَلامُ المَجدِي هُوَ ابنُ المَلَكُوتِ. تفسيرُ متّى ٢.١٠.[٢]

زارعُ الزَّرعِ الجيِّدِ. كروماتيوس: يُوضِحُ اللّهُ أنّه هُوَ زارعُ الزَّرعِ الجيِّدِ. وأنّه لم يكُفَّ عنِ الزَّرعِ في هذَا العَالَمِ كمَا في حَقْلٍ. فَكلِمَةُ اللّهِ تُشبِهُ البَذْرَ الجيِّدَ المَزرُوعَ في قُلُوبِ النَّاسِ، ليَحْمِلَ كُلٌّ مِنّا، علَى قدرِ البَذْرِ الَّذي زَرعَهُ اللّهُ فِينَا، الثَّمَرَ الرُّوحِيَّ السَّمَاويَّ. موعظةٌ حَولَ متّى ١.٥١.[٣]

١٣: ٢٥ زَرْعُ الزُّوَانِ

بينَما النَّاسُ نَائمُونَ. أوريجنّس: إنَّ الذي يَغطُّ مِنَ النَّاسِ في النَّومِ لا يَعملُ بوَصَايَا يَسوعَ القَائِلِ: «إسهَرُوا وَصَلُّوا لئلاَّ تَقَعُوا في التَّجرِبَةِ».[٤] فَالشَّيطَانُ مُتَيقِّظٌ يزرعُ الزُّوَانَ -أي العَقَائِدَ الخَبيثَةَ- بينَ الأفكَارِ الطَّبيعيَّةِ وَبين بَذْرِ الكلمةِ. استِنادًا إلى هَذا سُمِّيَ العَالَمُ بأَسْرِهِ حَقْلاً، لا كنيسَةُ اللّهِ وَحْدَها. فَابنُ الإنسَانِ زَرَعَ الزَّرعَ الجيِّدَ في العَالَمِ كُلِّه، لكِنَّ الشِّرِّيرَ زَرعَ الزُّوَانَ-أي الكَلامَ الخَبيثَ السَّيِّئَ- ابنَ الشِّرِّيرِ. تفسيرُ متّى ٢.١٠.[٥]

١٣: ٢٦ القَمحُ وَالزُّوَانُ

ظَهَرَ مَعَهُ الزُّوَانُ. كروماتيوس: يُشيرُ الرَّبُّ إلَى أنَّ الشِّرِّيرَ خَصمَنَا يَبذُرُ زُوَانَ حِقدِهِ وَضَغِينَتِهِ ليَخنُقَ زَرْعَ اللّهِ فِينَا. إنّه يَقُولُ: «وبينَمَا النَّاسُ نِيَامٌ، جَاءَ عَدوُّهُ وَزرَعَ بينَ القَمحِ زوَانًا وَمضى». يُشيرُ الرَّبُّ إلَى أنَّ إبليسَ يَزرَعُ الزُّوَانَ في النِّيَامِ-أي في الَّذينَ، لإهمَالِهِم يَتغَلَّبُ عَليهِم عدمُ الإيمَانِ، وَكأنَّهُ نَوعٌ مِنَ الخُمُولِ فَنَامُوا مِلْءَ عُيُونِهِم وَسْطَ الأَوَامِرِ المُقدَّسَةِ. إليهم يُشيرُ الرَّسُولُ: «إنَّ الَّذينَ يَنَامُونَ إنَّمَا هُم في اللَّيلِ يَنَامُونَ، وَالَّذينَ يَسكَرونَ إنَّمَا هُمْ في اللَّيلِ يَسكَرونَ. فَلا نَنَامَنَّ كَمَا يَفعَلُ سَائِرُ النَّاسِ، بَلْ عَلَينا أَنْ نَصحُوَ وَنَسْهَرَ».[٦]

يُخبِرُنَا الإنجيلُ أَنَّ العَذارَى الجَاهِلاتِ أثقَلَهُنَّ الخُمُولُ وَعدمُ الإيمَانِ، فَنَسِينَ أَنْ يَملأْنَ مَصَابِيحَهُنَّ زَيتًا فَحُرِمْنَ لقَاءَ العَريسِ.[٧] إنَّ زَرْعَ الزُّوَانِ بَينَ القَمْحِ هُوَ هَمُّ الشَّيطَانِ الأَوَّلُ - عَدُوِّ الجِنسِ البَشَرِيِّ.

لَكِنْ، مَنِ انتَظَرَ الرَّبَّ بإِخْلاصٍ، تَخَلَّصَ مِنْ

---

[١] يوحنّا ١: ٢.

[٢] SCG 2:04; FNA 9:414

[٣] CCL 9a:450

[٤] متّى ٢٦: ٤١.

[٥] SCG 2:04; FNA 9:414

[٦] ١ تسالونيكي ٥: ٦- ٧.

[٧] متّى ٢٥: ١- ١٣.

عَدَمِ الإيمَانِ، فَلا يَخشَى الزَّارِعُ ما يَغشَاهُ في اللَّيلِ. . . استِنَادًا إلَى تفسِيرِ الرَّبِّ، البَذْرُ الجيِّدُ يُمَثِّلُ أبنَاءَ الملَكُوتِ وَالزُّوَانُ يُمَثِّلُ الأَبنَاءَ الأَشْرَارَ. موعِظَةٌ حَولَ متَّى ١.٥١. ١-٢.[٨]

٢٧:١٣ فَجَاءَ رَبُّ البَيتِ عَبِيدُهُ

لمَاذَا الزُّوَانُ؟ أوغسطين: فَسَّرَ لَنَا الرَّبُّ مَا قَالَهُ. أُنظروا مَاذَا تُرَانَا نَخْتَارُ من الاثنينِ لنَكُونَ في حَقْلِهِ في وَقتَ الحَصَادِ. الحَقْلُ هُوَ العَالَمُ، وَالكَنِيسَةُ مُنتَشِرَةٌ في كُلِّ أَصْقَاعِ الأَرضِ. فَلِيَكُنْ مَنْ هُوَ قَمْحٌ مُواظِبًا حتَّى الحَصَادِ؛ وليَتَحَوَّلْ مَنْ هُم زُوَانٌ إلَى قَمْحٍ. هُنَاكَ اختِلافٌ بينَ البَشَرِ، من جِهَةٍ، القَمْحِ الحَقِيقيِّ وَالزُّوَانِ الحقيقيِّ، من جِهَةٍ أُخرى. فَمَا كَانَ قَمْحًا في الحَقْلِ هُوَ قَمْحٌ وَمَا كَانَ زُوَانًا هُوَ زوَانٌ. لَكِنْ في حَقْلِ الرَّبِّ، أَي في الكَنِيسَةِ، يَتَحَوَّلُ أحيانًا مَا كَانَ زُوَانًا إلَى قَمحٍ وَمَا كَانَ قَمحًا إلَى زُوَانٍ، وَمَا مِنْ أَحَدٍ يَعرِفُ مَا سَيكُونونَ غدًا. موعظة ٧٣ أ.[٩]

٢٨:١٣ جَمْعُ الزُّوَانِ

التَّحذيرُ مِنْ زَرعِ الزُّوَانِ. جيروم: عَلَينَا أَنْ نُكَيِّفَ إيمانَنَا وَفْقَ مَا فَسَّرَهُ الرَّبُّ. فَمَا فَعَلَهُ لَمْ يَذكُرْهُ، وَمَا تَرَكَهُ لذَكَائِنَا يَتَطَرَّقُ إلَيهِ هُنَا باختِصَارٍ. النِّيَامُ هم مُعَلِّمو الكَنَائس المُختَلِفَةِ، خَدَمُ صَاحِبِ البيتِ هُم المَلائِكَةُ الَّذينَ يُعَاينُون يوميًّا وَجهَ الآبِ. العَدُوُّ الَّذي زَرعَ الزُّوَانَ هُوَ إبلِيسُ الَّذي يَطمَحُ إلَى أَنْ يكُونَ إلهًا. تَفسيرُ متَّى ١٣.٢. ٣٧.[١٠]

٢٩:١٣ خَطَأُ اقتِلاعُ القَمْحِ

لا تَقلَعُوا القَمْحَ. أوغسطين: لَقَد أَرَادَ خَدَمُ صَاحِبِ البَيتِ جَمْعَ الزُّوَانِ، لكِنْ لَمْ يُؤذَنْ لَهُم بذلِكَ. وَإِنْ أَرَادُوا جَمْعَهُ، فَلا يُسْمَحُ لَهُم بأَنْ يَفصِلُوهُ عَنِ القَمْحِ. فَعَلُوا بِمَا يَلِيقُ، وَتَركُوا للمَلائِكَةِ أَنْ يقُوموا بفَصْلِهِ. بَدءَ ذِي بَدءٍ كَانُوا غيرَ رَاغِبينَ في أَنْ يَترُكُوا فَصْلَ الزُّوَانِ إلَى المَلائِكَةِ. لَكِنَّ صَاحِبَ البَيتِ، الَّذي عَرفَهُم كُلَّهم وَرَأَى أَنَّ الفَصْلَ ضَروريٌّ، أَمَرَهُم أَنْ يَتَريَّثُوا في أَمرِ الزُّوَانِ، وَأَنْ لا يَفصِلُوه عَنِ القَمْحِ. في جَوابِهِ عَنْ سُؤالِهِم: «أَتُرِيدُ أَنْ نَذهَبَ لِنَجمَعَ الزُّوَانَ»؟ أَجَابَ: «لا، لِئَلاَّ تَقتَلِعوا القَمحَ وَأَنتُم تَجمَعُونَ الزُّوَانَ». فَيَا رَبُّ أَلا تُرِيدُ أَنْ يَكُونَ القَمْحُ في

---

[٨] LCC 15-054:a9

[٩] AM 942:1; WSA 3 3:295

[١٠] LCC 77:111-21

الأهْــراءِ؟». في يَــوم الحَصَـــادِ، أَقُــولُ للحَصَّادينَ: اجمعُوا الزُّوَانَ أوّلاً واحزموهُ حِزَمًا ليُحرق، وأمَّا القمْحُ فاحملوهُ إلى مَخزَني». موعظة ٧٣ أ.١.[١١]

١٣: ٣٠ فَصلُ القمحِ عَنِ الزُّوانِ في أثناءِ الحصَادِ

حتَّى الحصَادِ. جيروم: الكلامُ الَّذي قالَهُ الرَّبُّ -«لئلاَّ تقتلِعوا القمحَ وأنتم تجمعُونَ الزُّوانَ»- يترُكُ مجالاً للتَّوبةِ. ينصَحُنا بألاَّ نتسرَّعَ في بترِ قريبِنا المؤمنِ، فقد يحدُثُ أنْ مَنْ أفسَدهُ الشَّرُّ اليومَ يعودُ إلى رُشدِهِ غدًا بالتَّعليمِ الصَّحيحِ وبالثَّباتِ في الحقِّ. وفي قولِهِ: «اتركوا القمحَ ينمو معَ الزُّوانِ إلى يومِ الحصادِ» يبدو أنَّه يُخالِفُ الوصيَّةَ الأخرى: «انزعُوا الشِّرِّيرَ مِنْ بينِكم»، الَّتي تُحرِّمُ علينا التَّعايُشَ مع مَنْ يتظاهرُونَ بالإيمانِ، لكنَّهم زُناةٌ فاسِقونَ. إذا كانَ اقتلاعُهُم مُحرَّمًا والصَّبرُ عليهم إلى وقتِ الحصادِ واجبًا، فكيفَ نُزيلُ أهلَ الشَّرِّ مِنْ بينِنا؟ بينَ القمْحِ ينبتُ العُشبُ الضَّارُّ المُسمَّى زُوانًا، ويكونُ بلا ساقٍ في نُموِّهِ المُبكِّرِ. يبدو كَسُنبلةِ الذُّرةِ، ولِذلِكَ يُشكِلُ عليكَ تمييزُهُ منهُ. لذلِكَ ينصحُنا الرَّبُّ بألاَّ نتسرَّعَ في الحكمِ على ما لسنا على يقينٍ منهُ، وأنْ نترُكَ الحُكْمَ للّهِ. عندما يأتي يومُ الحِسابِ، قد لا يَبْتعِدُ المُتَّهمُونَ بالآثامِ والمُذنِبونَ حقًّا عنْ جَسَدِ القِدِّيسينَ. أمَّا قوْلُهُ إنَّ الزُّوانَ يُحْرَقُ، والقمْحَ يُجْمَعُ في الأهْراءِ، فمعْناهُ أنَّ كلَّ أهْلِ النِّحْلةِ والمرائيِّين سيُحْرَقُونَ في نارِ جهنَّم؛ لكِنَّ المُقدَّسِينَ، الَّذينَ يُسمَّونَ قمْحًا، سيُجْمَعُونَ في الأهْراءِ-أي في المساكِنِ السَّماويَّةِ. تفسيرُ متَّى ٢.١٣.٢٩-٣٠.[١٢]

فَلْيَنْبُتَا معًا. كروماتيوس: لكِنْ عِندما سألَ خَدمُ صاحِبِ البيتِ، بالنِّيابةِ عَنِ الرُّسلِ، إذا عمّا كانَ فصلُ الزُّوانِ عَنِ القمْحِ واجبًا، سمحَ لهُمَا أنْ ينبُتَا معًا إلى يومِ الحصادِ-أي إلى نهايةِ العالَمِ. في ذلِكَ الوقتِ سيُرسِلُ حصَّادينَ، أي ملائكةً، ليفصِلُوا القمْحَ عَنِ الزُّوانِ -أي الأبرارَ عَنِ الأشرارِ- وليجْمعُوا الأبْرارَ في الممالِكِ السَّماويَّةِ كالقمْحِ في المخازِنِ. ويُحْرَقُ جميعُ الأشرارِ والخاطِئينَ في جهنَّم مِثلَ الزُّوانِ في النَّارِ. ويُعْلِنُ الرَّبُّ أنَّهم سيبكُونَ إلى الأبدِ ويصرِفُونَ بأسْنانِهم، يقُولُ: «هُناكَ سيكُونُ البكاءُ وصريفُ الأسْنانِ».[١٣]

---

[١١] AM 1:942; ASW 3 3:692
[١٢] LCC 77:211
[١٣] متّى ١٣: ٤٢.

عِندَمَا يَقُولُ الرَّبُّ إنَّه سيكُونُ بُكَاءٌ وَصَرِيفُ أَسْنَانٍ فَإِنَّه يُشيرُ يَقِينًا إِلَى القِيامَةِ الآتِيَةِ، لا إِلَى قِيَامَةِ النَّفْسِ فَحَسْبُ (كَمَا يَعتَقِدُ بَعضُ أَهْلِ النِّحْلَةِ) لَكِنْ إِلَى قِيامَةِ الجَسَدِ أَيضًا. حَقًّا، يُسَمَّى البُكَاءُ وَصَرِيفُ الأَسْنَانِ عُقُوبَاتِ الجَسَدِ. هَذَا مَا يُنكِرُه أَهْلُ النِّحْلَةِ، لأَنَّهُم لا يُؤمِنُونَ بِقِيَامَةِ الجَسَدِ الآتيةِ. مَوعِظَةٌ حَولَ متَّى ٢.١.٥١.[١٤]

فِي زَمَنِ الحَصَادِ. أوريجنِّس: وفي نِهَايَةِ كُلِّ شَيءٍ، المُسَمَّاةِ «نِهَايَةَ الدَّهرِ»، سَتكُونُ هُنَاكَ ضَرورَةٌ للحَصَادِ، لِيَجْمَعَ مَلائِكَةُ اللّٰه المُكَلَّفُونَ بِهَذَا العَمَلِ الأَفكَارَ السَّيِّئَةَ الَّتي قَدْ زُرِعَتْ فِي النَّفْسِ لِتُسَلِّمَ إِلَى الهَلاكِ فَتَلتَهِمُهَا النَّارُ المُحْرِقَةُ. إِنَّ الَّذينَ يُدرِكُونَ أَنَّ بَذْرَ الشِّرِّيرِ أُلقِيَ فِي أَنفُسِهِم، سَاعَةَ كَانُوا يَغُطُّونَ فِي النَّومِ، يَنتَحِبُونَ وَكَأَنَّهُم غَاضِبُونَ عَلَى أَنفُسِهِم. هَذَا هُوَ «صَرِيفُ الأَسنَانِ».[١٥] بِشَكْلٍ مُشَابِهٍ يُقَالُ فِي كِتَابِ المَزَامِيرِ: «وَعَلَيَّ أَسنَانَهُم صَرَفُوا».[١٦] حِينَئِذٍ «يُشْرِقُ الأَبْرَارُ» عَلَى نَحوٍ يُشبِهُ بَرِيقَهُمُ الأَوَّلَ «كَالشَّمسِ فِي مَلَكُوتِ أَبِيهِم».[١٧] أَظْهَرَ المُخَلِّصُ أَنَّ هُنَاكَ سِرًّا يَحتَاجُ إِلَى تَفسِيرٍ فِي قَولِهِ «وَالأَبرَارُ يُشْرِقُونَ حِينَئِذٍ كَالشَّمسِ فِي مَلَكُوتِ أَبِيهِم»، «وَمَن كَانَ لَهُ أُذنَانِ تَسْمَعَانِ فَلْيَسْمَع».[١٨] تَفسِيرُ متَّى ٢,١٠.[١٩]

[١٤] 154:a9 LCC
[١٥] متّى ١٣: ٤٢.
[١٦] مزمور ٣٥: ١٦ (٣٤: ١٦).
[١٧] متّى ١٣: ٤٣.
[١٨] المرجع نفسه.
[١٩] 51-414:9 FNA ;3-2:04 SCG

١٣: ٣١-٤٣ حَبَّةُ الخَرْدَلِ وَالخَمِيرَةُ
تَفْسِيرُ مَثَلِ الزُّؤانِ

[٣١] وَضرَبَ لَهُم مَثَلاً آخَرَ، قالَ: «يُشبِهُ مَلَكُوتُ السَّماواتِ حبَّةً مِن خَرْدلٍ أخذَها رَجُلٌ وزَرَعَها في حقْلِهِ. [٣٢] هيَ أصغرُ الحبوبِ كُلِّها، ولكِنَّها إذا نَمَتْ كانَت أكبرَ البُقولِ، بل صارَتْ شجَرَةً، حتَّى إنَّ طُيورَ السَّماءِ تَجيءُ وتُعشِّشُ في أغصانِها».

[٣٣]وقالَ لَهُم هذا المَثَلَ: «يُشبِهُ مَلكوتُ السَّماواتِ خَميرةً أخذَتْها امرأةٌ وخبَّأتْها في ثلاثةِ أكيالٍ مِنَ الدَّقيقِ حتّى اختمرَ العَجينُ كُلُّهُ».

[٣٤]هذا كُلُّهُ قالَه يَسوعُ للجُموعِ بالأمثالِ. وكانَ لا يُخاطِبُهُم إلاَّ بأمثالٍ. [٣٥]فتَمَّ ما قالَ النبيُّ: «بالأمثالِ أنطِقُ، فأُعلِنُ ما كانَ خفيًّا مُنذُ إنشاءِ العالَمِ».

[٣٦]وتركَ يَسوعُ الجُموعَ ودخَلَ إلى البَيتِ، فجاءَ إليهِ تلاميذُهُ وقالوا لَه: «فسِّرْ لنا مثَلَ زؤانِ الحَقلِ». [٣٧]فأجابَهُم: «الّذي زرَعَ زرْعًا جيِّدًا هوَ ابنُ الإنسانِ، [٣٨]والحَقلُ هوَ العالَمُ، والزَّرعُ الجيِّدُ هوَ أبناءُ المَلكوتِ، والزُّؤانُ هوَ أبناءُ الشِّرِّيرِ، [٣٩]والعدوُّ الذي زرَعَ الزُّؤانَ هوَ إبليسُ، والحَصادُ هوَ نِهايةُ العالَمِ، والحصَّادونَ هُمُ المَلائِكَةُ. [٤٠]وكما يَجمَعُ الزّارعُ الزُّؤانَ ويُحرِقُهُ في النّارِ، فكذلِكَ يكونُ في نِهايَةِ العالَمِ: [٤١]يُرسِلُ ابنُ الإنسانِ ملائِكتَهُ، فيَجْمعونَ مِنْ مَلكوتِهِ كُلَّ المُفسِدينَ والأشرارِ [٤٢]ويَرمُونَهُم في أتُّونِ النّارِ، فهُناكَ البُكاءُ وصَريفُ الأسنانِ. [٤٣]وأمّا الأبرارُ، فيُشرِقونَ كالشَّمسِ في مَلكوتِ أبيهِم. مَنْ كانَ لَه أُذُنانِ، فليَسمَعْ!»

نَظْرَةٌ عامَّةٌ: بَعْدَ أَنْ تُزْرَعَ حبَّةُ الخَردَلِ في الحَقْلِ تنمُو لتُصْبِحَ أكبرَ البُقولِ (هيلاريون، الذَّهبيُّ الفم). يُرَحِّبُ المؤمِنُونَ ببذْرِ الوَعْظِ ويُغَذُّونَه برُطوبَةِ الإيمانِ، فيَنمُو ويَتفَرَّعُ في حَقْلِ القَلبِ (جيروم). طُيورُ السَّماءِ تَسكُنُ في فُروعِ الشَّجرةِ الَّتي تَعْلُو عَنِ الأَرْضِ، وأَغْصَانُ الرُّسُلِ ترتَفِعُ إِلَى العُلَى بقُدْرَةِ المَسيحِ (هيلاريون).

شَبَّهَ الرَّبُّ نَفْسَهُ بالخَميرَةِ، الَّتي تُدْفَنُ بحُكمِ المَوتِ، مُظهِرًا أَنَّ أَحكَامَ الشَّريعَةِ وَالأنبياءِ يَنقُضُهَا الإنجيلُ (هيلاريون). الخَميرَةُ، وَلَو طُمِرت، لا تَتْلَفُ بَلْ تُحَوِّلُ العَجينَ كُلَّه شَيئًا فشيئًا إِلَى وَضعِها. هَذَا مَا يُحدِثُه الإنجيلُ فينا (الذَّهَبيُّ الفم). يُقَدِّمُ الآبَاءُ تَفَاسِيرَ مُتَعَدِّدَةً للأَكيالِ الثَّلاثَةِ مِنَ الدَّقيقِ: تَمْتَزِجُ أَهْواءُ النَّفسِ الإنسانِيَّةِ الثَّلاثَةُ، فَنمتَلِكُ بالعَقْلِ التَّعقُّلَ، وبالغَضَبِ بُغْضَ الرَّذيلَةِ وَبالرَّغبَةِ مُبتَغَى الفَضيلَةِ (جيروم)؛ وَالتَّفسيرُ الآخَرُ هُوَ انصِهارُ اليَهُودِ، وَاليُونانِيِّينَ وَالسَّامِريِّين (ثيودور

المبسوستيّ). إذا أَردنا أَنْ نسمعَ يسوعَ ونذهبَ إلى البيتِ ونتلقّى شيئًا أفضلَ ممَّا فعلَتهُ الجماهيرُ، فلْنُصبِحْ أصدقاءَ يسوعَ، لنأتيَ كما أتى رُسلُه (أوريجنس). يجبُ عدمُ تفسيرِ الأمثالِ تفسيرًا حرفيًّا، بلْ تفسيرًا جامعًا، وإلاّ لحِقَها كثيرٌ منَ السُّخفِ (الذّهبيُّ الفم).

١٣: ٣١ يُشبهُ ملكوتُ السّماواتِ حبَّةً منْ خردلٍ

الحبُّ المزرُوعُ والمدفُونُ. هيلاريون: شبَّهَ اللّهُ حُكْمهُ بحبَّةِ خرْدلٍ، وهيَ أصغرُ البذارِ وأكثرُها مرارةً. قوَّتُها المتأصِّلةُ فيها تشتدُّ تحت وطأةِ الإجْهادِ والضَّغطِ. لذلكَ، بعْدَ أنْ يُدفَنَ هذا البذْرُ في الحقْلِ–أيْ بعْدَ أنْ يُمسِكَ بهِ أحدُهُم ويُسلِّمَهُ إلى الموتِ، وكأنَّ زرْعَ الجسَدِ يُدفَنُ في الحقْلِ–فإنَّهُ ينْمُو ليُصْبحَ أكبرَ البقُولِ فيتفَوَّق على مجْدِ الأنبياءِ. في متَّى ١٣.٤.[١]

الإيمانُ هُوَ كحبَّةِ الخرْدلِ. جيروم: يُفسِّرُ الكثيرون أنَّ الرّجُلَ الزّارعَ البذْرَ في الحقلِ هُوَ المخلِّصُ، الّذي يزرَعُه في نُفُوسِ المؤمنِينَ. يُفسِّرُه آخَرونَ بأنَّ المرءَ هُوَ الّذي يزرَعُ في حقلِهِ، أي، في نفْسِهِ وفي قلْبِهِ. فمَنْ هُوَ الّذي يزْرَعُ إنْ لمْ يكُنْ فكْرَنا وقلْبَنا؟ المؤمِنُونَ يقْبلُونَ بذرَ الوعْظِ فيغذُّونَ النَّباتَ برُطوبةِ الإيمانِ، فينمُو ويتفرَّعُ في حقْلِ القلبِ... منْ بشَّرَ بالإلهِ–الإنسانِ الحقِّ، المسيحِ الَّذي ماتَ، وبعثرةِ الصَّليبِ، قدْ لا يُفكِّرُ فورًا في الإيمانِ وحْدَهُ وكأنّه المعْتقَدُ الأوَّلُ. قارنْ هذا المعْتقَدَ بتعاليمِ الفلاسفةِ، وكُتُبِهم، وفصاحتِهِمُ الرّائعةِ وكتاباتِهمُ الجميلةِ، ترَ ما أحقرَها لَو قُورِنَتْ بالبذْرِ الآخرِ للنَّباتِ الإنجيليِّ. عندَما تنمُو تلكَ التَّعاليمُ الفلسفيَّةُ، فلا يبقى هُناكَ شيءٌ حيَويٌّ ونشِيطٌ وفعَّالٌ يُظهِرُونَهُ. كُلُّ شيءٍ يضعُفُ ويذبُلُ في النَّباتِ وفي العُشْبِ الجافِّ بسُرعةٍ فيسقطُ على الأرْضِ. ولكِنْ، عندما يُزْرَعُ تعْليمُ الإنجيلِ البالغُ الصِّغرِ وكأنَّهُ تافِهٌ في البدءِ، سواءٌ في نفْسِ المؤمنِ أو في كُلِّ مكانٍ منَ العالَمِ، يتَّضِحُ أنَّه ليسَ مجرَّدَ نباتٍ، إذْ إنَّهُ ينْمُو ليُصْبحَ شجَرةً، حتَّى إنَّ طيورَ السَّماءِ، الَّتي نُفسِّرُها بأنَّها نُفُوسُ المؤمنِينَ أوِ الأعْمالُ المخصَّصةُ لخِدمةِ اللّهِ، تجيءُ وتُعشِّشُ في أغْصانِها. تفسيرُ متّى ١٣.٢. ٣١.[٢]

---

[١] CS 452:692-89

[٢] LCC 77:701-8

١٣: ٣٢ هِـي أَصْـغَـرُ الحُبُـوبِ تَـنـمُـو لِتَصِيرَ شَجَرَةً

الأَصْغَرُ وَالأَكْبَرُ. الذّهَبِيُّ الفَم: لذَلِكَ أَظْهَرَ مَـجَـازَ الـبُـقُـولِ المُشَـابِـهَ جِـدًّا لِمَلَـكُـوتِ السَّـمَـاوَاتِ. فَـحَـبَّـةُ الخَرْدَلِ «هِـيَ أَصْـغَـرُ الحُبُوبِ كُلِّها، وَلكِنَّها إِذَا نَمَتْ كَانَت أَكبَرَ البُقُولِ، بَلْ صَارَتْ شَجَرَةً، حتَّى إِنَّ طُيورَ السَّماءِ تَجِيءُ وَتُعشِّشُ في أَغْصَانِها».

أَرَادَ أَنْ يُبْـرِزَ أَهَـمَّ سِمَـةٍ لِعَظَمَـتِهَا. فَـيَقُولُ «هَكَذَا سَيكُونُ الأَمرُ بالنِّسبَةِ إِلَى البِشَارَةِ». فَتَلامِيذُهُ كَانُوا أَضْعَفَ النَّاسِ وَأَقَلَّهُم شَأنًا. لَكِنْ، بِمَا أَنَّ القُوَّةَ الَّتي فِيهِم كَانَتْ عَظِيمَةً، فَـإِنَّـهـا نَـمَـتْ وَانـتَـشَـرَتْ في كُلِّ صُقْـعٍ مِنْ أَصْـقَـاعِ الـعَـالَـمِ. إنجيلُ مـتَّـى، الموعـظـة ٤٦. ٢.[٣]

أَصْـغَرُ الحُبُوبِ كُلِّهَا. هِـيلاريون: أُعْطِي وَعْظُ الأَنـبِـيَـاءِ لإِسرائيلَ المَرِيضِ بِمَثَابَةِ البُقُولِ. لَكِنَّ طُيورَ السَّمَاءِ جَاءَت وَعَشَّشَت في أَغصَـانِ الشَّـجَـرَةِ الـبَـاسِـقَـةِ. إِنَّـنَـا نَـرَى الرُّسُلَ كَأَغْصَانٍ تَمْتَدُّ بِقُدْرَةِ المَسِيحِ وَتُظَلِّلُ العَالَمَ. فَتَطِيرُ إِلَيهِمُ الشُّعُوبُ بِأَسْرِهَا رَجَاءَ بِالحَيَاةِ، إِذ إِنَّها مُضطَرِبَةٌ مِنَ الزَّوبَعَةِ –أَي مِنْ قُوَّةِ إِبليسَ الَّتي تَهُبُّ وَتَعصِفُ عَلَيها– فَتَأْتِي لِتَجِدَ الأَمَانَ في أَغْصَانِهم. في متَّى ١٣. ٤.[٤]

أَصْـغَـرُ كُلِّ الحُبـوبِ. جيروم: أَعْـتَـقِدُ أَنَّ فُرُوعَ الشَّجَرَةِ الإِنجِيلِيَّةِ النَّامِيَةِ مِنْ حَبَّةِ الخَرْدَلِ تَدلُّ عَلَى التَّعَالِيمِ المُختَلِفَةِ الَّتي تَـحُـطُّ عَلَـيـهَـا كُلُّ الـطُّـيُـورِ. فَلْنَضَعْ رِيشَ الحَمَـامَـةِ لِـكَـي، في طَيَرَانِنَـا إِلَى الأَمَـاكِنِ المُرتَفِعَةِ، نَحطَّ عَلَى أَغصَانِ هَذِه الشَّجَرَةِ وَنَجْعَلَ فيها أَعْشَاشًا لأَنفُسِنا تَقِيْنا مِنَ المُعتَقَدَاتِ المُختَلِفَةِ، وَفي هُرُوبِنَا مِنَ الدُّنيويَّاتِ نُسْرِعُ إِلَى السَّمَاوِيَّاتِ.

يَقْرَأُ كَثيرونَ مِنَ النَّاسِ أَنَّ حَبَّةَ الخَرْدَلِ هِيَ أَصْغَرُ كُلِّ البُقُولِ. يَقْرأُونَ مَا يَقُولُهُ التَّلاميذُ في الإِنجِيـلِ: «يَـا رَبِّ، زِدْ إِيمانَـنَـا»،[٥] وَالجَوَابُ الَّذي يُعطِيهِ المُخَلِّصُ هُوَ: «الحَقَّ أَقُولُ لَكُم: لَو كَانَ لَكُم إِيمَانٌ مِثلُ حَبَّةِ الخَرْدَلِ لَكُنتُم تَقُولُونَ لِهَذَا الجَبَلِ انتَقِلْ مِنْ هَهُنَا إِلَى هُنَاكَ فَيَنتَقِلُ».[٦] يَتَسَاءَلُونَ مَا إِذَا كَانَ الرَّسُولُ يَطلُبُ إِيمانًا قَلِيلاً أَو مَا إِذَا كَانُوا يَشُكُّونَ في الرَّبِّ في ما يَجِبُ قَولُهُ عَنِ الإِيمَانِ القَلِيلِ. لَكِنَّ الرَّسُولَ بُولسَ يَأتِي بِتَشبِيهٍ أَكبَرَ مِنْ تَشبِيهِ الإِيمَانِ بِحَبَّةِ

---

[٣] GP 58:478; NPNF 1 10:289

[٤] SC 254:298

[٥] لوقا ١٧: ٥.

[٦] متّى ١٧: ٢٠.

الخَرْدَلِ. مَاذَا يقُولُ؟ «لو كَانَ لِيَ الإيمَانُ كُلُّهُ حتَّى أَنقلَ الجبَالَ ولَمْ تكُنْ فيَّ المَحبَّةُ فَلستُ بشَيءٍ».[٧] تفسيرُ متَّى ٣١.١٣.٢.[٨]

٣٣:١٣ يُشبِهُ مَلَكوتُ السَّماواتِ خَميرةً

مِثْل خَمِيرَةٍ. هيلاريون: تَأْتِي الخَمِيرَةُ مِنَ الطَّحِينِ وَتعيدُ القُوَّةَ الَّتي تلقَّتها إِلَى عَجِينٍ مِنْ نَوعِهَا. شَبَّهَ الرَّبُّ نَفْسَهُ بِهَذِهِ الخَمِيرَةِ. أَخذَتْهَا المرأَةُ بيدِهَا، أَي المَجْمَعُ اليَهُوديُّ، وَدَفَنتَهْا بِحُكْمِ الموتِ، مُظْهِرًا أَنَّ الإنجيلَ يَنقُضُ أَحْكَامَ الشَّرِيعَةِ وَالأَنبِيَاءِ. هَذِهِ الخَمِيرَةُ سُتِرَتْ بِثَلاثَةِ أَكْيَالٍ مِنَ الدَّقِيقِ فِي أَوعِيَةٍ مُتَسَاوِيَةٍ-أي الشَّرِيعَة، وَالأَنبِيَاء وَالإنجيل-فَجَعَلَتْ كُلَّ شَيءٍ وَاحِدًا، بِحيثُ إِنَّ كُلَّ مَا أَسَّسَتهُ الشَّرِيعَةُ وَأَعْلَنَهُ الأَنبِيَاءُ يكْتَمِلُ بِالإنجِيلِ. كُلُّ مَا لَهُ المُحتَوى نَفْسُهُ وَالقُوَّةُ ذَاتُهَا يَتِمُّ بِرُوحِ اللّه، فَلا يكونُ هُنَاكَ تَجزُّؤٌ في ما يختَمِرُ في أَوعيةٍ مُتَساويَةٍ. في متَّى ٥.١٣.[٩]

ثَلاثَةُ أَضعَافٍ. هيلاريون: يَعتَقِدُ الكَثِيرونَ أَنَّ ثَلاثَةَ أَكْيَالٍ مِنَ الدَّقِيقِ لا تُشيرُ إِلَى سِمَةِ الإيمَانِ فَحَسْب-أي إِلَى وَحدَةِ الآبِ وَالابنِ وَالرُّوحِ القُدُس-بَلْ إِلَى دَعْوَةِ الأُمَمِ المُتَحَدِّرِ أَفرَادُهَا مِنْ سَامَ وَحَامَ وَيافِث.[١٠] لَكِنْ، لا أَعْرِفُ مَا إِذَا الفِكْرُ سيُتِيحُ لَنَا أَنْ نَصِلَ إِلَى هَذِهِ النَّتِيجَةِ وَهِيَ أَنَّ المَسِيحَ لَيسَ مَخْفِيًّا عَنهُم، بَل ظَاهِرٌ لهم، وَأَنَّ العَجِينَ لا يَختَمِرُ بِمقدَارٍ كَبيرٍ مِنْ غَيرِ المؤمِنِين، مَعَ أَنَّ دَعْوَةَ كُلِّ الأُمَمِ مُتَسَاوِيةٌ. في الآبِ وَالابنِ وَالرُّوحِ القُدُس، وَمِنْ غَيرِ الحَاجَةِ إِلَى الخَمِيرَةِ المَوضُوعَةِ مِنَ الخَارِجِ، تَكُونُ كُلُّ الأَشيَاءِ وَاحِدَةً في المَسِيحِ. في متَّى ٦.١٣.[١١]

وَضَعَتِ المَرْأَةُ الخَمِيرةَ في الدَّقِيقِ حتَّى اختَمَرَ العَجِينُ كُلُّه. الذَّهَبيُّ الفَم: فَكَمَا تُحَوِّلُ هَذِهِ الخَمِيرَةُ الكَمِّيَّةَ الكَبِيرَةَ مِنَ الدَّقِيقِ إِلَى خَاصَّتِهَا، هَكَذَا سَتُحَوِّلونَ أَنتمُ العَالَمَ كُلَّه أَيضًا.

أُنظُرْ إِلَى حِكْمَةِ السَّيِّدِ، في أَنَّهُ يُقَدِّمُ الأَشيَاءَ الطَّبِيعِيَّةَ، ليَدُلَّ عَلَى أَنَّه بإتمَامِ الأَوَّلِ يَتِمُّ الآخَرُ. فَلا تَقُلْ لي هَذَا. «مَاذَا نَستَطِيعُ أَنْ نَفْعَلَ، نَحْنُ الاثني عَشَرَ، وَقَدْ أُلْقِينَا بِأَنْفُسِنَا عَلَى جَمْعٍ كَهَذَا؟». هَذَا مَا يَجْعَلُ قُوَّتَكُم تَشِعُّ، بِحَيثُ تَمْتَزِجُونَ مَعَ الجَمْعِ وَلا تركَنُونَ إِلَى الفِرَارِ. فَكَمَا أَنَّ الخَمِيرَةَ تُخَمِّرُ الدَّقِيقَ عِندَمَا

---

[٧] ١ كورنثوس ١٣: ٢.
[٨] LCC 801:77
[٩] CS 003-892:452
[١٠] تكوين ٩: ١٨-١٩.
[١١] CS 003:452

تكُونُ قَرِيبَةً مِنهُ-لا قَرِيبَةً فَحَسْب، بَلْ قَرِيبَةً جِدًّا بحَيثُ تَكُونُ مُمْتَزِجَةً بِهِ (لأنَّه لَمْ يَقُلْ وَضَعَتْهَا بَلْ «خَبَّأَتْهَا»)-هكَذا أنتُم، فعِندَمَا تَلتَصِقُونَ بالَّذِين يُحَارِبونَكُم، تَصِيرونَ وَاحِدًا مَعَهُم وتَتَفَوَّقونَ عَلَيهِم. وكَمَا أنَّ الخَمِيرَةَ تُدْفَنُ وَلا تَفسُدُ، إنَّمَا تُحَوِّلُ الكُلَّ شَيئًا فَشَيئًا إِلَى مَا هِي عَلَيهِ، هكَذَا سيَكُونُ الأَمْرُ أَيضًا بالنِّسبَةِ إِلَى البِشَارَةِ. لِهَذَا لا تَخَافُوا، لأنِّي قُلتُ إنَّكم سَتُعامَلُونَ باحتِقَارٍ؛ فأنتُم هكَذَا سَتَتَغَلَّبُونَ عَلَى الجَمِيع. وبقَولِهِ «ثلاثَةِ أَكيَالٍ» يَعْنِي الكَثِيرَ، لأنَّه رَأَى أنْ يَتَّخِذَ هَذا العَدَدَ مِنْ أَجْلِ الكَثْرَةِ. إنجيلُ متَّى، الموعظة ٤٦. ٢.[١٢]

ثَلاثَةُ أَكْيَالٍ مِنَ الدَّقِيقِ. جيروم: المَرأَةُ الَّتِي أخَذَتِ الخَمِيرَةَ وخَلَطَتها بثَلاثَةِ أَكيَالٍ مِنَ الدَّقِيقِ لِتُخَمِّرَ العَجِينَ كُلَّهُ تَدُلُّ عِندِي إمَّا عَلَى التَّبشِيرِ الرَّسُولِيِّ وإمَّا عَلَى الكَنِيسَةِ المُؤَلَّفَةِ مِنَ الأُمَمِ المُختَلِفَةِ. فَهِي تَأخُذُ الخَمِيرَةَ-أي المَعْرِفَةَ وَفَهْمَ الكِتَابِ المُقَدَّسِ-وتَخلِطُها بثَلاثَةِ أكيَالٍ مِنَ الدَّقِيقِ لِيَمْتَزِجَ الرُّوحُ وَالنَّفْسُ وَالجَسَدُ بدونِ اختِلافٍ، فَيَنَالونَ مِنَ الآبِ مَا كَانُوا يطلُبُونَهُ. تُمْتَحَنُ هَذِه النُّقطَةُ في مَكَانٍ آخَرَ. قَرَأنَا عِندَ أَفلاطون، وَعِندَ الفَلاسِفَةِ المَشهُورِينَ، أنَّ هُنَاكَ ثَلاثَةَ أهْوَاءٍ في النَّفسِ الإنسَانِيَّةِ: مَا نُسَمِّيه مَنْطِقِيًّا أَو عَقلِيًّا، وَمَا نُسَمِّيه غَضَبيًّا أَو سَرِيعَ الغَضَبِ، وَمَا نُسَمِّيهِ شَهْوَانِيًّا. اعتَقَدَ هَذَا الفَيلَسُوفُ العَظِيمُ أنَّ الجُزءَ المَنطِقِيَّ هُوَ في الرَّأسِ، وَالغَضَبِيَّ في المَرَارَةِ وَالشَّهوَانِيَّ في الكَبِدِ. فَإِذَا قَبِلْنَا خَمِيرَةَ الكِتَابِ المُقَدَّسِ الَّتِي تَحَدَّثنَا عَنْهَا، فَإِنَّ أَهْوَاءَ النَّفسِ الإنسَانِيَّةِ الثَّلاثَةَ تَتَآلَفُ، فَنَملِكُ بالعَقلِ التَّعَقُّلَ، وبالغَضَبِ رَفْضَ الرَّذِيلَةِ وبالرَّغبَةِ مُبْتَغَى الفَضِيلَةِ. وَهَذَا كُلُّهُ يَتِمُّ وَيتَحَقَّقُ بالتَّعْلِيمِ الإنجِيلِيِّ الَّذِي تُقَدِّمُهُ لَنَا الأُمُّ المُقَدَّسَةُ، أَي الكَنِيسَةُ. تَفسِيرُ متَّى ٢. ١٣. ٣٣.[١٣]

جَمْعُ اليَهُودِ، وَالإِغرِيقِيِّينَ وَالسَّامِرِيِّينَ مَعًا. ثيودور المبسوستي: يَقُولُ عَنِ اليُونَانِيِّينَ وَاليَهُودِ وَالسَّامِرِيِّينَ إِنَّهُم «ثَلاثَةُ أَكْيَالٍ مِنَ الدَّقِيقِ»، فَعِنْدَمَا أُلْقِيَتِ الخَمِيرَةُ في هَذِهِ الأُمَمِ الثَّلاثِ خَلَقَت وَحْدَةً طَبِيعِيَّةً وَوَحْدَةً في النَّوعِيَّةِ. فَالبَشَرُ، بَعْدَ أن انْتَثَرَ عِقْدُهُمْ، انْتَظَمَتْ أُلْفَتُهُمْ بتَعْلِيمِي. هكَذَا يَقُولُ الرَّسُولُ: «في المَسِيحِ يَسُوعَ لَيْسَ هُنَاكَ «إِغْرِيقِيٌّ» ولا «يَهُودِيٌّ» إلخ».[١٤]

---

[١٢] GP 58:474; NPNF 1 10:289

[١٣] CCL 77:109

[١٤] غلاطية ٣: ٢٨.

المقطعُ ٧٤.[١٥]

١٣: ٣٤ كَانَ يُعلِّمُ الجمُوعَ بالأَمْثَالِ

لَمْ يُخَاطِبْهُم إلاَّ بالأَمْثَالِ. الذَّهبيُّ الفَم: يقُولُ مَرقُس: «وبأَمْثَالٍ كَثِيرةٍ كَانَ يُخاطِبُهُم بالكَلِمَةِ عَلَى قَدْرِ مَا كَانُوا يَستطِيعُون أَنْ يسمَعُوا». فَأَشارَ إِلَى أَنَّهُ لَمْ يَبْدَعْ شيئًا، مُقدِّمًا النَّبيَّ، ومُنبِّئًا أَنَّ هَذِهِ هِيَ طَريقَتُهُ في التَّعْلِيمِ. ولِيُعَلِّمَنَا مرقسُ فِكْرَ المَسِيحِ وكَيفَ يُخَاطِبُهُم، فَلا يكُونُون جَاهِلِينَ، بَلْ يَجِدُون أَنفُسَهُم مَدْفُوعِين إِلَى التَّساؤلِ، أَضَافَ: «وكَانَ لا يُخَاطِبُهم إلاَّ بالأَمْثَالِ». لَكِنَّهُ قَالَ بالتَّأكِيدِ أُمُورًا كَثيرَةً مِنْ دُونِ أَمثالٍ، وفِي مَا بَعْدُ لَمْ يَقُلْ شَيئًا. وَعَنْ هَذَا لَمْ يَطْرَحْ أَحَدٌ عَلَيهِ سُؤالاً، ونَحْنُ نَعْرِفُ أَنَّهُم كَانُوا يُجادِلُونَ الأَنبِيَاءَ دَائمًا. فَجَادَلُوا حزقيالَ، مَثَلاً، وغَيرَهُ، ولَكِنَّهُم لَمْ يَفْعَلُوا شَيئًا مِنْ هَذَا القَبِيلِ مع المُعلِّم. لَكِنَّ أَقْوالَهُ كَانت تُربِكُهُم وَتُثِيرُ تَساؤُلَهم؛ وعلى الرَّغمِ مِنْ أَنَّ هَذِهِ الأَمْثَالَ تُهَدِّدُهُم بعَذَابٍ أَليمٍ لم يَرْعَوُوا. الموعظةُ ٤٧. ١.[١٦]

١٣: ٣٥ يُعْلِنُ مَا كَانَ خَفِيًّا

سأَتَكَلَّمُ بالأَمْثَالِ. جيروم: في مَا قِيلَ عَنْ شَخْصِ الرَّبِّ: «أَفتحُ فَمِي بالأَمثَالِ، وَأَبوحُ بأَسْرَارٍ مُنذُ تأسِيسِ العَالَم»،[١٧] يَجِبُ أَنْ نَتتبَّعَ قِصَّةَ مُغَادَرَةِ الإسرائِيليِّينَ مِنْ مِصرَ وَنَسرُدَ كُلَّ الآيَاتِ المَذكُورَةِ في سِفْرِ الخُروجِ. مِنْ هُنَا نُدْرِكُ أَنَّ مَا كُتِبَ نَفهَمُهُ مِنْ خِلالِ الأَمْثَالِ.[١٨] فلا تَبرُزُ تِلكَ الكِتَابَاتُ العَظِيمَةُ، ولا الأَسْرَارُ الخَفِيَّةُ مَا لَمْ نَنْظُر إليها مِنْ خِلالِ الأَمْثَالِ. فَالمُخَلِّصُ يَعِدُ أَنَّهُ سَيَتَكَلَّمُ بأَمْثَالٍ وَسَيَبُوحُ بِمَا هُو خَفِيٌّ مُنذُ تَأْسِيسِ العَالَمِ. تَفسيرُ متَّى ٢. ١٣. ٣٥.[١٩]

١٣: ٣٦ فَسِّرْ لَنَا مَثَلَ زُؤانِ الحَقْلِ

تَرَكَ الجُمُوعَ. الذَّهَبيُّ الفَم: «تَرَكَ يَسُوعُ الجُمُوعَ وَدخَلَ إِلَى البَيتِ» وَلَمْ يَتْبَعْهُ أَيٌّ مِنْ عُلَمَاءِ الشَّرِيعَةِ. وَاضِحٌ أَنَّهُم لَمْ يَكُونُوا يَتْبَعُونَهُ مِنْ أَجْلِ أَيَّةِ غَايَةٍ أُخْرَى سِوَى إِلْقَاءِ القَبْضِ عَلَيهِ. لَكِنْ، لَمَّا عَجِزُوا عَن استيعابِ كَلامِهِ تَرَكَهُم وَشَأْنَهُم. تَفسيرُ متَّى، الموعظة ٤٧. ١.[٢٠]

---

[١٥] 121 KGKM
[١٦] 292:01 1 FNPN ;184:85 GP
[١٧] مزمور ٧٨ (٧٧): ٢.
[١٨] المرجع نفسه.
[١٩] 111:77 LCC
[٢٠] 292:01 1 FNPN ;184:85 GP

دَخَلَ البَيتَ. أوريجنّس: بَعْدَ أنْ خَاطَبَ الجُمُوعَ بِأَمْثَالٍ عَلَى نَحوٍ وَافٍ، صَرَفَهُمْ وَذَهَبَ إِلَى بَيتِهِ حَيثُ كَانَ التَّلامِيذُ يَأْتُونَ إِلَيهِ. لَمْ يَبْقَ تَلامِيذُهُ مَعَ الَّذِينَ صَرَفَهُم. كَثِيرونَ مِنَ السَّامِعِينَ الأَصِيلِينَ لِيَسوعَ لحِقُوا بِهِ. وَبَعدَ أَنِ استَخْبَرُوا عَنْ بَيتِهِ أُجِيزَ لَهُم أَنْ يُشاهِدُوه. وَلَمَّا أَتَوا، رَأَوهُ وَمكَثُوا مَعَهُ طِوالَ النَّهارِ. وَقَد مكَثَ بَعْضُهُم وَقتًا أَطْوَلَ. في رَأْيِي، إِنَّ مِثْلَ هَذِهِ الأُمُورِ تُفْهَمُ في الإِنجيلِ كَمَا دَوَّنَهُ يُوحنّا... وَإِذا كُنَّا، بِخِلافِ الجُمُوعِ الَّذِينَ صَرَفَهُم، نَبْتَغِي سَمَاعَ يسوعَ وَالذَّهَابَ إِلَى البَيتِ وَتَسلُّمَ شَيءٍ أَفْضَلَ مِمَّا تَسَلَّمَتهُ الجُمُوعُ، فَلْنُقِمْ عِندَ يَسوعَ، لِنَأْتِ إِلَيهِ كَمَا أَتَى تَلامِيذُه عِندَ دُخُولِهِ البَيتَ. وَعِندَ دُخُولِهِ فَلْنَكُنْ مُستعدِّينَ للاستِفْسَارِ عَنْ إِيضَاحِ المثلِ، مَثَلِ الزُّوَانِ أَو غَيرِهِ، لا فَرْقَ. تفسيرُ متّى ١٠.١-٣.[٢١]

فَسِّرْ لَنَا المثَلَ. الذَّهبيُّ الفم: «دَنَا مِنهُ تَلامِيذُهُ وَقَالُوا لَهُ: «فَسِّرْ لَنا مَثَلَ زُوَانِ الحَقْلِ». كَانُوا في نَهَمٍ إِلَى التَّعَلُّمِ، بَيْدَ أَنَّهم كَانُوا خَائِفِينَ أَنْ يَطرَحُوا السُّؤالَ.[٢٢] فَمِنْ أَينَ أَتَتهُم جُرأَتُهُم في هَذِهِ الحَالَةِ؟ لَقَد سَمِعُوا: «لَكُمْ أُعْطِيَتْ مَعْرِفَةُ أَسْرَارِ مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ».[٢٣] فَتَشَجَّعُوا. لِهذا يَسأَلُونَ عَلَى انفِرادٍ، لا للانتِقَاصِ مِنْ قَدْرِ الجُمُوعِ بَلْ لِلحِفَاظِ عَلَى شَرِيعَةِ مُعَلِّمِهِم، لأَنَّه يَقُولُ: «لِهؤُلاءِ لَمْ يُعْطَ».

وَلِمَاذا استفسَرُوهُ هذا المثَلَ وَتَنَاسَوا مَثَلَ الخَمِيرَةِ وَحَبَّةِ الخَرْدَلِ؟ في حسبَانِهِم أَنَّهُمَا وَاضِحَانِ كُلَّ الوضُوحِ. فكَانُوا في شَغَفٍ إِلَى الإِحَاطَةِ بِمَثَلِ الزُّوَانِ، إِذْ يُشبِهُ مَا قِيلَ سَابِقًا، وَيُظْهِرُ لَهُم شيئًا أَكثَرَ. كَانُوا يَرْغَبُونَ في التَّعَلُّمِ، لكِنَّ السَّيِّدَ لَمْ يَتَحدَّثْ عَنِ الشَّيءِ نَفسِهِ للمَرَّةِ الثَّانِيَةِ: إِنَّهم شَاهَدُوا كَمْ كَانَ التَّهدِيدُ الظَّاهِرُ هُنَا شَديدًا. غَيرَ أَنَّ السَّيِّدَ لم يُرِدْ أَنْ يُحَاكِمَهُم، بَلْ أَنْ يُكْمِلَ أَقوالَهُ السَّابِقَةَ.

وَكمَا أَقُولُ دَائمًا، يَجِبُ أَلاَّ تُشْرَحَ الأَمثَالُ شَرحًا حَرفِيًّا، لأَنَّ أَشيَاءَ سَخِيفَةً كَثِيرةً سَتَنْشَأُ؛ وَهذا مَا يُعَلِّمُنا إِيَّاهُ السَّيِّدُ نَفْسُهُ في تَفسِيرِ هَذا المثَلَ عَلَى هَذا النَّحوِ. إنجيلُ متَّى، الموعظة ٤٧.١.[٢٤]

١٣: ٣٧-٤٣ نِهَايَةُ الدَّهرِ

البَارُّ يُضِيءُ كَالشَّمسِ. أوريجنّس: لَكِنْ

[٢١] SCG 1:04-2; FNA 9:414
[٢٢] مرقس ٩: ٣٢.
[٢٣] متّى ١٣: ١١.
[٢٤] GP 85:184-28; FNPN 1 01:292

عِنْدَمَا يَجْمَعُ، كَمَا أَشَرْنَا، مِنْ مَلَكُوتِ المَسيحِ كُلَّ مَا يُعْثِرُ النَّاسَ، ويُلقِي الأفْكَارَ المؤدِّيةَ إلى فِعْلِ الإثمِ في أَتُّونِ النَّارِ، ويُتْلِفُ العَنَاصِرَ السَّيِّئَةَ ...عِندَهَا يتألَّقُ الأَبْرَارُ، وقَدْ أَصبَحُوا نُورًا مُشْرِقًا، في مَلَكُوتِ أَبيهِم. لِمَنْ يُضِيئُونَ؟ هَلْ يُضِيئُونَ للسُّفْلِيِّينَ الَّذِينَ سَيَتَمَتَّعُونَ بنُورِهِم، كَمَا تُشْرِقُ الشَّمسُ عَلَى الَّذِينَ عَلَى الأَرضِ؟ طَبعًا، لَنْ يُضِيئوا لأَنفُسِهِم. لَكِنَّ القَولَ «فَلْيُضِئْ نُورُكُم قُدَّامَ النَّاسِ»[٢٥] يُمْكِنُ أَنْ يُكتَبَ عَلَى صَفْحَةِ القَلبِ،[٢٦] وَفْقَ مَا قَالَهُ سُلَيمَانُ بدِقَّةٍ. إلَى الآنَ يُضِيءُ نُورُ تَلامِيذِ يَسوعَ أَمَامَ النَّاسِ، بَعْدَ المَوتِ وَقَبْلَ القِيَامَةِ وَبَعْدَهَا، لِيَصِلَ الكُلُّ إلَى «الإنسانِ الكَامِلِ»[٢٧] وَيُصبِحَ الجَميعُ شَمْسًا وَاحِدَةً. عِندَهَا «يُشرِقُونَ كَالشَّمسِ في مَلَكُوتِ أَبيهِم».[٢٨] تفسيرُ متَّى ١٠.٣.[٢٩]

[٢٥] متّى ٥: ١٦.
[٢٦] أمثال ٧: ٣.
[٢٧] أفسس ٤: ١٣.
[٢٨] متّى ١٣: ٤٣.
[٢٩] GCS 40:3-4; ANF 9:415

١٣: ٤٤-٥٢ الكَنز وَاللُّؤلُؤَة وَالشَّبَكَة

[٤٤] ويُشبِهُ مَلَكوتُ السَّماواتِ كَنْزًا مدفونًا في حقلٍ، وَجَدَهُ رجُلٌ فَخبّأهُ، ومِنْ فرَحِهِ مَضَى فباعَ كُلَّ ما يَملِكُ واشتَرى ذلكَ الحَقلَ.

[٤٥] ويُشبِهُ مَلَكوتُ السَّماواتِ تاجِرًا كانَ يبحَثُ عَنْ لُؤلُؤٍ ثَمينٍ. [٤٦] فلمّا وجَدَ لُؤلُؤةً ثَمينةً، مضى وباعَ كُلَّ ما يَملِكُ واشتَراها. [٤٧] ويُشبِهُ مَلَكوتُ السَّماواتِ شبكةً ألقاها الصَّيّادونَ في البحرِ، فجَمَعَت سَمكًا مِنْ كُلِّ نوعٍ. [٤٨] فلمّا امتلأَتْ أخرَجَها الصَّيّادونَ إلى الشّاطئِ، وجلَسوا فجمعوا السَّمَكَ الجيِّدَ في سِلالِهِم وطَرَحوا الرَّديءَ. [٤٩] وهكذا يكونُ في نِهايةِ العالَمِ: يَجيءُ المَلائِكةُ، وينتَقونَ الأشرارَ عَنِ الأخيارِ [٥٠] ويرمونَهُم في أتُونِ النّارِ. فهُناكَ البُكاءُ وصَريفُ الأسنانِ.

٥١وسأل يسوعُ تلاميذَهُ: «أفهمتُم هذا كُلَّهُ»؟ فأجابُوهُ: «نعم». ٥٢فقالَ لهُم: «إذاً، كُلُّ مَنْ صارَ مِنْ مُعلِّمي الشَّريعةِ تلميذاً في ملكوتِ السَّماواتِ، يُشبِهُ ربَّ بيتٍ يُخرِجُ مِنْ كنزِهِ كُلَّ جديدٍ وقديمٍ».

نَظْرَةٌ عَامَّةٌ: يُشيرُ الكَنْزُ المدفُونُ في الحَقْلِ إلَى الرَّبِّ المُتجَسِّدِ، وَهُوَ عطيَّةٌ مَجَّانيَّةٌ. ليس في بِشارَةِ الإنجيلِ قُيودٌ أو شُروط. لكِنَّ القُدرةَ عَلَى استعْمَالِ هذَا الكَنْزِ مَعَ الحَقْلِ لَهَا ثَمَنٌ، فَالكُنُوزُ السَّماويَّةُ لا يُمْكِنُ امتِلاكُهَا مِن دون خِسَارَةٍ دُنيويَّةٍ (هيلاريون). المرءُ يَنْتَصِرُ عَلَى الرَّغبَاتِ الدُّنيويَّةِ بالتأمُّلِ في النِّظامِ السَّماويِّ، غيرَ خائفٍ مِمَّا يُدمِّرُ الحياةَ الجَسَديَّةَ. مِثلُ هذا الإنسانِ يَبيعُ كُلَّ شَيءٍ وَيَشتري الحَقْلَ (غريغوريوس الكبير). فالمُشتري الحَقْلَ بالإيمانِ لا يَعتَبِرُ المُمْتَلَكاتِ السَّالِفَةَ خاصَّتَه أو مُلكَ يديه (أوريجنّس).

اللّؤلؤُ الثَّمينُ هُوَ الكلِمَةُ الحَيُّ، إنّه يَسمُو عَلَى الكِتَابَاتِ النَّفيسَةِ وعلى سُنَنِ الشَّريعَةِ وَأقوالِ الأنبياءِ (أوريجنّس). المؤمنُ يَطلُبُ لؤلؤَ الحياةِ الأبديَّةِ، وَلَو كَلَّفَهُ خِسارَةَ كُلِّ مَا يَملِكُ (هيلاريون، بطرس خريسولوغوس). إنَّ الغُرَبَاءَ عَنِ الدِّينِ قَدِ اعتَرَفُوا، للحَالِ، بالنِّعمَةِ المُقَدَّسَةِ وبِعَظَمَةِ المَسيحِ، واحتَقَرُوا كُلَّ أُمُورِهِم السَّابِقَةِ وَنَظَرُوا إلى اللّؤلؤ وَحْدَهُ (ثيودور المبسوستيّ). المَحَبَّةُ تُبعِدُ المرءَ عَنِ الرَّغبَاتِ الدُّنيويَّةِ الغَريبَةِ (غريغوريوس الكبير).

يُشبِهُ المَلَكُوتُ شَبَكَةً تَلتَقِطُ ما في الماءِ مِن خَلائِق. تُلقِيها إلى القَعْرِ، وَمِنْ ثَمَّ تَجرُّهَا إلَى الشَّاطِئِ فَإذا هِيَ تَجْمَعُ كُلَّ شَيءٍ (هيلاريون). تَشتَمِلُ شَبَكَةُ الصَّيدِ عَلَى السَّمَكِ جيِّدِهِ وَرَديئِهِ (غريغوريوس الكبير). إنَّ تَنَوُّعَ السَّمَكِ في الشَّبَكَةِ يَرمُزُ إلى الشُّعُوبِ المَدعُوَّةِ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ (أوريجنّس).

يُقَالُ في المُدرَّبينَ عَلَى دِراسَةِ الكِتَابِ المُقدَّسِ إنَّهُم عُلَمَاءُ الشَّريعَةِ، لأنَّهُم تَمَلَّوْا مِنَ القديمِ وَالجديدِ– من الشَّريعَةِ وَالإنجيلِ (هيلاريون، كيرلّس الإسكندريّ). يُصْبِحُ المرءُ عَالِمًا بالشَّريعَةِ عِندمَا يَتَرقَّى في الإلمَامِ بالكِتَابِ المُقدَّسِ ويَصِلُ إلى فَهْمِ مَعْنَاه الرُّوحَانيِّ (أوريجنّس). إنَّ الأُمُورَ القَديمَةَ لا تُنْتَزَعُ، بَلْ تُوارى في الكَنْزِ. الكاتِبُ المُتعَلِّمُ هُوَ الآنَ في مَلَكُوتِ اللّهِ. إنَّه لا يُخْرِجُ مِنْ كَنْزِهِ الجَديدَ وَالقَديمَ فَحَسْبُ، بَل كِلَيهِما مَعًا (أوغسطين، غريغوريوس الكبير).

١٣: ٤٤ الكَنزُ المَدفُونُ في حَقلٍ

مَعْنَاهُ الواضِحُ وَمَعنَاهُ الرُّوحيُّ. أوريجنِس: إنَّ الآتي إلى الحقْلِ يَجِدُ كَنْزَ الحِكْمَةِ المَخْفِيَّةِ إمَّا في الكِتَابِ المُقَدَّسِ أو في المَسيحِ المُكوِّنِ مِمَّا يُرَى وَمِمَّا لا يُرَى. بَعْدَ أَنْ يَجُولَ في الحقْلِ وَيَتَفَحَّصَ الكِتَابَ المُقدَّسَ وَيَسْعَى إلَى فَهْمِ المسيحِ، يَجِدُ الكَنْزَ فيهِ. وَإِذْ يَجِدُهُ يُخْفِيهِ، ظَانًّا أَنَّ الكشفَ لكلِّ إنسَانٍ عَنِ المَعْنَى السِّرِّيِّ للكِتَابِ المُقَدَّسِ أو عن كَنْزِ الحِكْمَةِ وَالمَعْرِفَةِ في المسيحِ لهو أَمرٌ خَطِيرٌ. وَبَعْدَ أَنْ يُخفِيَهُ يَنْصَرِفُ. ثُمَّ يَجِدُّ في شِرَاءِ الحَقْلِ، أو الكِتَابِ المُقَدَّسِ، ليَجْعَلَهُما مُلْكًا لَهُ، فَيَتَسلَّمُ مِنْ أَخِصَّاءِ اللّهِ «كَلامَ اللّهِ» الَّذي آمَنَ بِهِ اليَهُودُ أَوَّلاً.[1] لَكِنْ، عِندَمَا يَشتَري الحقْلَ مَنْ وَقَفُوا عَلَى تَعَاليمِ المسيحِ، فَمَلَكُوتُ اللّهِ يُشَبِّهُهُ المُعَلِّمُ، إذْ ذاكَ بِكَرْمٍ يُنْتَزَعُ مِنهُم وَيُعْطَى لأُمَمٍ أُخْرَى تَصْنَعُ مِنهُ ثَمَرًا.[2]

إنَّكَ سَتُطَبِّقُ الشَّيءَ نَفْسَهُ، إذا كَانَ الحَقْلُ الَّذي يَضُمُّ الكَنْزَ المَخفِيَّ هُوَ المَسِيحَ. إنَّ الَّذينَ تَرَكُوا كُلَّ شَيءٍ وَتَبِعُوهُ قَدْ بَاعُوا، بِطَرِيقَةٍ أُخْرَى، مُمْتَلَكَاتِهِم لكَي يَشتروا عِوَضًا منهَا، بنيَّةٍ صالِحَةٍ وبِعَوْنِ اللّهِ، الحقْلَ الَّذي فِيهِ الكَنْزُ المَخفِيُّ. تَفسيرُ متَّى ١٠.٦.[3]

وَيُشبِهُ مَلَكُوتُ السَّماواتِ كَنزًا مَدفُونًا فِي حَقْلٍ. هيلاريون: لَمَّا شَبَّهَ المَسِيحُ المَلَكُوتَ بكَنْزٍ في حقْلِ رَجَائِنَا، أَشارَ إلَى الغِنَى الدَّفِينِ، لأَنَّ اللّهَ يُكتَشَفُ في البَشَرِ. في مُكَافَأتِهِ إيّانا عَنْ كُلِّ شَيءٍ، سَتُبَاعُ كُلُّ مَوارِدِ العَالَمِ لِنَشتَرِيَ، باللِّبَاسِ وَالغِذَاءِ وَالشَّرابِ المُقَدَّمِ للمُحتَاجِينَ، الغِنَى الأَبديَّ للكَنْزِ السَّمَاوِيِّ. لَكِنْ عَلَينا أَنْ نُدرِكَ أَنَّ الكَنْزَ وُجِدَ ثُمَّ خُبِّئَ، لأَنَّ الَّذي وَجَدَهُ نَقَلَهُ سِرًّا في ذَلِكَ الوَقتِ وَخَبَّأَهُ، ولَمْ تَكُنْ لَدَيْه حَاجَةٌ إلَى ابتِياعِهِ. لَكِنْ هُنَاكَ تَفْسِيرٌ لِهَذِه المَسأَلَةِ وَلِما قِيلَ نَحْتَاجُ إليهِ هُنَا. أُخْفِي الكَنْزُ لأَنَّ شِرَاءَ الحَقْلِ وَاجِبٌ. الكَنْزُ في الحَقْلِ، كَمَا قُلْنَا، يُشيرُ إلَى المَسيحِ في الجَسَدِ، الَّذي يُوجَدُ اختِيَارِيًّا. بِشَارَةُ الإنجيلِ غَيرُ مُقيَّدَةٍ بشُرُوطٍ. لَكِنَّ القُدرةَ على استِعْمَالِ هَذَا الكَنْزِ مَعَ الحَقْلِ لَهَا ثَمَنٌ، فَالكُنُوزُ السَّمَاوِيَّةُ لا يُمْكِنُ امتِلاكُهَا من دُونِ خَسَائِرَ. في متّى ١٣.٧.[4]

بَاعَ كُلَّ مَا يَملِكُ وَاشتَرَى ذلِكَ الحقلَ. غريغوريوس الكبير: أُنْظُرْ كَيفَ يُشبِهُ

[1] رومية ٣: ٢.

[2] متّى ٢١: ٤٣.

[3] SCG 6:04; FNA 614:9

[4] CS 452:003-203

مـلَكُوتُ السَّمـاوَاتِ كَنْزًا مَخفِيًّا في حَقْلٍ، فَيجِدُهُ شَخْصٌ وَيُخْفيه، ومِنْ فَرحِهِ يذهَبُ وَيبيعُ كُلَّ مَـا عِـنـدَهُ وَيشتريه. يَجِبُ أَنْ نُلاحِظَ أَنَّ الكَنْزَ، حَالَما يُكْتَشَفُ، يُخْفَى للحفاظِ عليه. لا يَكفِي أَنْ نحترسَ في سعيِنا إِلى الفَرحِ السَّماويِّ، مِنَ الأَرواحِ الشِّرِّيرَةِ، إِذا لَمْ نُخْفِهِ مِنَ المَديحِ البَشريِّ. في هذِهِ الحَياةِ الحاضِرَةِ نَكُونُ في طَريقِنا إِلَى وَطَنِنَا. وَعلى طُولِ الطَّريقِ تَكُونُ أَرواحٌ شِرِّيرةٌ مُتَربِّصَةٌ بنا كقُطَّاعِ الطُّرُقِ. فَالَّذينَ يعرِضُونَ كَنْزَهُم في الطَّريقِ يَرغَبُونَ في أَنْ يسْرِقَهُم قُطَّاعُ الطُّرُقِ.

أَقُولُ هَذا، لا لأَنَّ جيرانَنَا يَجِبُ أَنْ لا يَروا أَعْمالَنا الصَّالِحَةَ-لإِنَّهُ مَكتُوبٌ: «فَلْيَروا أَعْمالَكُمُ الصَّالِحَةَ وَيُمَجِّدوا أَبَاكُم الَّذي في السَّمَاوَاتِ»،[٥]-بَلْ تَحرُّزًا مِن أَنْ نَتلَقَّى مِنَ الخارِجِ الثَّناءَ عَلى مَا نفْعَلُهُ.

يَنْبَغِي أَنْ نَقُومَ بِعَمَلِنَا عَلانِيَةً شَرطَ أَنْ تبْقَى نِيَّتُنا خَفِيَّةً. نُعْطِي مِثَالاً لجيرانِنَا مِنْ خِلالِ عَمَلِنا الصَّالِحِ، وَبِالنِّيَّةِ نَسْعَى إِلَى إِرْضَاءِ اللهِ وَحْدَهُ، وَدائِمًا نَخْتارُ السِّرِّيَّةَ. الكَنْزُ هُوَ تَنعُّمٌ سَماوِيٌّ، وَالحَقْلُ الَّذي أُخفِيَ فيهِ هُوَ نِظامُ السَّعْيِ إِلى السَّماوَاتِ. مَنْ أَنْكَرَ مُتعَةَ الجَسَدِ وَتَغَلَّبَ عَلى الشَّهَواتِ الدُّنيويَّةِ يُحافِظُ عَلى النُّظُمِ السَّماويَّةِ، بِحَيثُ إِنَّ مَا يُؤْثِرُهُ الجَسَدُ لا يُقَيِّدُه، وَمَا يُدَمِّرُ حَيَاتَهُ الجَسَديَّةَ لا تَخافُ مِنهُ النَّفْسُ، إِذ إِنَّه بَاعَ كُلَّ شَيءٍ وَاشتَرى الحَقْلَ. أَربَعُونَ عِظَةً إِنجِيليَّةً ١.٢.[٦]

١٣: ٤٥-٤٦ لُؤلُؤٌ ثَمِينٌ

البَحْثُ عَنِ اللُّؤلؤ. أوريجنِّس: بَينَ الكَلامِ الكَثيرِ الَّذي يُعْلِنُ الحَقَّ وَالَّذينَ يَحمِلُونَهُ يَطلُبُ الوَاحِدُ مِنَّا اللآلئَ. الأَنبِياءُ هُمُ اللآلِئُ الجَيِّدَةُ الَّتي تَتلَقَّى النَّدَى مِنَ السَّمَاءِ وَتَحبَلُ بِكَلِمَةِ الحَقِّ مِنَ السَّماءِ، وَهِيَ، وَفْقًا للعِبارَةِ الوَارِدَةِ هُنَا، مَا يَبتَغِيهِ التَّاجِرُ. وَأَهَمُّ لؤلؤٍ يُوجَدُ مَعَ اللآلئِ الأُخْرَى هو ثَمِينٌ جِدًّا. إِنَّهُ مَسيحُ اللهِ، الكَلِمَةُ الَّذي يَفُوقُ الكِتابَاتِ النَّفِيسَةَ وَأَفْكَارَ الشَّريعَةِ وَالأَنبِياءِ. عِندَمَا يَجِدُ المرءُ هَذا اللُّؤلُؤَ يَرِثُ كُلَّ اللآلئِ الأُخْرَى بِسُهُولةٍ...

أَمَّا الكَلِمَاتُ المُوحِلَةُ وَالبِدَعُ المُرتَبِطَةُ بِأَعْمالِ الجَسَدِ فَهِيَ مِثلُ لآلئَ قَاتِمَةٍ تَلِدُهَا المُستَنْقَعَاتُ. تفسيرُ متَّى ١٠.٨.[٧]

عَقْدُ العَزْمِ للحُصُولِ عَلَى اللُّؤلُؤ. هيلاريون: بالنِّسبَةِ إِلَى اللُّؤلُؤِ، الاستِنتَاجُ

[٥] متّى ٥: ١٦.

[٦] PL 76:1115; SC 321:62-63 (Homily 9)

[٧] GCS 40:9-10

هُوَ نَفْسُهُ. لَكِنَّ لِهَذا المَقْطعِ قيمَةً بالنِّسْبَةِ إلى التَّاجِرِ الَّذي انغَمَسَ طويلاً في الشَّريعَةِ. بَعْدَ أشغَالٍ طَويلَةٍ، يكتَشِفُ اللُّؤلُؤَ فَيتَخلَّى عمَّا حَصَلَ عَلَيهِ تَحتَ نيرِ الشَّريعَةِ. لقد قامَ بعَمَلِهِ لوَقتٍ طَويلٍ إلى أنْ وَجدَ اللُّؤلؤَ الَّذي كَانَ مُشتَهَى قَلبِهِ. عَلَيهِ أنْ يَدفَعَ ثَمَنَ ذلِكَ اللُّؤلُؤِ المَرغُوبِ فيهِ عَلَى حِسَابِ عَمَلِهِ الآخَرِ كُلِّهِ. في متّى ١٣. ٨.[٨]

بَاعَ التَّاجِرُ كُلَّ مَا يَملِكُ. ثيودور المبسوستيّ: الكثيرونَ الَّذينَ كَانوا جَميعُهُم غُرباءَ عَنِ التَّقوَى أقَرُّوا، للحَالِ، بعَونِ النِّعمَةِ الإلهيَّةِ، بعَظَمَةِ المَسيحِ. إنَّهُم احتَقَرُوا كُلَّ الأُمُورِ القَديمَةِ ونَظَروا فقطْ إلى مَا يُثيرُ فيهِمُ الحَقَّ والخَلاصَ، ويكُونُ فَاعِلاً فيهم، أعْني الكَنْز. مِنَ النَّاسِ مَنْ كَانَ يُشهَدُ لَهُ بالتَّقوَى ومَخَافَةِ اللهِ، ابتَعَدَ عَنِ الأُمُورِ القَديمَةِ بَعدَ أنْ خَلَبَتهُ عَظَمَةُ الوَعْظِ. هَكذا كَانَ، عَلَى سَبيلِ المِثَالِ، بولسُ، الَّذي أظْهَرَ مِقْدارًا كَبيرًا مِنَ الغيرَةِ عَلَى الشَّريعَةِ، لكِنْ، عِندَمَا رَأَى عَظَمَةَ الإنجيلِ، ازدَرَى كُلَّ مَا يَتَعلَّقُ بها. فَهُوَ نفسُهُ يَقُولُ: «لكِنْ مَا كَانَ لي مِنْ رِبحٍ حَسِبتُهُ خَسَارَةً مِنْ أجْلِ المَسيحِ»؛[٩] وكَذلِكَ: «عَدَدتُ كُلَّ شَيءٍ خَسَارَةً، وحَسِبتُهُ نِفَايَةً، لأَربحَ المَسيحَ».[١٠] قَالَ هَذا بسَبَبِ اليونَانيِّينَ الَّذينَ كَرَّسُوا أَنفُسَهُم للتَّقوَى وكَذَلِكَ بسَبَبِ اليَهُودِ. المقطع ٧٥.[١١]

المُقَارَنَةُ بين اللُّؤلؤِ الأَرضِيِّ واللُّؤلؤِ السَّماويِّ. غريغوريوس الكبير: يُقَالُ كَذَلِكَ إنَّ مَلَكُوتَ السَّماوَاتِ يُشْبِهُ تَاجِرًا يَبْحَثُ عَنْ لُؤلؤٍ ثَمينٍ. فَلَمَّا وَجدَ اللُّؤلُؤَ الثَّمينَ بَاعَ كُلَّ مَا يَمْلِكُ ليَشْتَرِيَهُ. هَكَذَا، كُلُّ مَنْ ذَاقَ حَلاوةَ المَعْرِفَةِ الصَّافِيَةِ للحَيَاةِ السَّماويَّةِ تَخَلَّى بسُرورٍ عَن كُلِّ مَا أَحَبَّهُ عَلَى الأَرْضِ. إذا مَا قَارَنَ كُلَّ شَيءٍ بذلِكَ اللُّؤلُؤِ يَجِدُهُ بلا قيمَةٍ. يَنبُذُ مَا يمْلِكُهُ ويُبَدِّدُ مَا جَمَعَهُ. يَتُوقُ قَلبُهُ إلَى الأُمُورِ السَّماويَّةِ، ولا يُرضِيهِ شَيءٌ أرضِيٌّ. إنَّ إغْرَاءَاتِ الدُّنيويَّاتِ تتَبدَّدُ، وتَأَلُّقَ اللُّؤلُؤِ النَّفيسِ يُبْهِرُ عَقْلَهُ. يَقُولُ سُليمانُ عَنْ حُبٍّ كَهذا: «الحُبُّ قَويٌّ كَالمَوتِ»:[١٢] فكَمَا يُبيدُ الموتُ الجَسَدَ، هَكَذَا يُبيدُ الهُيَامُ بالحَيَاةِ الأَبديَّةِ كلَّ الأُمُورِ المَادِّيَّةِ. المَحبَّةُ تَجْعَلُ إحْسَاسَ مَنْ يَتَعلَّقُ بالرَّغبَاتِ الدُّنيويَّةِ مَعدومًا. أَربعونَ عِظةً إنجيليّة. ١١. ٢.[١٣]

[٨] CS 203:452

[٩] فيليبي ٣: ٧.

[١٠] فيليبي ٣: ٨.

[١١] KGKM 121

[١٢] نشيد الأنشاد ٨: ٦.

[١٣] PL 76:1115; CS 123:36-46 (Homily 9)

يُشبِهُ الملكوتُ تاجرًا. بُطرس خريسولوغوس: لا ينْزعِجَنَّ أحدٌ ممَّن يسْمَعُ لفْظَةَ «تاجر». هُنا يُشيرُ المسيحُ إلَى تاجرٍ يُظْهِرُ رحْمَةً، لا إلَى منْ يستثْمِرُ دائمًا أمْوالَهُ فيجْني أرْباحَهُ بالرِّبا. هَذا التَّاجِرُ هُو منْ يُغنِي الفضائِلَ بالزِّينةِ، ولا يدعُو إلَى الرَّذائِلِ. يَزِنُ كرامةَ الأخْلاقِ، لا وَزنَ الجواهِرِ. يلبَسُ قلائِدَ الاستِقامةِ لا قلائِدَ التَّرفِ. لا يتَباهَى بإظْهارِ المُتْعَةِ الشَّهْوانيَّةِ، بلْ بسِمةِ التَّهذِيبِ. لذلِكَ يَعرِضُ هَذا التَّاجِرُ لآلِئَ القلْبِ والجسَدِ، لا في تِجارةٍ إنسانيَّةٍ، بلْ في تِجارةٍ سَماويَّةٍ. يَعرِضُها ليُتاجِرَ لا لمَنفعَةٍ عابرةٍ، بلْ لِمنْفعَةٍ مُستقْبليَّةٍ. يُتاجِرُ ليَرْبحَ لا المجْدَ الدُّنيويَّ، بلِ المجْدَ السَّماويَّ. يَسْعَى إلَى الحُصُولِ علَى ملَكُوتِ السَّماواتِ مُكافأةً علَى فضائِلِهِ، وإلَى شِراءِ لُؤلؤِ الحياةِ الأبديَّةِ، علَى حِسابِ المُمْتلكَاتِ الأُخْرَى الَّتي لا عدَّ لَها. المواعظ ٤٧.٢.[١٤]

١٣:٤٧ شَبكَةٌ ألْقاها الصَّيادونَ في البَحْرِ

الشَّبكَةُ. أوريجنِّس: بَعْدَ أنْ قِيلَتْ هَذهِ الأشْياءُ، يَجِبُ الاعتِقادُ بأنَّ «ملَكُوتَ السَّماوَاتِ يُشبِهُ شَبكَةً أُلقِيتْ في البَحْرِ فجَمَعَت سَمكًا مِنْ كُلِّ نوعٍ»، وذَلِكَ لعَرْضِ تَنوُّعِ مَقاصِدِ النَّاسِ المُخْتلِفةِ جدًّا. إنَّ التَّعبِيرَ «جَمَعَت سَمكًا مِنْ كُلِّ نوعٍ»، يُشيرُ إلَى الجديرِينَ بالثَّناءِ والمُستَحِقِّي اللَّومِ في مُيُولِهِم إلَى الفضائِلِ أوِ إلَى الرَّذائِلِ. ويُشبِهُ ملَكُوتُ السَّماوَاتِ نَسِيجَ الشَّبكَةِ المحُوك، أي الأفْكارَ المتَنوِّعةَ المنْسُوجَةَ في الكِتابِ المقدَّسِ في عَهْدَيهِ القَديمِ والجدِيدِ. تفْسيرُ متَّى ١٠.١٢.[١٥]

سَمكٌ مِنْ كُلِّ نوعٍ. أوريجنِّس: وأُلقِيتْ هَذهِ الشَّبكَةُ في البَحْرِ. فالأمْواجُ تتقاذفُ البَشرَ في كُلِّ جَنَباتِ المسكُونةِ، فيَسبحُونَ في مَهامِّ الحياةِ المُرَّةِ. قبْلَ مَجيءِ يسوعَ مُخلِّصِنا، لَمْ تكُنْ الشَّبكَةُ ملأى، إذْ كانَتْ ناقِصةً في النَّسيجِ النَّبويِّ والتَّشريعيِّ، لذا قالَ: «لا تظنُّوا أنِّي جِئتُ لأُبطِلَ الشَّريعَةَ أو الأنبِياءَ: ما جِئتُ لأُبطِلَ، بلْ لأُكمِّلَ».[١٦] اكتمَلَ نَسِيجُ الشَّبكَةِ في الأناجيلِ وفي كَلامِ المَسيحِ مِنْ خِلالِ الرُّسُلِ. لذَلِكَ «فملَكُوتُ السَّماوَاتِ يُشبِهُ شَبكَةً أُلقِيتْ في البَحْرِ فجَمَعَت سَمكًا مِنْ كُلِّ نوعٍ». تفْسيرُ متَّى ١٠.١٢.[١٧]

---

[١٤] 062:42 LCC

[١٥] 024:9 FNA ;51-31:04 SCG

[١٦] متّى ٥: ١٧.

[١٧] 024:9 FNA ;41:04 SCG

مثلُ شَبكَةٍ. هيلاريون: شَبَّهَ الرَّبُّ وَعْظَهُ بشَبكَةٍ. وَبمَجيئِهِ إلى العَالَمِ جَمَعَ الَّذين يَسكُنونَ فيهِ وكَأنَّهم في شَبكَةٍ، مِنْ غيرِ أَنْ يَدينَ العَالَمَ. تُلْقَى الشَّبكَةُ في البَحْرِ، ثُمَّ تُجَرُّ مِنَ العُمْقِ، فتَجْمَعُ كُلَّ مَخْلُوقٍ فيهَا، وَتَرْفَعُ كُلَّ مَا اصطادتهُ. فَهي تَرفَعُنَا مِنَ العَالَمِ إلَى نُورِ الشَّمسِ الحَقيقِيَّةِ. باختِيَارِ الكَرامَةِ وبرَفْضِ الشِّرِّيرِ، تُضيءُ عَدَالَةُ الحُكمِ الآتي. في متّى ١٣. ٩.[١٨]

فَجَمَعُوا السَّمَكَ الجَيِّدَ وَالرَّديءَ. غريغوريوس الكبير: يُقَالُ أَيضًا إنَّ «مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ يُشبِهُ شَبكَةً أُلقِيَت في البَحْرِ فَجَمَعَت سَمَكًا مِنْ كُلِّ نوعٍ». إذَا امتَلأت جُرَّت إلَى الشَّاطِئِ حيثُ يُجْمَعُ السَّمَكُ الجَيِّدُ في سِلالٍ، أَمَّا السَّمَكُ الرَّدِيءُ فَيُرمَى بَعِيدًا. تُشبَّهُ كَنيستُنَا المقَدَّسَةُ بشَبكَةٍ، لأَنَّه عُهِدَ بِهَا إلَى صَيَّادِي السَّمَكِ الَّذينَ يَحُوشُونَ فيهَا جَميعَ مَنْ في لُجَّةِ العُمْرِ الحَاضِرِ وَيَرفَعُونَهُم إلَى المَلَكُوتِ الأَبَديِّ، وإلاَّ غَرِقْنَا في أَعْمَاقِ الموتِ الأَزَليِّ. تَجْمَعُ هَذِه الشَّبكَةُ سَمكًا مِنْ كُلِّ نوعٍ لأَنَّها تَدعُو الجَمِيعَ إلَى غُفْرَانِ الخَطَايَا، سَوَاءٌ كَانُوا حُكَمَاءَ أَم جَهَلَةً، أَحْرَارًا أَم عَبيدًا، أَغْنِيَاءَ أَم فُقَرَاءَ، أَقْوِيَاءَ أَم ضُعَفَاءَ. لِذَلِكَ يُخَاطِبُ كَاتِبُ المَزَامِيرِ اللّهَ قَائِلاً: «إلَيكَ يَجِيءُ جَمِيعُ البَشَرِ».[١٩] هَذِهِ الشَّبَكَةُ سَتَمْتَلِئُ عِندَمَا تَحُوشُ كُلَّ الجنسِ البَشَريِّ في نِهَايَةِ الزَّمَانِ. سَيَجُرُّهَا صَيَّادو السَّمَكِ وَيَجْلِسُون بجَانِبِ البَحْرِ؛ لأَنَّه، كمَا أَنَّ البَحْرَ يَدُلُّ عَلَى العَصْرِ الحَاضِرِ، كَذَلِكَ يَدُلُّ الشَّاطِئُ عَلَى نِهَايَتِهِ. أَربعون عِظَةً إنجيليَّةً ٢. ٤.[٢٠]

١٣: ٤٨ جَمَعَ السَّمَكَ الجَيِّدَ وَطَرَحَ الرَّدِيءَ

تَصنيفُهَا في السِّلالِ. غريغوريوس الكبير: في نِهَايَةِ العُمْرِ الحَاضِرِ يُجْمَعُ السَّمَكُ الجَيِّدُ وَيُطْرَحُ السَّمَكُ الرَّدِيءُ. ثُمَّ يُقْبَلُ كُلُّ المُختَارِينَ في الأَقْدَاسِ الأَبَدِيَّةِ، وَيُطْرَحُ المُدانُونَ في الظُّلْمَةِ الخَارِجِيَّةِ، لأَنَّهُم قَدْ فَقَدُوا نُورَ المَلَكُوتِ في دَاخِلِهِم. أَمَّا شَبَكَةُ صَيدِ السَّمَكِ فَتَجْمَعُنَا مَعًا لِيَخْتَلِطَ فِيهَا السَّمَكُ جَيِّدُنَا وَخَبِيثُنَا. أَربعون عِظَةً إنجيليّة ٢. ٤.[٢١]

طَرْحُ السَّمَكِ الرَّدِيءِ. غريغوريوس الكبير: حِينَ تَكُونُ الشَّبَكَةُ بِجَانِبِ البَحْرِ-أي

---

(١٨) CS 452:203

(١٩) مزمور ٦٥ : ٢ (٦٤: ٢).

(٢٠) PL 76:1116; SC 321:46 (Homily 9)

(٢١) PL 76:1116; SC 321:46-56 (Homily 9)

الكَنِيسَةِ المُقَدَّسَةِ-فَهِي تُشيرُ إِلَى مَا جُمِعَ فيهَا. بعْضُ السَّمَكِ، مَتى أُمْسِك، لا يُمْكِنُ أَنْ يَتَغَيَّر. وبعْضُهُ الآخرُ متَى أُمْسِكَ يَتَحسَّنُ مَعَ أَنَّهُ شِرِّيرٌ. لنَتَذَكَّرْ ذلك الأَمرَ ونَحنُ نُمْسَكُ في الشَّبكَةِ، لئلاَّ نُرمَى عَلَى الشَّاطِئِ. أربعُون عِظةً إنجيليّة ٢.٤.[٢٢]

٤٩:١٣ وَيَنتَقُونَ الأَشْرَارَ مِنْ بَينِ الصَّالِحينَ

في نِهَايَةِ الدَّهرِ. كيرلّس الإسكندريّ: إِنَّ الدَّعوةَ الَّتي جَاءَ بِهَا المَسِيحُ سَتَكُونُ مَسكُونيَّةً. فَهُوَ يَتَعَهَّدُ قَائِلاً بوضُوحٍ إِنَّ شَبكَةَ الوَعْظِ الإِنجِيليِّ تَجْمَعُ الشُّعُوبَ مَعًا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ. فَالخُبَراءُ في صَيدِ السَّمَكِ وَالخُبراءُ في الأَعْمَالِ البَحْرِيَّةِ مِنْ عَادَتِهِم أَنْ يُلقُوا شِبَاكَهُم من دونِ تَمييزٍ، فَيَجذِبُونَ إِلَى اليَابِسَةِ كُلَّ مَا يَعلَقُ في الشِّبَاكِ. هَكَذَا تَجذِبُ قُوَّةُ الوَعْظِ وَالتَّعْلِيمِ المدهِشِ وَالمُحْكَمِ للعَقَائِدِ المُقَدَّسَةِ، الَّتي حَاكَهَا الرُّسُلُ، كَصَيَّادي سَمَكٍ صَالِحينَ، كُلَّ الشُّعُوبِ مِنْ كُلِّ جِنسٍ وَتَضمُّهُم إِلَى اللهِ. سَتَجْمَعُ هَذِهِ الشَّبكَةُ كُلَّ سَمكَةٍ حتَّى انقِضَاءِ الدَّهرِ. عِندَهَا سَتَفصِلُ مَصَافُّ مَلائكَةِ اللهِ كُلَّ الَّذينَ اصطِيدُوا وَاجتُذِبُوا مِنَ الحَيَاةِ مُمَيِّزَةً الأَخيَارَ مِنِ الأَشرَارِ. المقطع ١٧١.[٢٣]

٥٠:١٣ يُرْمَونَ في الأَتُّونِ

أَتُّون النَّارِ. أوريجنّس: إِنَّ المُشرِفينَ عَلَى خِدمَةِ الشَّبكَةِ المُلقَاةِ في البَحرِ هُم يَسوعُ المَسيحُ سَيِّدُ الشَّبكَةِ، و«المَلائِكَةُ الَّذينَ دَنوا مِنهُ وَأَخذُوا يخدِمُونَه».[٢٤] فَهُم لَنْ يَنشُلُوا الشَّبكَةَ مِنَ البَحْرِ وَلَنْ يَجُرُّوهَا إِلَى الشَّاطِئِ-أَي خَارِجَ هَذِه الحَيَاة-حتَّى تَمتلِئَ، فَيدخُلُ إِلَيها «مِلءُ الشُّعُوبِ». لَكِنْ مَتَى دَخلَتِ الشُّعُوبُ، يَتِمُّ جَذبُهَا مِنَ السُّفلِيَّاتِ إِلَى مَا يُسَمَّى رَمزيًّا الشَّاطِئَ. هُنَاكَ يكُونُ عَملُ الَّذين جرُّوهَا، إِذ يَجْلِسُونَ بِجَانِبِ البَحْرِ حَيثُ تَتِمُّ تَسوِيَةُ الأُمُورِ، فَيَضَعُونَ السَّمَكَ الجَيِّدَ في مكَانِه المُنَاسِبِ، أَي في الوِعَاءِ الصَّحِيحِ. ويَرمُونَ خَارِجًا الفَاسِدِينَ والمُفسِدين. بلَفْظَةِ «خَارِج» يَعْني أَتُّونَ النَّارِ، كَمَا فَسَّرَهَا المُخَلِّصُ قَائِلاً: «هَكَذَا يَكُونُ في انقِضَاءِ الدَّهرِ. ستَخرُجُ المَلائِكَةُ وَتَفْصِلُ الأَشرَارَ عَنِ الأَخيَارِ وَتَرمِيهِم في أَتُّونِ النَّارِ». يَجِبُ مُلاحَظَةُ أَنَّنا نَتَعَلَّمُ مِنْ مَثَلِ الزُّوَانِ وَكُلِّ الأَمثَالِ الأُخرَى أَنَّ اللّه عَهِدَ إِلَى المَلائِكَةِ بتَمييزِ الأَشرَارِ مِن

---

[٢٢] PL 76:1116; CS 123:65 (Homily 9)

[٢٣] MKGK 208-9

[٢٤] متى ٤: ١١.

الأَخيَارِ وَفصلِهِم عَنْهم. «يُرسِلُ ابنُ الإنسانِ ملائِكتَهُ، فيَجْمَعُونَ مِنْ مَلكوتِهِ كُلَّ المُفسِدينَ والأَشرارِ ويَرمُونَهُم في أَتُّونِ النَّارِ. هُنَاكَ يَكُونُ البُكَاءُ وَصَريفُ الأَسنَانِ».[٢٥] وهُنَا يُقَالُ «إِنَّ المَلائِكَةَ سَيَأتُونَ وَيُفَرِّقُونَ الأَشرَارَ عَنِ الأَبرَارِ وَيُلقُونَهُم في أَتُّونِ النَّار». تَفسيرُ متَّى ١٠. ١٢.[٢٦]

١٣: ٥١ أَفَهِمتُم هَذَا؟

لَقَد فَهِموا. هيلاريون: لَمْ يَتكلَّمْ يَسوعُ إِلَى الجُمُوعِ، بَلْ إِلَى التَّلاميذِ، وَأَعْطَى شَهَادَةً مُلائِمَةً للَّذينَ فَهِمُوا الأَمثَالَ. قَارَنَهُم بِصَاحِبِ البَيتِ، لأَنَّهُم فَهِمُوا تَعليمَهُ عَن اكتِنَازِ كُلِّ جَديدٍ وَقَديمٍ. يُشيرُ إِلَيهِم كعُلَمَاء لإِلمَامِهِم بِكُلِّ قَديمٍ وَجَديدٍ، أَي بِمَا في الأَنَاجِيلِ وَالشَّريعَةِ. إِنَّه قَدَّمَهُمَا نِيَابَةً عَنْ صَاحِبِ البَيتِ نَفْسِهِ وَعَنِ الكَنْزِ نَفسِهِ. في متَّى ١٤. ١.[٢٧]

مُدَرَّبٌ في الحَرْفِ وَالرُّوحِ. أوريجنِّس: يَصيرُ الكَاتِبُ تلميذًا في مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ بِبَسَاطَةٍ. إِنَّه يَأتِي مِنَ اليَهُودِيَّةِ وَيَتَلَقَّى التَّعلِيمَ الكَنَسيَّ عَن يَسوعَ المسيحِ. لَكِنْ يَكُونُ المَرءُ كَاتِبًا بِمَعنًى أَعْمَقَ عِندَمَا يَنفذُ إِلَى المَدَاخِلِ عبر حَرفِ الكِتَابِ المُقَدَّسِ، وَمِن ثَمَّ يَرتَفِعُ إِلَى الأُمُورِ الرُّوحَانِيَّةِ الَّتي تُسَمَّى مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ. وَكُلَّمَا أَدرَكَ كُلَّ فِكرٍ سَامٍ رُوحيًّا وَمَقبُولٍ وَثَابِتٍ سمَا بفكرِهِ إِلَى مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ. عِندَمَا يَزخَرُ المَرءُ بِمَعْرِفَةٍ مُنَزَّهَةٍ عَنِ الخَطَأ يَكُونُ في مَلَكُوتٍ غَنيٍّ مُمَثَّلٍ هُنَا «بِالسَّمَاءِ». ...عَلَى قَدْرِ مَا يَقْتَرِبُ المَرءُ مِنْ قَبُولِ الكَلِمَةِ، عَلَى قَدرِ مَا يَكُونُ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ قَرِيبًا. لَكِنْ، إِذَا كَانَ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ مُمَاثِلاً لمَلَكُوتِ اللّهِ في الطبيعَةِ، لا في الفِكْرِ، يَكُونُ «مَلَكُوتُ اللّه في دَاخِلِكُم»؛[٢٨] أَيضًا قِيلَ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ هُوَ في دَاخِلِكُم».[٢٩] هَذَا حَقِيقِيٌّ إِذ إِنَّ التَّوبَةَ تَتَجَاوزُ الحَرفَ لِتَبلُغَ الرُّوحَ، لا يُنْزَعُ الحَرْفُ (القِنَاعُ) إِلاَّ بَعْدَ الاهتِدَاءِ إِلَى الرَّبِّ. تفسيرُ متَّى ١٠. ١٤.[٣٠]

١٣: ٥٢ كُلُّ كَنزٍ قَديمٌ وَجَديدٌ

كُلُّ كَاتِبٍ مُتَعَلِّمٌ. كيرلس الإسكندريّ: الكَاتِبُ هُوَ من ادَّخَرَ لِنَفْسِهِ المعرِفَةَ، مِنْ

---

[٢٥] متّى ١٣: ٤١- ٤٢.

[٢٦] GCS 40:14-15; ANF 9:420

[٢٧] CS 258:10

[٢٨] لوقا ١٧: ٢١.

[٢٩] ٢ كورنثوس ٣: ١٦.

[٣٠] GCS 40:17-18; ANF 9:422

خِلالِ مُطالَعتِهِ المُستَمِرَّةِ العَهْدَينِ القَديمَ وَالجَديدَ. وَقَد طَوَّبَ المَسيحُ الَّذينَ قَدْ جَمَعُوا في أَنفُسِهِم تَأْديبَ الشَّريعَةِ وَالإِنجيلِ، «فَيُخْرِجُونَ كُلَّ كَنْزٍ قَديمٍ وَجَديدٍ». يُشَبِّهُ المَسيحُ هَؤلاءِ النَّاسَ بِالكَاتِبِ، كَمَا يَقُولُ في مَكانٍ آخَرَ، «هَاءَنذا أُرْسِلُ إِلَيكُم حُكَماءَ وَكَتَبَةً».[٣١] المقطع ١٧٢.[٣٢]

الكَنزُ في السَّماءِ. أوريجنِّس: رَبُّ البَيتِ حُرٌّ وَغَنِيٌّ. غَنِيٌّ لأَنَّه تَتَلمَذَ كَكَاتِبٍ في مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ، وَوَقَفَ عَلَى كُلِّ كَلِمَةٍ مِنَ العَهْدِ القَديمِ، وَتَمَلَّكَ مِنَ المَعْرِفَةِ بِتَعْليمِ يَسوعَ المَسيحِ الجَديدِ. لَهُ كَنْزٌ مَخزُونٌ في السَّماءِ، فيهِ يُودِعُ ثَروَتَهُ وَكَأَنَّه صَارَ تِلميذًا في مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ، «في السَّمَاءِ، حَيثُ لا يُفْسِدُ السُّوسُ، وَلا يَنقُبُ اللُّصوصُ».[٣٣] إِنَّ مَن عِندَهُ كُنوزٌ روحِيَّةٌ مَخزُونَةٌ في السَّمَاءِ لا يُفسِدُهَا سُوسُ الأَهْوَاءِ. تفسيرُ مَتَّى ١٠.١٤.[٣٤]

كُلُّ جَديدٍ وَكُلُّ قَديمٍ. غريغوريوس الكبير: انحدرَ الجِنسُ البَشَريُّ القَديمُ إِلَى أَبوابِ الجَحيمِ وَلَقِيَ عَلَى خَطَايَاه العِقابَ السَّرمَديَّ. لَكِنْ هُنَاكَ شَيءٌ تَغَيَّرَ بِمَجيءِ الوَسيطِ. إِذا رَغِبَ المَرءُ حقًّا في أَنْ يَحيَا حَيَاةَ التَّقْوَى، يَستَطيعُ الوُصولَ إِلَى مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ، مَعَ أَنَّهُ مَولُودٌ عَلَى الأَرضِ. فَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَترُكَ هَذِهِ الحَياةَ الفَانِيَةَ وَيَحْتَلَّ مَكَانًا في السَّمَاءِ. فَالجِنسُ البَشَرِيُّ القَديمُ مَاتَ في عِقَابٍ أَبَديٍّ. لَكِنَّ الجِنسَ البَشَرِيَّ الجَديدَ سَيَحْيَا بَعْدَ اهتِدَائِه في المَلَكُوتِ.

نَرى أَنَّ الرَّبَّ أَتَمَّ كَلامَهُ كَمَا استَهلَّهُ. أَوَّلاً شَبَّهَ الكَنْزَ المُكتَشَفَ في الحَقْلِ وَاللُّؤلُؤَةَ الثَّمينَةَ بِالمَلَكُوتِ، ثُمَّ تَكَلَّمَ عَلَى عُقُوبَاتِ العَالَمِ السُّفلِيِّ وَاحتِراقِ الأَشرَارِ بِالنَّارِ. وَخَتَمَ بِهذا: «كُلُّ مَنْ صَارَ مِنْ مُعَلِّمِي الشَّريعَةِ تِلميذًا في مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ، يُشبِهُ رَبَّ بَيتٍ يُخرِجُ مِنْ كَنْزِهِ كُلَّ جَديدٍ وَقَديمٍ». كَأَنَّه يَقُولُ: «إِنَّهُ صَارَ وَاعِظًا مُتَعَلِّمًا في الكَنيسَةِ المُقَدَّسَةِ مُتَيقِّنًا كَيفَ يُخرِجُ أُمورًا جَديدَةً مُتَعلِّقَةً بِنَعيمِ المَلَكُوتِ وَكَيفَ يَتَفَوَّهُ بِأُمورٍ قَديمَةٍ خَاصَّةٍ بِهَولِ التَّأديبِ، لِيَمْلأَ خَوفُ العُقُوبَاتِ قُلُوبَ الَّذينَ لا تُغريهِمُ المُكَافَآتُ». أَربعونَ عِظَةً إِنجيليَّةً ٢.٥.[٣٥]

العَهْدانِ القَديمُ وَالجَديدُ. أوغسطين: هَكَذا يَتَحَدَّثُ المَسيحُ إِلَى اليَهُودِ مِنْ خِلالِ صَوتِ

[٣١] متى ٢٣: ٣٤.
[٣٢] KGKM 902
[٣٣] متى ٦: ٢٠.
[٣٤] GCS 40:18; ANF 9:422
[٣٥] PL 76:1117; CS 123:66 (Homily 9)

الكُتبِ المقَدَّسةِ القديمةِ... الكاتِبُ المتَعلِّمُ هُوَ الآنَ في ملَكُوتِ اللّهِ. إنَّه لا يُخْرِجُ مِنْ خِزانتِهِ أُمورًا جديدةً فحسْبُ، بلْ أُمورًا قديمةً أيضًا. فإذا أخرجَ أمورًا جديدةً فقط، أو أُمورًا قديمةً فقط، لا يكونُ الكاتِبَ المتَعلِّمَ في ملَكُوتِ اللّهِ الَّذي يُخْرِجُ منْ خِزانتِهِ كُلَّ جَديدٍ وقَديمٍ. إذا قالَ هذهِ الأُمورَ ولَمْ يفْعَلْها، فهي لا تخرجُ مِنْ خِزانةِ قَلْبِهِ، بلْ مِن كُرسِيِّ تعْليمِه. نقولُ إنَّ ما خرَجَ مِنَ القَديمِ انجلَى واتَّضحَ بالجديدِ. فنَحنُ نأْتي إلى الرَّبِّ لكَي يَسقطَ القِناعُ عمَّا غمُضَ علَينا. موعظة ٧٤.٥.[٣٦]

[٣٦] PL 38:474; NPNF 1 6:337 (Sermon 74)

١٣: ٥٣-٥٨ رَفضُ يَسوع في النَّاصِرَةِ

[٥٣] ولمَّا أتَمَّ يَسوعُ هذِهِ الأمثالَ، ذهَبَ مِنْ هُناكَ [٥٤] وجاءَ إلى وطَنِهِ، وأخَذَ يُعلِّمُهُم في مَجمَعِهِم، فتَعَجَّبوا وقالوا: «مِنْ أينَ لَهُ هذِهِ الحِكمةُ وتِلْكَ المُعجِزاتُ؟ [٥٥] أليس هوَ ابنَ النجّارِ؟ أليست أُمُّهُ تُدعى مَريَمَ، وإخوتُهُ يَعقوبَ ويوسفَ وسِمْعانَ ويَهوذا؟ [٥٦] أوَليس جميعُ أخَواتِهِ عِندَنا؟ فمِنْ أينَ لَهُ كُلُّ هذا»؟ [٥٧] وكانوا يَجحَدُونَ بِه.
فقالَ لَهُم يَسوعُ: «لا نبيَّ بِلا كرامةٍ إلاّ في وَطَنِهِ وبيتِهِ». [٥٨] ولم يصنَعْ هُناكَ كثيرًا مِنَ المُعجِزاتِ لِعَدَمِ إيمانِهِم.

نظْرَةٌ عامَّةٌ: لمَّا رجعَ يَسوعُ إلى بلْدتِهِ، صمَّمَ علَى ألاّ يُجْرِيَ المعْجِزاتِ، لكَي لا يُثيرَ المُنتَقِصِينَ مِنْ قَدْرِه بحسَدِهِم ويدينَهُم بشِدَّةٍ أكْثَرَ. ومَعَ ذلِكَ علَّمَ وتَعْليمُهُ أثارَ العُجبَ أكْثَرَ مِنْ مُعجِزاتِهِ (الذَّهبيُّ الفم). دَهِشَ المَجْمَعُ اليَهُودِيُّ مِنْ حِكمَتِهِ وأعْمالِهِ العَظِيمَةِ (بطرس خريسولوغوس). ناقَشَ الآباءُ ما إذا كانَ وطَنُهُ النَّاصِرَةَ أو بيتَ لَحْمَ أو كفَرْناحُوم.
إذا كُنَّا نُفكِّرُ في اليَهوديَّةِ كَبلَدٍ ليَسوعَ، فإنَّنا

لا نُغالي إذا قلنا إنَّ كُلَّ الأنبياءِ قد عانَوا الذُلَّ في اليهوديَّةِ (أوريجنِّس). لمْ يرَ عامَّةُ النَّاس شيئًا في أقربائِهِ منْ مؤهَّلاتِهِ الرَّائعةِ. أدركُوا القليلَ منْ تعليمِهِ الَّذي يُفصِحُ عن مثلِ هذِهِ الحكمةِ والقدرةِ (أوريجنِّس). إنَّ مجدَ قريبٍ أوْ جارٍ غالبًا ما يُضايقُ القرابى الآخرينَ (بطرس خريسولوغوس، الذَّهبيُّ الفم). علَّم في مجْمَعِهِم، مِنْ دونِ أنْ ينْفصِلَ عنهُم أو أنْ يُهْمِلَهُم (أوريجنِّس). لمْ يؤمِنُوا بأنَّ اللّهَ كانَ يفْعَلُ هذِهِ الأمُورَ في إنسانٍ (هيلاريون). الإيمانُ، بدونِ قدرةٍ إلهيَّةٍ، لا يُؤدِّي إلى الشِّفَاءِ (أوريجنِّس).

١٣: ٥٣ ذهبَ منْ هُناكَ

وجاءَ إلى بلدِه. أوريجنِّس: علينَا أنْ نتساءَلَ عمَّا إذا كانَ «وطنُهُ» يُشيرُ إلى النَّاصرةِ أو إلى بيتَ لحم. ربَّما كانَ النَّاصِرَة، لأنَّ الكتابَ يقولُ إنَّه، «يُدعى ناصِريًّا»،[1] أو بيت لحم، لأنَّه وُلِدَ فيهَا... جاءَ إلى «وطنِهِ»، لأنَّ شيئًا سرِّيًّا أُعلِنَ في الآيةِ عنْ وطنِهِ–أي اليهوديَّةِ كُلِّهَا–حيثُ لمْ تُعطَ لهُ كرامةٌ. وهذا موافقٌ لقولِهِ «لا نبيَّ بلا كرامةٍ إلاَّ في وطنِهِ».[2] يُدرِكُ المرءُ أنْ يسوعَ المسيحَ هُوَ «عثرةٌ» لليهُودِ،[3] الَّذينَ كانوا يضطهدُونَهُ وما برحُوا. لكِنْ قدْ بُشِّرَ بهِ بينَ الأممِ فآمنُوا بهِ. فكلِمَتُهُ انتشرت في كُلِّ أصْقاعِ الأرْض. يُرى أنَّ يسوعَ لَمْ تُعْطَ لهُ كرامةٌ في وطنِهِ، لكنَّها أُعْطِيَتْ لهُ من «غُرباءِ عُهُودِ الموعدِ»،[4] أي الأمم. لكِنَّ الإنجيليّينَ لمْ يُدوِّنوا كُلَّ ما علَّمَهُ وتكلَّمَ بهِ في مَجامِعِهِم. كُلُّ ما نعْرِفُهُ أنَّ تعْلِيمَهُ كانَ عظِيمًا جِدًّا، حتَّى أدْهَشَ الجمِيعَ. وربَّما أنَّ ما تكلَّمَ بهِ يسمُو على ما كُتِبَ عنهُ. لقد علَّمَ في مجامِعِهِم ولَمْ ينفصِلْ عنهُم ولمْ يتجاهَلْهُم.[5] تفسيرُ إنجيلِ متَّى ١٠.١٦.[6]

أُهْمِلَ بسبَبِ أقاربِه. الذَّهبيُّ الفَم: أيَّ وطنٍ يدعُو الآن؟ يبْدو لِي أنَّه النَّاصِرةُ. فقد قِيلَ: «ولَمْ يصْنَعْ هُناكَ عجائِبَ كثيرةً».[7] أمَّا في كفرْناحُومَ فقد صنَعَ آياتٍ، لذا قالَ: «وأنتِ يا كفرْناحُومُ المرتفِعةُ إلى السَّماءِ،

---

[1] متى ٢: ٢٣.
[2] متَّى ١٣: ٥٧.
[3] ١ كورنثوس ١: ٢٣.
[4] أفسس ٢: ١٢.
[5] متَّى ١٣: ٥٤.
[6] GLT 920.2402, 01.61-23.43, 44-54, 94-05; GCS5 40:20-21; ANF 9:424
لقد كرَّمَه أهلُ العهدِ تكريمًا أقلَّ من تكريمِ الغرباءِ عن العهد. بحث عن خاصَّتِه وخاصَّتُه لم تقبَلْه.
[7] متَّى ١٣: ٥٨.

ستهبطِين إلى الجَحِيم؛ فَلَو جرَى في سَدُوم مَا جرَى فِيكِ مِنَ المُعجِزَاتِ لبَقِيَتْ إلَى اليَومِ». إنجيلُ متَّى، الموعظة ١.٤٨.[٨]

١٣:٥٤-٥٦ فتَعَجَّبُوا مِنْ تَعْلِيمِه

عَلَّمَ في مَجَامِعِهِم. بُطرس خريسولوغوس: المَجامعُ لم تكُنْ مجامِعَهُ. فيها التأمتِ الجُمُوعُ الخَبيثَةُ وَغيرُ المؤمنَة والنَّاسُ المُمتَلِئُونَ حِقدًا لا محبَّةً، المَعروفُونَ بِسُوءِ الطَّبعِ وَالتَّصرُّفِ. «أخَذَ يُعلِّمُهم في مَجمَعِهِم، فتَعَجَّبُوا». تَعَجَّبُوا بسُخْطٍ لا بنِعْمَةٍ. كَانُوا مَذْهُولِينَ لحَسَدِهِم لا لثَنَائِهِم. اهتَاجُوا لأنَّ المُتَفَاخِرَ مِنهُمُ المُتربِّعَ عَلَى كُرسِيِّهِ لَمْ يَقدِرْ أنْ يَفْهَمَ، فَكَانَ التَّوَاضُعُ هُوَ التَّعلِيمَ الدَّقِيقَ. المواعظ ٢.٤٨.[٩]

تَعَجَّبُوا. بُطرس خريسولوغوس: «تَعَجَّبُوا وَقَالُوا: مِنْ أينَ لَهُ هذِهِ الحِكمةُ؟» مَنْ يتكلَّمُ بهذِهِ الطَّرِيقَةِ لا يَعْرِفُ اللّهَ الَّذي تأتي مِنهُ الحِكْمَةُ وَالمُعْجِزَاتُ. يُشيرُ سُلَيْمَانُ إلَى ذَلِكَ المَصدَرِ للحِكْمَةِ. فَلَمَّا كَانَ يَافِعًا، تَقَبَّلَ شَرَفَ المَمْلَكَةِ الأعْلَى، لِيَحكُمَ، بينَ النَّاسِ الَّذِينَ وُضِعُوا تَحتَ رِعَايَتِهِ، بالفَضِيلَةِ لا بالغَطْرَسَةِ، بالحِكْمَةِ لا بالكِبرِيَاءِ، بقَلْبِهِ لا برَأْسِهِ. أرَادَ الحِكْمَةَ مِنَ اللّهِ، فَطَلَبَهَا بِجِدٍّ فَنَالَهَا. «مِنْ أينَ لَهُ هذِهِ الحِكْمَةُ وَالمُعْجِزَاتُ». إنَّ القُدْرَةَ العَظِيمَةَ المَانِحَةَ البَصَرَ لا تَهَبُهَا الطَّبيعةُ. فَتِلْكَ القُدْرَةُ تُعِيدُ السَّمْعَ إلَى الغَارِقِينَ في الوَهْنِ، وتُمكِّنُ البُكْمَ من الإفصَاحِ عمَّا يُخَالِجُهُم، وَتَجْعَلُ العُرجَ يَمشُونَ، وَتَأمُرُ النُّفُوسَ الَّتي هِيَ عَلَى شَفِيرِ العَالَمِ السُّفْلِيِّ بالرُّجُوعِ إلَى اللّهِ. المواعظ ٢.٤٨.[١٠]

أليست أُمُّهُ تُدعَى مَريمَ. أوريجنِّس: رُبَّمَا أظْهَرَتْ هَذِهِ الأُمُورُ تَسَاؤُلاً حَولَ يسوعَ أنَّهُ لَمْ يَكُنْ مُجَرَّدَ إنسَانٍ، بَلْ كَانَ أكثَرَ أُلُوهَةً. وَمَعَ ذَلِكَ ظَنَّ أنَّهُ ابنُ يوسفَ وَمَريم وَأخُو أرْبَعَةٍ وَنِسَاءٍ أُخَرَ. فَلَمْ يَروا في أيٍّ مِنْ أقَارِبِهِ مَا يُشيرُ إلَى هَذِهِ الهِبَاتِ. وَلَم يُلاحِظُوا في تَربيَتِهِ وَتَعْلِيمِهِ مَا يُوصِلُهُ إلَى مِثْلِ هَذِهِ الحِكْمَةِ وَهَذِهِ القُدرَةِ. فَهُم يَقُولُونَ في مَكَانٍ آخر: «كَيفَ يَعْرِفُ هَذَا الكُتُبَ وَلَمْ يَتَعَلَّم؟»[١١] وَهَذَا يُشبِهُ كَثيرًا مَا يُقَالُ هُنَا. عَلَى الرَّغمِ من كُلِّ تَسَاؤُلاتِهِم فَهُم دَهِشُونَ حَائِرُون، لَم يُؤمِنُوا بِهِ... وَكَأنَّ المُعْجِزَاتِ الَّتي سَتَقُودُهُ، في وَقتِ آلامِهِ، إلَى الانتِصَارِ عَلَى الصَّلِيبِ

---

[٨] GP 85:487; FNPN 1 10:296

[٩] CCL 24:265

[١٠] CCL 24:265

[١١] يوحنَّا ٧: ١٥.

غشيتْ بصائر عقولهم. تفسيرُ متّى ١٠.١٧.[١٢]

أَليسَ هُوَ ابنَ النَّجَّارِ؟ هيلاريون: بالرَّغمِ مِنْ أَنَّ حِكمَتَهُ في التَّعْلِيمِ وَأَعْمَالَهُ العَظِيمَةَ أَثَارَتِ الإِعْجَابَ، فَإِنَّ عَدَمَ إِيمَانِهِم بِهِ حَالَ دونَ تَمييزِهِمُ الحَقِيقيّ. لَمْ يُصدِّقوا أَنَّ اللّهَ كَانَ يَعْمَلُ هَذِهِ الأُمورَ في إِنسَانٍ. فَضلاً عَنْ ذَلِكَ، ذَكَروا أَبَاهُ، وأُمَّهُ، وإِخْوتَهُ وَأَخَواتِهِ وَتَضَايقُوا مِنهُ.

لَكِنَّهُ كَانَ ابنَ النَّجَّارِ الَّذي كَانَ يُلَيِّنُ الحَديدَ بِالنَّارِ، وَيَصْهَرُ كُلَّ قُوَّةِ العَالَمِ بِحُكمٍ جَيِّدٍ وَيُحَوِّلُ الكُتلَةَ إِلَى كُلِّ مَا يَنتفِعُ بِهِ النَّاسُ. كَانَ يَصُوغُ مَادَّةَ أَجسادِنَا اللاَّشَكليَّةَ إِلَى أَعْضَاءٍ ذَاتِ أَدوارٍ في كُلِّ عَمَلٍ لِلحَيَاةِ الأَبديَّةِ. ...أَمَّا مَشَاعِرُهُم فَكَانَت تَتحرَّكُ أَمَامَ أَفْعَالِهِ العَظِيمَةِ وَتَصَوُّفِهِ وَإِمسَاكِهِ. قَالَ الرَّبُّ لَهُم: «لا نَبيَّ بِلا كَرَامَةٍ إِلاَّ في وَطَنِهِ»،[١٣] لأَنَّه كَانَ مُزدَرًى في اليَهوديَّةِ حتّى الصَّلبِ. وَبِمَا أَنَّ قُدرَةَ اللّهِ هِيَ مَعَ المُؤمِنينَ وَحْدَهُم، فَقَدِ امتَنَعَ هُنَاكَ عَنْ صُنعِ أَيٍّ مِن أَعمَالِ القُدْرَةِ الإِلَهيَّةِ لِعَدَمِ إِيمَانِهِم. في متّى ٢.١٤.[١٤]

يُحْكَمُ عَلَيهِ مِنْ خِلالِ أَقرِبَائِهِ. الذَّهبيُّ الفَمِ: إِنَّهُ لَمْ يَصْنَعِ العَجَائِبَ في بَلَدِهِ، خِشيةَ أَنْ يَلتَهِبُوا حَسَدًا، وَتَجنُّبًا لإِدانَتِهِم بِصُورَةٍ أَشَدَّ لِتَفَاقُمِ عَدَمِ إِيمَانِهِم. وَمَعَ ذَلِكَ يُلْقِي تَعْلِيمًا لا يَقِلُّ عَجَبًا عَنِ العَجَائِبِ. فَهَؤُلاءِ النَّاسُ لا إِحْسَاسَ لَهُم. فَبَدلاً مِنْ أَنْ يَتَعَجَّبُوا وَيَنْذَهِلُوا مِنْ قُوَّةِ كَلامِهِ، عَيَّرُوهُ، بِسَبَبِ مَنْ كَانَ يُشْبَّهُ لَهُم أَنَّهُ أَبوه؛ وَمَعْ ذَلِكَ نَعْرِفُ أَنَّه كَانَتْ لَدَيهِم أَمثِلَةٌ كَثيرَةٌ مِنَ الأَزمِنَةِ الغَابِرَةِ. إِنَّ عَدَدًا مِنَ الأَبناءِ النُّبَهَاءِ وُلِدُوا لآبَاءٍ ذَليلي المَنْزِلَةِ. إِنجيلُ متّى، الموعظة ١.٤٨.[١٥]

١٣:٥٧ لا نَبيَّ بِلا كَرامَةٍ

إِلاَّ في وَطَنِهِ وَبَيتِهِ. أوريجنّس: عَلَينا أَنْ نَسأَلَ مَا إِذَا كَانَتْ لِلقَولِ القُوَّةُ نَفسُهَا عِنْدَ تَطبيقِهِ بِشَكْلٍ جَامِعٍ عَلَى كُلِّ نَبيٍّ. هَلْ يَعني هَذا القَولُ أَنَّ جَميعَ الأَنبيَاءِ هُم بِلا كَرَامَةٍ في أَوْطَانِهِم؟ أو هَلْ يَعني أَنَّه مَا مِن أَحدٍ يُهَانُ إِلاَّ في وَطَنِهِ؟ أَو هَلْ يَعني أَنَّ القَولَ يَنطَبِقُ عَلَى نَبيٍّ وَاحِدٍ لا ثَانيَ لَهُ؟ إِذا قِيلَ هَذا الكَلامُ عَن نَبيٍّ وَاحِدٍ، فَيكفِي أَنْ يُشيرَ إِلَى مَا هُوَ مَكْتُوبٌ عَنِ المُخَلِّصِ. لَكِنْ، إِذَا كَانَ شَامِلاً كُلَّ نَبيٍّ فَلا مِصداقيَّةَ لَهُ في

---

[١٢] SCG 22:04; FNA 9:424-52
[١٣] متّى ١٣: ٥٧.
[١٤] CS 852:01-21
[١٥] GP 784:85; FNPN 1 01:692

التَّاريخِ. إيليّا لم يُهَنْ في تَشْبَهَ الوَاقِعَةِ في جِلعَاد، وأَليشعُ لم يُهَنْ في بَيتِ مَحُولا، وَلا صَمُوئيلُ في أَرمتايم ولا إرميا في عَنَثُوثيا. لَكِنْ، إذا فُسِّرتِ المقولَةُ تفسيرًا رَمزيًا يكُونُ القَولُ صَادِقًا. عَلَينَا أَنْ نُفكّر في اليَهوديَّةِ وَطَنِهِم وفي إسرائيلَ أَهلِهِم، ورُبَّمَا في الجسَدِ بَيتِهِم. لَقَد أُهِينُوا في اليَهوديَّةِ عَلَى يَدِ إسرائيلَ بحَسَبِ الجَسَدِ، مَعَ أَنَّهُم كَانُوا في الجَسَدِ، كَمَا كُتِبَ في أَعْمَالِ الرُّسُلِ: «أَيُّ نَبِيٍّ لَمْ يَضطَهِدْهُ آبَاؤُكم؟ أَلَم يقتلُوا الَّذينَ أَنْبَأُوا بمَجيءِ الصِّدِّيقِ؟».[١٦] يَقُولُ بولسُ قَولاً مُشَابِهًا في الرِّسَالةِ الأُولَى إلَى أَهْلِ تَسَالونيكي: «صِرتُم، أَيُّها الإخْوَةُ، عَلَى مِثَالِ كَنَائِسِ اللّهِ في المَسِيحِ يسوعَ، تلكَ الكَنَائِسِ الَّتي باليَهوديَّةِ. فَقَدْ أَصَابكُم أَنتُم أَيضًا مِنْ أَبْنَاءِ أُمَّتِكُم مَا أَصَابَهُم مِنْ آلامٍ عَلَى أَيدِي اليَهُودِ الَّذينَ قَتَلُوا الرَّبَّ يسوعَ وَالأَنبِيَاءَ وَاضْطَهَدُونَا، فَهُمُ الَّذينَ لا يُرضُوْنَ اللّهَ ويُعَادُونَ جَمِيعَ النَّاسِ».[١٧] تَفْسيرُ متَّى ١٠.١٨.[١٨]

١٣:٥٨ وَلَمْ يَصْنَعْ هُنَاكَ كَثيرًا مِنَ المُعجزاتِ

لِعَدَمِ إيمانِهِم. أوريجِنِّس: يَبْدُو لِي أَنَّ صُنْعَ المُعْجِزَاتِ مُشَابِهٌ لِوَضْعِ الأُمُورِ المَادِّيَةِ. فَالفِلاحَةُ وَحْدَها لا تَكفي لإنتَاجِ الثَّمرِ مَا لَمْ تَتَعَاوَنْ مَعَها البيئَةُ، وَيوَاتِها الجَوُّ. فَهذَا مَا شَاءَهُ صَانِعُهَا وَمُجَمِّلُهَا. وَالجَوُّ نَفْسُهُ لا يكفي لإنتَاجِ الثَّمرِ من دونِ فِلاحَةٍ. فَالمُعْتَنِي بالخَلِيقَةِ لَمْ يُصَمِّمْ بعِنَايَتِهِ إخْرَاجَ الثَّمَرِ مِنَ الأَرْضِ من دونِ فِلاحَةٍ. استَغنَى عَنِ الفِلاحَةِ مَرَّةً عندما أَمَرَ أَنْ «تُنبِتَ الأَرْضُ نَباتًا: عُشْبًا يُبزِرُ بِزْرًا، وَشَجَرًا مُثمِرًا يَحْمِلُ ثَمَرًا، بِزْرُهُ فيهِ مِنْ صِنفِهِ».[١٩]

هَكَذَا يَكُونُ الأَمْرُ بالنِّسبَةِ إلَى صُنعِ المُعْجِزَاتِ. فَالعَمَلُ الكَامِلُ لا يُظْهِرُ الشِّفاءَ مِن دُونِ إيمَانِ الَّذينَ يُشفَوْنَ. وَالإيمَانُ، مَهْمَا كَانَ، لا يَقُودُ إلَى الشِّفَاءِ من دونِ قُدرَةٍ إلَهِيَّةٍ. تفسيرُ متَّى ١٠.١٩.[٢٠]

لمَاذَا لَمْ يُكْثِرْ مِنَ المُعْجِزَاتِ؟ الذَّهَبِيُّ الفَم: لَكِنَّ لوقا يَقُولُ: «وَلَم يَصْنَعْ هُنَاكَ شَيئًا مِنَ المُعْجِزَاتِ». وَمَعَ ذَلِكَ يُرَجَّحُ أَنَّه قَد صَنَعَ بَعضَهَا. فَإِذَا كَانَ الدَّهَشُ قد اشتَدَّ- حتَّى هُنَاكَ كَانَ مَحَطَّ إعْجَابٍ-فَلِمَاذَا لَمْ

[١٦] أعمال ٧: ٥٢.
[١٧] ١ تسالونيكي ٢: ١٤- ١٥.
[١٨] SCG 04:32; FNA 524:9
[١٩] تكوين ١: ١١.
[٢٠] SCG 04:62

يُجْرِهَا؟ لأنَّه لَمْ يَنْظُرْ إلى التَّبَاهِي بنَفْسِهِ، بلْ إلَى مَنْفَعَتِهِم. فَلَمَّا لَمْ يَنْجَحْ ذَلِكَ تغَاضَى عَمَّا لنَفْسِهِ لئَلاَّ يَزِيدَ مِنْ عِقَابِهِم.

وَمَعَ ذَلِكَ، انظُرْ إِلَى أَنَّهم لَمْ يَحْتَمِلُوهُ لَمَّا أَتَى إِلَيهِم بَعْد طُولِ زَمَانٍ، وَبَعْدَ أَنْ صَنَعَ الكَثِيرَ مِنَ المُعْجِزاتِ؛ اشتَعَلُوا حَسَدًا للمَرَّةِ الثَّانِيَةِ. لمَاذَا، إذًا، فَعَلَ السَّيِّدُ مُعْجِزَاتٍ قَليلَةً؟ لِئَلاَّ يَقُولُوا: «يَا طَبِيبُ اشفِ نَفْسَك»؛ ولِئَلاَّ يَقُولُوا: «إِنَّه خَصْمٌ لَنَا وَعَدُوٌ وَيُغْفِلُ أَهْلَ بَيتِهِ»؛ ولِئَلاَّ يَقُولُوا: «لو أُجْرِيَتِ المُعْجِزَاتُ لآمَنَّا». لهذا يُجْرِيها ثُمَّ يَتَوَقَّفُ عَنْ إجرائِها: أَوَّلاً حتَّى يُتِمَّ مَهمَّتَهُ، وَثَانِيًا حتَّى لا يُدِينَهُم أَكْثَر.

إِفْهَمْ قُوَّةَ كَلامِهِ، فَرغمَ أَنَّهم مُلِئُوا حَسَدًا وَحِقْدًا فقَدْ أُعْجِبُوا بِهِ. وَبِالنِّسبَةِ إِلَى أَعمَالِهِ فَهُم لا يجِدُونَ عَيبًا في ما صنَعَ، إِنَّما يُلَفِّقُونَ أَعْذَارًا لا وُجُودَ لَهَا قَائِلِين: «بِبَعْلَ زَبُولَ يطرُدُ الشَّيَاطِينَ».[٢١] هَكَذا لا يَجِدُونَ هُنَا عَيبًا في تَعْلِيمِهِ، إِنَّما يَلتَجِئُونَ إِلَى وَضَاعَةِ أَصْلِهِ. إنجيلُ متَّى، الموعظة ٤٨.١.[٢٢]

لمَاذَا لَمْ يَعْمَلْ أَعْمَالاً عَظِيمَةً هُنَاكَ؟

بُطرس خريسولوغوس: جَاءَ المَسيحُ إِلَى بَلَدِهِ، لأَنَّهُ هَكَذَا كُتِبَ: «إِلَى بَيتِهِ جَاءَ، فَلَمْ يَقْبَلْه أَهْلُ بيتِهِ».[٢٣] وَالحقُّ أَنَّهُ عِندما قَالَ، «لا نبيَّ بلا كَرامَةٍ إلاَّ في وَطَنِهِ»، كَانَ يُدرِكُ رُدودَ الفِعلِ المُؤلِمَةَ في أَهْلِ بَيتِهِ. فالتَّقَدُّمُ عَلَى أَهْلِ البَيتِ شبيهٌ بنَارٍ مُتَأَجِّجَةٍ. وَتَفَوُّقُ القَريبِ على قَريبِهِ يُعتبرُ إِذلالاً لَهُ لا مجدًا وَمَوضِعَ اعتِزَازٍ. لذا «لمْ يَصْنَعْ هُنَاكَ كثيرًا مِنَ المُعجزاتِ لِعَدَمِ إيمانِهِم».[٢٤] المُعجِزَةُ لا تَأْثِيرَ لَهَا حَيثُ يكونُ عَدمُ الإيمانِ غَيرَ مُستَحِقٍّ لَهَا. إنَّ المَسيحَ كَانَ يَشفي النَّاسَ مَجَّانًا، وبدلاً مِن أَنْ يشكُرُوهُ وَيُثنُوا عَلَيهِ كَانُوا يُظهِرونَ لَهُ جَوْرًا واحتقارًا. المواعظ ٤٨.٦.[٢٥]

---

[٢١] متَّى ١٢: ٢٤.
[٢٢] GP 85:784; NPNF 1 10:297
[٢٣] يوحنَّا ١: ١١.
[٢٤] متَّى ١٣: ٥٨.
[٢٥] CCL 24:267-68

فهرسُ المواضيعِ

christian-lib.com

coptic-books.blogspot.com

متى

فهرسُ الآيات الكتابيّة

متى

مرقس

لوقا

يوحنا

أعمال الرسل

المراجع

OLV Bibliography

This bibliography refers readers to original language sources and supplies Thesaurus Lingaue Graecae (=TLG) or Cetedoc Clavis (=Cl.) numbers where available.

Apollinaris of Laodicea. "Fragmenta in Matthaeum." Pages 1-54 in *Matthäus-Kommentare aus der griechischen Kirche*. Edited by Joseph Reuss. Berlin: Akademie-Verlag, 1957. TLG 2074.037.

Augustine of Hippo. "De consensu evangelistarum libri iv." Cols. 1011-1230 in *Opera omnia*. Patrologiae cursus completus, Series Latina, vol. 34. Edited by J.-P. Migne. Paris: Migne, 1861. Cl. 0273.

______. "De sermone Domini in monte." Cols. 1229-1308 in *Opera omnia*. Patrologiae cursus completus, Series Latina, vol. 34. Edited by J.-P. Migne. Paris: Migne, 1861. Cl. 0274.

______. "Sermones." In *Opera omnia*. Patrologiae cursus completus, Series Latina, vol. 38. Edited by J.-P. Migne. Paris: Migne, 1861. Cl. 0284.

______. "Sermones." In *Sermones post Maurinos reperti Studi Agostiniani*. Edited by G. Morin. Miscellanea Agostiniana, vol. 1. Rome: Tipografia poliglotta vaticana, 1930. Cl. 0284.

Chromatius of Aquileia. "Tractatus in Matthaeum." Pages 185-498 in *Chromatii Aquileiensis opera*. Edited by R. Étaix and J. Lemarié. Corpus Christianorum, Series Latina, vol. 9a. Turnhout, Belgium: Typographi Brepols Editores Pontificii, 1974. Cl. 0218.

Cyprian of Carthage. "De dominica oratione." Pages 90-113 in *Sancti Cypriani episcopi opera: pars 2*. Edited by C. Moreschini. Corpus Christianorum, Series Latina, vol. 3a. Turnhout, Belgium: Typographi Brepols Editores Pontificii, 1976. Cl. 0043.

Cyril of Alexandria. "Fragmenta in Matthaeum." Pages 153-269 in *Matthäus-Kommentare aus der griechischen Kirche*. Edited by Joseph Reuss. Berlin: Akademie-Verlag, 1957. TLG 4090.029.

Epiphanius the Latin. "Interpretatio Evangeliorum." Cols. 834-964 in Patrologiae cursus completus, Series Latina, Supplementum, vol 3. Edited by Adalberto Hamman. Paris: Édition Gernier Frères, 1963.

Eusebius of Emesa. "Homiliae." In *Eusèbe d'Émèse discours conservés en latin*, vol. 2. Edited by É. M. Buytaert. Spicilegium Sacrum Lovaniense, vol. 27. Louvain: Spicilegium Sacrum Lovaniense Adminisration, 1957.

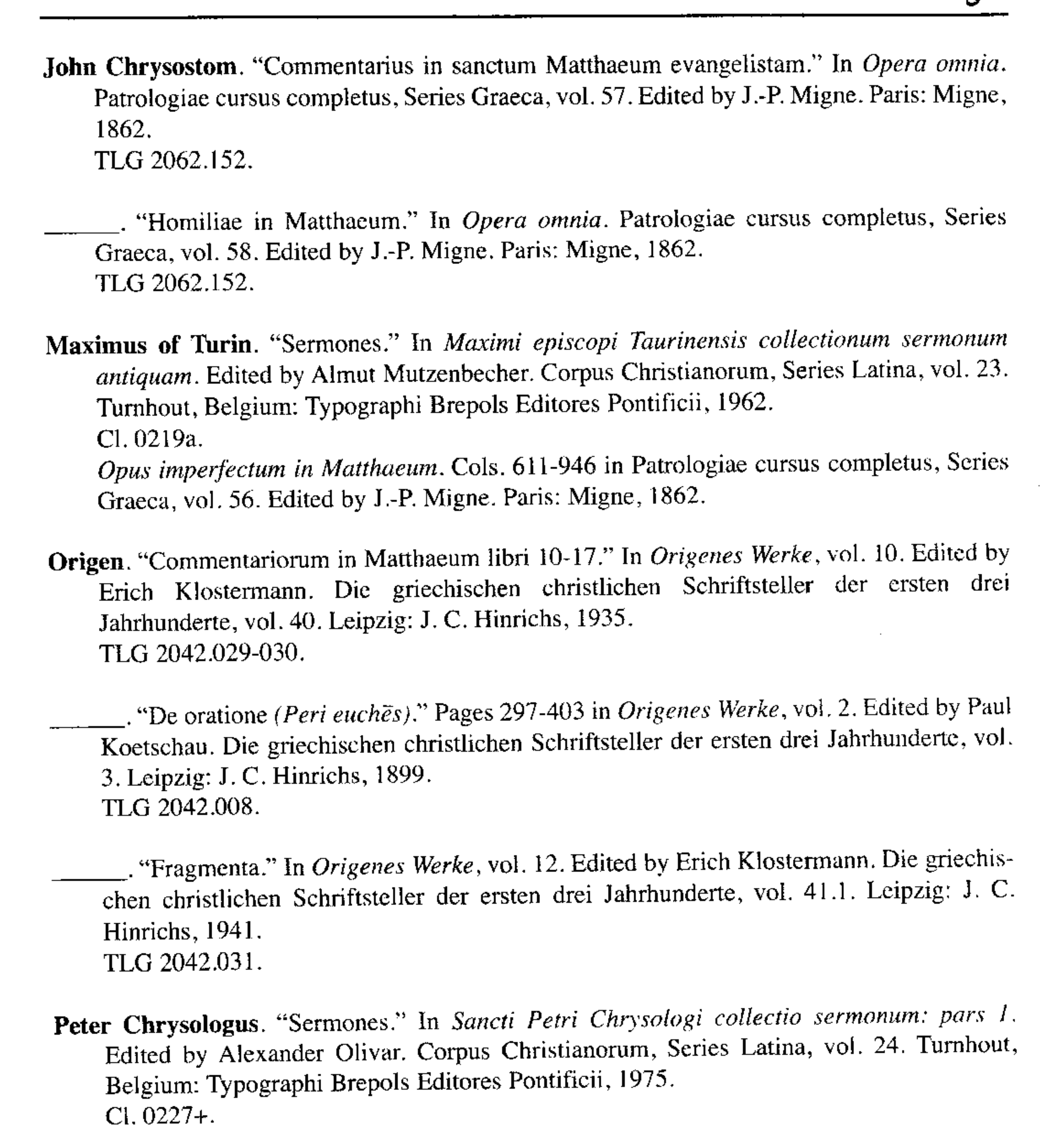
Gregory the Great. "XL Homiliarum in Evangelia." Cols. 1075-1312 in *Opera omnia*. Patrologiae cursus completus, Series Latina, vol. 76. Edited by J.-P. Migne. Paris: Migne, 1857. Cl. 1711.

Hilary of Poitiers. "In Matthaeum." In *Sur Matthieu I*. Edited by Jean Doignon. Sources chrétiennes, vol. 254. Paris: Cerf, 1978.

______. "In Matthaeum." In *Sur Matthieu II*. Edited by Jean Doignon. Sources chrétiennes, vol. 258. Paris: Cerf, 1979.

Irenaeus of Lyon. "Adversus haereses (liber 3)." In *Irénée de Lyon. Contre les hérésies, livre 3*, vol. 2. Edited by A. Rousseau and L. Doutreleau. Sources chrétiennes, vol. 211. Paris: Cerf, 1974.
TLG 1477.002.

Jerome. "Commentariorum in Matthaeum libri iv." In *Sancti Hieronymi Presbyteri Opera:* Pars 1.7. Ed- Matthew 1-13 314 edited by D. Hurst and M. Adriaen. Corpus Christianorum, Series Latina, vol. 77. Turnhout, Belgium: Typographi Brepols Editores Pontificii, 1969. Cl. 0590.



John Chrysostom. "Commentarius in sanctum Matthaeum evangelistam." In *Opera omnia*. Patrologiae cursus completus, Series Graeca, vol. 57. Edited by J.-P. Migne. Paris: Migne, 1862.
TLG 2062.152.

______. "Homiliae in Matthaeum." In *Opera omnia*. Patrologiae cursus completus, Series Graeca, vol. 58. Edited by J.-P. Migne. Paris: Migne, 1862.
TLG 2062.152.

Maximus of Turin. "Sermones." In *Maximi episcopi Taurinensis collectionum sermonum antiquam*. Edited by Almut Mutzenbecher. Corpus Christianorum, Series Latina, vol. 23. Turnhout, Belgium: Typographi Brepols Editores Pontificii, 1962.
Cl. 0219a.
Opus imperfectum in Matthaeum. Cols. 611-946 in Patrologiae cursus completus, Series Graeca, vol. 56. Edited by J.-P. Migne. Paris: Migne, 1862.

Origen. "Commentariorum in Matthaeum libri 10-17." In *Origenes Werke*, vol. 10. Edited by Erich Klostermann. Die griechischen christlichen Schriftsteller der ersten drei Jahrhunderte, vol. 40. Leipzig: J. C. Hinrichs, 1935.
TLG 2042.029-030.

______. "De oratione *(Peri euchēs)*." Pages 297-403 in *Origenes Werke*, vol. 2. Edited by Paul Koetschau. Die griechischen christlichen Schriftsteller der ersten drei Jahrhunderte, vol. 3. Leipzig: J. C. Hinrichs, 1899.
TLG 2042.008.

______. "Fragmenta." In *Origenes Werke*, vol. 12. Edited by Erich Klostermann. Die griechischen christlichen Schriftsteller der ersten drei Jahrhunderte, vol. 41.1. Leipzig: J. C. Hinrichs, 1941.
TLG 2042.031.

Peter Chrysologus. "Sermones." In *Sancti Petri Chrysologi collectio sermonum: pars 1*. Edited by Alexander Olivar. Corpus Christianorum, Series Latina, vol. 24. Turnhout, Belgium: Typographi Brepols Editores Pontificii, 1975.
Cl. 0227+.

______. "Sermones." In *Sancti Petri Chrysologi collectio sermonum: pars 3*. Edited by Alexander Olivar. Corpus Christianorum, Series Latina, vol. 24b. Turnhout, Belgium: Typographi Brepols Editores Pontificii, 1982. Cl. 0227+.

Severus of Antioch. "Homiliae cathedrales." In *Les Homiliae cathedrales de Sévère d'Antioche: Homilies 91- 98*. Edited and translated by Maurice Brière. Patrologia Orientalis, vol. 25. Paris: Firmin-Didot et Cie, 1943.

Tertullian. "De idololatria." Pages 1099-1124 in *Opera: pars 2*. Edited by A. Reifferscheid and G. Wissowa. Corpus Christianorum, Series Latina, vol 2. Turnhout, Belgium: Typographi Brepols Editores Pontificii, 1954.
Cl. 0023.

______. "De oratione." Pages 255-74 in *Opera: pars 1*. Edited by G. F. Diercks. Corpus Christianorum Series Latina, vol. 1. Turnhout, Belgium: Typographi Brepols Editores Pontificii, 1954.
Cl. 0007.

Theodore of Heraclea. "Fragmenta in Matthaeum." Pages 55-95 in *Matthäus-Kommentare aus der griechischen Kirche*. Edited by Joseph Reuss. Berlin: Akademie-Verlag, 1957.
TLG 4126.002.

Theodore of Mopsuestia. "Fragmenta in Matthaeum." Pages 96-135 in *Matthäus-Kommentare aus der griechischen Kirche*. Edited by Joseph Reuss. Berlin: Akademie-Verlag, 1957.
TLG 4135.009.